مصحف دار الصحابة

وبهامشه

مختصر تفسير فتح القدير

الجامع بين فني الدراية والرواية من علم التفسير

للإمام الشوكاني

الشيخ / مجدي فتحي السيد



الناشر
دار الصحابة للتراث بطنطا

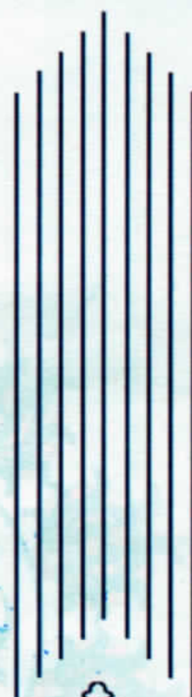


لدار الصحابة للتراث بطنطا
للنشر - والتحقيق - والتوزيع

الطبعة الأولى
1428 هـ / 2007 م

رقم الإيداع
2006 / 2250

الترقيم الدولى
I.S.B.N: 977-272-497-9





المراسلات:
طنطا ش المديرية - أمام محطة بنزين التعاون
ت: 3331587 محمول: 0123780573
ص ب: 477
موقعنا على الإنترنت
www.D SAHABA.com

مُصحف دار الصحابة

وبهامشه

مُختصر تفسير فتح القدير

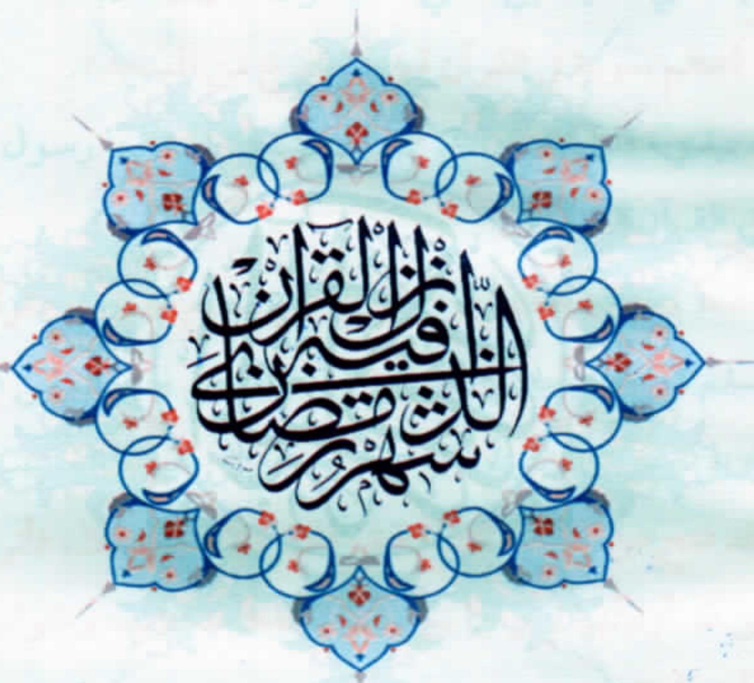
الجامع بين فني الدراية والرواية من علم التفسير

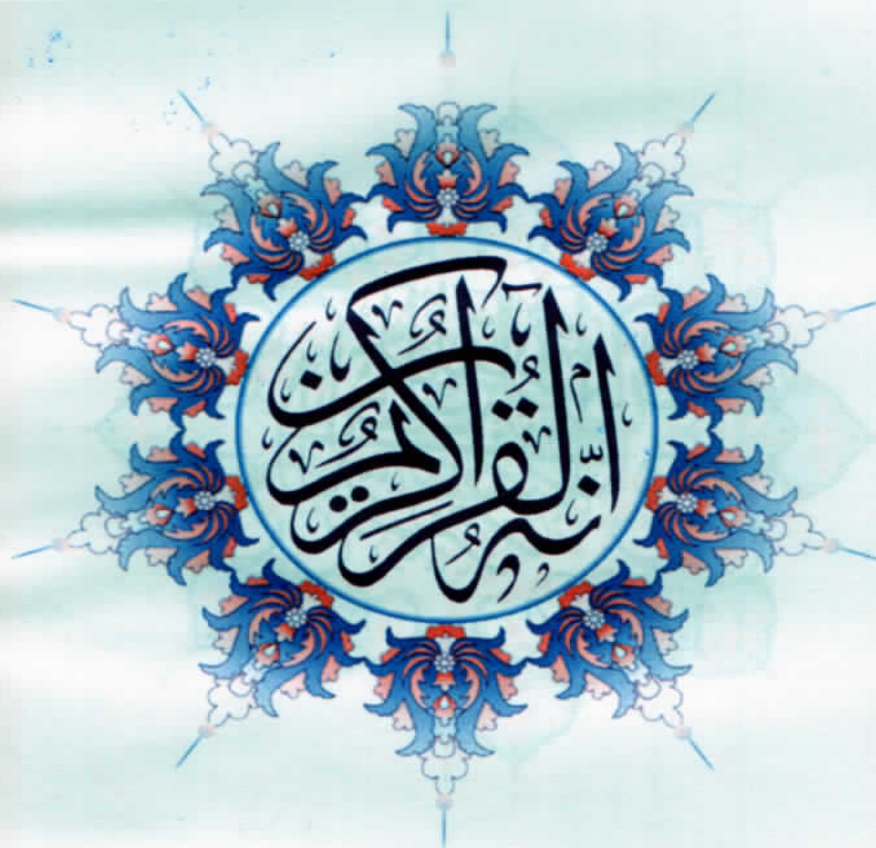
للإمام الشوكاني

الشيخ/ مجدي فتحي السيد

الناشر
دار الصحابة للتراث بطنطا


بسم الله الرحمن الرحيم


شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن


انه لقرآن كريم

سُورَةُ الفَاتِحَةِ ١

سمِّيت هذه السورة «فاتحة الكتاب» لكونه افتتح بها، وأول ما يتلوه التالي من الكتاب العزيز، وإن لم تكن أول ما نزل من القرآن.

قيل: هي مكية، وقيل: مدنية.

تسمَّى فاتحة الكتاب، وتسمى أمَّ الكتاب، وصح تسميتها بالسبع المثاني وسورة الحمد، وسورة الصلاة، والواقية. وقد ورد في فضل هذه السورة أحاديث، منها ما أخرجه البخاري وأحمد من حديث أبي سعيد ابن المعلي أن رسول الله ﷺ قال له:

«لأعلمنك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد».

قال: فأخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج من المسجد قلت: يا رسول الله إنك قلت لأعلّمنّك أعظم سورة في القرآن؟ قال:

«نعم ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيتُه».

وأخرج مسلم في صحيحه، والنسائي في سننه، من حدُيث ابن عباس «قال: بينا رسول الله ﷺ وعنده جبريل، إذ سمع نقيضًا فوقه فرفع جبريل بَصَرَه إلى السماء، فقال:

«هذا بابٌ قد فتح من السماء ما فتح قط، قال: فنزل منه ملك، فأتى النبي ﷺ فقال: أبشر بنورين قد أوتيتَهما لم يؤتَهُمَا نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ حرفًا منها إلا أوتيتَهُ»»[1].

* * *

(١) انظر: مصحف دار الصحابة في الصحيح من أسباب النزول وفضائل السور.



١ - ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾﴾ اختلف أهل العلم في البسملة، فقيل: هي آية مستقلة في أول كل سورة كتبت في أولها، وقيل: هي بعض آية من أول كل سورة، أو هي كذلك في الفاتحة فقط دون غيرها، وقد جزم قراء مكة والكوفة بأنها آية من الفاتحة، ومن كل سورة، وخالفهم قراء المدينة والبصرة والشام فلم يجعلوها آية لا من الفاتحة، ولا من غيرها. وقد اتفقوا على أنها بعض آية في سورة النمل. (الله): علم لم يطلق على غيره تعالى، وأصله الإله. وكان قبل الحذف يقع على كل معبود بحق أو باطل، ثم غلب على المعبود بحق. و(الرحمن الرحيم) اسمان مشتقان من الرحمة، والرحمن أشد مبالغة من الرحيم. والرحمن صفة لم تستعمل لغير الله عز وجل. ٢- ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الحمد: هو الثناء باللسان على الجميل، والحمد يكون من اللسان فقط، أما الشكر فيكون باللسان والقلب والأعضاء. ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾﴾ الرب: اسم من أسماء الله تعالى ولا يقال في غيره إلا مضافًا، كقولك: هذا الرجل رب المنزل. والرب المالك، والرب السيد، والرب المصلح والمدبر، والرب المعبود. (العَالَمِين) جمع العالم، وهو كل موجودٍ سوى الله تعالى، وقيل: العالم عبارة عمن يعقل، وهو أربعة أمم: الإنس والجن والملائكة والشياطين، ولا يقال للبهائم عالم. ٣- ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ تقدم تفسيرهما.

٤ - ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قرئ ملك ومالك، فقيل: إن (مَلِك) أعمُّ وأبلغ من (مالك) لأن أمر المَلِك نافذ على المالك في مُلْكِه حتى لا يتصرف إلا عن تدبير المَلِك. وقيل: مالك أبلغ، لأنه يكون مالكًا للناس وغيرهم. والحق أن الفرق بين الوصفين بالنسبة إلى الرب سبحانه أن المَلِك صفةٌ لذاته، والمالك صفةٌ لفعلِهِ. ويوم الدين يوم الجزاء من الرب سبحانه لعباده. ٥- ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ نخصك بالعبادة، ونخصك بالاستعانة، لا نعبد غيرك ولا نستعينه، والعبادة: أقصى غايات الخضوع والتذلل، وفي الشرع: عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع و الخوف. والمجيء بالنون لقصد التواضع لا لتعظيم النفس، وقدِّمت العبادة على الاستعانة لكون الأولى وسيلة إلى الثانية. ٦- ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الهداية هي: الإرشاد، أو التوفيق، أو الدلالة. وطلب الهداية من المهتدي معناه طلب الزيادة من الهداية، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾. والصراط المستقيم: هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه. ٧- ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ هم المذكورون في سورة النساء حيث قال: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩] ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ هم اليهود. ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ هم النصارى. لأن اليهود علموا الحق فتركوه وحادوا عنه على علم، فاستحقوا غضب الله؛ والنصارى حادوا عن الحق جهلاً فكانوا على ضلال مبين في شأن عيسى عليه السلام. ومعنى آمين: اللهمَّ استجبْ لنا.

سُورَةُ البَقَرَةِ ٢

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى
لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ
ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾
وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن
قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ
هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

وآياتها مائتان وست وثمانون

سُورَةُ البَقَرَةِ

قيل هي أول سورة نزلت بالمدينة. وأخرج مسلم والترمذي وأحمد عن النواس بن سمعان قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا، تقدمهم سورة البقرة وآل عمران»، قال: وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد، قال: «كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيابتان، أو كأنهما ظُلَّتان سوداوان، أو كأنهما فرقان من طير صوافَّ تحاجَّان عن صاحبهما». وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي يقرأ فيه سورة البقرة».

بسم الله الرحمن الرحيم

١ - ﴿الٓمٓ ﴿١﴾﴾ قال القرطبي في تفسيره: الحروف التي في أوائل السور، هي سر الله في القرآن. ٢ - ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ القرآن ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي لا شك في كونه من عند الله تعالى ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ الهدى: هو الدلالة الموصلة إلى البغية، عن ابن عباس في قوله - هدى للمتقين - أي الذين يحذرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفون من الهدى ويرجون رحمته في التصديق مما جاء منه.

٣ - ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ الإيمان في اللغة: التصديق، والغيب كل ما أخبر به الرسول ﷺ مما لا تهتدي إليه العقول، من أشراط الساعة وعذاب القبر والنشر والحشر والصراط والميزان والجنة والنار. ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ إقامة الصلاة: أداؤها بأركانها وسننها وهيآتها في أوقاتها، وعن ابن عباس في قوله: ﴿يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ قال: الصلوات الخمس ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾ قال زكاة أموالهم. واختار ابن جرير أن الآية عامة في الزكاة والنفقات، وهو الحق، من غير فرق بين النفقة على الأقارب وغيرهم وصدقة الفرض والنفل. وعدم التصريح بنوع من الأنواع التي يصدق عليها مسمَّى الإنفاق يشعر أتم إشعار بالتعميم.

٤ - ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ أي: يصدقونك بما جئت به من الله، وما جاء به من قبلك من المرسلين، لا يفرقون بينهم ولا يجحدون ما جاءوهم به من ربهم ﴿وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ المراد: أنهم يوقنون بالبعث والنشور وسائر أمور الآخرة من دون شك، إيمانًا بالبعث والقيامة والجنة والنار والحساب والميزان.

٥ - ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ حال هؤلاء أنهم على نور من ربهم، وبرهان واستقامة وسداد بتسديد الله إياهم وتوفيقه لهم ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ أي المنجحون المدركون ما طلبوا عند الله بأعمالهم وإيمانهم بالله وكتبه ورسله.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ
لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ
أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ
مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾
يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ
وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ
وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ
لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ﴿١١﴾
أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ
لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ
أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُواْ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا
مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ
فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ
بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿١٦﴾

٦- ذكر سبحانه فريق الشر بعد الفراغ من ذكر فريق الخير وأن الكفار من شأنهم أنهم لا ينفع معهم الإنذار وعدمه.

٧- ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ فهم لا يبصرون هدى، ولا يسمعون ولا يفقهون ولا يعقلون. قال ابن جرير: إن الذنوب إذا تتابعت على القلوب أغلقتها، فلا يكون إليها مسلك، ولا للكفر منها مخلص.

٨- ذكر سبحانه في هذه السورة المؤمنين الخلَّص، ثم ذكر بعدهم الكفرة الخلَّص، ثم ذكر المنافقين، وهم الذين لم يكونوا من إحدى الطائفتين، بل صاروا فرقة ثالثة؛ لأنهم وافقوا في الظاهر الطائفة الأولى وفي الباطن الطائفة الثانية، ومع ذلك فهم أهل الدرك الأسفل من النار. ٩- ﴿وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ﴾ لما خادعوا من لا يخدع كانوا خادعين لأنفسهم، لأن الخداع إنما يكون مع من لا يعرف البواطن.

١٠- ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾ المرض: الفساد الذي في عقائدهم، إما: شكًّا ونفاقًا، أو جحدًا وتكذيبًا ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗا﴾ بما يتجدد لرسول الله ﷺ من النعم، ويتكرر له من منن الله الدنيوية والدينية. فابتُلُوا بزيادة الشك وترادف الحسرة وفرط النفاق ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ﴾ نكال موجع ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ١٠﴾ أي في دعواهم الإيمان وهم غير مؤمنين.

١١- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بالنفاق وموالاة الكفرة وتفريق الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ والقرآن فإنكم إذا فعلتم ذلك فسد ما في الأرض بهلاك الأبدان وخراب الديار. ١٢- ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ﴾ لما نهاهم الله عن الفساد جعلوا صفة الصلاح مختصَّةً بهم خالصة لهم، فردَّ الله عليهم ذلك أبلغ رد، وردهم إلى صفة الفساد التي هم متصفون بها في الحقيقة.

١٣- ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ١٣﴾ فنسبوا إلى المؤمنين السفه استهزاء واستخفافًا، فتسببوا بذلك إلى تسجيل الله عليهم بالسفه وحصر السفاهة وسخافة العقول فيهم. ١٤- ﴿شَيَٰطِينِهِمۡ﴾ رؤسائهم في الكفر ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ﴾ ثابتون على الكفر ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ١٤﴾ بالمسلمين في تلك الموافقة، ولم تكن بواطننا موافقة لهم ولا مائلة إليهم.

١٥- ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾ أي: ينزل بهم الهوان والحقارة، وينتقم منهم، ويستخف بهم انتصافًا منه لعباده المؤمنين ﴿وَيَمُدُّهُمۡ﴾ يملي لهم ﴿فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١٥﴾ في كفرهم يتمادون. ١٦- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ أي استبدلوا الضلالة بالهدى، وأصل الضلالة الحيرة والجور عن القصد وفقد الاهتداء ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٦﴾ في شرائهم الكفر بالإيمان، وخروجهم من الهدي إلى الضلالة، ومن الجماعة إلى الفرقة، ومن الأمن إلى الخوف، ومن السنة إلى البدعة.

مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ
ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمُّۢ
بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ
ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ
حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ
أَبۡصَٰرَهُمۡۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ
وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ
شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ
وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ
بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ
تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا
فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ
إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ
ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾

١٧ - ﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا﴾ عن ابن مسعود وناس من الصحابة في هذه الآية، قالوا: إن ناسًا دخلوا في الإسلام عند مقدم النبي ﷺ المدينة، ثم نافقوا، فكان مثلهم كمثل رجل كان في ظلمة، فأوقد نارًا، فأضاءت ما حوله من أذى فأبصره حتى عرف ما يتّقي، فبينما هو كذلك إذ طفئت ناره، فأقبل لا يدري ما يتّقي من أذى، فكذلك المنافق كان في ظلمة الشرك فأسلم، فعرف الحلال من الحرام، والخير من الشر، فبينما هو كذلك إذ كفر، فصار لا يعرف الحلال من الحرام، ولا الخير من الشر. ١٨ - ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾ أي بقي أصحاب تلك النار المضيئة بعد انطفائها صمًّا لا يسمعون مناديًا، بكمًا أي خُرْسًا لا يستطيعون السؤال عن الطريق، عميًا لا يرونها، فلا يتمكنون من الرجوع إلى طريقهم، فكذلك أهل النفاق الذين أسلموا ثم كفروا. ١٩ - ﴿أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ المراد بالصيب: المطر، ضربه الله مثلاً للقرآن، إذ ينزل بما فيه مما يخيف المنافقين ﴿فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ﴾ زواجر القرآن ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾ الإحاطة: الأخذ من جميع الجهات حتى لا يفوت المحاط به بوجه من الوجوه. ٢٠ - ﴿يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡ﴾ يكاد محكم القرآن يدل على عورات المنافقين ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ﴾ أي فإذا كثرت أموالهم وأولادهم وأصابوا غنيمة وفتحًا مشوا فيه وقالوا: إن دين محمد ﷺ حينئذ صدق، واستقاموا عليه ﴿وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْ﴾ فكانوا إذا هلكت أموالهم وأصابهم البلاء قالوا هذا من أجل دين محمد ﷺ وارتدوا كفّارًا. ٢١ - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ﴾ إنما خص نِعْمة الخلق، وامتن بها عليهم لأن جميع النعم مترتبة عليها، وهي أصلها الذي لا يوجد شيء منها بدونها. وأيضًا فالكفار مقرُّون بأن الله هو الخالق ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ فامتن عليهم بما يعترفون به ولا ينكرونه. ٢٢ - ﴿فِرَٰشٗا﴾ أي وطاء يستقرون عليها. وجعل ﴿ٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ﴾ كالقبة المضروبة عليهم والسقف للبيت الذي يسكنونه، ثم امتن عليهم بإنزال الماء من السماء ﴿فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡ﴾ أي أخرجنا لكم ألوانًا من الثمرات والنبات ليكون ذلك متاعًا لكم إلى حين ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا﴾ أي لا تتخذوا له شركاء تعبدونهم مثلما تعبدونه ﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ جملة حالية والخطاب للكافرين والمنافقين. ٢٣ - ﴿فِي رَيۡبٖ﴾ أي شك ﴿مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا﴾ أي القرآن أنزله الله على محمد ﷺ ﴿فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾ تحداهم بأن يأتوا بسورة مثل أي سورة في القرآن مهما كانت صغيرة ﴿وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾ أي ناسًا يشهدون لكم أن ما أتيتم به هو مثل للقرآن. ٢٤ - ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ﴾ أي إن لم تطيقوا ذلك، وتبين عجزكم ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾ بالإيمان بالله وكتبه ورسوله والقيام بفرائضه واجتناب مناهيه. وهذا من الغيوب التي أخبر بها القرآن قبل وقوعها، ﴿ٱلَّتِي وَقُودُهَا﴾ الوقود الحطب، أي هذه النار تتقد بالناس والحجارة، فأوقدت بنفس ما يراد إحراقه بها.

ربع الحزب ١

وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ
تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ
رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ
وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥
۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا
فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن
رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ
بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ
وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ
ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ
وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٢٧
كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ
ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٨ هُوَ
ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى
ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٩

٢٥- ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ التبشير الإخبار بما يظهر أثره على البشرة، من البشر والسرور ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الأعمال المستقيمة، المفترضة عليهم، فالجنة تُنال بالإيمان والعمل الصالح ﴿جَنَّٰتٖ﴾ الجنات: البساتين، وهو اسم لدار الثواب كلها، وهي مشتملة على جنات كثيرة ﴿مِن تَحۡتِهَا﴾ أي تجري من تحت أشجارها وتحت مساكنها ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ﴾ من أي نوع من أنواع الثمرات ﴿قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُ﴾ أنه شبيهه ونظيره ومن جنسه، وذلك أن اللون يشبه اللون، وإن كان الحجم والطعم والرائحة متخالفة، فإذا أكلوا وجدوا له طعمًا غير طعم الأول ﴿مُتَشَٰبِهٗا﴾ في الجودة ليس فيه ساقط، والمراد بتطهير الأزواج أنه لا يصيبهن ما يصيب النساء من قذر الحيض والنفاس، وسائر الأدناس. والخلود: البقاء الدائم.

٢٦- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا﴾ أنزل الله هذه الآية ردًا على الكفار ما ضربه سبحانه من الأمثال، وقالوا: إنه جاء في القرآن ذكر النحل والعنكبوت والنمل، وهذه الأشياء لا يليق ذكرها بكلام الفصحاء ﴿بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَا﴾ أي فوقها في الصغر كجناحها. ويمكن أن يراد فما زاد عليها في الكبر ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ﴾ أي المثل ﴿ٱلۡحَقُّ﴾ الثابت، وهو المقابل للباطل ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗا﴾ أي أراد الله بهذا المثل أن يضِلَّ أقوامًا ويهدي آخرين ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦﴾ هذا من كلام الله سبحانه والفسق في عرف الاستعمال الشرعي: الخروج عن طاعة الله عز وجل. ٢٧- ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ﴾ النقض: إفساد ما أُبرم، من بناء أو حبل أو عهد، وقوله: ﴿يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ هو ما عهد إليهم في القرآن فأقروا به، ثم كفروا فنقضوه. ﴿وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ الرحم والقرابة ﴿وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يعملون فيها بالمعصية ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٢٧﴾ هم أهل النار. ٢٨- ﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ﴾ للإنكار عليهم والتعجيب من حالهم. كأنه قال: كيف تكفرون؟ وأنتم عالمون بهذه القصة ﴿وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا﴾ قبل أن تخلقوا ﴿فَأَحۡيَٰكُمۡ﴾ أي خلقكم ونفخ فيكم أرواحكم ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ﴾ عند انقضاء آجالكم ﴿ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ﴾ يوم القيامة ﴿ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٨﴾ أي: تحشرون إلى الموقف عند الله سبحانه فيجازيكم بأعمالكم.

٢٩- ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾ كرامة من الله ونعمة لابن آدم وبُلْغةً ومنفعة إلى أجل. والاستواء: الارتفاع والعلو على الشيء، ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ عَدَلَ خلقهن فلا اعوجاج فيه.

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً
قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ
نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ
﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ
فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟
سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ
﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ
أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا
تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟
لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ
﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا
حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾
فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟
بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾
فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾

٣٠- ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ الخليفة الخالف لمن كان قبله من الملائكة، قيل: هو آدم، خاطب الله الملائكة بهذا الخطاب لا للمشورة ولكن لاستخراج ما عندهم ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ قالوا هذه المقالة لعلم قد علموه من الله سبحانه بوجه من الوجوه لأنهم لا يعلمون الغيب ﴿وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ أي بالقتل والإيذاء ﴿بِحَمْدِكَ﴾ أي حامدين لك ﴿وَنُقَدِّسُ﴾ التقديس: التطهير، أي ونُنزّهك عما لا يليق بك مما نسبه إليك الملحدون وافتراه الجاحدون. ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ عن قتادة في تفسيرها قال: كان في علم الله أنه سيكون من الخليقة أنبياء ورسل وقوم صالحون وساكنو الجنة. ٣١- ﴿ٱلْأَسْمَآءَ﴾ أسماء المسميات كلها وقيل: أسماء الملائكة وأسماء ذرية آدم. ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ وسألهم عن أسماء مسمياتها التي قد تعلمها آدم، فقال لهم آدم: هذا اسمه كذا. وهذا اسمه كذا. ومعنى ﴿أَنۢبِـُٔونِي﴾ أخبروني. ٣٢- ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ عجزوا واعترفوا بالقصور. ٣٣- ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ومن جملة ذلك تفضيله لآدم وذريته بالعلم ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ عن ابن مسعود قال: هو قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ يعني: ما أسر أبليس في نفسه من الكبر. والله أعلم. ٣٤- ﴿ٱسْجُدُوا۟﴾ السجود: معناه في كلام العرب: التذلل والخضوع. وغايته وضع الوجه على الأرض. قال أبو عمرو: سجد إذا طأطأ رأسه، وفي هذه الآية فضيلة لآدم عليه السلام، حيث أسجد الله له ملائكته. ثم إن السجود لغير الله حُرِّم في شريعة الإسلام ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ كان من الجن، ولكن لزمه السجود لأنه كان بين الملائكة، ثم أبلَس بعد، فسمي إبليس لأن الله أبلسه من الخير كله، أي آيسه منه ﴿أَبَىٰ﴾ رفض السجود ﴿وَٱسْتَكْبَرَ﴾ تعاظم في نفسه ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ أي كان في علم الله تعالى قبل ذلك كافرًا. ٣٥- ﴿ٱسْكُنْ﴾ أي اتخذ الجنة مسكنًا ﴿وَزَوْجُكَ﴾ أي زوجتك ﴿رَغَدًا﴾ الرغد: العيش الهنيء الذي لا عناء فيه ﴿وَلَا تَقْرَبَا﴾ النهي عن القرب فيه سدٌّ للذريعة وقطعٌ للوسيلة، ولهذا جاء به عوضًا عن الأكل، واختلف في تفسير ﴿هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ فقيل: هي الكرم، وقيل: السنبلة، وقيل: التين، وقيل: الحنطة ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ لأنفسهم بالمعصيه. ٣٦- ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ من الزلة وهي الخطيئة أوقعهما فيها ﴿عَنْهَا﴾ أي أصدر الشيطان زلتهما عنها أي بسببها يعني الشجرة. وقيل الضمير للجنة أي أبعدهما عن الجنة ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ من النعيم والكرامة، أو من الجنة، وإنما نسب ذلك إلى الشيطان لأنه الذي تولى إغواء آدم حتى أكل من الشجرة، ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟﴾ أمرٌ لآدم وحواء بالخروج من الجنة العالية إلى الأرض ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ والعدو خلاف الصديق، والعدوان الظلم الصراح. ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ المرد بالمستقر: موضع الاستقرار ﴿وَمَتَٰعٌ﴾ المتاع: ما يستمتع به من المأكول والمشروب والملبوس ونحوها ﴿إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ إلى الموت، وقيل إلى قيام الساعة. ٣٧- ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ =

قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ
هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾
يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ
أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ
مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى
ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّـٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ
وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟
ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ
وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾
وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ
﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾
يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ
عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا
يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

نصف الحزب ١

= هي قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ ألهمهما الله أن يقولاها ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ رجع عليه بالرحمة، فقبل توبته.
٣٨- ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾ الهدى: كتاب الله ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ﴾ أي قَبِلَ الكتاب وعمل به ﴿فَلَا خَوْفٌ﴾ الخوف: هو الذُّعْرُ ولا يكون إلا مما في المستقبل ﴿يَحْزَنُونَ﴾ الحزن ضد السرور. ٣٩- ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ كفروا بالله ولم يقبلوا هدايته ولا عملوا بكتبه المنزلة ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ﴾ صحبة أهل النار لها بمعنى الاقترانَ والمزامنة.
٤٠- ﴿إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ هو يعقوب بن إسحق ابن إبراهيم عليهم السلام ومعنى (إسرائيل) عبد الله ﴿ٱذْكُرُوا۟﴾ اشكروا نعمتي عليكم بإرسال الرسل وإنزال الكتاب والنجاة من فرعون وغير ذلك. ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ﴾ هو ما أخذ عليهم في التوراة من اتباع محمد ﷺ، وقيل: هو أداء الفرائض ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ أي بما ضمنت لكم من الجزاء ﴿وَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ فاخشون. ﴿وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ﴾ القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ التوراة والإنجيل.
٤١- ﴿أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ﴾ المعنى لا تكونوا أول من كفر ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى﴾ أي بأوامري ونواهي. ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ أي عيشًا نزرًا ورئاسة تافهة لا قيمة لها. ٤٢- ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ﴾ لا تخلطوا الصدق بالكذب ﴿وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ كتموا محمدًا وهم يعلمون أنه رسول الله ﷺ يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل. ٤٣- ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ الأمر لليهود بدخول الإسلام وإقامة الصلاة المعهودة، وهي صلاة المسلمين. وسُمِّي إخراج جزء من المال زكاة، لأنها تكثر بركته بذلك. ﴿وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ لأن اليهود لا ركوع في صلاتهم. وفيه الإرشاد إلى شهود جماعة المسلمين، والخروج إلى المسجد. وذهب الجمهور إلى أنه سنة مؤكدة مرغب فيها وليس بواجب. ٤٤- ﴿۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ﴾ بالإيمان بالله ورسله والوفاء بعهد الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ أي وتتركون أنفسكم فلا تأمرونها به ففي ذلك أشد القبح ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أي إنكم لو لم تكونوا من أهل العلم وحَمَلة الحُجّة وأهل الدراسة لكتب الله، لكان مجرد كونكم ممن يعقل حائلا بينكم وبين ذلك، زاجرًا لكم منه، فكيف أهملتم ما يقتضيه العقل بعد إهمالكم لما يوجبه العلم؟ ٤٥- ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ بحبس أنفسكم عن الشهوات وقصرها على الطاعات ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ المراد بالصلاة هنا جميع ما تصدق عليه الصلاة الشرعية من غير فرقٍ بين فريضة ونافلة ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ يكبر أمرها ويتعاظم شأنها ﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ﴾ يعني المتواضعين. ٤٦- ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ أي يستيقنون والظن هنا عند الجمهور بمعنى اليقين. ٤٧- ﴿يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ﴾ تقدم بيان تلك النعم (آية ٤٠)، أي إذا تذكرتم تلك النعم فقوموا بحقها، وآمنوا بمن بعثته رسولاً ﴿وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ قيل: المراد بالعالمين عالمو زمانهم، وقيل: على جميع العالمين بمن جعل فيهم من الأنبياء من الأمم السابقة على أمة النبي محمد ﷺ لقوله ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ =

وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ
يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ
مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ
وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ
أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ
﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾
وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾
وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم
بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ
خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ
﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً
فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ
بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ
ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا
رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾

= أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾. ٤٨- ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا﴾ هو يوم القيامة، أي عذابه ﴿لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ أي لا تقضي عنها حقها ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾ إن جاءت بمن يشفع لها عند الله ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ أي فدية من مال أو أهل أو ولد ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ أي لا يقدر أحد أن يعينهم فينجيهم من عذاب الله. ٤٩- ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم﴾ أي: اذكروا وقت أن أنجيناكم ﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ فرعون، قيل: هو اسم ذلك الملك بعينه، وقيل إنه اسم لكل ملك من الذين ملكوا مصر القديمة ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ يذيقونكم ويلزمونكم أشد العذاب، وفسره بقوله ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ يتركونهن على قيد الحياة ليستخدموهنّ ويمتهنوهنّ. وإنما أمر بذبح الأبناء واستحياء البنات لأن الكهنة أخبروا فرعون بأنه يولد من بني إسرائيل مولود يكون هلاكه على يده ﴿وَفِى ذَٰلِكُم﴾ أي المذكور في الشر، وما آتاهم الله من الخير ﴿بَلَآءٌ﴾ اختبار ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ لمدى قيامكم بحق شكره وطاعته والإيمان برسوله. ٥٠- ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ فلقناه لكم حتى صار يابسًا تمشون على أرضه ﴿فَأَنجَيْنَٰكُمْ﴾ من الغرق ﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ أي هو وأتباعه ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ نظروا إلى أنفسهم ينجون وإلى آل فرعون يغرقون. ٥١- ﴿وَٰعَدْنَا﴾ من الله سبحانه وعد. ٥٢- ومن بعد عبادتكم العجل، تفضّلنا بالعفو عن ذنبكم العظيم الذي وقعتم فيه لكي تشكروا ما أنعم الله به عليكم. ٥٣- واذكروا وقت أن آتينا موسى التوراة والفرقان الذي هو الحجة والبيان بالآيات التي أعطاها الله موسى من العصا واليد وغيرهما. ٥٤- واذكروا وقت أن قالِ موسى لمن عبد العجل من الرجال والنساء إنكم ظلمتم أنفسكم بعبادته فتوبوا إلى الذي خلقكم وقد عبدتم معه غيره فاقتلوا أنفسكم. عن علي قالوا: قال لموسى: ما توبتنا؟ قال: يقتل بعضكم بعضا، فأخذوا السكاكين، فجعل الرجل يقتل أخاه وأباه وابنه، لا يبالي من قَتَل، حتى قُتِل منهم سبعون ألفًا، فأوحى الله إلى موسى: مُرْهُمْ فليرفعوا أيديهم، وقد غُفِر لمن قُتِل، وتيبَ على من بقي، فقتلتم أنفسكم فتاب على الباقين منكم. ٥٥- والقائلون هذه المقالة هم السبعون الذين اختارهم قالوا لن نؤمن بالله وبأنك رسوله حتى نرى الله معاينةً فأرسل الله عليهم نارًا من السماء أصابتهم فماتوا وهم يرون ذلك عيانًا. ٥٦- ثم أحياهم بعد إماتتهم. وإنما عوقبوا بأخذ الصاعقة لهم لأنهم طلبوا ما لم يأذن الله به من رؤيته في الدنيا، أما في الآخرة فقد تواترت الأحاديث الصحيحة بأن العباد يرون ربهم في الآخرة، وهي قطعية الدلالة. ٥٧- ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ﴾ السحاب، جعله الله لهم كالمظلة، يقيهم حر الشمس في التيه بين مصر والشام، لما امتنعوا من دخول مدينة الجبارين وأنزل عليهم المن وهو طل ينزل من السماء على شجر أو حجر، ويحلو وينعقد عسلا، ويجف جفاف الصمغ. وعن النبي ﷺ أن الكمأة من المنّ الذي أنزله الله =

ثلاثة أرباع الحزب ١

وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا
وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ۚ
وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا
غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ
السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ
لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ
اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا
وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾
وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ
يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا
وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ
بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ ۗ
وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ
اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ
النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

٩

= على موسى. والسُّماني، طائر يذبحونه فيأكلونه. وقيل: السلوى العسل (وما ظلمونا) ونحن أعزّ من أن نُظلَم. ولكن كانوا أنفسهم يضرون.

٥٨- و﴿ٱلْقَرْيَةَ﴾ هي بيت المقدس (كلوا) أمر بالإباحة منها كثيرًا واسعًا والباب الذي أمروا بدخوله هو باب بيت المقدس، والسجود هنا الانحناء، وقيل التواضع والخضوع وأمرهم بأن يقولوا ما يدل على التوبة ﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ منكم فضلاً منا إحسانًا على إحسانهم المتقدم.

٥٩- روى البخاري ومسلم عن النبي ﷺ قال: «قيل لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجدًا وقولوا: حِطة، فبدلوا، فدخلوا يزحفون على استاههم، وقالوا: حَبَّةٌ في شَعَرَة».

٦٠- وتتواصل النعم والاستسقاء إنما يكون عند عدم الماء وحبس المطر، طلب لهم السقيا وهم في التيه فأمره الله أن يضرب الحجر بعصاه فضربه بها فانفجر الماء انفجارًا آية من الله حيث أخرج الماء من الصخر، ونعمة عليهم عندما فقدوا الماء كان حجرًا مربعًا يخرج من كل جهة ثلاث عيون، إذا ضربه موسى سالت العيون، وإذا استغنوا عن الماء جفت وكان لكل سبط عين من تلك العيون لا يتعداها إلى غيرها، والأسباط: ذرية الاثني عشر من أولاد يعقوب وقلنا لهم كلوا المنّ والسلوى، واشربوا الماء المتفجر من الحجر ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها. ٦١- تضجُّرٌ منهم بما صاروا فيه من النعمة والرزق الطيب، والعيش المستلذ، ونزوعٌ إلى ما ألفوه قبل ذلك من خشونة العيش. فقالوا لن نصبر على طعام واحد، أي لتكررهما في كل يوم، وعدم وجود غيرهما معهما، ولا تَبْدِلَةَ بهما فادع لنا ربك يخرج لنا مما تخرج الأرض من البقل: وهو كل نبات ليس له ساق، والشجر: ما له ساق. والمراد به البقول التي يأكلها الناس كالنعناع والكرفس والكراث وأشباهها. والقثاء معروف، والفوم قيل هو الثوم. وقيل الفوم الحنطة.

والعدس والبصل معروفان ﴿قَالَ﴾ أتضعون هذه الأشياء موضع المنّ والسلوى اللذين هما خير منها من جهة الاستلذاذ، والوصول من عند الله بغير واسطة أحد من خلقه، والحل الذي لا تطرقه الشبهة، وعدم الكلفة بالسعي له والتعب في تحصيله وأذن لهم بدخول مصر.

وقيل: إن الأمر للتعجيز أي: فإنكم تجدون هناك البقل والثوم وما معهما، لكن مع الذبح والخوف والمذلة وضرب الجزية عليهم وتمزقهم في الأرض ورجعوا وصاروا أحقاء بغضبه وما تقدم من الذلة وما بعده إنما كان بسبب كفرهم بالله وقتلهم لأنبيائه كما كان منهم مع شعيب وزكريا ويحيى، فإنهم قتلوهم وهم يعلمون ويعتقدون أنهم ظالمون بقتلهم.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ
مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ
عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ
أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم
بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ
بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ
ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ
فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا
بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ
مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا
هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ
ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ
وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾
قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ
إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾

٦٢- والذين صدقوا النبي ﷺ وصاروا من جملة أتباعه والذين ﴿هَادُواْ﴾ معناه صاروا يهودا. وقيل: معنى هادوا: تابوا، لتوبتهم عن عبادة العجل ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ نسبة إلى الناصرة قرية بفلسطين منها المسيح عليه السلام. وقيل سموا بذلك لأنهم نصروا المسيح ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ هم قوم خرجوا من دين اليهود والنصارى وعبدوا الملائكة، منهم بقايا بالعراق. من آمن منهم، أي من الطوائف الأربع فله من الله الأجر ولا يلحقه خوف ولا هم يحزنون. عن ابن عباس: فأنزل الله بعد هذا ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ ٦٣- هذا ومن بقية خطاب اليهود، أخذ سبحانه عليهم الميثاق بأن يعلموا بما شرعه لهم في التوراة ويؤمنوا بمن يرسله الله ﴿ٱلطُّورَ﴾ اسم الجبل الذي كلَّم الله عليه موسى عليه السلام. وقد ذكر الكثير من المفسرين أن موسى لما جاء بني إسرائيل من عند الله بالألواح التي فيها التوراة قال لهم: خذوها والتزموها، فقالوا: لا، إلا أن يكلِّمنا الله بها كما كلَّمك. فأمر الله الملائكة فاقتلعت جبلاً من جبال فلسطين طوله فرسخ في مثله، وكذلك كان عسكرهم، فجعل عليهم مثل الظلة، وقيل لهم: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم﴾ من التوراة بجد واهتمام، وعليكم الميثاق ألا تضيعوها، وإلا سقط عليكم الجبل، فسجدوا توبة لله، وأخذوا التوراة بالميثاق. ثم أمرهم بقراءة ما فيها والعمل به لعلهم ينزعون عما هم عليه. ٦٤- ثم أدبروا وأعرضوا عن الميثاق المأخوذ عليهم من بعد رفع الجبل فوق رؤسهم كأنه ظلة عليهم ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ ولولا أن تداركهم الله بلطفه ورحمته حتى أظهروا التوبة لخسروا. ٦٥- ولقد عرفتم الذين اجترؤوا في السبت بصيد السمك وهم يهود إيلة. وكان اليهود مأمورين بالراحة وعدم العمل يوم السبت فاحتالوا لصيد الحيتان فيه. فمسخهم الله قِردةً بمعصيتهم مع كونهم صاغرين مطرودين ذليلين. ٦٦- فجعل الله هذه القرية التي حصل منها هذا وهي أيلة عبرةً. والنكال: الزجر والعقاب ﴿لِّمَا﴾ أمامها من القرى ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ من القرى وللذين من بعدهم إلى يوم القيامة تذكرةً وعبرةً للمتقين. ٦٧- قال لهم هذا بعد أن قُتِل فيهم قتيل ولم يعرف قاتله، فاختصموا إلى موسى كما يأتي بعد أربع آيات، قالوا: أتهزأ بنا،الهزؤ هنا اللعب والسخرية، قال: كيف أنسب إلى الله تعالى أمرًا لم يأمر به، وإنما يفعل ذلك أهل الجهل، لأنه نوع من العبث الذي لا يفعله العقلاء. ٦٨- وهذا من أنواع تعنتهم المألوفة، ولو تركوا التعنت والأسئلة لأجزأهم ذبح بقرة من عُرْض البقر، ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم، فقال لهم: هي وسط بين المُسِنة والصغيرة التي قد ولدت بطنًا أو بطنين ثم أمرهم بالامتثال مؤكدًا وزجرهم عن التعنت. ٦٩- ثم رجعوا إلى طبيعتهم، ومكرهم واستقروا على عادتهم المألوفة سائلين عن لونها فقال لهم: يقول ربكم: إنها بقرة صفراء خالصة فاقعة، والصفرة اللون المعروف والفقوع أشد ما يكون من الصفرة وأنصعه. تُدخِل عليهم =

قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ
إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ
تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟
ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ
قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾
فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ
ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ
فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ
مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ
مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ
﴿٧٤﴾ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ
يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ
وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا
وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ
ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾

الحزب ٢

= السرور إذا نظروا إليها إعجابًا بها واستحسانًا للونها. ٧٠- ثم لم ينزعوا عن غوايتهم، بل عادوا إلى تعنتهم، فقالوا: إن جنس البقر يتشابه عليهم لكثرة ما فيها من العوان الصفراء الفاقعة اللون، أي فلا ندري أي بقرة منها يريد الله وإنا إن شاء الله بعد ذلك لمهتدون إذا أخبرنا.

٧١- فقال لهم موسى عليه السلام إن ربكم يخبركم أنها ليست مذللة والذلول التي لم يذللها العمل فلا تحرث الأرض وليست من النواضح، وهي الدواب التي تستخدم في رفع المياه لسقي الزروع سليمة من العيوب وإن هذه البقرة خالصة الصفرة ليس في جسمها لمعة من لون آخر قالوا الآن أوضحت لنا الوصف، وبينت الحقيقة التي يجب الوقوف عندها فحصّلوا تلك البقرة الموصوفة بتلك الصفات، فذبحوها وامتثلوا الأمر الذي كان واسعًا فضيّقوه، وكان يسيرًا فعسّروه. لعدم وجدان البقرة المتصفة بهذه الصفات، وقيل لارتفاع ثمنها، وقيل لخوف انكشاف أمر المقتول. عن أبي هريرة قال: «لولا بني إسرائيل قالوا ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾﴾ ما أعطوا أبدًا، ولو أنهم اعترضوا بقرة من البقر فذبحوها لأجزأت عنهم، ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم». ٧٢- واذكروا وقت أن قتل أسلافكم نفسًا واختلفتم وتنازعتم فيمن هو القاتل والله مظهر ما كتمتم بينكم من أمر القتل. ٧٣- فقلنا اضربوا القتيل بعضو من أعضاء البقرة التي ذبحوها، فضربوه فأحياه الله ﴿كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ يوم القيامة إحياء كمثل هذا الإحياء ويريكم علاماته ودلائله الدالة على كمال قدرته. فأحياه الله وتكلم وقال: قتلني فلان. ٧٤- ثم خلت قلوبكم من الإنابة والإذعان لآيات الله مع وجود ما يقتضي خلاف هذه القسوة من إحياء القتيل وتكلُّمِهِ وتعيينه لقاتله من بعد ما أراهم الله من إحياء البقرة وإحياء القتيل ثم عذر الله الحجارة ولم يعذر شقي بني آدم، فإن من الحجارة لألين من قلوبكم عما تدعون إليه من الحق وليس الله بغافل عما تعملونه بل هو مطلعًا عليه وسيجازيهم عليه. ٧٥- أتطمعون أيها المسلمون أن يصدِّقوكم وأن يستجيبوا لكم وقد كان بعضهم يسمع التوراة ثم يحرفونها ومن التحريف زيادة ألفاظ في التوراة، أو النقص منها، أو تبديل شيء منها بغيره ليوافق ما يريدون، ومن التحريف أنهم عمدوا إلى ما سمعوه من التوراة فجعلوا حلاله حرامًا أو نحو ذلك مما فيه موافقة لأهوائهم، كتحريم صفة رسول الله ﷺ وإسقاط الحدود عن أشرافهم من بعد ما فهموه بعقولهم، مع كونهم يعلمون أن ذلك الذي فعلوه تحريف مخالف لما أمرهم الله به من تبليغ شرائعه كما هي، فكيف تطمعون في إسلامهم وهذه حالهم. ٧٦- وإن المنافقين من اليهود إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا بالله ورسوله وإذا خلا الذين لم ينافقوا بالمنافقين قالوا لهم عاتبين عليهم أتحدثونهم بما حَكَمَ عليكم =

أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾
وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ
إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ
ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا
فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ
﴿٧٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ
أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ تَقُولُونَ
عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً
وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ
فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ
أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ
إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟
لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ
تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

= من العذاب، وذلك أن ناسًا من اليهود أسلموا ثم نافقوا فكانوا يحدِّثون المؤمنين من العرب بما عذب به آباءهم فلا تخبروهم بها حكم الله به عليكم من العذاب فيكون ذلك حجة لهم عليكم ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾﴾ ما فيه الضرر عليكم من هذا التحدث الواقع منكم لهم. ٧٧- وغاب عنهم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون من أمرهم وكلامهم إذا لقوا الذين آمنوا، وما يسرون إذا خلا بعضهم إلى بعض من كفرهم بمحمد ﷺ وتكذيبهم به. ٧٨- ومن اليهود طائفة لم تتعلم الكتابة ولا تحسن القراءة للمكتوب إلا ما هم عليه من الأماني من كونهم مغفورًا لهم بما يدّعونه لأنفسهم من الأعمال الصالحة، أو بما لهم من السلف الصالح في اعتقادهم وقيل: الأماني التلاوة. أي: لا علم لهم إلا مجرد التلاوة من دون تفهُّم وما هم إلا يعتمدون على الظن الذي لا يقفون من تقليدهم على غيره. ٧٩- الهلاك والدمار مما تمليه عليهم أهواؤهم ﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾ من الكذب وهم يعلمون أنه من عند أنفسهم ثم هؤلاء الكتبة لم يكتفوا بالتحريف ولا بالكتابة لذلك المحرف حتى نادوا فى المحافل بأنه ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ لينالوا بهذه المعاصى المتكررة هذا الغرض النزر والعوض الحقير. ٨٠- ومن أكاذيب اليهود زعمهم أن النار لن تمسهم، وعن ابن عباس: أن اليهود كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة آلاف سنة، نعذب بكل ألف سنة من أيام الدنيا يومًا واحدًا فى النار، وإنما هى سبعة أيام معدودة، ثم ينقطع العذاب. ٨١- وليس الأمر كما زعموا، بل من عمل سيئة من شرك وخطيئة من الخطايا الكبائر ولم يتب ومن عمل مثل أعمالكم وكفر بمثل ما كفرتم حتى يحيط كفره بما له من حسنة فهؤلاء أصحاب النار هم فيها مخلدون. ٨٢- ومن آمن بما كفرتم به وعمل بما تركتم من دينه فلهم الجنة خالدين فيها. ٨٣- والميثاق الذى أخذه الله عليهم هنا هو ما أخذه الله عليهم فى حياتهم على ألسن أنبيائهم بإفراد الله بالعبادة والإحسان إلى الوالدين معاشرتهما بالمعروف، والتواضع لهما، وامتثال أمرهما، والإحسان إلى أصحاب القرابة، وصلتهم، والقيام بما يحتاجون إليه بحسب الطاقة، والعطف على اليتيم من بنى آدم ممن فُقِدَ أبوه. وفى سائر الحيوانات من فقدت أمه، والمسكين ممن أسكنته الحاجة وذلَّلته، وهو أشد فقرًا من الفقير عند أكثر أهل اللغة، وكثير من أهل الفقه. وروى عن الشافعى أن الفقير أسوأ حالاً من المسكين، وقولوا للناس قولاً حَسَنًا. وكل ما صدق عليه أنه قول حسن شرعًا كان من جملة ما يصدق عليه هذا الأمر، أدوا الصلاة التى كانوا يصلونها والزكاة التى كانوا يخرجونها. وقال ابن عطية:
زكاتهم هى التى كانوا يضعونها فتنزل النار على ما يقبل ولا تنزل على ما لا يقبل ثم توليتم عن هذا العهد والميثاق فلم تعملوا به بل تركتم ذلك كله ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ ومنهم عبدالله بن سلام وأصحابه الذين آمنوا بمحمد ﷺ، والإعراض والتولى بمعنى واحد.

وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ لَا تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ وَلَا تُخۡرِجُونَ
أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ ثُمَّ أَقۡرَرۡتُمۡ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴿٨٤﴾
ثُمَّ أَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تَقۡتُلُونَ أَنفُسَكُمۡ وَتُخۡرِجُونَ فَرِيقٗا
مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمۡ تَظَٰهَرُونَ عَلَيۡهِم بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ
وَإِن يَأۡتُوكُمۡ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمۡ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيۡكُمۡ
إِخۡرَاجُهُمۡۚ أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ
بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ
فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ
وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ
ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ
يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ
بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ
بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ
ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُواْ
قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾

٨٤- واذكروا وقت أن أخذنا على أسلافكم العهود بألا يقتل بعضكم بعضًا، ولا يخرج بعضكم بعضا من منازلهم ﴿ثُمَّ﴾ حصل منكم الاعتراف بهذا الميثاق المأخوذ عليكم فى حال شهادتكم على أنفسكم بذلك. وكان الله سبحانه قد أخذ فى التوراة على بنى إسرائيل ألا يقتل بعضهم بعضًا ولا ينفيه ولا يسترقه. ٨٥- ﴿ثُمَّ﴾ أنتم هؤلاء المشاهدون الحاضرون منهم فى عهد النبى ﷺ تخالفون ما أخذه الله عليكم فى التوراة فتقتلون أنفسكم... إلى آخر الآية تتظاهرون وأصل المظاهرة: المعاونة عليهم ﴿بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ أى: بلا سبب يحل به ذلك وإن يؤسر أحد منكم وجاءكم يطلب ما يفتدى به نفسه أعطيتموه ذلك إيمانًا بما فى التوراة فكيف تؤمنون ببعض الكتاب حين تفدون الأسرى وتكفرون ببعضه المحرَّم للقتل والإخراج، فكانوا إذا كان بين الأوس والخزرج من العرب حرب خرجت بنو قينقاع مع الخزرج، والنضير وقريظة مع الأوس، وأعان كل واحد من الفريقين حلفاءه على إخوانه، حتى يسفكوا دماءهم، فإذا وضعت الحرب أوزارها افتدوا أسراهم تصديقًا لما فى التوراة، أى: أتفادونهم مؤمنين بذلك، وتخرجونهم كفرًا بذلك وما جزاء من يفعل ذلك إلا ذل وهوان فى الدنيا، ويوم القيامة لكم عذاب أليم دائم وليس الله بغافل عن أعمالكم بل هو محيط بها ليجازيكم عليها يوم الدين. ٨٦- وهؤلاء هم الذين استحبوا قليل الدنيا على كثير الآخرة.

٨٧- ويقسم الحق أنه أنزل التوراة على موسى وأرسل على أثر موسى رسلاً جعلهم تابعين له، وهم أنبياء بنى إسرائيل المبعوثون من بعده و ﴿ٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ الأدلة التى ذكرها الله فى آل عمران والمائدة، وهى الآيات التى أجراها الله على يديه، من إحياء الموتى، وخلقه من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله، وإبراء الأكمه والأبرص، وإخبار الناس بكثير من الغيوب، وإتيانهم بالمائدة من السماء، وإنزال الإنجيل عليه. والتأييد: التقوية بالروح المقدسة، قيل: هو جبريل أيد الله به عيسى. وقيل: المراد به الروح المنفوخ فيه، أيده الله به لما فيه من القوة بما لا تهوونه ﴿ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ﴾ عن إجابته احتقارًا للرسل واستبعادًا للرسالة، ومن الفريق المكذَّبين عيسى ومحمد، ومن الفريق المقتولين يحيى وزكريا.

٨٨- وقالت اليهود لرسولنا قلوبنا غلف: جمع أغلف، وهو الذى عليه غشاوة تمنع من وصول الكلام إليه، ادَّعوا أنهم لا يفهمونه. قالوا ذلك تيئيسًا للنبى ﷺ من إيمانهم لئلا يعاودهم بالدعوة بل أبعدهم الله من رحمته بسبب جحودهم وعدم إيمانهم، ثم وصف إيمانهم بالقلة لأنهم الذين قصَّ الله علينا من عنادهم وعجرفتهم وشدة لجاجهم وبعدهم عن إجابة الرسل ما قصه. ومن جملة ذلك أنهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعضه.

وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟
مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم
مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾
بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ
فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ
﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ
أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا
لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ
ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾
وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟
مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا
وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ
بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾

ربع الحزب ٢

١٤

٨٩- ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ﴾ يعنى اليهود القرآن وتصديقه لما معهم من التوراة والإنجيل أنه يخبرهم بما فيها، ويصدقه ولا يخالفه وكانوا من قبل يطلبون من الله النصر على أعدائهم بالنبى المبعوث فى آخر الزمان الذى يجدون صفته عندهم فى التوراة فلما جاءهم الرسول الذى يعرفون وصفه ﴿كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ بغيا وحسدًا فلعنة الله على الكافرين.

٩٠- فبئس اشتراؤهم للصفقة فقد أوبقوا أنفسهم فى نار جهنم ولم يستعيضوا عنها إلا الكفر بما أنزل الله حسدًا ومنافسة أن يكون فى العرب نبى يوحى إليه ورسول يطاع ويتبع وكان عليهم أن يعلموا أن الاختصاص بالنبوة فضل من الله يؤتيه من يشاء، فرجعوا،وصاروا أحقاء بغضب عظيم، قيل: لكفرهم بعيسى ﷺ ثم كفرهم بمحمد ﷺ.

وقيل: لكفرهم بمحمد ثم البغى عليه.

٩١- وإذا طلب من اليهود أن يصدقوا بالقرآن أو يصدقوا بما أنزل الله من الكتب قالوا نصدق ﴿بما أنزل علينا﴾ أى التوراة ويكفرون بما سواه ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ من الكتب المنزلة، وقل إن كنتم صادقين فى دعواكم أنكم تؤمنون بما أنزل عليكم فكيف تقتلون الأنبياء؟ وقد نهيتم عن قتلهم فيما أنزل عليكم.

وهذا الخطاب وإن كان مع الحاضرين من اليهود زمن النبى ﷺ فالمراد به أسلافهم، ولكن لما كانوا راضين بما فعله أسلافهم كانوا مثلهم ونسب الفعل إليهم لكونهم ساروا على طريق أسلافهم فى تكذيب الأنبياء ومعاداتهم.

٩٢- ويقسم سبحانه وتعالى أن موسى قد جاء بنى إسرائيل بالدلائل القاطعة وهى ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ يجوز أن يراد بها التوراة، أو الآيات التسع المشار إليها بقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ ثم عبدتم العجل إلها بعد ما نظرتم فى تلك البينات.

٩٣- وتقدمت قصة رفع الطور - الآية ٦٣ ﴿خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم﴾ بجدٍّ واهتمام وأطيعوا واقبلوا لما تسمعونه من الأمر، فأجابوا: سمعنا قولك ولا نقبل ما تأمرنا به، وجعلت قلوبهم لتمكن حب العجل منها كأنها تشربه، لأن شرب الماء يتغلغل فى الأعضاء حتى يصل إلى باطنها وكان ذلك بسبب كفرهم عقوبة لهم وخذلانًا، وإيمانكم الذى زعمتم أنكم تؤمنون بما أنزل عليكم وتكفرون بما وراءه، فإن هذا الصنع وهو قولكم - سمعنا وعصينا - يدل على أنكم كاذبون فى قولكم: ﴿نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾.

قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن
دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾
وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ
﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ
أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ
مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ
مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ
مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ
﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ
وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ
إِلَيْكَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾
أَوَكُلَّمَا عَـٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ
مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ
كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾

٩٤- ولما ادعوا أنهم يدخلون الجنة لا يشاركهم فيها غيرهم أمرهم بتمني الموت لأن من كان موقنًا أنه من أهل الجنة كان الموت أحب إليه من الحياة.

٩٥- ثم يخبر الله أن اليهود لن يتمنوا الموت أبدًا بسبب ما فعلوه من الذنوب التي يكون فاعلها غير آمن من العذاب بل غير طامع في دخول الجنة، فضلاً عن كونها خالصة له مختصة به ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾﴾ تهديد لهم وتسجيل عليهم بأنهم كذلك.

٩٦- وهم أحرص الناس على أحقر ﴿حَيَوٰةٍ﴾ أقل لبث في الدنيا، فكيف بحياة كثيرة ولبث متطاول؟ بل وهم أحرص من الذين أشركوا الذين لا يؤمنون بالبعث والدار الآخرة، فهم من أحرص الناس على الدنيا، وإنما بلغ اليهود في الحرص إلى هذا الحد، لأنهم يعلمون بما يحل بهم من العذاب في الآخرة يتمنى الواحد من اليهود ﴿لَوْ﴾ يعيش ﴿أَلْفَ سَنَةٍ﴾ وما التعمير بمزحزحه.

٩٧- نزلت في اليهود جوابًا إذ زعموا أن جبريل عدو لهم، وأن ميكائيل ولي لهم. وكان سبب قيلهم ذلك من أجل مناظرة جرت بينهم وبين رسول الله ﷺ من أمر نبوته قالوا له: لو كان وليك سوى جبريل من الملائكة لاتبعناك وصدقناك. قال فما يمنعكم أن تصدقوه. قالوا: هذا عدونا. ولقد نزل جبريل بالقرآن على قلب محمد ﷺ وفي هذا دليل على شرف جبريل وارتفاع منزلته وأنه لا وجه لمعاداة اليهود له، فإنه لم يصدر منه إلا ما يوجب المحبة دون العداوة، وليس ذلك بذنب له لأن هذا الكتاب الذي نزل به هو كتاب الله تعالى، وهو أيضًا مصدق لكتابهم وهدى وبشرى للمؤمنين.

٩٨- وخص جبريل وميكائيل بالذكر لقصد التشريف لهما، وأنهما وإن كانا من الملائكة فقد صارا باعتبار ما لهما من المزية بمنزلة جنس آخر أشرف من جنس الملائكة ومن عادى أولياء الله وجنود الله فقد عادى الله تعالى وكفر به، فالله تعالى يعاده ويؤاخذه. وهذه العداوة موجبة لكفر من وقعت منه.

٩٩- ويقسم الله أنه أنزل على عبده محمد ﷺ علامات واضحات دالات على نبوته ولا يكفر بها إلا الخارجون عن طاعة الله.

١٠٠- وكلما عاهدوه عهدًا طرحه وألقاه ونقضه طائفة منهم.

١٠١- ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ﴾ محمد بكتاب مصدق لكتابهم ترك فريق منهم التوراة، هم اليهود آتاهم الله الكتاب وأكرمهم به لكنهم كفروا بالنبي ﷺ وبما أنزل عليه بعد أن أخذ الله عليهم في التوراة الإيمان به وتصديقه واتباعه، وبين لهم صفته، كان ذلك منهم نبذًا للتوراة ونقضًا لها ورفضًا لما فيها و﴿كَأَنَّهُمْ﴾ عملوا عمل من لا يعلم.

وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ
سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ
ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ
وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ
فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ
وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ
مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ
مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ
أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ
وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ
﴿١٠٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ
ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾
مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ
أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ
بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾

١٠٢- ومن قبائح اليهود أنهم اتبعوا ما تلته الشياطين من السحر ونحوه على عهد ملك سليمان، وقد كانوا يظنون أن هذا هو علم سليمان، وأنه يستجيزه ويقول به، فرد الله ذلك عليهم وكذبهم بأن سليمان ما فعل شيئًا من هذا مبرئًا له مما فعلوه من السحر. ويعلمون الناس ما أنزل على الملكين هاروت وماروت الموجودين فى بابل، وبابل فى أرض العراق. وهاروت وماروت فى الأصل اثنان من الملائكة، والتعليم إنذار من السحر لا تعليم دعاء إليه،فيقولان لهم لا تفعلوا كذا ﴿إِنَّمَا نَحْنُ﴾ ابتلاء واختبار من الله لعباده فلا تكفروا بتعلم السحر لإيذاء الناس، فتعلم الناس منهما ﴿مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ وهذا يفيد أن للسحر تأثير فى القلوب بالحب والبغض، والجمع والفرقة، والقرب والبعد ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ ولكنه لا يؤثر ضررًا إلا فيمن أذن الله بتأثيره فيه. وقد أجمع أهل العلم على أن له تأثيرًا فى نفسه وحقيقة ثابتة.
﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ فيه تصريح بأن السحر لا يعود على صاحبه بفائدة، ولا يجلب إليه منفعة،بل هو ضرر محض وخسران بحت لمن استبدل ما تتلو الشياطين بكتاب الله وما له فى الآخرة من نصيب وبئس ما باعوا به أنفسهم لأنهم تركوا العمل بعلمهم.

١٠٣- ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ﴾ بالنبى ﷺ وما جاء به من القرآن ﴿وَٱتَّقَوْاْ﴾ ما وقعوا فيه من السحر والكفر لأثيبوا أجرًا خيرًا مما ينالونه من حطام الدنيا بالسحر.

١٠٤- ويا أيها المؤمنون لا تقولوا لرسول الله راعنا أى راقبنا. وهذا اللفظ كان بلسان اليهود من ألفاظ السب، فلما سمعوا المسلمين يقولون للنبى ﷺ «راعنا» طلبًا منه أن يراعيهم، أى: يتلطف بهم فى التعليم، اغتنموا الفرصة، فكانوا يقولون للنبى ﷺ كذلك مظهرين أنهم يريدون المعنى العربى، مبطنين أنهم يقصدون السب الذى هو معنى هذا اللفظ فى لغتهم، فنهى الله المؤمنين أن يقولوها ليقطع الطريق على اليهود، وأبدلهم لفظًا آخر هو ﴿وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا﴾ أى: أقبل علينا، وانظر إلينا، وأطيعوا الله واسمعوا ما يخاطبكم به الرسول من الشرع بدون طلب للمراعاة، ثم توعد اليهود بقوله ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾﴾.

١٠٥- ولا يحب الكافرين من أهل الكتاب لشدة عداوتهم ﴿أَن يُنَزَّلَ﴾ على المسلمين خيرًا أى خير كان، من وحى أو غيره فرد الله عليهم فقال: ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ الرحمة: النبوة، وقيل: جنس الرحمة ﴿والله﴾صاحب الفضل العظيم، فكيف لا يودون أن يختص برحمته من يشاء من عباده؟

نصف الحزب ٢

۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ
مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن
وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ
كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ
فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ
ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا
مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ فَٱعْفُوا۟
وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ
﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم
مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
﴿١١٠﴾ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ
تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ
فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾

١٧

١٠٦ – ﴿۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ النسخ الإبطال والإزالة، وكل شيء خلف شيئًا فقد انتسخه، يقال نسخت الشمس الظل، ونسخ الشيب الشباب وذلك أن يحوّل الله الحلال حرامًا، والحرام حلالا، والمباح محظورًا والمحظور مباحًا، ولا يكون ذلك إلا فى الحظر والإطلاق، والمنع والإباحة، فأما الأخبار فلا يكون فيها ناسخ ولا منسوخ. وأصل النسخ من نَسْخِ الكتاب، وهو نقله من نسخة إلى أخرى، فكذلك معنى نسخ الحكم إلى غيره إنما هو تحويله إلى غيره. وسواء نُسِخَ حكم الآية، أو خَطُّها. وقد اتفق علماء الإسلام سلفًا وخلفًا على ثبوت النسخ فى كتاب الله تعالى ولم يخالف فى ذلك أحد إلا من لا يعتَدُّ بخلافه. وقد اشتهر عن اليهود إنكاره وهم محجوجون بما فى التوراة نفسها أن آدم كان يزوج الأخ من أخته وقد حرم الله ذلك على موسى عليه السلام وقومه ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ أى: ننسيكم إياها حتى لا تُقرأ ولا تُذكَر ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ نأت بما هو أنفع فى العاجل والآجل، أو بما هو مماثل لها من غير زيادة، فقد يكون الناسخ أخف فيكون أنفع لهم فى العاجل، وقد يكون أثقل وثوابه أكثر فيكون أنفع لهم فى الآجل ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾﴾ فالنسخ من مقدوراته سبحانه وتعالى. ١٠٧ – ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أى له التصرف فيهما بالإيجاد والاختراع ونفوذ الأمر فهو أعلم بمصالح عباده، وقد يختلف ذلك باختلاف الأزمنة. ١٠٨ – بل أتريدون أن تسألوا محمدًا سؤالاً مثل ما سئل موسى من قبل؟ حيث سألوه أن يريهم الله جهرة، وسألوا محمدًا ﷺ أن يأتى بالله والملائكة قبيلاً ومن يفعل ذلك ويتبدل الكفر بالإيمان فقد ذهب عن قصد الطريق وسمْتِه أى: طريق طاعة الله. ١٠٩ – وتمنى كثير من أهل الكتاب ردتكم إلى الكفر بعد الإيمان حقدًا وحسدًا بعدما عرفوا أن محمدًا رسول الله ﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟﴾ العفو: ترك المؤاخذة بالذنب، والصفح: إزالة أثر الذنب من النفس ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ أى: إلى أن يأتى إليكم الأمر من الله سبحانه فى شأنهم، وهو قَتْل من قُتِل منهم، وإجلاء من أُجلى، وضرب الجزية على من ضربت عليه، وإسلام من أسلم. ١١٠ – ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ﴾ أعمال الخير فى الدنيا تجدوا ثوابه عند الله.

١١١ – وقالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديا، وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيا، كل طائفة تضلل الأخرى وتلك أمانيهم الباطلة فى أنه لا يدخل الجنة غيرهم، قل أحضروا برهانكم، والبرهان: الدليل الذى يحصل عنده اليقين ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ أى: فى تلك الأماني المجردة والدعاوي الباطلة.

١١٢ – بل يدخلها من أسلم وجهه لله ويعمل صالح الأعمال، وفق شرع الله.

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ
لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ
ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ
ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ
لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ
وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ
فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾
وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ
لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ كَذَٰلِكَ
قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ
قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ
بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾

١١٣- وفيه أن كل طائفة تنفى الخير عن الأخرى وتثبته لنفسها، وتنكر ما عليه مع الطائفة الأخرى ويتضمن ذلك إثباته لنفسها تحجرًا لرحمة الله سبحانه وكل يتلو فى كتابه تصديق مَنْ كفر به كذلك قال ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وهم أمم كانت قبل اليهود والنصارى لم يكن لهم بكتب الله تعالى علم.

١١٤- ولا أحد أظلم ممن منع من يأتي مساجد الله للصلاة والتلاوة والذكر وتعليم القرآن ﴿وَسَعَىٰ فِى﴾ هدمها وإزالة بنيانها، أو فى تعطيلها عن الطاعات كتعلم العلم، والقعود للاعتكاف وما كان ينبغي لهم دخولها إلا حال خوفهم وفيه إرشاد من الله عز وجل للعباد أنه ينبغي لهم أن يمنعوا مساجد الله من أهل الكفر من غير فرق بين مسجد ومسجد وكافر وكافر وهؤلاء الذين يخرّبون مساجد الله تعالى بأيدي المؤمنين المجاهدين في سبيله في الدنيا ﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ في نار جهنم.

١١٥- ولله موضع شروق الشمس وموضع الغروب، أى: هما ملك لله وما بينهما فأى جهة تستقبلونها فهناك وجه الله، وذلك يكون عند التباس جهة القبلة، وفى صلاة النافلة كان النبي ﷺ يصلى على راحلته مستقبلا بوجهه الجهة التى تسير إليها. ١١٦- وقال: اليهود عزير ابن الله. والنصارى قالوا: المسيح ابن الله. وكفار العرب قالوا: الملائكة بنات الله. ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ تبرأ الله تعالى عما نسبوه إليه من اتخاذ الولد ﴿بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ومنهم عزير وعيسى، والملائكة، كلهم عبدٌ لله خاضع له لا يستنكف عن عبادته. فكيف يكونون أولادًا لله؟ عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى: «**كذبنى ابن آدم وشتمنى، أما تكذيبه إياى فيزعم أنى لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما شتمه إياى فقوله لى ولد، فسبحانى أن أتخذ صاحبة أو ولدا. كل له قائمون بالعبودية خاضعون له، فكيف يكونون ولدا له؟**

١١٧- مبدع سمواته وأرضه، هو الذى ابتدأ خلقهما على غير مثال سابق ﴿وَإِذَا﴾ أراد أن يخلق شيئًا أو يدبر تدبيرًا ﴿فإنما يقول له كن فيكون﴾ أى لكمال قدرته يفعل ما يريد بقول كن. ١١٨- وقال مشركو العرب هلا يخبرنا بنبوة محمد فنعلم أنه نبى ﴿أَوْ تَأْتِينَآ﴾ علامة على نبوته، فقالت اليهود والنصارى فى اتفاقهم على الكفر والعناد وقد بينا الآيات لقوم يعترفون بالحق وينصفون فى القول ويذعنون لأوامر الله لكونهم مصدقين له سبحانه. ١١٩- ويؤكد الله تعالى لنبيه ﷺ أنا أرسلناك لأجل التبشير والإنذار، ولا يصدر منك السؤال عن هؤلاء، ولا يصدر منك السؤال عمن مات منهم على كفره ومعصيته، تعظيمًا لحاله وتغليظًا لشأنه، أى أن هذا أمر فظيع وخطب شنيع، يتعاظم المتكلم أن يجريه على لسانه أو يتعاظم السامع أن يسمعه.

وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ
هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ
مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ
ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ
فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ
أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا
لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا
شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ۞ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ
فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا
يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ
وَأَمۡنٗا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ
وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ
ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ
أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ
فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٢

١٢٠- ولو جئتهم بكل ما يقترحون لم يرضوا عنك إذ ليس مطلوبهم فى الحقيقة ما يقترحونه عليك من الآيات وما يودون عليك من التعنتات، بل ما يريدونه فى الحقيقة هو صرفك عن دينك إلى دينهم، واتباع أهوائهم. وكذلك كل صاحب بدعة وهوى لا يرضيه من أهل الحق إلا أن يتابعوه على هواه ﴿قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰ﴾ الحقيقى، لا ما هم عليه من الشريعة المنسوخة والكتب المحرفة ثم أتبع ذلك لوعيد شديد وُجِّه لرسول الله ﷺ إن اتبع أهواءهم وحاول رضاهم، وهو تعريض لأمته وتحذير أن يدخلوا فى أهوية أهل الملل، ويطلبوا رضى أهل البدع، ومن كان كذلك فهو مخذول ولا محالة. وهالك بلا شك ولا شبهة.

١٢١- ثم يخبر الله رسوله أن من أهل الكتاب: قيل: هم المسلمون، وقيل: من أسلم من أهل الكتاب من يتلون كتابهم حق تلاوته فيتبعونه ويعملون بما فيه، فيحللون حلاله، ويحرمون حرامه ويقرؤونه حق قراءته، ولا يحرفونه ولا يبدلونه. ١٢٢، ١٢٣- ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ إلى قوله ﴿وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ تقدم تفسيره فى الآيتين ٤٧، ٤٨ وقال البقاعى: أعاد ما صدر به قصتهم من التذكير بالنعم، والتحذير من حلول النقم، ليعلم أن ذلك فَذْلَكَةُ القصة، والمقصود بالذات الحث على انتهاز الفرصة. ١٢٤- ثم يأمر الله رسوله ﷺ وقت اختبار الله لنبيه إبراهيم هى قوله ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗا﴾ فقام بحق الإمامة أتم قيام وامتثل حق الامتثال فكان جزاؤه أن جعله الله للناس إمامًا، قال: إبراهيم واجعل من ذريتى أئمة، فأخبره أن فيهم عصاة وظلمة، وأنهم لا يصلحون للإمامة، ولا يقومون بحقها، ولا ينالهم عهد الله سبحانه، لأن الإمام لا بد أن يكون من أهل العدل والعمل بالشرع كما ورد، ولأنه إذا زاغ عن ذلك كان ظالمًا، وهو فى معنى الأمر لعباده ألا يولوا أمور الشرع ظالمًا لأن الإمام إنما كان إمامًا لكونه يقتدى بقوله ويفعله فى أمور الدين فإن كان ظالمًا أو فاسقًا أضل الذين اقتدوا به، وحاد به عن الصراط المستقيم. ١٢٥- ﴿وَإِذۡ جَعَلۡنَا﴾ الكعبة ملجئًا يرجع الحجاج إليها بعد تفرقهم عنها وموضع أمن لا يجوز أن يخاف فيه أحد، ولا يقام الحد على من لجأ إليه، ومن دخله كان آمنًا وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «هذا مقام إبراهيم». فقلت: يا رسول الله أفلا نتخذه مصلى، فنزلت هذه الآية. والمقام: الحجر الذى يعرفه الناس ويصلون عنده ركعتى الطواف، كان إبراهيم يقوم عليه لبناء الكعبة لما ارتفع الجدار، أتاه إسماعيل به ليقوم فوقه. وكان ملصقًا بجدار الكعبة، وأول من نقله عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولقد عهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهراه من الأوثان، والكفار، والنجاسات، وطواف الجنب، والحائض، وكل خبيث للذى يطوف به والعاكف فيه للعبادة وقيل: هو المجاور دون المقيم من أهل مكة ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ هم المصلون، وخص هذين الركنين بالذكر لأنهما أشرف أركان الصلاة. ١٢٦- وهذا أمره لرسول الله أن يذكر الناس بدعوة أبيهم إبراهيم أن يجعل مكة آمنة وأن يرزق أهلها أطيب الثمرات ﴿مَنۡ =

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ
مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ
لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ
إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا
مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ
وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن
مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ
وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ
قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ
وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا
وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ
ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ
إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا
وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا
مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾

= ﴿ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ﴾ دون من كفر، فقال الله تعالى له: وأنا أرزق المؤمنين من أهل هذا البيت، وعدًا منى، وأرزق أيضًا من كان كافرًا زمنًا قليلاً فى هذه الدنيا متاعًا ثم فى الآخرة ألزمه عذاب النار حتى يصير مضطرًا لذلك لا يجد عنه مخلصًا.

١٢٧ – واذكر يا محمد وقت أن رفع إبراهيم بنيان البيت على أساسات ثابتة يعينه ولده إسماعيل عليهما السلام قائلين ربنا ﴿تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ هذا العمل الطيب ﴿إِنَّكَ﴾ تسمع دعاءنا وتعلم نيتنا. ١٢٨ – ﴿وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ ثابتين على الإسلام أو زدنا منه، والمراد بالإسلام الإيمان والأعمال الصالحة واجعل من ذريتنا أمة مسلمة لك.. هى أمة محمد ﷺ، قيل: من العرب خاصة فهم ذرية إبراهيم وإسماعيل ﴿وَأَرِنَا﴾ مناسك الحج، ومواضع الذبح عن مجاهد قال: قال إبراهيم: رَبِّ أرنا مناسكنا. فأتاه جبريل، فأتى به البيت، فقال: ارفع القواعد، فَرَفَعَ القواعد وأتم البنيان، ثم أخذ بيده فانطلق به نحو منى، فلما كان عند جمرة العقبة فإذا إبليس قائم عند الشجرة، فقال: كبِّر وارمِهِ، فكبر ورماه، فذهب إبليس حتى أتى الجمرة الوسطى، ففعل به إبراهيم كما فعل فى الأولى، ثم أخذ بيده جبريل حتى أتى به المشعر الحرام، فقال هذا المشعر الحرام. ثم ذهب حتى آتى به عرفات، قال: وقد عرفت ما أريتُكَ قالها ثلاثا، قال: نعم. قال: قل: يا أيها الناس أجيبوا ربكم. فأجاب العباد: لبيك اللهم لبيكَ. فمن أجاب إبراهيم يومئذ فهو حاج. ١٢٩ – ﴿وَٱبْعَثْ﴾ فى العرب ذرية إبراهيم، وإسماعيل، وقد أجاب الله لإبراهيم عليه السلام هذه الدعوة، فبعث فى ذريته محمد ﷺ ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ﴾ دعا أن ينزل على النبى ﷺ قرآن يتلى والمعرفة بالدين، والفقه فى أحكامه، والفهم للشريعة ويطهرهم من الشرك وسائر المعاصى إنك أنت العزيز الذى لا يعجزه شىء، الغالب الحكيم. ١٣٠ – وما يرغب عن ملة إبراهيم أحد إلا من جهل أمر نفسه فلم يفكر فيها، فأهلك نفسه و﴿ٱصْطَفَيْنَـٰهُ﴾ واخترناه وقت أمرنا له بالإسلام. ١٣١ – ولقد قال له ربه: تمسك بالإسلام دينا. ١٣٢ – وبوصية الله له بالتمسك بملة الإسلام أو الكلمة، أى: وصاهم بقول كلمة: أسلمت لرب العالمين وأوصى يعقوب بنيه، كما أوصى إبراهيم بنيه قائلاً ﴿يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾ أى: اختاره لكم، وهى الملة التى جاء بها محمد ﷺ فالزموا الإسلام، ولا تفارقوه، حتى إذا جاءكم الموت جاء وأنتم على الإسلام. ١٣٣ – الخطاب لليهود والنصارى الذين ينسبون إلى إبراهيم وإلي بنيه أنهم على اليهودية أو النصرانية، فرد الله عليهم وقال لهم: أشهدتم يعقوب، وعلمتم بما أوصى به بنيه فتدَّعون ذلك عن علم، أم لم تشهدوا بل أنتم مفترون؟ من بعد موتى ﴿ءَابَآئِكَ﴾ إسماعيل كان عمًّا ليعقوب إلا أن العرب تسمى العم أبا ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ جملة حالية: أى نعيده حال إسلامنا له. ١٣٤ – والإشارة بقوله: ﴿تِلْكَ﴾ إلى إبراهيم وبنيه، ويعقوب وبنيه قد مضت لا ينتفع بعملها أحد ولا يضر، وأنتم كذلك لا إلى أعمالكم. فلكل من الفريقين كسبه، لا ينفع الأبناء كسب الآباء ولا ينالهم منه =

وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ
حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ
أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ
وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ
مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾
فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا
هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ
﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ
عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ
وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ
تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ
وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ
بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ
وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾

= شيء، وفيه الرد على من يتكل على عمل سلفه ويروِّح نفسه بالأماني الباطلة. ومنه ما ورد في صحيح مسلم وغيره قال ﷺ: «من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه» والمراد أنكم لا تنتفعون بحسناتكم ولا تسألون عن أعمالكم كما لا يسألون عن أعمالكم. ١٣٥- وقال اليهود للمسلمين كونوا يهودًا، وقال لهم النصارى كونوا نصارى، تكونوا على الحق قل لهم يا محمد بل نكون على ملة إبراهيم المائل عن الأديان الباطلة إلى دين الحق، والحنيفية دين الإسلام ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ فيه تعريض باليهود وبالنصارى، أي: ما كان على هذه الحالة من الشرك بالله، فكيف تدَّعون عليه أنه كان على اليهودية أو النصرانية؟ ١٣٦- خطاب للمسلمين وأمر لهم بأن يقولوا هذه المقالة، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله...الآية» ﴿وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ أولاد يعقوب وهم اثنا عشر ولدًا، ولكل واحد منهم من الأولاد جماعة، والسبط في بني إسرائيل بمنزلة القبيلة في العرب ولا نؤمن ببعضهم ونكفر ببعضهم كما فعلت اليهود والنصارى. فالمسلمون يؤمنون بكل نبي أرسله الله، وبكل كتاب أنزله الله. ١٣٧- فإن آمن من أهل الكتاب وغيرهم بمثل ما آمنتم به، أي بجميع كتب الله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم فقد اهتدوا وإن أعرضوا فإنما هم في ﴿شِقَاقٍ﴾ والشقاق: المخالفة والمعاندة ووعد الله تعالى نبيه أنه سيكفيه من عانده وخالفه من المتولين عن الحق. ١٣٨- واصبغوا أي المسلمون أنفسكم وأهليكم بالإسلام، فهو صبغة الله، وتمسكوا به. وأصل ذلك أن النصارى كانوا يصبغون أولادهم في الماء، وهو الذي يسمونه المَعْمُودية، ويجعلون ذلك تطهيرًا لهم، فإذا فعلوا ذلك قالوا: الآن صار نصرانيا حقًّا، فردَّ الله عليهم بهذا. ١٣٩- وقل يا محمد لأهل الكتاب أتجادلوننا في دينه ونحن وأنتم سواء في ربوبيته لنا، وعبوديتنا له، فكيف تدَّعون أنكم أولى به منا، وتحاجوننا في ذلك؟ ﴿وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ فلستم بأولى بالله منا ونحن أهل الإخلاص للعبادة دونكم، وهو المعيار الذي يكون به التفاضل. والخصلة التي يكون صاحبها أولى بالله سبحانه من غيره، فكيف تَدَّعون لأنفسكم ما نحن أولى به منكم وأحق مع ما أنتم عليه من الاشراك بالله سبحانه ودعوي الألوهية لغيره. ١٤٠- بل أتقولون إن هؤلاء الأنبياء على دينكم؟ فإن الله أخبرنا بأنهم لم يكونوا هودا ولا نصارى، وأنتم تدعون أنهم كانوا هودًا أو نصارى، فهل أنتم أعلم أم الله سبحانه؟ ولا أحد أظلم ﴿مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ يريد بذلك الذم لأهل الكتاب بأنهم يعلمون أن هؤلاء الأنبياء ما كانوا يهودًا ولا نصارى، بل كانوا على الملة الإسلامية، فظلموا أنفسهم بكتمهم لهذه الشهادة، بل بادعائهم لما هو مخالف لها. عن قتادة قال: أولئك أهل الكتاب كتموا الإسلام وهم يعلمون أنه دين الله، واتخذوا اليهودية والنصرانية، وكتموا محمدًا وهم يعلمون أنه رسول الله ثم أعلمه الله بأنه سبحانه لا يترك عقوبتهم على هذا الظلم القبيح، والذنب الفظيع.

۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟
عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟
شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا
جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ
مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ
هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ
لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ
فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ
ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ
أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ
عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ
ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم
بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ
مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾

١٤٢ - وهذا إخبار من الله سبحانه لنبيه ﷺ وللمؤمنين، بأن السفهاء من اليهود والمنافقين سيقولون هذه المقالة عندما تتحول القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة - ﴿ٱلسُّفَهَآءُ﴾ وهم خفاف الأحلام، ضعفاء العقول - ما صرفهم؟ ﴿عَن﴾ بيت المقدس ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ فله أن يأمر بالتوجه إلى أى جهة شاء ﴿يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ إشعار بأن تحويل القبلة إلى الكعبة من الهداية للنبى ﷺ وأهل ملته إلى الصراط المستقيم. ١٤٣ - وكما هديناكم إلى الصراط المستقيم جعلناكم أمّةً عدولاً والوسط: الخيار، أو العدل ﴿لِّتَكُونُوا۟﴾ يوم القيامة تشهدون للأنبياء على أممهم أنهم قد بلغوهم ما أمرهم الله بتبليغه إليهم ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ يشهد عليكم بالتبليغ لكم وأخرج أحمد والبخارى وغيرهما عن أبى سعيد مرفوعًا قال رسول الله ﷺ: «**يدعى نوح يوم القيامة، فيقال له: هل بلَّغتت؟ فيقول: نعم فيدعى قومه، فيقال لهم: هل بلَّغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، وما أتانا من أحد. فيقال لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته**» ﴿وَمَا جَعَلْنَا﴾ بيت المقدس قبلة لكم إلا لنبتليكم فنعلم عندما نحولها إلى الكعبة المؤمنَ التابع، والمرتدَّ الكافر، وأهل النفاق. ﴿وَإِن﴾ كانت هذه القضية، وهى تحويل القبلة، صعبةً يشقّ الإيمان بها إلا على الذين هداهم الله للحق، فانشرحت صدورهم لتصديقك ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ نزلت فيمن مات وهو يصلى إلى بيت المقدس، وقيل المراد ثبات المؤمنين على الإيمان عند تحويل القبلة، وعدم ارتيابهم كما ارتاب غيرهم وإن الله بالناس لكثير الرأفة، وهى أشد الرحمة. ١٤٤ - وكثيرًا ما كان رسول الله ﷺ يقلب وجهه فى النظر إلى السماء فأجابه الله فلنجعلنك متوليا إلى قبلة تحبها فاتجه فى صلاتك إلى جهة الكعبة [فى أي مكان] من الأرض كنتم فتوجَّهوا إلى الكعبة ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ ليعلمون أن توجهكم إلى الكعبة حقٌّ بأمر الله وعلم أهل الكتاب بذلك إما لكونه قد بلغهم عن أنبيائهم، أو وجدوا فى كتب الله المنزلة عليهم أن هذا النبى يستقبل الكعبة. ١٤٥ - وهؤلاء المعترضون على تحويل القبلة لا تؤثر فيهم كل آية، ولا يرجعون إلى الحق، وإن جاءهم بكل برهان لأنهم لم يتركوا اتباع الحق لدليل عندهم أو لشبهة طرأت عليهم، بل كان تركهم للحق تمردًا وعنادًا، مع علمهم بأنهم ليسوا على شىء، ومن كان هكذا فهو لا ينتفع بالبرهان أبدًا. ولا تتبع يا محمد قبلتهم دفعًا لأطماع أهل الكتاب، وقطعًا لما يرجونه من رجوعه ﷺ إلى القبلة التى كان عليها. وهؤلاء بعضهم لا يتابع الآخر فى استقبال قبلته. وذلك أن اليهود تستقبل بيت المقدس، والنصارى تستقبل مطلع الشمس ولئن اتبعت يا محمد قبلتهم بعدما ظهر لك الحق إنك إذًا لمن الظالمين لأنفسهم المستحقين للعقاب وفى هذا من التهديد العظيم والأجر البليغ ما تقشعر له الجلود وترجف منه الأفئدة.

ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ
فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن
رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ
فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ
وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا
ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ
شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ
شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ
تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ
يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ
أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾

٢٣

١٤٦- وأهل الكتاب يعرفون نبوة محمد ﷺ لأن كتبهم قد بشرت به، مثل معرفتهم لأبنائهم. ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ﴾ وهم علماؤهم الذين عرفوا نعت النبي ﷺ وليس منه هذا الفريق الذين آمنوا منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه. ١٤٧- الحق هو الذى جاء من ربك لا مما يخبرك به أهل الكتاب ثم نهاه الله سبحانه عن الشك فيما آتاه الله من القبلة وغيرها. وغيره أولى بالحذر من الشك. ١٤٨- ولكل أهل دين وجهة، والمراد: القبلة، إما بحق، وإما بباطل أو المراد: لكل منكم يا أمة محمد قبلة يصلى إليها من شرق أو غرب أو جنوب أو شمال ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ وجهه ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ أى: بادروا إلى ما أمركم الله من استقبال البيت الحرام وكل ما يصدق عليه أنه خير، وإلى الصلاة فى أول وقتها ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ﴾ يجمعكم للجزاء يوم القيامة، ﴿جَمِيعًا﴾ كما جعل صلاتكم فى الجهات المختلفة كأنها إلى جهة واحدة. ١٥٠- ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ فى الأسفار فاستقبل القبلة حيثما كنت فى برٍّ أو بحر. وتكرير الأمر للاهتمام. وقيل أراد بالأول: ولِّ وجهك شطر الكعبة إذا صليت تلقاءها، ثم قال: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ﴾ معاشر المسلمين فى سائر الأرض والمساجد بالمدينة وغيرها ﴿فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ لئلا يكون لليهود عليكم حجة، إذ كانوا يقولون: وافقنا محمد فى قبلتنا، فيوشك أن يوافقنا فى ديننا. والحجة بمعنى المُحَاجَجَة، وهى المخاصمة والمجادلة، سماها الله حجَّةً وحكم بفسادها، حيث كانت من ظالم لكن ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ وهم مشركو العرب. فسيحتجون عليكم يقولون: إن محمدًا تحيرَ فى دينه، وما توجه إلى قبلتنا إلا لأننا أهدى منه. وقالوا: سيرجع إلى ديننا كما رجع إلى قبلتنا. وعن قتادة قال: يعنى أهل الكتاب حين صرف الله نبيه إلى الكعبة قالوا: اشتاق الرجل إلى بيت أبيه ودين قومه. وغير ذلك من الأقوال التى لم تنبعث إلا من عابد وثن، أو من يهودى، أو منافق فلا تضركم ولكى أُتِمَّ عليكم نعمتى عرَّفتكم قبلتى وإتمام النعمة: الهداية إلى القبلة. وقيل: دخول الجنة. ١٥١- ولأتم نعمتى عليكم إتمامًا مثل ما أرسلنا. والتشبيه واقع على أنَّ النعمة فى القبلة كالنعمة فى الرسالة، وقيل معنى الكلام على التقديم والتأخير، أى فاذكرونى كما أرسلنا فيكم رسولاً. ١٥٢- واذكرونى بالطاعة أذكركم بالثواب والمغفرة. قال بعض السلف: المعنى: فمن ذكرنى وهو مطيع فحقٌّ على أن أكرمه بمغفرتى والشكر معرفة الإحسان والتحدث به والكفر هنا ستر النعمة لا التكذيب.

١٥٣- واطلبوا معونة بالصبر والصلاة على تأدية ما أمر الله به، ودفع ما يرد عليكم من المحن لأن الله مع الصابرين بعونه وتوفيقه، وينيلهم مقاصدهم، وفى ذلك أعظم ترغيب لعباده سبحانه إلى لزوم الصبر.

وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتُۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن
لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ
وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ
﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ
﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ
فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ
بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ
لِلنَّاسِ فِي ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ
﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ
عَلَيْهِمْۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ
كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ
﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ
﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾

ربع الحزب ٣

١٥٤- وينهى تعالى المؤمنين أن يقولوا عن الشهداء الذين قتلوا فى سبيل الله إنهم أموات بل هم أحياء فى قبورهم على نحو يعلمه الله ولكنكم لا تشعرون بهذه الحياة عند مشاهدتكم لأبدانهم بعد سلب أرواحهم، تحكمون عليها بالموت فى ظاهر الأمر، وليسوا كذلك فى الواقع بل هم أحياء فى البرزخ. ١٥٥- وسوف نختبركم. بـ ﴿ٱلْخَوْفِ﴾ ما يخشى من ضرر من عدو أو غيره والمجاعة والقحط ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ﴾ ما يحدث فيها بسبب الجوائح وما أوجبه الله فيها من الزكاة ونحوها، والمراد بنقص ﴿وَٱلْأَنفُسِ﴾ الموت والقتل فى الجهاد، والمراد بنقص ﴿وَٱلثَّمَرَٰتِ﴾ ما يصيبها من الآفات. وقيل نقص الثمرات: موت الأولاد. ١٥٦- وهؤلاء الصابرون إذا نزلت بهم المصيبة أو النكبة التى يتأذى بها الإنسان وإن صغرت قالوا: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ هذه الكلمات ملجأ للمصابين، وعصمة للممتحَنين، فإنها جامعة بين الإقرار بالعبودية لله، والاعتراف بالبعث والنشور. ١٥٧- فهؤلاء الصابرون لهم المغفرة والثناء الحسن وعليهم رأفة بعد رأفة، ورحمة بعد رحمة. ١٥٨- ﴿ٱلصَّفَا﴾ علمٌ لجبل من جبال مكة معروف، وكذلك المروة ﴿مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ أعلام مناسكه، والمراد بها مواضع العبادة التي أشعرها الله أعلاما للناس من: الموقف، والمسعى، والمنحر فمن قصد ﴿ٱلْبَيْتَ﴾ للفريضة ﴿أَوِ ٱعْتَمَرَ﴾ العمرة فى اللغة: الزيارة، وفى الشرع: الإتيان بالنسك المعروف ﴿يَطَّوَّفَ﴾ أصله يتطوَّف، والتطوف بالصفا والمروة: السعى بينهما فى الحج والعمرة. والسعى واجب ونسك من جملة المناسك، فعن عائشة أن عروة قال لها: ما أري على أحد جُناحًا أن لا يطوف بهما؟ فقال عائشة: بئس ما قلت يابن أختى، إنها لو كانت على ما أوّلتها كانت ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن لَّا يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ ولكنها إنما أنزلت أن الأنصار قبل أن يسلموا كانوا يهِلُّون لمناة الطاغية التى كانوا يعبدونها، وكان من أهَلَّ لها يتحرَّج أن يطوف بالصفا والمروة فى الجاهلية، فأنزل الله الآية. قالت عائشة: ثم قد بيَّنَ رسول الله ﷺ الطواف بهما، فليس لأحد أن يدع الطواف بهما، وإنما قالت: لعمرى ما أتمَّ الله حجَّ من لم يسْعَ بين الصفا والمروة ولا عُمرتَهُ، لأن الله قال: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ اهـ وسئل رسول الله ﷺ فقال: «**إن الله كتب عليكم السعى فاسعوا**». ١٥٩- وهم أحبار اليهود ورهبان النصاري الذين كتموا أمر محمد ﷺ، وكل من كتم الحق وترك بيان ما أوجب الله بيانه من الكتاب وهو اسم جنس شامل لجميع الكتب، أولئك هم أهل للإبعاد والطرد من رحمته سبحانه ﴿يَلْعَنُهُمُ﴾ الملائكة والمؤمنون، وقيل: كل من يتأتى منه اللعن، فيدخل فى ذلك الجن. وفى هذه الآية من الوعيد ما لا يقدرُ قَدْرُه. ١٦٠- وهنا استثناء للتائبين من الكتمان، والمصلحين لما أفسدوا، والمبينين للناس ما بينه الله فى كتبه، فليس هولاء مستحقين للعنة. ١٦١- والذين كفروا بالله ورسله وماتوا على ذلك أولئك هم المطرودون من رحمة الله والمستحقون للعن من الملائكة والناس أجمعين يوم القيامة. أما فى الدنيا فلا يتأتى اللعن بهم جمعًا واستُدِل =

إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ
وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا
مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ
بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ
ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ
ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾
إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ
وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ
لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ
أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟
خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم
بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾

= بذلك أنه لا يجوز لعن كافر معين لأن حاله عند الوفاة لا يعلم، ولعن العاصى المعين لا يجوز باتفاق، لما روى أن النبى ﷺ أُتي بشارب خمر مرارًا، فقال بعض من حضر: لعنه الله ما أكثر ما يشربه. فقال النبى ﷺ: «لا تكونوا عونًا للشيطان على أخيكم» والحديث فى الصحيحين، ولكن لا يمنع من جواز لعن الكفار على العموم. ولعنهم جزاء لهم على الكفر، وزجرٌ لهم عنه، وإظهارٌ لقبحه. ١٦٢- ﴿خَٰلِدِينَ﴾ فى النار، وقيل: فى اللعنة يمهلون. ١٦٣- فيه الإرشاد إلى التوحيد، وقطع علائق الشرك والإشارة إلى أن أول ما يجب بيانه ويحرم كتمانه هو أمر التوحيد. ١٦٤- ثم عقب ذلك بالدليل الدَّال عليه وهو من أعظم صنعة الصانع الحكيم، فى خلق السموات والأرض وتعاقب الليل والنهار وفى السفن التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس، وفيما أنزل الله من السماء من مطر يحيي به الأرض بعد يبسها، وفيما نشره الله فى الأرض من الدواب ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ أى إرسالها عقيمًا ومُلْقِحةً، وصِرًا ونصرًا وهلاكًا، وحارة وباردة، ولينة وعاصفة. وقيل تصريفها: إرسالها جنوبًا وشمالا، ودبورًا وصبا ونكباء ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ﴾ المذلل. قيل تسخيره ثبوته بين السماء والأرض من غير عمد ولا علائق ﴿لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ علم كل عاقل بأنه لا يتهيأ من أحد من الآلهة التى أثبتها الكفار أن يأتى بشىء منها، أو يتقدر عليه أو على بعضه، وهى خلق السموات وخلق الأرض، وتعاقب الليل والنهار، وجرى الفلك فى البحر، وإنزال المطر من السماء، وإحياء الأرض به، وبث الدواب منها بسببه، وتصريف الرياح، فإن من أمعن نظره، وأعمل فكره فى واحد منها، تحتم عليه التصديق بأن صانعه هو الله سبحانه. ١٦٥- ومع هذا الدليل الظاهر المفيد لعظيم سلطان الله، وجليل قدرته وجد فى الناس من يتخذ معه سبحانه ندًّا يعبده من الأصنام كحب المؤمنين لله، أو: كما يحب المشركون الله، يحبون أندادهم ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ أى أشد من حب الكفار للأنداد. ولو يرى هؤلاء الظالمون من يصب عليهم العذاب لعلموا قوة الله وبطشه، وعجز آلهتهم عن أن تدفع عنهم شيئًا من عذاب الله. ١٦٦- ﴿إِذْ تَبَرَّأَ﴾ السادة والرؤساء وأئمة الكفر ممن اتبعهم على الكفر ﴿وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ يعنى التابعين والمتبوعين، قيل: عند المعاينة فى الدنيا، وقيل: عند العرض والمساءلة فى الآخرة ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ﴾ الصلات والعلاقات التى كانوا يتواصلون بها فى الدنيا من الرحم وغيره. ١٦٧- كما تبرأت الآلهة المزعومة من عُبَّادها فإن المشركين يتمنون لو أن لهم الرجعة والعودة إلى الدنيا، والمعنى: أن الأتباع قالوا: يا ليت أنا رددنا إلى الدنيا حتى نعمل صالحا ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا﴾ وليس أمامهم إلا التحسر فإن أعمالهم الفاسدة يريهم الله إياها فتكون عليهم حسرات، ويريهم الأعمال الصالحة التى أوجبها عليهم فتركوها، فيكون ذلك حسرة عليهم ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ فيه دليل على خلود الكفار فى النار. ١٦٨- ﴿كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ نزلت فى ثقيف وخزاعة وبنى مدلج فيما حرَّموه على أنفسهم من الأنعام. من غير ما حرم الله عليكم، والطيب هو المستلَذ ولا تقفوا أثر الشيطان =

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ
ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا
يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ
بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ
﴿١٧١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ
وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ
عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ
لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ
ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ
فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ
أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ
بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾

= وعمله وما يدعوكم إليه من المعاصي ﴿عَدُوٌّ مُّبِينٌ ١٦٨﴾ ظاهر العداوة. ١٦٩ - فإن هذا الشيطان يأمركم ﴿بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ﴾ السوء القبيح، والفحشاء: التجاوز للحدّ فى القبح، وقيل: الفحشاء الزنى ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ١٦٩﴾ ما حرموه من البحيرة والسائبة ونحوهما مما جعلوه شرعًا، فكل ما لم يرد فيه نص أو ظاهر من الأعيان الموجودة فى الأرض فأصله الحل حتى يرد دليل يقتضى تحريمه. ١٧٠ - ﴿وَإِذَا قِيلَ﴾ للكفار أن يتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه أباءنا ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ وفى الآية من الذم للمقلدين، والندم بجهلهم الفاحش واعتقادهم للفاسد ما لا يقادر قدره. ١٧١ - وفيه تشبيه واعظ الكافرين وداعيهم، وهو محمد ﷺ بالراعى الذى ينعق بالغنم أو الإبل، فلا تسمع إلا دعاء ونداء ولا تفهم ما يقول. عن ابن عباس قال: كمثل البقر والحمار والشاة إن قلت لبعضهم كلامًا لم يعلم ما تقول، غير أنه يسمع صوتك، وكذلك الكافر إن أمرته بخير أو نهيته عن شر أو وعظته لم يعقل ما تقول غير أنه يسمع صوتك. وهم صم بكم عمى لا يقدرون أن يسمعوا الحق، ولا أن يبصروه، ولا أن يتكلموا به فكيف يعقلون ما يقال لهم؟ ١٧٢ - وهذا تأكيد للأمر الأول، وإنما خص المؤمنون هنا لكونهم أفضل أنواع الناس أن يأكلوا من الطيبات وأن يشكروا أنعم الله عليهم إن كانوا حقًا يخصونه بالعبادة والتقديس. ١٧٣ - ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ﴾ وهى ما فارقها الروح من غير ذبح شرعى. والمراد بالميتة هنا ميتة البر لا ميتة البحر، ويجوز أكل جميع حيوانات البحر حيها وميتها والدم المحرم هو المسفوح، روت عائشة أنها كانت تطبخ اللحم فتعلو الصفرة من الدم على البُرْمة، فيأكل ذلك النبى ﷺ ولا ينكره وجملة الخنزير محرمة وما ذكر عليه اسم غير الله، كاللات والعزّي ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ إلى شىء من هذه المحرمات بسبب المجاعة وفقدان ما يتغذى به ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ المراد بالباغى من يأكل فوق حاجته، والعادى من يأكل هذه المحرمات وهو يجد عنها مندوحة ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ فى أكله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لذنب من أكل الحرام مضطرا ﴿رَّحِيمٌ ١٧٣﴾ به إذا أحلّ له الحرام فى الاضطرار. ١٧٤ - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ يشمل علماء اليهود، لأنهم كتموا ما أنزل الله فى التوراة من صفة محمد ﷺ، ويشمل كل من كتم ما شرعه الله، وأخذ عليه الرشا ويستبدلون به متاع الدنيا فهو قليل وإن كان مما يستكثر وذكر البطون دلالة وتأكيدًا أن هذا الأكل حقيقة: وأنه يوجب عليهم عذاب النار، فسمي ما أكلوه نارًا، لأن يؤول بهم إليها ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ﴾ لحلول غضب الله عليهم وعدم الرضى عنهم وقال الطبرى: لا يكلمهم بما يحبونه، وإن كان يكلمهم بما يكرهونه ولا يصلح أعمالهم الخبيثة فيطهرهم. ١٧٥ - ﴿ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ قد تقدم تحقيق معناه - الآية ١٦ - ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ١٧٥﴾ معناه التعجب، والمراد تعجيب المخلوقين من حال هؤلاء الذين باشروا الأسباب الموجبة لعذاب النار، فكأنهم بهذه المباشرة للأسباب صبروا على العقوبة فى نار جهنم. ١٧٦ - ﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب الذى =

نصف الحزب ٣

۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ
ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ
وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ
وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ
ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ۖ
وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
صَدَقُوا۟ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ
عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَىۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ
بِٱلْأُنثَىٰۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ
إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ
بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ
يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ
إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ
وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ
بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾

= ينتظرهم بسبب أن الله نزل الكتاب الحق فاختلفوا فيه وآمنوا ببعضه وكفروا بالبعض الآخر ويقول بعضهم هو سحر، وبعضهم يقول هو أساطير الأولين فهم فى خلاف ومُحادَّةٍ لله ﴿بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾﴾ عن الحق والصواب. ١٧٧- ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ﴾ نزلت على اليهود والنصارى لما أكثروا الكلام فى شأن القبلة عند تحويل رسول الله ﷺ إلى الكعبة ﴿قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ قيل: أشار سبحانه بذكر المشرق إلى قبلة النصارى. لأنهم يستقبلون مطلع الشمس، وأشار بذكر المغرب إلى قبلة اليهود لأنهم يستقبلون بيت المقدس، وهو فى الجهة الغرب منهم إذ ذاك. ولكن البر هو برُّ من آمن. والبرُّ اسم جامع للخير والمراد بالكتاب هنا جنس الكتاب أى كتب الله ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ على حب المال، لأنه أعطى المال وهو يحبه ويشح به ﴿ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ هم أقاربك، فإنَّ دفع المال إليهم صدقة وصلة إذا كانوا فقراء، وهكذا ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ الفقراء أولى بالصدقة من الفقراء الذين ليسوا بيتامى، لعدم قدرتهم على الكسب ﴿وَٱلْمَسَٰكِينَ﴾ المسكين الساكن إلى ما فى أيدى الناس، لكونه لا يجد شيئًا والمسافر المنقطع فى غير بلده والمتعرضين لطلب المال لاضطرارهم إليه ﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾ المراد شراء الرقاب، أى رقاب المماليك وإعتاقها، وقيل المراد فك الأسارى. وقوله ﴿وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾ فيه دليل على أن الإيتاء المتقدم هو صدقة التطوع، لا صدقة الفريضة ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ﴾ إذا عاهدوا الله أو عاهدوا الناس والصابرين فى الشدة والفقر والمرض والزمانة ووقت الحرب أولئك كانوا جادِّين صادقين فى دعواهم الإيمان. ١٧٨- ويا أيها الذين آمنوا فرض عليكم القصاص فى القتلى فالحر يقتل بالحر، والعبد يقتل بالعبد. ويفهم منهم أن الحر لا يقتل بالعبد. وذهب الجمهور إلى أنه لا يقتل المسلم بالكافر، واستدلوا بما رواه البخارى وغيره عن النبى ﷺ أنه «لا يقتل مسلم بكافر» ﴿وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾ أى تقتل بها إن قتلتها، وتقتل بالرجل بطريق الأولى، ويقتل الرجل بالمرأة للحديث الوارد من قول النبى ﷺ: «وأن الرجل يقتل بالمرأة» والقاتل أو الجانى إذا دم أصابه منه، ثبت للمجنى عليه أو وليه الدية أو الأرش فلتكن مطالبة صاحب الحق للقاتل بالمعروف، بإنظاره إن كان معسرًا، وعلى القاتل ﴿وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾ دون مماطلة أو جحد أو إساءة فى القول أن الله شرع لهذه الأمة القصاص، والعفو من غير عوض أو بعوض، ولم يضيق عليهم، كما ضيق على اليهود، فإنه أوجب عليهم القصاص أو العفو، ولا دية، وكما ضيق على النصارى، فإنه أوجب عليهم العفو ولا دية ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ﴾ بعد العفو، نحو أن يأخذ الدية ثم يقتل القاتل، أو يعفو ثم يقتص فله عذاب أليم. ١٧٩- ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ باعتبار ما يؤول إليه من ارتداع الناس عن قتل بعضهم بعضا لكى تتقوا الدماء مخالفة القصص. ١٨٠- وقد فرض الله عليهم عند حضور الموت، حضور أسبابه، وظهور علاماته، وتجب الوصية حينئذ لعدم بقاء الفسحة وإن من ترك مالاً كثيرًا وجب عليه أن يوصى بشىء لوالديه وأقاربه، ويبقى باقى المال لأولاده. وكان هذا فى أول الإسلام، ثم نسخ بآيات المواريث. بالعدل لا وكس فيه ولا =

فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ
عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٨٢ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ
عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم
مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ
يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ
لَّهُۥ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ١٨٤ شَهْرُ
رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ
وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ
فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ
أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ
ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا
هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١٨٥ وَإِذَا سَأَلَكَ
عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ
فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ١٨٦

= شطط. وقد أذن الله للميت بالثلث دون ما زاد عليه ﴿حَقًّا﴾ واجبا، وهذا كان قبل النسخ بآيات المواريث. ١٨١- ﴿فَمَنۢ﴾ غيرَّ أى الإيصاء ﴿بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ﴾ وليس على الموصى من ذلك شىء، فقد تخلص مما كان عليه بالوصية. ١٨٢- فمن علم من موصٍ ميلاً عن الحق خطأً أو عمدًا فأصلح ما وقع بين الورثة من الشقاق والاضطراب بسبب الوصية، بإبطال ما فيه ضرار ومخالفة لما شرعه الله، وإثبات ما هو حق، كالوصية فى قربة لغير وارث. ١٨٣- ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ أى افترض الله عليكم الصوم، وهو الإمساك عن المفطرات مع اقتران النية به، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس كما أوجبه على أمة موسى وعيسى عليهما السلام ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ بالمحافظة عليها لأنها تضعف دواعى المعاصى.

١٨٤- وكتب عليكم أن تصوموا أيامًا معينات بعدد معلوم، إشارة إلى تقليل الأيام ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾ إن كان لا يطيق الصوم، كان الإفطار عزيمة، وإن كان يطيقه مع تضرر ومشقة كان الإفطار رخصة ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ مسافة قصر الصلاة أو أكثر فعليه صيامُ عدّة ما أفطره ﴿مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ أى يتكلفونه بمشقة خارجة عن طوقهم، كالشيخ الكبير والمريض مرضًا مزمنًا ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ ومقداره نصف صاع من برّ أو تمر أو نحوهما عن كل يوم أفطره أو طعام جاهز يكفى المسكين يوما فمن زاد فى الإطعام على القَدْر، وقيل: من أطعم مع المسكين مسكينًا آخر. فهو خير له عند الله والناس والصيام خير من الإفطار مع الفدية. ١٨٥- ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ أنزل جملة من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا وقيل: أنزل فى رمضان أولُ ما نزل من القرآن، وكان نزول القرآن فى ليلة القدر هاديا للناس ﴿وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ﴾ والبينات تختص بالمحكم منه ﴿وَٱلْفُرْقَانِ﴾ ما فرق بين الحق والباطل، أى فصل. ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ﴾ أى: حَضَر، لم يكن فى سفر بل كان مقيما، فإنه إذا سافر أفطر، وإذا حضر بعضه وسافر بعضه فإنه لا يتحتم عليه إلا صوم ما حضره ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾ فرخص للمريض والمسافر فى الإفطار، واليسر: السهولة، وعدم التشديد من مقاصد الرب سبحانه فى جميع أمور الدين. ورسول الله ﷺ كان يرشد إلى التيسير وينهى عن التعسير كما فى الصحيحين كقوله ﷺ: **«يسّروا ولا تعسّروا وبشّروا ولا تنفّروا»** **﴿ولتكملوا العدة﴾** أى والقضاء لمن أفطر من مرض أو سفر لتتم لكم العدة، ويكمل الأجر ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ لتعظموه بالصوم والذكر. عن بعض السلف أنهم كانوا يكبّرون ليلة الفطر: إذا رأوا هلال شوال كبروا إلى خروج الإمام لصلاة العيد. ١٨٦- ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى﴾ جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال يا رسول الله: أقريبٌ ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟ فسكت النبى ﷺ فنزلت هذه الآية ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ﴾ فى الصحيح أن النبى ﷺ قال: **«ما من مسلم يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث خصال: إما أن يجعل له دعوته، وإما أن يدّخر له فى الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء =**

أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٌ
لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ
أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَٰشِرُوهُنَّ
وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ
ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ
إِلَى ٱلَّيْلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِۗ
تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم
بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ
أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ
عَنِ ٱلْأَهِلَّةِۖ قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ
بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ
وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ
وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٣

= مثلها» ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي﴾ ليدعوني ﴿وَلْيُؤْمِنُواْ بِي﴾ أي ليؤمنوا بأنهم إذا دعوني استجبت لهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ يهتدون. ١٨٧ - ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ والرفث كلمة جامعة لكل ما يريد الرجل من امرأته من الجماع وغيره ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ لامتزاج كل واحد منهما بالآخر، كالامتزاج الذي يكون بين الثوب ولابسه ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ بالمباشرة في ليالي الصوم، وأصل الخيانة أن يؤمّن الرجل علي شيء فلا يؤدي الأمانة فيه، وإنما سماهم خائنين لأنفسهم لأن ضرر ذلك عائد عليهم ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ قبل التوبة من خيانتهم لأنفسهم ﴿وَعَفَا عَنكُمْ﴾ يحتمل العفو من الذنب ويحتمل التوسعة والتسهيل ﴿وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ قيل: هو الولد، وقيل: المراد: اطلبوا ليلة القدر، أي فلا يشغلكم عنها ما أباح الله لكم من الرفث وكلوا وأشربوا حتى يظهر لكم ﴿ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ﴾ هو المعترض في الأفق، لا الذي هو كذنب السِّرحان، فإنه الفجر الكذاب الذي لا يحل شيئًا ولا يحرمه ﴿مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ سواد الليل، والتبيين: أن يمتاز أحدهما عن الآخر، وذلك لا يكون إلا عند دخول وقت الفجر، وقوله ﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ أوله تمام غروب الشمس ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ المباشرة هنا: الجماع. ١٨٨ - ثم ينهي ربنا عن أكل أموال الناس بالباطل ما لم يبح الشرع أخذه من مالكه، فهو مأكول بالباطل، وإن طابت به نفس مالكه: كمهر البغي، وحلوان الكاهن، وثمن الخمر ﴿وَتُدْلُواْ﴾ بأموالكم، لا تدفعوها رشوة ﴿إِلَى﴾ القضاة، ليحكموا لكم بالباطل. وحكم الحاكم لا يحلل الحرام ولا يحرم الحلال لتأكلوا قطعة أو جزءا بالظلم والعدوان ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ عن ابن عباس قال: هذا في الرجل يكون عليه مال، وليس عليه بينة، فيجحد المال، ويخاصم إلى الحكام.

١٨٩ - ﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ نزلت في معاذ بن جبل وثعلبة بن عثمة، وهما رجلان من الأنصار قالا يا رسول الله: ما بال الهلال يبدو يطلع دقيقًا مثل الخيط، ثم يزيد حتى يعظم ويستوي، ثم لا يزال ينقص ويدِقّ حتى يعود كما كان لا يكون على حال واحد؟ فنزلت ﴿قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ﴾ في حل دينهم ولصومهم ولفطرهم وعِدَدِ نسائهم والشروط التي إلى أجل، ولمناسكهم وحجهم ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ ورد أن الأنصار كانوا إذا حجوا لا يدخلون من أبواب بيوتهم، وإذا رجع أحدهم إلى بيته بعد إحرامه قبل تمام حجه، يعتقدون أن المحرم لا يجوز أن يحول بينه وبين السماء حائل. وكانوا يتسنّمون ظهور بيوتهم. ولكن البر برّ من اتقى، وكانت قريش تدعي الحمس، وكانوا يدخلون من الأبواب في الإحرام، وكانت الأنصار وسائر العرب لا يدخلون من باب في الإحرام.

١٩٠ - ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾ لما نزلت هذه الآية كان ﷺ يقاتل من قاتله، ويكفّ عمن كفّ عنه، حتى نزل قوله تعالى: =

وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ
أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ
فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ انتَهَوْا
فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ
الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ
بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا
عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ
الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ
وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ
فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ
الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ
مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ
فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ
إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾

= ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ الآية. وقيل: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ أى بقتل النساء والصبيان.

١٩١ - واقتلوا هؤلاء الذين يعتدون عليكم حيث وجدتموهم وتمكنتم من قتلهم وأخرجوهم من مكة التى أخرجوكم منها والفتنة التى أرادوا أن يفتنوكم، وهى رجوعكم إلى الكفر، أشدّ من القتل لو قتلوكم. وقيل: المراد أن الشرك الذى هم عليه أشدّ مما يستعظمونه من القتل ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ فى الحرم وهو مكة وما حولها إلى أعلام الحرم فى عرفات والتنعيم وغيرهما فإن بدؤوكم بالقتال فى حرم مكة فقاتلوهم واستمروا فى قتالهم حتى تقتلوهم. ١٩٢ - ﴿فَإِنِ﴾ كفوا - عن قتالكم ودخلوا فى الإسلام فاعفوا عنهم حينئذ، فإن الإسلام يجبّ ما قبله من الآثام. ١٩٣ - واستمروا فى قتال المعتدين حتى لا تكون لهم شوكة تمكنهم من فتنة الناس فى دينهم. ويخلص التوحيد لله وهو الدخول فى الإسلام، فمن دخل فى الإسلام وأقلع عن الشرك لم يحل قتاله فإن انتهوا - بعد ذلك فكفوا أيديكم عنهم لأنه لا عدوان إلا على الظالمين.

١٩٤ - وإذا قاتلوكم فى الشهر الحرام وهتكوا حرمته فقاتلوهم فى الشهر الحرام مكافأة لهم ومجازاة على فعلهم ﴿وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾ جمع حرمة، والحرمة ما منع الشرع من انتهاكه، ولمن تُعدى عليه فى مال أو بدن أن يتعدى بمثل ما تعدى عليه وبهذا قال الشافعى وغيره. وقال آخرون إن أمور القصاص مقصورة على الحكام، وهكذا الأموال. والأول أرجح. ١٩٥ - ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وهو الجهاد ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ أى لا تستسلموا إلى أسباب الهلاك، بل دبروا لأنفسكم أسباب النجاة. ومن التهلكة: الإقامة فى الأموال لإصلاحها، وترك الجهاد فى سبيل الله. ١٩٦ - ثم يأمر الله من أحرم بالحج أو العمرة أن يتمّ حجه أو عمرته ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ أى من أهَلّ بواحدٍ منها وجب عليه إتمامه. وقيل: إتمامهما أن تفرد كل واحد منهما من غير تمتع ولا قران ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ المحصر: من يصير ممنوعًا من مكة بعد الإحرام بمرض أو عدو أو غيره ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾. أى فانحروا أو فأهدوا ما استيسر أى ما تيسر، والهدى ما يهدى إلى البيت من الإبل أو البقر أو الغنم ليذبح فى مكة تقربًا إلى الله تعالى. وقال الحسن: أعلى الهدى بدنة، وأوسطه بقرة، وأدناه شاة ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾ هو خطاب لكل من أحرم ليس له أن يحلق رأسه حتى يذبح هديه أن كان معه هدى ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ﴾ فحلق فعليه فدية، يطعم ستة مساكين، أو يهدى شاة، أو يصوم ثلاثة أيام ﴿فَإِذَا﴾ كنتم آمنين ولم تُحصروا عن الإتمام ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ﴾ المراد بالتمتع: أن يحرم الرجل بعمرة فى أشهر الحج ثم يقيم حلالا بمكة إلى أن يحرم بالحج، فاستباح بذلك ما لا يحل للمحرم استباحته ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ يذبحه جبرًا لنقص الإتمام=

ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ
وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ
يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ
يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩٧ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن
تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ
عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ
وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ
لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ١٩٨ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ
ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٩٩
فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ
ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن
يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ
خَلَٰقٍ ٢٠٠ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا
حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١
أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ٢٠٢

= بالتمتع ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ الهدى، إما لعدم المال، أو لعدم الحيوان، صام ثلاثة أيام ﴿فِى ٱلْحَجِّ﴾ أى فى أيام الحج، وهى من عند شروعه فى الإحرام إلى يوم النحر، وتصام أيام التشريق لمن لم يجد الهدى ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ إلى الأوطان. وإنما قال سبحانه ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ﴾ لدفع توهم التخيير بين الثلاثة الأيام فى الحج والسبعة إذا رجع ﴿كَامِلَةٌ﴾ لا ينقص من عددها ﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ مكة وضواحيها وهم أهل الحرم. ١٩٧- ووقت عمل الحج، الأشهر المعلومات وهى: شوال، وذو القعدة، وذو الحجة كله. وقيل: هى شوال، وذو القعدة، وعشر من ذى الحجة. وقد استدل بهذه الآية من قال إنه لا يجوز الإحرام بالحج قبل أشهر الحج، فمن أحرم قبلها أحل بعمرة ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ﴾ أحرم به فيهن فلزمه الحج ﴿فَلَا رَفَثَ﴾ هو الجماع والإفحاش بالكلام مع النساء ﴿وَلَا فُسُوقَ﴾ الفسوق: الخروج عن حدود الشرع، سواء بفعل ما حرم فى الإحرام خاصة كحلق الشعر، أو فيه وفى غيره كالزنى، والظلم. وقيل: السباب ﴿وَلَا جِدَالَ﴾ الجدال: المماراة

﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ حث على الخير بعد ذكر الشر، وعلى الطاعة بعد ذكر المعصية ﴿وَتَزَوَّدُوا۟﴾ كان بعض العرب يقولون كيف نحج بيت ربنا ولا يطعمنا، فكانوا يحجون بلا زاد، ويقولون نحن متوكلون على الله سبحانه، فنهاهم عن ذلك ﴿فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ وفيه إخبار بأن خير الزاد اتقاءُ المنهيات وقيل: فإن خير الزاد ما اتقى به المسافر من المهلكة والحاجة إلى السؤال والتكفف، وخصص الخطاب لأولي الألباب بعد حث الجميع على التقوى لأنهم القابلون لأوامره الناهضون بها. ١٩٨- ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ من التجارة وطلب الرزق مع الحج فإذا دفعتم إلى المزدلفة ﴿مِّنْ عَرَفَٰتٍ﴾ بعد الوقوف بها فالوقوف بها فرض على الحاج ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾ هو جبل قزح الذي يقف عليه الإمام من أرض مزدلفة، وقيل: هو ما بين جبلى المزدلفة من مأزمى عرفة إلى وادى محسِّر، وذكر الله فيه التلبية، والصلاة فيه المغرب والعشاء والفجر، والدعاء بعد صلاة الفجر واذكروه ذكرا حسنًا، كما هداكم هداية حسنة وكرر الأمر بالذكر تأكيدًا. وقيل: الأول أمْر بالذكر عند المشعر الحرام، والثانى: أمر بالذكر على حكم الإخلاص. وقيل: المراد بالثانى: تعديد النعمة عليهم. ١٩٩- ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ أى من المزدلفة صباح يوم العيد وأمروا بالاستغفار لأنهم فى مساقط الرحمة، ومواطن القبول، ومظنات الإجابة. ٢٠٠- فإذا فرغتم من أعمال الحج يوم النحر، وهى: الرمى، والذبح، والحلق، وطواف الإفاضة ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ﴾ كان العرب إذا فرغوا من حجهم يقفون عند الجمرة فيذكرون مفاخر آبائهم، ومناقب أسلافهم، فأمرهم الله بذكره مكان ذلك الذكر بل أشد ذكرًا فمن الناس من يكون همّه الدنيا فقط وما له فى الآخرة من نصيب. أى وما لهذا الداعى من نصيب يطلبه فى الآخرة، لأن همه مقصور على الدنيا لا يريد غيرها، وفى هذا النهى عن الاقتصار على طلب الدنيا، =

۞ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي
يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۖ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ
وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٠٣ وَمِنَ
ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ
عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ٢٠٤ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ
فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ
لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ٢٠٥ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ
بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ٢٠٦ وَمِنَ
ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ
رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٢٠٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ
فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ
إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨ فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ
مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
٢٠٩ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ
وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٢١٠

= والذم لمن جعلها غاية رغبته، ومعظم مقصوده. ٢٠١- وفيهم من يسأل الله خير الدنيا والآخرة وحسنة الدنيا ما يطلبه الصالحون فى الدنيا، من زوجة حسناء، وولد صالحين، وطيبات الرزق. وحسنة الآخرة رضى الرحمن، والحور العين، وطيبات ما أعدّ الله للمتقين المحسنين.

٢٠٢- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى الفريق الثانى الذين سألوا الله خير الدنيا والآخرة لهم الثواب العظيم بسبب ما قدموه فى صالح الأعمال ومن جملة أعمالهم الدعاء ثم وصف نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم، وأنه لا يشغله شأن عن شأن، فيحاسبهم فى حالة واحدة.

٢٠٣- ﴿فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖ﴾ هى أيام منى، وهى أيام رمى الجمار، وهى أيام التشريق بلا خلاف، والذكر المأمور به، رمى الجمار وتكبير الحجاج بمنى، وتكبير سائر الناس فى أمصارهم بعد الصلوات وغيرها من غداة عرفة إلى صلاة العصر من آخر النحر فمن رمى فى اليوم الثانى من الأيام المعدودات فلا حرج، ومن تأخر إلى الثالث فلا حرج: كل ذلك مباح ﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ معناه: أن رفع الإثم ثابت لمن اتقى الله فى حجه. وقيل: لمن اتقى بعد انصرافه من الحج عن جميع المعاصى.

٢٠٤- ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ هم طائفة المنافقين الذين يظهرون الإيمان، ويبطنون الكفر. نزلت فى منافق خرج من عند النبى ﷺ فمر بزرع لقوم من المسلمين وحمر، فأحرق الزرع، وعقر الحمر ﴿وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ﴾ يحلف على ذلك فيقول يشهد الله على ما فى قلبى من محبتك أو من الإسلام ﴿أَلَدُّ﴾ الألد: الشديد الخصومة.

٢٠٥- وإذا أدبر وذهب عنك يا محمد ظهر على حقيقته و﴿سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بما يصنع بها من التخريب، كالتدبير على المسلمين بما يضرهم، وإعمال الحيل عليهم ويهلك الزرع والأولاد ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ٢٠٥﴾ يشمل كل نوع من أنواعه من غير فرق بين ما فيه فساد الدين، وما فيه فساد الدنيا. وقيل: معناه: أن يلى الظالم الملك، فيفسد فى الأرض، فيمسك الله المطر، فيهلك بسبب ذلك الحرث والنسل. ٢٠٦- وإذا طلب من هذا المنافق أن يخاف الله أخذته الحمية عن قبول الوعظ للإثم الذى فى قلبه، وهو النفاق. وقيل معناه: حملته الغلبة وشدة النفس على الإثم، وقيل: أى ارتكب الكفر تعزُّزًا واستكبارًا ﴿فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ أى: كافية معاقبة وجزاء ﴿ٱلۡمِهَادُ ٢٠٦﴾ الموضع المهيأ للنوم. ٢٠٧- وفى مقابل هذا الصنف المنافق فريق آخر يبيع نفسه فى مرضاة الله كالجهاد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. ٢٠٨- ولما ذكر الله سبحانه أن الناس ينقسمون إلى ثلاث طوائف: مؤمنين، وكافرين، ومنافقين، أمرهم بعد ذلك بالدخول فى الإسلام كله بألسنتهم وقلوبهم جميعًا، وأن يعملوا بكل أحكامه - أصولها وفروعها ولا يطيعوا ما يأمرهم به الشيطان من الشبهات والمعاصى ليضلهم ويحزنهم فليأخذوا حذرهم منه. ٢٠٩- فإن ضللتم وعرَّجتم عن الحق ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾ الدالة على=

سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ
ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۘ وَٱلَّذِينَ
ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ
﴿٢١٢﴾ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ
وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ
فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ
مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ
صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا
يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ
وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِۗ
أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلْ
مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ
وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾

= أن الدخول فى الإسلام هو الحق ﴿فَاعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب لا يعجزه الانتقام منكم ﴿حَكِيمٌ﴾ لا ينتقم إلا بحق. ٢١٠- هل ينتظر التاركون للدخول فى السّلم إلا أن يأتيهم الله بما وعدهم من الحساب والعذاب وأن تأتيهم الملائكة لتنفيذ أمر الله فيهم. والغمام: السحاب الرقيق الأبيض ﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ أى هو واقع لا محالة، أى وفُرغ من الأمر الذى هو إهلاكهم.

٢١١- واسألوا أيها المؤمنون بنى إسرائيل عن الآيت التى آتيناهم وكيف عوقبوا شديد العقاب عندما بدلوا نعمة الله كفرا. فكذلك من دُعِى من الناس إلى الدخول فى الإسلام كافة، فأبى وكفر بآيات الله والبراهين التى جاء بها أنبياؤهم ومن يغير ﴿نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾ هدايته ودينه. وتبديلها بالكفر بها بدل شكر الله عليها ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ فيه من الترهيب والتخويف ما لا يقدر قدره.

٢١٢- ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ الكافر افتتن بهذا التزيين وأعرض عن الآخرة، والمسلم لم يفتتن به، بل أقبل على الآخرة ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ لكونهم فقراء ليس حظهم من الدنيا كحظ رؤساء الكفر، وأساطين الضلال، الذين يرون عرض الدنيا عندهم هو الأمر الذى يكون من ناله سعيدًا رابحا، ومن حُرِمَه شقيا خاسرا.. وقد كان غالب المؤمنين إذ ذاك فقراء لانشغالهم بالعبادة وأمر الآخرة وعدم التفاتهم إلى الدنيا وزينتها لانشغالهم ولما وقع من الكفار ما وقع من السخرية بالمؤمنين ردّ الله عليهم ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ لأنهم فى الجنة والكفار فى النار.

٢١٣- و ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ﴾ كلهم على دين واحد هو الإسلام شريعة من الحق بين آدم ونوح، وقيل: المراد نوح ومن فى سفينته، فاختلفوا. ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ لهداية البشر ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ البشارة لأهل الإيمان وصلاح الأعمال، والنذارة لأهل الكفر والفساد ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أى جنس الكتب السماوية أى ليكون حكمًا بين الناس ﴿فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ من العقائد وشئون الغيب، وحسن الأعمال وقبحها. فوفق الله. ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ﴾ فى الكتب السماوية السابقة، وهم بنو إسرائيل وأتباع عيسى ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ أوتوا الكتاب ولم يختلفوا إلا للبغى: أى الحسد والحرص على الدنيا، بدلا من أن يكون الكتاب للاتفاق والسير على طريق الهداية فهدى الله أمة محمد ﷺ إلى الحق، بما بينه لهم فى القرآن من اختلاف من كان قبلهم بأمره. عن أبى هريرة قال: قال النبى ﷺ: «**نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، وأول الناس دخولاً بَيْدَ أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم، فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق، فهذا اليوم الذى اختلفوا فيه - يعنى يوم الجمعة - فهدانا الله له، فالناس لنا فيه تبع، فغدًا لليهود، وبعد غد للنصارى**» رواه البخارى ومسلم وغيرها.

٢١٤- هل تظنون أن تدخلوا الجنة ولم تمتحنوا بمثل ما امتُحن به من كان قبلكم من أتباع الأنبياء، فتصبروا كما صبروا؟ ﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ﴾ الفقر المدقع والأمراض والجراحات فى سبيل الله وخُوِّفوا وأزعِجوا إزعاجًا شديدًا حتى قال الرسول =

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا
شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ
الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ
وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ
عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ
حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ
مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ
أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ
هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ
هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ
اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ۞ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ
وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا
أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ
كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾

ربع الحزب ٤

= ومن معه ﴿مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ﴾ قالوا هذه المقالة لطلب النصر، واستبطاء حصوله، واستطالة تأخره، فبشرهم الله سبحانه بقوله: ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾.

٢١٥- وسألوا عن الشىء الذى ينفقونه ما هو؟ فأجيبوا ببيان المصرف تنبيها على أنه الأولى بالقصد. وقد تقدم الكلام فى الأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل الآية ١٧٧.

٢١٦- وفرض الله القتال عليهم من جملة ما امتحنوا به والمراد بـ﴿الْقِتَالُ﴾ قتال الكفار وهو ﴿كُرْهٌ﴾ والكُره بالضم: المشقة التى تكرهها النفوس، وكان الجهاد كرها لأن فيه إخراج المال، ومفارقة الأهل والوطن، والتعرض لذهاب النفس ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا﴾ الجهاد لما فيه من المشقة ﴿وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ فربما تغلبون وتظفرون وتغنمون وتُؤجَرون، ومن مات مات شهيدًا ﴿وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا﴾ الدعة وترك القتال ﴿وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ فربما يتقوى عليكم العدو فيغلبكم، ويقصدكم إلى عقر دياركم، فيحل بكم أشد مما تخافونه من الجهاد الذى كرهتم، مع ما يفوتكم فى ذلك من الفوائد العاجلة والآجلة ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما فيه صلاحكم وفلاحكم ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ عن ابن شهاب فى الآية قال: «الجهاد مكتوب على كل أحد غزا أو قعد، فالقاعد إن استعين به أعان، وإن استغيث به أغاث، وإن استنفر نفر، وإن استغنى عنه قعد». ٢١٧- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ بعث رسول الله ﷺ سرية، فلقوا عمرو بن الحضرمى وهو مقبل من الطائف، وكانت أول ليلة من رجب الحرام، ولم يشعروا، فقتله رجل منهم، وأخذوا ما كان معه. وإن المشركين أرسلوا يعيرونه بذلك، فنزلت الآية. والمعنى يسألونك عن القتال فى الشهر الحرام والأشهر الحرم هى: ذو القعدة، وذو الحجة، ومحرم، ورجب، ثلاثة سَردٌ، وواحد فرد ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ أى القتال فيه ذنب كبير مستنكر ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ﴾ وكان كفار مكة يفعلون ذلك كله والمراد بالفتنة هنا فتنة المستضعفين من المؤمنين عن دينهم بالتعذيب والإخراج فهى أكبر من قتلهم لو قتلتموهم ولا يزالون مستمرين على قتالكم وعداوتكم حتى يردوكم عن الإسلام إلى الكفر ﴿إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ ذلك وتهيأ لهم منكم بطلت وفسدت أعمالهم ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ لا يبقى للمرتد حكم المسلمين فى الدنيا، ولا ينال شيئًا من ثواب الآخرة الذى يوجبه الإسلام، ويستحقه أهله إذا مات على الكفر. ٢١٨- والذين آمنوا وهاجروا من دار الكفر إلى دار الإسلام وجاهدوا فى سبيله هؤلاء ﴿يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾. ٢١٩- الخمر: ماء العنب الذى غلا واشتد وقذف بالزبد، أى تُرك حتى أخذ يفور دون أن تقر به نار، وما خامر العقل من غيره فهو فى حكمه ﴿وَالْمَيْسِرِ﴾ قمار العرب بالأزلام كانوا يتقامرون بها على لحم البعير، ومن كسب يوزَّع ما يأخذه على فقراء الحى، وكانت الأزلام قطعًا من الخشب، وللمقامرة بها طريقة معينة. قال جماعة من السلف: كل لعب يأخذ فيه الغالب مالاً من المغلوب - فهو قمار. ﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ يعنى الخمر والميسر، فإثم الخمر ما يصدر عن فاسد العقل من =

فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ
خَيۡرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ
ٱلۡمُصۡلِحِۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٢٠
وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ
مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ
يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ أُوْلَٰٓئِكَ
يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ
وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٢٢١ وَيَسۡـَٔلُونَكَ
عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ
وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ
أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢
نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ
وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ
٢٢٣ وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ أَن تَبَرُّواْ
وَتَتَّقُواْ وَتُصۡلِحُواْ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢٢٤

= المخاصمة والمشاتمة وقول الفحش والزور، وتعطيل الصلوات، وترك سائر ما يجب عليه. وإثم الميسر: الفقر وذهاب المال، والعداوة وإيحاش الصدور، وأما منافع الخمر فربح التجارة فيها، وما يصدر عنها من الطرب والنشاط وقوة القلب وثبات الجنان وإصلاح المعدة ومنافع الميسر: ما يحصل عليه الغالبون من مال أو نحوه ﴿وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَا﴾ لأنه لا خير يساوى ما فيه من المخاطرة بالمال، والتعرض للفقر، واستجلاب العداوات المفضية إلى سفك الدماء وهتك الحُرم ويسألونك عن مقدار ما ينفقون تطوعًا. قل ما فضل عن نفقة العيال. وقيل: إن هذه الآية منسوخة بآية الزكاة المفروضة. ﴿تَتَفَكَّرُونَ ٢١٩ فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ فتحبسون من أموالكم ما تصلحون به معايش دنياكم، وتنفقون الباقى فى الوجوه المقرَّبة إلى الآخرة، وفى ﴿وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ فترغبون عن العاجلة إلى الآجلة ﴿إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞ﴾ أى خير من تركه ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ﴾ يكون لأحدهم المال، ويشق على كافله أن يفرد طعامه عنه، فيأخذ من مال اليتيم ما يرى أنه كافيه بالتحرى، فيجعله مع نفقة أهله، وهذا قد تقع فيه الزيادة والنقصان، فدلت هذه الآية على الرخصة فى ذلك ﴿فَإِخۡوَٰنُكُمۡ﴾ أى فذلك جائز، فهم إخوانكم فى الدين والله يعلم من يتعمد أكل مال اليتيم، ومن يتحرَّج منه ولا يألو عن إصلاحه ولو شاء الله يحرم عليكم مخالطتهم فيشق ذلك عليكم ولكنه يسر عليكم ووسَّع، فأذن لكم بمخالطتهم، فاتقوا إفساد أموالهم لأن ذلك يعرّض لنقمة العزيز الحكيم. ٢٢١- ﴿وَلَا تَنكِحُواْ﴾ المشركات الوثنيات، ومثلهن سائر النساء الكافرات، إلا نساء النصارى واليهود فيجوز للمسلمين التزوج منهن، كما فى الآية - ٥ - من سورة المائدة ولأن يتزوج أحدكم مملوكة مسلمة خير له من أن يتزوج حرة كافرة ﴿وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ﴾ المشركة من جهة كونها ذات جمال أو مال أو شرف ﴿وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ أى لا تزوجوهم بالمؤمنات ﴿حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْ﴾ وأجمعت الأمة على أن المشرك لا يطأ المؤمنة بوجهٍ من الوجوه، لما فى ذلك من الغضاضة على الإسلام ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى المشركين والمشركات ﴿يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ بعشرتهم وأقوالهم وأفعالهم، أى إلى الأعمال الموجبة للنار، فكان فى مصاهرتهم ومعاشرتهم ومصاحبتهم من الخطر العظيم ما لا يجوز للمؤمنين أن يتعرضوا له ويدخلوا فيه وتزويج المؤمن الصالح والمؤمنة الصالحة يدعو إلى الجنة بعشرته وقوله وفعله. ٢٢٢- ﴿ٱلۡمَحِيضِ﴾ الحيض ﴿قُلۡ هُوَ أَذٗى﴾ كناية عن القذر والضرر ﴿فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ﴾ فى زمن الحيض. والمراد من هذا الاعتزال ترك المجامعة لا ترك المجالسة أو الملامسة، فإن ذلك جائز، ويجوز الاستمتاع منها بما عدا الفرج، أو بما دون الإزار ﴿وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَ﴾ والطهر انقطاع الحيض. ﴿فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ﴾ إذا اغتسلن بالماء، أى فلا يحل إتيان الحائض حتى ينقطع حيضها وتغتسل بالماء. ويقوم التيمم مقام الماء عند عدمه ﴿فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾ يجامعوهن فى المأتى الذى أباحه الله، وهو القبل، وقيل: من قبل الحلال لا من قبل الزني والحرام، ﴿ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ المراد: التوابون من الذنوب، والمتطهرون من =

لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ
قُلُوبُكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ٢٢٥ لِّلَّذِينَ يُؤۡلُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ تَرَبُّصُ
أَرۡبَعَةِ أَشۡهُرٖۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٢٦ وَإِنۡ عَزَمُواْ
ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢٢٧ وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ
بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكۡتُمۡنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ
أَرۡحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤۡمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ
فِي ذَٰلِكَ إِنۡ أَرَادُوٓاْ إِصۡلَٰحٗاۚ وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ
وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢٢٨ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ
فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن
تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ
ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ
بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٢٩ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ
زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن
يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٢٣٠

= الجنابة والأحداث. ٢٢٣- ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ﴾ مُزدرعُ الذرية كما أن الحرث مزدرع النبات ولا حرج فى إتيان النساء من أى جهة شئتم من خلف، وقدام، وباركة، ومستلقية، ومضطجعة، إذا كان فى موضع الحرث، ﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡ﴾ أى خيرًا تجدونه عند الله ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ عن الوقوع فى شىء من المحرمات ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ﴾ مبالغة فى التحذير. ٢٢٤- وإذا حلفتم على مقاطعة ذوى أرحامكم، أو ألا تتصدقوا، فلا تجعلوا يمينكم بالله مانعة لكم من فعل البر، بل كفِّر عن يمينك واصنع الخير. والله سميع لاقوالكم عليم بنواياكم.

٢٢٥- ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ﴾ اللغو قول الرجل: لا والله، وبلى والله، فى حديثه وكلامه، غير معتقد لليمين، ولا مريد لها، وكذا فى الهزل والمزاح، فهذا لا إثم فيه ولا حنث ولا كفارة، لأنه ليس بيمين حقيقة ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ أى حيث لم يؤاخذكم بما تقولونه بألسنتكم من دون عمد وقصد، وجعل لكم سبيلا إلى الحنث بالكفارة ﴿حَلِيمٞ ٢٢٥﴾ لا يعاجل بالعقوبة. وفى الصحيحين وغيرهما عن النبى ﷺ قال: «من حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها فليأت الذى هو خير وليكفّرْ عن يمينه». ٢٢٦- الإيلاء: أن يحلف الرجل ألا يطأ امرأته ﴿تَرَبُّصُ أَرۡبَعَةِ أَشۡهُرٖ﴾ انتظار هذه المدة ولا شىء عليه فيها، أما بعدها فإن طالبته المرأة وقفه القاضى، فإما أن يفىء أو يطلق، فإن أبى طلق عليه القاضى بطلب المرأة فإن رجعوا عن اليمين المذكورة، وإلى بقاء الزوجية واستدامة النكاح فإن الله غفور لما كان منهم رحيم بهم. ٢٢٧- ﴿وَإِنۡ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢٢٧﴾ فإن أبى الطلاق طلق عليه القاضى رفعًا للضرر الذى يلحق المرأة. ٢٢٨- والمطلقات الحرائر ﴿يَتَرَبَّصۡنَ﴾ التربص: الانتظار ثلاث حيضات وما بينهن من الأطهار ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكۡتُمۡنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرۡحَامِهِنَّ﴾ من الحيض أو الحمل ﴿إِن كُنَّ يُؤۡمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ فيه وعيد شديد للكاتمات، من كتمت ذلك منهن لم تستحق اسم الإيمان وأزواجهن ﴿أَحَقُّ﴾ برجعتهن فى مدة التربص، فإن انقضت مدة التربص فهى أحق بنفسها ﴿إِنۡ أَرَادُوٓاْ إِصۡلَٰحٗا﴾ بالمراجعة، فإن قصد الإضرار بها فهى محرمة ولهن حقوق وعليهن واجبات بالمعروف فيحسن عشرتها، وتحسن هى عشرته ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ﴾ منزلة ليست لهن، وهو قيامه عليها فى الإنفاق، وكونه من أهل الجهاد والتدبير والقوة. والله غالب لا يغالب حكيم يفعل بعباده ما فيه صلاحهم. ٢٢٩- والطلاق الذى تثبت فيه الرجعة للأزواج هو مرتان، أى الطلقة الأولى والثانية، إذ لا رجعة بعد الثالثة ﴿مَرَّتَانِ﴾ مرة بعد مرة: لا طلقتان دفعة واحدة، وبعد كل مرة من مرتى الطلاق هاتين: إما إمساك وهو الرجعة ﴿بِمَعۡرُوفٍ﴾ بحسن العشرة وأداء الحقوق ﴿أَوۡ تَسۡرِيحُۢ﴾ أى: أن مراجعتها حتى انتهاء عدتها، ويسرحها إلى بيت أهلها بطيب من القول، ويعطيها المتعة وهى هدية أو مال ﴿شَيۡـًٔا﴾ أى لا يحل للأزواج أن يأخذوا مما دفعوه إلى نسائهم من المهر على وجه المضارة لهن ﴿فَإِنۡ خِفۡتُمۡ﴾ الخطاب هنا للأئمة والحكام، أو المتوسطين بين =

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ
سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ
ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُوا۟
نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ
يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾
وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ
أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ
مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ
يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ
حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ
وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ
وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ
فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ
أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ
ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾

نصف الحزب ٤

= الزوجين للإصلاح ﴿أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ حسن العشرة والطاعة، فإن خافا ذلك ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ ببذل شيء من المال يرضى به الزوج فيطلقها لأجله، وهذا هو الخلع. فيجوز إن لم يكن من الزوج عَضْلٌ ولا إضرار وأحكام النكاح والفراق المذكورة، هي حدود الله التي أمرتم بامتثالها ﴿فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ بالمخالفة لها. ٢٣٠- ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ بعد المرتين السابق ذكرهما طلقة أخرى وهي الثالثة ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ﴾ تتزوج بزوج آخر ويجامعها فيه فإن قصد الزوج الثاني التحليل للأول فإن ذلك حرام للأدلة الواردة في ذمِّه وذم فاعله، وأنه التيس المستعار الذي لعنه الشارع، ولعن من اتخذه لذلك، ولا تحل بذلك الزواج للزوج الأول فإن طلقها الزوج الثاني، أو فارقها بموت أو فسخ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ﴾ إلى الزوج الأول والمرأة أن يرجع كل واحد منهما لصاحبه، فلهما أن يعقدا الزواج من جديد، وتكون عنده على ثلاث تطليقات إن ظنا أنهما سيقيمان حدود الله بينهما من حقوق الزوجية الواجبة لكل منهما على الآخر ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ إشارة إلى الأحكام المذكورة يبينها لقوم يعلمون أن فيها الخير لهم. ٢٣١- وإذا طلقتم النساء فقاربن آخر العدة فراجعوهن ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ من غير قصد لضرار ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ أي يتركها حتى تنقضي عدتها من غير مراجعة ضرارًا ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا﴾ أي لا لحاجة ولا لمحبة، ولكن لقصد تطويل العدة، وتوسيع مدة الانتظار، إضرارًا وإيذاء للمرأة ومن يفعل ذلك فقد عرَّض نفسه للعذاب ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾ فإنها جدٌّ كلها، فمن هزل فيها فقد لزمته، نهاهم أن يفعلوا كما كانت الجاهلية تفعل، فإنه كان يطلق الرجل منهم أو يعتق أو يتزوج، ويقول كنت لاعبًا. ومن طلق هازلاً فإن الطلاق يلزمه. واذكروا أنعم الله عليكم وأهمها الإسلام وشرائعه بعد أن كنتم في جاهلية جهلاء، وظلمات بعضها فوق بعض والقرآن والسنة والله يعَلِّمُكُم ويخوفكم بما أنزل عليكم. ٢٣٢- ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ الخطاب للأزواج، والعضل: أن يمنعوهن من أن يتزوجن من أردن بعد انقضاء عدتهن، لحمية الجاهلية، كما يقع كثيرًا من الخلفاء والسلاطين، غيره على من كنَّ تحتهم من النساء أن يصرن تحت غيرهم. وقيل: الخطاب للأولياء، نُهي أحدهم أن يمنع بنته أو أخته المطلقة من الرجوع إلى زوجها في عدتها، أو من تزوجها بعد انقضاء عدتها بشروطه كما تقدم ﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ﴾ أي أنمى وأنفع لكم وأطهر لأعراضكم من الأدناس والله يعلم ما فيه صلاحكم واجتنبوا نواهيه ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك فامتثلوا أوامره. ٢٣٣- ولما ذكر الله النكاح والطلاق ذكر الرضاع، لأن الزوجين قد يفترقان وبينهما ولد فبين أن الوالدات المطلقات يرضعن أولادهن سنتين تحقيقًا لا تقريبًا، فليس بعد الحولين رضاع ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ إرضاع الحولين ليس حتمًا، بل هو التمام، ويجوز الاقتصار على ما دونه يرضى والدي الطفل وعلى الأب الذي يولد له حقًا لأم الولد القائمة بإرضاعه إطعامُها وكسوتها، ولهذا ينسبون إليهم دونهن، كأنهن إنما ولدن لهم فقط، وهذا في المطلقات، وأما غير المطلقات فنفقتهن وكسوتهن=

وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ
أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ
فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ
٢٣٤ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ
أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ
وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ
وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ
وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟
أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ٢٣٥ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ
مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ
قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ
٢٣٦ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ
لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟
ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ
وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ٢٣٧

= واجبة على الأزواج من غير إرضاعهن لأولادهن لا تكلف المرأة الصبر على التقتير فى الأجرة، ولا يكلف أبو الطفل ما هو إسراف، وما لا يقدر عليه من النفقة، بل يراعى القصد ولا تضارر الأمُّ الأبَ بسبب الولد بأن تطلب منه ما لا يقدر عليه من الرزق والكسوة، ولا يضاررها زوجها بأن يقصِّر عليها فى شىء مما يجب عليه، أو ينتزع ولدها منها بلا سبب وإذا مات الأب كان على وارث هذا الصبى المولود إرضاعه، كما كان يلزم أباه ذلك، وقيل: المراد بالوارث وارث الأب تجب عليه نفقة المرضعة وكسوتها بالمعروف. ويحرم على هذا المنفق من الإضرار بالأم ما كان يحرم على الأب من ذلك فإن أراد الفطام عن الرضاع قبل العامين وصادرا عن تراض من الأبوين إذا كان الفصال قبل الحولين ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ فلا بد لأحد الأبوين إذا أراد فطام الرضيع أن يراضى الآخر ويشاوره حتى يحصل الاتفاق بينهما على ذلك وأن تطلبوا لهم من يرضعهم من النساء سوى أمهاتهم. فلا بأس عليكم أن تسترضعوا أولادكم غير أمهاتهم إذا سلمتم إلى الأمهات أجرهن بحساب ما قد أرضعن لكم إلى وقت الاسترضاع أو إلى المرضعات ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ من أجر أى دون مماطلة أو نقص فإن عدم توفير أجرهن يبعثهن على التساهل بأمر الصبى والتفريط فى شأنه. وجواز استرضاع غير الأم مشروط بعدم المضارة بالأم كما فى أول هذه الآية. ٢٣٤- لما ذكر سبحانه عدة الطلاق عقب ذلك عدة الوفاة فيجب على المتوفى عنها زوجها أن تعتد أربعة أشهر وعشرة أيام بلياليها، ووجه الحكمة فى جعل العدة للوفاة هذا المقدار، أن الجنين يتحرك فى الغالب لأربعة أشهر، فزاد الله سبحانه على ذلك عشرا، لأن الجنين ربما يضعف عن الحركة والتربص: التأنى والتصبر عن النكاح للصغيرة والكبيرة وذات الحيض والآيسة، عدتهن جميعًا للوفاة أربعة أشهر وعشر ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ بانقضاء العدة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ﴾ من التزين والتعرض للخطاب والتزوُّج إن أردن ذلك ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ الذى لا يخالف شرعًا ولا عادة مستحسنة. وقد استدل بذلك على وجوب الإحداد على المعتدة عدة الوفاة. والإحداد: ترك الزينة من الطيب، ولبس الثياب الجيدة والحلى. ٢٣٥- ولا إثم عليكم أيها الرجال فيما تعرّضون به من الرغبة فى خطبة المتوفى عنها زوجها دون تصريح بذلك والتعريض ضد التصريح، والتعريض: أن يذكر شيئًا يدل به على شىء لم يذكره، كما يقول المحتاج: جئتك لأسلم عليك، ولأنظر إلى وجهك، والخِطبة بالكسر: ما يفعله الطالب من الطلب، والاستلطاف بالقول والفعل أو سترتم وأضمرتم من التزويج بعد انقضاء العدة علم الله أنكم لا تصبرون عن النطق لهن برغبتكم فيهن، فرخص لكم بالنسبة للمعتدة من الوفاة فى التعريض دون التصريح ولا يقل الرجل لهذه المعتدة تزوجينى، بل يعرِّض تعريضًا ﴿إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ هو ما أبيح من التعريض، كأن يقول لها إنك لجميلة، وإن النساء لمن حاجتى. ولا تعقدوا عقد النكاح ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾ نهاية العدة. وتحريم عقد النكاح فى العدة مجمع عليه، ولا تحل به المرأة. ٢٣٦- لا تبعة عليكم من الإثم أو=

حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ
قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَآ أَمِنتُمْ
فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ
﴿٢٣٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً
لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن
مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ
بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ
ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ
إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ
فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى
ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾
وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾
مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا
كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

٣٩

ثلاثة أرباع الحزب ٤

= المهر ونحوه إن طلقتم النساء فى هذه الحالة اللاتى لم تمسُّوهن، والمسيس الجماع فإن وجد المسيس وجب المسمى أو مهر المثل وأعطوهن شيئًا يكون متاعًا لهن، من كسوة أو ذهب أو نحوه، ليكون عوضًا عما فاتهن من المهر والاعتبار فى ذلك بحال الزوج، فالمتعة من الغنى فوق المتعة من الفقير متاعًا ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ ما عرف فى الشرع والعادة الموافقة له حقًّا واجبًا على من يحسنون معاملة الناس. ٢٣٧- ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾ قبل الدخول بهن فالواجب عليكم نصف ما سميتم لهن من المهر إلا أن يتركن هذا النصف الذى أوجبه الله لهن على الأزواج، فلا حرج على الأزواج فى عدم إعطائهن أو يعفو الزوج فيعطيها المهر كاملا، أو لا يسترد منه شيئًا بعد الطلاق إن كان قد سلمه لها ويرغّب الله كلا منهما فى العفو لصاحبه، ومن عفا منهما كان أقرب للتقوى وعلى الزوجين ألا ينسيان التفضل من كل واحد منهما على الآخر، الموصلة التى قد وقعت بينهما.
(٤٢٨) ثم أمر ربنا بالمحافظة على الصلوات والمحافظة: هى المداومة والمواظبة، وأفرد ﴿ٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ وهى صلاة العصر فى صلاتكم طائعين وأمرهم فيها بالقيام،

أى وقوفًا على أرجلهم بسكون، وهذا فى صلاة الفرض، أما صلاة التطوع فيجوز فيها الجلوس، ويجوز الصلاة على الراحلة ونحوها. ٢٣٩- وفى حال شدة الخوف جاز لكم أن يصلى الراكب على دابته، والراجل على رجليه، مستقبلاً القبلة، أو دون استقبال، مع الحركة والانتقال، والضرب والكرّ والفر فإذا زال خوفكم فارجعوا إلى ما أمرتم به من إتمام الصلاة مستقبلين القبلة، قائمين بجميع شروطها وأركانها، وهو قوله: ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم﴾ من الشرائع ﴿مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾. ٢٤٠- ويجب على الذين يتوفون، أن يوصوا قبل نزول الموت بهم لأزواجهم، أن يمتَّعْنَ بعدهم حولا كاملاً، ولا يخرجن من مساكنهنّ ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ باختيارهنّ قبل الحول فلا حرج على الولى والحاكم وغيرهما ﴿فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ﴾ من التعرض للخطاب والتزين لهم ﴿مِن مَّعْرُوفٍ﴾ أى بما هو معروف فى الشرع غير منكر، وفيه دليل على أن النساء كن مخيرات فى سكنى الحول، وليس ذلك بحتم عليهن. وقيل السكنى لسنة منسوخة بآيات المواريث. والخروج لا يكون إلا بعد العدة. ٢٤١- قيل: المتعة واجبة لكل مطلقة، وقيل: إن هذه الآية شاملة للمتعة الواجبة، وهى متعة المطلقة قبل البناء والفرض، وغير الواجبة وهى متعة سائر المطلقات فإنها مستحبة فقط. وقيل: المراد بالمتعة هنا النفقة. وقال ابن عمر: لكل مطلّقةٍ مُتْعَةٌ إلا التى تطلقها ولم تدخل بها، كفى بنصف المهر متاعًا. ٢٤٣- عن ابن عباس قال: كانوا أربعة آلاف خرجوا فرارًا من الطاعون، وقالوا نأتى أرضا ليس بها موت، حتى إذا كانوا بموضع كذا وكذا ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ﴾ فماتوا، فمر عليهم نبى من الأنبياء فدعا ربه أن يحييهم حتى يعبدوه فأحياهم وهم ألوف كثيرة ﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ الطاعون فقال لهم الله موتوا أمر تكوين، فماتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس جميعًا، أما هؤلاء الذين خرجوا فلِكَونِهِ أحياهم ليعتبروا، وأما المخاطبون فلكونه قد =

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟
لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ
هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ
قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا
مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟
إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ
لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ
قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ
مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ
عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ
يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾
وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ
ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا
تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

= أرشدهم إلى الاعتبار والاستبصار بقصة هولاء، ليعلموا أن الله قادر على كل شيء. والغرض من إيراد هذه القصة تشجيع المسلمين على الجهاد. ٢٤٥- ولما أمر سبحانه بالقتال والجهاد أمر بالإنفاق في ذلك. وإقراض الله مَثَلٌ لتقديم العمل الصالح الذي يستحق به فاعله الثواب طيبةً به نفسه من دون مَنٍّ ولا أذى ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾ أي يكثره له وينميه حتى يكون مثل الأصل والقبض: التقليل في الرزق، والبسط: التوسيع، وفيه وعيد بأن من بخل من البسط يوشك أن يبدل عليه بالقبض وإليه ترجعون فيجازيكم بما قدمتم، وإن بخلتم عاقبكم.

عن ابن زيد قال: يَبْسُطُ عليك وأنت ثقيل عن الخروج للجهاد لا تريده، ويقْبِضُ عن هذا وهو يطيب نفسًا بالخروج ويخف له، فقوه مما بيدك يكن لك الحظ. ٢٤٦- الملأ: الأشراف من الناس، ذكر الله سبحانه قصتهم للتحريض على القتال بعد القصة المتقدمة واستولت الأمم على ديارهم من بعد وفاة موسى ﴿لِنَبِىٍّ لَّهُمُ﴾ قيل هو صمويل ﴿ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا﴾ نرجع إليه ونعمل على رأيه ونقاتل معه فلما فرض تولوا لاضطراب نياتهم وفتور عزائمهم. ٢٤٧- ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾ وهو صمويل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ يسّره لكم وأمركم بطاعته والقتال معه.

قيل: إن طالوت لم يكن من سبط النبوة، وهم بنو لاوى، ولا من سبط الملك، وهم بنو يهوذا، فلذلك قالوا كيف ذلك ولم يكن من بيت الملك، ولا هو ممن أوتى سعة من المال، حتى نتبعه لشرفه أو لماله (اصطفاه عليكم) واختيار الله هو الحجة القاطعة ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ﴾ الذي هو مِلاكُ الإنسان ورأس الفضائل، وأعظم وجوه الترجيح، وزاده بسطة في ﴿ٱلْجِسْمِ﴾ الذي يظهر به الأثر في الحروب ونحوها، فكان قويا في دينه وبدنه وذلك هو المعتبر، لا شرف النسب. فإن فضائل النفس مقدمة عليه ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ﴾ فالملك ملكه، والعبيد عبيده، فما لكم والاعتراض على شيء ليس هو لكم ولا أمره إليكم وهو سبحانه واسع الفضل، عليم بمن يستحق الملك ويصلح له.

٢٤٨- عن ابن عباس: «كانت العماليق قد سَبَوا التابوت من بني إسرائيل، فجاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والأرض وهم ينظرون إليه حتى وضعته عند طالوت، فلما رأوا ذلك قالوا: نعم، فسلموا له وملكوه، وكانت الأنبياء إذا حضروا قتالا قدَّموا التابوت بين أيديهم» والسكينة من السكون، وهي الوقار والطمأنينة، أي: فيه سبب سكون قلوبكم فيما اختلفتم فيه من أمر طالوت ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾ هي عصا موسى ورُضَاضُ الألواح التي كتبت فيها التوراة أول مرة، وقيل غير ذلك. قيل: والمراد بآل موسى وهارون هما أنفسهما، أي مما ترك هارون وموسى.

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم
بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ
مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا
مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا
لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ
يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ
غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾
وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ
عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ
دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ
وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم
بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو
فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ
نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

٢٤٩- فلما خرج بهم عن البلد مر، ﴿بِنَهَرٍ﴾ قيل هو بين الأردن وفلسطين. والمراد بهذا الابتلاء اختبار طاعتهم، فمن أطاع فى ذلك الماء أطاع فيما عداه، ومن عصى فى هذا وغلبته نفسه فهو بالعصيان فى سائر الشدائد أحرى. ورخَّص لهم فى الغرْفة ليرتفع عنهم أذى العطش بعض ارتفاع، وليكسروا نزاع النفس فى هذه الحال (فمن شرب منه) فليس من أصحابى ومن لم يذقه فإنه منى إلا من اغترف غُرفةً بيده الاغتراف الأخذ من الماء باليد أو بآلة، الغُرفة قيل هى ما كان بالكف الواحدة. وقيل بالكفين معًا ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ﴾ وعَصَوْا ملكهم فلم يأذن لهم بالسير معه للقاء العدو ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ كانوا بعدد أهل بدر، ثلاثمائة وبضعة عشر فلمَّا جاوز النهر طالوت ومعه القليل الذين أطاعوه، ولكنهم اختلفوا فى قوة اليقين، فبعضهم قال: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا﴾ و﴿قَالَ الَّذِينَ﴾ يتيقنون ﴿أَنَّهُم مُّلَاقُوا اللَّهِ﴾ و﴿فِئَةٍ﴾ الفئة: الجماعة وإن النصر مع الصبر وليس بكثرة العدد.

٢٥٠- ولَّما صاروا فى البراز وهو المتسع من الأرض ﴿لِجَالُوتَ﴾ أمير العمالقة ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ أى أكثر لنا منه ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ عبارة عن القوة وعدم الفشل، وعدم الركون إلى الفرار ﴿وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾﴾ هم جالوت وجنوده، أى أعنَّا عليهم حتى تغلبهم.

٢٥١- ﴿فَهَزَمُوهُم﴾ بأمره سبحانه وإرادته ﴿وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ﴾ هو داود ابن إيشا، جمع الله له بين النبوة والملك بعد أن كان راعيا، اختاره طالوت لمقاتلة جالوت فقتله. ﴿وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ اختاره له وكان ذلك أثناء حياة طالوت والنبوة ﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ مما قضت به مشيئته، قيل: إن من ذلك تعليمه صنعة الدروع ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم﴾ هم الذين يباشرون أسباب الشر والفساد ﴿بِبَعْضٍ﴾ آخر منهم، وهم الذين يكفونهم عن ذلك ويردونهم عنه ﴿لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ أى: لتغلب أهل الفساد عليها بإحداثهم للشرور التى تهلك الحرث والنسل.

٢٥٢- فتلك حجج الله الباهرة نقصها عليك يا محمد ﷺ بالخبر الصحيح الذى لا ريب فيه ﴿وَإِنَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ إخبار بأنه من جملة رسل الله سبحانه، تقوية لقلبه وتثبيتًا لجنانه وتشييدًا لأمره.

تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ
وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ
وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ
مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟
فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟
مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا
شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا
فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ
أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا
شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا
وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ
مِنَ ٱلْغَىِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ
ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

٢٥٣- وهؤلاء الرسل الكرام جعل لبعضهم من مزايا الكمال فوق ما جعله للآخر، وحديث أبى هريرة مرفوعًا بلفظ: «لا تفضلونى على الأنبياء» قال محمد ﷺ ذلك على سبيل التواضع مع علمه أنه أفضل الأنبياء، كما يدل عليه قوله: «أنا سيد ولد آدم» ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ وهو موسى ونبينا سلام الله عليهما. وهذا من تفضيل الله لهما ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ وهم من عظمت منزلته عند الله سبحانه من الأنبياء، ويحتمل أن يراد به نبينا ﷺ لكثرة مزاياه، ويحتمل أن يراد به إدريس رفعه الله مكانًا عليا، وقيل: إنهم أولو العزم ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ وهذا من تفضيل الله له من إحياء الأموات، وإبراء المرضى، وغير ذلك، قوله: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ تقدم بيانه (آية ٨٧). ﴿مِنۢ بَعْدِهِم﴾ أى: من بعد الرسل، وقيل: من بعد موسى وعيسى ومحمد ﴿وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟﴾ اختلفت أمم الأنبياء بعضهم مع بعض من بعدهم حتى اقتتلوا، وصاروا مللاً مختلفة ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ عدم اقتتالهم بعد هذا الاختلاف ﴿مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ﴾ لا راد لحكمه، ولا مبدل لقضائه، فهو يفعل ما يشاء. ثم يدعونا الرب سبحانه إلى المسارعة فى الإنفاق. ٢٥٤- ﴿أَنفِقُوا۟﴾ فى سبيل الله ما دمتم قادرين لتدَّخروا لأنفسكم ما فيه لكم النفع يوم القيامة ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾ فتشتروا ما فيه نجاتكم ﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾ صداقة ومحبة، ولا شفاعة مؤثرة إلا لمن أذن الله له ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ إذ كذَّبوا الرسل وعصوا النُّذُر. ٢٥٥- ولا معبود بحق إلا هو ﴿ٱلْحَىُّ﴾ خلاف الميت، وله تعالى الحياة الكاملة لا يزول ولا يحول القائم بتدبير الخلق وحفظه ﴿سِنَةٌ﴾ النعاس: وهو ما يتقدم النوم من الفتور وانطباق العينين ولا أحد من عباده يقدر أن ينفع عند الله أحدًا منهم بشفاعة أو غيرها ما لم يأذن الله للشفيع أن يشفع ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ قدامهم من الآخرة ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من الدنيا ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾ الكرسى الله أعلم بمراده به. ولا يثقل على الله تعالى حفظهما ولا يناله منه أدنى مشقة العالى عن خلقه بارتفاعه عنهم وقدرته عليهم، وهو القاهر الغالب. وتسمى هذه الآية آية الكرسى، وورد فى السنة الصحيحة أنها أعظم آية فى القرآن. عن أبى بن كعب أن النبى ﷺ سأله «أى آية من كتاب الله أعظم؟ قال: آية الكرسى، قال: ليهنك العلم أبا المنذر». وقد وردت أحاديث فى فضلها غير هذه، وورد أيضًا فى فضل قراءتها دبر الصلوات. ٢٥٦- ولا يجبر أحد من الناس علي الدخول فى الإسلام إذا أدى الجزية. ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾ الرشد هنا: الإيمان، والغى: الكفر، أى قد تميز أحدهما من الآخر ﴿بِٱلطَّٰغُوتِ﴾: الكاهن، والشيطان، والصنم، وكل رأس فى الضلال ﴿وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ بعدما تميز له الرشد من الغى فقد استقام على الحق، واستمسك منه بأقوى الأسباب التى لا تنقطع شديدة الربط لا أوثق منها ولا انحلال لها فلا يهلك المتعلق بها بل =

ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ
وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ
ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا
خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ
أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ
وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى
بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى
كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ
عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ
بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ
قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ
فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ
حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى
ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا
تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

= يصل بتمسكه بها إلى الجنة، ولا ينقطع عن الجنة إلا من لم يتمسك بها.

٢٥٧- والله يتولى أمور المؤمنين فهو ناصرهم ويخرجهم من الشبه المضلة والجهل وعبادة الطواغيت إلى العلم والهداية والإيمان ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ﴾ هنا: أئمة الكفر وفلاسفته، يأمرونهم ويزينون لهم الكفر والإلحاد، فيخرجونهم من النور - الذى هو فطرة الله التى فطر الناس عليها، وما جاء به أنبياء الله تعالى من الدعوة إلى العقائد الصادقة، والشرائع الصالحة - إلى ظلمات الكفر.

٢٥٨- وهل رأيت يا محمد الذى جادل إبراهيم فى توحيدك وهو النمروذ، وكان ملكًا بالعراق وأبطره وأورثه الكبر والعتو، فحاجَّ لذلك ﴿قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾ عن ابن عباس: أتى برجلين فقتل أحدهما وعفا عن الآخر، وادّعى أنه أحيا وأمات. وذلك مغالطة، لأن إبراهيم أراد أن الله هو الذى يخلق الحياة والموت في الأجساد، وأراد الكافر أنه يقدر أن يعفو عن القتل، فيكون ذلك إحياء، وعلى أن يقتل فيكون ذلك إماتة، فكان هذا جوابًا أحمق لا يصح نصبه فى مقابلة حجة إبراهيم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾ أتاه إبراهيم بهذه الحجة التى لا تجرى فيها المغالطة، ولا يتيسر للكافر أن يخرج عنها بمخرج مكابرة ومشاغبة ﴿فَبُهِتَ﴾ انقطع وسكت متحيرًا.

٢٥٩- وهل رأيت ما كان من أمر الذى مرَّ على قرية وهو عُزيرٌ من أنبياء بنى إسرائيل، مرَّ على قرية من أرض بيت المقدس بعد تخريب بُخْتَنَصَّر لها، وقيل: المراد بالقرية أهلها ﴿خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ العروش: السقوف، سقطت السقوف ثم سقطت الحيطان عليها. وقيل: معناه خالية من الناس، والبيوت قائمة ﴿أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ﴾ استبعاد لإحيائها وهى علي تلك الحالة المشابهة لحالة الأموات، استبعد إحياءها بالعمارة لها والسكون فيها، وقيل: المراد إحياء أهلها ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ ضرب له المثل فى نفسه وقال الله تعالى له بعد بعثه: كم مدة بقائك ميتا؟ ﴿يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ قال هذا بناء على ما عنده، وفى ظنه فلا يكون كاذبًا. ﴿قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ﴾ ميتا وانظر إلى طعامك وشرابك لم يتغير مع طول المدة بقدرة الله ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ كيف تفرقت أجزاؤه، ونخرت عظامه ﴿وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ دلالة على البعث بعد الموت، وقيل: موضع كونه آية هو أنه جاء شابًّا علي حاله يوم مات، فوجد أبناءه وحفدته شيوخًا ﴿وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ أى نرفع بعضها إلى بعض أى ثم نسترها باللحم فأول ما خلق الله عيناه، فجعل ينظر إلى عظامه ينضم بعضها إلى بعض، ثم كسيت لحما، ثم نفخ فيه الروح فلما اتضح له عيانا ما كان مستبعدا فى قدرة الله عنده قبل عيانه ﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾ معناه: أعلم هذا الضرب من العلم الذى لم أكن علمته، وهو طمأنينة القلب.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ
تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ
ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا
ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾
مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ
أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَـٰعِفُ
لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ
أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ
أَذًى وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟
صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ
وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ
تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ
شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾

ربع الحزب ٥

٢٦٠- ﴿أَرِنِى﴾ لم يرد رؤية القلب، وإنما أراد رؤية العين، لتحصل له الطمأنينة ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ بأنى قادر على الإحياء حتى تسألنى إرادته. علمت وآمنت بأنك قادر على ذلك ﴿وَلَـٰكِن﴾ سألت ﴿لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ باجتماع دليل العيان إلى دلائل الإيمان. ولم يكن شاكًا فى إحياء الموتى قط، وإنما طلب المعاينة لما جبلت عليه النفوس البشرية من رؤية ما أخبرت عنه، ولهذا قال النبى ﷺ: «ليس الخبر كالمعاينة» ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ أى اجمعهن إليك، ثم قطِّع كل واحد منهن قطعًا ﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ أى ثم اجعل على كل جبل من كل واحد منهن جزءًا ﴿سَعْيًا﴾ المراد به: الإسراع فى الطيران، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: وضعهن على سبعة أجبل، وأخذ الرءوس بيده، فجعل ينظر إلى القطرة، والريشة تلقى الريشة، حتى صرن أحياء. ٢٦١- ومثل ما ينفق ماله فى سبيل الخير كالجهاد لإعلاء كلمة الله كمثل زارع حبة، والمراد بالسبع السنابل: هى التى تخرج فى ساق واحد، يتشعب منه سبع شعب، فى كل شعبة سنبلة والله يضاعف السبعمائة أضعافًا كثيرة، لمن راعى ما دلت عليه الآيات التالية من الآداب، إذ أنفق لرفع كلمة الله. وقد ورد القرآن أن الحسنة بعشرة أمثالها، واقتضت هذه الآية بأن نفقة الجهاد حسنتها بسبعمائة ضعف، فتكون العشرة الأمثال فيما عدا ذلك. ٢٦٢- والذين ينفقون أموالهم فى سبل الخير ﴿ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى﴾ المنّ: التحدث بما أعطى حتى يبلغ ذلك الآخذ فيؤذيه، والمنّ من الكبائر، والأذى: السب والتطاول لهم أجرهم ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ فيه تأكيد وتشريف ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فى الدارين ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾ يفيد دوام انتفاء الحزن عنهم. ٢٦٣- ﴿۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ من المسئول للسائل، وهو التأنيس والترجية بما عند الله، والرد الجميل خير من الصدقة التى يتبعها أذى. والمراد بالمغفرة: الستر لسوء حالة المحتاج، والعفو عن السائل إذا صدر منه من الإلحاح ما يكدر صدر المسئول. ٢٦٤- ثم ينهى الله عن إضاعة ثواب صدقاتهم بالمن والأذى والإبطال للصدقات: إذهاب أثرها وإفساد ثوابها، فالمنّ يبطلها وكذلك الأذى والرياء ﴿كَٱلَّذِى﴾ أى لا تبطلوا مشابهين للذى ينفق مرائيا لا يقصد بذلك وجه الله وثواب الآخرة، بل يفعل ذلك لمجرد أن يراه الناس، استجلابًا لثنائهم عليه ومدحهم له فمثله كمثل الحجر الكبير الأملس ﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ﴾ المطر الشديد أذهب عنه التراب، وبقى أجرد نقيا، فكذلك هذا المرائى، فإن نفقته لا تنفعه كما لا ينفع المطر الواقع على =

وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ
وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ
فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ
لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ
فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ
فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ
لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا
لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم
بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ
﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ
وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾
يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ
أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾

= الحجر الذى عليه تراب.

٢٦٥- وحال الذين ينفقون أموالهم طلبًا لمرضاة الله ويثبتون من أنفسهم ببذل أموالهم على الإيمان وسائر العبادات رياضة لها وتدريبًا وتمرينا. قال الحسن: كان الرجل إذا همَّ بصدقة تثبَّت: فإن كان لله أمضاه، وإن كان لغير ذلك أمسك.

وقيل معناه: إن أنفسهم لها بصائر، فهى تثبتهم على الإنفاق فى طاعة الله تثبيتا، فإنهم عند التصدق ينظرون، فإن كانت لله أمضوها، وإلا أمسكوا ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾ الجنة: البستان، تنبت فيها الأشجار حتى تغطيها ﴿بِرَبْوَةٍ﴾ وهى: المكان المرتفع ارتفاعا يسيرًا، لأن نباتها يكون أحسن من غيره، مع كونه لا يصطلمه البرد فى الغالب، للطافة هوائه بهبوب الرياح الملطفة له.

والوابل: المطر الشديد كما تقدم فآتت أكلها مثلى ما كانت تثمر، بسبب الوابل ونفعها عند الله كثير بعد أن يطلب بها وجه الله ولو كانت قليلة فإن الطل يكفيها: وهو المطر الضعيف المستدق القطر.

وهكذا المنفق خيره دائم وبره لا ينقطع كالبستان المثمر دائمًا.

٢٦٦- ويا أيها المنفق رياءً أتتمنى أن تكون لك حديقة ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أى من تحت أشجارها، وخص النخيل والأعناب بالذكر مع قوله ﴿لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ لكونهما أكرم الشجر ﴿وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ﴾ وكبر السن هو مظنة شدة الحاجة، لما يلحق صاحبه من العجز عن تعاطى الأسباب ﴿وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ﴾ فإن من جمع بين كبر السن وضعف الذرية كان تحسره على تلك الجنة فى غاية الشدة، إذ ليس له قوة فيعيد غرس بستانه حتى يعود كما كان، وليس عند ولده قدرة الطاعات.

والفاحش عند العرب: البخيل، لشدة قبح البخل عندهم والمغفرة: الستر على عباده فى الدنيا والآخرة لذنوبهم ﴿وَفَضْلًا﴾ الفضل: أن يخلف عليهم أفضل مما أنفقوا، فيوسع لهم فى أرزاقهم، وينعم عليهم فى الآخرة بما هو أفضل وأكثر وأجل وأجمل.

٢٦٩- ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ﴾ هى العلم، وقيل: الفهم للأمور، ومن أولاها علم القرآن وقيل الإصابة فى القول.

وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ
يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا۟
ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ
فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ
فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ
وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ
﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ
ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ
لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ
فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم
بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ
رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

نصف الحزب ٥

٢٧٠- أى فإن الله يعلمها ويجزيكم عليها والنذر: التزام الإنسان طاعة لله لم يلزمه بها فتجب عليه بذلك ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ فيه معنى الوعد والوعيد ولا نصير للظالمين أنفسهم بما وقعوا فيه من الإثم لمخالفة الأمر بالإنفاق والوفاء بالنذر لله.

٢٧١- وإن تظهروا الصدقات، فذلك شيء حسن وإن تخرجوها سرًّا وتصيبوا بها مصارفها من الفقراء فالإخفاء خير لكم.

وذلك فى صدقة التطوع لا فى صدقة الفرض، فلا فضيلة للإخفاء فيها، بل قد قيل إن الإظهار فيها أفضل ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ بصدقة السرّ وصدقة العلانية.

٢٧٢- وليس بواجب عليك أن تجعلهم مهديين قابلين لما أمروا به ونهوا عنه ولكن الله يهدى من يشاء هداية توصله إلى المطلوب ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ كائنا ما كان فنفعه عائد إليكم لا ينفع الله شيئا ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ بين أن النفقة المعتد بها المقبولة إنما هى ما كان لابتغاء وجه الله ﴿يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ أجره وثوابه على الوجه الذى تقدم ذكره من التضعيف.

٢٧٣- واجعلوا ذلك للفقراء الذين حصروا أنفسهم فى سبيل الله للغزو أو الجهاد ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ للتكسب بالتجارة والزراعة، ونحو ذلك بسبب انشغالهم بشأن الجهاد وحصر أنفسهم له، أو هجرتهم ليكونوا فى طاعة الله ورسوله كأهل الصفة ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ﴾ لكونهم متعففين عن المسألة، وعن إظهار المسكنة، بحيث يظنهم الجاهل بهم أغنياء، أما الحكيم فيعرفهم بعلاماتهم وذلك بضعف أبدانهم، وكل ما يشعر بالفقر والحاجة وليسوا كغيرهم ممن يسأل الناس إلحافًا، بل هم لا يسألونهم البتة، لا سؤال إلحاح، ولا سؤال غير إلحاح لتعففهم.

٢٧٤- ﴿بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ لزيادة رغبتهم فى الإنفاق، وشدة حرصهم عليه، حتى أنهم لا يتركون ذلك ليلا ولا نهارا، ويفعلونه سرا وجهرًا، عندما أن تنزل بهم حاجة المحتاجين ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾.

٢٧٥- ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ غالب ما كانت تفعله الجاهلية أنه إذا حل أجل الدين قال من هو له: لمن هو عليه: أتقضى أم تربى؟ فإذا لم يقض زاد مقدارًا فى المال الذى عليه، وأخر له الأجل إلى حين، وهذا حرام بالاتفاق، وهذا الوعيد لمن يأكله، وألحق الحديث بالآكل=

ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى
يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ
مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ
مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ
فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ
ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟
فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ
أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ
ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ
إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى
ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

٤٧

= غيره، قال النبى ﷺ: «لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه، وقال: هم سواء» لا يقومون يوم القيامة من المس الذى بهم إلا كما يقوم الذى ﴿يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ كالمصروع، وقالوا: إنه يبعث كالمجنون عقوبة له وتمقيتا عند أهل المحشر، لأن الحرص والطمع والرغبة فى الجمع قد استفزته فى الدنيا حتى صار شبيها فى حركته بالمجنون، والخبط: الضرب بغير استواء كخبط العشواء وهو المصروع، والمس: الجنون كذا حالهم وعقوبتهم بسبب قولهم ﴿إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ أى: أنهم جعلوا البيع والربا شيئًا واحدًا، وإنما شبهوا البيع بالربا مبالغة بجعلهم الربا أصلاً والبيع فرعًا، أى إنما البيع بلا زيادة عند حلول الأجل كالبيع بزيادة عند حلوله فإن العرب كانت لا تعرف ربًا إلا ذلك فرد الله سبحانه عليهم بقوله ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ أى هذا هو الفرق بينهما، أى أن الله أحل البيع وحرم نوعا من أنواعه، وهو البيع المشتمل على الربا. فمن بلغته موعظة من الله من المواعظ التى اشتمل عليها الأوامر والنواهى ومما وقع هنا من النهى عن الربا فامتثل وانزجر فما تقدم منه من الربا لا يؤاخذ به، لأنه فعله قبل أن تنزل آية تحريم الربا ﴿وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ فى العفو عنه وإسقاط التبعة فيه ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ إلى أكل الربا والمعاملة به، وقيل: عاد إلى القول بأن البيع مثل الربا ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾ خالد أى طويل البقاء. ٢٧٦- ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ أى يذهب بركته فى الدنيا وإن كان كثيرا ويزيد فى المال الذى أخرجت صدقته، ويبارك فى ثوابها ويضاعفه، ويزيد فى أجر المتصدق ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾ لأن الحب مختص بالتوابين. وفيه تشديد وتغليظ على من أربي وقال تلك المقالة، حيث حكم عليه بالكفر ووصفه بأثيم للمبالغة، وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة مرفوعًا: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب - ولا يقبل الله إلا طيبا - فإن الله يقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها كما يربِّى أحدكم فَلُوَّهُ، حتى تكون مثل الجبل». ولما نفر الله من المرابين، وبين سوءَ مصيرهم أمر المؤمنين بتقواه، وترك البقايا التى بقيت لهم من الربا، وظاهره أنه أبطل من الربا مالم يكن مقبوضا ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾ على الحقيقة، فإن ذلك يستلزم امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه. ٢٧٩- أى: فإن لم تفعلوا ما أمرتم به من الاتقاء وترك ما بقى من الربا فعلى إمام المسلمين أن يعلن عليهم الحرب حتى يتركوا. عن ابن عباس قال: من كان مقيما على الربا لا ينزع منه، فحق على إمام المسلمين أن يستتيبه، فإن نزع وإلا ضرب عنقه. وقد دلت هذه الآية على أن أكل الربا والعمل به من الكبائر وإن تبتم من الربا فلكم رءوس أموالكم تأخذونها لا تظلمون غرماءكم بأخذ الزيادة ولا تُظلَمون أنتم من قبلهم بالمطل والنقص. ٢٨٠- وإن كان المدين معسرًا لا يجد مالاً يوفى به دينه والنظرة: التأخير، والميسرة بمعنى اليسر ووجود المال، وهى عامة فى جميع من عليه دين وأن تصدقوا على المعسر من غرمائكم بالإبراء بإسقاط الدين عن المدينين المعسرين خير من مطالبتهم فى الحال، وخير من إنظارهم إلى أجل. ٢٨١- هو يوم القيامة ﴿تُرْجَعُونَ فِيهِ﴾ =

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى
فَاكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ
كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ
الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا ۚ
فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ
أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ ۚ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ
مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ
مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ
إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ۚ وَلَا تَسْأَمُوا
أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ
عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا ۖ إِلَّا أَن تَكُونَ
تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ
أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ
وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ۗ وَاتَّقُوا
اللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾

= ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ هو يوم الموت. عن ابن عباس قال: آخر آية نزلت من القرآن على النبى ﷺ ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾.

٢٨٢ - ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ﴾ العين عند العرب ما كان حاضراً، والدين ما كان غائبا ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وقد استدل به على أن الأجل المجهول لا يجوز وخصوصا أجل السلم ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾ أى الدين بأجله، لأنه أدفع للنزاع وأقطع للخلاف ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ أمر للمتداينين باختيار كاتب لا يكون فى قلبه ولا قلمه هوادة لأحدهما على الآخر، بل يتحرى الحق بينهم والمعدلة فيهم ولا يمتنع أحد من الكتاب، أو كما علمه الله من الكتاب، أوكما علمه الله بقوله بالعدل ﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ هو من عليه الدين، أمره الله تعالى بالإملاء، لأن الشهادة إنما تكون على إقراره بثبوت الدين فى ذمته، وأمره الله بالتقوى فيما يمليه على الكاتب، ونهاه عن البخس وهو النقص، وقيل: إنه نهى للكاتب ﴿فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا﴾ والسفيه: هو سيئ التصرف ﴿أَوْ ضَعِيفًا﴾ الضعيف هو: الشيخ الكبير، أو الصبى، أو مذهول العقل، والذى ﴿لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ﴾ هو الأخرس، أو العيى الذى لا يقدر على التعبير كما ينبغى ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ﴾ أى يملى عن المذكورين من الضعفاء أولياؤهم وأوصياؤهم ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ﴾ أى اطلبوا رجلين مسلمين يشهدان على كتاب الدين. والإشهاد على المداينة واجب بهذه الآية. وقيل: إنه مندوب ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا﴾ أى الشاهدان ﴿رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ أى فليشهد رجل وامرأتان، وهذا أقل نصاب فى الشهادة فى المعاملة ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ أى ممن ترضون دينهم وعدالتهم ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا﴾ والضلال عن الشهادة نسيان جزء منها وذكر جزء ﴿فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾ إن ضلت هذه ذكرتها هذه، وإن ضلت هذه ذكّرتها هذه، لما يلحقها من ضعف النساء بخلاف الرجال. و ربما ضلت هذه عن وجه، وضلت تلك عن وجه آخر، فذكرت كل واحدة منهما صاحبتها ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ﴾ أى لأداء الشهادة التى قد تحملوها من قبل، وقيل: إذا ما دعوا لتحمل الشهادة ﴿وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ﴾ أى لا تملوا أن تكتبوه، أى الدين الذى تداينتم به، لأنهم ربما ملوا من كثرة المداينة أن يكتبوا، ثم بالغ فى ذلك فقال ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أى الكتابة أعدل، وأصح وأحفظ وأعون على إقامة الشهادة وأثبت لها ﴿وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا﴾ الكتاب الذى يكتبونه يدفع ما يعرض لهم من الريب كائنا ما كان ﴿تِجَارَةً حَاضِرَةً﴾ بحضور البدلين السلعة والثمن ﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ تتعاطونها يدا بيد، فالمراد التبايع الناجز يدا بيد، فلا حرج عليكم إن تركتم كتابته. ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ هذا التبايع وهو التجارة الحاضرة - الإشهاد فيها يكفى، وقيل: معناه إذا تبايعتم أى تبايع كان حاضرا أو دينًا فأشهدوا ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ بالتحريف والتبديل =

ثلاثة أرباع الحزب ٥

۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ
فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ
ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ
ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ
يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ
وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ
إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ
وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا
وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ
ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ
رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ
عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا
تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ
أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

= والزيادة والنقصان فى كتابته، ويحتمل أن يكون الضرر المنهى عنه من المتبايعين، نُهيا أن يضرا الكاتب والشهيد، بأن يدْعَيا إلى ذلك وهما مشغولان بمهم لهما، ويضيق عليهما فى الإجابة، ويؤذيا إن حصل منهما التراخى، أو يطلب منهما الحضور من مكان بعيد ﴿وَإِن تَفْعَلُوا۟﴾ أى نهيتم عنه من المضارة ﴿فَإِنَّهُۥ﴾ أى فعلكم هذا ﴿فُسُوقٌۢ بِكُمْ﴾ أى خروج عن الطاعة إلى المعصية ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ ما تحتاجون إليه من العلم فى هذه الآيات وغيرها. ٢٨٣- ﴿۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ ونص على حالة السفر، ويلحق بذلك كل عذر يقوم مقام السفر، ويلحق بذلك كل عذر يقوم مقام السفر ﴿وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا﴾ فى سفركم ﴿فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾ ذهب الجمهور إلى اعتبار القبض كما صرح به القرآن، فلا يتم الرهن إلا بقبضه، وذهب مالك إلى أنه يصح الارتهان بالإيجاب والقبول من دون قبض ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ واستغنى بأمانته عن الارتهان ﴿فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ﴾ وهو المديون ﴿أَمَٰنَتَهُۥ﴾ أى الدين الذى عليه ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ فى ألا يجحد من الحق شيئا ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ فاجر لا يبالى أن يقع فى معصية الله، لأنه بكتم الشهادة قد يفقد صاحب الحق حقه. ٢٨٤- ﴿يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ يحاسب العباد على ما أظهروه، وما أضمرته أنفسهم من الأمور التى يحاسب عليها. ٢٨٥- ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ لما ذكر الله سبحانه فى هذه السورة أحكامًا كثيرة ذكر تعظيم نفسه سبحانه بقوله ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ثم ذكر المؤمنين بجميع ذلك فقال ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ أى صدّق الرسول بجميع هذه الأشياء التى جرى ذكرها، وكذلك المؤمنون كلهم صدقوا بالله ﴿وملائكته﴾ أى من حيث وجودهم، وكونهم عباده المكرمين المتوسطين بينه وبين أنبيائه فى إنزال ﴿كُتُبِهِۦ﴾ لأنها المشتملة على الشرائع التى تعبد بها عباده ﴿وَرُسُلِهِۦ﴾ لأنهم المبلغون لعباده ما نزل إليهم لا نفرق بين رسولٍ وآخر بل نؤمن بهم جميعًا ويقول الرسول والمؤمنون أدركنا بأسماعنا، وفهمناه وأطعنا ما فيه، وأجبنا دعوتك يا ربنا غفرانك لما فرط من ذنوبنا وإليك مصيرنا. ٢٨٦- ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ التكليف هو الأمر بما فيه مشقة وكلفة، والوسع: الطاقة لها ثواب ما كسبت من الخير ﴿وَعَلَيْهَا﴾ وزر ﴿مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ من الشر، ويقولون ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ ورد فى الحديث أنهم لما دعوا بهذا الدعاء قال الله تعالى: «قد فعلت» فرفع عنهم إثم الخطأ والنسيان، ولم يختلف أن الإثم مرفوع فى حالتى الخطأ والنسيان. ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ الإصر: التكليف الشاق، والأمر الغليظ الصعب، وشدة العمل، كما غلظ على بنى إسرائيل من قتل الأنفس، وقطع موضع النجاسة. والآية تعلّم الصحابة أن يطلبوا من الله سبحانه ألا يحمّلهم من ثقل التكاليف ما حمل الأمم قبلهم ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا =

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

مرتبتها ٣ — آياتها ٢٠٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ
بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن
قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ
عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ
شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ
فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾ هُوَ
ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ
وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ
مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ
وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ
إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ
لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ
ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾

٥٠

= ﴿بِهِۦ﴾ المراد به الشاق الذى لا يكاد يستطاع من التكاليف ﴿وَٱعْفُ عَنَّا﴾ أى عن ذنوبنا بمحوها ومسامحتنا ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا﴾ أى استر على ذنوبنا ﴿وَٱرْحَمْنَآ﴾ أى تفضل برحمة منك علينا ﴿مَوْلَىٰنَا﴾ أى ولينا وناصرنا، وأنت سيدنا ونحن عبيدك ﴿فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ فإن من حق المولى أن ينصر عباده، ثبت فى الصحيح عن النبى ﷺ أن الله تعالى قال عقب كل دعوة من هذه الدعوات ؟ «قد فعلت» فلم يؤاخذهم بشىء من الخطأ والنسيان، ولا حمل عليهم شيئًا من الإصر الذى حمله على من قبلهم، ولا حملهم ما لا طاقة لهم به، وعفا عنهم، وغفر لهم، ورحمهم، ونصرهم على القوم الكافرين، والحمد لله رب العالمين.

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

هي مدنية بالإجماع صدرها إلى ثلاث وثمانين آية نزل في وفد نجران، وكان قدومهم في سنة تسع من الهجرة. ١- ﴿الٓمٓ ﴿١﴾﴾ الله أعلم بمراده بذلك، وقد تقدم الحديث عنها أول البقرة. ٢- ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾ تقدم تفسير هذين الاسمين في «سورة البقرة آية ٢٥٥». ٣- ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ﴾ القرآن بالصدق وبالحجة الغالبة موافقًا لما بين يديه من الكتب المنزلة ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾﴾ على موسى وعيسى عليهما السلام. ٤- من قبل تنزيل القرآن لأجل هداية البشر جميعا، وهذه الأمة متعبدة بها لم ينسخ من الشرائع، الفارق بين الحق والباطل من أمر عيسى وغيره. والفرقان: هو القرآن ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾﴾ عظيم، والنقمة: السطوة، يقال انتقم منه: إذا عاقبه بسبب ذنب قد تقدّم منه. ٥- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾﴾ ومن جملة ما لا يخفى عليه إيمان من آمن من خلقه وكفر من كفر. ٦- ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ من ذكر وأنثى، حسن وقبيح، أسود وأبيض، وطويل وقصير وتام الخلق وغير تام الخلق. ٧- وهو الذي أنزل عليك القرآن يا محمد ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ المحكم: ما لا يحتمل إلا وجها واحدا من التفسير، فليس يمكن فيه تصرف ولا تحريف عم وضع له، والمتشابه: ما فيه تصريف وتحريف وتأويل. والخفاء أو عدم الظهور أو الاحتمال أو التردّد يوجب التشابه ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: أصله الذي يعتمد عليه، ويردّ ما خالفه إليه ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ الزيغ: الميل عن الحق ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ أي: يتعلقون بالمتشابه من الكتاب فيشككون به على المؤمنين، ويجعلونه دليلا على ما هم فيه من البدعة طلبا منهم لفتنة الناس في دينهم والتلبيس عليهم وطلبا لتأويله على الوجه الذي يريدون ويوافق مذاهبهم الفاسدة ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ قال ابن عباس: أنا ممن يعلم تأويله. ومعناه: والراسخون في العلم يعلمونه قائلين ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ جميعا، محكمِهِ ومتشابِهِهِ أي: فكله من الله فلا يختلف، فنردّ المتشابه الذي يحتمل حقا وباطلا إلى المحكم الذي لا يحتمل إلا الحق، فيتبين بذلك المعنى المراد بالمتشابه. وفي قول: الراسخون في العلم لا يعلمون تأويل المتشابه، والمراد بالمتشابه: نحو موعد قيام الساعة وأمر الروح، ونحو ذلك مما لا يعلمه البشر. ٨- ومن تمام ما =

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم
مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ ١٠ كَدَأۡبِ ءَالِ
فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ
وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ١١ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ
وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٢ قَدۡ كَانَ
لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَاۖ فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ
وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ يَرَوۡنَهُم مِّثۡلَيۡهِمۡ رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِۚ وَٱللَّهُ
يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي
ٱلۡأَبۡصَٰرِ ١٣ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ
وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ
وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ
ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ١٤ ۞ قُلۡ
أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ
تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ
وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ١٥

الحزب ٦

= يقوله الراسخون يقولون: ربنا لا تزغ قلوبنا باتباع المتشابه كما زاغت قلوب الذين يتبعون المتشابهات ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ إلى الحق ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ أي: كائنة من عندك عظيمة واسعة ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ تهب من تشاء جزيل العطاء ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ﴾ أي باعثهم ومحييهم ﴿لِيَوْمٍ﴾ هو يوم القيامة، أي لحساب يوم ﴿لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: في وقوعه ووقوع ما فيه من الحساب والجزاء، أي: إن الوفاء بالوعد شأن الإله، لا شكّ في ذلك. ١٠- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ أي: لن تفيدهم لديه، ولن تنجيهم من عذابه ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾ حطب جهنم الذي تسعر به. ١١- كعادة آل فرعون وكشأنهم وحالهم مع موسى، لم تغن عنهم غناء، كما لم تغن عن آل فرعون ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم الكافرة ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾ متلبسين بذنوبهم التي من جملتها تكذيبهم. وهو شديد العقاب لكل من كذب رسله. ١٢- ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ قيل: هم اليهود، وقيل: هم مشركو مكة ﴿سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ﴾ وقد صدق الله وعده بقتل بني قريظة، وإجلاء بني النضير، وفتح خيبر، وضرب الجزية على سائر اليهود، ولله الحمد ﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ ما مهدتم لأنفسكم. ١٣- ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ يا معشر اليهود علامة عظيمة دالة على صدق ما أقول لكم وهذه الجملة جواب قسم محذوف وهي في تمام القول المأمور به لتقرير مضمون ما قبله. والمراد بالفئتين المسلمون والمشركون لما التقوا يوم بدر ﴿فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ﴾ أي: وفئة أخرى ﴿كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ﴾ كانوا ثلاثة أمثالهم، فقلل الله المشركين في أعين المسلمين، فأراهم إياهم مثلي عدتهم لتقوى أنفسهم. وقد كانوا أُعْلِمُوا أن المائة منهم تغلب المائتين من الكفار ﴿رَأْىَ ٱلْعَيْنِ﴾ أي: رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ أي: يقوّي من يشاء أن يقويه، ومن جملة ذلك تزييد أهل بدر بتلك الرؤية ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ أي: في رؤية القليل كثيرا ﴿لَعِبْرَةً﴾ وموعظة جسيمة ﴿لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ التي تعتبر بما ترى. ١٤- ولقد زينَ للناس حب المشتهيات ﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ بدأ بهنّ لكثرة تشوق النفوس إليهنّ، وخص ﴿ٱلْبَنِينَ﴾ دون البنات لعدم الاطراد في محبتهن ﴿وَٱلْقَنَٰطِيرِ﴾ جمع قنطار هو اسم للمال الكثير المضاعف أضعافًا ﴿مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾ المرعية في المروج والمسارح. وقيل المسوّمة المعلمة بعلامة تتميزبها عن غيرها والإبل والبقر والغنم والمزارع بما فيها من الأرض والزرع ذلك المذكور مما يتمتع به في هذه الدار ثم يذهب ولا يبقى. ١٥- هل أخبركم بما هو خير من تلك المستلذّات ثم بينه بقوله ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ خص المتقين لأنهم المتفعون بذلك ﴿جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ خلودا لا يلحقه موت وزوجات لا يلحقهن ما يلحق النساء في الدنيا =

ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا
عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ
وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ
ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ
ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ
بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ
ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ
وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ
ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا
عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ
بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ
ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ
فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾

= من الحيض والنفاس ونحوهما ﴿وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ مستمر يأمنون معه من تغير حال النعيم الذي هم فيه ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾ فيجازي كلا بما يستحق، بحسب إيمانه وعمله. ١٧ – ويصف الله تعالى المؤمنين بصفات منها: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ صبروا على طاعة الله، وصبروا عن محارمه ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ﴾ صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم وألسنتهم في السرّ والعلانية ﴿وَٱلۡقَٰنِتِينَ﴾ المطيعون لله الخاشعة له قلوبهم ﴿وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ﴿١٧﴾﴾ هم السائلون المغفرة بالأسحار. وقيل المصلون صلاة الفجر أو صلاة آخر الليل والسَّحَر هو الوقت من حين يدبر الليل إلى أن يطلع الفجر. ١٨ – ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ أي بينَ وأعلمَ ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ فقد دلّنا على وحدانيته بما بين وما خلق ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ وشهادتهم إقرارهم بأنه لا إله إلا الله ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ﴾ وشهادتهم بمعنى الإيمان منهم وما يقع من البيان للناس على ألسنتهم. وفي ذلك فضيلة لأهل العلم جليلة ومنقبة نبيلة لقرنهم باسمه واسم ملائكته

﴿قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾ أي قائمًا بالعدل في جميع أموره أو مقيمًا له وهو الله تعالى. ١٩ – ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ والإسلام هنا: يشمل الإيمان، أي لأن الإسلام هو التصديق والقول والعمل ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ أي اختلف اليهود فيما بينهم، والنصارى فيما بينهم، وتخالف اليهود والنصارى ﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ﴾ الذي في الكتابين السماويين، وهذا العلم صريح عندهم بوجوب توحيد الخالق، وطاعته، والاستسلام لأمره ﴿بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ﴾ فيه الإخبار بأن اختلاف اليهود والنصارى كان لمجرد البغي، والمراد خلافهم في كون نبينا ﷺ كان نبيا أم لا، واختلافهم في نبوة عيسى، واختلافهم في ذات بينهم، حتى قالت اليهود: ليست النصارى على شيء، وقالت النصارى: ليست اليهود على شيء، كل ذلك سببه الحسد والتباعد من الحق علوا واستغناء. ٢٠ – جادلوك بالشبه الباطلة، والأقوال المحرفة، فقل: أخلصت ديني وعبادتي لله وكذلك أخلص القصد أتباعي من المسلمين. والمراد بـ ﴿ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ﴾ هنا: مشركو العرب ﴿ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ﴾ المعنى أنه قد أتاكم من البراهين ما يوجب الإسلام، فهل قبلتهم الإسلام، وعملتم بموجب ذلك، أم لا؟ ﴿فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ﴾ أي ظفروا بالهداية التي هي الحظ الأكبر، وفازوا بخير الدنيا والآخرة ﴿وَّإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ أي أعرضوا عن قبول الحجة ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾ أي: فإنما عليك أن تبلغهم ما أنزل إليك، ولست عليهم بمسيطر، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾ إنه عالم بجميع أحوالهم. ٢١ – ثم يأتي التحذير بأن الذين يستمرون على كفرهم بآيات الله ﴿وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ﴾ يعني: اليهود، وهم الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويردعون الظالم عن ظلمه. ٢٢ – ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ لم يبق لحسناتهم أثر في الدنيا، حتى يعاملوا فيها معاملة أهل الحسنات، فلُعِنوا =

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ
ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ وَغَرَّهُمْ
فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ
لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ
مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ
مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ
فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ
وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾
لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَن
يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ
تُقَىٰةً وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ
إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

= وحل بهم الخزي والصغار، ولهم في الآخرة عذاب النار. ٢٣- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وهم أحبار اليهود ﴿يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ الذي أوتوا نصيبا منه، وهو التوراة ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ عن الإجابة إلى ما دعوا إليه مع علمهم به، واعترافهم بوجوب الإجابة إليه. ٢٤- ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي تولّوا وأعرضوا عن القبول بحكم الله تعالى بسبب زعمهم ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ وهي مقدار عبادتهم العجل ﴿وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ من الأكاذيب التي من جملتها هذا القول، ومنها قولهم: نحن أبناء الله وأحباؤه، فصدقوا أكاذيب أنفسهم وصدقها الأتباع.

٢٥- فكيف يكون حالهم إذا جمعناهم ليوم الجزاء الذي لا يرتاب مرتاب في وقوعه، فإنهم يقعون لا محالة، ويعجزون عن دفعه بالحيل والأكاذيب ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾ جزاء ما كسبت ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ بزيادة ذنب عليهم ولا نقص شيء مما لهم من عمل صالح. أي ففي ذلك اليوم يتبين لليهود وأمثالهم ممن حاربوا الله ورسوله وتجرّأوا على الله مغترين بأكاذيبهم أن ذلك لن ينفعهم عندما يجمعهم الله لديه ويقفهم للسؤال والحساب، فلا يكون ذلك لديه عذرًا لهم. ٢٦- ويأمر الله نبيه أن يتوجّه إلى ربّه بالدعاء قائلاً: يا ألله يا مالك الملك، أنت ﴿تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ﴾ من تشاء إيتاءه إياه ﴿وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ نزعه منه ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ لا بيد غيرك. ٢٧- ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ أي: تدخل ما نقص من أحدهما في الآخر، وقال ابن مسعود ﷺ: تأخذ الصيف من الشتاء، وتأخذ الشتاء من الصيف. ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ يخرج الرجل الحي من النطفة وهي ميتة، ثم يخرج من الرجل النطفة وهي ميت، ثم يخرج منها الرجل الحي وهكذا، ويخرج البيضة من الدجاج، ومن الدجاجة البيضة وكذا النخلة من النواة، ثم النواة من النخلة. وقيل: معناها يخرج المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن. ٢٨- ﴿أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ثم ينهى الله تعالى عن موالاة الكفار لسبب من الأسباب أي: تحبونهم، وتلاطفونهم، وتميلون بقلوبكم إلى مناصرتهم ومن يتخذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين ﴿فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾ بل هو منسلخ عنه بكل حال، فقد برئ الله منه إلا أن تظهروا لهم الموالاة بألسنتكم ظاهرا، وقلوبكم تكرههم وذلك إذا كنتم مستضعفين بين الكفار. عن ابن عباس قال: نهى الله المؤمنين أن يلاطفوا الكفار، ويتخذوهم وليجة من دون المؤمنين، إلا أن يكون الكفار عليهم ظاهرين، فيظهرون لهم اللطف، ويخالفونهم في الدين، وقال: التقية باللسان: من حُمِلَ على أمر يتكلم به، وهو معصية لله، فيتكلم به مخافة الناس، وقلبه مطمئن بالإيمان، فإن ذلك لا يضره، إنما التقية باللسان، ولا يبسط يده فيقتل، ولا إلى إثم، فإنه لا عذر له ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ﴾ ذاته المقدسة، إن اتخذتموهم أولياء ظاهرًا وباطنًا. ٢٩- ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ﴾ من موالاة الكفار باطنا، أو ما سوى=

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ
مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ
ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ
فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ
وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ
مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا
وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ
وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ
وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ
حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا
زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ
قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

ربع الحزب ٦

= ذلك مما لا يرضاه ربكم ﴿يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ فيجزيكم به ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ مما هو أعم من الأمور التي يخفونها أو يبدونها. ٣٠- ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ﴾ أي وتجد ما عملت من سوء مُحْضَرًا ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ عن الحسن قال: يسرُّ أحدكم ألا يلقى عمله ذلك أبدًا، يكون ذلك مناه، وأما في الدنيا فقد كانت خطيئته يستلذها. وكرر قوله ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ للتأكيد ليكون هذا التهديد العظيم على ذُكْرٍ منهم ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾ هذا التحذير الشديد مقترن بالرأفة منه سبحانه بعباده لطفا بهم. ٣١- ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾ أي إن كنتم صادقين في ادعائكم محبة الله ﴿فَٱتَّبِعُونِى﴾ على الإسلام، فقد علمتم أني رسوله ﴿يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ فمحبة الله للعباد أثر اتباع النبي ﷺ وطاعته. وأثر محبة الله للعباد إنعامه عليهم بالغفران، والفضل والرحمة. ٣٢- ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ أي في جميع الأوامر والنواهي وإن تعرضوا عن طاعة الله ورسوله ومحبتها، فلن يحبكم الله ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ كناية عن البغض والسخط عليهم. ٣٣- لما فرغ سبحانه من بيان أن الدين المرضي هو الإسلام، وأن محمدا ﷺ هو الرسول الذي لا يصح لأحد أن يحب الله إلا باتباعه، وأن اختلاف أهل الكتابين فيه إنما هو لمجرد البغي عليه، والحسد له، شرع في تقرير رسالة عيسى عليه السلام، وبيَّن أنه من أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، وبيَّن أنه مخلوق مربوب لله تعالى، لا ينبغي الغلو فيه، والاصطفاء: الاختيار. اختارهم بالنبوة، وتخصيص آدم بالذكر لأنه أبو البشر. وكذلك نوح، فإنه آدم الثاني. وأما آل إبراهيم فلكون النبي ﷺ منهم، مع كثرة الأنبياء فيهم، وآل عمران لما كان عيسى عليه السلام. ٣٤- ﴿ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾ في النسب، كما أنهم بعضهم من بعض في النية والعمل والإخلاص والتوحيد. ٣٥- قالت ﴿ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ﴾ واسمها حنة أم مريم، فهي جدة عيسى ﴿رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى﴾ أي لعبادتك ﴿مُحَرَّرًا﴾ أي عتيقا خالصًا لله خادما لبيت المقدس لا يشوبه شيء من أمر الدنيا ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ﴾ نذري بما في بطني. ٣٦- ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾ كأنها تحسَّرت وتحزنت لما فاتها من ذلك الذي كانت ترجوه وتقدره، وكانت ترجو أن يكون ذكرا ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ هذا من كلام الله سبحانه على جهة التفخيم لشأن الوليدة التي هي مريم عليها السلام، والتنبيه لأمها حيث وقع منها التحسر والتحزن، مع أن هذه الأنثى التي وضعتها سيجعلها الله وابنها آية للعالمين ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ من جملة كلامها، ومن تمام تحسُّرها وتحزُّنها، أي ليس الذكر الذي أردت أن يكون خادما ويصلح للنذر، كالأنثى التي لا تصلح لذلك ﴿وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾ طلبت الإعاذة لها ولولدها من الشيطان وأعوانه. ٣٧- ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ أي رضي بها في النذر، وسلك بها مسلك السعداء ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ التربية الحسنة العائدة عليها بما يصلحها في جميع أحوالها. ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ أي جعله الله كافلا لها وملتزما بمصالحها، عن قتادة قال: كانت مريم ابنة سيدهم وإمامهم، فتشاحَّ =

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً
طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ
يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ
ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ
أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ قَالَ
كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً
قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر
رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ
عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى
وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ
إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ
مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ
عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾

= عليها أحبارهم، فألقوا القُرعة بسهامهم أيهم يكفلها، وكان زكريا زوج أختها فكفلها، وكانت عنده وفي حضانته ﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ أي نوعا من أنواع الأطعمة، وكان إذا دخل عليها وجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ من أين يجيء لك هذا الرزق الذي لا يشبه أرزاق الدنيا ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ فليس ذلك بعجيب ولا مستنكر. ٣٨- ﴿هُنَالِكَ﴾ دعا في ذلك المكان الذي هو قائم فيه عند مريم، أن يهب الله له ذرية طيبة لأن من أوجد ذلك يقدر على إيجاد الولد من العاقر. ٣٩- فنادته الملائكة قيل: المراد هنا جبريل ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ كان اسمه في الإنجيل يوحنا، أي يبشرك بولادة يحيى مصدقا بكلمة من الله أي بعيسى عليه السلام، وسُمّي كلمة الله: لأنه كان بقوله سبحانه «كن» وقد جاء يحيى يبشر بقرب بعثة عيسى عليه السلام، وقد بعث في زمانه، وكان ابن خالته، ويحيى أول من آمن بعيسى وصدق ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ والسيد: الذي يسود قومه حليما كريما تقيا، والحصور: الذي لا يأتي النساء، فيحيى عليه السلام كان حصورا عن إتيان النساء، أي محصورا لا يأتيهن كغيره من الرجال، إما لعدم القدرة على ذلك، أو لأنه يكُفُّ نفسه ﴿مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾ يؤدي لله ما افترض عليه، وإلى الناس حقوقهم. ٤٠- ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ﴾ استبعد حدوث الولد منها، لكون العادة قاضية بأنه لا يحدث من مثلها، لأنه كان كبيرا، قيل: في تسعين سنة ﴿وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ﴾ أي الهرم ﴿عَاقِرٌ﴾ والعاقر التي لا تلد، أي بها عقم يمنعها من الولد ﴿كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾﴾ من الأفعال العجيبة، لا تعجز قدرته عن شيء، أي: فَلِمَ تستبعد ذلك؟ ٤١- ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً﴾ أي علامة أعرف بها صحة الحبل فأتلقى هذه النعمة بالشكر ﴿إِلَّا رَمْزًا﴾ أي علامتك أن تحبس لسانك عن تكليم الناس ثلاثة أيام لا عن غيره من الأذكار، جعل الآية لتخلص تلك الأيام لذكر الله سبحانه شكرا على ما أنعم به عليه. والرمز: الإيماء بالشفتين أو العينين أو الحاجبين أو اليدين ﴿وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ﴾ من حين تزول الشمس إلى أن تغيب ﴿وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾﴾ من طلوع الفجر إلى وقت الضحى. ٤٢- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ﴾ اختارك، أي ليرفع ذكرك بولادة المسيح ﴿وَطَهَّرَكِ﴾ من الكفر أو من الأدناس على عمومها ﴿وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ فضلك على جميع نساء العالم إلى يوم القيامة. ٤٣- ﴿يَٰمَرْيَمُ﴾ كوني خاشعة لله، وصلي، وأطيلي القيام في الصلاة وصلي الصلاة مع جماعة المصلين، وقيل: المعنى أنها تفعل مثل فعلهم وإن لم تصل معهم. ٤٤- ﴿ذَٰلِكَ﴾ ما سبق من الأمور التي أخبره الله بها من أخبار الأمور التي كنت غائبا عنها يا محمد ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾ أي بحضرتهم، يعني المتنازعين في تربية مريم، بل الله أوحى إليك بخبرهم، مع التسليم بأنه ﷺ ليس ممن يقرأ الإنجيل، ولا ممن يلابس النصارى، ذلك كله يثبت صدقه ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ أي: يضمها إلى حضانته. قال عكرمة: فاقترعوا وجعلوا أقلامهم في الماء الجاري، على أن من وقف قلمه ولم يجر مع الماء فهو صاحبها، =

وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾
قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ
ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾
وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾
وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ
أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ
فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ
وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ
فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾
وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم
بَعْضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ
فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ
هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ
ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ
أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾

نصف الحزب ٦

= فجرت أقلامهم ووقف قلم زكريا. ٤٥- واذكر يا محمد حين قالت الملائكة لمريم إن الله يبشرك ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾، الكلمة عيسى نفسه، جاء بكلمة من الله، قال له كن فكان ﴿ٱلْمَسِيحُ﴾ قيل: إنه كان لا يمسح ذا عاهة إلا برئ، فسمي مسيحا، وقوله ﴿عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ مع كون الخطاب معها تنبيها على أنه يولد من غير أب، فنسب إلى أمه ووجاهته في الدنيا النبوة، وفي الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة ﴿وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾ إلى الله. ٤٦- ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ المهد: مضجع الصبي في رضاعه، والكهل: من كان بين سن الشباب والشيخوخة أي يكلم الناس رضيعا في المهد وحال كونه كهلا بالوحي والرسالة ﴿وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾ أي من العباد الصالحين. ٤٧- ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾ أي كيف يكون، على طريق الاستبعاد العادي ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ استبعدت أن تلد ولدا من غير ذكر يكون له أبا ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾ من غير عمل ولا مزاولة، لكمال قدرته. ٤٨- ﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾ الكتابة، والعلم وقيل: تهذيب الأخلاق.

٤٩- وأرسله رسولا إلى بني إسرائيل. ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ﴾ بعلامة ﴿مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّيٓ﴾ أي أصور ﴿لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ﴾ شيئا مثل هيئة الطير. ﴿فَأَنفُخُ﴾ في ذلك الخلق، أو ذلك الشيء ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا﴾ يطير كسائر الطيور ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ لولا الإذن من الله عز وجل لم يقدر على ذلك، وأن خلق ذلك كان بفعل الله سبحانه أجراه على يد عيسى عليه السلام، فكانت تسوية الطين والنفخ من عيسى، والخلق من الله عز وجل ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ﴾ الأكمه: الذي يولد أعمى ﴿وَٱلْأَبْرَصَ﴾ والبرص معروف، وهو بياض يظهر في الجلد. وإنما خص الله سبحانه هذين المرضين بالذكر لأنهما لا يبرآن في الغالب بالمداواة وأخبركم بالذي تأكلونه وبالذي تدخرونه في بيوتكم إن في ذلك لآية بينة على صدقي إن كنتم مؤمنين. ٥٠- وجئتكم مصدقا ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ﴾ قبلي ﴿مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ المنزلة على موسى لأنها بشرت به، وذكرت أوصافه، فكان بعثه تصديقا لها، وكان هو يراعي أحكامها فيما لم يؤمر بنسخه، وذلك من تصديقه لها ولأجل أن أحلّ بعض الذي حرم الله عليكم من الأطعمة في التوراة، كالشحوم وكل ذي ظفر وغيرها، مما شدد الله فيه عليهم لشتديدهم، وقيل: إنما أحل لهم ما حرمته عليهم الأحبار ولم تحرمه التوراة ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾﴾ ادخلوا في ديني وتابعوني فيما أبلغكم به. ٥١- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾ هكذا أعلنها صريحة أنه ليس ربًّا لهم، كما ادعاه النصارى من بعد غلُوّا فيه، بل قال: إنه عبد لله، كما أنهم هم أيضا عبيد لله، فكيف يتخذون عيسى إلها؟ فلما علم عيسى (عليه السلام) أن بني إسرائيل سيستمرون على كفرهم قال: من أنصاري في الدعوة إلى الله، وتبليغ رسالته إلى الناس قال ﴿ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾ - من أصفيائه المخلصين له وكانوا اثنى عشر رجلا، وهم تلاميذه، وأخصُّ الناس به -: نحن ﴿أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾=

رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ
ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ
ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ
إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ
فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ
فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَمَا
لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾
ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ
مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ
لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾
فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ
أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ
ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾

= أنصار دينه ورسله واشهد لنا يوم القيامة بأنا مخلصون في إيماننا، منقادون لما تريد منا. ٥٣- ﴿مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ لـك بالوحدانية ولعيسى بالرسالة. ٥٤- ﴿وَمَكَرُوا۟﴾ أي الذين أحس عيسى منهم بالكفر، وهم كفار بني إسرائيل ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ مكره استدراجه للعباد من حيث لا يعلمون، وقيل: مكر الله هنا إلقاء شبه عيسى على واحد من الحواريين، ورفع عيسى إلى السماء فلما جاء الجنود أخذوا الذي ألقي عليه شبه عيسى فقتلوه وصلبوه، وظنوا أنهم قتلوا وصلبوا عيسى ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ أي: أقواهم مكرا، وأنفذهم كيدا، وأقواهم على إيصال الضرر بمن يريد من حيث لا يحتسب. ٥٥- ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ﴾ قابضك ﴿وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ في السماء فأكون عاصمك من أن يقتلك الكفار. والصحيح أن الله رفعه إلى السماء من غير موت ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي من جوارهم برفعه إلى السماء. ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي الذين اتبعوا ما جئت به، وهم خلّص أصحابه الذين لم يبلغوا في الغلو فيه إلى ما بلغ من جعله إلها، ومنهم المسلمون، فإنهم اتبعوا ما جاء به عيسى عليه السلام ووصفوه بما يستحقه من دون غلو. وقيل: معنى الآية: أن النصارى الذين هم أتباع عيسى لن يزالوا ظاهرين على باقي بني إسرائيل، وهم اليهود، كفروا بعيسى، ولم يؤمنوا به. وظهورهم عليهم إنما هم بالقوة والعزة والغلبة. والله أعلم. ٥٧- وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيعطيهم الله أجورهم كاملة موفرة ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾﴾ كناية عن بغضهم. ٥٨- ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما سلف من نبأ عيسى وغيره ﴿مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾﴾ المشتمل على الحِكَم، أو المحكم الذي لا خلل فيه، وهو القرآن الكريم. ٥٩- ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ في كونه مخلوقًا من غير أب كآدم، بل أمر آدم أغرب، فإنه كما لا أب له لا أم له، لأن الله ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ فكيف تتخذون عيسى إلها؟ وأنتم تقرون أن آدم بشر مخلوق، فكذلك عيسى بل هو أولى ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ أي كن بشرا فكان بشرا. ٦٠- وما قصصته عليك يا محمد من أمر عيسى هو الحق من ربك ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ الخطاب لكل سامع، أي لا يكن أحدكم ممتريا، أو للرسول ﷺ والنهي له لزيادة التثبيت. ٦١- فمن جادَلَكَ يا محمد في عيسى مدعيا أنه إله. وقد حاجج نصارى نجران، وادعوا هذه الدعوى، فدعاهم إلى المباهلة كما سيأتي قريبا. ﴿ٱلْعِلْمِ﴾ أي من بعد ما أخبرك الله بحقيقة الأمر في هذه الآيات المتقدمة وقل هلموا وأقبلوا ليدع كل منا ومنكم أبناءه ونساءه ونفسه إلى المباهلة ﴿نَبْتَهِلْ﴾ أصل الابتهال: الاجتهاد في الدعاء باللعن وغيره برفع اليدين مدًّا ﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ أي نقول في دعائنا جميعا: اللهم اجعل لعنتك على الكاذب منّا ومنكم.

إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ
ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾
قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا
بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا ٱشْهَدُوا بِأَنَّا
مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ
إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ
عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ
لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ
حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ
بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ
وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهْلَ
ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾

٦٢- والذي قصه الله على رسوله من نبأ عيسى ﴿لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ القصة المطابقة للواقع لولادة عيسى عليه السلام ونشأته، وما كان يقوله ويدعو إليه، لا ما يبالغ فيه النصارى. وفي حديث البخاري ومسلم: «فأراد أن يلاعنها، فقال أحدهما لصاحبه: لا نلاعنه، فوالله لئن كان نبيا فلاعتنا لا نفلح أبدا نحن ولا عقبنا من بعدنا، فقالوا له: نعطيك ما سألت، فابعث معنا رجلا أمينا، فقال: قم يا أبا عبيدة، فلما قام، قال هذا أمين هذه الأمة» ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ أي لا يوجد أحد يستحق العبادة غير الله تعالى. ٦٣- فإن أعرضوا عن هذا الحق البين فهذا هو الفساد في الأرض بعينه، لأنه العودة إلى الشرك والكفر، والله عليم بالمفسدين، وليؤاخذنهم بفعلهم.

٦٤- ثم أمر الله رسوله ﷺ أن يقول لأهل الكتاب تعالوا نقر بكلمة موجودة فيما أنزل إلينا وفيما أنزل إليكم من الوحي. وقد فسرها بقوله ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ أي لا نتخذ شيئا من المخلوقات إلها مع الخالق سبحانه وتعالى ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا﴾ كمن اعتقد ربوبية المسيح وعزير، ولا يسجد بعضنا لبعض، بل نسجد جميعا لله رب العالمين ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ أي أعرضوا عما دعوا إليه ﴿فَقُولُوا ٱشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ أي منقادون لأحكامه، مرتضون به، معترفون بما أنعم الله به علينا من هذا الدين القويم. ٦٥- ﴿لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ ادعى كل من اليهود والنصارى أن إبراهيم عليه السلام كان على دينهم، فرد الله سبحانه ذلك عليهم، فأبان بأن الملة اليهودية والملة النصرانية إنما كانتا من بعده. فإن اليهودية بعد موسى وكتابه التوراة، والنصرانية بعد عيسى وكتابه االإنجيل، وإبراهيم كان قبل ذلك بدهر طويل، فكيف يكون يهوديا أو نصرانيا؟ ٦٦- ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ والمراد بما لهم به علم: هو ما كان في التوراة من الحلال والحرام وأنواع العبادة، وإن خالفوا مقتضاه وجادلوا فيه بالباطل، والذي لا علم لهم به هو زعمهم أن إبراهيم كان على دينهم. ٦٧- ﴿وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا﴾ مائلا عن الأديان كلها إلى التوحيد ﴿مُّسْلِمًا﴾ مطيعا لله عابدًا له. وكان دينه الإسلام. ٦٨- ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي أحقهم به وأخصهم ﴿لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ آمنوا به، وأطاعوه من أصحابه، واتبعوا ملته واقتدوا بدينه ﴿وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ﴾ يعني محمدا ﷺ وأولويته ﷺ بإبراهيم من جهة كونه من ذريته، ومن جهة موافقته لدينه في كثير من الشريعة المحمدية ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ من أمة محمد ﷺ ﴿وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ جميعا بالنصر والتأييد. ٦٩- ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾ نزلت في يهود بني النضير وقريظة وبني قينقاع حين دعوا جماعة من المسلمين إلى دينهم. أي أحبُّوا واستقرّتْ في قلوبهم الرغبة، في أن تضلوا عن الحق، باتباع ما يدعونكم إليه ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ لثبوت قدم المؤمنين في الإيمان، فلا يعود وبال من أراد فتنتهم إلا عليه. ٧٠- ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ ما في كتبهم من دلائل نبوة محمد ﷺ ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾﴾ على ما في كتبكم من ذلك، تعلمون أنها حق.

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ
وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٧١ وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ
بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ
لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٧٢ وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ قُلۡ إِنَّ
ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ
عِندَ رَبِّكُمۡۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ
عَلِيمٞ ٧٣ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ
ٱلۡعَظِيمِ ٧٤ ۞ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ
يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا
مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ
سَبِيلٞ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٧٥
بَلَىٰۚ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٧٦ إِنَّ
ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا
خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ
يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٧٧

ثلاثة أرباع الحزب ٦

٧١- يا أهل الكتاب لم تخلطوا الحق المنزل من عند الله بالباطل الذي كتبتموه بأيديكم حسب أهوائكم. وشهواتكم. وتكتمون كل الآيات عنادًا وأنتم تعلمون أنها حق. ٧٢- وقال رؤساؤهم وأشرافهم، للسفلة من قومهم هذه المقالة ﴿وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ﴾ أوله ﴿وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ﴾ أمروهم بالردة في وقت قريب ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٧٢﴾ ليدخل الشك على المؤمنين ويفتتن بعضهم، فيقولوا: ما ترك هؤلاء الإسلام بعد دخولهم فيه صباح هذا اليوم إلا لأنهم اطلعوا فيه على باطل. فيشكوا، ولتسهل الردة على من يستصعبها إذا رأى غيره قد ارتد قبله. وهذه المؤامرة من هؤلاء المغضوب عليهم لا تفيد. وهم يعلمون أن الله قد ثبت قلوب المؤمنين ومكن أقدامهم، فلا تزلزلهم أراجيف أعداء الله، ولا تحركهم ريح المعاندين.

٧٣- وهذا من كلام اليهود بعضهم لبعض، أي قال الرؤساء للسفلة: لا تصدقوا تصديقا صحيحا إلا لمن تبع دينكم من أهل الملة التي أنتم عليها، وأما غيرهم ممن قد أسلم فأظهروا لهم ذلك خداعا ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ أي بيده الهداية، وإلا فقد عرفتم معشر اليهود الحق، ولم تطاوعكم أنفسكم على الإيمان به ﴿أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡ﴾ هذا من تمام كلم اليهود بعضهم لبعض، قالوا: إنما دعانا لرسم هذه الخطة، أنا نحسد المؤمنين على أن صارت فيهم النبوة والكتاب كما كان فينا، ولئلا يحتج علينا المسلمون عند الله يوم القيامة أننا كنا نعرف الحق ولم نتبعه، أو يحتجوا بإيمان من أسلم منا وثبت على إسلامه قل ومن فضله تعالى النبوة ودين الإسلام ﴿يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ لا أحد يقدر أن يمنع فضل الله، ولا أن يتحكم في صرفه عمن يريد إيصاله إليه، وقد شاء الله أن يختص محمدًا ﷺ وأمته بهذا الدين. ٧٤- ﴿يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ﴾ قيل: هي النبوة. ٧٥- ﴿۞ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ﴾ أي قنطار من الذهب، وهو مائة رطل، كناية عن كثرة الأمانة. ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ﴾ واحد، كناية عن قلة ما ائتمنته عليه، وشدة طمعه هو، أي: أن أهل الكتاب فيهم الأمين الذي يؤدي أمانته وإن كانت كثيرة، وفيهم الخائن الذي لا يؤدي أمانته وإن كانت حقيرة، ومن كان أمينا في الكثير، فهو في القليل أمين بالأولى، ومن كان خائنا في القليل، فهو في الكثير خائن بالأولى. وقوله ﴿إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗا﴾ أي لا يؤده إليك في حال من الأحوال، إلا مادمت عليه قائما مطالبا له، مضيقا عليه متقاضيا لرده لك ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ﴾ والأميون: هم العرب، وغيرهم من الأمم الذين ليسوا أهل كتاب، أي قالوا: ليس علينا في ظلمهم حرج لمخالفتهم لنا في ديننا، وادعوا أن ذلك في كتابهم ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٧٥﴾ يخبرنا الله تعالى أن ذلك ليس في الدين الذي أنزله الله عليهم، بل هو اختلاق محض. ٧٦- بلى عليهم سبيل لكذبهم واستحلالهم أموال العرب، وعليهم الوزر لو أكلوا مال أحد بالباطل، ولو كان كافرا أو مخالفا لهم في الدين ومن أوفى بعهده مع الله فأطاعه وعمل بشريعته ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾ فلم يأكل مال أحد بالباطل، وأدى الحقوق =

وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ
مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ
مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ
وَهُمْ يَعْلَمُونَ ٧٨ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن
دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ
وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ٧٩ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ
وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ٨٠
وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ
وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ
بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ
قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨١
فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ٨٢
أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ٨٣

= والأمانات إلى أهلها. فهو أهل لمحبة الله. ثم يتوعد الله هؤلاء الذين ينقضون عهد الله ويخونون الأمانات.

٧٧- ويحلفون باسمه كذبًا وزورًا في مقابل عرض زائل قليل. الموصوفون بهذه الصفة لا نصيب لهم في الآخرة ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ بشيء أصلا، أو لا يكلمهم بما يسرهم ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ نظر رحمة، بل يسخط عليهم ويعذبهم بذنوبهم. وفي الصحيحين وغيرهما عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «من حلف على يمين هو فيها فاجر ليقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان». يا رسول الله: إذن يحلف، فيذهب مالي، فأنزل الله «إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا».

٧٩- ما صَحَّ لأحدٍ من الناس أن يختاره الله للرسالة ويؤتيه الكتاب والفهم الصائب فيه أن يقول للناس: اعبدوني من دون الله ولكن يأمرهم أن يكونوا منسوبين إلى ربهم بالطاعة، متمسكين بدينه بسبب كونهم يدرسون الكتاب، ويعلّمونه للناس ﴿وَلَٰكِن﴾ يقول النبي: ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ ومعنى الرباني: العالم بدين الرب، القوي التمسك بطاعة الله، مع فقه وحلم وحكمة ﴿بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ٧٩﴾ أي يقول النبي: كونوا مع علمكم شديدي التمسك بطاعة الرب، أقوياء في ذلك، لأنكم تدرسون كتبه، وتعلمونها للناس، وتأمرونهم بالتمسك بما فيها، والذي يعلّم غيره الحق يجب أن يكون أكثر من غيره تمسكًا به. ٨٠- وليس لنبي: عيسى أو غيره، بعد ما آتاه الله من العلم والهدى أن يأمر بعبادة نفسه ولا يأمر باتخاذ الملائكة والنبيين أربابا بل ينهى عنه. ٨١- وبعد أن بين الله تعالى أن الأنبياء يأمرون بتوحيد الله والإخلاص له، بيّن هنا أنهم يصدقون الرسالات ويأمرون بتصديقها: فقد أخذ الله ميثاق الأنبياء أن يصدق بعضهم بعضا بالإيمان، ويأمر بعضهم بعضا بذلك، ويأمروا أممهم بذلك ﴿لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾ أي لئن آتيتكم شيئا منها ﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾ أي موافق لهذا الذي سوف أعطيكم ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ﴾ جواب القسم الذي هو أخذ الميثاق، إذ هو بمنزلة الاستحلاف. عن علي قال: لم يبعث الله نبيا، آدم فمن بعده، إلا أخذ عليه العهد في محمد لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، ويأمره فيأخذ العهد على قومه ﴿إِصْرِى﴾ سمي العهد إصرا لما فيه من التشديد ﴿قَالَ فَٱشْهَدُوا۟﴾ قال الله سبحانه: فاشهدوا، أي ليشهد بعضهم على بعض ﴿وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨١﴾ أي وأنا على إقراركم وشهادة بعضكم على بعض من الشاهدين. ٨٢- فمن أعرض بعد ذلك الميثاق عنك يا محمد بعد هذا العهد المأخوذ من جميع الأمم ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ﴾ الخارجون عن الطاعة. ٨٣- ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾ أي هل يطلب أحد من الناس دينا غير دين الله خالق كل شيء وهو طاعته وعبادته =

قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ
وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ
مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ
مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ
دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾
كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟
أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ
وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ
عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ
بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ
وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ
كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ
ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾

= والإسلام له ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الملائكة ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ كل مخلوق فيها ﴿وَكَرْهًا﴾ قيل من أتي به من أسرى الأمم في السلاسل والأغلال، يقادون إلى الجنة وهم كارهون وقيل: إن كل شيء في السماوات والأرض حتى الحيوان والجماد مسلم لله، وحتى الكافر مستسلم لله كرهًا وإن كفر قلبه ولسانه.

٨٤- ﴿قُلْ ءَامَنَّا﴾ إخبار منه ﷺ عن نفسه وعن أمته ﴿وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ القبائل من بني إسرائيل الذين آمنوا بموسى ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ كما فرقت اليهود والنصارى فآمنوا ببعض وكفروا ببعض. وقد تقدم تفسير هذه الآية في سورة البقرة/ ١٣٦ ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ﴾ منقادون مخلصون. ٨٥- ومن يبتغ دينا حال كونه غير الإسلام فلن يقبل منه ﴿وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ فلا دين بعد بعثة محمد ﷺ إلا دينه، ولا نجاة يوم القيامة لأحد لم يدن بدين الإسلام. ٨٦- ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ لا يهدي الله قوما إلى الحق كفروا بعد إيمانهم وبعد ما شهدوا أن الرسول حق، وبعد ما جاءتهم البينات من كتاب الله سبحانه، ومعجزات رسول الله ﷺ ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ ومنهم المرتدّون، ولاريب أن ذنب المرتدّ أشد من ذنب من هو باق على الكفر، ممن لم يدخل في الإسلام أصلا، لأن المرتد قد عرف الحق، ثم أعرض عنادا وتمردا. ٨٧- ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ المرتدون ﴿عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ﴾ الإبعاد والطرد من رحمته، ولعنة ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾﴾ معناه استحقاق المرتدين لذلك. ٨٨- وأنهم خالدون في النار لا يخفف عنهم عذابها ولا يؤخّرون ولا يمهلون. ثم استثنى التائبين: فقال: ٨٩- ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي من بعد الارتداد ﴿وَأَصْلَحُوا۟﴾ بالإسلام ما كان قد أفسدوه من دينهم بالردة وأصلحوا القلب والعمل وتُقْبَلُ توبة المرتد إذا رجع إلى الإسلام مخلصا ولا خلاف في ذلك فيما أحفظ. ٩٠- إن الذين كفروا بعد إيمانهم واستمروا بإقامتهم على كفرهم، وازدياد كيدهم للإسلام وأهله حتى موتهم وقيل: هي في اليهود كفروا بعيسى، فلما جاءهم محمد ﷺ كفروا به أيضا ﴿لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ عند الموت، كما قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾ ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾﴾ أي الذين لا يهتدون إلى ما فيه نجاتهم. ٩١- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ سواء الكفار الأصليون، أو المرتدون ﴿وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾ أي لو أتى يوم القيامة بملء الأرض ذهبا - وينجوَ من عذاب النار - ما قبل ذلك منه ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾﴾ لا أحد ينجيهم من نار الله يوم القيامة، ناصر ولا شفيع.

لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ
فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ
ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ
﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ
وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى
بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ
إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ
مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿٩٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ
عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن
سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ
بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟
فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾

٩٢- لن ينال الناس الدرجة العالية عند الله من صدق الإيمان وصلاح العمل وقبوله حتى يتصدقوا من كرام أموالهم التي يحبونها وسيجازيهم الله تعالى على جميع صدقاتهم قلت أو كثرت لأنه بكل شيء عليم. ٩٣- ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ قيل: حرم يعقوب على نفسه لحوم الإبل وألبانها، وقيل: حرم كل لحم فيه عرق ﴿مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾ أي أن كل المطعومات كانت حلالا ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾ حتى تعلموا صدق ما قصه الله في القرآن، من أنه لم يحرم على بني إسرائيل شيء من قبل نزول التوراة إلا ما حرمه يعقوب على نفسه. ٩٤- ﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي من بعد إحضار التوراة وتلاوتها، أو من بعد التحدي لهم بما في كتابهم ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ فإنه لا أظلم ممن حوكم إلى كتابه وما يعتقده شرعا صحيحا، ثم يجادل من بعد ذلك مفتريا على الله الكذب. ٩٥- ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أي ملة الإسلام التي أنا عليها، ما دام صِدْقُ ما جئتكم به قد تبين لكم بكل جلاء. ٩٦- إن أول بيت وضع لعبادة الله تعالى في الأرض ﴿لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾ البيت الكعبةُ، نبّه تعالى بكونه أول مُتعبَّد على أنه أفضل من غيره، والباني له في الابتداء إبراهيم، وبكة هي مكة ﴿مُبَارَكًا﴾ البركة: كثرة الخير الحاصل لمن يستقر فيه أو يقصده، لكثرة الخيرات التي تجبى إليه، ولأجل الثواب المتضاعف ﴿وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ لعله لما فيه من إقامة توحيد الله، وذكره في المشاعر، وإحياء سنة الخليلين. ٩٧- ﴿ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ﴾ منها الصفا والمروة والمشاعر كلها. ومنها هلاك من يقصده من الجبابرة، وغير ذلك، ومنها ﴿مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ وهو الصخرة التي كان يقوم عليها وهو يبني البيت. وقد أمرنا الله أن نتخذه مصلى. ومنها: أن ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ أي من كان خائفا ودخل البيت الحرام أمِنَ، ووجب على الناس ألا يهيجوه ولو كان قد سفك دما، أو أخذ مالا، حتى يخرج من الحرم لكن من ارتكب الجريمة في الحرم يؤخذ بها، وتقام عليه العقوبة لقوله تعالى ﴿وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾ ولأنه يكون هو الذي بدأ بانتهاك الحرمة ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ تأكيدا لحقه وتعظيما لحرمته ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ التقدير أن يحج البيت من استطاع إليه سبيلا، والاستطاعة هي: الزاد والراحلة ومن كفر بشيءٍ من الآيات والبينات فإن الله تعالى عنه غني لا تعود إليه طاعات عباده بأسرها بنفع. ٩٨- والخطاب لليهود والنصارى والاستفهام للإنكار لم تكفرون بآيات الله الدالة على صدقي والله مطلع عليكم يراكم حينما تنطقون بالكفر. وتفعلون ما هو كفر بدلائل الحق ومعجزات النبوة، أو كفر بآيات التوراة وفي ذلك التهديد والوعيد لهم. ٩٩- تتصدون تدبّرون المكايد لتوقعوا الفتنة بين المؤمنين، وتحاولوا الحيلولة بين الناس وبين الإيمان بالله تطلبون لسبيل الله اعوجاجا وميلا عن القصد والاستقامة بإيهامكم الناس بأنها كذلك، تقويما لدعاويكم الباطلة وكيف تطلبون ذلك الكيد بملة الإسلام، والحال أنكم تشهدون أنها دين الله الذي لا يقبل غيره، كما عرفتم ذلك من كتبكم المنزلة على أنبيائكم. ١٠٠- ﴿إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا﴾ =

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ
رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم
مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ
وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ
فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ
فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ
﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا
تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ
وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ
وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ
فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ
وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ
ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾

= ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ إن تصغوا إلى دسائسهم وتركنوا إلى أقوالهم يصلوا بكم إلى هدفهم وهو أن ﴿يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾﴾.

١٠١ - ومن أين يأتيكم ذلك ولديكم آيات الله فاتلوها واستمسكوا بها تعرفوا ما يريد بكم اليهود ﴿وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ﴾ ارجعوا إليه، وردوا الأمر إليه، يبطل كيد هؤلاء، وهذا في عهده ﷺ وأما بعده، فإن آثاره وعلامته والقرآن الذي أتى به وسنته كل ذلك باق فينا، فكأنه لا يزال بين أظهرنا ﷺ ويكون ذلك إذا تمسكنا به ورجعنا إليه، عصمة من دسائسهم وفتنهم ثم أرشدهم إلى الاعتصام به وترك الركون إلى أعدائه، لتثبت لهم الهداية، ويخلصوا من الضلال الذي يراد بهم.

١٠٢ - ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ أي التقوى التي تحق له، وهي ألا يترك العبد شيئا مما يلزمه فعله، ولا يفعل شيئا مما يلزمه تركه، ويبذل في ذلك جهده ومستطاعه. وقيل المعنى: اتقوا الله حق تقاته ما استطعتم ولا تكونوا على حال سوى حال الإسلام، حتى إذا جاء الموت جاء وأنتم مسلمون.

١٠٣ - وأمرهم سبحانه بأن يجتمعوا على التمسك بدين الإسلام أو بالقرآن، ونهاهم عن التفرق الناشئ عن الاختلاف في الدين ﴿أَعْدَآءً﴾ يقتل بعضهم بعضا، وينهب بعضهم بعضا، فأصبحوا بسبب هذه النعمة إخوانا وكانوا وشيكي الوقوع في النار بما كانوا عليه من الكفر، فأنقذهم الله من هذه الحفرة بالإسلام، يقول: كنتم على طرف النار، من مات منكم وقع في النار، فبعث الله محمدا ﷺ واستنقذكم به من تلك الحفرة. ١٠٤ - ولتكن طائفة منكم قائمين بواجب الدعوة والأمر والنهي، وقيل المراد: كونوا كلكم أمة تدعون وتأمرون وتنهون والقول الأول أصح ﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾ بالتعليم والوعظ والإرشاد ﴿وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ باليد أو باللسان. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات، يختص بأهل العلم الذين يعرفون كون ما يأمرون به معروفا، وما ينهون عنه منكرا. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثابت بالكتاب والسنة، وهو من أعظم واجبات الشريعة المطهرة، وأصل عظيم من أصولها، وبه يكمل نظامها ويرتفع سنامها وتلك الطائفة القائمة ما ذكر هم المختصون بالفلاح والفوز. ١٠٥ - ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟﴾ هم اليهود والنصارى نهاهم الله أن يكونوا فرقا. ونهاهم عن الاختلاف فيما وردت فيه ﴿ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ وهي: الآيات الواضحة المبينة للحق، الموجبة لعدم الاختلاف، وقيل: الذين تفرقوا هم مبتدعة هذه الأمة، والفرق التي تميزت وخالفت فيما هو من ضروريات الدين وأساسياته. ١٠٦ - ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾ أي له عذاب عظيم يوم القيامة حين يبعثون من قبورهم، وتكون وجوه المؤمنين مبيضّة، ووجوه الكافرين مسودّة ﴿أَكَفَرْتُم﴾ فيقال لهم: أكفرتم، قيل: هم أهل الكتاب، وقيل: المرتدون، وقيل: المنافقون، وقيل: المبتدعون. ١٠٧ - ﴿فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ أي في جنته ودار كرامته.

١٠٨ - ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي متلبسة بالحق وهو العدل ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ بتعذيبهم إلا وهم مستحقون.

وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ
﴿١٠٩﴾ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ
وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ
أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ
وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمۡ إِلَّآ أَذٗىۖ
وَإِن يُقَٰتِلُوكُمۡ يُوَلُّوكُمُ ٱلۡأَدۡبَارَۖ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتۡ
عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ
وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ
بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ
حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ۞ لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ
مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ
وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ
وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ
فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفۡعَلُواْ
مِنۡ خَيۡرٖ فَلَن يُكۡفَرُوهُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾

ربع الحزب ٧

١٠٩- ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ أي له ذلك يتصرف فيه كيف يشاء، وعلى ما يريد، ولغناه عن الظلم لكون ما في السماوات وما في الأرض في قبضته.

١١٠- ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ﴾ أي كنتم في علم الله كذلك، وقيل: كنتم منذ آمنتم، وفيه دليل على أن هذه الأمة الإسلامية خير الأمم على الإطلاق، وأن هذه الخيرية مشتركة ما بين أول هذه الأمة وآخرها بالنسبة إلى غيرها من الأمم، وإن كان الصحابة أفضلهم ﴿أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ أي أظهرت لهم، وقيل: المعنى كنتم أنفع الناس للناس، وخيريتهُمْ لما بينَهُ بقوله ﴿تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ أي كانوا خير أمة ما أقاموا على ذلك واتصفوا به، فإذا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله زال عنهم ذلك. ولو ﴿ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ أي اليهود إيمانا كإيمان المسلمين بالله ورسله وكتبه ﴿لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ﴾ ولكنهم لم يفعلوا ذلك. ثم بين حال أهل الكتاب بقوله ﴿مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ وهم الذين آمنوا برسول الله ﷺ منهم ﴿وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ أي الخارجون عن طريق الحق المترددون في باطلهم المكذبون لرسول الله ﷺ.

١١١- لن يضروكم بنوع من أنواع الضرر إلا بنوع الأذى، وهو الكذب والتحريف والبهت، ولا يقدرون على الضرر الذي هو الضررُ في الحقيقة بالحرب والنهب ونحوهما ينهزمون ولا يقدرون على مقاومتكم فضلا عن أن يضروكم وشأنهم الخذلان ما داموا. ١١٢- وصارت الذلة محيطة بهم في كل حال حيثما وجدتموهم متمكنين منهم ﴿إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ بذمة الله أو بكتابه ﴿وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي بذمة من الناس وهم المسلمون ورجعوا بغضب من الله هم مستحقون له، ومعنى ﴿وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ﴾ إحاطتها بهم من جميع الجوانب، أي الغضب والذلة والمسكنة، فإنهم تحت الفقر المدقع، والمسكنة الشديدة، إلا النادر الشاذ منهم ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي ضرب الذلة عليهم والمسكنة والبواء بالغضب منه، لكونهم كفروا بآياته، وقتلوا أنبياءه، وبسبب عصيانهم واعتدائهم. ١١٣- وأهل الكتاب غير مستوين على الحال التي تقدمت من ذمهم، بل فيهم خيار مؤمنون ﴿أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ﴾ مستقيمة عادلة ﴿يَتۡلُونَ﴾ آيات القرآن في صلاة الليل ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ﴾ ساعاته وهم يصلون، عبر بالسجود عن مجموع الصلاة، لما فيه من الخضوع والتذلل. ١١٤- ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ هو يوم القيامة ﴿وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ على العموم، وقيل المراد بالأمر بالمعروف هنا: أمرهم باتباع النبي ﷺ ونهيهم عن مخالفته ﴿وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ يبادرون بها غير متثاقلين عن تأديتها لمعرفتهم بقدر ثوابها ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ مع الصالحين، وهم الصحابة رضي الله عنهم.

١١٥- وما يفعلوا ما من خير كان فلن يعدموا ثوابه، بل هو موفّر لهم.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم
مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ (١١٦)
مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا
صِرٌّ أَصَابَتۡ حَرۡثَ قَوۡمٖ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَأَهۡلَكَتۡهُۚ وَمَا
ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ (١١٧) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا
وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي
صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ (١١٨)
هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ
وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ
مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (١١٩)
إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ
بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ
إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ (١٢٠) وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ
تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٢١)

٦٥

١١٦- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ قيل: هم بنو قريظة والنضير. لما ذكر تعالى مؤمني أهل الكتاب، ذكر كفارهم في هذه الآية لن تدفع ﴿أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا﴾ من الدفع مما يريد الله أن يوقعه بهم من الهزيمة والنكال، وخصّ الأولاد لأنهم أحب القرابة إلى الإنسان وأرجاهم لدفع ما ينوبه.

١١٧- مثل نفقة الكافرين في بطلانها وذهابها وعدم منفعتها، كمثل زرع أصابه ريح باردة، فأحرقته أو أهلكته، فلم ينتفع أصحابه بشيء منه بعد أن كانوا على طمع من نفعه وفائدته ﴿وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ (١١٧)﴾ وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون - أي كمثل هذا الزرع إذا زرعه القوم الظالمون فأصابه ريح فيها صر فأهلكته، فكذلك أنفقوا فأهلكهم شركهم.

١١٨- يا أيها الذين آمنوا لا يليق بكم أن تتخذوا من غير المسلمين إخوانا وبطانة الرجل: خاصته الذين يستبطنون أمره وهم الكفار لا يقصّرون فيما فيه الفساد عليكم، والخبال: الفساد في الأفعال والأبدان والعقول ويحبون لكم ما فيه المشقة عليكم والضرر ﴿قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ﴾ هي شدة البغض، قد ظهرت في كلامهم لما خامرهم من شدة الحسد. أظهرت ألسنتهم ما في صدورهم، فتركوا التَّقِيَّةَ وصرحوا بالتكذيب، وكان يظهر من فلتات ألسنتهم ما يكشف عن خبث طويتهم ﴿وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُ﴾ بل تلك الفلتات بالنسبة إلى ما في الصدور قليلة جدًّا.

١١٩- ﴿هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ﴾ أيها الموالون لهم الذين اتخذتم منهم بطانة ﴿تُحِبُّونَهُمۡ﴾ أنتم ﴿وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ﴾ هم، لما قد استحكم في صدورهم من الغيظ والحسد ﴿وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾ والحال أنكم مؤمنون بكتب الله التي من جملتها كتابهم، فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم؟ ﴿وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ نفاقا وتُقية ﴿وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِ﴾ تأسفا وتحسرا، حيث عجزوا عن الانتقام منكم ﴿قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡ﴾ أي: فإن الله متمّمٌ نعمته على المؤمنين، ومظهرٌ دينه، فلتزدادوا غيظا حتى تموتوا به ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (١١٩)﴾ الخواطر القائمة بها. ١٢٠- ﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ﴾ من نصر، أو قوة، أوغير ذلك، ولو كان قليلا ﴿تَسُؤۡهُمۡ﴾ فمن كانت هذه حالته لم يكن أهل لأن يتخذ بطانة ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ﴾ على عداوتهم أو على التكاليف الشاقة في حربهم ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ موالاتهم ﴿لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ﴾ تدبيرهم السوء لكم ولدينكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ (١٢٠)﴾ مطلع عليه قادر على إحباطه. ١٢١- ﴿وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ﴾ انتقال إلى ذكر الحرب مع قريش في بدر وأحُد، ليعتبر اليهود ويعلموا كيف مصيرهم لو حاربهم المسلمون. والمعنى: خرجت من المنزل الذي فيه أهلك. نزلت في غزوة أحد ﴿تُبَوِّئُ﴾ أي تتخذ لهم مقاعد للقتال، أي أماكن يقعدون فيها.

إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى
ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ
أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ
أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ
مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ
هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ
﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا
ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا
مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ
مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ
﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ
وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ
﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾

١٢٢ - ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾ والطائفتان: بنو سلمة من الخزرج، وبنو حارثة من الأوس، وكانا جناحي العسكر يوم أحد، أرادوا الرجوع عن الغزو مع النبي ﷺ، فحفظ الله قلوب المؤمنين فلم يرجعوا ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ أي: ولذلك عصمهما من الفشل فلم يرجعوا كما رجع المنافقون. ١٢٣ - ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ جمل مستأنفة سيقت لتصبيرهم بتذكير ما يترتب على الصبر من النصر ﴿أَذِلَّةٌ﴾ بسبب قلتهم.

١٢٤ - واذكر إذ قلت يوم بدر للمؤمنين ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ﴾ للإنكار منه عليهم عدم اكتفائهم بذلك المدد من الملائكة. ١٢٥ - ﴿بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟﴾ على شدة الحرب، وتثبتوا في المعركة ﴿وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا﴾ أي إن يأتوكم من ساعتهم هذه ﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم﴾ بالملائكة في حال إتيانهم، لايتأخر عن ذلك ﴿مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ أي معلمين أنفسهم بالعلامات، وكان أهل الشجاعة والبأس يعلمون أنفسهم بعصابة حمراء، أو علامة أخرى، ليعرف مكانهم. قيل: إن الملائكة يوم بدر اعتمَّت بعمائم بيض، وقيل: حمر، وقيل: خضر، وقيل: صفر، وقيل: كانوا على خيل بُلْق.

١٢٦ - وما جعله الله أي إلا لتُبشروا بأنكم تنصرون ولتطمئن قلوبكم بالإمداد ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ لا من عند غيره، فلا تنفع كثرة المقاتلة، ووجود العدة، إلا بعون الله وتأييده وتوفيقه والله غالب لا يغلب حكيم في شرعه وصنعه.

١٢٧ - ولقد نصركم الله ببدر ليقطع طائفة من الكفار، وهم الذين قتلوا يوم بدر، أو يحزنهم ويضيق عليهم أمرهم ويكف غلواءهم فينقلبوا غير ظافرين بمطلبهم. ١٢٨ - ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ أي إن الله مالك أمرهم يصنع بهم ما يشاء من الإهلاك أو الهزيمة أو التوبة إن أسلموا، أو العذاب. فقوله ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ فيه تلميح بأن قريشا سيكون مصيرها الإيمان. ١٢٩ - ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ لبيان سعة ملكه ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ أن يغفر له ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ أن يعذبه، يفعل في ملكه ما يشاء، ويحكم ما يريد ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾﴾ إشارة إلى أن رحمته سبقت غضبه ودعوة لقريش إلى أن تراجع موقفها من دين الإسلام. ١٣٠ - ﴿أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾ اعتراض بين أثناء قصة أحد، ومعلوم تحريم الربا على كل حال، ولكنه جيء به باعتبار ما كانوا عليه، فإنهم كانوا يربون إلى أجل، فإذا حل الأجل زادوا في المال، ثم يزيدون في أجل الدين، يفعلون ذلك مرة بعد مرة، حتى يأخذ المرابي أضعاف دينه الذي كان له في الابتداء. ١٣١ - وفيه الإرشاد إلى تجنب ما يفعله الكفار في معاملاتهم، أي إن أكل الربا شأن الكفار، فاتقوا الربا الذي ينزع منكم الإيمان فتستوجبون النار كالكفّار.

١٣٢ - ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ في كل أمر ونهي لتكونوا بطاعتكم لله ورسوله متعرضين لرحمة الله.

﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا
ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ
فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ
عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا
فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ
لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ
مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ
مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ
فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ
فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ
١٣٧ هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ١٣٨
وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ
١٣٩ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ
وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٠

١٣٣ - ﴿عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ فهما أوسع مخلوقات الله سبحانه فيما يعلمه عباده، فكيف تفعلون ما يحرمكم من الجنة، على ما هي عليه من السعة، وقد أعدت للمتقين؟ وتأكلون الربا، فيدخلكم النار التي أعدت للكافرين.
١٣٤ - ﴿ٱلسَّرَّآءِ﴾ اليسر والرخاء ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ العسر والشدة ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾ الذين يكتمون غضبهم، ويبقونه في قلوبهم، فلا يظلمون بسبب غيظهم أحدا،يقال: كظم غيظهم أحدا، يقال: كظم غيظه، أي سكت عليه ولم يظهره ﴿وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ أي التاركين عقوبة من أذنب إليهم واستحق المؤاخذة، أي وذلك إذا كانوا قادرين على المؤاخذة ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ بالعفو وغيره من أمورهم. ١٣٥ - ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً﴾ أي فعلة فاحشة وهي كل معصية. وقد كثر اختصاصها بالزنى، لأنه من أشنع الفواحش ﴿أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ باقتراف الذنوب،وقيل: الفاحشة الكبيرة، وظلم النفس الصغيرة ﴿ذَكَرُواْ ٱللَّهَ﴾ بألسنتهم وقلوبهم ﴿فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ﴾ طلبوا المغفرة لها من الله ﴿وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ﴿وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ﴾ الإصرار: العزم على معاودة الذنب، وعدم الإقلاع عنه بالتوبة. ١٣٦ - ﴿جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ﴾ أي جزاء من عمل الصالحات المذكورة أن يمحى عنه ذنبه، ويدخل الجنة. ١٣٧ - ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ﴾ وقائع سنها الله في الأمم المكذبة ﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ سيحوا فيها بقصد الاعتبار، أي إن شككتم فسيروا ﴿فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١٣٧﴾ ولمشاهدة آثار الأمم البائدة وقع في النفوس، ليس لمجرد التذكر واستماع القول أثر يوازيه. ولذا أمرنا الله بالسير والنظر.
١٣٨ - ﴿هَٰذَا﴾ الأمر بالسير في الأرض، والنظر في عاقبة الظالمين البائدين وديارهم الخاوية منهم ﴿بَيَانٞ لِّلنَّاسِ﴾ أي للمكذبين وغيرهم ﴿وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ﴾ فالبيان لجميع الناس مؤمنهم وكافرهم والهدى والموعظة للمتقين وحدهم. ١٣٩ - ثم عزّاهم وسلاّهم عما نالهم يوم أحد من القتل والجراح، وحثهم على قتال عدوهم، ونهاهم عن العجز والفشل، ثم بين لهم أنهم ﴿ٱلۡأَعۡلَوۡنَ﴾ على عدوهم بالنصر والظفر بعد هذه الوقعة ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩﴾ أي إن كنتم مؤمنين فانتهوا ولا تحزنوا، أو إن كنتم مؤمنين فأنتم الأعلون. ١٤٠ - ﴿قَرۡحٞ﴾ القرح: الجرح، والمعنى أن نالوا منكم يوم أحد، فقد نلتم منهم يوم بدر ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ﴾ أي النصر والغلبة في الوقائع الكائنة بين الأمم في حروبها، جرت عادة الله إن يجعلها بينهم متداولة، تارة تغلب هذه الطائفة، وتارة تغلب الأخرى، كما وقع لكم أيها المسلمون في يوم بدر وأحد ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بصبرهم علما أزليا ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَ﴾ أي يكرمهم بالشهادة، والشهداء سمُّوا بذلك وقيل: لكونهم مشهودا لهم بالجنة.

وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمۡ
حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ
مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن
قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ
إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ
ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ
ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ
لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗاۗ وَمَن يُرِدۡ
ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ
مِنۡهَاۚ وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ
رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ
وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ
إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ
أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ
ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

١٤١- وليخلص المؤمنين من ذنوبهم، فتبقى صحائفهم نقية ليس فيها إلا الحسنات ﴿وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤١﴾ أي يستأصلهم بالهلاك. ففي هذه الآية بيان الحكمة في ظهور الكفار يوم أحد، فمنها تميز أهل الإيمان والصبر، وإدراك بعض المؤمنين الشهادة، وطغيان الكفار ليؤدي ذلك بهم إلى المحق. ١٤٢- أتظنون أيها المسلمون بأن دخول الجنة بغير ثمن؟ كلا إن دخولها لا يكون إلا بالجهاد لإعلاء كلمة الحق، وكذلك الصبر فإن علم الله ذلك منكم - كنتم أهلاً لدخولها.

١٤٣- ﴿وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ﴾ كانوا يتمنون يوما يكون فيه قتال، فلما كان يوم أحد انهزموا مع أنهم هم الذين ألحوا على رسول الله ﷺ بالخروج، ولم يصبر منهم إلا نفر يسير، مثل أنس بن النضر عم أنس بن مالك ﴿مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ﴾ أي القتال، وتمني الموت من المسلمين يرجع إلى تمني الشهادة ﴿فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ﴾ أي الموت ﴿وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ١٤٣﴾ معاينين له حين قتل من قتل منكم. ١٤٤- ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ﴾ لما أصيب في يوم أحد صاح الشيطان قائلا: قد قتل محمد، ففشل بعض المسلمين، حتى قال قائل: قد أصيب محمد فأعطوا بأيديكم، فإنما هم إخوانكم. وقال آخر: لو كان رسولا ما قتل ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ يموت كما ماتت الرسل غيره، وقد يقتل كما قتلوا ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ﴾ أي كيف ترتدون وتتركون دينه إذا مات أو قتل، مع علمكم أن الرسل تخلو ويتمسك أتباعهم بدينهم وإن فُقِدوا بموت أو قتل ﴿وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ﴾ أي بإدباره عن القتال، أو بارتداده عن الإسلام ﴿فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا﴾ وإنما يضر نفسه ﴿وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾ أي الذين صبروا وقاتلوا واستُشهدوا، لأنهم بذلك شكروا نعمة الله عليهم بالإسلام. ١٤٥- ﴿وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ بقضاء الله وقدره ﴿كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗا﴾ معناه: كتب الله الموت كتابةً على كل نفس في أجل لا يتقدم على أجله ولا يتأخر ﴿وَمَن يُرِدۡ﴾ بعمله ﴿ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ وهو الجنة نؤته من ثوابها، ونضاعف له الحسنات أضعافا كثيرة ﴿وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٥﴾ بامتثال ما أمرناهم به كالقتال والصبر، عن علي قال: الثابتين على دينهم: أبا بكر وأصحابه، فكان علي يقول: كان أبو بكر أمير الشاكرين. ١٤٦- ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ﴾ أي كثير من الأنبياء قاتلوا أعداء الله، وقاتل معهم العلماء والعُبَّاد الربانيون. والرِّبيون: هم الربانيون نسبوا إلى التأله والعبادة ومعرفة الربوبية ﴿فَمَا وَهَنُواْ﴾ أي فما وهن أولياء الله لقتل نبيهم، أو لقتل من قتل منهم ﴿وَمَا ضَعُفُواْ﴾ أي عن عدوهم ﴿وَمَا ٱسۡتَكَانُواْ﴾ لما أصابهم في الجهاد والاستكانة: الذلة والخضوع. ١٤٧- ﴿وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ﴾ أي قول أولئك الذين كانوا مع الأنبياء عندما لقوا عدوهم ﴿ذُنُوبَنَا﴾ قيل: هي الصغائر ﴿وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا﴾ قيل: هي الكبائر، والإسراف: ما فيه مجاوزة للحد، قالوا ذلك مع كونهم ربانيين هضما لأنفسهم ﴿وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا﴾ في مواطن القتال. ١٤٨- ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ بسبب ذلك ﴿ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا﴾ من النصر والغنيمة والعزة ونحوها ﴿وَحُسۡنَ =

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾
بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى
فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ
مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ
مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ
وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ
وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم
مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم
مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ
وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ
﴿١٥٢﴾ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ
وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ
غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ
وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٧

= ﴿ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ وهو نعيم الجنة ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ في شؤون الحرب وغيرها فيحسن جزاءهم في الدنيا والآخرة.

١٤٩- ﴿إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ هذا كأنه رد على الذين دعوا في معركة أحد بعد الهزيمة إلى الاستسلام، وأمّلوا أن يحسن المشركون معاملتهم ﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ أي يخرجوكم من دين الإسلام إلى الكفر ﴿فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ أي ترجعوا مغبونين.

١٥٠- ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾ أي فلا ترجعوا إلى المشركين ولا تتلوهم، وكونوا من حزب الله، حربا على أعدائه، فالله هو مولاكم دونهم، ولا ينصرونكم، بل الله ناصركم لا غيره.

١٥١- وسنملأ قلوب الكافرين خوفا وفزعا ﴿بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ﴾ أي بسبب إشراكهم ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ أي ما لم ينزل الله بجعله شريكا حجة وبيانا وبرهانا ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾.

١٥٢- ونزلت لما قال بعض المسلمين من أين أصابنا هذا؟ وقد وعدنا الله النصر، وذلك أنه كان الظفر لهم في الابتداء، حتى قَتَلُوا صاحب لواء المشركين وتسعة نفر بعده. فلما اشتغلوا بالغنيمة، وترك الرماة مركزهم طلبا للغنيمة، كان ذلك سبب الهزيمة ﴿تَحُسُّونَهُم﴾ تقتلونهم وتستأصلونهم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ أي جبنتم وضعفتم ﴿وَتَنَٰزَعْتُمْ﴾ والتنازع، ما وقع من الرماة حين قال بعض: نلحق الغنائم، وقال بعضهم: نثبت في مكاننا ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾ ما وقع لكم من النصر في الابتداء في يوم أحد ﴿مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا﴾ الغنيمة ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ أي الأجر بالبقاء في مراكزهم امتثالا لأمر رسول الله ﷺ ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ أي ردكم الله عنهم بالانهزام بعد أن استوليتم عليهم ليمتحنكم ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾ لما علم من ندمكم فلم يستأصلكم بعد المعصية.

١٥٣- ﴿۞ إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ تمضون قبالة وجوهكم تمعنون في السير بعيدًا ﴿وَلَا تَلْوُۥنَ﴾ أي لا يلتفت بعضكم إلى بعض هربًا ﴿عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾ ممن معكم، وقيل: على رسوله ﷺ ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾ في الطائفة المتأخرة منكم، وكان دعاء النبي ﷺ «أي عباد الله ارجعوا» ﴿فَأَثَٰبَكُمْ﴾ أي فجازاكم الله غمًّا حين صرفكم عنهم بسبب غم أذقتموه رسول الله ﷺ بعصيانكم ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ من الغنيمة ﴿وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ﴾ من الهزيمة.

ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً
مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ
ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ
قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ
يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ
فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ
وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ
وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ
يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا
كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا
ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا
قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾

١٥٤ - ﴿أَمَنَةً﴾ الأمنة: الأمن يكون مع وجود أسباب الخوف ﴿نُّعَاسًا﴾ عن الزبير بن العوام قال: رفعت رأسي يوم أحد فجعلت أنظر وما منهم من أحد إلا وهو يميل تحت جحفته من النعاس ﴿يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾ هم المؤمنون الذين خرجوا للقتال طلبًا للأجر، أصابهم النعاس قليلاً فكان ثباتًا لهم، والطائفة الأخرى هم: معتِّب ابن قشير وأصحابه من المنافقين، وكانوا خرجوا طمعًا في الغنيمة، فجعلوا يتأسفون، بل أخذهم القلق على الحضور، ويقولون الأقاويل، ومعنى ﴿أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ صارت همّهم لا همّ لهم غيرها ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ ظنهم أن أمر النبي ﷺ باطل، وأنه لا ينصر، ولا يتم ما دعا إليه من دين الحق ﴿يَقُولُونَ﴾ لرسول الله ﷺ ﴿هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ﴾ من النصر والاستظهار على العدو لتنال الغنيمة ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ وليس لكم ولا لعدوكم منه شيء، فالنصر بيده والظفر منه، وقوله: ﴿يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم﴾ النفاق ولا يبدون لك ذلك، بل يسألونك سؤال المسترشدين ﴿يَقُولُونَ﴾ كأنه قيل ما هو الأمر الذي يخفون في أنفسهم؟ فقيل يقولون فيما بينهم أو في أنفسهم ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ أي ما قتل من قتل منا في هذه المعركة ﴿لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ أي لم يكن بدّ من خروج من كتب عليه القتل إلى هذه المصارع التي صرعوا فيها، فإن قضاء الله لا يرد ﴿وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ﴾ ليمتحن ما في صدوركم من الإخلاص، وليمحص ما في قلوبكم من وساوس الشيطان.

١٥٥ - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ أي انهزموا يوم أحد ﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أوقعهم في الخطيئة وهي الانهزام بسبب (بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟) من الذنوب ﴿وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ لتوبتهم واعتذارهم. ١٥٦ - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ في الكفر، أو في النسب أي قالوا لأجلهم ﴿إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إذا ساروا فيها للتجارة أو نحوها ﴿أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى﴾ أي خارجين للقتال فماتوا في السفر، أو قتلوا في الحرب ﴿لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟﴾ قالوا ذلك لعدم إيمانهم بقضاء الله وقدره ﴿لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ﴾ والمراد أنه صار ظنهم أنهم لو لم يخرجوا ما قتلوا حسرة ﴿وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ متى شاء وأين شاء، في الغزو والسفر وغيرهما، فلا تكونوا أيها المؤمنون مثلهم، ولا تتحسروا على من استشهد منكم، وكونوا من الصابرين المؤمنين بأقدار الله.

١٥٧ - ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ﴾ في الجهاد ﴿أَوْ مُتُّمْ﴾ في سفر أو غيره ﴿لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ مزية القتل أو الموت في سبيل الله، وزيادة تأثيرهما في استجلاب المغفرة والرحمة، خير مما يجمع الناس من الدنيا ومنافعها.

وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ
ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ
فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ
فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ
فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ
بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن
يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ
نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ
ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ
﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾
لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ
يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾
أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ
قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾

١٥٨ - ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ﴾ على أي وجه ﴿لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾.

١٥٩ - ومن رحمة الله عليك وعليهم ﴿لِنتَ لَهُمْ﴾ أي كنت رفيقًا بهم، والمعنى أن لينه لهم ما كان إلا بسبب الرحمة العظيمة من الله تعالى إعانة منه تعالى لرسوله ﷺ لتأليف قلوب أصحابه واستقامة أمر الدين ﴿فَظًّا﴾ الفظ: الغليظ الجافي، الكريه الخلق ﴿غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾ وغلظ القلوب قساوته وقلة إشفاقه وعدم انفعاله للخير ﴿لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ انصرفوا عنك وتفرقوا ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ﴾ فيما يتعلق بك من الحقوق ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ الله فيما هو من حقه سبحانه ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ الذي يرِدُ عليك، مما يشاور في مثله، أو في أمر الحرب، وفي ذلك تطييب خواطرهم واستجلاب مودتهم، ولتعريف الأمة بمشروعية ذلك بعدك. والمراد المشاورة في غير الأمور التي يرد الشرع بها إن كانت جلية لا خفاء فيها. فواجب علي الولاة مشاورة العلماء فيما لا يعلمون وفيما أشكل عليهم من أمور الدين، ومشاورة وجوه الجيش فيما يتعلق بالحروب، ووجوه الناس فيما يتعلق بالمصالح، ووجوه الكتاب والعمال والوزراء فيما يتعلق بمصالح البلاد وعمارتها. ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ إذا عزمت عقب المشاورة على إمضاء شيء واطمأنت به نفسك ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ في فعل ذلك. ١٦٠ - ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ أي فتولوه وتولوا عليه وثقوا به ﴿وَإِن يَخْذُلْكُمْ﴾ بترك إعانتكم على عدوكم. ١٦١ - ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ﴾ ما صح لنبي أن يخون شيئًا من المغنم فيأخذه لنفسه من غير اطلاع أصحابه، قيل نزلت في قطيفة حمراء افتقدت من الغنائم يوم بدر، فقال أحدهم: لعل رسول الله ﷺ أخذها. ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ وهذه الجملة تتضمن تحريم الغلول والتنفير منه، بأنه ذنب يختص فاعله بعقوبه على رءوس الأشهاد، يطلع عليها أهل المحشر، وهي مجيئه يوم القيامة بما خان فيه حاملا له قبل أن يحاسب عليه ويعاقب عليه ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ أي تعطي جزاء ما كسبت وافيا من خير وشر. ١٦٢ - ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي ليس من اتبع رضوان الله في أوامره ونواهيه كمن غل أو عصى، فباء أي رجع بسخط عظيم من الله بسبب مخالفته لما أمر به ونهي عنه، ويدخل تحت ذلك الغلول. ١٦٣ - ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ فدرجات من اتبع رضوان الله، ليست كدرجات من باء بسخط من الله. ١٦٤ - ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي أنعم عليهم ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ ولو كان من غير جنس بني آدم لم يحصل كمال الأنس به لاختلاف الجنسية ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ هذه منة ثانية، أي يتلو عليهم القرآن بعد أن كانوا أهل جاهلية لا يعرفون شيئًا من الشرائع ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ أي يطهرهم من نجاسة الكفر ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ السنة ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ أي من قبل محمد ﴿لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ أي واضح لا ريب فيه. ١٦٥ - ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ هي الغلبة والقتل الذي أصيبوا به يوم أحد ﴿قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾ يوم بدر، الذين قتلوا من المسلمين يوم أحد سبعون، وقد كانوا قتلوا من =

وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ
١٦٦ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ
أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ
يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ
فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ١٦٧ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ
وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ
ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٦٨ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي
سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩ فَرِحِينَ
بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ
بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٧٠
۞ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٧١ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ
أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ١٧٢
ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ
فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣

الحزب ٨

= المشركين يوم بدر سبعين، وأسروا سبعين ﴿أَنَّىٰ هَٰذَا﴾ أي من أين أصابنا هذا الانهزام والقتل، ونحن نقاتل في سبيل الله، ومعنا رسول الله ﷺ وقد وعدنا الله بالنصر عليهم؟ وقوله: ﴿قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡ﴾ بسبب مخالفة الرماة أمره ﷺ من لزوم المكان الذي عينه لهم، وعدم مفارقتهم له على كل حال. ١٦٦ - ﴿يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ﴾ أي ما أصابكم يوم أحد من القتل والجراح والهزيمة ﴿فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ بقضائه وقدره وقيل بتخليته بينكم وبينهم. ١٦٧ - ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ﴾ والمراد بالعلم هنا التمييز والإظهار قبل ذلك، والمراد بالمنافقين هنا عبد الله بن أبي وأصحابه. ﴿تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ إن كنتم ممن يؤمن بالله واليوم الآخر ﴿أَوِ ٱدۡفَعُواْ﴾ عن أنفسكم وأولادكم ودياركم إن كنتم لا تؤمنون بالله واليوم الآخر، وقيل: المراد دافعوا من ورائنا، ولا تقاتلوا، وقيل: كثروا سوادنا، فأبوا جميع ذلك ﴿قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ﴾ أنه سيكون قتال ﴿لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡ﴾ وقاتلنا معكم، ولكنه لا قتال هنالك، وقيل: المعنى لو كنا نقدر على القتال ونحسنه لاتبعناكم ﴿هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ﴾ أي يوم انخذلوا عنكم

وقالوا هذه المقالة ﴿أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ﴾ عند من كان يظن أنهم مسلمون ﴿يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡ﴾ أي إنهم أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر. ١٦٨ - وهم الذين قالوا لإخوانهم أي قالوا عن أقاربهم من المؤمنين الذين قتلوا في وقعة أحد، والحال أن هؤلاء القائلين قد ﴿قَعَدُواْ﴾ عن القتال ﴿لَوۡ أَطَاعُونَا﴾ بترك الخروج من المدينة ما قتلوا ﴿قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٦٨﴾ أي لا ينفع الحذر من القدر، فإن المقتول يقتل بأجله، ولا مفرّ لأحد من الموت. ١٦٩ - ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ﴾ من المؤمنين يوم أحد، ومثلهم من قتل ويقتل منهم في سائر المواطن ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي قتلوا وهم يجاهدون لرفع كلمة الله ونصر دينه ولا تظن أن الشهداء ماتوا ﴿بَلۡ﴾ في حياة محققة، وقد وردت السنة المطهرة بأن أرواحهم في أجواف طيور خضر، وأنهم في الجنة يرزقون ويأكلون. ١٧٠ - ﴿فَرِحِينَ﴾ بما ساقه الله إليهم من الكرامة بالشهادة، وما صاروا فيه من الحياة، وما يصل إليهم من رزق الله سبحانه ﴿وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم﴾ من إخوانهم من المؤمنين الذين لم يقتلوا إذ ذاك ﴿أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٧٠﴾ أي يستبشرون بهذه الحالة التي ستحصل لمن يقتل منهم في سبيل الله أو يموت على الإيمان لإخوانهم من أنه لا خوف عليهم ولا حزن. ١٧١ - ﴿يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ لإخوانهم أهل الإيمان وأهل الجهاد، بما رأوه لهم عند الله من الجنة والرضوان ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٧١﴾ علموا أنه لا يضيع أجر مؤمن عمل صالحًا. ١٧٢ - ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ﴾ عندما دعاهم للاحقة أبي سفيان وجيش قريش بعد رجوعهم من أحد ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُ﴾ الجراح وشدة الحرب ﴿لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ١٧٢﴾ عن عائشة أنها قالت لعروة بن الزبير: يا ابن أختي: كان أبواك منهم: الزبير وأبو بكر. ١٧٣ - ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ المراد بالناس هنا: نعيم بن مسعود، وجاز إطلاق لفظ الناس عليه: لكونه من =

فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ
رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ١٧٤ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ
يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧٥
وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ
شَيۡـٔٗاۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظّٗا فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ١٧٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّواْ
ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٧ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ
أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۚ
وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٧٨ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ
أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ
عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ
وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٧٩ وَلَا
يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا
لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ
وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١٨٠

= جنسهم. ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ﴾ أبو سفيان وأصحابه ﴿فَزَادَهُمۡ﴾ ذلك القول إيمانًا ولم يؤثر فيهم خوفًا ﴿وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾ أي: نعم الوكيل الله سبحانه وتعالى. ١٧٤ - فخرجوا خلف جيش قريش فانقلبوا بنعمة، وهي السلامة من عدوهم وعافية ﴿وَفَضۡلٖ﴾ أي أجر تفضل الله به عليهم، وقيل ربح في التجارة. ﴿وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ في ما يأتون ويذرون، ومن ذلك خروجهم لهذه الغزوة. ١٧٥ - ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ﴾ أي المثبط لكم أيها المؤمنون الشيطان يخوف المؤمنين من أوليائه وهم الكافرون والمراد الشيطان نفسه باعتبار ما يصدر عنه من الوسوسة. وقيل المراد الأعرابي الذي نقل إليهم وعيد أبي سفيان فلا تخافوا الكفار، فهم أولياء الشيطان. نهاهم عن أن يخافوهم فيجبنوا عن اللقاء ويفشلوا عن الخروج ﴿وَخَافُونِ﴾ فافعلوا ما آمركم به، واتركوا ما أنهاكم عنه، لأني الحقيق بالخوف، والمراقبة لأمري ونهيي، ولكون الخير والشر بيدي. ١٧٦ - ﴿وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾ قيل: هم قوم ارتدوا فاغتم النبي ﷺ لذلك، فسلاه الله سبحانه ونهاه عن الحزن، وقيل: كان النبي ﷺ يفرط في حزنه على كفر قومه، فنهاه الله عن الإفراط فيه. كما قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍ﴾ ﴿إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا﴾ والمعنى أن كفرهم لا ينقص من ملك الله سبحانه شيئًا، وقيل: المراد لن يضروا دينه الذي شرعه لعباده ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظّٗا﴾ نصيبًا في الجنة، أو نصيبًا من الثواب ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٧٦﴾ بسبب مسارعتهم في الكفر، فكان ضرر كفرهم عائدًا عليهم، جالبًا لهم عدم الحظ في الآخرة. ١٧٧ - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ أي استبدلوا الكفر بالإيمان. ١٧٨ - ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ﴾ بطول العمر ورغد العيش، أو بما أصابوا من الظفر يوم أحد ﴿خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡ﴾ فليس الأمر كذلك بل ﴿إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗا وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٧٨﴾ أخبر بأنه يطيل أعمار الكفار ويجعل عيشهم رغدًا ليزدادوا إثمًا. ١٧٩ - ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ﴾ بل يعقد من الأسباب - كأمركم بالجهاد والهجرة - ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ﴾ وهو المنافق والعاصي ﴿مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ وهو المؤمن الزكي. وقيل: الخطاب للمؤمنين، أي ما كان الله ليذركم يا معشر المؤمنين على ما أنتم عليه من الاختلاط بالمنافقين حتى يميز بينكم ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ﴾ حتى تميزوا بين الطيب والخبيث، فإنه المستأثر بعلم الغيب لا يظهر على غيبه أحد ولكن الله يشاء ويختار من رسله ليطلعه على شيء من غيبه، فيميز بينكم، كما وقع من نبينا ﷺ من تعيين كثير من المنافقين، فآمنوا بما يخبركم به رسولكم من هذه الغيوب وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر من الله عظيم. ١٨٠ - ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُم﴾ لا يحسبن الباخلون عن الإنفاق في سبيل الله البخل خيرًا لهم ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ﴾ =

لَقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ
سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ
ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ
وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ
ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ
تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ
وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾
فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ
وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ
وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ
عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ
إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ
وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ
مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ
وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾

ربع الحزب ٨

= يكون ما بخلوا به من المال طوقًا من نار في أعناقهم، والبخل: أن يمنع الإنسان الحق الواجب، ويترك الإنفاق حيث ينبغي الإنفاق ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ له ما فيهما مما يتوارثه أهلها، فما بالهم يبخلون بذلك ولا ينفقونه حيث أمرهم وإنما كان عندهم عارية مستردة؟ وأخرج البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثّل له شجاع أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، فيأخذ بلهزمته يعني بشدقه، فيقول: أنا مالك، أنا كنزك. ثم تلا هذه الآية». ١٨١ - ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ﴾ قال قوم من اليهود هذه المقالة وقيل: أرادوا أنه تعالى إن صح ما طلبه منا من القرض على لسان محمد ﷺ فهو فقير، ليشككوا في دين الإسلام. وقال ابن عباس: أتت اليهود محمدًا ﷺ حين أنزل الله ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ فقالوا: يا محمد أفقيرٌ ربك يسأل عباده القرض. فأنزل الله الآية ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟﴾ سنكتبه في صحف الملائكة، وسنحفظه، وسنجازيهم عليه ﴿وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ﴾ أي ونكتب قتلهم الأنبياء، جعل ذلك القول قرينًا لقتل الأنبياء تنبيهًا على العظم والشناعة ﴿وَنَقُولُ﴾ أي ننتقم منها بهذا القول الذي نقوله لهم في النار، والحريق: اسم للنار الملتهبة. ١٨٢ - ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾﴾ أي عذبهم عذاب الحريق بما أصابوا من الذنب، وجازاهم على فعلهم، فلم يكن ذلك ظلمًا.

١٨٣ - ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ﴾ كان دأب بني إسرائيل أنهم كانوا يقرّبون القربان، فيقوم النبي فيدعو، فتنزل نار من السماء فتحرقه. ولم يتعبد الله بذلك كل أنبيائه، ولا جعله دليلاً على صدق دعوى النبوة وقد قال هؤلاء الملعونون من اليهود حين دُعُوا إلى الإسلام: إن الله قد عهد إلينا أن لا نؤمن برسول - حتى يتقرب إلى الله بشيء فتنزل نار من السماء لتحرقه أمامنا ولهذا رد الله عليهم فقال: ﴿قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ﴾ من القربان ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾﴾ كيحيى بن زكريا وأشعياء وسائر من قتلوا من الأنبياء، والقربان: ما يتقرب به إلى الله. ١٨٤ - ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو﴾ بمثل ما جئت به من البينات فكذّبوه، والزبر جمع زبور: وهو الكتاب، أي فاصبر على قولهم وجاهدهم. ١٨٥ - وهذه الآية تتضمن الوعد والوعيد، للمصدق والمكذب وهكذا أعلم الله أن كل حي إلى ممات إلا هو سبحانه وتعالى الحي الذي لا يموت وأن توفية الأجور وتكميلها إنما يكون في ذلك اليوم، وما يقع من الأجور في الدنيا أو في البرزخ، فإنما هو بعض الأجور فهي بَعُدَ عن النار يومئذ ونحى فقد فاز أي ظفر بما يريد، ونجا مما يخاف، وهذا هو الفوز الحقيقي كل فوز دون الجنة ليس بشيء، وكل نجاةٍ من ضرر فليس بنجاةٍ إن لم ينج صاحبها من النار. والمتاع ما يتمتع به الإنسان وينتفع به، ثم يزول ولا يبقي و﴿ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ الاغترار بالأماني الباطلة والمواعيد الكاذبة. ١٨٦ - وهذا الخطاب للنبي ﷺ وأمته، تسلية لهم عما سيلقونه من الكفرة والفسقة، ليوطنوا أنفسهم على الثبات والصبر على المكاره. أي لتُمتَحَنُنَّ ولتُختبرُنَّ في أموالكم =

وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ
وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا
قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ
بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم
بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى
خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ
لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا
وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾
رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ
أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ
ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا
سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا
عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾

= بالمصائب، والإنفاقات الواجبة، وسائر التكاليف الشرعية المتعلقة بالأموال، والابتلاء في الأنفس بالموت، والأمراض، وفقد الأحباب، والقتل في سبيل الله ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ وهم اليهود والنصارى ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟﴾ وهم سائر الطوائف الكفرية من غير أهل الكتاب ﴿أَذًى كَثِيرًا﴾ من الطعن في دينكم وأعراضكم ﴿فَإِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الصبر والتقوى ﴿عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾ أي مما يجب عليكم أن تعزموا عليه، ويقال عزم الأمر: أي شده وأصلحه. ١٨٧ - وإن الله أخذ على اليهود والنصارى أن يبينوا نبوته للناس ولا يكتموها ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ مبالغة في النبذ والطرح واشتروا به ثمنا حقيرا يسيرا من حطام الدنيا وأعراضها. ١٨٨ - فمن فرح بما فعل، وأحب أن يحمده الناس بما لم يفعل، فلا تحسبنه بمنجاة من العذاب. أخرج البخاري ومسلم وغيرهما أن مروان قال لبوابه: اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل: لئن كان كل امرئ منا فرح بما أوتي، وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا، لنعذبن أجمعون؟ فقال ابن عباس: ما لكم ولهذه الآية؟ إنما أنزلت في أهل الكتاب، ثم تلا ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ الآية، قال ابن عباس سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتموه إياه، وأخبروه بغيره، فخرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك إليه، وفرحوا بما أتوا من كتمان ماسألهم عنه. ١٩٠ - إن في إنشاء السموات والأرض على غير مثال سابق ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أي تعاقبهما بمجيء كل منهما بعد الآخر، وتفاوتهما طولا وقصرا، وحرا وبردا، وغير ذلك دلالات واضحة، وبراهين بينة تدل على الخالق سبحانه للأولي الألباب أهل العقول الصحيحة الخالصة عن شوائب النقص، فإن مجرد التفكر فيما قصه الله في هذه الآية يكفي العاقل، ويوصله إلى الإيمان الذي لا تزلزله الشبه، ولا تدفعه التشكيكات. ١٩١ - ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ المعنى أنهم يذكرون الله على كل حال وقيل: الذكر هنا عبارة عن الصلاة، أي لا يضيعونها في حال من الأحوال فيصلونها قياما مع عدم العذر، وقعودا وعلى جنوبهم مع العذر ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ في بديع صنعهما، وإتقانهما مع عظم أجرامهما ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾ ما خلقت هذا عبثا ولهوا، بل خلقته دليلا على حكمتك وقدرتك، ولتجعل الأرض ميدانا لاختبار عبادك، ليظهر من يطيعك ممن يعصيك ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ أي تنزيها لك عما لا يليق بك. ١٩٢ - ويقولون ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ أي أذللته وأهنته لأنه تجرأ على مخالفتك وعصي أمرك فظلم نفسه وما للظالمين من أنصار. ١٩٣ - ويارب ﴿سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ﴾ هو النبي ﷺ وقيل هو القرآن فامتثلنا مايأمر به هذا المنادي من الإيمان، وتكرير النداء في قوله ﴿رَبَّنَا﴾ لإظهار التضرع والخضوع ﴿ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾﴾ البار المتسع في طاعة الله قيل: هم الأنبياء. ١٩٤ - ويا ربنا أنجز لنا ما وعدتنا على ألسنة رسلك وهو الثواب الذي وعد الله به أهل طاعته ولا تفضحنا يوم القيام فيكون ذلك ذلا وإهانة لنا ﴿ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾ الوعد. والله تعالى، لقدرته =

فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن
ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ
مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ
عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا
ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ١٩٥
لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١٩٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ
ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٩٧ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ
رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا
نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ ١٩٨ وَإِنَّ مِنۡ
أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ
أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا
قَلِيلًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ
سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٩٩ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ
وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠

سُورَةُ النِّسَاءِ — ترتيبها ٤ — آياتها ١٧٦

= وكماله وعظيم إنعامه، لا يخلف عباده المؤمنين الصالحين ما وعدهم إياه على ألسنة رسله، وما تضمنته كتبه، من مغفرة ذنوبهم إذا استحقوا ذلك، ومن إنجائهم من عذابه ومصيرهم إلى جنته.

١٩٥ – فلما أجاب المسلمون نداء رسولهم قبل دعوتهم بما يأتي من الوعد ﴿أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم﴾ بترك الإثابة ﴿مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ﴾ نص على النساء تطييبًا لأنفسهن، وإلا فإنهن يدخلن في عموم الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴿بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖ﴾ أي رجالكم مثل نسائكم في الطاعة، ونسائكم مثل رجالكم فيها، باعتبار تشعبهما من أصل واحد فكلا الجنسين من نسل آدم وحواء وكلا الجنسين مكلف ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ من الرجال والنساء من أوطانهم إلى رسول الله ﷺ ﴿وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ﴾ في طاعة الله عز وجل ﴿وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي﴾ والمراد ما نالهم من الأذية من المشركين بسبب إيمانهم بالله وعملهم بما شرعه الله لعباده حتى يردوهم عن دينهم، فلم يزدهم ذلك إلا تمسكًا بدينهم. ﴿وَقَٰتَلُواْ﴾ أعداء الله ﴿وَقُتِلُواْ﴾ في سبيل الله، والمراد: قُتِل بعضُهم ليعفُوَنّ اللهُ عن ذنوبهم، وليدخلنهم جنات تجري من تحت قصورها الأنهار جزاءً طيبًا من ربهم والله عنده حسنِ الجزاء، وهو ما يرجع على العامل من جزاء عمله.

١٩٦ – وينهى الله رسولنا عن أن يغترّ بما يتنعَّم فيه الكافرون من متع الحياة ﴿تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١٩٦﴾ الذائلة بالأسفار للتجارة التي يتوسعون بها في معاشهم متاع قليل يتمتعون به في هذه الدار، ثم مصيرهم إلى جهنم. وقال عكرمة: تقلُّبُ ليلهم ونهارهم وما يجري عليهم من النعم وبئس المهاد ما مهدوا لأنفسهم في جهنم بكفرهم. ١٩٧ – ﴿مَتَٰعٞ قَلِيلٞ﴾ لا اعتداد به بالنسبة إلى ثواب الله سبحانه ﴿ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ﴾ أي ما يأوون إليه ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾ ما مهدوا لأنفسهم في جهنم بكفرهم. ١٩٨ – ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ﴾ لهم بالإضافة إلى ما يحصل لهم من الانتفاع الكثير والخلد الدائم ثوابًا من عند الله ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ مما أعده لمن أطاعه ﴿خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ ١٩٨﴾ مما يحصل للكفار من الربح في الأسفار فإنه متاع قليل عن قريب يزول. ١٩٩ – بعض أهل الكتاب لهم حظ من الدين، وليسوا كسائرهم في فضائحهم التي حكاها الله عنهم فيما سبق، فإن هذا البعض يجمعون بين الإيمان بالله، وبما أنزل الله على نبينا محمد، وما أنزله على أنبيائهم لا يتركون متابعة محمد ﷺ طلبا لمنصب أو جاه ﴿لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ﴾ مرتين.

٢٠٠ – ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ﴾ حض على الصبر على الطاعات وعن الشهوات، والمصابرة: مصابرة الأعداء، أي غالبُوهم في الصبر على شدائد الحرب، والمصابرة أشد وأشق من الصبر ﴿وَرَابِطُواْ﴾ أي أقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها.

نصف الحزب ٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنْهَا
زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ
بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبٗا ﴿١﴾ وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْۖ
وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْۚ إِنَّهُۥ
كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ
مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ
فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴿٣﴾ وَءَاتُواْ
ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةٗۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٖ مِّنْهُ نَفْسٗا فَكُلُوهُ
هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ﴿٤﴾ وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ
قِيَٰمٗا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلٗا مَّعْرُوفٗا ﴿٥﴾ وَٱبْتَلُواْ
ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدٗا فَٱدْفَعُوٓاْ
إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْۚ وَمَن كَانَ
غَنِيّٗا فَلْيَسْتَعْفِفْۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِذَا
دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴿٦﴾

سُورَةُ النِّسَاءِ

هي مدنية كلها وعن عبد الله بن مسعود قال: إن في سورة النساء لخمس آيات، ما يسرني أن لي بها الدنيا وما فيها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٖ﴾ الآية و﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ الآية، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ الآية ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾. ١- يأمر الله عباده بتقواه والحذر من مخالفته لأنه ربّاهم بنعمه وخلقهم من نفس واحدة خلقها أولا، هي آدم عليه السلام، ثم خلق من تلك النفس التي هي عبارة عن آدم زوجها وهي حواء ونشر منها في الأرض ﴿رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗ﴾ أي كثيرة ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ﴾ يسأل بعضكم بعضا بالله ﴿وَٱلْأَرْحَامَ﴾ أي اتقوا الله واتقوا الأرحام فلا تقطعوها، فإنها مما أمر الله به أن يوصل، والأرحام: اسم لجميع القرابات من الرجال والنساء، من غير فرق بين المحرم وغيره ﴿رَقِيبٗا﴾ يرقب أعمالكم خيرها وشرها. ٢- ﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ خطاب للأولياء والأوصياء، واليتيم: من لا أب له ولم يبلغ الحلم، ولا يعطون المال إلا بعد ارتفاع اسم اليتم عنهم بالبلوغ ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ﴾ نهي لهم عن أن يصنعوا صنع الجاهلية في أموال اليتامي، فإنهم كانوا يأخذون الطيب من أموال اليتامي ويعوضونه بالرديء من أموالهم، وقيل المعنى لا تأكلوا أموال اليتامي وهي محرمة عليكم خبيثة، وتدعوا الطيب من أموالكم ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ بضمها إلى أموالكم ﴿حُوبٗا﴾ إثما. ٣- ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ﴾ معناه: أن الرجل كان يكفل اليتيمة لكونه وليا لها، ويريد أن يتزوجها فلا يقسط لها في مهرها، أي لا يعطيها ما يعطيها غيره من الأزواج، فنهاهم الله أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن، ويبلغوا بهن أعلي ما هو لهن من الصداق وسائر حقوق الزوجية، وأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن، والمعني: من غلب علي ظنه التقصير في العدل لليتيمة، فليتركها وينكح غيرها ﴿مَا طَابَ﴾ ما استحسنتم من النساء ممن هن حلال لكم، وما حرمه الله فليس بطيب ﴿مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ غير يتيماتكم ﴿مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ أي تزوجوا ثنتين ثنتين أو ثلاثًا ثلاثا، أو أربعا أربعا، ولا زيادة علي أربع للرجل الواحد ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ﴾ فانكحوا ﴿فَوَٰحِدَةً﴾ فقط، والمعني: فإن خفتم ألا تعدلوا بين الزوجات فتزوجوا واحدة فقط، ولا تزيدوا عليها ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ من السراري وإن كثر عددهن، والمراد نكاحهن بطريق الملك لا بطريق الزواج ولا حق للمملوكات في القسم. ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ٣﴾ الاقتصار علي واحدة أسلم من الجور مع إحداهن علي الأخرى. وقال الشافعي ﴿أَلَّا تَعُولُواْ ٣﴾ ألا تكثر عيالكم، وقال سفيان: ألا تعولوا: ألا تفتقروا، والصواب: ألا تجوروا. ٤- ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ﴾ مهورهن عطية عن طيبة نفس ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٖ مِّنْهُ نَفْسٗا﴾ فالمعتبر في تحليل ذلك منهن لهم إنما هو طيبة النفس لا مجرد الموافقة بالألفاظ التي لا يتحقق معها طيبة النفس ﴿هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ٤﴾ عن ابن عباس قال: إذا كان من غير ضرار ولا خديعة فهو هنيء مريء كما قال الله. ٥- المراد ها هنا الصبيان، ومن =

لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ
مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا
مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ
وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا
﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا
خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى
بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ
فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَآءً
فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا
ٱلنِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن
كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ
فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى
بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ
نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾

= هو ضعيف الإدراك لا يهتدي إلى وجوه النفع التي تصلح المال، ولا يتجنب وجوه الضرر التي تهلكه وتذهب به، ولو كان كبيرا من رجل أو امرأة ﴿ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾ تصلح بها أمورهم، فإنهم إذا أفسدوا تلك الأموال كانوا عالة عليكم واجعلوا لهم من أموالهم رزقا ينفقونه على أنفسهم ويكتسبون به ﴿وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝﴾ وعدًا حسنا، قولوا لهم: إن رشدتم دفعنا إليكم أموالكم. ٦- ﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ الابتلاء: الاختبار وهو أن يتأمل الوصي أخلاق يتيمه ليعلم بنجابته وحسن تصرفه، ويدفع إليه شيئا من ماله، ويأمره بالتصرف فيه حتى يعلم حقيقة حاله ﴿بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ﴾ ومن علامات البلوغ نزول المني والإنبات وحبل المرأة وحيضها ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم﴾ أي أبصرتم ورأيتم ﴿رُشْدًا﴾ فلا تدفع إلى اليتامي أموالهم إلا بعد البلوغ، وبعد إيناس الرشد منهم بحسن التصرف في أموالهم، وعدم التبذير بها، ووضعها في مواطنها ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟﴾ الإسراف: التبذير، أي لا تأكلوها مسرفين ومبادرين لكبرهم، وتقولوا ننفق أموال اليتامي فيما نشتهي قبل أن يبلغوا فينتزعوها من أيدينا ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ فلا يترفّه بأموال اليتامي ولا يبالغ في التنعم بالمأكول والمشروب والملبوس، وقيل: لا يأكل إلا بمقدار عمله في مال اليتيم ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ بعد بلوغهم ورشدهم ﴿فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾ أنهم قد قبضوها منكم لتندفع عنكم التُّهم، وتأمنوا عاقبة الدعاوي الصادرة منهم ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ۝﴾ حاسبًا لأعمالكم، شاهدا عليكم في كل شيء تعملونه. ٧- ﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ أي من جميع ما ترك، ولو كان مما لا يصلح إلا للرجال كالسلاح، أو للنساء كالحلي ﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾ وقد كانوا في الجاهلية لا يورثون من الغلمان إلا من أطاق القتال ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ۝﴾ أي حقا ثابتا أوجبه الله لا يجوز التعرض لإبطاله أو نقصه. ٨- ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ﴾ غير الوارثين، وكذا ﴿ٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ﴾ فيعطَوْن بمقدار ما تطيب به أنفس الورثة ﴿قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝﴾ والقول المعروف: هو القول الجميل الذي ليس فيه منّا ولا أذى. ٩- ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾ هم الأوصياء، وفيه وعظ لهم بأن يفعلوا باليتامي الذين في حجورهم ما يحبون أن يفعل بأولادهم من بعدهم ﴿وَلْيَقُولُوا۟﴾ أي يقول الأوصياء لليتامي، أو يقول الحاضرون للمحتضر ﴿قَوْلًا سَدِيدًا ۝﴾ موافقا للحق والعدل، كما تقدم. ١٠- ﴿ظُلْمًا﴾ أي ظالمين لهم ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ إنما يضعون في بطونهم ما يكون سببًا في دخولهم النار ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۝﴾ سعير النار لهبها وبئس القرار. ١١- ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾ أي أولاد من مات منكم في بيان ميراثهم. والأولاد إن كان فيهم ذكر لهم ما أبقت الفروض للحديث الثابت بلفظ «ألحقوا الفرائض بأهلها، فما أبقت الفرائض، فلأولى رجل ذكر» وأولاد البنين يأخذون ذلك إن لم يكن للميت أولاد مباشرون =

ثلاثة أرباع الحزب ٨

۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن
لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا
تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ
وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ
فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم
مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ
رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ
وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ
فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ
أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ
(١٢) تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ
يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ
خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (١٣)
وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ
نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٤)

= ﴿لِلذَّكَرِ﴾ منهم مثل ﴿حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ والمراد حال اجتماع الذكور والإناث ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ﴾ أي فإن كان أولاد الميت نساء ليس معهن ذكر ﴿فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ﴾ زائدات على اثنتين ﴿فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ الميت، وإن كنّ اثنتين فقط فلهما الثلثان قياسا على الأختين المنصوص عليها في آخر آية في السورة ﴿وَإِن كَانَتْ﴾ بنتا ﴿وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ﴾ أي لأبي الميت وأمه إن كانا باقيين بعده ﴿لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ ذكورًا أو إناثا، واحدا أو أكثر، أو ولد ابن كذلك ﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ﴾ أي ولا ولد ابن ﴿وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ﴾ منفردين عن سائر الورثة، أي ليس معهما وارث آخر من زوج أو زوجة، وكان الأب والأم جميعا وارثين ﴿فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ﴾ والباقي وهو الثلثان للأب. أما لو كان معهما أحد الزوجين فليس للأم إلا ثلث الباقي بعد الموجود من الزوجين فليس للأم إلا ثلث الباقي بعد الموجود من الزوجين ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾ سواء أكان الإخوة ذكورا أو إناثا أو مختلفين، وسواء كانوا اثنين أو أكثر. أما الواحد منهم فلا يحجب الأم عن الثلث إلى السدس ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ أي لا يفرض لمن ذكر ثلثان أو ثلث أو سدس أو غير ذلك إلا بعد إخراج ما أوصي به الميت، وبعد أن يسدد ما عليه من الديون. ثم يقسم الباقي على الورثة ولا يجوز من الوصايا ما زاد على ثلث المال ﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ أي لا تدرون أيهم قريبٌ نفعه في الدعاء لكم والصدقة عنكم ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي إن أحكام هذه الآية فرض عليكم محتم من قبل الله سبحانه.

١٢ - ﴿۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ﴾ الخطاب هنا الرجال، والمراد بالولد الابن أو البنت أو أولاد الابن سواء كانوا من الزوج الوارث أو من غيره ﴿فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ﴾ للزوج مع عدم الولد النصف، ومع وجوده وإن سفل الربع ﴿وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ﴾ سواء كان من الزوجة الوارثة أو من غيرها. وهذا النصيب مع الولد والنصيب مع عدمه تنفرد به الواحدة من الزوجات، ويشترك فيه الأكثر من واحدة لا خلاف في ذلك. والكلام في الوصية والدين كما تقدم ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً﴾ الكلالة: الميت الذي لا ولد له ولا والد ولا جد، كل من لم يرثه بالتعصيب أب أو ابن أو جد فهو عند العرب كلالة، فالكلالة من يرثه الإخوة أو الأعمام أو أبناء الأعمام ﴿أَوِ ٱمْرَأَةٌ﴾ تورث كلالة ﴿وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ أجمع العلماء أن الإخوة ها هنا هم الإخوة لأم، أما الإخوة الأشقاء والإخوة لأب فسيأتي بيان ميراثهم في آخر السورة ﴿فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ﴾ ذكرا كان أو أنثى إذا انفرد ﴿فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾ أي أكثر من واحد ذكورًا أو إناثا أو مختلطين ﴿فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ﴾ بالتساوي بين ذكرهم وأنثاهم ﴿غَيْرَ مُضَآرٍّ﴾ بالدين أو الوصية لورثته بوجه من =

وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ
عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي
ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا
(١٥) وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا
وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا
(١٦) إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ
ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ
ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا (١٧) وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ
يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ
قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ
أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا (١٨) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ
لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ
مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ
أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا (١٩)

= وجوه الضرار، كأن يقرّ بشيء ليس عليه، أو يوصي بوصية لا مقصد له فيه إلا الإضرار بالورثة، أو يوصي لوارث مطلقا، أو لغيره بزيادة على الثلث ولم تجزه الورثة، فما صدر من الإقرارات بالديون أو الوصايا لمضارة الورثة فهو باطل مردود، لا ينفذ منه شيء لا الثلث ولا دونه. عن ابن عباس قال: الإضرار في الوصية من الكبائر ﴿وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ فكل وصية من عباده تخالفها فهي مسبوقة بوصية الله، ووصية الله أحق بالاتباع، فيترك ما خالفها، وذلك كالوصايا المتضمنة لتفضيل بعض الورثة على بعض، أو المشتملة على الضرار بوجه من الوجوه.

١٣- ﴿تِلۡكَ﴾ الأحكام المتقدمة ﴿حُدُودُ ٱللَّهِۚ﴾ لكونها لا تجوز مجاوزتها، ولا يحل تعديها ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في قسمة المواريث وغيرها من الأحكام.

١٤- ﴿وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ﴾ بتغيير هذه الأحكام أو ترك العمل بها ﴿وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ (١٤)﴾ كله خزي وإذلال.

١٥- ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ﴾ الفاحشة: الفعلة القبيحة، والمراد بها هنا: الزني خاصة ﴿فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ﴾ أي اطلبوا من يشهد عليهن بذلك، فإن شهد عليهم بالجرم أربعة رجال ﴿فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ﴾ كان هذا في أول الإسلام ثم نسخ، عن ابن عباس قال: كانت المرأة إذا فجرت حبست في البيوت، فإن ماتت ماتت، وإن عاشت عاشت، حتى نزلت الآية في سورة النور: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ﴾ فمن عمل شيئا جلد وأرسل، أي ترك ﴿أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا (١٥)﴾ طريقا بأن ينزل في شأنهن حكما آخر، وقد جعل لهن سبيلا بنزول آية الحد للزانية والزاني، ولذا قال النبي ﷺ بعد نزولها **«خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا، البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام»** الحديث. ١٦- ﴿وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا﴾ أي الرجل والمرأة اللذان يأتيان الفاحشة من رجالكم ونسائكم، والمراد: الزاني والزانية ﴿فَـَٔاذُوهُمَا﴾ بالضرب والجفاء والتوبيخ. فكان على المرأة الزانية الحبس والإيذاء، وعلى الرجل الزاني الإيذاء دون حبس ﴿فَإِن تَابَا﴾ أي من الفاحشة ﴿وَأَصۡلَحَا﴾ العمل فيما بعد ﴿فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ﴾ أي اتركوهما وكفوا عنهما الأذى، وهذا كان قبل نزول الحدود على ما تقدم. ١٧- ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي واجبة على الله، أوجب على نفسه أن يتوب عليهم، ويقبل توبتهم إن تابوا إليه للذين يعملون المعاصي جاهلين. عن ابن عباس **«كل من عمل السوء فهو جاهل، من جهالته عمل السوء»** ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ﴾ عن النبي ﷺ قال: **«إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»**. ١٨- ﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ﴾ بحيث يعلم أنه ميت لا محالة، ولم يبق له في الحياة رجاء ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ﴾ فالذين يموتون وهم كفار لا توبة لهم رأسا، ووجودها كعدمها. ١٩- ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ﴾ أي لا يحل لكم أن تأخذوهن بطريق الإرث، فتزعمون أنكم أحق بهن من غيركم، وتحبسونهن لأنفسكم، كما كان أهل الجاهلية يفعلون ﴿وَلَا﴾ يحل لكم أن ﴿تَعۡضُلُوهُنَّ﴾ عن =

وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ
إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ
بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ
بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا
غَلِيظًا ﴿٢١﴾ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ
ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا
وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ
وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ
ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ
وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ
وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ
ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ
مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ
إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾

= أن يتزوجن غيركم لتأخذوا ميراثهن إذا متن، أو ليدفعن إليكم صداقهن إذا أذنتم لهن بالنكاح. قال الزهري وأبو مجلز، كان من عادتهم إذامات الرجل وله زوجة ألقي ابنه من غيرها ثوبه على المرأة، فيصير أحق بها من نفسها ومن أوليائها. والحاصل أنهم كانوا يعتبرون المهر كثمن للمرأة ﴿لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ أي: تسترجعوا منهن المهر ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ﴾ ذلك للزوج، قال أبو قلابة: إذا زنت امرأة الرجل فلا بأس أن يضارّها ويشق عليها حتى تفتدي منه، وقال قوم: الفاحشة: البذاءة باللسان ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أي بما هو معروف في هذه الشريعة وبين أهلها من حسن المعاشرة فيما أحله الله ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾ لسبب من الأسباب من غير ارتكاب فاحشة ولا نشوز ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ من استدامة الصحبة، وحصول الأولاد.

٢٠- ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ﴾ مهرا أو هدية ﴿قِنطَارًا﴾ القنطار مائة رطل - أي من الذهب - إذا طلق الرجل زوجته لرغبته عنها دون أن يكون الطلاق لفاحشة منها كما تقدم، لم يحل له أن يأخذ مما أعطاها شيئا ﴿أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾﴾ أي بغير حق، فإنه يكون ظلما وحراما. ٢١- ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ﴾ إنكار بعد إنكار ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ وقال ابن عباس الإفضاء: الجماع ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ وهو عقد النكاح، فإذا جامع الرجل امرأته أو خلا بها بعد عقد النكاح استحقت المهر كله، وحرم عليه أخذ شيء منه عند الطلاق، إلا في حالة إتيانها بفاحشة الزني، كما تقدم بيانه. ٢٢- ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ نهي عما كانت عليه الجاهلية من نكاح نساء آبائهن إذا ماتوا ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ قبل نزول هذه الآية فلا يؤاخذكم الله به ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾﴾ كانت الجاهلية تسميه نكاح المقت، أن يتزوج الرجل امرأة أبيه إذا طلقها أو مات عنها. ٢٣- ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ أي التزوج بهن، ويدخل في لفظ الأمهات أمهاتهن وجداتهن وأم الأب وجداته، وإن علون لأن كلهن أمهات ﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾ ويشمل البنات بنات الأولاد وإن سفلن ﴿وَأَخَوَٰتُكُمْ﴾ والأخوات تصدق على الأخت لأبوين أو لأحدهما ﴿وَعَمَّٰتُكُمْ﴾ والعمة اسم لكل أنثى أي أخت لأبيك أو أحد أجدادك، وقد تكون العمة من جهة الأم وهي أخت أبي الأم ﴿وَخَٰلَٰتُكُمْ﴾ والخالة اسم لكل امرأة هي أخت لأمك، أو لإحدى جداتك، وقد تكون الخالة من جهة الأب وهي أخت أم أبيك ﴿وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ﴾ وبنت الأخ اسم لكل أنثى لأخيك عليها ولادة مباشرة أو بواسطة وإن بعدت، وكذلك بنت الأخت ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ﴾ في الحولين، وقد ورد تقييده بخمس رضعات في أحاديث صحيحة ﴿وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾ الأخت من الرضاع هي التي رضعت أنت وإياها من امرأة واحدة ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ﴾ وهي أم زوجتك وكل جداتها. ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم﴾ أي اللاتي تربين تحت رعايتكم، وهذا المعني غير معتبر في التحريم، فإن الربيبة بنت امرأة الرجل من غيره، سميت ربيبةً لأنه يربيها في حجره، =

۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ
كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟
بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ
مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ
فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا
حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ
ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن
فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم بَعْضُكُم مِّنۢ
بَعْضٍ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ
بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ
أَخْدَانٍ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ
مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ
ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿٢٥﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ
مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾

= وتحرم على زوج أمها إذا دخل بالأم، وإن لم تكن الربيبة في حجره ﴿فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أي في نكاح الربائب، أما في سائر المحرمات بالصهر، وهن زوجة الأب وزوجة الابن وأم الزوجة، فإنهن يحرمن عليك بمجرد العقد على الزوجة ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ﴾ أي زوجة ابنك تحرم عليك بمجرد عقده عليها ولو لم يدخل بها ﴿ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾ دون زوجات من تبنيتم من أولاد غيركم، كما كانوا يفعلونه في الجاهلية وحرم عليكم أن يتزوج الرجل أخت زوجته قبل أن يفارقها بطلاق أو موتها ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ إلا ما قد سلف قبل التحريم. ٢٤- ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ ذوات الأزواج فلا تحل المتزوجة لغير زوجها إلا إذا فارقها وانقضت عدتها ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ بالسبي من أرض الحرب أما إن اشترى أمة مزوجة لم تحل له إلا أن يفارقها زوجها ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أي حكما لازما لا يحل لأحد تغييره ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ ما سوى المحرمات المذكورات في الآيات السابقة وأحل لكم أن تطلبوا بالمهور من أموالكم الحلال زواج النساء اللاتي احلهن الله لكم ولا تبتغوا بها الحرام متعففين عن الزني غير زانيين فما انتفعتم وتلذذتم بجماعهن ومباشرتهن من النساء بالنكاح الشرعي فآتوهن أي مهورهن، وقيل المراد: فما استمتعتم به من النساء بنكاح المتعة الذي كان في صدر الإسلام ثم نُسِخ ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ التي تراضيتم عليها ثم نهي عنها. عن علي قال: «نهى النبي ﷺ عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية يوم خيبر» وهو في الصحيحين ﴿فَرِيضَةً﴾ أي مفروضة، أي المهور مفروضة للزوجات من قبل الله تعالي ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ﴾ أي من زيادة أو نقصان في المهر. ٢٥- ﴿طَوْلًا﴾ غنى وسعة في ماله يقدر بها علي التزوج بامرأة حرة مسلمة ﴿فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ أي فإنه يحل له أن يتزوج أمة مسلمة مملوكة لغيره. أما إن كان يستطيع زواج حرة فزواج الأمة عليه حرام، ولا يجوز نكاح الأمة الكتابية ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم﴾ فلا تستنكفوا من الزواج بالإماء عند الضرورة، فربما كان إيمان بعض الإماء أفضل من إيمان بعض الحرائر ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ لأنهم جميعا بنو آدم. وأدوا إليهن مهورهن بما هو المعروف في الشرع والعادات المستحسنة عفائف غير معلنات بالزني ﴿وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ﴾ وذات الخدن: التي تزني بواحد سرًّا، وكانت العرب تعيب الإعلان بالزنِي ولا تعيب اتخاذ الأخدان ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ﴾ أي متي تزوجن، وإذا زنت ولم تحصن فلا حد عليها وإنما تضرب تأديبا، وقيل: تحد غير المتزوجة أيضا ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ﴾ الفاحشة: هي الزني ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ أي الحرائر، أي خمسين جلدة فقط، لأن حد الحرة مائة جلدة ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ﴾ أي الزواج بالأمة المملوكة رخصة لمن خاف العنت بعدم تمكنه من قضاء وطره من النساء الحرائر بالزواج. والعنت المشقة، والضرر، وخشية الوقوع في الإثم ﴿وَأَن تَصْبِرُوا۟﴾ عن نكاح الإماء ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من نكاحهن، لأن نكاحهن يفضي إلى إرقاق الولد =

وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ٢٧ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ
عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ٢٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن
تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ
إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا
وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ
يَسِيرًا ٣٠ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ
عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ٣١
وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ لِّلرِّجَالِ
نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ
وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ
عَلِيمٗا ٣٢ وَلِكُلّٖ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ
وَٱلۡأَقۡرَبُونَۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَـَٔاتُوهُمۡ
نَصِيبَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا ٣٣

= والغض من النفس. ٢٦- ﴿وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ أي طرقهم، وهم الأنبياء وأتباعهم لتقتدوا بهم ﴿وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾ أي: ولذلك رخّص لكم.

٢٧- ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ هم الزناة يريدون قضاء الشهوة دون النظر في العواقب ولا فيما أحل الله وحرم ﴿أَن تَمِيلُواْ﴾ إلى طريقتهم ﴿مَيۡلًا عَظِيمٗا ٢٧﴾ أي تفعلوا فعلهم دون تقيد بشرع. والمراد بالشهوات هنا: ما حرمه الشرع دون ما أحله.

٢٨- وخلق الإنسان عاجزا غير قادر على ملك نفسه ومقاومة الشهوة الجامحة، فلهذا أراد الله سبحانه التخفيف عنه، فأباح له ما أباح كما بين في هذه الآيات. ٢٩- ﴿لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ تقدم تفسيره في سورة البقرة الآية: ١٨٨ ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً﴾ التجارة: التكسب بالبيع والشراء، نص الله سبحانه على التجارة دون سائر أنواع المعاوضات لكونها أكثرها وأغلبها ﴿عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡ﴾ التراضي: علم كل من المتبايعين بما يأخذ، دون غش ولا تدليس، ولا كتمان لعيب، ثم يفترقان بعد التبايع راضيين، وقيل: إذا تعاقدا راضيين حل ولو لم يفترقا ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ أي لا يقتل بعضكم أيها المسلمون بعضا إلا بسبب أثبته الشرع، ولا يقتل الإنسان نفسه. وفي الحديث «**من قتل نفسه بسمٍّ فسُمُّه في يده يتحسّاه في نار جهنم خالدًا فيها أبدًا**».

٣٠- ومن أكل أموال الناس ظلمًا أو القتل متعمدا اعتداء بغير حق، كأخذ المال نهبا أو غصبًا، وقتل النفس في غير قصاص ولا حد ولا ردة فسوف ندخله نارا عظيمة وكان إصلاؤه النار ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ٣٠﴾ لأنه لا يعجزه شيء. ٣١- إن تجتنبوا كبائر الذنوب التي نهاكم الله عنها نكفر ذنوبكم التي هي الصغائر. قال ابن عباس «**الكبيرة كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعن أو عذاب**» ﴿وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا﴾ وهو الجنة ﴿كَرِيمٗا﴾ أي حسنا مرضيا.

٣٢- ﴿وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ ويجوز أن يتمنى أن يكون له حال مثل حال صاحبه من دون أن يتمنى زوال ذلك الحال عن صاحبه ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ﴾ فالله قد جعل لكل من الفريقين نصيبا على حسب ما تقتضيه إرادته وحكمته وبدلاً أن تشتغلوا بالتمني اكتسبوا واسألوا الله الخير. ٣٣- وجعلنا لكل إنسان ورثةً موالي من أقاربه يلون ميراثه ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ المراد بهم موالي الموالاة، أن الرجل يعاقد الرجل فيقول له: ترثني وأرثك، وكان هذا في الجاهلية كذلك، وفي أول الإسلام، ثم نسخ بقوله تعالى ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ﴾ وبقي للحليف الوصية والمعروف، لقوله تعالى ﴿إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗا﴾. ٣٤- ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ أي عليهن إطاعتهم فيما يأمرونهن من المعروف ﴿بِمَا فَضَّلَ =

ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ
عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ
قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ
نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ
وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ
إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ
بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن
يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا
٣٥ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ
إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ
ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ
وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن
كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ
ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ
مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٣٧

ربع الحزب ٩

= ﴿ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ أي إنما استحقوا هذه المزية تفضيل الله للرجال على النساء بما فضلهم به من الصفات في العقول والأجسام حتى كان فيهم الخلفاء والحكام والأمراء والغزاة وغير ذلك من الأمور ﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ﴾ على النساء، من أموالهم ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ أي من النساء مطيعات لله ولأزواجهن، قائمات بما يجب عليهم من حقوق الله وحقوق أزواجهن ﴿حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ﴾ أي لما يجب حفظه عند غيبة أزواجهن عنهن من حفظ نفوسهن وفرجهن وحفظ أولادهم وبيوتهم وحفظ أموالهم بحفظ الله لهن ومعونته وتسديده ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ النشوز العصيان، يقال نشزت المرأة: استعصت على بعلها بأن تعصيه فلا تطيع أمره، وتمنعه نفسها بلا عذر، وتخرج من بيتها بغير إذنه، ونحو ذلك فذكروهن بما أوجبه الله عليهن من الطاعة وحسن العشرة ورغّبوهن ورهّبوهن ﴿وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ﴾ أي تباعدوا عن مضاجعتهن، وقيل: هو أن يوليها ظهره في الفراش عند الاضطجاع ﴿وَٱضۡرِبُوهُنَّ﴾ ضرب تأديب وإصلاح ﴿فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ﴾ كما يجب وتركن النشوز ﴿فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًا﴾ بشيء مما يكرهن لا بقول ولا بفعل، ولا تكلفوهن الحب لكم، فإنه لا يدخل تحت اختيارهن ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤﴾ فاذكروا قدرة الله عليكم فإنها فوق كل قدرة. ٣٥- وأن تفاقم الخلاف بين الزوجين ﴿فَٱبۡعَثُواْ﴾ إلى الزوجين ﴿حَكَمٗا﴾ يحكم بينهما ممن يصلح لذلك عقلا ودينا وإنصافا. نص الله على أن الحكمين يكونان من أهل الزوجين لأنهما أعرف بأحوالهما، وأحفظ لأسرارهما الخاصة، وأحرص على الصلح بينهما واستقامة حالهما، وهذا إذا أشكل أمرهما ولم يتبين المسيء منهما، فأما إذا عرف المسيء فإنه يؤخذ لصاحبه الحق منه وعلى الحكمين أن يسعيا في إصلاح ذات البين جهدهما، فإن قدرا على ذلك عملا عليه، بفرض نفقة قليلة أو كثيرة، أو تلافي قصور، أو حجب النفقة، أو نحو ذلك. وإن أعياهما إصلاح حالهما ورأيا التفريق بينهما جاز لهما ذلك. وقيل: يرفعان الأمر إلى القاضي ولا يتم التفريق بينهما جاز لهما ذلك. وقيل: يرفعان الأمر إلى القاضي ولا يتم التفريق إلا بحكمه إن يريدا الحكمان ﴿إِصۡلَٰحٗا﴾ بين الزوجين ﴿يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآ﴾ أي بين الزوجين حتى يعودا إلى الألفة وحسن العشرة. وإذا اختلف الحكمان لم ينفذ حكمهما. ٣٦- ﴿وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ هو من له مع الجوار في الدار قرب النسب ﴿وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ﴾ هو الغريب وقيل اليهودي والنصراني. وكلما قرب منك قوي حقه ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ﴾ الرفيق في السفر والإقامة في تحصيل علم أو تعلم صناعة أو مباشرة تجارة أو نحو ذلك ﴿وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ الذي يجتاز بك مارا، والسبيل الطريق، فإن على المقيم أن يحسن إليه. وقيل هو المنقطع به. وقيل هو الضيف ﴿وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ وهم العبيد والإماء، وقد أمر النبي ﷺ بأنهم يطعمون مما يطعم مالكهم، ويلبسون مما يلبس ﴿مُخۡتَالٗا﴾ متكبرا تائها على الناس ﴿فَخُورًا ٣٦﴾ والفخر: المدح للنفس والتطاول وتعديد المناقب، أي لا يحب أهل الفخر والخيلاء. ٣٧- ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ﴾ عن أداء الحقوق ﴿وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ﴾ كأنهم يجدون =

وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ
قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا
مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ
أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ
وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ
اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ
وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي
سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ
أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً
فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ
اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ
الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾

= في صدورهم من جود غيرهم بماله حرجًا وغضاضة. وهذا غاية اللؤم ونهاية الحمق والرقاعة وقبح الطباع ﴿وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ أي يتظاهرون بالمسكنة لئلا يتطلع أهل الحاجة إلى ما ينتفعون به منهم. ٣٨- ﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ﴾ كما يفعله من يريد أن يتسامع الناس بأنه كريم ﴿وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا﴾ القرين: الصاحب والخليل ﴿فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾﴾ لأنه يورده موارد الهلاك: يأمره بالفخر والخيلاء، والبخل بالحقوق، والإنفاق للرياء والسمعة، فيحرمه أجر الإنفاق في الحق، ويتلف له ماله بإنفاقه في الباطل، فبئس الصاحب مثل هذا. ٤٠- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ الذرة واحدة الذر: وهي النمل الصغار. وقيل: كل جزء من أجزاء الهباء، أي لا يبخسهم من ثواب أعمالهم، ولا يزيد في عقاب ذنوبهم وزن ذرة فضلا عما فوقها ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ أضعافا مضاعفة. ولا تُضاعَف السيئة. ٤١- ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ﴾ ممن دعاهم إلى الله وذكَّرهم بعهده، يشهد عليهم يوم القيامة بذلك ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ أي أنت الشهيد على كفار قومك ومن بلَّغْت. ٤٢- ﴿لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ أي تمنوا لو انفتحت لهم الأرض فساخوا فيها، ثم يرد عليهم التراب كما كان، ولا يحضرون للجزاء ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾ بل أسرارهم معروضة عليه، وأحاديثهم فيما بينهم معلومة لديه. ٤٣- ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ﴾ أي لا تصلوا حال السكر، أو لا تدخلوا المساجد في تلك الحال ﴿حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ أي حتى يزول عنكم أثر السكر وتعلموا ما تقولونه، فإن السكران لا يعلم ما يقوله ﴿وَلَا جُنُبًا﴾ الجنب: من أصابته الجنابة، وهي أثر كل جماع أو إيلاج أو إنزال باحتلام أو غيره ﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ حال السفر، فإنه يجوز لكم أن تصلوا بالتيمم، وقيل: المعنى لا تقربوا مواضع الصلاة، وهي المساجد، في حال الجنابة، إلا أن تكونوا مجتازين فيها من جانب إلى جانب، فالجنب يمر في المسجد ولا يجلس فيه ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ﴾ يخاف أحدكم على نفسه التلف أو الضرر باستعمال الماء في الحال أو المآل، أو كان ضعيفا في بدنه لا يقدر على الوصول إلى موضع الماء ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ فيه جواز التيمم لمن صدق عليه اسم المسافر، ولا يشترط أن يكون سفر قصر، وقيل: الحاضر يتيمم أيضا إن عدم الماء ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ﴾ كناية عن الحدث الخارج من الإنسان ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ بالتقبيل والجس باليد، أوغيرها من البدن، بغرض التمتع وقضاء الشهوة والالتذاذ، وقيل المراد: الجماع ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾ على مقربة منكم بعد طلبه، أو أضرَّ بكم استعماله ﴿فَتَيَمَّمُوا﴾ أي اقصدوا ﴿صَعِيدًا﴾ الصعيد وجه الأرض سواء كان عليه تراب أو لم يكن، لأنه نهاية ما يصعد إليه من الأرض، وقيل: الصعيد التراب خاصة، لا يجزئ التيمم إلا بالتراب فقط، فلا يجزئ التيمم بالصخر والرمل ﴿طَيِّبًا﴾ هو الطاهر ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ من ذلك الصعيد ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾﴾ أي عفا عنكم، وغفر لكم تقصيركم، ورحمكم بالترخيص لكم والتوسعة عليكم، فصليتم عند العذر دون =

وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا ﴿٤٥﴾
مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ
سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ
وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا
لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ
إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٤٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا
مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا
عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ
ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ
ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا
﴿٤٨﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ
وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ
وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا
مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ
لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾

= وضوء أو غسل. ٤٤- ﴿يَشۡتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾ وهي البقاء على اليهودية بعد وضوح الحجة على صحة نبوة نبينا ﷺ. ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾﴾ أرادوا مع ضلالهم أن يتوصلوا بكتمهم وجحدهم إلى أن تضلوا أنتم أيها المؤمنون سبيل الحق. ٤٥- ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡ﴾ أيها المؤمنون، وما يريدونه بكم من الإضلال ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا﴾ لكم ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا﴾ ينصركم في مواطن الحرب، فاكتفوا بولايته ونصره، ولاتتولوا غيره ولا تستنصروه. ٤٦- ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ أي ينصركم الله أيها المؤمنون من اليهود، ويحتمل أن يكون ابتداء كلام، أي من الذين هادوا قوم ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ﴾ أي يميلونه ويزيلونه عن مواضعه، ويجعلون مكانه غيره. أوالمراد أنهم يتأولونه علي غير تأويله ويقولون سمعنا قولك ﴿وَعَصَيۡنَا﴾ أمرك ﴿وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ﴾ دعاء منهم على النبي ﷺ بألا يسمع، قاتلهم الله أني يؤفكون، والمعنى: اسمع لا سمعت، وقد تقدم الكلام في ﴿وَرَٰعِنَا﴾ في سورة البقرة الآية ١٠٤ ﴿لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ﴾ يلوونها عن الحق، أي يميلونها إلى ما في قلوبهم، تعريضا وخبثا ﴿وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِ﴾ بقولهم: لو كان نبيا لعلم أنا نَسُبُّهُ، فأطلع الله سبحانه نبيه ﷺ على ذلك ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا﴾ قولك ﴿وَأَطَعۡنَا﴾ أمرك ﴿وَٱسۡمَعۡ﴾ ما نقول ﴿وَٱنظُرۡنَا﴾ مكان قولهم راعنا ﴿لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ﴾ مما قالوه ﴿وَأَقۡوَمَ﴾ أي أعدل وأولى من قولهم الأول، وهو قولهم ﴿سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا﴾ ولكن لم يسلكوا المسلك الحسن ولهذا ﴿لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٤٦﴾﴾ وهو الإيمان ببعض الكتب دون بعض، وببعض الرسل دون بعض. ٤٧- ﴿ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا﴾ إنذار إلهي بغضب منه عليهم، إذ كانوا يعلمون الحق فتركوا متابعته وعملوا بنقيضه ﴿مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا﴾ أي نطمس وجوهكم بمحو معالمها فيجعل الوجه كالقفا، فيذهب بالأنف والفم والحاجب والعين ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ﴾ بعد الطمس يردها إلى موضع القفا ﴿أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِ﴾ وكان لعن أصحاب السبت مسخهم قردة وخنازير. وقيل: المراد نفس اللعنة، وهم ملعونون بكل لسان ﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ﴿٤٧﴾﴾ لامحالة متى أراده كان. ٤٨- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ أي من مات على شركه لم يتب منه فلا احتمال أن يغفر شركه، وأما غيره من أهل الشرك من عصاة المسلمين فداخلون تحت المشيئة، يغفرلمن يشاء ويعذب من يشاء. ٤٩- ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾ بادعاء فضائل ليست لهم كقول اليهود والنصارى: نحن أبناء الله وأحباؤه، وقول بعض الناس لا ذنوب لنا ونحن كالأطفال، وقيل المراد ثناء بعض الناس على بعض. ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ فهو العالم بمن يستحق التزكية من عباده، ومن لا يستحقها، فليدع العباد تزكية أنفسهم للترفع والتفاخر ﴿وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ وهو الخيط الذي في نواة التمر. والمعنى: أن هؤلاء الذين يزكون أنفسهم يعاقبون على تزكيتهم لأنفسهم بقدر هذا الذنب، ولا يظلمون بالزيادة على ما يستحقون ولو بقدر الفتيل، ولا ينقصون من الثواب الذي يستحقون مقدار فتيل. ٥٠- ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ﴾ =

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ٥٢
أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ٥٣ أَمۡ
يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ
ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا ٥٤
فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن صَدَّ عَنۡهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا
٥٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ
جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ
كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ٥٦ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ
لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ٥٧ ۞ إِنَّ
ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ
ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا
بَصِيرٗا ٥٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي
ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ
تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩

نصف الحزب ٩

٨٧

= ﴿عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ﴾ في قولهم ذلك ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا ٥٠﴾ أي كفى بالكذب دلالة على فجور فاعله وارتكابه المعصية عمدا. ٥١- ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ وهم اليهود ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ﴾ السحر ﴿وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ الكاهن، وما عبد من دون الله، وكل معبود من دون الله وهو راض، أو مطاوع في معصية الله ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي يقول اليهود لكفار قريش أنتم أهدى من الذين آمنوا بمحمد سبيلا.

٥٢- ﴿ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ﴾ حيث فضلوا قريشا مع كفرهم بالله وعبادتهم الأصنام على رسول الله والمؤمنين، فناقضوا الحق لأجل الهوى وهم يعلمون، وما فعلوه إلا لتنصرهم قريش ﴿وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ٥٢﴾ يدفع عنه ما نزل به من عذاب الله وسخطه. ٥٣- ليس لهم نصيب من الملك، ولو جعل لهم نصيب من الملك لا يعطون الناس نقيرا منه لشدة بخلهم وقوة حسدهم، والنقير: النقرة في ظهر نواة التمر. ٥٤- ﴿أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ﴾ يعني اليهود يحسدون النبي، وأصحابه ﴿عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ﴾ من النبوة والنصر وقهر الأعداء ﴿فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ أي ليس ما آتينا محمدا وأصحابه من فضلنا ببدع، فهم يعلمون بما آتينا آل إبراهيم. ٥٥- ﴿فَمِنۡهُم﴾ أي اليهود ﴿مَّنۡ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ أي بالنبي ﷺ ﴿وَمِنۡهُم مَّن صَدَّ عَنۡهُۚ﴾ أي أعرض عنه، وقيل: المراد أعرض عما ذكر من حديث آل إبراهيم. ٥٦- ﴿سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا﴾ سوف نعد لهم نارا عظيمة كلما احترقت جلودهم بدلهم الله جلودا غيرها، أي أعطاهم مكان كل جلد محترق جلدا آخر غير محترق، فإن ذلك أبلغ في العذاب وليحصل لهم الذوق الكامل. ثم أتبع وصف حال الكفار بوصف حال المؤمنين وقد تقدم تفسير الجنات التي تجري من تحتها الأنهار. ٥٧- ﴿لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ﴾ أي من الأدناس التي تكون في نساء الدنيا والظل الظليل: الكثيف الذي لا يدخله الحر والسموم. ٥٨- ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ الخطاب يشمل جميع الناس في الأمانات. وتدخل الولاة في هذا الخطاب دخولا أوليا، فيجب عليهم تأدية ما لديهم من الأمانات ورد الظلامات، وتحري العدل في أحكامهم. ويدخل غيرهم من الناس، فيجب عليهم رد ما لديهم من الأمانات والتحري في الشهادات والأخبار. وإن الله يأمركم إذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل، والعدل هو فصل الحكومة على ما في كتاب الله سبحانه وسنة رسوله ﷺ لا الحكم بالرأي المجرد، فإن ذلك ليس من الحق في شيء إلا إذا لم يوجد دليل تلك الحكومة في كتاب الله ولا في سنة رسوله، فلا بأس باجتهاد الرأي من الحاكم الذي يعلم بحكم الله سبحانه وبما هو أقرب إلى الحق عند عدم وجود النص وأما الحاكم الذي لا يدري بحكم الله ورسوله ولا بما هو أقرب إليهما فلا يدري ما هو العدل، لأنه لا يعقل الحجة إذا جاءته فضلاً عن أن يحكم بها بين عباد الله. ونِعمَ ما يأمرنا به الله ويعظنا به ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا﴾ لما يحكم به ﴿بَصِيرٗا ٥٨﴾ به إذ يصدر حكمه، فيعلم الله هل يتحرى العدل أو يحكم بالهوى. ٥٩- أمر الله الناس بطاعتهم ها هنا، وسبق ذلك بالأمر =

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ
وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ
وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ
ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ
اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ
صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا
قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا
إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا
فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي
أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا
لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ
جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ
لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ
حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا
فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

= بطاعة الله وطاعة الرسول، لأن القاضي أو الوالي أو غيرهما إذا خالف حكم الله ورسوله فحكمه مردود ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ﴾ هم الأئمة والسلاطين والقضاة وكل من كانت له ولاية شرعية. لا ولاية طاغوتية، والمراد: طاعتهم فيما يأمرون به وينهون عنه مالم تكن معصية، فلا طاعة لمخلوق في معصية الله، كما ثبت ذلك عن رسول الله، وقيل: إن أولي الأمر هم: أهل القرآن والفقه، الذين يأمرون بالحق ويفتون به وهم يعلمون ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ﴾ فيما بين بعضكم وبعض، أو فيما بينكم وبين الأئمة ﴿فِي شَيْءٍ﴾ يتناول أمور الدين والدنيا ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾، والرد إلى الله: هو الرد إلى كتابه العزيز، والرد إلى الرسول: هو الرد إلى سنته المطهرة بعد موته، وأما في حياته فالرد إليه سؤاله ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ هذا الرد متحتم على المتنازعين، وإنه شأن من يؤمن بالله واليوم الآخر ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الرد المأمور به ﴿خَيْرٌ﴾ لكم ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ أي مرجعا من تأويلكم الذي صرتم إليه عند التنازع إذا رددتموه إلى غير الله ورسوله. ٦٠- ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ الكهان وكل من يحكم بغير ما أنزل الله، فكيف يكونون مؤمنين بالكتب السماوية ثم يتحاكمون إلى الكهان؟ ﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾ أي والكتب السماوية تأمرهم أن يكفروا بكل من لا يحكم بما أنزل الله. ٦١- ﴿يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾ أي يعرضون نفورا من التحاكم إلى القرآن والنبي ﷺ. ٦٢- ﴿إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾ فإنهم يعجزون عند ذلك ولا يقدرون على الدفع ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي بسبب ما فعلوه من المعاصي التي من جملتها التحاكم إلى الطاغوت ﴿ثُمَّ جَاءُوكَ﴾ يعتذرون عن فعلهم ﴿إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾﴾ أي ما أردنا بتحاكمنا إلى غيرك إلا الإحسان لا الإساءة، والتوفيق بين الخصمين لا المخالفة لك. ٦٣- فكذبهم الله بقوله ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق والعداوة للحق. معناه: قد علم الله أنهم منافقون ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ عن قول اعتذارهم ﴿وَعِظْهُمْ﴾ أي خوِّفهم من النفاق ﴿وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ﴾ في حق أنفسهم، وقيل: معناه قل لهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم ﴿قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾﴾ أي بالغا في وعظهم إلى المقصود مؤثرا فيهم، وذلك بأن توعدهم بسفك دمائهم وسلب أموالهم. ٦٤- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ﴾ فيما أمر به ونهى عنه ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بعلمه، وقيل بتوفيقه ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بترك طاعتك والتحاكم إلى غيرك ﴿جَاءُوكَ﴾ متنصلين عن جناياتهم ومخالفاتهم ﴿فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ﴾ لذنوبهم وتضرعوا إليك حتى قمت شفيعا لهم فاستغفرت لهم ﴿وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ أي كثير التوبة عليهم والرحمة لهم. ٦٥- ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ أي فليس الأمر كما يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ﴿لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾ أي يجعلوك حكما بينهم في جميع أمورهم لا يحكّمون أحدا غيرك ﴿فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ أي اختلاف بينهم وتخاصموا فيه، فنفى عنهم الإيمان الذي هو رأس مال صالحي عباد الله حتى تحصل لهم غاية هي تحكيم رسول الله ﷺ ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ﴾ =

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن
دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ
بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن
لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾
وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم
مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ
أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ
بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ
فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ
فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ
شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن
لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ
فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ۞ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ
يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَاتِلْ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾

٨٩

ثلاثة أرباع
الحزب
٩

= فلا يكون مجرد التحكيم والإذعان كافيا حتى يكون صميم القلب عن رضى واطمئنان وانثلاج قلب وطيب نفس ويذعنوا وينقادوا ظاهرا وباطنا ﴿تسليما﴾ لا يخالطه رد ولا تشوبه مخالفة. ٦٦- ولو أنه سبحانه فرض القتل والخروج من الديار على هؤلاء الموجودين مافعله إلا القليل منهم. ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾ من اتباع الشرع والانقياد لرسول الله ﷺ ﴿لَكَانَ﴾ ذلك ﴿خَيْرًا لَّهُمْ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا (٦٦)﴾ لإقدامهم على الحق، فلا يضطربون في أمر دينهم. ٦٧- ولو فعلوا ذلك عندما نأمرهم ﴿لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا (٦٧)﴾. ٦٩- ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾ بدخول الجنة، والوصول إلى ما أعد لهم ﴿وَالصِّدِّيقِينَ﴾ الصدِّيق المبالغ في الصدق والتصديق بدين الله وكتبه ورسله، وهم فضلاء أتباع الأنبياء ﴿وَالشُّهَدَاءِ﴾ هم الذين يقتلون في سبيل الله ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ أهل الأعمال الصالحة ﴿رَفِيقًا (٦٩)﴾ أصحابا. عن عائشة قالت: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يارسول الله إنك لأحب إلى من نفسي، وإنك لأحب إلى من ولدي، وإني لأكون في البيت فأذكرك، فما أصبر حتى آتي فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رُفِعْتَ مع النبيين، وإني إذا دخلت الجنة خشيت ألا أراك، فلم يرد عليه النبي ﷺ حتى نزل جبريل بهذه الآية ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾ الآية. ٧٠- ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا (٧٠)﴾ يعلم من يستحق أن يؤتيه فضله فيجعله من هؤلاء المذكورين، ممن لا يستحق. ٧١- ﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ كونوا على حذر من أن يباغتكم أعداء الدين فيستأصلوكم، فأعدوا العدة ﴿فَانفِرُوا﴾ انهضوا لقتال العدو ﴿ثُبَاتٍ﴾ أي جماعات متفرقات ﴿أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا (٧١)﴾ أي مجتمعين جيشا واحدا ليكون ذلك أشد على عدوهم، وليأمنوا من أن يتخطفهم الأعداء إذا نفر كل واحد منهم وحده، فعليهم أن ينفروا جميعا في الحال الذي يحتاج فيه إلى نفور الجميع، وينفر البعض عند الاكتفاء بنفور البعض دون البعض. ٧٢- والمراد أنَّ من دخلائكم وجنسكم، ومن أظهر إيمانه لكم نفاقا من يبطئ المؤمنين ويثبطهم ﴿فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ من قتل أو هزيمة أو ذهاب مال ﴿قَالَ﴾ هذا المنافق ﴿قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ﴾ حتى يصيبني ما أصابهم ﴿شَهِيدًا (٧٢)﴾ أي حاضرا. ٧٣- ﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ غنيمة أو فتح ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ هذا المنافق قول نادم حاسد كأنه لم تكن بينكم وبينهم مودة تقتضي أن يكونوا معكم في المعركة وتسمية نفاقهم مودة تهكمٌ لهم وسخرية فـ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧٣)﴾. ٧٤- وهذا حثٌّ من الله تعالى للمومنين على القتال وتنبيه لهم على أن يخلصوا له النية. ﴿الَّذِينَ يَشْرُونَ﴾ معناه: يبيعون، وهم المؤمنون أي إن لم يقاتل هؤلاء المنافقون المبطئون المثبطون فليقاتل المخلصون الباذلون أنفسهم البائعون للحياة الدنيا=

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ
وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ
ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ
نَصِيرًا (٧٥) ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ
ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا (٧٦) أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ
وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ
مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ
كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا
قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٧٧) أَيْنَمَا
تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ
حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟
هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ
يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (٧٨) مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن
سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا (٧٩)

= بالآخرة. ثم وعد المقاتلين في سبيل الله بأنه سيؤتيهم أجرا عظيما إذا قتل أحدهم فاز بالشهادة، وإن غلَب وظَفِر كان له أجر من قاتل في سبيل الله، مع ما قد ناله من العلو في الدنيا والغنيمة. ٧٥-وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله وسبيل المستضعفين حتى تخلصوهم من الأسر وتريحوهم من الجهد. والمراد بالمستضعفين هنا: من كان بمكة من المؤمنين تحت إذلال الكفار عاجزين عن الانتقال إلى بلد يكونون فيه أعزة وهم الذين كان النبي ﷺ يدعو لهم فيقول: اللهم أَنْجِ الوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام، وعياش بن ربيعة، والمستضعفين من المؤمنين ﴿مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾ بيان للمستضعفين ﴿ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ مكة ولم ينسب الظلم إلى مكة، تشريفا لها وتكريمًا.

٧٦- وهذا ترغيب للمؤمنين وتنشيط لهم بأن قتالهم لهذا المقصد لا لغيره والذين كفروا يقاتلون في سبيل الشيطان ﴿فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا (٧٦)﴾ أي مكره ومكر من اتبعه من الكفار.

٧٧- ﴿كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ﴾ هم بعض الصحابة، أمروا بترك القتال في مكة فقد جاءوا إلى النبي، فقالوا يا نبي الله كنّا في عزّة ونحن مشركون، فلما آمنّا صرنا أذلة؟ فقال: إني أُمِرْتُ بالعفو، فلا تقاتلوا القوم ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ﴾ بالمدينة تثبّطوا عن القتال من غير شك في الدين بل خوفا من الموت وَفَرَقًا من هول القتل، ﴿يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ أي بعضهم يخافون الناس بمقدار خوفهم من الله، وبعضهم أشد من ذلك خوفا ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ أي هلا أمهلتنا مدة أخرى ولو قليلة لنستمتع بالحياة فيها. يأمره الله سبحانه بأن يجيب عليهم قل متاع الدنيا سريع الفناء لا يدوم لصاحبه، وثواب الآخرة خير لكم من المتاع القليل ﴿لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ منكم ورغب في الثواب الدائم ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٧٧)﴾ أي شيئًا حقيرًا، والفتيل: الخيط الذي في شق نواة التمر. ٧٨- ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ﴾ فيه حث لمن قعد عن القتال خشية الموت، وبيان لفساد ما خالطه من الجبن وخامره من الخشية، فإن الموت كائن لا محالة، فمن لم يمت بالسيف مات بغيره ﴿بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ البروج المشيدة: الحصون المعتني ببنيانها وتحصينها، لن تدفع عند الأجل وإن تصب المنافقين نعمة نسبوها إلى الله تعالى، وإن تصبهم بلية ونقمة نسبوها إلى رسول الله ﷺ ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ ليس كما تزعمون. ٧٩- ﴿مَّآ أَصَابَكَ﴾ أيها الإنسان ﴿مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ أي: ما أصابك من خصب ورخاء وصحة وسلامة فمن الله بفضله ورحمته، وما أصابك من جهد وبلاء وشدة فهو من الله أيضًا، ولكنه بسبب من نفسك بذنب أتيته فعوقبت عليه ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ أي ما أنت يا محمد إلا مبلغ، وليست بيدك مقادير الخلائق حتى يكون منك الضرر والنفع، فليس لك من الأمر شيء حتى تكون المصائب عليهم منك ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا (٧٩)﴾ على ذلك.

مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ
عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ٨٠ وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ
عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ
مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا
٨١ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ
فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ
أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي
ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ
ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٣
فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ
عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا
وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ٨٤ مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ
نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا ٨٥ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ
بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ٨٦

٨٠- وفيه أن طاعة الرسول طاعة لله، لأن الرسول لا يأمر إلا بما أمر الله به ولا ينهى إلا عما نهى الله عنه، فطاعة المبلّغ طاعة لمن قد أرسله فما أرسلناك عليهم حافظًا لأعمالهم، إنما عليك البلاغ، وليس عليك أن تؤمن قلوبهم.

٨١- ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ﴾ أي يقولون إذا كانوا عندك: أمرنا طاعة فإذا خرجوا من عندك زورت طائفة من هؤلاء القائلين ﴿غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُ﴾ لهم أنت وتأمرهم به، وقيل معناه: غيروا وبدلوا وحرفوا قولك فيما عهدت إليهم ﴿وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾ أي يثبته في صحائف أعمالهم ليجازيهم عليه ﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ﴾ أي دعهم وشأنهم حتى يمكن الانتقام منهم.

٨٢- ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ﴾ أيعرضون عن القرآن فلا يتدبرونه، أي لا يتفهمونه ولا يتأملون معانيه، وإنهم لو تدبروه حق تدبُّره لوجدوه مؤتلفا غير مختلف صحيح المعاني قوي المباني، بالغًا في البلاغة إلى أعلي درجاتها ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢﴾ أي تفاوتًا وتناقضًا، وعدم المطابقة للواقع، وهذا شأن كلام البر، لا سيما إذا طال وتعرض قائله للإخبار بالغيب، فإنه لا يوجد منه صحيحا مطابقا للواقع إلا القليل النادر. ٨٣- ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ﴾ هم جماعة من ضعفة المسلمين، كانوا إذا سمعوا شيئا فيه أمن نحو ظفر المسلمين وقتل عدوهمﷺ أو فيه خوف نحو هزيمة المسلمين وقتلهم أفشوه، ﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ﴾ وهم أهل العلم والعقول الراجحة الذين يرجعون إليهم في أمورهم، أو هم الولاة عليهم ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ﴾ أي يستخرجونه بتدبيرهم وصحة عقولهم، والمعنى: أنهم لو تركوا الإشاعة للأخبار حتى يكون النبي ﷺ هو الذي يذيعها، أو يكون أولو الأمر منهم هم الذين يتولون ذلك، لأنهم يعلمون ما ينبغي أن يفشي وما ينبغي أن يكتم. ٨٤- ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يا محمد بنفسك ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَ﴾ أي لست مسئولا عن أصحابك قاتلوا أم لا، فيلزمك أن تفعل ما أمرك الله ولا تلزم فعل غيرك وحضهم على القتال والجهاد ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ فيه إطماع للمؤمنين بكف بأس الذين كفروا عنهم، فهو وعد منه سبحانه، ووعده كائن لا محالة ﴿وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا﴾ أي أشد صولة وأعظم سلطانا ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ٨٤﴾ تعذيبا. ٨٥- والشفاعة الحسنة هي في البر والطاعة، فمن شفع في الخير لينفع فله نصيب منها، أي من أجرها، ومن شفع في الشر كمن يسعي بالنميمة والغيبة كان له كفل منها، أي نصيب من وزرها ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا ٨٥﴾ حافظا لمقادير أعمالكم فيجزيكم عليها. ٨٦- ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ﴾ التحية: السلام، وقيل: التحية هنا تشميت العاطس، وقال أصحاب أبي حنيفة التحية هنا: الهدية لقوله ﴿فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ﴾ أن يزيد في الجواب على ما قاله المبتدئ بالتحية، فإذا قال المبتدئ: السلام =

الحزب ١٠

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ
وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ٨٧ ۞ فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ
فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ
أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ٨٨ وَدُّواْ لَوۡ
تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ
حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ
حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا ٨٩
إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ
حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ
ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ
وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ٩٠
سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأۡمَنُوكُمۡ وَيَأۡمَنُواْ قَوۡمَهُمۡ كُلَّ
مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ أُرۡكِسُواْ فِيهَاۚ فَإِن لَّمۡ يَعۡتَزِلُوكُمۡ وَيُلۡقُوٓاْ إِلَيۡكُمُ
ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ
ثَقِفۡتُمُوهُمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمۡ جَعَلۡنَا لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ٩١

= عليكم، قال المجيب: وعليكم السلام ورحمة الله والابتداء بالسلام سنة مرغب فيها، ورده فريضة لقوله ﴿فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ﴾ أي ردوها بمثلها على الأقل، ولا يجوز بأقل منها، ولا يجوز ترك الرد بالكلية، فهو فرض، ولا يجوز نقص الرد عن مقدار الابتداء ﴿حَسِيبًا ٨٦﴾ يحاسبكم على كل شيء. ٨٧- ليجمعنكم الله بالحشر إلى حساب يوم القيامة من القبور ولا شك في القيامة عند من يعقل عن الله حُججه ولا أحد أصدق من الله حديثًا ووعدًا. ٨٨- ﴿فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ﴾ عن مجاهد قال: إن أناسا من أهل مكة كانوا يأتون النبي، فيسلمون رياء، ثم يرجعون إلى قومهم فيرتكسون في الأوثان، يبتغون بذلك أن يأمنوا هاهنا وهاهنا، فأمر بقتالهم إن لم يعتزلوا ويصالحوا، أي لم اختلفتم في شأنهم حتى صرتم فيه على رأيين؟ والله ردهم إلى الكفر ونكسهم، فالركس والنكس قلب الشيء على رأسه، أو ردُّ أوله إلى آخره، أي أركسهم بسبب كسبهم، وهو لحوقهم بدار الكفر ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾ للتقريع والتوبيخ، ومن أضله الله لا تنجع فيه هداية البشر. ٨٩- وهؤلاء المنافقون يودون أن يكفر المؤمنون كما كفروا هم، ويتمنون ذلك عنادا وغلوا في الكفر وتماديا في الضلال ﴿فَتَكُونُونَ سَوَآءٗ﴾ أي في الكفر ﴿فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ أي أنصارا تتولونهم حتى يحققوا إيمانهم بالهجرة ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ عن ذلك ﴿فَخُذُوهُمۡ﴾ إذا قدرتم عليهم ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ في أي مكان، وهذا في قوم ادعوا الإسلام ثم لحقوا بدار الحرب معاندين، وليس في المنافقين الذين كانوا يساكنون المؤمنين بالمدينة. ٩٠- إلا الذين يتصلون ويدخلون في قوم بينكم وبينهم ميثاق، بالجوار والحلف، فلا تقتلوهم، فإن العهد يشملهم، وقيل: الاتصال هنا هو اتصال النسب ﴿أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ﴾ أي ضاقت عن القتال، فأمسكوا عن قتالكم والقتال معكم لقومهم، فضاقت صدورهم عن قتال الطائفتين، وكرهوا ذلك ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ﴾ ابتلاء منه لكم واختبارا، أو تمحيصا لكم، أو عقوبة بذنوبكم ﴿فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ﴾ ولم يتعرضوا لقتالكم ﴿فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ٩٠﴾ فلا يحل لكم قتلهم ولا أسرهم ولا نهب أموالهم، فهذا الاستسلام يمنع من ذلك ويحرمه. فنهى الله المسلمين عن التعرض لقتال كل من الطائفتين، وهم الداخلون في العهد المتمسكون به، والمعتزلين للحرب الراغبين في عقد الصلح بينهم وبين المسلمين. ٩١- ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأۡمَنُوكُمۡ وَيَأۡمَنُواْ قَوۡمَهُمۡ﴾ فيظهرون لكم الإسلام ويظهرون لقومهم الكفر، ليأمنوا كلا الطائفتين، وهم قوم من أهل تهامة طلبوا الأمان من رسول الله ﷺ ليأمنوا عنده وعند قومهم ﴿كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ﴾ أي دعاهم قومهم إليها وطلبوا منهم قتال المسلمين ﴿أُرۡكِسُواْ فِيهَا﴾ أي انقلبوا فيها فرجعوا إلى قومهم. ﴿فَإِن لَّمۡ يَعۡتَزِلُوكُمۡ وَيُلۡقُوٓاْ﴾ =

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ
مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ
أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ
وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ
مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ
إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ
فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ
ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا
مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ
ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟
لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ
عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ
كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ
فَتَبَيَّنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾

= ﴿إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾ يعطوكم من العهد ما تطمئنون به إلى عدم مشاركتهم في قتالكم ﴿وَيَكُفُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ﴾ عن قتالكم ﴿فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ﴾ حيث وجدتموهم وتمكنتم منهم ﴿سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾﴾ أي حجة واضحة تتسلطون بها عليهم، وتقهرونهم بها بسبب ارتكاسهم في الفتنة بأيسر عمل وأقل سعي.

٩٢- ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾ ووجوه الخطأ كثيرة، ويضبطها عدم القصد، إذا لم يتعمد فعليه تحرير رقبة يعتقها كفارة قتل الخطأ ﴿وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ﴾ الدية: مال يعطى عوضا عن دم المقتول إلى ورثته، والمسلَّمة المدفوعة المؤداة، والأهل: المراد بهم الورثة. وأجناس الدية وتفاصيلها قد بينتها السنة المطهرة. والدية هنا تلزم عاقلة القاتل، وليس القاتل نفسه إلا أن يتصدق أهل المقتول على أهل القاتل بالدية، سمي العفو عنها صدقة ترغيبا فيه ﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ﴾ وهم الكفار الحربيون، فالمؤمن الذي يقتله المسلمون في بلاد الكفار الذين كان منهم، ثم أسلم ولم يهاجر، فلا دية على قاتله، بل عليه تحري رقبة مؤمنة، وسقطت الدية، لأن هذا الذي آمن ولم يهاجر حرمته قليلة وإن كان المؤمن المقتول ﴿مِن قَوْمٍۭ﴾ كفار ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ﴾ مؤقت أو مؤبد وهو مؤمن ﴿فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ أي فعلى قاتله دية مؤداة إلى أهله من أهل الإسلام وهم ورثته ﴿وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ كما تقدم ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ أي الرقبة أو لم يتسع ماله لشرائها ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ لم يفصل بين يومين من أيام صومهما إفطار في نهار. فلو فعل استأنف. وأما الإفطار لعذر كالحيض ونحوه فلا يوجب الاستئناف، واختلف في الإفطار لعروض المرض ﴿تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي شرع ذلك قبولا لتوبتكم. ٩٣- ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ أي قاصدا قتله وهو يعلم أنه إنسان مؤمن، وعلامة العمد أن يقتله بما يقتل مثله في العادة كالسيف أو السموم ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ يستحقها بسبب هذا الذنب مع كونه خالدا فيها، وأن غضب الله عليه ولعنته وإعداده له عذابا عظيما إلا من تاب، لكن لا بد في توبة قاتل العمد من الاعتراف بالقتل، وتسليم نفسه للقصاص إن كان واجبا، أو تسليم الدية إن لم يكن القصاص واجبا، وكان القاتل غنيا متمكنا من تسليمها أو بعضها، وأما مجرد التوبة من القاتل عمدا، وعزمه على ألا يعود إلى قتل أحد، من دون اعتراف، ولا تسليم نفس، فنحن لا نقطع بقبولها، والله أرحم الراحمين، هو الذي يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون. ٩٤- إن خرجتم للجهاد فتثبتوا لئلا يكون من تضربونه مؤمنا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم كلمة الإسلام وهي الشهادة، لست مؤمنا، وقيل: المعنى لا تقولوا لمن ألقى إليكم التسليم، فقال السلام عليكم: لست مؤمنا. ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ طالبين الغنيمة ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ مما هو حلال لكم من دون ارتكاب محظور، وتستغنون بها عن قتل من قد =

لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ
فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ
وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةًۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ
ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً
وَرَحْمَةًۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِۚ
قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ
جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ
وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾
فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾
۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةًۚ
وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ
فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ
فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ
أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾

ربع الحزب ١٠

= استسلم وانقاد، واغتنام ماله ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ﴾ أي كنتم كفارا فحقنت دماؤكم لما تكلمتم بكلمة الشهادة. ٩٥- ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ أهل الضرر: هم أهل الأعذار، لأنها أضر بهم حتى منعتهم عن الجهاد، فإنهم إن كانت نيتهم وكل عزمهم أنهم لولا العذر لخرجوا مجاهدين، فهم بدرجة المجاهدين ولهم مثل أجرهم ﴿دَرَجَةً﴾ هذا بيان لما بين الفريقين من التفاضل، والمراد هنا غير أولي الضرر، أي أعلى ذكرهم ورفعهم بالثناء والمدح ﴿وَكُلًّا﴾ من المجاهدين والقاعدين، وعده الله ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي المثوبة، وهي الجنة. ٩٦- ﴿دَرَجَٰتٍ﴾ قيل: هي الدرجة السابقة نفسها. وقيل: فضلهم بدرجة واحدة على القاعدين بعذر، وفضلهم درجات على القاعدين دون عذر. وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض**». ٩٧- إن الذين توفاهم الملائكة بقبض أرواحهم ﴿ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾ وهم الذين لم يهاجروا من مكة إلى المدينة، بل بقوا بين الكفار يمنعونهم من إظهار إسلامهم وممارسة عبادتهم وشعائر دينهم، وربما قتلهم المسلمون في الحرب مع الكفار وهم لا يعلمون بأنهم مسلمون، تقول لهم الملائكة ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾ سؤال توبيخ، أي في أي شيء كنتم من أمور دينكم؟ وقيل المعنى: أكنتم في أصحاب النبي ﷺ أم كنتم مشركين؟ ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ لا نقدر على إظهار ديننا، فتقول لهم الملائكة ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾ أي فتتخلصوا من ظلم الكفار لكم، وتعبدوا الله مع المسلمين. والأرض: كل بقعة من بقاع الأرض تصلح للهجرة إليها، ويراد بالأرض الأولى كل أرض ينبغي الهجرة منها ولا مسكن لهم إلا النار. فهذه الآية دليل على وجوب الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام لمن لم يكن قادرًا على إقامة دينه. ٩٨- ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ حقيقة ﴿مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾ كالزَّمنى ونحوهم ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ بأسباب التخلص. ٩٩- ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى المستضعفين الموصوفين بما ذكر ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾ لتأكيد أمر الهجرة، حتى يظن أن تركها يكون ذنبا يطلب العفو عنه. ١٠٠- ﴿۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الهجرة تكون بقصد صحيح ونية خالصة غير مشوبة بشيء من أمور الدنيا، ومنه الحديث الصحيح «**فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه**» مكانا يسكن فيه على رغم أنف قومه الذين هاجرهم، أي على ذلهم وهوانهم ﴿وَسَعَةً﴾ في البلاد وفي الرزق ﴿ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ﴾ قبل أن يصل إلى المكان الذي قصد الهجرة إليه ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ﴾ أجر هجرته كاملا ولو لم يصل دار الهجرة ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي ثبت ذلك عنده ثبوتا لا يتخلف. ١٠١- ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ سافرتم فيها ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ فيه دليل على أن =

وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ
مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ
مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ
فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ
كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ
عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ
أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ
وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾
فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَوٰةَ فَاذْكُرُواْ اللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ
جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ الصَّلَوٰةَ إِنَّ الصَّلَوٰةَ
كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُواْ
فِي ابْتِغَآءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا
تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا
حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ
النَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾

= القصر ليس بواجب على من سافر، بل المسافر إن شاء قصر وإن شاء أتم الصلاة، والقصر: أن تصلي الصلاة الرباعية في السفر ركعتين فقط ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ ظاهر هذا أن القصر لا يجوز في السفر إلا مع خوف الفتنة من الكافرين، لا مع الأمن، ولكنه قد تقرر بالسنة أن النبي ﷺ قصر مع الأمن. ١٠٢- ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ﴾ هذا خطاب لرسول الله ﷺ ولمن بعده من أهل الأمر حكمه: فيصلي كل منهم بأصحابه صلاة الخوف، والصحابة قد صلوها بعد موته أكثر من مرة كما هو معروف ﴿فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ يعني بعد أن تجعلهم طائفتين: طائفة تقف بإزاء العدو، وطائفة تقوم منهم معك في الصلاة ﴿وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ﴾ أي الطائفة التي تصلي معه، والطائفة القائمة بإزاء العدو لا بدّ أن تكون قائمة بأسلحتها، والمراد أن يكونوا حاملين لسلاحهم ليتناولوه من قرب إذا احتاجوا إليه، وليكون ذلك أقطع لرجاء عدوّهم من إمكان فرصته فيهم فإذا سجد المصلون معه، أي أتموا الركعة أو جميع الصلاة فلينصرفوا بعد الفراغ إلى مقابلة العدوّ للحراسة ﴿وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ﴾ وهي القائمة في مقابلة العدو التي لم تصلّ ﴿فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ﴾ على الصفة التي كانت عليها الطائفة الأولى. ﴿وَلْيَأْخُذُواْ﴾ أي هذه الطائفة الأخرى ﴿حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ ولم يبين في الآية كم تصلي كل طائفة من الطائفتين، وقد وردت صلاة الخوف في السنة المطهرة على صور مختلفة، وصفات متعددة، وكلها صحيحة مجزئة، من فعل واحدة منها فقد فعل ما أمر به، فارجع إلى كتب الحديث لتعلمها. ويجمعها ما في هذه الآية ﴿فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾ فيشدّون عليكم شدّة واحدة أي بكل قوتهم حتى لا يحتاجون إلى ميلة ثانية ﴿أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ﴾ رخص لهم في وضع السلاح إذا نالهم أذى من المطر، وفي حال المرض، ثم أمرهم بأخذ الحذر لئلا يأتيهم العدوّ على غرة وهم غافلون. ١٠٣- فإذا فرغتم من صلاة الخوف ﴿فَاذْكُرُواْ اللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ أي في جميع الأحوال حتى في حال القتال ﴿فَإِذَا﴾ أمنتم ولم يكن هناك عدو تخافون منه ﴿فَأَقِيمُواْ الصَّلَوٰةَ﴾ أي فأتوا بالصلاة التي يدخل وقتها على الصفة المشروعة من الأذكار والأركان والطمأنينة ﴿إِنَّ الصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾ أي محدودا معينا بأوقات معلومة لكل منها بدء ونهاية لا يصلح تقديمها ولا تأخيرها. فإن الله افترض على عباده الصلوات، وكتبها عليهم في أوقاتها المحدودة، لا يجوز لأحد أن يأتي بها في غير ذلك الوقت إلا لعذر شرعي: من نوم أو سهو أو نحوهما، أي ولذلك أمركم بالصلاة حال الخوف مع حمل السلاح والصفة المبينة، ولم يأذن لكم في تأخيرها عن الوقت. ١٠٤- ﴿وَلَا تَهِنُواْ فِي ابْتِغَآءِ الْقَوْمِ﴾ أي لا تضعفوا في طلبهم وأظهروا القوّة والجلد ﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾ فليسوا بأولى منكم بالصبر على حر القتال ومرارة الحرب ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ﴾ من الأجر وعظيم الجزاء ﴿مَا لَا يَرْجُونَ﴾ لكفرهم وجحودهم، فأنتم أحق بالصبر منهم. ١٠٥- سبب نزول هذه الآيات أن رجلا من المنافقين من بني أبيرق سرق =

وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ
عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ
خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ
مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَكَانَ
ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ
عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ
سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا
رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا
ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا
فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن
يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن
شَىْءٍ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ
مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾

= من يهودي طعاما وسلاحا، واتهم به رجلاً صالحًا. ولما شعر بعض الناس بالسارق، طفق قومه يدافعون عنه أمام النبي، حتى كاد أن يميل إليهم على اعتبار أن من اتهمه له بينة له، فنزلت الآيات ﴿بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ إما بوحي، أو بما عرَّفه الله به وأرشده إليه ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾ أي مخاصما عنهم مجادلا للمحقّين بسببهم. وفيه دليل على أنه لا يجوز لأحد أن يخاصم عن أحد إلا بعد أن يعلم أنه محق.

١٠٦ - واستغفر الله من خصامك عن بني أبيرق، وكان ﷺ قد قال للمدعي **«عمدت إلى أهل بيتٍ ذُكر منهم إسلام وصلاح ترميهم بالسرقة علي غير تثبتٍ ولا بينة»** فلما نزلت الآية ردوا السلاح.

١٠٧ - ولا تحاجج عن الذين يخونون أنفسهم، لأن ضرر معصيتهم راجع إليهم، والخوان: الكثير الخيانة. والأثيم: الكثير الإثم. ١٠٨ - يستترون من الناس ولا يستترون من الله بترك الفعل الذميم، لأنهم إن فعلوه لم يخف عليه سبحانه، فكيف يستخفون منه؟ ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾ أي يديرون الرأي بينهم بالليل ﴿مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ أي من الرأي الذي أداروه بينهم. ١٠٩ - ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني القوم الذين جادلوا عن صاحبهم السارق ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ عند تعذيبهم بذنوبهم، وهو المطلع على كل ما دبروه ﴿أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾﴾ أي مجادلا ومخاصما بالوكالة عنهم. ١١٠ - ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا﴾ السوء القبيح الذي يسوء به غيره ﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ﴾ بفعل معصية من المعاصي التي لا تتعدي إلى غيره ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ يطلب منه أن يستر له ما قارفه من الذنوب، ويمحو عنه أثره، بقوله: أستَغْفِرُ الله، أو: اللهم اغفر لي ﴿يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا﴾ لذنبه ﴿رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ به قال ابن عباس: **«أخبر الله العباد بحلمه وعفوه وكرمه وسعة رحمته ومغفرته ولو كانت ذنوب العبد أعظم من السماوات والأرض والجبال فإن الله يغفرها لمن تاب واستغفر»**. وفيه ترغيب لمن وقع منه السرق من بني أبيرق أن يتوب إلى الله ويستغفره، وأنه غفور لمن يستغفره رحيم به، وهي لكل عبد من عباد الله أذنب ذنبا ثم استغفر الله سبحانه. ١١١ - ومن يكسب إثما ومن يضر الآخرين بتعديه عليهم وظُلمه لهم فإنه في الواقع لا يضر إلا نفسه وعاقبته عائدةٌ عليها وكان الله عليمًا حكيمًا. ١١٢ - ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا﴾ الخطيئة تكون عن عمد وعن غير عمد، والإثم لا يكون إلا عن عمد، وقيل الخطيئة: الصغيرة، والإثم: الكبيرة ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا﴾ والبهتان: هو الكذب على البريء بما ينبهت له ويتحير منه. ١١٣ - والخطاب لرسول الله ﷺ والمراد بهذا الفضل والرحمة لرسول الله: أنه نبهه على الحق في قصة بني أبيرق ﴿لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ أي من الجماعة الذين عضدوا بني أبيرق ﴿أَن يُضِلُّوكَ﴾ عن الحق ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ لأن وبال ذلك عائد عليهم. ﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ﴾ لأن الله سبحانه هو عاصمك من الناس، ولأنك عملت بالظاهر ولا ضرر عليك في الحكم به قبل نزول الوحي وشرع لك في هذه الآيات وغيرها من القواعد والأحكام ما فيه خير كثير سببه ما حصل في شأن بني أبيرق والسنة =

۞ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ
أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ
ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿١١٤﴾ وَمَن
يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ
سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ
مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ
ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا
﴿١١٦﴾ إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا وَإِن يَدۡعُونَ
إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ
مِنۡ عِبَادِكَ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ
وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ
فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا
مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ﴿١١٩﴾
يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾
أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنۡهَا مَحِيصٗا ﴿١٢١﴾

٩٧

= النبوية مع إنزال الله ذلك عليك ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُ﴾ من قبل ﴿وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴿١١٣﴾﴾ إذ لا فضل أعظم من النبوة ونزول الوحي. ١١٤- ﴿۞ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ﴾ النجوى: السر بين الاثنين أو الجماعة إذا تحدثوا في أمر من الأمور سرًّا، فأكثر ما يتناجي الناس به لا خير فيه، إلا في هذه الأمور الثلاث ﴿أَوۡ مَعۡرُوفٍ﴾ المعروف: لفظ عام يشمل جميع أنواع البرّ ﴿أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾ والإصلاح بين الناس عام في الدماء والأعراض والأموال، وفي كل شيء يقع التداعي والتخاصم فيه ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ﴾ أي من يأمر بهذه الأشياء ﴿ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ﴾ ومن فعلها لغير ذلك فهو غير مستحق لهذا المدح والجزاء، بل قد يكون غير ناج من الوزر، والأعمال بالنيات. ١١٥- ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ﴾ المُشَاقَّة، وأصلها المشاققة: المعاداة والمخالفة، فيناجي غيره بالإثم والعدوان ومعصية الرسول، وتبين الهدى: ظهوره،بأن يعلم صحة الرسالة بالبراهين الدالة على ذلك ثم يفعل المشاقة ويتبع غير طريقهم وهو ما هم عليه من دين الإسلام والتمسك بأحكامه، بل تولّى أهل الكفر والضلال ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ أي نلحقه بالكفار والضلال ﴿وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَ﴾ أي نذيقه عذاب نارها. ١١٦- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ تقدم تفسيرها (الآية ٤٨).١١٧- ﴿إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا﴾ أي ما يدعون من دون الله إلا أصناما لها أسماء مؤنثة كاللات والعزى ومناة، والمراد بالإناث: الملائكة، لقولهم: الملائكة بنات الله. ﴿وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا ﴿١١٧﴾﴾ وهو إبليس لعنه الله، لأنهم إذا أطاعوه فيما سوّل لهم فقد عبدوه. والمريد: المتمرد العاتي. ١١٨- ﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنۡ عِبَادِكَ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ﴿١١٨﴾﴾ لأجعلن قطعة مقدرة من عباد الله تحت غوايتي، حتى أخرجهم من عبادة الله إلى الكفر به.

١١٩- ﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ﴾ الأماني الباطلة الناشئة عن تسويل الشيطان ووسوسته. ﴿وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ تبتيكها: تقطيعها، فليبتكنها بموجب أمري. وقد فعل الكفار ذلك امتثالا لأمر الشيطان، واتباعا لرسمه، فشقوا آذان البحائر والسوائب وذلك معروف ﴿وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِ﴾ قيل: هو الخصاء، وفقء الأعين، وقطع الآذان. وقيل: المراد تغيير الفطرة التي فطر الله الناس عليها وقد رخص طائفة من العلماء في خصاء البهائم إذا قصد بذلك زيادة الانتفاع بها لسِمَنٍ أو غيره، وخصاء بني آدم لا يحل ولا يجوز، وهو مثلة وتغيير لخلق الله ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ باتباعه وامتثال ما يأمر به من دون اتباع لما أمر الله به ولا امتثال له.

١٢٠- ﴿يَعِدُهُمۡ﴾ المواعيد الباطلة ﴿وَيُمَنِّيهِمۡ﴾ الأماني الباطلة ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ بما يوقعه في خواطرهم من الوساوس الفارغة ﴿إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ يغرهم به ويظهر لهم فيه النفع، وهو ضرر محض قال ابن عرفة: الغرور: ما رأيت له ظاهرا تحبه، وله باطن مكروه.

١٢١- ﴿مَحِيصٗا ﴿١٢١﴾﴾ مكانا يفرون إليه مما نزل بهم من المكروه.

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ وَعْدَ
اللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ
وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ
وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن
يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ
أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ
مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا
فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ
مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ۖ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ
فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ
اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ
وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ
بِالْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾

٩٨

١٢٢ - ﴿وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا﴾ أي وعدهم الله ذلك وعد صادقا ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ أي لا أحد أصدق قولا من الله عز وجل.

١٢٣ - ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أي ليس دخول الجنة أو الفضل أو القرب من الله والخلاص من عذابه يحصل بمجرد التمني، سواء من أهل الكتاب، كقولهم: نحن أبناء الله وأحباؤه، وقولهم: لن تمسنا النار إلا أياما معدودة بل من عمل سوءا من شرك أو غيره من غير فرق بين المسلم والكافر، يجازى بفعله في الدنيا أو الآخرة ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى الشوكة يشاكها.

١٢٤ - ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾ أي لا ينقصون ولو شيئا حقيرا، والنقير: النقرة في ظهر نواة التمر.

١٢٥ - ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ﴾ أخلص نفسه لله حال كونه محسنا أي عاملا للحسنات ﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي دينه حال كون المتبع ﴿حَنِيفًا﴾ أي مائلا عن الأديان الباطلة إلى دين الحق، وهو الإسلام ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ أي جعله صفوة له وخصه بكرامته، والخليل: أقرب أحبتك إليك الذي تخصه بألفتك ويخصك بمثلها.

١٢٦ - ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ إشارة إلى أنه اتخذ إبراهيم خليلا لطاعته، لا للتكثر به والاعتضاد بمخاللته ﴿مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾﴾ أحاط علمه بكل شيء - لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، سبحانه وبحمده.

١٢٧ - ﴿اللَّهُ يُفْتِيكُمْ﴾ أي يبين لكم حكم ما سألتم عنه ﴿وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ أي والذي نزل من القرآن في أول سورة النساء وهو قوله ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم﴾ المقصود به ﴿يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ أي ما فرض لهن من الميراث وغيره ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ أي ترغبون في أن تنكحوهن لجمالهن، فلا تفعلوا ذلك إلا أن تعطوهن صداقهن كاملا كأمثالهن ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ﴾ أي وما يتلى عليكم في يتامى النساء وفي المستضعفين من الولدان، وهو قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ وقد كان أهل الجاهلية لا يورثون النساء ولا من كان مستضعفا من الولدان كما سلف، وإنما يورِّثون الرجال القائمين بالقتال وسائر الأمور الكبار ﴿وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ﴾ وهو ما تقدم في أول السورة من الوصاية على اليتامى في أموالهم ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ في حقوق المذكورين ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾﴾ يجازيكم بحسب فعلكم من خير وشر.

وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ
عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ
ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ
بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ
بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ
فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ
كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا
مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمٗا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ
مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ
مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدٗا ﴿١٣١﴾
وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾
إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأۡتِ بِـَٔاخَرِينَۚ وَكَانَ
ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرٗا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ
ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿١٣٤﴾

١٢٨ - ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا﴾ نشوز الرجل عن زوجته: تباعده عنها وكراهيته لها ورغبته في فراقها، والإعراض: ألا يكلمها ولا يأنس بها ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا﴾ بأي نوع من أنواعه: إما بإسقاط النوبة، أو بعضها، أو بعض النفقة، أو بعض المهر، وترضى هي بالبقاء عنده مع سقوط شيء مما ذكر ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞ﴾ أي أن الصلح الذي تسكن إليه النفوس، ويزول به الخلاف، خير من الفرقة، أو من الخصومة ﴿وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ إخبار منه سبحانه بأن الشح في كل واحد منهما،بل في كل الأنفس الإنسانية، كأنه حاضر لها لا يغيب عنها بحال، بحكم الجبلة والطبيعة والخلقة، فالرجل يشح بما يلزمه للمرأة من حسن العشرة وحسن النفقة ونحوها، والمرأة تشح على الرجل بحقوقها اللازمة للزوج فلا تترك له شيئا منها ﴿وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ﴾ أي تحسنوا عشرة النساء وتتقوا ما لا يجوز من النشوز والإعراض.

١٢٩ - ﴿وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ في المحبة والجماع، على الوجه الذي لا ميل فيه ألبتة، لما جبلت عليه الطباع البشرية من ميل النفس إلى هذه دون هذه، بحيث لا يملكون قلوبهم ولا يستطيعون توقيف أنفسهم على التسوية ﴿فَلَا تَمِيلُواْ﴾ عن إحداهن إلى الأخرى ﴿كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ﴾ حتى يذروا الأخرى كالمعلقة، التي ليست ذات زوج ولا مطلقة، فيكون في ذلك عليهن ضرر كبير، بل ينبغي أن يجعل لها من نفسه نصيبا وإن قل ﴿وَإِن تُصۡلِحُواْ﴾ أي: تصلحوا ما أفسدتم من الأمور التي تركتم من عشرة النساء والعدل بينهن ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ أي: وتتقوا الله بترك مايكره، ومنه كل الميل الذي نهيتم عنه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٢٩﴾﴾ لا يؤاخذكم بما فرط منكم. ١٣٠ - ﴿يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا﴾ منهما عن الآخر بأن يهيئ للرجل امرأة توافقه وتقر بها عينه، وللمرأة رجلا تغتبط بصحبته، ويرزقهما ﴿مِّن سَعَتِهِۦ﴾ رزقا يغنيهما به عن الحاجة. عن علي أنه سئل عن هذه الآية، فقال: هو رجل عنده امرأتان، فتكون إحداهما قد عجزت، أو تكون دميمة، فيريد فراقها فتصالحه على أن يكون عندها ليلة، وعند الأخرى ليالي ولا يفارقها، فما طابت به نفسها فلا بأس به، فإن رجعت سوّى بينهما. ١٣١ - ﴿وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ أمرناهم فيما أنزلناه عليهم من الكتاب ﴿وَإِيَّاكُمۡ﴾ أي أمرناهم وأمرناكم بالتقوى ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ وفائدة هذا التكرير: التأكيد ليتنبه العباد على سعة ملكه، وينظروا في ذلك، ويعلموا أنه غني عن خلقه، وأنه عليهم قادر، وإن حقه أن يطاع فلا يعصى. ١٣٣ - ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ﴾ أي يفنيكم ويمتكم ﴿وَيَأۡتِ بِـَٔاخَرِينَ﴾ أي بقوم آخرين غيركم، ثم لا يكونوا أمثالكم. ١٣٤ - ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا﴾ وهو من يطلب بعمله شيئا من أمور الدنيا، كالمجاهد يطلب الغنيمة دون الأجر ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ فما باله يقتصر على أدنى الثوابين =

ثلاثة أرباع الحزب ١٠

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ
وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا
أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن
تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ
عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ
بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ
ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ
ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ
سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ
يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ
عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى
ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا
تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ
إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾

١٠٠

= وأحقر الأجرين، وهلا طلب بعمله ما عند الله سبحانه وهو ثواب الدنيا والآخرة، فيحرزهما جميعا ويفوز بهما. ١٣٥ - يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالعدل بين الناس فيما تتلونه من أمورهم، وفيمن تحت أيديكم من النساء والأولاد. وتشمل القضاة والأمراء، مراقبين له طالبين لمرضاته بإقامة الشهادة بين الناس على وجهها ﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ العدل في شهادتهم على أنفسهم هو الإقرار بما عليهم من الحقوق، أما شهادته على والديه فبأن يشهد عليهما بحق للغير، وذكر الأبوين لوجوب برهما وكونهما أحب الخلق إليه. ثم ذكر الأقربين، لأنهم مظنة المودة والتعصب، فإذا شهدوا على هؤلاء بما عليهم فالأجنبي من الناس أحرى أن يشهدوا عليه بالحق ﴿إِن يَكُنْ﴾ المشهود عليه ﴿غَنِيًّا﴾ فلا يراعى لأجل غناه استجلابا لنفعه، أو استدفاعًا لضره، يترك الشهادة عليه ﴿أَوْ فَقِيرًا﴾ فلا يراعى لأجل فقره رحمة له وإشفاقا عليه، فيترك الشهادة عليه ﴿فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ بكل واحد منهما. ﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ الميل مع ما تشتهيه أنفسكم من جلب النفع لأنفسكم ووالديكم والأقربين، ودفع الضرر عنهم كراهة ﴿أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُۥٓاْ﴾ تتركوا ما يجب عليكم من تأديتها على وجه الحق بتحريفها عن وجهها بطريقة تخدم ما تهوونه ﴿أَوْ تُعْرِضُواْ﴾ أي عن تأدية الشهادة من الأصل بكتمانها. ١٣٦ - ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ أي اثبتوا على إيمانكم ودوموا عليه ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ هو كل كتاب سماوي ﴿فَقَدْ ضَلَّ﴾ عن القصد ﴿ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ أي فليراجع طريق الهداية. ١٣٧ - ﴿لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾﴾ لأنه يبعد منهم كل البعد أن يخلصوا لله ويؤمنوا إيمانا صحيحا، فإن هذا الاضطراب منهم، والكفر المستمر، والجحود الدائم، يدل على أنهم متلاعبون بالدين، ليست لهم نية صحيحة ولا قصد خالص، وهؤلاء هم المنافقون والزنادقة، إذا اطَّلع عليهم ادَّعوا الإسلام، فإذا ذهبوا أظهروا الكفر. وقال ابن عباس «لا يغفر لهم إن استمروا على كفرهم حتى ما توا»، وإلا فالكافر إذا آمن وأخلص إيمانه وأقلع عن الكفر فقد هداه الله السبيل، والإسلام يجُبُّ ما قبله. ١٣٨ - وإطلاق البشارة على ما هو شر خالص لهم؛ تهكم بهم. ١٣٩ - ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ﴾ يوالونهم على كفرهم ويمالئونهم على ضلالهم ﴿مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي فيتخذون المؤمنين أولياء ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ وما كان منها مع غيره فهو من فيضه وتفضله، والعزة: الغلبة والامتناع والقوة. ١٤٠ - ﴿فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ﴾ أي أنزل عليكم في الكتاب أنكم عند هذا السماع للكفر والاستهزاء بآيات الله لا تقعدوا معهم ما داموا كذلك حتى يخوضوا في حديث غير حديث الكفر والاستهزاء بها، والذي أنزله الله عليهم في الكتاب هو قوله تعالى ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ سورة الأنعام آية/ ٦٨، وقد كان جماعة من الداخلين في الإسلام يقعدون مع المشركين واليهود حال سخريتهم بالقرآن واستهزائهم به، فنهوا عن ذلك =

ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ فَإِن كَانَ لَكُمۡ فَتۡحٞ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمۡ
نَكُن مَّعَكُمۡ وَإِن كَانَ لِلۡكَٰفِرِينَ نَصِيبٞ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ
عَلَيۡكُمۡ وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ
ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا ١٤١
إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى
ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا
قَلِيلٗا ١٤٢ مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ
وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ١٤٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ
أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا ١٤٤ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ
فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ١٤٥
إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ
دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١٤٦ مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ
إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمٗا ١٤٧

= ﴿إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡ﴾ في الكفر، ومن التقوى اجتناب مجالس الذين يكفرون بآيات الله ويستهزئون بها. ١٤١ - يتنظرون بكم ما يتجدد ويحدث لكم من خير أو شر ﴿فَتۡحٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ بالنصر على من يخالفكم من الكفار ﴿أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ﴾ في الاتصاف بالإسلام والتزام أحكامه، فأعطونا من الغنيمة ﴿وَإِن كَانَ لِلۡكَٰفِرِينَ نَصِيبٞ﴾ من الغلب لكم والظفر بكم ﴿قَالُوٓاْ﴾ للكافرين ﴿أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ عَلَيۡكُمۡ وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ بتخذيلهم وتثبيطهم عنكم حتى ضعفت قلوبهم عن الدفع، وعجزوا عن الانتصاف منكم. والمراد أنهم يميلون مع من له الغلب والظفر من الطائفتين، ويظهرون لهم أنهم كانوا معهم على الطائفة المغلوبة، وهذا شأن المنافقين أبعدهم الله. ويشبههم من حذا حذوهم من أهل الإسلام من الميل إلى من معه الحظ من الدنيا في مال أو جاه، فيلقاه بالتملق والتودد والخضوع والذلة، ويلقى من لا حظ له من الدنيا بالشدة والغلظة وسوء الخلق، ويزدري به ويجابهه بكل مكروه، فقبح الله أخلاق أهل النفاق وأبعدها ﴿فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ ففي هذا اليوم تنكشف الحقائق وتظهر الضمائر ﴿وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا ١٤١﴾ هذا في يوم القيامة إذا كان المراد بالسبيل النصر والغلب، أو في الدنيا إن كان المراد به الحجة. وقيل المعنى: إنه سبحانه لا يجعل للكافرين سبيلا على المؤمنين ما داموا عاملين بالحق غير راضين بالباطل، أي ما داموا عاملين بالشرع فيجب أن يكبتوا الكفار والمنافقين ويظهروا كرامة أهل الإيمان برفع درجات المؤمنين على درجات الكفار والمنافقين. ١٤٢ - ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ بإظهار الإيمان وإبطان الكفر ﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾ يصنع بهم صنع من يخادع من خادعه، وذلك أنه يتركهم على ما هم عليه من التظاهر بالإسلام في الدنيا، فعصم به أموالهم ودماءهم، وأخر عقوبتهم إلى الدار الآخرة، فجازاهم على خداعهم بالدرك الأسفل من النار ﴿كُسَالَىٰ﴾ يصلون وهم متكاسلون متثاقلون لا يرجون ثوابا ولا يخافون عقابًا ﴿يُرَآءُونَ﴾ الرياء: إظهار الجميل ليراه الناس، لا لاتباع أمر الله ﴿وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٤٢﴾ أي: لا يذكرونه سبحانه إلا ذكرًا قليلاً، أو لا يصلون إلا صلاة قليلة، ووصف الذكر بالقلة لعدم الإخلاص. ١٤٣ - يترددون في أمرهم بين المؤمنين والمشركين، لا مخلصين الإيمان، ولا مصرحين بالكفر. ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ﴾ أي يخذله ويسلبه التوفيق ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ١٤٣﴾ أي طريقًا يوصله إلى الحق. ١٤٤ - ﴿أَوۡلِيَآءَ﴾ خاصة لكم وبطانة توالونهم ﴿مِن دُونِ﴾ إخوانكم من ﴿ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ كما فعل المنافقون. ﴿سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا ١٤٤﴾ حجة بينة يعذبكم بها بسبب موالاة الكافرين. ١٤٥ - ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ الدرك: هو الدرج النازل إلى أسفل، أما الذي إلى أعلى فهو الدرج، قيل: النار دركات سبع، فالمنافق في الدرك الأسفل منها، وهي الهاوية، لغلظ كفره وكثرة غوائله ﴿وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ١٤٥﴾ يخلصهم من ذلك الدرك. ١٤٦ - ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ من المنافقين عن النفاق ﴿وَأَصۡلَحُواْ﴾ ما أفسدوا من أحوالهم ﴿وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ﴾ غير مشوب =

۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ
ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن
سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ
بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ
وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ
أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ
حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَـٰٓئِكَ سَوْفَ
يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْـَٔلُكَ
أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟
مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ
ٱلصَّـٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ
ٱلْبَيِّنَـٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾
وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَـٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا
وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾

= بطاعة غيره، والاعتصام بالله: التمسك به والوثوق بوعده ﴿مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ في أحكام الدنيا والآخرة. ثم بين ما أعدّ الله للمؤمنين الذين هؤلاء معهم فقال ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾ فيكون للمنافقين الذين يخلصون مثل هذا الأجر. ١٤٧- ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾ أي منفعة له في عذابكم إن شكرتم وآمنتم، فإن ذلك لا يزيد في ملكه، كما أن ترك عذابكم لا ينقص من سلطانه، وفي هذا ألطف دعوة للمنافقين ليصلحوا أنفسهم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ أي يشكر عباده على طاعته، ويثيبهم عليها ويتقبلها منهم. ١٤٨- يكْرَه الله الجهر بالقول السيء كالسباب والشتائم ولو كان ما نسبه إلى المشتوم صحيحا لأنه يولد الكراهية والبغضاء لكن من ظلم فله أن يقول ظلمني فلان، وقيل: هو أن يدعو على من ظلمه، ويقول: فلان ظلمني، أو: هو ظالم. يجوز لمن ظُلِمَ أن يتكلم بالكلام الذي هو من السوء في جانب من ظَلَمَه.

١٤٩- ﴿أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ﴾ تصابون به ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا﴾ عن عباده ﴿قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ على الانتقام منهم بما كسبت أيديهم، أي فاقتدوا به سبحانه، فإنه يعفو مع القدرة، وفي حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**المتسابّان ما قالاه فعلى البادئ منهما ما لم يعتد المظلوم**» رواه أبو داود. ١٥٠- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ لما كفروا بالبعض كان ذلك كفرا بالله وبجميع الرسل ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ كفروا بالرسل بسبب كفرهم ببعضهم، وآمنوا بالله فكان ذلك تفريقا بين الله وبين رسله ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ هم اليهود، آمنوا بموسى ﷺ وكفروا بعيسى ومحمد، عليهم صلوات الله وسلامه. وكذلك النصارى: آمنوا بعيسى، وكفروا بمحمد ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾﴾ أي يتخذوا بين الإيمان والكفر دينا متوسطا بينهما. ١٥١- ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ﴾ الكاملون في الكفر كفرا حقيقيا ﴿وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ بل آمنوا بهم جميعا. ١٥٣- ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ هم اليهود سألوا النبي ﷺ أن يرقى إلى السماء وهم يرونه، فينزل عليهم كتابا مكتوبا فيما يدعيه، يدل على صدقه، دفعة واحدة، كما أتى موسى بالتوراة، وكان هذا السؤال تعنتا منهم، أبعدهم الله ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ أي عيانا ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ﴾ هي النار التي نزلت عليهم من السماء فأهلكتهم ﴿بِظُلْمِهِمْ﴾ أي بسبب ظلمهم لامتناع الرؤية عيانا في الدنيا، وهذا لا يستلزم امتناع رؤية العباد لربهم يوم القيامة، فقد جاءت بها الأحاديث المتواترة، ومن استدل بهذه الآية على امتناع الرؤية يوم القيامة فقد غلط غلطًا بينا. ﴿ٱلْبَيِّنَـٰتُ﴾ المعجزات من اليد والعصا وفلق البحر ﴿فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ﴾ أي عما كان منهم من التعنت وعبادة العجل ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾﴾ أي حجة بينة، وهي الآيات التي جاء بها، وسميت الحُجَّة سلطانا لأن من جاء بها قهر خصمه. ١٥٤- ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَـٰقِهِمْ﴾ روي أنهم امتنعوا من قبول شريعة موسى، فرفع الله عليهم الجبل، حتى كان فوق رءوسهم مثل المظلة ﴿وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾ أي أمرناهم بدخول باب مدينة بيت المقدس. وكان ذلك=

فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ
بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ
فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ
بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ
رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ
ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ
وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا
﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟
حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ
بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ
ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ
أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ
وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾

= حين أذن الله لهم بافتتاحها بعد موسى عليه السلام، فبدّلوا، فدخلوا يزحفون على أستاههم ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ فتأخذوا ما أمرتم بتركه فيه من الحيتان ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾﴾ وهو العهد الذي أخذه عليهم في التوراة. ١٥٥ - فبسبب نقضهم لعهدهم مع الله، حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم، لأن هذه القصة ممتدة إلى قوله ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا﴾ ونقضهم الميثاق أنه أخذ عليهم أن يبينوا صفة النبي ﷺ ﴿وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ﴾ يحيى وزكريا وغيرهما ﴿غُلْفٌۢ﴾ جمع أغلف وهو المغطى بالغلاف، أي قلوبنا في أغطية فلا نفقه ما تقول ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ ليس عدم قبولهم للحق بسبب كونها غلفا بحسب مقصدهم الذي يريدونه، بل بحسب الطبع من الله عليها ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾﴾ فسبب عدم استجابتهم قلة إيمانهم أو انعدامه. ١٥٦ - ﴿وَبِكُفْرِهِمْ﴾ بالمسيح ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾﴾ هو رميها بيوسف النجار، وكان من الصالحين. ١٥٧ - ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ كذبوا بأنهم قتلوه وافتخروا بقتله، ولعلهم إنما ذكروا بالرسالة استهزاء، لأنهم ينكرونها ولا يعترفون بأنه نبي ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ يكذبهم الله في ادعائهم أنهم قتلوا عيسى وصلبوه ولكن أُلقِي شَبَهُهُ على غيره، وقتلوا الذي قتلوه وهم شاكلون فيه ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ أي في شأن عيسى، فقال بعضهم: قتلناه. وقال من عاين رفعه إلى السماء: ما قتلناه. وقيل: إن الاختلاف بينهم هو أن النسطورية من النصارى قالوا: صُلِبَ عيسى من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته، وقالت الملكانية: وقع القتل والصلب على المسيح بكماله: ناسوته ولاهوته ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾ فهم مترددون مرتابون، في شكهم يعمهون، وفي جهلهم يتحيرون و﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ أي لكنهم يتبعون الظن فهم مضطربون مترددون ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾﴾ أي قتلا يقينا: أي ليس هذا عندهم بيقين. ١٥٨ - ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ وقد تقدم ذكر رفعه عليه السلام في سورة آل عمران/ آية ٥٥. ١٥٩ - ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ المعنى سيدرك أناس من أهل الكتاب عيسى حين يبعثون وسيؤمنون به، والمراد الإيمان به عند نزوله في آخر الزمان، كما وردت بذلك الأحاديث ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ﴾ عيسى على أهل الكتاب ﴿شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ يشهد على اليهود بالتكذيب له، وعلى النصارى بالغلوّ فيه حتى قالوا هو ابن الله. ١٦٠ - فبسبب ظلم عظيم من اليهود وهو ما تقدم تعديده من الذنوب في الآيات السابقة ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ لا بسبب شيء آخر كما زعموا أنها كانت محرمة على من قبلهم. والطيبات منها ما نصّه الله سبحانه ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ ﴿وَبِصَدِّهِمْ﴾ أنفسهم وغيرهم ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وهو اتباع محمد ﷺ وتحريفهم وقتلهم الأنبياء، وما صدر منهم من الذنوب المعروفة. ١٦١ - ﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ أي معاملتهم فيما بينهم وبين الناس بالربا، وأكلهم له وهو محرم عليهم ﴿وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ كالرشوة والسحت الذي كانوا يأخذونه. ١٦٢ - ﴿لَّٰكِنِ=

ربع الحزب ١١

﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ
وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ
وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَۚ
وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ١٦٣ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ
مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ
تَكْلِيمًا ١٦٤ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ
لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا
١٦٥ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦۖ
وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ١٦٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا
١٦٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا
لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ١٦٨ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ
وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ١٦٩ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ
ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟
فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ١٧٠

= ﴿ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ الراسخ: هو المبالغ في علم الكتاب الثابت فيه. والمراد بالمؤمنين إما من آمن من أهل الكتاب، أو من المهاجرين والأنصار، أو من الجميع ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي وأعني المقيمين ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ هم مؤمنو أهل الكتاب، وقيل المراد بهم: المؤمنون من المهاجرين والأنصار كما سلف أنهم جامعون بين هذه الأوصاف.

١٦٣ - ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ المعنى أن أمر محمد ﷺ كأمر من تقدمه من الأنبياء، وخص نوحا لكونه أول نبي شرعت على لسانه الشرائع ﴿وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ وهم القبائل من ذرية يعقوب، أي الأنبياء منهم. والله أعلم ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ١٦٣﴾ الزبور: كتاب داود. قال القرطبي: وهو مائة وخمسون سورة، ليس فيها حُكْمٌ ولا حلال ولا حرام، وإنما هي حِكَمٌ ومواعظ. والمزمور: فصل يشتمل على كلام لداود يستغيث فيه بالله من خصومه، ويدعو الله عليهم، ويستنصره، وتارة يأتي بمواعظ.

١٦٤ - ﴿وَرُسُلًا﴾ أي وأرسلنا رسلا ﴿قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ﴾ أي قصصنا أخبارهم ﴿مِن قَبْلُ﴾ قَصَّهم عليه في هذه السورة ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ١٦٤﴾ أي تكليما حقيقة لا مجازا، وتخصيص موسى بالتكليم تشريف لقدره، ولذلك سمّي موسى (كليم الله). ١٦٥ - ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ أي مبشرين لأهل الطاعات ومنذرين لأهل المعاصي ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ أي معذرةٌ يعتذرون بها كما في قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾ ﴿بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ بعد إرسال الرسل. ١٦٦ - ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ أي بعلمه الذي لا يعلمه غيره، من كونك أهلا لما اصطفاك الله له من النبوة، وأنزله عليك من القرآن ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ١٦٦﴾ بالمعجزات الدالة على صحة النبوة. أي فلا تحزن لتكذيب من كذبك من الكفار فإن شهادة الله لك كافية ومعجزاته التي أعطاك دلالات بينات. ١٦٧ - ﴿وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وهو دين الإسلام، بإنكارهم نبوة محمد ﷺ وبقولهم: ما نجد صفته في كتابنا، وإنما النبوة في ذرية هارون وداود، وبقولهم إن شرع موسى لا ينسخ ﴿قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ١٦٧﴾ لأنهم مع كفرهم منعوا غيرهم عن الحق. ١٦٨ - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بجحدهم ﴿وَظَلَمُوا۟﴾ غيرهم بصدهم عن السبيل، أو ظلموا محمدا بكتمانهم نبوته، أو ظلموا أنفسهم بكفرهم ﴿لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ إذا استمروا على كفرهم وماتوا كافرين. ١٦٩ - ﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ لكونهم اقترفوا ما يوجب لهم ذلك بسوء اختيارهم وفرط شقائهم ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ أي خلودا دائما لا نهاية له ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ أي تخليدهم في جهنم إلى الأبد ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ١٦٩﴾ لأنه سبحانه لا يصعب عليه شيء. ١٧٠ - ﴿فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ﴾ أي فآمنوا يكن الإيمان خيرا لكم ﴿وَإِن تَكْفُرُوا۟﴾ أي وإن تستمروا =

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ
عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ
ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ
وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ
وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسۡتَنكِفَ
ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ
وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ
إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ
ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا
يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٧٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ
قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴿١٧٤﴾
فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ
فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿١٧٥﴾

١٠٥

= على كفركم ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ ومن كان خالقا لكم ولها، فهو قادر على مجازاتكم بقبيح أفعالكم.

١٧١ - ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ الغُلُوُّ: هو التجاوز للحدود، والمراد غلو النصارى في عيسى حتى جعلوه ربا، ومن التفريط غلو اليهود فيه عليه الصلاة والسلام حتى جعلوه لغير رشدة ﴿وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾ كقول اليهود عزير ابن الله، وقول النصارى المسيح ابن الله ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ﴾ أي كوَّنه بقوله «كن» فكان بشرًا من غير أب ﴿وَرُوحٞ مِّنۡهُ﴾ أي أرسل جبريل فنفخ في درع مريم، فحملت بإذن الله. وهذه الإضافة للتفضيل، وإن كان جميع الأرواح من خلقه تعالى ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ أي بأنه سبحانه إله واحد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، وبأن رسله صادقون، ولا تكذبوهم ولا تغلوا فيهم، فتجعلوا بعضهم آلهة ﴿وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ﴾ أي لا تقولوا هم ثلاثة. والنصارى مع تفرق مذاهبهم متفقون على التثليث. ويعنون بالثلاثة: الثلاثة الأقانيم، فيجعلونه سبحانه جوهرا واحدا، وله ثلاثة أقانيم، ويعنون بالأقانيم أقنوم الوجود، وأقنوم الحياة، وأقنوم العلم، وربما يعبِّرون عن الأقانيم بالأب والابن وروح القدس. وقيل المراد بالآلهة الثلاثة: الله سبحانه وتعالى، ومريم، والمسيح. وقد اختبط النصارى في هذا اختباطا طويلا ﴿ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡ﴾ أي انتهوا عن التثليث، يكن انتهاؤكم خيرا من بقائكم على ما أنتم عليه من الكفر ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ لا شريك له ﴿سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞ﴾ أي هو منزَّه تنزيها عن أن يكون له ولد ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ وماجعلتموه له شريكا أو ولدًا هو من جملة ذلك، والمملوك لايكون شريكا ولا ولدا. ١٧٢ - ولن يأنف المسيح عن عبوديته لله، ولن يرى ذلك عيبا، بل تلك هي الكرامة حقًّا، ولن يتنزه عنها. ولن يستكبروا عن أن يكونوا عباد الله ومن يأنف تكبرا ويعد نفسه كبيرا عن العبادة ﴿فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴿١٧٢﴾﴾ المستنكف وغيره، فيجازي كلا بعمله. ١٧٤ - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ بما أنزله عليكم من كتبه وبمن أرسله إليكم من رسله، وما نصبه لهم من المعجزات ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴿١٧٤﴾﴾ وهو القرآن، وسماه نورا لأنه يهتدى به من ظلمة الضلال. ١٧٥ - ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ﴾ أي بالله، قيل بالنور المذكور ﴿وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿١٧٥﴾﴾ لا عوج فيه، وهو التمسك بدين الإسلام وترك غيره من الأديان.

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ إِنِ ٱمْرُؤٌا هَلَكَ
لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَآ
إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ
وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ
يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾

سُورَةُ المَائِدَة — ترتيبها ٥ — آياتها ١٢٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ
ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ ٱللَّهَ
يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ
وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ
ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟
وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ
ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا۟
عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾

١٠٦

نصف الحزب ١١

١٧٦ - ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ تقدم بيان الكلالة ما هي في أول سورة النساء ﴿هَلَكَ﴾ أي مات، والولد يطلق على الذكر والأنثى، واقتصر على عدم الولد هنا اتكالا على ظهور ذلك، والله أعلم ﴿وَلَهُۥٓ أُخْتٌ﴾ والمراد الأخت لأبوين أو لأب، لا لأم، فإن فَرْضَ الأخت لأمٍّ السدس كما ذكر سابقا. وقد ذهب جمهور العلماء إلى أن الأخوات لأبوين أو لأب عصبة مع البنات، وإن لم يكن معهن أخ، فيرثن معهن باقي المال، ففي بنت وأخت، للبنت النصف وللأخت النصف، وفي بنت وبنت ابن وأخت، للبنت النصف ولبنت الابن السدس وللأخت الباقي تعْصيبًا وهو يرث الأخت ﴿إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ﴾ ذكر فإن كانت الأخوات اثنتين فأكثر ﴿فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ الميت إن لم يكن له ولد كما سلف ﴿وَإِن كَانُوٓا۟﴾ أي من يرث بالأخوَّة ﴿إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً﴾ أي مختلطين ذكورا وإناثا ﴿فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ فيما يأخذونه تعصيبا ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟﴾ أي يبين لكم حكم الكلالة وسائر الأحكام كراهة أن تضلوا. عن عمر قال: ما سألت النبي ﷺ عن شيء أكثر مما سألته في الكلالة، حتى طعن بإصبعه في صدري، وقال: «**ما تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء؟**» وعن عمر قال: ثلاث وددت أن رسول الله ﷺ كان عهد إلينا فيهن عهدا انتهى إليه: الجد، والكلالة، وأبواب من أبواب الربا.

سُورَةُ المَائِدَة

هي مدنية بالإجماع. عن عائشة قالت: أما إنها آخر سورة نزلت فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه، وما وجدتم فيها من حرام فحرموه.

١ – ويا من اتصفتم بالإيمان أوفوا بالعقود وهي التي عقدها الله على عباده وألزمهم بها من الأحكام، فالتزَموها بقولهم: سمعنا وأطعنا ونحوها، والعقود التي يعقدونها بينهم من عقود المعاملات. يعني أوفوا بعقد الله عليكم، وبعقدكم بعضكم مع بعض ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ والأنعام: اسم للإبل والبقر والغنم ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ وهو ما نص الله على تحريمه في الآية التالية من الميتة ونحوها إلا الصيد وأنتم محرمون، فيحرم على المُحرم الاصطياد في البر وأكل صيده. والمراد بالحُرُم: من هو مُحرِمٌ بالحج أو العمرة أو بهما، وأيضا يحرم صيد حرم مكة على المحرم وغير المحرم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾﴾ من الأحكام المخالفة لما كانت العرب تعتاده. ٢ – ﴿لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ المراد بها هنا: جميع مناسك الحج: الصفا والمروة وغيرهما فلا تُحلُّوها بأن يقع منكم الإخلال بشيء منها، أو بأن تحولوا بينها وبين من أراد تعظيمها وعبادة الله فيها. وقيل المراد بالشعائر هنا: فرائض الله، وحرمات الله ﴿وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾ جميع الأشهر الحرم الأربعة: ذو القعدة، وذو الحجة، ومحرم، ورجب. فلا تحلوها بالقتال فيها ﴿وَلَا ٱلْهَدْىَ﴾ هو ما يهدى إلى بيت الله من ناقة أو بقرة أو شاة، الواحدة هَدِيَّة، نهاهم =

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ
بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ
السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا
بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ
فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ
عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي
مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾
يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم
مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ
عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ
﴿٤﴾ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ
لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ
مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ
مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ
بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥﴾

= أن يحلوا حرمة الهدي بأن يأخذوه على صاحبه، أو يحولوا بينه وبين البيت الحرام ﴿وَلَا الْقَلَائِدَ﴾ وهي الأنعام المقلَّدة بالقلائد عند إهدائها للبيت، وإحلالها بأن تؤخذ غصبا. عَطَفَه على الهدي لزيادة الوصية بالهدي ولا تمنعوا من قصد البيت الحرام لحج، أو عمرة، أو ليسكن عنده من المسلمين، أو ليتاجر فيه، وقيل: إن سبب نزول هذه الآية أن المشركين كانوا يحجون ويعتمرون ويهدون، فأراد المسلمون أن يُغيروا عليهم، فنزل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ الآية، ثم نسخ الله هذا الحكم بقوله: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ وقال قوم: الآيةُ مُحكَمة وهي في الحجّاج والعمّار المسلمين ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾ يبتغون الفضل والأرباح في التجارة ويبتغون بالحج رضوان الله ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ﴾ أي من إحرامكم ﴿فَاصْطَادُوا﴾ أي من غير الحرم. ولا يحملنكم بغضكم لهم على الاعتداء عليهم ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ أي ليُعن بعضكم بعضا على ذلك و﴿الْإِثْمِ﴾ معصية الله ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾ التعدي على الناس بما فيه ظلم. ٣- ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ تقدم تفسيرها في سورة البقرة ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾ هي التي تموت بالخنق بفعلها، أو بفعل آدمي أو غيره، وقد كان أهل الجاهلية يخنقون الشاة، فإذا ماتت أكلوها ﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾ هي التي تُضرَب بحجر أو عصًا حتى تموت من غير تذكية ﴿وَالْمُتَرَدِّيَةُ﴾ هي التي تقع من علوٍّ إلى سُفل فتموت ﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾ وهي التي تنطحها أخرى فتموت من دون تذكية ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾ أي ما افترسه ذو ناب كالأسد والنمر والذئب والضبع فمات من دون تذكية ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ راجع على المنخنقة وما بعدها، أي ما أدركت ذكاته من المذكورات سابقا وفيه حياة ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ تعظيما لها. والنصب حجر كان ينصب فيعبد ويصب عليه دماء الذبائح. وقال مجاهد: هي حجارة كانت حوالي مكة يذبحون عليها ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾ والأزلام للعرب ثلاثة: أحدها مكتوب فيه «افعل»، والآخر مكتوب فيه «لا تفعل»، والثالث مهمل لا شيء عليه، فإذا أراد أن يطلب معرفة حظِّه في زواج أو سفر أو أمر مُهِمّ جعلها في خريطة معه، ثم أدخل يده، وهي متشابهة، فيخرج واحدا منها، فإن خرج الأول فعل ما عزم عليه، وإن خرج الثاني تركه، وإن خرج الثالث أعاد الضرب، حتى يخرج واحد من الأولين. والاستقسام: طلب القَسْم والنصيب. وقد حرَّمه الله لأنه تعرُّض لدعوى علم الغيب، وضربٌ من الكهانة ﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ إشارة إلى جميع المحرمات المذكورة هنا، والفسق هنا هو أشد الكفر ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ﴾ حصل لهم اليأس من إبطال دينكم، وأن يردوكم إلى دينهم ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ أي لا تخافوا منهم أن يغلبوكم أو يبطلوا دينكم ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ لظهوره على الأديان كلها، ولكمال أحكامه التي يحتاج المسلمون إليها من الحلال والحرام نزلت هذه الآية في حجة الوداع، في وقفة عرفات، وكان يوم جمعة، وقد أظهر الله الإسلام ونصر نبيّه ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ بإكمال الدين، وبفتح مكة،=

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ
وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ
وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ
وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ
أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا
فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ
لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ
وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٦﴾
وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم
بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ
ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ
شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ
أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ
ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٩﴾

١٠٨

= وقهر الكفار وإياسهم عن الظهور عليكم، كما وعدتكم بقولي ﴿وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي عَلَيۡكُمۡ﴾ ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ﴾ الذي أتمم عليه اليوم دينًا باقيًا إلى انقضاء أيام الدنيا ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ﴾ أي من دعته الضرورة في مجاعة إلى أكل الميتة وما بعدها من المحرمات ﴿غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ﴾ غير مائل إلى معصية الله.
٤- وأحل الله لكم صيد ما علّمتم من الجوارح، وهي الكواسب من الكلاب والفهود وسائر السباع، وسباع الطير، كالصقر والبازي. قال القرطبي: إن الكلب إذا لم يأكل من صيده الذي صاده، وأثّر فيه بجرح أو تنْيِيب، وصاد به مسلم، وذكر اسم الله عند إرساله، فإن صيده صحيح يؤكل بلا خلاف ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ المكلِّب: معلم الكلاب لكيفية الاصطياد، ومعلم سائر الجوارح مثله ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾ بما خلقه فيكم من العقل الذي تهتدون به إلى تعليمها وتدريبها حتى تصير قابلة لإمساك الصيد فإن أكل منه فإنّما أمسكه على نفسه، فلا يحل، ولقوله ﷺ لعدي بن حاتم: «**إذا أرسلت كلبك المعلم، وذكرت اسم الله عليه، فكل ما أمسك عليك، فإن أكل فلا تأكل، فإني أخاف أن يكون إنّما أمسك على نفسه**» ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾ على الجارح عند إرساله على الصيد، فإن ترك الصائد التسمية لم يحل، إلا إن تركتم ذلك نسيانا. ٥- ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ﴾ الطعام: اسم لما يؤكل، ومنه الذبائح، فجميع طعام اليهود والنصارى، من غير فرق بين اللحم وغيره، حلال للمسلمين، فذبائحهم حلال. والمجوس لا تؤكل ذبائحهم ولا تتزوّج نساءهم، لأنهم ليسوا بأهل كتاب، أما غير الذبائح من طعامهم فهو حلال بالإجماع ﴿وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡ﴾ أي وطعام المسلمين حلال لأهل الكتاب والعفائف دون الفاجرات، حلال لكم أيها المؤمنون ﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ أي هن حلال لكم أيضا بالزّواج. ولم يذكر أن نساءنا المؤمنات حلال لرجالهم كما أحل طعامنا لهم، فدل على تحريم نسائنا عليهم. ومن الشرط في الكتابية التي تحل لنا أن تكون محصنة، فيدخل تحت هذه الآية الحرة العفيفة من الإسرائيليات والنصرانيات، دون الفاجرة منهن إذا آتيتموهن أي مهورهن طالبين بالنكاح الإحصان غير مجاهرين بالزنى ﴿وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖ﴾ الأخدان الخليلات. شرع الله في الرجال العفة، وعدم المجاهرة بالزنى، وعدم اتخاذ أخدان، كما شرط في النساء أن يكن محصنات. ٦- ﴿إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ الوضوء لكل صلاة مندوب، ولا يجب الوضوء إلا على من أحدث. ﴿فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ﴾ بالماء، قيل: ومن غسل الوجه المضمضة والاستنشاق، وقد ورد الدليل بتخليل اللحية ﴿وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾ المرفق: المفصل الذي بين الساعد والعضد. وإذا توضأ أدار الماء على مرفقيه ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾ امسحوا رءوسكم بالماء ﴿وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ﴾ أي واغسلوا أقدامكم إلى الكعبين، وفي كل رِجْل كعبان والمسح على الخفين ثابت بالأحاديث المتواترة ﴿وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا﴾ فاغتسلوا بالماء ﴿وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ﴾ تقدم تفسير هذا في سورة النساء وكذلك تقدم الكلام على =

ثلاثة أرباع الحزب ١١

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ
اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ
فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي
إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ اللَّهُ
إِنِّي مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ
وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا
حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ
ذَٰلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا
نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ۖ
يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ۙ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا
ذُكِّرُوا بِهِ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ۖ
فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾

= ملامسة النساء، وعلى التيمم، وعلى الصعيد ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ أي ما يريد بأمركم بالطهارة بالماء أو بالتراب التضييق عليكم في الدين ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ من الذنوب ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي بالترخيص لكم في التيمم عند عدم الماء، أو بما شرعه لكم من الشرائع التي عرَّضكم بها للثواب ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝﴾ نعمته عليكم، فتستحقون ثواب الشاكرين.

٧- ﴿نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ هي الإسلام ﴿وَمِيثَاقَهُ﴾ الميثاق قيل المراد به هنا: ما أخذه على بني آدم، كما قال (وإذ أخذ ربك من بني آدم) الآية. وقيل: هو العهد الذي أخذه النبي ﷺ ليلة العقبة عليهم، وهو السمع والطاعة في المَنْشَط والمكره، ثم كان من دخل في الإسلام بايعه على ذلك. وأضافه الله تعالى إلى نفسه، لأنه عن أمره وإذنه، كما قال ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ وهذا متصل بقوله ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ أي وقت قولكم هذا، وشهدتم بالألوهية له فاتقوا الله ولا تنقضوا ميثاقه، لأنه عليم بما تخفيه القلوب.

٨- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ﴾ قد تقدم تفسيرها في سورة النساء (الآية ١٣٥) وقوله ﴿قَوَّامِينَ﴾ يفيد أنهم مأمورون بأن يقوموا بها أتم قيام ﴿لِلَّهِ﴾ أي لأجله تعظيما لأمره، وطمعا في ثوابه، وخوفا من عقابه. والقسط: العدل ولا يحملنكم بغضُ قوم على ترك العدل فيهم، وكتم الشهادة التي تنفعهم ﴿اعْدِلُوا هُوَ﴾ أي العدل ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ التي أمرتم بها غير مرة: أي أقرب لأن تتقوا الله، أو: لأن تتقوا النار. ١١- ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا﴾ عن ابن عباس: أن بني النضير هموا أن يطرحوا حجرا على النبيّ ﷺ ومن معه، فجاء جبريل، فأخبره بما هموا به، فقام ومن معه، فنزلت هذه الآية. ١٢- ﴿۞ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أخذ عهدهم الموثّق بما في آخر هذه الآية ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ النقيب: كبير القوم العالم بأمورهم. قيل المراد ببعث هؤلاء النقباء: أنهم بعثوا أمناء للاطلاع على الجبارين، والنظر في قوتهم ومَنَعَتِهم، فساروا ليختبروا حال من بها، فاطلعوا من الجبارين على قوة عظيمة، وظنوا أنهم لا قِبَل لهم بها. فتعاقدوا بينهم على أن يخفوا ذلك عن بني إسرائيل، وأن يعلموا به موسى. فلما انصرفوا إلى بني إسرائيل خان منهم عشرة، فأخبروا قرابتهم، ففشا الخبر حتى بطل أمر الغزو، وقالوا: اذهب أنت وربك فقاتلا، وقال الله إني معكم بالنصر والعون ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ﴾ أدّيتموها على الوجه الأكمل كما شرعها الله ﴿وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ﴾ الصدقات التي افترضها الله عليهم ﴿وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ أي عظمتموهم، أو رددتم عنهم أعداءهم ونصرتموهم ومنعتموهم وأنفقتم في وجوه الخير فمن كفر بعد ذلك أي بعد هذا الميثاق فقد خرج عن الطريق الموصل إلى رضوان الله.

١٣- فبسبب نقضهم ميثاقهم طردناهم وأبعدناهم من رحمتنا ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ أي صلبة لا تعي خيرا ولا تعقله ولا =

وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ
فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ
وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ
بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١٤ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ
قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا
كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن
كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ
مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ
سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى
ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ
١٦ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ
ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ
أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي
ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ
وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧

= تلين له ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ أي يبدلونه بغيره، أو يتأولونه على غير تأويله انظر تفسير سورة النساء (الآية ٤٦) ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ﴾ الخائنة: الخيانة والكذب والفجور وأمره الله أن يعفو عنهم ويصفح ويترك قتالهم، ثم نسخ ذلك في سورة التوبة فقال ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ فأمره بقتالهم حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون.

١٤- وأخذنا من النصارى ميثاقهم مثل ميثاق المذكورين قبلهم من بني إسرائيل فأهملوا من الميثاق المأخوذ عليهم نصيبا وافرا عقب أخذه عليهم ﴿فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ﴾ أي بين اليهود والنصارى، وقيل: بين النصارى خاصة: افترقوا إلى اليعقوبية والنسطورية والملكانية، وكفَّر بعضهم بعضا، وتظاهروا بالعداوة في ذات بينهم وسيلقون جزاء نقض الميثاق.

١٥- ﴿قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا﴾ أي محمد ﷺ ﴿يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ المنزل عليكم، وهو التوراة والإنجيل، كآية الرجم، وقصة أصحاب السبت الممسوخين قردة ﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ مما تخفونه، فيترك بيانه. وقيل معناه: يعفو عن كثير منكم فلا يؤاخذهم بما يصدر منهم ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ﴾ النور محمد ﷺ وقيل: الإسلام أو القرآن.

١٦- ﴿يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ﴾ أي ما رضيه الله طرق السلامة من العذاب الموصلة إلى دار السلام وهي الجنّة، المنزهة عن كل آفة ﴿وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ الكفرية ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ الإسلامي.

١٧- صاروا بقولهم هذا من الكافرين فمن يقدر أن يمنع الله تعالى شيئًا ﴿إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ﴾ وإذا لم يقدر أحد أن يمنعه من ذلك، فلا إله إلا الله، ولا رب غيره، ولا معبود بحق سواه، ولو كان المسيح إلها كما تزعم النصارى، لكان له من الأمر شيء، ولقدر على أن يدفع عنه نفسه أقل حال ولم يقدر على أن يدفع عن أمه الموت عند نزوله بها، فإذا لم يقدر على الدفع عنها كان أعجز عن أن يدفع عنكم شيئًا من أمر الله ﴿يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ يعني من تراب أو من ذكر أو من أنثى ولا يدل شيء من ذلك على ألوهية المخلوق وهو سبحانه قادر على كل شيء.

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ
فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن
يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ
رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا
مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟
نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا
وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟
ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ
فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ
وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا
فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ
أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ
فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾

١١١

١٨- ومن قبائح أهل الكتاب زعمهم أنهم أبناء الله وأحباؤه فيعطف عليهم ويرحمهم بمجرد الدعاوى الباطلة والأماني العاطلة قل: إذا كان الأمر كذلك فما باله يعذبكم بما تقترفونه في الذنوب بالقتل والمسخ وبالنار في يوم القيامة كما تعرفون بذلك فإن الابن من جنس أبيه لا يصدعنه ما يستحيل على الأب، وأنتم تذنبون والحبيب لا يعذب حبيبه وأنتم تعذبون فيها، فهذا يدلُّ على أنكم كاذبون، بل أنتم من جنس من خلقه الله تعالى كسائر عباد الله، يحاسبهم على الخير والشر ويجازي كل معامل بعمله.

١٩- يا أهل الكتاب قد جاءكم محمد ﷺ ﴿عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ انقطع الرسل قبل بعثه ﷺ مدة من الزمان ﴿أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ كراهة أن تقولوا هذا القول معتذرين عن تفريطكم ﴿فَقَدْ جَآءَكُم﴾ أي لا تعتذروا فقد جاءكم بشير ونذير، وهو محمد ﷺ عن ابن عباس قال: كان بين ميلاد عيسى ومحمد ﷺ خمسمائة سنة وتسع وستون سنة.

٢٠- وجعل منكم ملوكا، كما تقول قرابة الملك: نحن الملوك، وقيل: المراد بالملك أنهم ملكوا أمرهم بعد أن كانوا مملوكين لفرعون. وعن مجاهد قال: وجعلكم ملوكا: أي لكم بيوت وزوجات وخدم، وأعطاكم ما لم يعط أحدًا من عالمي زمانكم من المنِّ والسلوى والحجر والغمام وكثرة الأنبياء وكثرة الملوك وغير ذلك.

٢١- ﴿ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾ هي فلسطين، والمقدسة: المطهرة، وقيل: المباركة التي قسمها وقدرها لهم الله في سابق علمه، وجعلها مسكنا لكم ولا ترجعوا عن أمري وتتركوا طاعتي وما أوجبته عليكم من قتال الجبارين جبنا وفشلا ﴿فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾﴾ لخير الدنيا والآخرة.

٢٢- ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ قوم عظام الأجسام طوال متعاظمون، وهم العماليق. ﴿فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ تصريح أن امتناعهم من الدخول ليس إلا لهذا السبب.

٢٣- ﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾ هما يُوشَع وكالَب بن يوفنا، وكانا من الاثني عشر نقيبا، من الذين يخافون من الله عز وجل، وقيل: من الذين يخافون ضعف بني إسرائيل وجبنهم ﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ بالإيمان واليقين بحصول ما وعدوا به من النصر والظفر ادخلوا عليهم باب بلد الجبارين ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ﴾ قالاه ثقة بوعد الله.

قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ
أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ
إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ
ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ
يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ
﴿٢٦﴾ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا
فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ
قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ
لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ
رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ
مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتۡ
لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾
فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي
سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا
ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾

الحزب ١٢

٢٤- ﴿قَالُواْ﴾ أي: بنو إسرائيل لموسى ﴿إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا﴾ وكان هذا القول منهم فشلا وجبنا، أو عنادا وجَرَاءة على الله وعلى رسوله ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ﴾ قالوا هذا جهلا بالله عز وجل وبصفاته، وكفرا بما يجب له ﴿إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ أي: لا نبرح هذا المكان، ولا نتقدم معك ولا نتأخر عن هذا الموضع. ٢٥- ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ﴾ أما هم فقد خرجوا عن طاعتي ﴿فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾ وميزنا عن جملتهم، ولا تلحقنا بهم في العقوبة، وقيل المعنى: فاقض بيننا وبينهم. ٢٦- ﴿قَالَ فَإِنَّهَا﴾ أي: الأرض المقدسة ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ﴾ أي: على هؤلاء العصاة بسبب امتناعهم من قتال الجبارين ﴿أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ﴾ لا زيادة عليها، قيل: إنه لم يدخلها أحد ممن قال: «إنا لن ندخلها» ﴿يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ يتحيرون فيها، يذهبون ويجيئون على غير هدى. وقد كان معهم في التيه موسى عليه السلام. وعن ابن عباس، قال: تاهوا أربعين سنة، فهلك موسى وهارون في التيه، وكل من جاوز الأربعين سنة، فلما مضت الأربعون سنة نهض بهم يوشع بن نون، وهو الذي قام بالأمر بعد موسى، وهو الذي افتتحها. ٢٧- ﴿۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ﴾ واسمهما: قابيل، وهابيل، وكان قربان قابيل حزمة من سنبل، لأنه كان صاحب زرع اختارها من أردأ زرعه، وكان قربان هابيل كبشًا لأنه كان صاحب غنم، أخذه من أجود غنمه، فتقبل الله قربان هابيل، فرفع إلى الجنة، ولم يتقبل قربان قابيل، فحسده، وقال: لا بدّ أن أقتلك، وكان ذلك منه غيرة وحسدا ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ كأنه يقول لأخيه: إنما أتيتَ من قِبَل نفسك لا من قبلي، فإن عدم تقبل قربانك، بسبب عدم تقواك. ٢٨- ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي﴾ أي: إن قصدت قتلي ﴿مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ﴾ أي فلن أقصد قتلك، وهذا استسلام من هابيل للقتل أما في شرعنا فيجوز دفعه إجماعا وفي وجوب ذلك عليه خلاف، والأصح وجوب ذلك لما فيه من النهي عن المنكر، وهذا في غير الفتنة والشبهة، أما حين تكون الفتنة، ويرى كل من الطرفين قتل الآخر في سبيل الله، فقد قيل: الأولى ترك الدفع بدلالة هذه الآيات. ٢٩- ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي﴾ أي بإثم قتلك لي، وإثمك الذي قد صار عليك بذنوبك من قبل قتلي. ٣٠- ﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ﴾ أي سهلت نفسه عليه الأمر وشجعته، وصورت له أن قتل أخيه طوع يده سهل عليه، وأنّ فيه كسبًا له وشرفًا. ٣١- لما قتل أخاه لم يدر كيف يواريه، لكونه أول ميت مات من بني آدم، فبعث الله غرابين أخوين، فاقتتلا، فقتل أحدهما صاحبه، فحفر له ثم حثا عليه ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰٓ﴾ كلمة تحسُّرٍ وحزن، والويلة الهلكة. ﴿فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ﴾ أي: جيفته، فواراه بدفنه في التراب.

مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ
نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ
ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ
جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا
مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا
جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ
فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ
وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ
لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ
﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟
أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ
لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ
عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾

٣٢- ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾ المعنى أن نبأ ابني آدم هو الذي تسبَّبَ عنه الكَتْبُ المذكور على بني إسرائيل، ولعله إنما خص بني إسرائيل، لأنهم أول أمة نزل الوعيد عليهم في قتل الأنفس، ولكثرة سفكهم للدماء، وقتلهم للأنبياء ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أي بغير نفس توجب القصاص ﴿أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ هو الشرك، وقيل: الفساد في الأرض قطع الطريق، وسفك الدماء، وهتك الحرم، ونهب الأموال، والبغي على عباد الله بغير حق، وهدم البنيان، وقطع الأشجار وتغوير الأنهار ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ عن مجاهد قال: المعنى أن الذي يقتل النفس المؤمنة متعمدا جعل الله جزاءه جهنم، وغضب عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما، فلو قتل الناس جميعا لم يزد على هذا ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ أي من عفا عمن وجب قتله، وعن مجاهد أن إحياءها إنجاؤها من غرق، أو حرق، أو هدم، أو هلكة ﴿فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ أي وجب على الكل شكره، وقيل: كأنما أحيا الناس جميعا في الأجر ﴿لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ أي في القتل. ٣٣- ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ نزلت فيمن خرج من المسلمين يقطع الطريق، ويسعى في الأرض بالفساد. وهذه الآية تعم المشرك وغيره ممن ارتكب ما تضمنته، ومحاربة الله: عصيانه، ومحاربة رسول الله ﷺ: هي حمل السلاح ضده، ومثلها محاربة المسلمين في عصره، ومن بعد عصره ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ أي يعيشون فيها مفسدين ﴿أَن يُقَتَّلُوٓا۟﴾ إن قتلوا نفسًا معصومة ﴿أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟﴾ إن أخذوا المال وقَتلوا، والصلب إنما يكون بعد القتل، ولا يجوز أن يصلب قبل القتل ﴿أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ إن أخذوا المال ولم يَقْتُلوا، والمراد بهذا: قطع اليد اليمنى والرجل اليسرى فقط ﴿أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ إذا لم يتلوا ولم يأخذوا مالا، بل قاطع الطريق بالسلاح يُطْلب بالخيل والرّجال حتى يؤخذ فيقام عليه الحد، أو يُخرَج من دار الإسلام هربا. ﴿ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ الخزي: الذل والفضيحة.

٣٤- ﴿مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾ استثنى التائبين قبل القدرة عليهم، فلا يطالب المحارب التائب قبل القدرة عليه بشيء من العقوبات المنصوص عليها في الآية السابقة. وذهب بعض أهل العلم إلى: أنه لا يسقط القصاص وسائر حقوق الآدميين بالتوبة قبل القدرة، وأما التوبة بعد القدرة فلا تسقط بها العقوبة المذكورة في الآية. وليس إلى طالب الدم من أمر المحاربين شيء، ولا يجوز عفو ولي الدم، بل الأمر إلى الإمام.

٣٥- واطلبوا ما يقربكم إلى الله تعالى. والوسيلة هي القربة، وتصدق على التقوى، وعلى غيرها من خصال الخير التي يتقرب العباد بها إلى ربهم وجاهدوا من لم يقبل دينه.

يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ
وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ٣٧ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ
أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ
٣٨ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ
عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ
وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٤٠ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ
لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ
قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ
هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ
ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ
يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ
وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ
أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي
ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٤١

ربع الحزب ١٢

٣٧- ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ﴾ هذه للكفار وليست لعصاة المسلمين.

٣٨- ولما ذكر سبحانه حكم من يأخذ المال جهارا، وهو المحارب، عقَّبه بذكر من يأخذ المال خفية، وهو السارق.

والسرقة: أخذ الشيء في خفية من الأعين ﴿فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا﴾ أي: اليد اليمنى من كل منهما، تقع من الرسغ، والسرقة لا بد أن تكون ربع دينار فصاعدا، ولا بد أن تكون من حِرْزٍ، وإلا فلا قطع بها ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا﴾ من السرقة ﴿نَكَٰلٗا﴾ عذابًا رادعًا للسارقين ﴿مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ أي: فلا تحزنوا عليهم.

٣٩- فمن تاب من بعد أن قُطِعَت يده بسبب السَّرقة وأصلح أمره، تاب الله عليه.

وفي السند ما يدل على أن الحدود إذا رفعت إلى الأئمة وجبت وامتنع إسقاطها.

٤١- ونزلت هذه الآيات في رجل من اليهود وامرأة منهم زنيا، وكانت اليهود قد حرَّفت حكم الرجم للزناة، وعاقبوهم تخفيفا بغيره، فأتوا النبي ﷺ ليحكم لهم كما كانوا يحكمون، ليحتجوا بذلك عند الله، فأمر برجمهما.

﴿ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾ المراد هنا: وقوعهم في الكفر بسرعة عند وجود فرصة ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ هم المنافقون ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ يعني اليهود، أي: ومن الذين هادوا قوم قابلون لكذب رؤسائهم المحرفين للتوراة ﴿سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ﴾ يستمعون قول هؤلاء ولم يحضروا مجلسك، وهم طائفة من اليهود كانوا لا يحضرون مجلس رسول الله ﷺ تكبرًا وتمردًا، ومن جملة صفات القوم المذكورين، أنهم يميلون الكلم عن مواضعه التي وضعه الله فيها من حيث لفظه، أو من حيث معناه، ولعل المراد أنهم حرفوا التوراة، ومما حرفوه الرجم على الزاني والزانية، جعلوا بدله تسويد الوجه يقولون إن أوتيتم من جهة محمد هذا الكلام الذي حرّفناه، فخذوه واعملوا به، وإن لم تؤتوه بل جاءكم بغيره فاحذروا من قبوله والعمل به ومن يرد الله ضلالته فلا تستطيع دفع ذلك عنه، ولا تقدر على نفعه وهدايته ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ من أرجاس الكفر والنفاق، كما طهر قلوب المؤمنين ﴿لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ﴾ بظهور نفاق المنافقين، وبضرب الجزية على الكافرين، وظهور تحريفهم وكتمهم لما أنزل الله في التوراة.

سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ
فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن
يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ
ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ
وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا
هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ
هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ
ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ
وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم
بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ
فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ
بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ
قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن
لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾

٤٢- ﴿أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ السحت: المال الحرام، لأنه يُسحِتُ الطاعات: أي يذهبها ويمحوا أجرها، وقيل: هو الرشوة ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ﴾ فيه تخيير لرسول الله ﷺ بين الحكم بينهم والإعراض عنهم. وقد أجمع العلماء على أنه يجب على حكام المسلمين أن يحكموا بين المسلم والذمي إذا ترافعا إليهم، واختلفوا في أهل الذمة إذا ترافعوا فيما بينهم، فقيل: يجب الحكم بينهم، وقيل: هو جائز وله أن يردهم ولا يحكم بينهم بشيء وإن اخترت الإعراض عن الحكم بينهم فلا سبيل لهم عليك وإن اخترت الحكم بينهم فاحكم بينهم بالعدل الذي أمرك الله به وأنزله عليك.

٤٣- فيه تعجيب له ﷺ من تحكيمهم إياه، مع كونهم لا يؤمنون به ولا بما جاء به، مع أن ما يحكّمونه فيه هو موجود عندهم في التوراة كالرجم ونحوه، وإنما يأتون عليه ﷺ ويحكّمونه طمعًا منهم في أن يوافق تحريفهم وأهواءهم.

٤٤- وهو بيان الشرائع والتبشير بمحمد ﷺ وإيجاب اتباعه ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ﴾ هم أنبياء بني إسرائيل ﴿ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟﴾ صفة مادحة للنبيين، وفيه إرغام لليهود بأن أنبياءهم كانوا يدينون بدين الإسلام الذي دان به محمد ﷺ والعلماء الحكماء ﴿وَٱلْأَحْبَارُ﴾ العلماء ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ أي أمرهم الأنبياء بحفظ التوراة عن التغيير والتبديل ﴿وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾ أي على كتاب الله، والشهداء: الرقباء، فهم يحمونه عن التغيير والتبديل بهذه المراقبة، والخطاب بقوله ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ﴾ لرؤساء اليهود ولا تكتموا الحكم بما أنزل الله خوفا من أحد، أو رغبة في مصلحة ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ إن فعلوه. وحكم هذه الآية لكل من ولي الحكم، وقيل: هو محمول على أن ترك الحكم بما أنزل الله وقع استخفافا، أو استحلالا، أو جحدا. عن ابن عباس: من جحد الحكم بما أنزل الله فقد كفر، ومن أقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق. وعن ابن عباس: ليس بكُفْرٍ ينقل عن الملة، بل كفرٌ دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق. ٤٥- وكتبنا على اليهود في التوراة القصاص بقتل النفس بالنفس، كبيرة أو صغيرة، ذكرًا أو أنثى. وشرع قبلنا يلزمنا إذا لم ينسخ وإن العين إذا فقئت، أو قلعت عمدًا ولم يبق فيها مجال للإدراك فإنه تفقأ عين الجاني أو تقلع بها ﴿وَٱلْأَنفَ﴾ إذا جدع جميعه، فإنه يجدع أنف الجاني به، والأذن إذا قطعت جميعها، فإنها تقطع أذن الجاني بها وكذلك السن إذا قلعت أو كسرت تؤخذ بها لا فرق بين الثنايا والأنياب والأضراس، والرباعيات، وأنه يؤخذ بعضها ببعض، ولا فضل لبعضها على بعض، وينبغي أن يكون المأخوذ في القصاص من الجاني هو المماثل للمأخوذ من المجني عليه، كالأذن اليمنى بالأذن اليمنى مثلا دون اليسرى ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ فيقتص من الجاني بجرح مثل ما جرح، إن كان لا يُخاف من القصاص =

وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ
ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ
يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ
أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ
بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا
عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ
عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ
ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ
أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ
بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم
بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ
ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾

= تلف النفس، ويُعْرَف مقدار الجرح عمقًا وطولاً أو عرضًا. وقد قدر أئمة الفقه أرش كل جراحة بمقادير معلومة ومن عفا عن الجاني، فهو كفارة للمتصدق، يكفر الله عنها بها ذنوبه ومن لم يحكم بحكم الله وشرعه فأولئك هم الظالمون للناس ولأنفسهم إن هذا الظلم الصادر منهم، ظلم عظيم بالغ إلى الغاية. ٤٦- أي: وجعلنا عيسى بن مريم يقفوا آثار النبيين الذين أسلموا من بني إسرائيل وأن الإنجيل أوتيه عيسى، مشتملاً على الهدى والنور، مصدقًا لما بين يديه من التوراة، يرافقها ويثبت ما فيها من الحق. ٤٧- ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾ ولا يتوكلوا ذلك لرغبة في الدنيا أو رهبة من الناس. وهذا أمر لأهل الإنجيل بأن يحكموا بما أنزل الله فيه، فإنه قبل البعثة المحمدية حق، وأما بعدها فقد أمروا في غير موضع بأن يعملوا بما أنزل الله على محمد ﷺ في القرآن، لأن القرآن ناسخٌ لما خالفه في كل الكتب المنزلة. ٤٨- ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ خطاب لمحمد ﷺ، والكتاب القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ من كتب الله المنزلة، لكونه مشتملاً على الدعوة إلى الله، والأمر بالخير، والنهي عن الشر، كما اشتملت عليه ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ شاهدًا بصحة الكتب المنزلة، ومقررًا لما فيها مما لم ينسخ، وناسخًا لما خالفه منها ورقيبًا عليها، وحافظًا لما فيها من أصول الشرائع، وغالبًا لها لكونه المرجع في المحكم منها والمنسوخ، ومؤتمنًا عليها لكونه مشتملاً على ما هو معمول به منها، وما هو متروك ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ في القرآن ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ أي: أهواء أهل الملل السابقة، ولا تعدل أو لا تنحرف ﴿عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ أي: الحق الذي أنزل الله عليك، فإن كل ملة من الملل تهوى أن يكون الأمر على ما هم عليه، وما أدركوا عليه سلفهم، وإن كان باطلاً منسوخًا، أو محرفًا عن الحكم الذي أنزله الله على الأنبياء، كما أرادوا في الرجم ونحوه مما حرفوه من كتب الله ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ جعل التوراة لأهلها، والإنجيل لأهله، والقرآن لأهله، وهذا قبل نسخ الشرائع السابقة بالقرآن، وأما بعده فلا شرعة ولا منهاج إلا ما جاء به محمد ﷺ ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ بشريعة واحدة، وكتاب واحد، ورسول واحد ﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ﴾ باختلاف الشرائع ﴿فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ فيما أنزله عليكم من الشرائع المختلفة، تعملون بذلك وتذعنون له، أو تتركونه، وتميلون إلى الهوى، وتشترون الضلالة بالهدى. وفيه دليل على أن اختلاف الشرائع هو لهذه العلة، أعني: الابتلاء والامتحان، لا لكون مصالح العباد مختلفة باختلاف الأوقات والأشخاص فقط فسابقوا أيها المسلمون غيركم من أصحاب الشرائع الذين عملوا على أساسها بطاعة الله، واعملوا بطاعة الله على أساس شريعتكم. ٤٩- وإن جاؤوك لتحكم بينهم، فأردت أن تحكم، فليكن حكمك طبقًا لما أنزله الله عليك، لا طبقا لما تهواه أنفسهم، أو طبقًا لما في كتبهم من التحريف ﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ أي: يضلوك عنه وإن أعرضوا عن قبول حكمك بما أنزل الله =

نصف الحزب ١٢

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَۘ بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ
ٱلظَّٰلِمِينَ (٥١) فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ
يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ
مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ (٥٢)
وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْۙ
إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ (٥٣) يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ
وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى
سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ
وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤) إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ
يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ (٥٥) وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ (٥٦) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ
ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٥٧)

(١١٧)

= عليك، فذلك لما أراده الله من تعذيبهم ببعض ذنوبهم، وهو ذنب التولي عنك، والإعراض عما جئت به.

٥٠- أيعرضون عن حكمك بما أنزل الله عليك، ويتولون عنه، ويبتغون حكم الجاهلية ولا أحسن من حكم الله عند أهل اليقين، بخلاف أهل الجهل والأهواء، الذين لا يرضون إلا بما يوافق أهواءهم ولو كان باطلا. ٥١- ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ تناصرونهم وتحالفونهم وتحبونهم من دون الله. قيل باعتبار المخاطب بهذا الكلام المنافقون، ووصفوهم بالإيمان باعتبار ما كانوا يظهرونه. وقد كانوا يوالون اليهود والنصارى فنهوا عن ذلك ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ بعض اليهود أولياء البعض الآخر منهم، وبعض النصارى أولياء البعض الآخر منهم ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ أي فإنه من جملتهم وفي عدادهم، وهو وعيد شديد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٥١)﴾ لأنفسهم بموالاة أعداء المسلمين. ٥٢- ﴿ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ مرض النفاق والشك في الدين ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾ في موالاتهم ﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ أي نخشى أن تظفر الكفار بمحمد؟ فتكون الدولة لهم، وتبطل دولته، فيصيبنا منهم مكروه ﴿بِٱلْفَتْحِ﴾ ظهور النبي ﷺ على الكافرين، كقتل مقاتلو بني قريظة وسبي ذراريهم، وإجلاء بني النضير ﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾ ما تندفع به صولة اليهود ومن معهم وتنكسر به شوكتهم، وقيل: هو إظهار أمر المنافقين، وإخبار النبي، بما أسروا في أنفسهم، وأمره بقتلهم ﴿مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ من النفاق الحامل لهم على الموالاة ﴿نَٰدِمِينَ (٥٢)﴾ على ذلك لبطلان الأسباب التي تخيلوها، وانكشاف خلافها. ٥٣- والإشارة بقوله: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ إلى المنافقين: أي: يقول الذين آمنوا مخاطبين لليهود مشيرين إلى المنافقين ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ بالمناصرة والمعاضدة في القتال، وجهد الأيمان: أغلظها، أي: أقسموا بالله جاهدين. ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ أي بطلت الأعمال التي عملوها في الموالاة، أو كل عمل يعملونه. ٥٤- شروع في بيان أحكام المرتدين،بعد بيان أن موالاة الكافرين من المسلم كفر، ونوع من أنواع الردة. والمراد بالقوم الذين وعد الله سبحانه بالإتيان بهم: هم أبو بكر الصديق رضي الله عنه وجيشه من الصحابة والتابعين الذين قاتل بهم أهل الردة، وكل من جاء بعدهم من المقاتلين للمرتدين في جميع الزمن، وهم الموصوفون بهذه الأوصاف العظيمة، المشتملة على غاية المدح ونهاية الثناء، من كونهم يحبون الله وهو يحبهم، وكونهم يظهرون العطف والحنو والتواضع للمؤمنين، ويظهرون الشدة والغلظة والترفع على الكافرين، ويجمعون بين المجاهدة في سبيل الله، وعدم خوف الملامة في الدين، بل هم متصلّبون لا يبالون بما يفعله أعداء الحق وحزب الشيطان، من الازدراء بأهل الدين، وقلب محاسنهم مساوئ، ومناقبهم مثالب، حسدًا وبغضًا وكراهةً للحق وأهله.

٥٥- ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ﴾ هو الولي الذي تجب موالاته ﴿وَهُمْ رَٰكِعُونَ (٥٥)﴾ والمراد بالركوع: الخشوع والخضوع لله، أي: يقيمون الصلاة =

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا
بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ
هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ
عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ
مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا
وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ
﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ
ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ
وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟
يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟
بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا
مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ
وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ
وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾

١١٨

= وهم خاشعون خاضعون لا يتكبرون على أحد من المؤمنين، ويؤتون الزكاة، فيضعونها في مواضعها، غير متكبّرين على الفقراء ولا مترفعين عنهم. ٥٦- ووعد سبحانه من يتولى الله ورسوله والذين آمنوا بأنهم الغالبون لعدوهم وحزب الله هم المؤمنون القائمون بنصر شريعة الله. ٥٧- ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا﴾ هذا النهي عن موالاة المتخذين للدين هزوًا ولعبًا، يعم كل من حصل منه ذلك من المشركين وأهل الكتاب وأهل البدع المنتمين إلى الإسلام ﴿وَٱلْكُفَّارَ﴾ أي: ولا تتخذوا سائر الكفار ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ مناصرين لكم.

٥٨- ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا﴾ كان بعض اليهود إذا سمع الأذان سخروا به، وقالوا: لعن الله الكاذب، فإذا قام المسلمون إلى الصلاة فركعوا وسجدوا، ضحكوا منهم وسخروا بهم ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾ لأن الهزؤ واللعب شأن أهل السفه والخفة والطيش، فكيف بمن يهزأ بشعائر دين الله تعالى؟ ٥٩- وقل يا محمد لهؤلاء الساخرين اللاهين هل تعيبون، أو تسخطون، أو تنكرون، أو تكرهون منا، إلا إيماننا بالله، وبكتبه المنزلة، وقد علمتم بأنا على الحق ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ بتركهم للإيمان، والخروج عن امتثال أوامر الله. ٦٠- وبين الله سبحانه لرسوله أن هناك قومًا فيهم من العيب ما هو أولى بالعيب، وهو ما هم عليه من الكفر الموجب للعن الله وغضبه ومسخه ﴿مَثُوبَةً﴾ جزاء ثابتًا ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ أي طرده من رحمته ومسخ بعضهم قردة وبعضهم خنازير، وهم اليهود، فإن الله مسخ أصحاب السبت قردة، ومسخ من النصارى خنازير ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ وجعل منهم من يبالغ في عبادة الطاغوت، والطاغوت: الشيطان أو الكهنة أولئك شر منزلة يوم القيامة والمنحرفون عن طريق الحق. ٦١- ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ﴾ أظهروا الإسلام وقد دخلوا عندك متلبسين بالكفر، وخرجوا من عندك متلبسين به، لم يؤثر فيهم ما سمعوا منك، بل خرجوا كما دخلوا وسيعاقبهم الله لفعلهم بما كان منهم. ٦٢- ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ من المنافقين، أو اليهود، أو الطائفتين جميعًا يبادرون إلى الكذب، أو الشرك، أو الحرام والظلم المتعدي إلى الغير، أو مجاوزة الحد في الذنوب و ﴿ٱلسُّحْتَ﴾ المال الحرام. ٦٣- فهلا يتصدى لهؤلاء - المحاربين لربهم - الفقهاء والعلماء والصالحون منهم فيأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر؟ ليس ما كان من هؤلاء عن تقصير فوبّخ سبحانه الخاصة، وهم العلماء التاركون للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بما هو أغلظ وأشد من توبيخ فاعلي المعاصي، فهم أشد حالاً، وأعظم وبالاً من العصاة، فرحم الله عالمًا قام بما أوجبه الله عليه من فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ٦٤- ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ مراد اليهود هنا، عليهم لعائن الله، أن الله بخيل ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ دعاء عليهم بالبخل، ويجوز أن يكون المراد غَلّ أيديهم حقيقة بالأسر في الدنيا، أو بالعذاب في الآخرة ﴿وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟﴾ أبعدوا من رحمة الله بسبب قولهم: يد الله مغلولة. بل هو في غاية ما يكون من الجود وإنفاقه =

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ
سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟
ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن
فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ
سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ
مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ
مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ
ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ
وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ
إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ
﴿٦٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ
مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا
لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾

١١٩

ثلاثة أرباع الحزب ١٢

= على ما تقتضيه مشيئته، فإن شاء وسَّع، وإن شاء ضيق، فهو الباسط القابض، فإن قبض كان ذلك لما تقتضيه حكمته الباهرة ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم﴾ من اليهود والنصارى ﴿مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ من القرآن المشتمل على هذه الأحكام الحسنة ﴿طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ إلى طغيانهم وكفرهم، لأجل ما عندهم من الحسد وألقينا بين اليهود، أو بين اليهود والنصارى العداوة والبغضاء كلما جمعوا للحرب جمعًا، وأعدوا لها عدة، شتت الله جمعهم، فلم يظفروا بطائل، ولا عادوا بفائدة، وهكذا لا يزالون يهيجون الحروب ويجمعون عليها، ثم يبطل الله ذلك ويجتهدون في فعل ما فيه فساد، ومن أعظمه ما يريدونه من إبطال الإسلام وكيد أهله.

٦٥ - ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟﴾ بما جاء به محمد ؟ كما أمروا بذلك في كتب الله المنزلة عليهم ﴿وَٱتَّقَوْا۟﴾ المعاصي، ومن أعظمها الشرك بالله، والجحود لما جاء به رسول الله ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ التي اقترفوها، وإن كانت كثيرة متنوعة.

٦٦ - ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ أي: أقاموا ما فيهما من الأحكام التي جملتها الإيمان بما جاء به محمد ؟ ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾ من سائر كتب الله ﴿لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ بتيسير أسباب الرزق لهم، وكثرتها وتعدد أنواعها ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ هم المؤمنون، كعبد الله بن سلام ومن تبعه، وطائفة من النصارى ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ وهم المصرون على الكفر، المتمردون عن إجابة محمد ؟ والإيمان بما جاء به. ٦٧ - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أمره أن يبلغ جميع ما أنزله الله إليه لا يكتم منه شيئًا، فلم يسر إلى أحد مما يتعلق بما أنزله الله إليه شيئًا ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ﴾ بل كتمت ولو بعضًا من ذلك ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ وقد بلَّغ رسول الله ؟ لأمته ما نزل إليهم، وقال لهم في غير موطن «هل بلَّغت؟» فيشهدون له بالبيان، والله يحميك بعد اليوم ممن يريدك منهم بسوء. أي فليس يمنعك شيء من إبلاغ كل ما يوحي إليك به الله تعالى فلا تكتم شيئًا. ووعده بالعصمة من الناس، دفعًا لما قد يظن أنه حامل له على كتم البيان، وهو خوف لحوق الضرر من الناس. ٦٨ - ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ عن ابن عباس قال: جاء نافع ابن حارثة، وسلاَّم بن مشكم، ومالك بن الصيف، ورافع بن حرملة، فقالوا يا محمد: ألست تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه، وتؤمن بما عندنا من التوراة، وتشهد أنها من الله حق؟ فقال النبي ؟: «**بلى ولكنكم أحدثتم وجحدتم ما فيها مما أخذ عليكم من الميثاق، وكفرتم منها بما أمرتم أن تبينوه للناس، فبرئت من إحداثكم**». قالوا: فإنا نأخذ بما في أيدينا، وإنا على الهدى والحق، ولا نؤمن بك ولا نتبعك، فأنزل الله فيهم ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ إلى قوله ﴿ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾. أي لستم على شيء من الحق يعتد به، حتى تعملوا بما في التوراة والإنجيل: من أوامر الله ونواهيه، التي من جملتها أمركم باتباع محمد ؟ ونهيكم عن مخالفته، والقرآن، فإن إقامة

وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ
عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا
يَعۡمَلُونَ ٧١ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ
ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ
ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ
ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢
لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ
إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٣ أَفَلَا يَتُوبُونَ
إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٤
مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ
ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ
ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ
يُؤۡفَكُونَ ٧٥ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا
يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٧٦

١٢٠

الكتابين لا تصح بغير إقامته طغيانًا وكفرًا؟ أي كفرًا إلى كفرهم، وطغيانًا إلى طغيانهم ﴿فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٨﴾ أي دع عنك التأسف على هؤلاء، وفي المتبعين لك من المؤمنين غنى لك عنهم. ٦٩- ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ أي دخلوا في دين اليهود ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ تقدم بيانها في سورة البقرة ﴿مَنۡ ءَامَنَ﴾ منهم ﴿بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ عند لقاء الله ﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٩﴾ فمن آمن من هذه الطوائف إيمانًا خالصًا على الوجه المطلوب، وعمل عملاً صالحًا، فهو الذي لا خوف عليه ولا حزن. ٧٠- ﴿وَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ رُسُلٗاۖ﴾ ليعرّفوهم بالشرائع وينذروهم ﴿فَرِيقٗا كَذَّبُواْ وَفَرِيقٗا يَقۡتُلُونَ ٧٠﴾ أي: قتلوا بعض هؤلاء الرسل وكذبوا بعضًا آخر منهم، فممّن كذبوه عيسى وأمثاله من الأنبياء، وممن قتلوه زكريا ويحيى. ٧١- ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾ ابتلاء واختبار بالشدائد لمدى تمسكهم بالميثاق المذكور، اعتزازًا بقولهم ﴿نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ﴾، وعموا عن إبصار الهدى، وصموا عن استماع الحق، من مخالفة أحكام التوراة، وقتل أشعياء، ثم تاب الله عليهم حين تابوا، فكشف عنهم القحط ﴿ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ﴾ إشادو إلى ما وقع منهم بعد التوبة من قتل يحيى بن زكريا، وقصدهم لقتل عيسى. ٧٢- والقائلون بهذه المقالة، هم فرقة منهم يقال لهم اليعقوبية، وقيل: هم الملكانية، قالوا: إن الله عز وجل حلّ في ذات عيسى؛ فردَّ الله عليهم بقوله: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ﴾ أي والحال أنه قد قال المسيح هذه المقالة، فكيف يدعون الإلهية لمن يعترف على نفسه بأنه عبد مثلهم؟ ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ﴾ قيل: هو من قول عيسى. ٧٣- ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ﴾ والمراد بالثلاثة: الله سبحانه، وعيسى، ومريم. وقيل المراد: قولهم ثلاثة أقانيم، أقنيم الأب، وأقنيم الابن، وأقنيم روح القدس وليس في الوجود إله حق إلا الله سبحانه، وقيل هذا من تمام مقالة النصارى، أي: إنهم قالوا: هم ثلاثة، وقالوا: هم واحد ﴿وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ﴾ من الكفر ويتركوه لينزلنّ بهم عذابٌ يؤلمهم ويخزيهم. ٧٤- ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ﴾ من شركهم هذا؟ ويستغفرونه من ذنوبهم؟ وإن فعلوا قبل الله توبتهم ورحمهم لأنه غفور رحيم. ٧٥- ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ أي: هو مقصور على الرسالة، لا يجاوزها كما زعمتم بل هو من جنس الرسل الذين مضوا من قبله، وما وقع منه من المعجزات لا يوجب كونه إلهًا، فقد كان لمن قبله من الرسل مثلها، فإن الله أحيا العصا في يد موسى، وخلق آدم من غير أب، فإن كان كما تزعمون إلهًا أو ابنًا لله لذلك، فمن قبله من الرسل آلهة وأمه صادقة فيما تقوله، أو مصدقة لما جاء به ولدها من الرسالة، وذلك لا يستلزم الإلهية لها، بل هي كسائر من يتصف بهذا الوصف من النساء ﴿كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ﴾ كسائر أفراد البشر، أي: من كان يأكل الطعام كسائر المخلوقين فليس برب. ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ تعجيب من حال هؤلاء الذين يجعلون =

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ
وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟
كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى
ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾
كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ
مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ
يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ
أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾
وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ
مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ
﴿٨١﴾ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ
وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ
قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾

الجزء ٧ الحزب ١٣

= تلك الأوصاف مستلزمة للإلهية ﴿ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ أي كيف يصرفون عن الحق بعد هذا البيان.

٧٦- ومن كان لا ينفع ولا يضر، فكيف تتخذونه إلهًا وتعبدونه؟ والمراد هنا: المسيح وأمه عليهما السلام ومن كان كذلك فهو القادر على الضر والنفع، لإحاطته بكل مسموع ومعلوم، فهو الإله الحق.

٧٧- ﴿لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ نهاهم عن الغلو والمجاوزة للحد، كإثبات الإلهية لعيسى، وسلوك طريقة الإفراط بغير حق، وأما الغلو في الحق، بإبلاغ كلية الجهد في البحث عنه واستخراج حقائقه، فليس بمذموم ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ﴾ وهم أسلاف طائفتي اليهود والنصارى، أي قبل البعثة المحمدية ﴿وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا﴾ من الناس ﴿وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ والمراد أن أسلافهم ضلوا من قبل البعثة، وأضلوا كثيرًا من الناس إذ ذاك، وضلوا من بعد البعثة، لكونهم سنوا لهم ذلك ونهجوه.

٧٨- ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ أي في الزبور والإنجيل بما فعلوه من المعاصي، كاعتدائهم في السبت وكفرهم بعيسى، أي ذلك اللعن بسبب المعصية والاعتداء لا بسبب آخر. ٧٩- ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ كانوا لا ينهون العاصي عن معاودة معصية قد فعلها، أو تهيأ لفعلها. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم القواعد الإسلامية، وأجل الفرائض الشرعية ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ أي من تركهم لإنكار ما يجب عليهم إنكاره. ٨٠- ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ أي من اليهود ﴿يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي المشركين، وليسوا على دين حق ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ أي ما قدموه لأنفسهم ليردوا عليه يوم القيامة ﴿أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أي قدموا لأنفسهم في الآخرة سخط الله، فإذا رجعوا يوم القيامة نزلوا بمنزل السخط الإلهي. ٨١- ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ﴾ أي نبيهم ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ﴾ من الكتاب ﴿مَا ٱتَّخَذُوهُمْ﴾ أي المشركين ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ لأن الله ورسوله نهاهم عن ذلك ﴿وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾ أي خارجون عن ولاية الله.

٨٢- والخطاب لكل من يصلح له، والمعنى: أن اليهود والمشركين - لعنهم الله - أشد جميع الناس عداوة للمؤمنين وأصلبهم في ذلك، وأن النصارى أقرب الناس مودة للمؤمنين ﴿مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا﴾ أي: لأن في النصارى قُسُسًا ورهبانًا، يعلمونهم التواضع لله والرحمة، ونفع الناس، والتماس الحق. والمراد بالقسيسين في الآية: المتبعون للعلماء والعباد، والرهبانية والترهب: التعبد في الصوامع ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ عن قول الحق بل هم متواضعون بخلاف اليهود فإنهم على ضد ذلك.

وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ
الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ
الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ
وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَابَهُمُ
اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ
لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا
وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ
بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ
فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ
أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ
ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا
أَيْمَانَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾

١٢٢

٨٣- وهم يكونون عند سماع القرآن بملء أعينهم بسبب ما سمعوه في القرآن مما علموا أنه حق بسبب معرفتهم لكتابهم يقولون: ربنا آمنا بهذا الكتاب النازل من عندك على محمد وبمن أنزلته عليه ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ على الناس يوم القيامة من أمة محمد أو مع الشاهدين بصدق محمد وأنه رسولك إلى الناس.

٨٤- وأي سبب يحول بيننا وبين الإيمان بالله وما جاءنا من الحق على لسان محمد المبشر به في كتبنا ونطمع أن يدخلنا ربُّنا فسيح جناته مع عباده المتقين. ٨٥- فأثابهم على هذا القول مخلصين له معتقدين لمضمونه. بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري وكتب معه كتابًا إلى النجاشي فأرسل النجاشي إلى الرهبان والقسيسين فجمعهم ثم أمر جعفر بن أبي طالب أن يقرأ عليهم القرآن، فقرأ عليهم سورة مريم، فآمنوا بالقرآن، وفاضت أعينهم من الدمع، وهم الذين أنزل الله فيهم ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً﴾ إلى قوله ﴿مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾.

٨٧- ﴿لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ الطيبات هي: المستلذات مما أحله الله لعباده، نهاهم أن يحرموا على أنفسهم شيئًا منها، إما لظنهم أن في ذلك طاعة لله وتقربًا إليه، وأنه من الزهد في الدنيا، أو لقصد أن يحرموا على أنفسهم شيئًا مما أحله لهم، كما يقع من كثير من العوام. من قولهم: حرام علي، وحرمته على نفسي، ونحو ذلك من الألفاظ التي تدخل تحت هذا النهي القرآني ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ فتحلوا ما حرم الله عليكم، أي: تترخصوا فتحللوا حرامًا كما نهيتهم عن التشديد على أنفسكم بتحريم الحلال.

٨٨- ﴿حَلَالًا طَيِّبًا﴾ غير محرم ولا مستقذر.

٨٩- وأيمان اللغو لا يؤاخذ الله الحالف بها ولا تجب فيها الكفارة. وهي قول الرجل: لا والله، وبلى والله، في كلامه غير معتقد لليمين ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ﴾ أي بأيمانكم المعقودة الموثقة بالقصد والنية إذا حنثتم فيها ﴿فَكَفَّارَتُهُ﴾ أي: من حلف يمينا معقودة وحنث فيها فعليه أن يخرج عنها الكفارة، وهي ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ أطعموهم من المتوسط مما تعتادون إطعام أهليكم منه، ولا يجب عليكم أعلاه، ولا يجوز لكم أدناه، حتى يشبعوا، وقال عمر وعائشة: يدفع إلى كل واحد من العشرة نصف صاع من بر أو تمر ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ ما يكسو البدن ولو كان ثوبًا واحدًا، قيل: المراد بالكسوة ما تجزئ به الصلاة ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ أي إعتاق مملوك من الرق، أي: والحالف مخير بين هذه الثلاثة المتقدمة يخرج أيها شاء فمن لم يجد شيئًا من الأمور المذكورة، فيكفيه عن الكفارة صيام ثلاثة أيام متتابعات أو متفرقات. وأمرهم بحفظ الأيمان وعدم المسارعة إليها أو إلى الحنث بها، كي تشكروا ما أنعم الله به عليكم من بيان شرائعه وإيضاح أحكامه.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ
مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ
ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ
وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُواْ
ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ
رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ
﴿٩٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ
أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ
ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٩٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ
وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ
يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ
مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا
سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾

٩٠- ﴿ٱلۡمَيۡسِرُ﴾ تقدم تفسيره في سورة البقرة ﴿وَٱلۡأَنصَابُ﴾ هي الأصنام المنصوبة للعبادة ﴿وَٱلۡأَزۡلَٰمُ﴾ قد تقدم تفسيرها في أول هذه السورة ﴿رِجۡسٞ﴾ الرجس يطلق على العذرة والأقذار ﴿مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ بسبب تحسينه لذلك وتزيينه له وأكد تحريم الخمر والميسر فقرنهما بعبادة الأصنام، وجعلهما رجسًا أي نجسين نجاسة معنوية، وقيل: في الخمر نجاسة حسية أيضًا، ومن عمل الشيطان، والشيطان لا يأتي منه إلا الشر البحت، وأمر بالاجتناب، وجعل الاجتناب من أسباب الفلاح، وذكر ما ينتج منهما من الوبال. ٩١- ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ﴾ هذا من المفاسد الدنيوية في الخمر والميسر، وفيهما من المفاسد الدينية: ﴿وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ أي هل أنتم تاركون لهما نهائيا. قال عمر رضي الله عنه لما سمع هذا: انتهينا. ٩٢- ﴿وَٱحۡذَرُواْۚ﴾ أي مخالفة الله ورسوله. ٩٣- ﴿فِيمَا طَعِمُوٓاْ﴾ من المطاعم التي يشتهونها ﴿إِذَا مَا ٱتَّقَواْ﴾ أي: اتقوا ما هو محرَّم عليهم كالخمر وغيره ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ من الأعمال ﴿ثُمَّ ٱتَّقَواْ﴾ ما حرم عليهم بعد ذلك مع كونه كان مباحًا فيما سبق ﴿وَّءَامَنُواْ﴾ بتحريمه ﴿ثُمَّ ٱتَّقَواْ﴾ ما حرم عليهم بعد التحريم المذكور قبله مما كان مباحًا من قبل ﴿وَّأَحۡسَنُواْۚ﴾ أي: عملوا الأعمال الحسنة. سبب نزولها: أنه لما نزل تحريم الخمر، قال قوم من الصحابة: كيف بمن مات منا، وهو يشربها، ويأكل الميسر، وماتوا وهي في بطونهم؟ ٩٤- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ﴾ كان الصيد أحد معايش العرب، فابتلاهم الله بتحريمه مع الإحرام وفي الحرم، كما ابتلى بني إسرائيل ألا يعتدوا في السبت. ويكون في متناول أيديهم ورماحهم ليتميز عند الله من يخافه منكم خفية عن الناس كما يخافه بمرأى من الناس ومسمع منهم، فالخوف بالغيب برهان الإيمان. ٩٥- ﴿لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ﴾ أي: في حال الإحرام ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا﴾ فلا كفارة على غير المتعمد. وقيل: عليه أيضًا الكفارة فعليه جزاء مماثل لما قتله من الإبل أو البقر أو الغنم ﴿يَحۡكُمُ بِهِۦ﴾ أي بالجزاء، أو بمثل ما قتل ﴿ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ﴾ أي رجلان معروفان بالعدالة بين المسلمين، فإذا حكما بشيء لزم ﴿هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ﴾ المعنى: أنهما إذا حكما بالجزاء فإنه يفعل به ما يفعل بالهدي من الإرسال إلى مكة والنحر هنالك، ولم يرد الكعبة بعينها، فإن الهدي لا يبلغها، وإنما أراد الحرم، ولا خلاف في هذا ﴿أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا﴾ وقد قرّر العلماء عدل كل صيد من الإطعام والصيام، وأن الجاني يخير بين الأنواع المذكورة ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ﴾ الوبال سوء عاقبة قتله للصيد ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ﴾ قبل نزول الكفارة ﴿وَمَنۡ عَادَ﴾ إلى قتل الصيد بعد هذا البيان ﴿فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ﴾ في الآخرة، فيعذبه بذنبه.

ربع الحزب ١٣

أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ
عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ
تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ
قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟
أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ
شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا
تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ
وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟
عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ
ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ
سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾
مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَٰكِنَّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾

١٢٤

٩٦- ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾ وصيد البحر ما يصاد فيه من الحيوانات المائية، والمراد بالبحر هنا: كل ما يوجد فيه صيد بحري، وإن كان نهرًا أو غديرًا ﴿وَطَعَامُهُۥ﴾ ما قذف به البحر وطفا عليه ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ﴾ تمتيعًا لكم: أي لمن كان مقيمًا منكم يأكله طريا ﴿وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ المسافرين منكم يتزودونه وحرم عليكم صيد البر ما دمتم محرمين، ويحرم صيد غير المحرم على المحرم، إن صاده لأجله. ٩٧- ﴿قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ مدارًا لمعاشهم ودينهم، فيه ما يصلح دينهم ودنياهم: يأمن فيه خائفهم، وينصر فيه ضعيفهم، ويربح فيه تجارهم، ويتعبد فيه متعبِّدهم والأشهر الحرم: ذو القعدة، وذو الحجة، ومحرم، ورجب، لا يطلبون فيها دمًا، ولا يقاتلون بها عدوًّا، ولا يهتكون فيها حرمة، فكانت من هذه الحيثية قيامًا للناس ﴿وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾ فكان في ذلك تيسير لحياتهم وأسفارهم. ٩٨- ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾ أمرهم بأن يعلموا بأن الله لمن أنتهك محارمه، ولم يتب عن ذلك شديد العقاب، وأنه لمن تاب وأناب غفور رحيم. ٩٩- ﴿إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ لهم، فإن لم يمتثلوا ويطيعوا فما ضروا إلا أنفسهم، وما جنوا إلا عليها، وأما الرسول عليه الصلاة والسلام فقد فعل ما يجب عليه، وقام بما أمره الله به. ١٠٠- ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ﴾ الخبيث والطيب: الحرام والحلال، وقيل: الكافر والمؤمن، وقيل: العاصي والمطيع، وقيل: الرديء والجيد ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ﴾ لأن خبث الشيء يبطل فائدته، ويمحق بركته، ويذهب بمنفعته فاتقوا الله يا أصحاب العقول الراجحة واحرصوا على الطيب واجتنبوا الخبيث كي تكونوا من الفائزين. ١٠١- ولا تسألوا النبي عن أشياء لا حاجة لكم بالسؤال عنها، ولا هي مما يعينكم في أمر دينكم إذا ظهرت ساءتكم، ولأن السؤال عما لا يعني، ولا تدعو إليه حاجة، قد يكون سببًا لإيجابه على السائل وعلى غيره وإن تسألوا عنها مع وجود رسول الله ؟ بين أظهركم، ونزول الوحي عليه ﴿تُبْدَ لَكُمْ﴾ أي تظهر لكم بما يجيب عليكم به النبي أو ينزل به الوحي ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا﴾ قال رسول الله ﷺ **«أعظم المسلمين في المسلمين جُرْمًا، من سأل عن شيء لم يحرَّم، فيحرَّم من أجل مسألته»**. ١٠٢- سألوا عن مثلها في كونها مما لا حاجة إليه، ولا توجبه الضرورة الدينية، ثم لمّا كُلِّفوا لم يعملوا بها. ١٠٣- ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ﴾ البحيرة: الناقة كان أهل الجاهلية يبحرون أذنها، أي يشقونها، ويجعلون لبنها للطواغيت، فلا يحتلبها أحد من الناس، وجُعِلَ شقُّ أذنها علامة لذلك. والسائبة: الناقة تسيب، أو البعير يسيب بنذر على الرجل، إن سلَّمه الله من مرض، أو بلغه منزله، فلا يحبس عن رعي ولا ماء، ولا يركبه أحد، والوصيلة: قيل: هي الناقة إذا ولدت أنثى بعد أنثى، فهي لهم، وإن ولدت ذكرًا فهو لآلهتم. والحامي: هو الفحل إذا نُتِجَ من صلبه عشرة، قالوا قد حمى ظهره، فلا يركَبُ ولا يمنع من كلإٍ ولا ماء ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ أي في التحليل والتحريم وأكثرهم لا يعقلون ما فيه صلاحهم.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟
حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ
لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَـٰدَةُ
بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا
عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
فَأَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ
فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ
وَلَا نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ
أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ
ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ
مِن شَهَـٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ
أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَـٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَـٰنٌۢ بَعْدَ
أَيْمَـٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

١٠٤ - قالوا لن نؤمن بالقرآن، ولا بالرسول، ويكفينا دين آبائنا ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ أي: هل يبقون على دين آبائهم ولو كانوا جهلة ضالين، فلا ينبغي لأحد أن يبقى على ما وجد الناس عليه لمجرد ذلك، وخاصة إن تبين فيه الفساد، أو كان مخالفًا لكتاب الله أو سنة رسوله. ١٠٥ - ويا أيها المؤمنون الزموا أنفسكم، أو احفظوها ﴿لَا يَضُرُّكُم﴾ المعنى: لا يضركم ضلال من ضل من الناس، إذا اهتديتم للحق أنتم في أنفسكم. وقد دلت الآيات القرآنية، والأحاديث المتكاثرة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجوبًا متحتمًا، فتحمل هذه الآية على من لا يقدر على القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو لا يظن التأثير بحال من الأحوال، أو يخشى على نفسه أن يحل به ما يضره ضررًا يسوغ له معه الترك. ١٠٦ - هذه الآيات الثلاث التالية عند أهل المعاني من أصعب ما في القرآن إعرابًا ونظمًا وحكمًا ﴿شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ﴾ الشهادة هنا: هي الشهادة التي تؤدى من الشهود ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ حضرت علاماته ﴿حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ﴾ أي: شهادة اثنين من رجالكم ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ من المسلمين ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ من الكفار، فيكون في الآية دليل على جواز شهادة أهل الذمة على المسلمين في السفر في خصوص الوصايا، فإن عثر بعد ذلك على أنهما استحقا إثمًا: أي كذبا أو خانا، حلف رجلان من أولياء الموصي، وغرم الشاهدان الكافران ما ظهر عليهما من خيانة أو نحوها ﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ هو السفر ﴿فَأَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ فنزل بكم الموت وأردتم الوصية، ولم تجدوا شهودًا عليها مسلمين، ثم ذهبا إلى ورثتكم بوصيتكم، وبما تركتم، فارتابوا في أمرهما، وادعوا عليهما خيانة تقفونهما لليمين بعد صلاة العصر، وقيل: أو غيرها من الصلوات، إن ارتبتم في شهادتهما ويقسم بالله الشاهدان على الوصية لا نبيع حظنا من الله تعالى بهذا العرض النزر، فنحلف به كاذبين لأجل المال الذي ادعيتموه علينا ولو كان المشهود له قريبًا، فإنا نؤثر الحق والصدق ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ﴾ داخل معه في حكم القسم. ١٠٧ - وإذا اطّلع بعد التحليف على أن الشاهدين، أو الوصيين، استحقا إثمًا: إما بكذب في الشهادة، أو اليمين، أو بظهور خيانة ﴿فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ أي فحالفان آخران يقومان مقام الأولين، فيشهدان أو يحلفان، علي ما هو الحق ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ﴾ أي: من أقرب الناس إلى الميت. ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾ على الشاهدين الكافرين: لشهادتنا أحق من شهادتهما، أي من يمينهما على أنهما صادقان أمينان ﴿وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ﴾ ما حلفنا هذا زورًا عليهما. ١٠٨ - أي أقرب إلى أن يؤدي الشهود المتحمّلون للشهادة على الوصية الشهادة على وجهها، فلا يحرفوا ولا يبدلوا ولا يخونوا ﴿أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَـٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ﴾ أي ترد على الورثة، فيحلفون على خلاف ما شهد به شهود الوصية، فيفتضح حينئذ شهود الوصية. وحاصله أن من حضره الموت، أشهد على وصيته عدلين من عدول المسلمين، فإن لم يجد شاهدين مسلمين، =

۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ
لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ
ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ
ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ
ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ
مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا
بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ
ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ
جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ
مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى
وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ
ٱلْحَوَارِيُّونَ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن
يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا
وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾

= وكان في سفر، ووجد كفارًا، جاز له أن يشْهِدَ رجلين كافرَين منهم على وصيته. فإن ارتاب بهما ورثة الموصي، حلفا بالله على أنهما شهدا بالحق، وما كتما من الشهادة شيئًا، ولا خانا مما تركه الميت شيئًا، فإن تبين بعد ذلك خلاف ما أقسما عليه، أو ظهور شيء من تركة الميت، وزعما أنه قد صار في ملكهما بوجه من الوجوه، حلف رجلان من الورثة وعمل بذلك.

١٠٩- ﴿۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾ هو يوم القيامة فيقول ماذا أجابتكم به أممكم الذين بعثكم الله إليهم؟ قالوا لا علم لنا، مع أنهم عالمون بما أجابوا به، لكن قالوا هذا إظهارًا للعجز، وعدم القدرة، وهو تفويض الجواب إلى الله. وقيل: إنهم ذهلوا عما أجاب به قومهم لهول المحشر.

١١٠- ﴿ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ﴾ ذكَّره سبحانه نعمته عليه وعلى أمه، لقصد تعريف الأمم بما خصهما الله به من الكرامة، وميزها به من علو المقام، ولتوبيخ من اتخذهما إلهين، ببيان أن ذلك الأنعام عليهما كله من عند الله سبحانه، وأنهما عبْدان من جملة عباده، منعم عليهما بنعم الله سبحانه، ليس لهما من الأمر شيء

﴿أَيَّدتُّكَ﴾ قويتك ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ الروح الطاهرة التي خصه الله بها، وقيل: إنه جبريل عليه السلام ﴿تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ﴾ حال كونك صبيا ﴿وَكَهْلًا﴾ لا يتفاوت كلامك في الحالتين ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ الخط ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ هي الكلام المحكم ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾ أي تصوِّر طينًا مثل صورة الطير ﴿فَتَنفُخُ﴾ في الهيئة المصورة ﴿فَتَكُونُ﴾ هذه الهيئة طائرًا متحركًا حيا كسائر الطيور ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ من قبورهم، فيكون ذلك آية لك عظيمة ﴿بِإِذْنِى﴾ كله من جهة الله ليس لعيسى عليه السلام فيه فعل إلا مجرد امتثاله لأمر الله سبحانه وإذ دفعت وصرفت بني إسرائيل حين هموا بقتلك إذ جئتهم بالمعجزات الواضحات. ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾ لما عظم ذلك في صدورهم، وانبهروا منه لم يقدروا على جحده بالكلية، بل نسبوه إلى السحر. ١١١- وألهمت الحواريين وقذفت في قلوبهم التوحيد والإخلاص، وقيل: معناه: أمرتهم على ألسنة الرسل أن يؤمنوا بي ويؤمنوا برسالة رسولي ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾ أي: استجاب الحواريون لدعوة عيسى عليه الصلاة والسلام ﴿وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾ أي اشهد يا رب بأننا مخلصون في إيماننا. ١١٢- إذ قال تلاميذ عيسى، قيل: إنهم لم يشكُّوا في استطاعة الباري سبحانه، فإنهم كانوا مؤمنين عارفين بذلك. وقيل: إنهم طلبوا الطمأنينة، كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ الآية، ويدل على هذا قولهم من بعد: ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ والمائدة: الخوان إذا كان عليه الطعام فأجابهم عيسى عليه السلام قائلا: اتقوا الله ودَعُوكم من هذا السؤال وأمثاله، إن كنتم صادقين في إيمانكم، فإن شأن المؤمن تَرْكُ الاقتراح على ربه على هذه الصفة. ١١٣- وقالوا معتذرين في إيراد السؤال بهذا الأسلوب: نريد أن نأكل من المائدة لحاجتنا إليها وتطمئن قلوبنا بكمال قدرة الله، أو بأنك مرسل إلينا من عنده، أو بأن الله قد أجابنا إلى ما سألناه ﴿وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ أي: نعلم علمًا =

قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ
خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ
مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾
وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى
وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ
أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى
نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا
قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ
عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ
عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ
وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ
يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ
خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾
لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾

= يقينًا بأنك قد صدقتنا في نبوتك ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾﴾ عند من لم يحضرها من بني إسرائيل، أو من سائر الناس. ١١٤ - ولما رأى عيسى عليه السلام ما حكوه عن أنفسهم من قصدهم بإنزال المائدة ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾ أي يكون يوم نزولها لنا عيدًا، قيل: كان نزولها يوم الأحد، فاتَّخذوه عيدًا لمن في عصرنا، ولمن يأتي بعدنا من ذرارينا وغيرهم ودلالة وحجة واضحة على كمال قدرتك، وصحة إرسالك من أرسلته ﴿وَٱرْزُقْنَا﴾ رزقًا نستعين به على عبادتك ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾ بل لا رازق في الحقيقة غيرك، ولا معطي سواك. ١١٥ - فأجاب الله سبحانه سؤال عيسى عليه السلام فقال: ﴿إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ ووعده الحق وهو لا يخلف الميعاد ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ﴾ أي بعد تنزيلها ﴿فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا﴾ أي تعذيبًا ﴿لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ﴾ أي لا أعذب مثل ذلك التعذيب ﴿أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ عن ابن عباس قال: نزلت المائدة على عيسى ابن مريم والحواريين: خِوان عليه سمك وخبز، يأكلون منه أينما تولوا إذا شاءوا.

١١٦ - واذكر يا محمد يوم القيامة يوم يقول الله تعالى هذا القول لعيسى بن مريم. وقيل: بل هذا قول قاله الله تعالى لعيسى عند رفعه إلى السماء لما قالت النصارى فيه ما قالت. وقيل: يقوله أيضًا لقصد تعريف المسيح أيضًا عليه السلام بأن قومه قد غيروا بعده، وقالوا عليه مالم يقُلْهُ، من اتخاذه ربًا من دون الله، وعبدوه وأمه من دون الله، مع أن الله تعالى ما بعثه إليهم إلا ليعبدوا الله وحده ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ أي أنزهك تنزيهًا ما ينبغي لي أن أدَّعي لنفسي ما ليس من حقها ثم رد ذلك إلى علمه سبحانه ما أكتمه في صدري عن الناس لا يخفى عليك، سُبْحانك ثم نفى عيسى عن نفسه علم غيب الله تعالى وما يريد الله أن يفعله ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ وهو كل ما غاب عن حواس بني آدم وإدراكهم. ١١٧ - ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ﴾ أي ما أمرتهم إلا بما أمرتني وكنت عليهم حفيظًا ورقيبًا أرعى أحوالهم، وأمنعهم عن مخالفة أمرك ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى﴾ أي: رفعتني إلى السماء. وليست الوفاة هنا بمعنى الموت، بل عيسى عليه السلام باق في السماء على الحياة التي كان عليها في الدنيا حتى ينزل إلى الأرض آخر الزمان. فلما رفعتني إلى السماء ﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ أي كنت الحافظ لهم، والعالم بهم، والشاهد عليهم. ١١٨ - ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ تصنع بهم ما شئت، وتحكم فيهم بما تريد ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ أنت القادر على ذلك ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ في أفعاله، قاله على وجه الاستعطاف كما يستعطف السيد لعبده ثم قال الحق في شأن يوم القيامة. ١١٩ - هذا يوم ينفع الصادقين في إيمانهم صدقهم وإخلاصهم في الدين لهم وقد رضي الله عنهم بما عملوه من الطاعات الخالصة له ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ بما جازاهم به مما لم يخطر لهم على بال، ولا تتصوره عقولهم. والفوز: الظفر بالمطلوب على أتم الأحوال. ١٢٠ - ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ دون عيسى وأمه وسائر من ادُّعيتْ لهم الربوبية، ودون سائر مخلوقات الله تعالى ﴿وَمَا فِيهِنَّ﴾ أي من جميع =

سورة الأنعام — ترتيبها ٦ — آياتها ١٦٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ
وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي
خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ
تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ
وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ
آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ
لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ
يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ
نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ
تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا
آخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ
لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ
عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾

١٢٨

= الخلائق كلهم ملك لله تعالى، فليس له ولد ولا والد ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾﴾ أي فلن يحتاج منهم إلى نصير ينصره.

سورة الأنعام

سورة الأنعام مكية إلا ست آيات منها نزلت بالمدينة.

١- وبدأ سبحانه هذه السورة بالحمد لله، للدلالة على أن الحمد كله له، ولإقامة الحجة على الذين هم بربهم يعدلون ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ إخبار عن قدرة الله الكاملة الموجبة لاستحقاقه لجميع المحامد ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ سواد الليل وضياء النهار، وظلمة الكفر ونور الإيمان ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ أي وبعد هذا الخلق العظيم يعدلون به ويساوون به ما لا يقدر على شيء مما يقدر عليه، وهذا نهاية الحمق وغاية الرقاعة. ٢- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾ المراد آدم عليه السلام ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا﴾ يعني الموت ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ﴾ يعني القيامة. وقيل: الأول ما بين أن يخلق الإنسانُ إلى أن يموت، والثاني ما بين أن يموت إلى أن يبعث. وقيل: الأول مدة الدنيا، والثاني عمر الإنسان إلى حين موته فكيف تشكّون في البعث، مع مشاهدتكم في أنفسكم من الابتداء والانتهاء ما يذهب بذلك، فإن مَن خلقكم من طين، وصيركم أحياء تعلمون وتعقلون، وخلق لكم هذه الحواس والأطراف، ثم سلب ذلك عنكم، فصرتم أمواتًا، وعدتم إلى ما كنتم عليه من الجمادية، لا يعجزه أن يبعثكم، ويعيد هذه الأجسام كما كانت، ويرد إليها الأرواح. ٣- والله هو المعبود في السماوات والأرض ويعلم سركم وجهركم فلا تخفى عليه خافية. ٤- ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ كمعجزات الأنبياء، وما يصدر عن قدرة الله الباهرة مما لا يشك من له عقل أنه فِعْلُ الله سبحانه، والآيات التي يجب أن يستدلوا بها على توحيد الله. ٥- ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا﴾ أي إن كانوا معرضين عنها فقد كذبوا بما هو أعظم من ذلك وهو الحق ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ القرآن، وقيل: محمد ﷺ وسيعرفون أن هذا الشيء الذي استهزأوا به ليس بموضع للاستهزاء، وذلك عند إرسال عذاب الله عليهم. ٦- ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ القرن: يطلق على أهل كل عصر، أي: ألم يعرفوا بسماع الأخبار، ومعاينة الآثار، كم أهلكنا من قبلهم من الأمم الموجودة في عصر بعد عصر لتكذيبهم أنبياءهم ﴿مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾ أي: إنا أعطينا القرون الذين هم قبلكم ما لم نعطكم من الدنيا وطول الأعمار وقوة الأبدان، وقد أهلكناهم جميعًا، فإهلاككم وأنتم دونهم أهون ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا﴾ المطر الكثير ﴿مِن تَحْتِهِمْ﴾ من تحت أشجارهم ومنازلهم. ٧- ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ حتى يجتمع لهم الإدراكُ بحاسة البصر وحاسة اللمس ﴿لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ منهم ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾ ولم يعملوا بما شاهدوا ولمسوا، وإذا كان هذا حالهم في المرئي المحسوس، فكيف فيما هو مجرد وحي إلى رسول الله ﷺ بواسطة ملك لا يرونه ولا يحسونه. ٨- وقالوا: هلا أنزل الله عليك ملكًا نراه. ويكلمنا أنك نبي، حتى =

وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا
يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ
بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾
قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ
ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ
كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ
لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
﴿١٢﴾ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ
﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ
وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا
تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ
رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ
رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ
فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾

ثلاثة أرباع الحزب ١٣

= نؤمن بك ونتبعك ولو أنزلنا ملكًا على الصفة التي اقترحوها بحيث يشاهدونه ويخاطبونه ويخاطبهم لأهلكناهم إذا لم يؤمنوا عند نزوله ورؤيتهم له ﴿ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾﴾ أي لا يمهلون بعد نزوله ومشاهدتهم له.

٩- ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾ أي لو جعلنا الرسول إلى النبي ملكًا يشاهدونه ويخاطبونه، لجعلنا ذلك الملك رجلاً، لأنهم لا يستطيعون أن يروا الملك على صورته التي خلقه الله عليها إلا بعد أن يتجسم بالأجسام الكثيفة المشابهة لأجسام بني آدم، فلو جعل الله سبحانه الرسول إلى البشر ملكًا مشاهَدًا مخاطبًا، لفروا منه ولم يأنسوا به ولداخلهم الرعب، وحصل معهم من الخوف ما يمنعهم من كلامه ومشاهدته ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾﴾ لأنهم إذا رأوه في صورة إنسان قالوا: هذا إنسان وليس بملك، فيعود الأمر إلى الالتباس عليهم. ١٠- فنزل ما كانوا به يستهزئون، وأحاط بهم: وهو الحق حيث أهلكوا من أجل الاستهزاء به.

١١- قل سافروا في الأرض، وانظروا آثار من كان قبلكم لتعرفوا ما حل بهم من العقوبات، بعد ما كانوا فيه من النعيم العظيم، فأنتم بهم لاحقون وبعد هلاكهم هالكون إن سرتم على طريقتهم في التكذيب. ١٢- ﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ﴾ المعنى: قل لهم هذا القول، فإن قالوا، فقل: هي لله، إما باعترافهم، أو بقيام الحجة عليهم، أي: فالله قادر على أن يعاجلهم بالعقاب، ولكنه ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ فلا يعاجلهم بالعقوبة، بل يقبل منهم الإنابة والتوبة. ومن رحمته لهم إرسال الرسل، وإنزال الكتب، ونصب الأدلة. ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ ليمهلنكم وليؤخرن جمعكم في القبور إلى اليوم الذين أنكرتموه. ولا ينكره إلا الخاسرون الذين لا يؤمنون بربهم. ١٣- ﴿۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ وما تحرّك فيهما وله التصرف الكامل في كل شيء وهو السميع لكل قول ودعاء العليم بكل قصد و نية. ١٤- ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ قال لهم ذلك لما دعوه إلى عبادة الأصنام، أي كيف أتخذ غير الله معبودًا ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ هو الذي ابتدأ خلقهما من العدم وهو يرزق الناس ما يأكلون، وهو غني عن الطعام لا يأكل، فلا يحتاج إلى أحد ثم أمره الله أن يقول لهم بأنه مأمور أن يكون أول من أسلم وجهه لله من قومه، وأول من استسلم لأمر الله. ١٥- وقل لهؤلاء العائدين إني أخاف ﴿إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى﴾ بعبادة غيره، أو مخالفة أمره أو نهيه ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ هو يوم القيامة، حين يحاسب العصاة على أعمالهم، ويعذبون إلاّ من رحم الله. ١٦- من يصرف عنه العذاب يوم القيامة فقد رحمه الله وذلك الفوز المبين. ١٧- ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ أي إن ينْزِلَ الله بك ضررًا من فقر أو مرض ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ أي لا قادر على رفع الضرر الذي ينزل بك أحد غير الله ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾ من رخاء أو عافية ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ ومن جملة ذلك المس بالشر والخير. ١٨- وهو الغالب ﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ بفوقية الاستعلاء بالقهر والغلبة عليهم وفي القهر معنى زائد ليس في القدرة، وهو منع الغير عن بلوغ المراد. ١٩- ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ﴾ =

قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا
ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ
ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا
تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ
أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ
مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ
﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ
ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ
رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ
عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ
قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ
لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ
إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن
يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ
فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾

= ﴿شَهَٰدَةً﴾ أي شهيد أكبر شهادة ﴿ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ هو الجواب، لأنه إذا كان الله هو الشهيد بينه وبينهم، كان أكبر شهادة له ﷺ، وقيل: إنه قد تم الجواب عند قوله ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ يعني الله أكبر شهادة، ثم ابتدأ فقال ﴿شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ أي هو شهيد بيني وبينكم ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ لأجل أن أنذركم به، وأنذر به من بلغ إليه من الناس جميعًا بجميع شعوبهم وأصنافهم، من موجود ومعدوم سيوجد في الأزمنة المستقبلة فأحكام القرآن شاملة للبشر والجن جميعًا من كان منهم موجودًا يوم الرسالة أو يوجد بعدها إذا بلغتهم دعوة الإسلام وسمعوا بهذا القرآن، وهو نذير لهم بأنهم مسؤولون عن استجابتهم لدعوة الله، وعن أعمالهم في الدنيا، عند لقاء الله. ﴿قُل لَّآ أَشْهَدُ﴾ أي فأنا لا أشهد معكم بأن مع الله آلهة أخرى لكون هذه الشهادة من أبطل الباطل ﴿وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾ أي من الأصنام التي تجعلونها إلهة، أو من إشراككم بالله. ٢٠- الذين آتيناهم التوراة والإنجيل وغيرهما: يعرفون رسول الله ﷺ ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ﴾ أي فإن الإنسان لا يعرفه أحد كما يعرفه أبوه وأمه ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾ أي إنّ الكفار الخاسرين لأنفسهم بعنادهم وتمردهم هم الذين لا يؤمنون بما جاء به رسول الله ﷺ. ٢١- ولا أحد أظلم ممن اختلق على الله الكذب، فقال إن في التوراة أو الإنجيل أو القرآن ما لم يكن فيها ﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾ من المعجزة الواضحة البينة، أو من آيات القرآن العظيم فجمع بين كونه كاذبًا على الله، ومكذبًا بما أمره الله بالإيمان به. ٢٢- واذكر لهم خبر يوم القيامة يوم يجمع الله عنده بين العابدين وبين المعبودين من دون الله ﴿أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ﴾ لم تكن شركاء الله في الحقيقة، بل سموها شركاء، فأضيفت إليهم، وهي ما كانوا يعبدونه من دون الله، أو يعبدونه مع الله الذين كنتم تزعمونها شركاء، لم ينفعوهم في تلك الحال، أو كانت حاضرة ولكن لا ينتفعون بها بوجه من الوجوه، فكان وجودها كعدمها، فوبخهم بندائه لهم: أين هي لتنفعكم؟ ٢٣- ولم تكن عاقبة كفرهم الذي افتخروا به وقاتلوا عليه ﴿إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ أي لم يكن جوابهم إلا الجحود والتبري من ذلك الفعل. ٢٤- ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ بإنكار ما وقع منهم في الدنيا من الشرك ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ أي زال وذهب افتراؤهم، وتلاشى وبطل ما كانوا يظنونه من أن الشركاء يقربونهم إلى الله، وفارقهم ما كانوا يعبدون من دون الله، فلم يغن عنهم شيئًا. ٢٥- ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ هذا كلام مبتدأ لبيان ما كان يصنعه بعض المشركين في الدنيا، يستمع إليك حين تتلو القرآن وقد جعلنا على قلوبهم أغطية كراهة أن يفقهوا القرآن. والوقر الصمم، فقلوبهم لا تعقل، وأسماعهم لا تدرك ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ﴾ والمعنى أنهم بلغوا من الكفر والعناد أنهم إذا جاءوك مجادلين لم يكتفوا بمجرد عدم الإيمان، بل يقولون ليس هذا القرآن إلا مما سطره الأولون في الكتب من القصص والأحاديث والترهات. ٢٦- وينهى المشركون الناس عن الإيمان بالقرآن، أو بمحمد ﷺ =

بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ
وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ
بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا
بِالْحَقِّ ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ
﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ
بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ
عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا
لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ
﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ
وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ
رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ
وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ
﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ
نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ ۚ وَلَوْ شَاءَ
اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾

= ويبعدون هم في أنفسهم عنه. وقيل: إنها نزلت في أبي طالب، فإنه ينهى الكفار عن أذية النبي ﷺ ويبعد هو عن إجابته وما يهلكون بما يقع منهم من النهي والنأي إلا أنفسهم، بتعريضها لعذاب الله وسخطه، وما يشعرون بهذا البلاء الذي جلبوه على أنفسهم. ٢٧- ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾ حُبِسوا بقربها معاينين لها، لرأيت منظرًا هائلاً وحالاً فظيعًا ﴿فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ أي إلى الدنيا ﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا﴾ تمنوا الرد وألا يكذبوا وأن يكونوا من المؤمنين. ٢٨- ظهر لهم ما كانوا يخفون من النفاق والكفر وسيئ الأعمال، وعرفوا أنهم هالكون بشركهم، فعدلوا إلى التمني والمواعيد الكاذبة ﴿وَلَوْ رُدُّوا﴾ إلى الدنيا حسبما تمنوا لفعلوا ما نهوا عنه من القبائح التي رأسها الشرك، كما عاين إبليس ما عاين من آيات الله ثم عاند ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ في وعدهم بأن يكونوا مؤمنين، وإنما يقولوا ذلك لمجرد الخلاص مما هم فيه. ٢٩- ﴿وَقَالُوا﴾ أي: ما هي إلا حياتنا الدنيا ولسنا بمبعوثين بعد الموت. ٣٠- ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ أي حبسوا على ما يكون من أمر ربهم فيهم، لشاهدت أمرًا عظيمًا، فيقول لهم ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ﴾ أي: أليس هذا البعث الذي تنكرونه كائنًا موجودًا، وهذا الجزاء الذي تجحدونه حاضرًا ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ اعترفوا بما أنكروا، وأكدوا اعترافهم بالقَسَم ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ أي بسبب كفركم به. ٣١- ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ والمراد تكذيبهم بالبعث، وبالجزاء ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ﴾ أي القيامة ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا﴾ والحسرة: الندم الشديد ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ أي على تفريطنا في الساعة: أي في الاعتداد لها، والاحتفال بشأنها، والتصديق بها ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ﴾ أي: ذنوبهم، والمعنى: أنها لزمتهم الآثام، فصاروا مثقلين بها كأنها على الظهور وبئس ما يحلمون، أي يحشرون وما أتموا به على ظهورهم بغية تعذيبهم به. ٣٢- ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ والقصد بالآية: تكذيب الكفار في قولهم ما هي إلا حياتنا الدنيا وللدار الآخرة خير للذين يتقون الشرك، والمعاصي. ٣٣- ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ أي فلا تحزن فإنه لا ينسبونك أنت إلى الكذب، فإنهم يعترفون لك بالصدق، ولكن تكذيبهم راجع إلى ما جئت به، ولذا بيّن أنهم إنما يكذبون في الحقيقة آيات الله وكتابه. ٣٤- وهذا من جملة التسلية لرسول الله ﷺ أي فاقتد بالرسل الذين من قبلك، ولا تحزن، واصبر كما صبروا على ما كذبوا به وأوذوا، حتى يأتيك نصرنا كما أتاهم. وأنت منصور على المكذبين، ظاهر عليهم. وقد كان ذلك ولله الحمد ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾ أي بعض أخبارهم وكيفية إنجاء الله لهم ومن معهم من المؤمنين وكيف أهلك الله المكذّبين. ٣٥- وكان النبي ﷺ يكبر عليه إعراض قومه ويتعاظمه ويحزن له، فبين له الله سبحانه، أنّ هذا الذي وقع منهم من الإعراض عما دعا إليه هو كائن لا محالة، لما سبق في علم الله عز وجل، وليس في استطاعته وقدرته إصلاحهم وإجابتهم قبل أن يأذن الله بذلك ﴿فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي﴾ =

۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ
يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ
قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا
مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ
مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾
وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ
يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ
أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ
تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا
تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ
إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ
﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ
وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا
نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ
حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾

= ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ فتأتيهم بآية منه ﴿أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ﴾ منها فافعل، ولكنك لا تستطيع ذلك، فدع الحزن. والنفق: السَّرَب والمنفذ، والسلم: الدرج الذي يرتقى عليه. ولله سبحانه في ذلك حكمة، فلو جاء لرسوله ، بآية تضطرهم إلى الإيمان لم يبق للتكليف الذي هو الابتلاء والامتحان معنى، ولهذا قال ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ جمع إلجاء وقَسْر، ولكنه لم يشأ ذلك، ولله الحكمة البالغة ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾﴾ فإن شدة الحرص والحزن لإعراض الكفار عن الإجابة قبل أن يأذن الله بذلك هو صنيع أهل الجهل ولست منهم.

٣٦- إنما يستجيب لدعوتك من يسمعون سماع تفهم حسبما تقتضيه العقول، وتوجبه الأفهام، وهؤلاء ليسوا كذلك، بل هم بمنزلة الموتى، الذين لا يسمعون ولا يعقلون وسيخرجهم الله من قبورهم أحياء ثم يحشرون إلى ساحة قضائه ليلقى كل جزاء ما قدَّم. ٣٧- ومرادهم بالآية هنا: هي التي تضطرهم إلى الإيمان، كنزول الملائكة بمرأى منهم ومسمع، أو نتق الجبل، فأمره أن يجيبهم بأن ﴿ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً﴾ على رسوله تضطرُّهم إلى الإيمان، ولكنه ترك ذلك لتظهر فائدة التكليف الذي هو الابتلاء والامتحان، وأيضًا لو أنزل آية كما طَلبوا لم يمهلهم بعد نزولها، بل سيعاجلهم بالعقوبة إذا لم يؤمنوا. ٣٨- أي خلقهم الله كما خلقكم، ورزقهم كما رزقكم، وهي داخلة تحت علمه وتقديره وإحاطته بكل شيء. وقيل: ﴿أَمْثَالُكُم﴾ في ذكر الله والدلالة عليه ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ من شئونكم وشئون تلك الأمم، والمراد بالكتاب: اللوح المحفوظ، فإن الله أثبت فيه جميع الحوادث ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ يعني الأمم المذكورة. وفيه دلالة على أنها تحشر كما يحشر بنو آدم. وقيل: المراد بالحشر المذكور حشر الكفار. ٣٩- والذين كذبوا بآياتنا المنزلة صُمّ لا يسمعون بأسماعهم ولا ينطقون بألسنتهم وفي ظلمات الكفر والجهل والحيرة، لا يهتدون لشيء مما فيه صلاحهم، لعدم الانتفاع بالأبصار والأسماع، فكانت حواسهم كالمسلوبة التي لا ينتفع بها بحال. ٤٠- ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾ أي أخبروني ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ﴾ أي أتدعون في هذه الحالة - وهي حالة مجيء العذاب، أو قيام الساعة - أحدًا غير الله من الأصنام التي تعبدونها، أم تدعون الله سبحانه ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾﴾ في دعواكم أن أصنامكم تضر وتنفع، وأنها آلهة كما تزعمون. ٤١- ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ لا تدعون غيره، بل تخلصون له الدعاء في هذه الأحوال المهمة ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾ أي فيرفع الله ما تدعونه لرفعه من العذاب إن شاء ﴿وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾ الأصنام ونحوها، فلا تدعونها ولا ترجون كشف ما بكم منها، بل تعرضون عنها إعراض الناسي. ٤٢- ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ﴾ البأساء: الفقر والمصائب في الأموال ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ المرض والمصائب في الأبدان ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ أي يدعون الله بضراعة، وهي الذل. ٤٣- فهلا ﴿إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟﴾ لكنهم لم يتضرعوا، لشدة تمردهم وغلوهم في الكفر ﴿وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي صلبت وغلظت أغواهم الشيطان =

فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾
قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم
مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ
ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ
بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا
نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ
فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا
يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ
عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ
إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ
أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟
إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ
﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ
وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ
عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾

= بالتصميم على الكفر. ٤٤- ولما تركوا الاتعاظ بما ذكروا به من البأساء والضراء وأعرضوا عن ذلك ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ استدرجناهم بفتح أبواب كل نوع من أنواع الخير عليهم ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾ من الخير على أنواعه فَرَحَ بطرٍ أو أشَرٍ، وأعجبوا بذلك، وظنوا أنهم إنما أعطوه لكون كفرهم الذي هم عليه حقًا وصوابًا ﴿أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً﴾ أي فجأة وهم غير مترقبين لذلك ﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ المبلس: الحزين الآيس من الخير لشدة ما نزل به من سوء الحال.

٤٥- فاستؤصلوا جميعًا حتى آخرهم، ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ أي على هلاكهم، وفيه تعليم للمؤمنين كيف يحمدونه عند نزول النعم التي من أجلِّها هلاك الظلمة، الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون، فإنهم أشد على عباد الله من كل شديد، اللهم أرح عبادك المؤمنين من ظلم الظالمين، واقطع دابرهم، وأبدلهم بالعدل الشامل. ٤٦- قل أخبروني إن أخذ الله القوى التي في سمعكم وأبصاركم أو طمس الجهازين طمسًا ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾ حتى ما عاد بإمكانها أن تعقل شيئًا ﴿مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ﴾ بذلك المأخوذ ﴿انظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾ تعجيبا له من ذلك، والتصريف: المجيء بها على جهات مختلفة، تارةً إنذار، وتارة إعذار وتارة ترغيب، وتارة ترهيب ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾ يعرضون. ٤٧- وأخبروني إن أتاكم عذاب الله فجأة: أي من دون مقدمات تدل على العذاب، بل هم عنه غافلون ﴿أَوْ جَهْرَةً﴾ الجهرة: أن يأتي العذاب بعد ظهور مقدمات تدل عليه، فهم لذلك يرونه آتيا وما يهلك هلاك تعذيب وسخط إلا القوم الظالمون. ٤٨- ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ لمن أطاعهم بما أعد الله لهم من الجزاء العظيم ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ لمن عصاهم بمالهم عند الله من العذاب الوبيل ﴿فَمَنْ آمَنَ﴾ بما جادت به الرسل ﴿وَأَصْلَحَ﴾ حال نفسه بفعل ما يدعونه إليه ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ بوجه من الوجوه ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾﴾ على ما فاتهم من الدنيا. ٥٠- ﴿قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ خزائن قدرة الله حتى يأتيهم بما اقترحوه من الآيات، ويقول لهم: إنه لا يعلم الغيب حتى يخبرهم به ويعرِّفهم بما سيكون في مستقبل الدهر ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ حتى تكلفوني من الأفعال الخارقة للعادة ما لا يطيقه البشر ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ أمرت بتبليغه إليكم ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ لا يستوي الضال والمهتدي، أو المسلم والكافر ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ في ذلك حتى تعرفوا عدم الاستواء بينهما، فتتبعوا طريقة من أبصر واهتدى؟ ٥١- ﴿وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ لأن الإنذار يؤثر فيهم لما حل بهم من الخوف من الله، بخلاف من لا يخاف الحشر من طوائف الكفر لجحوده به وإنكاره له، فإنه لا يؤثر فيه ذلك، فيشمل كل من آمن بالبعث من المسلمين وأهل الذمة وبعض المشركين، وإن لم يكن مصدقًا به في الأصل، لكنه يخاف أن يصح ما أخبر به النبي ﷺ فإن من كان كذلك تكون الموعظة فيه أنجع، والتذكير له أنفع ولا ولي لهم يواليهم، ولا نصير يناصرهم، ولا شفيع يشفع لهم عند الله لينجيهم من عذاب. وفيه رد على من زعم من الكفار =

وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ
عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا
جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْۖ كَتَبَ
رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءَۢا
بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾
وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾
قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ
أَهْوَآءَكُمْۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾
قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦۚ مَا عِندِى مَا
تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّۖ وَهُوَ خَيْرُ
ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ
ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾
۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى
ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ
فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾

ربع الحزب ١٤

= المعترفين بالحشر أن آباءهم يشفعون لهم، وهم أهل الكتاب، أو أن أصنامهم تشفع لهم وهم المشركون. ٥٢- ولا تطرد عن مجلسك الذين يدعون ربهم ويصلون له صباحًا ومساءً، ويذكرونه وهم مخلصون في عبادتهم، لا يريدون بذلك إلا وجه الله تعالى ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾ حساب هؤلاء هو على أنفسهم ما عليك منه شيء، فعلام تطردهم؟ أي فأقبِلْ عليهم وجالِسْهم، ولا تطردهم مراعاة لحق من ليس على مثل حالهم في الدين والفضل ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ أي إن طردتهم كنت من الظالمين.
٥٣- ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ فتنا المتكبرين بالمستضعفين ﴿لِّيَقُولُوٓاْ﴾ ليقول الأولون ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ الذين ﴿مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾ أكرمهم بإصابة الحق دوننا ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ يقول الله لهم: فما بالكم تعترضون بالجهل وتنكرون الفضل؟ ٥٤- ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ هم الذين نهاه الله عن طردهم، وهم المستعفون من المؤمنين ﴿فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ تطييبًا لخواطرهم وإكرامًا لهم. وقد كان النبي ﷺ بعد نزول هذه الآية إذا رآهم بدأهم بالسلام ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ أي أوجب ذلك على نفسه إيجاب فضل وإحسان، وقيل: كتب ذلك في اللوح المحفوظ. قيل: هذا من جملة ما أمره الله سبحانه بإبلاغه إلى أولئك تبشيرًا بسعة مغفرة الله وعظيم رحمته ﴿أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٍ﴾ فعل فعل الجاهلين، لا فعل أهل الحكمة والتدبير، وكل ذنب فهو بجهالة ﴿ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: من بعد عمله ﴿وَأَصْلَحَ﴾ ما أفسده بالمعصية، فراجَعَ الصواب، وعمل الطاعة ﴿فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾. ٥٥- ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ من أمر الدين، ونُبَيِّنُ لهم حكم كل طائفة ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾ أي لتظهر لك طريقة الكفار والمعاندين الذين يأمرونك بطرد المستضعفين، من سبيل المؤمنين. ٥٦- ﴿لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ﴾ المقاصد الفاسدة التي يتسبب عنها الوقوع في الضلال، فيما طلبتموه منيّ من عبادة معبوداتكم، وطرد من أردتم طرده ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ إن فعلت ذلك. ٥٧- قل إني على برهان من ربي ويقين، لا على هوى وشك، كما هم عليه من اتباع الشبه الداحضة، والشكوك الفاسدة، التي لا مستند لها إلا مجرد الأهواء الباطلة ﴿وَكَذَّبْتُم بِهِۦ﴾ أي بالرب، أو بالبينة وأخبرهم بأنه لم يكن عنده ما يتعجلونه من العذاب، فإنهم كانوا لفرط تكذيبهم يستعجلون نزوله استهزاء، وقيل ﴿مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ﴾ من الآيات التي تقترحونها علي ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ في كل شيء، ومن جملة ذلك ما تستعجلون به من العذاب أو الآيات المقترحة ﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾ أي يبين الحق فيما يحكم به، أو يقص القصص الحق ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾﴾ أي بين الحق والباطل بما يقضي به بين عباده ويفصّله لهم. ٥٨- ﴿لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ﴾ أي ما تطلبون تعجيله، بأن يكون إنزاله بكم مقدورًا لي وفي وسعي ﴿لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ لو كان العذاب الذي تطلبونه وتستعجلون به عندي وفي قبضتي لأنزلته بكم، وعند =

وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ
يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ
ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ
وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ
رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ
أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن
ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ
لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ
ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا
مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم
بَأْسَ بَعْضٍ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾
وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ
نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ
ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ
ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾

١٣٥

= ذلك يقضى الأمر بيني وبينكم. ٥٩- وعنده مخازن الغيب، وقيل مفاتيح خزائن الغيب ولا علم لأحد من خلقه بشيء من الأمور الغيبية التي استأثر الله بعلمها، وهذا ما يدفع أباطيل الكهان والمنجمين والرمليين وغيرهم من المدعين ما ليس من شأنهم، وقال النبي ﷺ: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله، ولا يعلم أحد متى تقوم الساعة إلا الله» ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ من حيوان وجماد علمًا مفصلاً ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ أي من ورق الشجر يعلمها، ويعلم زمان سقوطها ومكانه ﴿وَلَا حَبَّةٍ﴾ كائنة ﴿فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ﴾ أي في الأمكنة المظلمة، في بطن الأرض ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾ يشمل جميع الموجودات ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ هو اللوح المحفوظ. ٦٠- ﴿يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ أي ينيمكم فيه، فيقبض فيه نفوسكم التي بها تميزون ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ أي كسبتم بجوارحكم من الخير والشر ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ أي في النهار يعني اليقظة ﴿لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ أي معين لكل فرد من أفراد العباد من حياة ورزق. ٦١- وهو الغالب على أمره فيهم ويرسل عليكم ملائكة جعلهم الله حافظين لكم من الآفات ويحفظون أعمالكم. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ هم أعوان ملك الموت، ومعنى توفته استوفت روحه ﴿لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ أي لا يقصرون ولا يضيعون فيما أمروا به من الإكرام أو الإهانة. ٦٢- ﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ أي: تَرُدُّ ملائكة الموت أرواح العباد بعد قبضها إلى الله ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ لا يحتاج إلى ما يحتاجون إليه من الفكر والروية والتدبر. ٦٣- ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ شدائدهما العظيمة، من ينجيكم من ذلك حال دعائكم له متضرعين ومخفين ﴿لَّئِنْ أَنجَيْتَنَا﴾ أي قائلين لئن أنجيتنا ﴿مِنْ هَٰذِهِۦ﴾ الشدة التي نزلت بنا وهي الظلمات المذكورة ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾﴾ لك على ما أنعمت به علينا من تخليصنا من هذه الشدائد. ٦٤- ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا﴾ من الظلمات ﴿وَمِن كُلِّ كَرْبٍ﴾ والكرب: الغم يأخذ بالنفس ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾﴾ بالله سبحانه بعد أن أحسن إليكم بالخلوص من الشدائد وذهاب الكروب، والشركاء لا ينفعونكم فكيف وضعتم هذا الشرك موضع ما وعدتم به من أنفسكم من الشكر؟ ٦٥- ﴿هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا﴾ من كل جانب ﴿مِّن فَوْقِكُمْ﴾ وهو ما ينزل من السماء من المطر والصواعق ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ وهو الخسف والزلازل والغرق ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ يجعلكم مختلطي الأهواء، مختلفي النحل، متفرقي الآراء، أو يجعلكم فرقًا يقاتل بعضكم بعضًا ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ من قتل وأسر ونهب انظر كيف نبين لهم الحجج والدلالات من وجوه مختلفة ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ الحقيقة، فيعودون إلى الحق الذي بيناه لهم بيانات متنوعة. ٦٦- ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ﴾ هم قريش ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ أي كذبوا بالقرآن أو العذاب، والحال أنه حق قل لست بحفيظ على أعمالكم =

وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن
ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟
دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ
أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ
وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ
ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ
أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ
مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ
كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ
يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ
وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى
خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن
فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ
عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

= حتى أجازيكم عليها. ٦٧- ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ أي لكل خبر عن المستقبل نهايةً يظهر بها أنه حق أو باطل ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾﴾ نهاية ما أخبرتكم به بحصوله ونزوله بكم. ٦٨- ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ بالتكذيب والرد والاستهزاء فدعهم ولا تقعد معهم لسماع مثل هذا المنكر العظيم ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ﴾ مغاير له، أمره الله بالإعراض عن أهل المجالس التي يستهان فيها بآيات الله، وعن مجالسة أهل البدع المضلة، فيها من المفسدة أضعاف أضعاف ما في مجالسة من يعصي الله بفعل شيء من المحرمات. وعن ابن عباس أن الآية في مجالسة الذين يتجادلون في آيات الله ويتخاصمون فيها وإن أنساك الشيطان أن تقوم عنهم، فلا تقعد معهم إذا تذكرت أمرنا بل قم في الحال. ٦٩- وليس على الذين يتقون الخوض في آيات الله في مجالستهم للخائضين فيها أي شيء من الإثم لو جالسوهم، فإن إثم الخائض على نفسه، ولكن قوموا عنهم تذكيرًا لهم بعظمة الإثم الذي هم واقعون فيه بسبب هذا الخوض لعلهم يتركونه. ففي الآية الترخيص للمتقين من المؤمنين في مجالسة الكفار إن لم يخوضوا. ٧٠- واترك هؤلاء الذين اتخذوا الدين الحق لعبًا ولهوًا، ولا تعلق قلبك بهم، فإنهم أهل تعنُّت، وإن كنت مأمورًا بإبلاغهم الحجة ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ حتى آثروها على الآخرة وأنكروا البعث ﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ﴾ الإبسال: تسليم المرء نفسه للهلاك، فالمعنى: ذكر بالقرآن لعل أحدًا يتذكر فينجو بنفسه من العذاب قبل أنْ يحيط بها فلا تجد مخلصًا ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ أي وإن بَذَلَت تلك النفس التي سُلمت للهلاك كل فدية، لا يؤخذ منها ذلك العدل حتى تنجو به من الهلاك ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ المتخذون دينهم لعبًا ولهوًا، هم ﴿ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟﴾ أي هؤلاء الذين سلموا للهلاك بما كسبوا ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ وهو الماء الحار، يشربونه فيقطع أمعاءهم. ٧١- وكيف ندعو من دون الله أصنامًا لا تنفعنا بوجه من وجوه النفع إن أردنا منها نفعًا، ولا نخشى ضرها بوجه من الوجوه، ومن كان هكذا فلا يستحق العبادة ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا﴾ ونرجع إلا الضلالة التي أخرجنا الله منها ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وهم الغيلان أو مَرَدَةُ الجنّ، يدعونه باسمه واسم أبيه وجده فيتبعها، ويرى أنه في شيء فيصبح وقد ألقته في مضلة من الأرض يهلك فيها عطشًا، فهذا مثل من أجاب الآلهة التي تعبد من دون الله ولا يهتدي لجهة وله رفقة يدعونه إلى الطريق الذي يوصله إلى بلده وأهله، يقولون له: ائتنا فلا يجيبهم ولا يهتدي بهديهم، لأنه متحير لا يدري أي الطرفين يدعوه إلى الطريق الصحيح ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ أي دينه الذي ارتضاه لعباده وما عداه باطل. وأمرنا بأنا نسلم. ٧٢- وأمرنا بأن نسلم، وبأن نقيم الصلاة، وبأن نتقي الله أي فهذا هو الهدى وتُحشرون إليه وحده، وله الحكم وحده يوم القيامة في المحشر وما بعده، ولا ينفعكم يومئذ إلا ما قدمتموه من الأعمال الصالحة ورأسها التقوى والصلاة. ٧٣- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ خلقًا ﴿بِٱلْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ يأمر بالبعث والحشر، فتطيعه الخلائق، أي فكيف ندعو من =

نصف الحزب ١٤

۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ
أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ
مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾
فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ
لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا
رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ
ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ
أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾
إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ
أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ
إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا أَفَلَا
تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا
تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ
سُلْطَٰنًا فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾

= دونه ما لا ينفعنا ولا يضرنا، ونرتد على أعقابنا ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ الصور: قرن ينفخ فيه النفخة الأولى للفناء، والثانية للإنشاء ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ العالم بما غاب وما حضر من كل شيء ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ في جميع ما يصدر عنه ﴿ٱلْخَبِيرُ (٧٣)﴾ بكل شيء.

٧٤- ﴿۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ وقيل: كان له اسمان: آزر وتارخ ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ أي تجعلها آلهة لك تعبدها ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ﴾ والموافقين لك في عبادة الأصنام ﴿فِى ضَلَٰلٍ﴾ عن طريق الحق ﴿مُّبِينٍ (٧٤)﴾ واضح. ٧٥- ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ما فيهما من الخلق، وقيل: كشف الله له عن ذلك حتى رأى إلى العرش، وإلى أسفل الأرضين، وقيل رأى من ملوك السماوات والأرض ما قصه الله في هذه الآية، نري: أي أريناه، فهو حكاية حال ماضية، وقد كان آزر وقومه يعبدون الأصنام والكواكب والشمس والقمر، فأراد أن ينبههم على الخطأ وقد أريناه ما أريناه من عجائب الخلق، وغرائب المللكوت ليكون نبيا ذا علم، وليكون علمه عن يقين لا يخالجه شك في عظمة الله وقدرته على كل شيء. ٧٦- فلما ستره الليل بظلمته ﴿رَءَا كَوْكَبًا﴾ قيل: رأى المشتري، وقيل: الزهرة ﴿هَٰذَا رَبِّى﴾ قيل: وكان هذا منه عند قصور النظر لأنه في زمن الطفولية، وقيل أراد قيام الحجة على قومه كالحاكي لما هو عندهم وما يعتقدونه لأجل إلزامهم فلما غرب قال إبراهيم فإن الذي يغرب لا يكون إلها، لأن الإله قيوم السماوات والأرض لا أحب الآلهة التي تغرب. ٧٧- فلما رأى القمر طالعًا ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى﴾ إلى من هو الإله الحق ﴿لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ (٧٧)﴾ الذين لا يهتدون للحق، فيظلمون أنفسهم ويحرمونها حظها من الخير. ٧٨- ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾ هذا الشيء الطالع ﴿هَٰذَآ أَكْبَرُ﴾ أي مما تقدمه من الكواكب والقمر فهو حري بأن يكون الإله. ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨)﴾ أي من الأشياء التي تجعلونها شركاء لله وتعبدونها، قال هذا لما ظهر له أن هذه الأشياء مخلوقة لا تنفع ولا تضر وليس أي واحدٍ منها إله الكون مستدلاً على ذلك بأفولها. ٧٩- إني وجهت كلي وذاتي وعبادتي ﴿لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ ابتدأ خلقهما ﴿حَنِيفًا﴾ مائلا إلى الدين الحق. ٨٠- وجادلوه في التوحيد الذي توصل إليه، وأرادوا أن يقنعوه بصحة اتخاذ الآلهة الأخرى، وخوفوه من ضررها وغضبها ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ﴾ أي في كونه لا شريك له ولا ندّ ولا ضد وقد هداني إلى توحيده وأنتم تريدون أن أكون مثلكم في الضلالة والجهالة وعدم الهداية ولا أخاف ما هو مخلوق من مخلوقات الله الذي هو حجر لا يضر ولا ينفع ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا﴾ من الضرر لي بذنب عملته، فالأمر إليه، وذلك منه، لا من معبوداتكم ﴿وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ أي إن علمه محيط بكل شيء، وإذا شاء إنزال شرٍّ بي كان. ٨١- وكيف أخاف ما لا يضر، ولا ينفع، ولا يخلق،=

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ
وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ
قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾
وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا
هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ
وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾
وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾
وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ
وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى
بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ
فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ
﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ
أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾

= ولا يرزق، والحال أنكم أنتم لا تخافون ما صدر منكم من الشرك بالله، وهو الضار النافع، الخالق الرازق، وما نزل عليهم بإشراكها حجة يحتجون بها ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ﴾ فريق المؤمنين بالله القوي القادر، الكافرين بالصنم العاجز، أم فريق المؤمنين بالصنم العاجز الكافرين بالله القوي القادر؟ فأخبروني: أي الفريقين أحق بالأمن وعدم الخوف ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾﴾ وتعرفون البراهين الصحيحة، وتميزونها عن الشبه الباطلة. ٨٢- ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ أي هم أحق بالأمن من الذين أشركوا ومعنى ﴿لَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ أي: لم يخلطوه بظلم، والمراد بالظلم: الشرك. ٨٣- ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ﴾ أي ما تقدم من الحجج التي أوردها إبراهيم عليهم ﴿ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ أي نصرناه بتعليمها له فغلب بها قومه ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ بالهداية، والإرشاد إلى الحق، وتلقين الحجة، كما رفعنا إبراهيم درجات. ٨٤- ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ﴾ ولدًا هبة منا، ووهبنا له يعقوب ولد ابنه إسحق ﴿كُلًّا هَدَيْنَا﴾ فقد جعلنا كلا منهما نبيا. ومن ذرية نوح، فإن يونس ولوطًا ما كانا من ذرية إبراهيم، إذ إنَّ لوطًا هو ابن أخي إبراهيم ﴿دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ وإنما عدّ الله سبحانه هداية هؤلاء الأنبياء من النعم التي عددها على إبراهيم، لأن شرف الأبناء متصل بالآباء وكما جزينا هؤلاء الأنبياء الذين أحسنوا أعمالهم بالجهاد والدعوة والصبر، كذلك نجزي كل محُسن. ٨٥- ﴿وَإِلْيَاسَ﴾ قيل: إلياس هو إدريس، وليس بصحيح، فإن إدريس كان قبل نوح، وإلياس من ذرية نوح، كما تدل عليه هذه الآيات. ٨٦- ﴿وَٱلْيَسَعَ﴾ قيل هو الخضر. وقيل هو صاحب إلياس وكانوا قبل يحيى وعيسى وكل واحد من هؤلاء النبيين فضلناه بالنبوة على غيره من الناس، فالأنبياء أفضل البشر. ٨٧- ﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ﴾ هدينا بعض آبائهم وذرياتهم وأزواجهم ﴿وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ﴾ الاجتباء: الاصطفاء، أو التخليص، أو الاختيار. ٨٨- ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ﴾ الهداية والتفضيل والاجتباء المفهومة مما تقدم ﴿يَهْدِى بِهِۦ﴾ الله ﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ وهم الذين وفقهم للخير واتباع الحق ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟﴾ أي هؤلاء المذكورون ﴿لَحَبِطَ عَنْهُم﴾ من حسناتهم ﴿مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ والحبوط: البطلان. ٨٩- ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ الأنبياء المذكورون سابقًا آتيناهم كتبنا ﴿وَٱلْحُكْمَ﴾ العلم ﴿وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ الرسالة ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي كفار قريش المعاندون لرسول الله ﷺ ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا﴾ أي ألزمنا بالإيمان بها قومًا ﴿لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ وهم المهاجرون والأنصار، وفقناهم لحملها حتى كأنهم موكلون بها. ٩٠- ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ كان ﷺ مأمورًا بالاقتداء بمن قبله من الأنبياء فيما لم يدر عليه فيه نص وأمره الله بأن يخبرهم بأنه لا يسألهم أجرًا على القرآن إن هو إلا موعظة وتذكير للخلق كافة الموجودين =

وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ
قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ
تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ
أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ﴿٩١﴾
وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَلِتُنذِرَ
أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَاۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ
وَهُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى
ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمۡ يُوحَ إِلَيۡهِ شَيۡءٞ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ
مِثۡلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ
وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ
تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ
وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ
كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡۖ
وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمۡ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ أَنَّهُمۡ فِيكُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْۚ
لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴿٩٤﴾

= عند نزوله ومن سيوجد من بعد. ٩١- ولم يعرفوا مقداره تعالى حق معرفته، حيث أنكروا إرساله للرسل، وإنزاله للكتب ﴿قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾ وهم يعترفون بذلك ويذعنون له، ويعلمونه بالإخبار من اليهود، وقد كانوا يصدقونهم ﴿تَجۡعَلُونَهُۥ﴾ التفات إلى خطاب اليهود تجعلون التوراة في قراطيس تضعونه فيها ليتمَّ لكم ما تريدونه من التحريف والتبديل، وكتم صفة النبي ﷺ المذكورة فيه ﴿تُبۡدُونَهَا﴾ القراطيس وتخفون كثيرًا منها والذي علموه هو الذي أخبرهم به نبينا محمد ﷺ من الأمور التي أوحى الله إليه بها، فإنها اشتملت على ما لم يعلموه من كتبهم، ولا على لسان أنبيائهم، ولا علمه آباؤهم قبل أنزله الله ﴿ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾ في باطلهم يصنعون صنع الصبيان الذين يلعبون. ٩٢- ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ﴾ على محمد ﷺ فكيف تقولون: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖ﴾ والمبارك الكثير البركة ﴿مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ أي موافق لما أنزله الله من الكتب على الأنبياء من قبله كالتوراة والإنجيل أنزلناه للبركات ولتنذر مكة أعظم القرى شأنًا، بها أول بيت وضع للناس، ولكونها قبلة هذه الأمة ومحل حجهم، فالإنذار لأهلها مستتبع لإنذار سائر أهل الأرض ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ من حق من صدق بالدار الآخرة أن يؤمن بهذا الكتاب، لأن التصديق بالآخرة يوجب قبول من دعا الناس إلى ما ينال به خيرها، ويندفع به ضرها. ٩٣- وكيف تقولون ما أنزل الله على بشر من شيء، وذلك يستلزم تكذيب الأنبياء عليهم السلام، ولا أحد أظلم ممن افترى على الله كذبًا، فزعم أنه نبي، وليس بنبي، أو كذب على الله في شيء من الأشياء وقد صان الله أنبياءه عما تزعمون عليهم، وإنما هذا شأن الكذابين رءوس الإضلال، كمسيلمة الكذاب، والأسود العنسي وسَجاح ومن ادعى أنه قادر على معارضة القرآن بقرآن مثله، وهم القائلون ﴿لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ﴾ ولو ترى إذ الظالمون في شدائد النزع، ويدخل فيه الجاحدون لما أنزل الله، والمدَّعون للنبوَّات، والمتصبون للمعارضة، أي لرأيت أمرًا عظيمًا ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ﴾ لقبض أرواح الكفار، وقيل للعذاب وفي أيديهم مطارق الحديد قائلين لهم أخرجوا أنفسكم من هذه الغمرات التي وقعتم فيها، أو أخرجوا أنفسكم من أيدينا وخلصوها من العذاب، أو أخرجوا أرواحكم لنقبضها من أجسادكم وسلموها إلينا. وبسبب قولكم هذا من إنكار إنزال الله كتبه على رسله وبسبب ادعائكم أن لله شركاء ﴿وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ عن التصديق لها والعمل بها، فكان ما جوزيتم به من عذاب الهوان جزاء وفاقًا. ٩٤- ولقد جئتمونا واحدًا واحدًا، كل واحد منفرد عن أهله وماله وما كان يعبده من دون الله، فلم ينتفع بشيء من ذلك ﴿كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ أي على الصفة التي كنتم عليها عند خروجكم من بطون أمهاتكم، عراة غرلاً وتركتم ما أعطيناكم، والخول ما أعطاه الله للإنسان من متاع الدنيا، فلم تأتونا بشيء منه، ولا انتفعتم به بوجه من الوجوه ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمۡ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ﴾ عبدتموهم وقلتم ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا=

ثلاثة أرباع الحزب ١٤

۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ
ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ
وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ
ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟
بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ
﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ
قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ
خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا
قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا
وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ
لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ
وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا
يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ
وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾

= ﴿لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ و ﴿زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟﴾ لله يستحقون منكم العبادة كما يستحقها ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ أي: تقطع الوصل بينكم أنتم وشركاؤكم ﴿وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ من الشركاء والشرك، وحيل بينكم وبينهم. ٩٥- إن الله فالق الحب فيخرج منه النبات، وفالق النوى فيخرج منه الشجر، والنوى: جمع نواة، يطلق على كل ما فيه عَجَمٌ، كالتمر والمشمش والخوخ ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ أي: يخرج الحيوان من مثل النطفة والبيضة وهي ميتة ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ مخرج النطفة والبيضة وهي ميتة من الحي أو المعنى: يخرج المؤمن من الكافر بالولادة، ويخرج الكافر من المؤمن كذلك وصانع ذلك الصنع العجيب المذكور سابقا هو ﴿ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾﴾ فكيف تصرفون عن الحق مع ما ترون من بديع صنعه وكمال قدرته؟ ٩٦- فالق ظلمة الإصباح، وهي الغبش، عن بياض النهار وجعل الليل يسكن فيه الناس عن الحركة في معاشهم، ويستريحون من التعب والنصب ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾ جعلهما محل حساب تتعلق به مصالح العباد، لأن سيرهما على تقدير لا يزيد ولا ينقص، ليدل عباده بذلك على عظيم قدرته وبديع صنعه ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ ومن جملة معلوماته تسييرهما على هذا التدبير المحكم. ٩٧- ﴿لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا﴾ أي خلقها للاهتداء بها ﴿فِى ظُلُمَٰتِ﴾ الليل عند المسير في ﴿ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ عند اشتباه طرقهما التي لا يهتدى فيها إلا بالنجوم، وهذه إحدى منافع النجوم التي خلقها الله لها. ٩٨- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ أي آدم عليه السلام ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ فلكم مستقر على ظهر الأرض، والمستودع في باطن الأرض، وقيل المستقر ما كان في الرحم، والمستودع ما كان في الصلب. ٩٩- وهو الذي أنزل من السماء ماء المطر ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ كل صنف من أصناف النبات المختلفة ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا﴾ أي أخضر، والخضر: رطب البقول ﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ أي: مركبا بعضه على بعضه كما في السنابل ويخرج بأمر الله تعالى من طلع النخل عُذوقَه، وهي عناقيده، والدانية: القريبة التي ينالها القائم والقاعد. قال الزجاج: المعنى منها دانية، ومنها بعيدة، فحذف ﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ متشابه في الحجم واللون، وغير متشابه في الطعم. ثم أمرهم سبحانه بأن ينظروا نظر اعتبار إلى ثمره إذا أثمر وإلى ينعه إذا أينع ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ﴾ ما تقدم ذكره مجملاً ومفصلاً لآيات لقوم يؤمنون بالله استدلالاً بما يشاهدونه من عجائب مخلوقاته. ١٠٠- وجعلوا الجن شركاء لله، فعبدوهم وعظموهم، كما عبدوه وعظموه وقد علموا أن الله خلق الجن، واختلقوا واخترعوا له بنين وبنات لأن المشركين ادعوا أن الملائكة بنات الله، والنصارى ادعوا أن المسيح ابن الله، واليهود ادعوا أن عزيرًا ابن الله ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ بل عن جهل خالص تنزيهًا له سبحانه وتقديسًا، وتباعد وارتفع عن قولهم الباطل الذي وصفوه به. ١٠١- والله مبدع الكون على غير مثال سبق، على هذا الوضع المتقن كيف يكون له ولد؟ وكيف يتخذ ما يخلقه ولدًا ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ والصاحبة الزوجة،=

ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ
فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدۡرِكُهُ
ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾
قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ عَمِيَ
فَعَلَيۡهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ
ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسۡتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿١٠٥﴾
ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ
ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْۗ وَمَا جَعَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ
حَفِيظٗاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ
يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا
لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ
يَعۡمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ
لَّيُؤۡمِنُنَّ بِهَاۚ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ أَنَّهَآ إِذَا
جَآءَتۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ
يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١١٠﴾

= وإذا لم توجد الزوجة استحال وجود الولد ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ ومنهم الملائكة والمسيح وعزير وهو بكل شيء عليم. ١٠٢- والمتصف بالأوصاف العلية السابقة هو ربكم لا رب لكم غيره فهو الحقيق بالعبادة، ولا تعبدوا غيره. ١٠٣- لا تبلغ كنه حقيقته الأبصار، فالمنفي هو الإدراك والإحاطة به، ويراه المؤمنون في الآخرة، لقوله تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾﴾ والرؤية في الآخرة قد ثبتت بالأحاديث المتواترة تواترًا لا شك فيه ولا شبهة ﴿وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾ يحيط بها ويبلغ كنهها، لا تخفى عليه منها خافية ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ﴾ أي الرفيق بعباده. واللطف من الله التوفيق والعصمة و﴿ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ الذي أحاط بالأشياء علمًا ظواهرها وبواطنها. ١٠٤- قد جاءكم حجج وبراهين واضحة من ربكم من عقَلها أبصر الحق، وذلك فيما أورده القرآن في هذه السورة وغيرها فمن تعقّل الحجة وأذعن لها فنفْعُ ذلك لنفسه ﴿وَمَنۡ عَمِيَ﴾ عن الحجة ولم يتعقلها ولا أذعن لها فنفْعُ ذلك لنفسه وما أنا عليكم برقيب أحصي عليكم أعمالكم، وإنما أنا رسول أبلغكم رسالات ربي وهو الحفيظ عليكم. ١٠٥- ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ في الوعد والوعيد، والوعظ والتنبيه ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسۡتَ﴾ وسوف يقول المشركون إذا سمعوا هذا البيان إنك يا محمد لم تأت بهذا وإنما درست علم أهل الكتاب وتعلمت منهم ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ﴾ أي القرآن. ١٠٦- ثم أمره الله ألا يشغل خاطره بهم، بل يشتغل باتباع ما أمره الله ﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ وهذا قبل نزول آية القتال. ١٠٧- وإن الله تعالى قادرٌ أن يجعلهم كلهم مؤمنين غير مشركين، فالأمر بيده، فلا تحرص عليهم كل الحرص. وفيه أن الشرك بمشيئة الله سبحانه ﴿وَمَا جَعَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾ أي رقيبًا ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ﴿١٠٧﴾﴾ أي قيم بما فيه نفعهم فتجلبه إليهم، ليس عليك إلا إبلاغ الرسالة. ١٠٨- ولا تسبوا آلهة المشركين لئلا يسبوا الله عدوانًا وتجاوزًا عن الحق، وجهلاً منهم بما يجب له تعالى من التقديس كذلك زينا لكل أمة عملهم استدراجًا.

١٠٩- وحلفوا بالله أشد أيمانهم التي بلغتها قدرتهم، أنه إذا جاءهم محمد ﷺ بمعجزة واحدة لسوف يؤمنون به وقد كانوا يعتقدون أن الله هو الإله الأعظم، فلهذا أقسموا به ﴿إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ هذه الآية التي يقترحونها وغيرها، وليس عندي من ذلك شيء، فهو سبحانه إن أراد إنزالها أنزلها، وإن أراد ألا ينزلها، لم ينزلها وما يدريكم أيها المؤمنون بأنهم يؤمنون إذا جاءتهم، إنهم لن يؤمنوا، هذه هي الحقيقة أخبرتكم بها، فلا تحرصوا عليهم.

١١٠- ونقلب أفئدتهم وأبصارهم يوم القيامة على لهيب النار، وحَرّ الجمر كما لم يؤمنوا في الدنيا أول مرّةٍ ونمهلهم في الدنيا ولا نعاقبهم.

۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا
عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا
شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ
ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ
﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ
وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ
أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ
وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ
فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا
وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن
تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن
يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾
فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾

١٤٢

١١١ - ﴿۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ حتى يروهم عيانًا، وكلموهم وأخبروهم بصدقك كما اقترحوه ﴿وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ الذين يعرفونهم بعد إحيائنا لهم، فقالوا لهم: إن هذا النبي صادق مرسل من عند الله فآمنوا به ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ مما سألوه من الآيات ﴿قُبُلًا﴾ أي مواجهة، أو جماعة جماعة ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثر المشركين يجهلون بذلك.

١١٢ - وكما ابتليناك بهؤلاء فقد ابتلينا الأنبياء من قبلك، فجعلنا لكل واحد منهم عدوًّا من كفار زمنهم ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ﴾ من الكهان والسحرة ورؤساء الكفر الذين لا يخافون الله ﴿وَٱلْجِنِّ﴾ شياطينهم ولد إبليس لعنه الله، يضلون سائر الجن، ويضلون الإنس ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ يوسوس بعضهم لبعض، خفية بينهم، وجَعَل تمويههم ﴿زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ﴾ لتزيينهم إياه ﴿غُرُورًا﴾.

١١٣ - ولتميل إلى الباطل وإلى زخرفة شياطين الإنس والجن قلوب أهل الباطل وعشاق الدنيا وترضى به، وتطمئن إليه وليقترف هؤلاء من الآثام ما يتقرفون.

١١٤ - ثم أمره الله تعالى أن ينكر عليهم ما طلبوه منه، من أن يجعل بينه وبينهم حكمًا فيما اختلفوا فيه، وإن الله هو الحكم العدل بينه وبينهم ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا﴾ مبينًا واضحًا مستوفيا لكل قضية على التفصيل ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ وإن أظهروا الجحود والمكابرة فإنهم ﴿يَعْلَمُونَ﴾ أن القرآن منزل من عند الله، بما دلتهم عليه كتب الله المنزلة كالتوراة والإنجيل.

١١٥ - وإن الله قد أتم وعده ووعيده وأنزل شرعه فظهر الحق، وانطمس الباطل صدقًا في الأخبار وعدلاً في الأوامر والأحكام ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ لا خلف فيها ،لا مغير لما حكم به.

١١٦ - لأن عادة الله في خلقه جرَتْ على أنّ الحق لا يكون إلا بيد الأقلين أما أكثر الناس فإنهم يتبعون كما قال تعالى ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ الذي لا أصل له،وهو ظنهم أن معبوداتهم تستحق العبادة، وأنها تقربهم إلى الله ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا﴾ يظنون ويقدِّرون.

١١٨ - ﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾ أي لا تحرِّموا منه على أنفسكم شيئًا، ولا تمتنعوا عن أكله تدينًا، لأن كل ما ذكر الذابح عليه اسم الله فهو حلال، إن كان مما أباح الله أكله ﴿إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾ بأحكامه من الأوامر والنواهي.

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ
لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ
بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾
وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ
سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ
ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ
أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾
أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى
ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ
زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا
فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا
يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ
ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ
أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟
صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾

١٤٣

١١٩- ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ أي ما المانع لكم من أكل ما سميتم عليه بعد أن أذن الله لكم بذلك؟ ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ أي بين لكم المحرمات من الأطعمة بيانًا مفصلاً يدفع الشك، ويزيل الشبهة بقوله ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا﴾ إلى آخر الآية ﴿إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ أي من جميع ما حرمه عليكم، فإن الضرورة تحلل الحرام ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ هم الكفار الذين كانوا يحرمون البحيرة والسائبة ونحوهما كانوا يضلون الناس فيتبعونهم، ولا يعلمون أن ذلك جهل وضلالة.

١٢٠- والظاهر: كأفعال الجوارح، والباطن: كأفعال القلب، وقيل: ما أعلنتم وما أسررتم، وقيل الزنا الظاهر والزنا المكتوم. ١٢١- ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ كالميتات، وما ذبح على اسم غير الله، وأما ما ذبحه المسلم: فإن ترك التسمية عمدًا حرم أكله عند الجمهور، وإن تركها نسيانًا لم يضر. وقال الشافعي وغيره: التسمية مستحبة وليست واجبة، وإن تركها المسلم ولو عمدًا لم يضر. فإن اسم الله على كل مسلم. وقيل: الآية واردة في الميتات التي لم تذبح أصلاً، وفيما ذبح لغير الله وإن أكل ما ذبح على اسم غير الله وأكل الميتة ونحوها خروج عن أمر الله تعالى وحكمه ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ يلقون إليهم بالشبه، ويخبرونهم ما يستندون إليه في مجادلتكم كقولهم **«أنتم لا تأكلون مما قتل الله وتأكلون مما قتلتم أنتم»** ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ فيما يأمرونكم به وينهونكم عنه ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ مثلهم. ومن اعتقد إحلال ما حرّم الله يقينًا فقد كفر. ١٢٢- ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ كان كافرًا فهديناه إلى الإسلام ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ والنور عبارة عن الهداية والإيمان، وقيل: هو القرآن، وقيل: الحكمة، فصاحب القرآن والحكمة يسير في أمور حياته بين الناس على بصيرة من ربه كمن مثله في ظلمات الكفر والضلال ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ عن زيد بن أسلم في تفسير هذه الآية قال: نزلت في عمر بن الخطاب، وأبي جهل بن هشام، كانا ميتين في ضلالتهما، فأحيا الله عمر بالإسلام وأعزّه، وأقرَّ أبا جهل في ضلالته وموته، وذلك أن رسول الله ﷺ دعا فقال **«اللهم أعِزَّ الإسلام بأبي جهل بن هشام، أو بعمر بن الخطاب»**. ١٢٣- ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا﴾ هم الرؤساء والعظماء. وخصهم بالذكر لأنهم أقدر على الفساد. والمكر: الحيلة في مخالفة الاستقامة ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ﴾ أي وبال مكرهم عائد عليهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ بذلك لفرط جهلهم وسيرهم مع أهوائهم.

١٢٤- وإذا أخبرت الأكابر والرؤساء من قريش بشيء من الآيات التي أنزلها الله عليك ﴿لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ

فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ
أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ
فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا
ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ
وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا
يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم
مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ
أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ
رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا
بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ
رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ
يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا
وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ
أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾

ربع الحزب ١٥

﴿ٱللَّهِ﴾ يريدون أنهم لا يؤمنون حتى يكونوا أنبياء ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ وقد اختار أن يجعل الرسالة في محمد صفيه وحبيبه، أي: فدعوا طلب ما ليس من شأنكم ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ﴾ أي: ذل وهوان، فإن هؤلاء الأكابر لم يقولوا ما= = قالوه إلا بسبب ما في قلوبهم من الكبر. ١٢٥- ومن يرد الله هدايته للحق يوسع قلبه للإيمان ويوفقه للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل قلبه ضيقًا حرجًا لا مكان فيه للإيمان والهداية كمن يصعَّد في طبقات الجو العليا أو كمن كلِّف بالصعود إلى السماء، أو بعمل لا يطيقه كذلك يجعل الله عذابه على من أصرّوا على الكفر والعصيان. ١٢٦- ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ﴾ ما عليه النبي ﷺ ومن معه من المؤمنين: أي: هذا طريق دين ربك لا اعوجاج فيه. ١٢٧- الجنة لأنها دار السلامة من كل مكروه وهو ناصرهم بسبب أعمالهم الطيبة. ١٢٨- ويوم يحشر البشر والجن كلهم يوم الحشر ويقول تعالى لهم: يا جماعة الجن ﴿قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم﴾ من الإنس من إغوائهم

وإضلالهم حتى صاروا في حكم الأتباع لكم، فحشرناهم معكم. وقيل: المراد بالاستمتاع التلذذ من الجن بطاعة الإنس لهم ودخولهم فيما يريدون منهم ﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ أما استمتاع الجن بالإنس فهو تلذذهم باتباعهم لهم؛ وأما استمتاع الإنس بالجن فحيث قبلوا منهم تحسين المعاصي، فوقعوا فيها وتلذذوا بها، ومنه أيضًا أن أهل الجاهلية ومن شاكَلَهم كانوا يصدِّقون الجنّ فيما يلقونه إليهم ويتلذذون بذلك وينالون به شيئًا من حظوظ الدنيا، كالكُهَّان ﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾ أي يوم القيامة، اعتراف منهم بالوصول إلى ما وعدهم الله به مما كانوا يكذبون به قال النار موضع مقامكم خالدين فيها إلا في الوقت الذي يشاء الله عدم بقائهم فيها، عن ابن عباس قال: في هذه الآية: لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه، لا ينزلهم جنة ولا نارًا. ١٢٩- وكذلك نسلط ظَلَمة الجن على ظلمة الإنس، ونسلط بعض الظلمة على بعض، فيهلكه ويذله. عن الأعمش قال: سمعتهم يقولون: إذا فَسَد الزمان أمِّر عليهم شِرارُهم. وقال فضيل بن عياض: إذا رأيت ظالمًا ينتقم من ظالم فقف وانظر متعجبًا بسبب كسبهم للذنوب ولَّينا بعضهم بعضًا. ١٣٠- ويوم نحشرهم نقول لهم ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ﴾ ممن هو مجانس لكم في الخلق والتكليف والقصد بالمخاطبة ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى﴾ صفة أخرى للرسل ﴿قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾ هذا إقرار منهم بأن حجة الله لازمة لهم بإرسال رسله إليهم ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ فصرفتهم عن الإيمان بالرسل، ألهتهم بزخرفها وزينتها فمالت قلوبهم إليها، حتى دعاهم ذلك إلى تكذيب الرسل وشهادة أخرى منهم على أنفسهم بأنهم كانوا كافرين في الدنيا بالرسل المرسلين إليهم، والآيات التي جاءوا بها.

وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا
يَعۡمَلُونَ ١٣٢ وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ إِن يَشَأۡ
يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفۡ مِنۢ بَعۡدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ
أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوۡمٍ ءَاخَرِينَ ١٣٣ إِنَّ مَا
تُوعَدُونَ لَأٓتٖۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ١٣٤ قُلۡ يَٰقَوۡمِ
ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَامِلٞۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ
مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ
١٣٥ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ
نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ
فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ
وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡۗ
سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ١٣٦ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ
لِكَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ قَتۡلَ أَوۡلَٰدِهِمۡ
شُرَكَآؤُهُمۡ لِيُرۡدُوهُمۡ وَلِيَلۡبِسُواْ عَلَيۡهِمۡ دِينَهُمۡۖ
وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ١٣٧

١٣١ - ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ﴾ ما كان الله مهلك أهل القرى بظلم منه، فهو يتعالى عن الظلم، بل إنما يهلكهم بعد أن يستحقوا ذلك، وترتفع الغفلة عنهم بإرسال الأنبياء مبشرين ومنذرين.

١٣٢ - ولكل من الجن والإنس درجات متفاوتة في الآخرة، في الجنة والنار بحسب أعمالهم.

١٣٣ - أي وهو سبحانه مستغنٍ عن خلقه لا يحتاج إليهم ولا إلى عبادتهم، لا ينفعه إيمانهم ولا يضره كفرهم، ومع كونه غنيا عنهم فهو ذو رحمة بهم والرحمة لهم مع كمال الغنى عنهم هو غاية الكرم والفضل ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ﴾ أيها العباد العصاة، فيستأصلكم بالعذاب ﴿وَيَسۡتَخۡلِفۡ مِنۢ بَعۡدِكُم﴾ أي: من بعد إهلاككم ﴿مَّا يَشَآءُ﴾ من خلقه ممن هو أطوع له منكم ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوۡمٍ ءَاخَرِينَ ١٣٣﴾ قيل: هم أهل سفينة نوح.

١٣٤ - ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ﴾ من البعث والمجازاة ﴿لَأٓتٖ﴾ لا محالة فإن الله لا يخلف الميعاد ولن تفوتوني عما هو نازل بكم من العذاب تقول العرب: أعجزني فلان إذا هرب فلم تستطع اللحاق به.

١٣٥ - قل يا قوم اثبتوا على ما أنتم عليه، فإني غير مبال بكم ولا مكترث بكفركم، بل إني ثابت على ما أنا عليه ﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ من هو على الحق، ومن هو على الباطل، و﴿عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾ النصر في دار الدنيا، ووراثة الأرض، ومن له الدار الآخرة.

١٣٦ - ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا﴾ الكلام مع كفار العرب، أي: جعلوا لله سبحانه مما خلق من زروعهم وثمار أشجارهم ونتاج دوابهم نصيبا، ولآلهتهم نصيبا من ذلك، يصرفونه إلى سدنتها، والقائمين بخدمتها، فإذا ذهب ما لآلهتهم بإنفاقه، في ذلك، عوضوا عنه ما جعلوه لله، وقالوا: الله غني عن ذلك ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: إلى المصارف التي شرع الله الصرف فيها، كالصدقة، وصلة الرحم، وقرى الضيف ﴿وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡ﴾ أي: يجعلونه لآلهتهم وينفقونه في مصالحها ﴿سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ١٣٦﴾ في إيثار آلهتهم على الله سبحانه.

١٣٧ - ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ قَتۡلَ أَوۡلَٰدِهِمۡ شُرَكَآؤُهُمۡ﴾ أي: حسن الشياطين في أعين أهل الجاهلية قتل الأولاد. وقيل: شركاؤهم ها هنا هم الذين كانوا يخدمون الأوثان زينوا لهم دفن البنات مخافة السبي والحاجة، وقتل الأولاد مخافة الفقر. وكان الرجل يحلف بالله لئن ولد له كذا من الذكور لينحرن أحدهم، كما فعله عبد المطلب ليهلكوهم بقتل الأنفس البريئة المحرمة وليخلطوا عليهم فلا يعلمون ما هو مشروع مما ليس بمشروع ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ أي: إن هذا الإجرام منهم

وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن
نَّشَآءُ بِزَعۡمِهِمۡ وَأَنۡعَٰمٌ حُرِّمَتۡ ظُهُورُهَا وَأَنۡعَٰمٞ لَّا يَذۡكُرُونَ
ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ سَيَجۡزِيهِم بِمَا كَانُواْ
يَفۡتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ
خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَاۖ وَإِن يَكُن
مَّيۡتَةٗ فَهُمۡ فِيهِ شُرَكَآءُۚ سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡۚ إِنَّهُۥ
حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿١٣٩﴾ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ
سَفَهَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ
قَدۡ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ
أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ
مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ
مُتَشَٰبِهٖۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ
حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿١٤١﴾
وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗاۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ
ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿١٤٢﴾

١٤٦

نصف الحزب ١٥

واقع بإرادة الله الكونية لحكمة يعلمها فاتركهم وافتراءهم على الله الكذب، فإن ذلك لا يضرك.

١٣٨ - ﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ﴾ أي حرام ممنوعة، يعنون أنها لأصنامهم، لا يأكل منها إلا من يشاءون بزعمهم، وهم خدام الأصنام ﴿وَأَنۡعَٰمٌ حُرِّمَتۡ ظُهُورُهَا﴾ وهي البحيرة والسائبة والحامي فهذه الأنواع من الأنعام كانوا بجهلهم يحرمون ركوبها أو الحمل عليها ﴿وَأَنۡعَٰمٞ لَّا يَذۡكُرُونَ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا﴾ وهي ما ذبحوا لآلهتهم، فإنهم يذبحونها باسم أصنامهم لا باسم الله، وقيل: إن المراد لا يحجون عليها ﴿ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِ﴾ أي كذبوا بادّعائهم أن هذا من دين الله.

١٣٩ - ﴿وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ يعنون البحائر والسوائب، من الأجنّة. عن ابن عباس قال: كانت الشاة إذا ولدت ذكرًا ذبحوه، فكان للرجال دون النساء، وإن كانت أنثى تركوها فلم تذبح، وإن كان ميتة كانوا فيه شركاء حلال لهم ومحرم على النساء، فيدخل في ذلك البنات والأخوات ونحوهن، وقيل: هو اللبن، جعلوه حلالاً للذكور، ومحرمًا على الإناث وإن يكن الذي في بطون الأنعام ميتة الجنين الميت ﴿شُرَكَآءُ﴾ يأكل منه الذكور والإناث سيجزيهم بقولهم هذا ما يستحقون.

١٤٠ - ﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ سَفَهَۢا﴾ أي قتلوا بناتهم بالوأد الذي كانوا يفعلونه سفهًا، وهو الطيش والخفة، لا لحجة عقلية ولا شرعية ﴿وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾ من الأنعام التي سموها بحائر وسوائب كذبًا عليه سبحانه، فإن الله لم يحرم من هذا شيئًا.

١٤١ - وهو الذي خلق البساتين مرفوعات على الأعمدة وغير مرفوعات عليها، وقيل: المعروشات ما انبسط على وجه الأرض مما يعرش، مثل: الكرم، والزرع، والبطيخ، وغير المعروشات ما قام على ساق مثل النخل وسائر الأشجار ﴿مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ﴾ في الطعم وأنشأ الزيتون والرمان ﴿مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖ﴾ وقد تقدم الكلام على تفسير هذا في الآية (٩٩) ﴿إِذَآ أَثۡمَرَ﴾ وإن لم يدرك ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦ﴾ قيل: هي في زكاة الزرع والثمر، وقيل: يجب على المالك يوم الحصاد أن يعطي من حضر من المساكين القبضة والضغث ونحوهما ﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ﴾ أي في الأكل، أو في التصدق.

١٤٢ - وأنشأ لكم من الأنعام، وهي الأصناف الثمانية الآتي ذكرها، حمولة وفرشًا، والحمولة: ما يحمل عليها، وهو يختص بالإبل، والفرش: ما يتخذ من الوبر والصوف والشعر فراشًا يفترشه الناس، وقيل: الحمولة الإبل، والفرش: الغنم، وقيل: الحمولة كبار الإبل والفرش صغارها التى لا يحمل عليها ﴿كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ من هذه الأشياء ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ

ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ
قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ
أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾
وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ
حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ
أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا فَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ
عِلْمٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُل لَّآ أَجِدُ
فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ
مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ
فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ
رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا
كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ
شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا
ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾

﴿ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ كما فعل المشركون، من تحريم ما لم يحرمه الله، وتحليل ما لم يحلله.

١٤٣ – ثمانية أفراد، لأن كل واحد من الذكر والأنثى زوج بالنسبة إلى الآخر، ويقال لهما أيضًا: زوجان ذكر وأنثى، والضأن: ذوات الصوف من الغنم والمعز من الغنم خلاف الضأن، وهي ذوات الأشعار والأذناب القصار والمراد بالذكرين: الكبش والتيس، وبالأنثيين: النعجة والعنز، والمعنى: الإنكار على المشركين في أمر ما حرّموه منها ﴿نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ﴾ أي بعلم مستند إلى خبر مُخْبِرٍ صادق إن كنتم صادقين فهاتوا الدليل من كلام الله تعالى.

١٤٤ – وإن لم يكن بيدكم مستند علم، فهل كنتم شهداء حاضرين مشاهدين إذ وصاكم الله بهذا التحريم؟ ولا أحد أظلم ممن افترى على الله كذبًا، فحرم شيئًا لم يحرمه الله، ونسب ذلك إليه افتراء عليه كما فعله كبراء المشركين.

١٤٥ – ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا﴾ فدل ذلك على انحصار المحرمات فيها لولا أنها مكية، وقد نزل بعدها بالمدينة سورة المائدة، وزيد فيها على هذه المحرمات: المنخنقة، والموقوذة، والمترديةو والنطيحة؛ وصح عن رسول الله ﷺ تحريم كل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطير، وتحريم الحمر الأهلية، والكلاب. ﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً﴾ وهي غير المذكى ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ أي جاريا أما غير المسفوح فهو معفو عنه كالدم الذي يبقى في العروق بعد الذبح، ومنه الكبد والطحال، وهكذا ما يتلطخ به اللحم من الدم عند الذبح ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ﴾ أي الخنزير ﴿رِجْسٌ﴾ والرجس: النجس ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ أي ذبح على الأصنام ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ قد تقدم تفسيره في سورة البقرة عن ابن عباس قال: كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء، ويتركون أشياء تقذُّرًا، فبعث الله نبيه، وأنزل كتابه، وأحل حلاله، وحرم حرامه، فما أحل فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو، ثم تلا هذه الآية ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾ أي: للمضطر إن أكل.

١٤٦ – وحرمنا على اليهود أكْلَ ﴿كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ عن مجاهد قال: هو كل شيء لم تنفرج قوائمه من البهائم، وما انفرج أكلته اليهود، قال: انفرجت قوائم الدجاج والعصافير، فيهود تأكله، ولم ينفرج خف البعير ولا النعامة، ولا قائمة الوز، فلا تأكل اليهود الإبل ولا النعام، ولا كل شيء لم تنفرج قائمته كذلك ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ﴾ هو شحم الكلية والشحم الرقيق الذي يكون على الكرش، ثم استثنى الله سبحانه من الشحوم ما حملت ظهورهما من الشحم، فإنه لم يحرمه الله عليهم ﴿أَوِ ٱلْحَوَايَآ﴾ وهي المباعر التي يجتمع البعر فيها، فما حملته من الشحم غير حرام عليهم ﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ ما لصق بالعظام من الشحوم في جميع مواضع الحيوان، ومنه الألية فإنها لاصقة بعجب الذنب ﴿ذَٰلِكَ﴾ التحريم بسبب ظلمهم وإنا

فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ
بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟
لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ
كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ
قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا
ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ
فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ
يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ
مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ۞ قُلْ
تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ
شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ
إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ
مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى
حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾

لصادقون يا محمد فيما أخبرناك به.

١٤٧ - فإن كذبك اليهود، وقيل المراد: فإن كذبك المشركون الذين قسموا الأنعام إلى تلك الأقسام، وحللوا بعضها وحرموا بعضها ﴿فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾ ومن رحمته حلمه عنكم، وعدم معاجلته لكم بالعقوبة ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ إذا أنزله بهم واستحقوا المعاجلة بالعقوبة.

١٤٨ - ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ مشركو قريش وغيرهم، يريدون أن ما فعلوه حق، ولو لم يكن حقًا لأرسل الله إلى آبائهم رسلاً يأمرونهم بترك الشرك، وبترك التحريم لما لم يحرمه الله، والتحليل لما يحلله وبمثل هذه الحجة كذب الذين من قبلهم بالمرسلين إليها حتى ذاقوا العذاب الذي أنزلناه بهم قل هل عندكم من دليل يدل على أن الله رضي منكم أن تشركوا به، وتحللوا وتحرموا من دونه، وأما مجرد وقوع الفساد منكم فلا يدل على رضاه عنكم ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ أي ما يتبعون إلا الظن الذي هو محل الخطأ ومكان الجهل ﴿وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾ أي: تتوهمون مجرد توهم.

١٤٩ - ﴿ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ التي تنقطع عندها معاذيرهم، وتبطل شبههم وظنونهم وتوهماتهم ﴿فَلَوْ شَآءَ﴾ هدايتكم جميعًا ﴿لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾.

١٥٠ - ﴿هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ﴾ أي: هاتوهم وأحضروهم، يأمرهم بإحضار الشهود على أن الله حرم تلك الأشياء ﴿فَإِن شَهِدُوا۟﴾ بغير علم، بل مجازفة وتعصبًا ﴿فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ أي: فلا تصدقهم ولا تسلم لهم ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أي: ولا تتبع أهواءهم، فإنهم رأس المكذبين بآياتنا، وهم يكفرون بالآخرة، ﴿وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ أي يجعلون له عدلاً من مخلوقاته، كالأوثان، وكيف تتبعه من هكذا عقولهم؟

١٥١ - وأقرأ عليكم الآيات المشتملة على ما حرمه الله عليكم ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا۟﴾ أي: ألزمكم أو أحثكم على ألا تشركوا به ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ بالبر بهما، وامتثال أمرهما ونهيهما، وفيه نهي عن عقوقهما ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾ الإملاق: الفقر، فقد كانت الجاهلية تفعل ذلك بالذكور والإناث خشية الإملاق، وتفعله بالإناث خاصة خشية العار ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾ أي المعاصي، ومنه الزنى ﴿مَا ظَهَرَ﴾ ما أعلن به منها ﴿وَمَا بَطَنَ﴾ ما أسرَّ به ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ ومن الحق قتلها قصاصًا، وقتلها بسبب زنى المحصن، وقتلها بسبب الردة، وهذه هي الأسباب التي ورد الشرع بها ﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ أي أمركم به، وأوجبه عليكم.

وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۖ
وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا
وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ
ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ١٥٢
وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ
فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ
تَتَّقُونَ ١٥٣ ثُمَّ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ
أَحۡسَنَ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ
رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ١٥٤ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ
وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٥٥ أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ
عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمۡ لَغَٰفِلِينَ
١٥٦ أَوۡ تَقُولُواْ لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡۚ
فَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞۚ فَمَنۡ
أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنۡهَاۗ سَنَجۡزِي ٱلَّذِينَ
يَصۡدِفُونَ عَنۡ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصۡدِفُونَ ١٥٧

١٥٢ - ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ﴾ أي: لا تتعرضوا له بوجه من الوجوه ﴿إِلَّا بِـ﴾ الخصلة ﴿ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ من غيرها، وهي ما فيه صلاحٌ ونفع لليتيم وزيادة في ماله وبلوغه وإيناس رشده. وهو أن يكون في تصرفاته بماله سالكًا مسلك الراشدين، لا مسلك أهل السفه والتبذير ﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِ﴾ أي: بالعدل في الأخذ والإعطاء عند البيع والشراء ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾ أي: إلا طاقتها في كل تكليف من التكاليف، ومنه التكليف بإيفاء الكيل والوزن بما يمكن الاحتراز عنه في الزيادة والنقصان ﴿وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ﴾ في خبر أو شهادة أو جرح أو تعديل فاعدلوا فيه وتحروا الصواب، ولا تتعصبوا في ذلك لقريب ولا على بعيد، ولا تميلوا إلى صديق ولا على عدو، بل سووا بين الناس ﴿وَلَوۡ كَانَ﴾ المقول فيه، أو المقول له صاحب قرابة لكم لكل عهد عهده الله إليكم ويجوز أن يراد به كل عهد ولو كان بين المخلوقين ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ ما تقدم ذكره أمركم به أمرًا مؤكدًا لعلكم تتعظون بذلك. ١٥٣ - ثم أمرهم باتباعه ونهاهم عن اتباع سائر الأديان المتباينة طرقها فتميل بكم عن سبيل الله المستقيم الذي هو دين الإسلام، وهذه السبل تعم اليهودية والنصرانية والمجوسية، وسائر الملل، والبدع والضلالات من الأهواء والشذوذ، وعن ابن مسعود قال: «خط رسول الله ﷺ خطًا بيده ثم قال هذا سبيل الله مستقيمًا ثم خط خطوطًا عن يمين ذلك الخط وعن شماله، ثم قال: **وهذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: وأن هذا صراطي مستقيمًا**» الآية.

١٥٤ - ثم إننا قد آتينا موسى الكتاب قبل إنزالنا القرآن على محمد ﷺ وأتممناه على الأمر الذي هو أحسن الأمور، وقيل المعنى: تمامًا للنعمة جزاء على إحسان موسى بطاعة الله عز وجل وتفصيلاً لأحكام كل شيء. ١٥٥ - ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ﴾ الإشارة إلى القرآن، والمبارك الكثير البركة لما هو مشتمل عليه من المنافع الدنيوية والدينية ﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾ فاتباعه متحتم عليكم ﴿وَٱتَّقُواْ﴾ مخالفته والتكذيب بما فيه ﴿لَعَلَّكُمۡ﴾ إن قبلتموه ولم تخالفوه ﴿تُرۡحَمُونَ ١٥٥﴾ برحمة الله. ١٥٦ - لئلا تقولوا ﴿إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ أي: التوراة والإنجيل ﴿عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا﴾ وهم: اليهود والنصارى، ولم ينزل علينا كتاب وإن كنا عن تلاوة كتبهم بلغاتهم ﴿لَغَٰفِلِينَ﴾ أي: لا ندري ما فيها. ١٥٧ - ﴿أَوۡ تَقُولُواْ لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ﴾ كما أنزل على الطائفتين من قبلنا ﴿لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡ﴾ فإن هذه المقالة والمعذرة منهم مندفعة بإرسال محمد ﷺ وإنزال القرآن عليه ﴿فَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ أي كتاب أنزله الله على نبيكم، وهو منكم يا معشر العرب، فلا تعتذروا بالأعذار الباطلة، وتعللوا أنفسكم بالعلل الساقطة ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ التي هي رحمة وهدى للناس ﴿وَصَدَفَ عَنۡهَا﴾ فَضَلَّ بانصرافه عنها.

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ
بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا
لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ
إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ
مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ
﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ
فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ
إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ
ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ
رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ
﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ
نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ
خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ
فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾

١٥٨ - لا ينتظرون إلا أن تأتيهم ملائكة الموت لقبض أرواحهم ﴿أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾ يوم القيامة لفصل القضاء بينهم أو يأتي بعض أمارات الساعة الدالة على مجيئها يوم تأتي الآيات التي اقترحوها، وهي التي تضطرهم إلى الإيمان، كطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة التي تكلمهم ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾ لارتفاع التكليف بذلك، لأن الكل يرون الحق رأي العين، فيؤمنون جميعًا، فلا ينفعهم حينئذ الإيمان لم تكن آمنت أي: من قبل مجيء بعض الآيات، أما التي قد كانت آمنت من قبل مجيء بعض الآيات فإيمانها ينفعها ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ بعمل صالح قدمته، فمن آمن من قبل فقط ولم يكسب خيرًا في إيمانه، أو كسب خيرًا ولم يؤمن، فإن ذلك غير نافعه. قال رسول الله ﷺ «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها، ثم قرأ الآية». ١٥٩ - إن الذين جعلوا دينهم متفرقًا، فأخذوا ببعضه وتركوا بعضه، والمراد بهم: اليهود والنصارى والمشركون، عبد بعضهم الصنم وبعضهم الملائكة، وكل من ابتدع وجاء بما لم يأمر به الله ﴿شِيَعًا﴾ فرقًا وأحزابًا، فتصدق على كل قوم كان أمرهم في الدين واحدًا مجتمعًا، ثم اتبع كل جماعة منهم رأي كبير من كبرائهم يخالف الصواب، ويباين الحق أنت بريء من بدعهم وافتراقهم، وإنما عليك الإنذار ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ فهو مجازٍ لهم بما تقتضيه مشيئته ﴿ثُمَّ﴾ هو يوم القيامة ﴿يُنَبِّئُهُم﴾ أي: يخبرهم ﴿بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ من الأعمال التي تخالف ما شرعه الله لهم وأوجبه عليهم. ١٦٠ - ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ وهذا ما أوجبه الله تعالى على نفسه، وقد يزيد، كمثل حبة أنبتت سبع سنابل، وورد في بعض الحسنات أن فاعلها يجازى عليها بغير حساب ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ من الأعمال السيئة ﴿فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ من دون زيادة عليها، على قدرها في الخفة والعظم، فيجزى على سيئة الشرك بخلوده في النار، وفاعل المعصية من المسلمين يجازى عليها بمثلها مما ورد تقديره من العقوبات، وهذا إن لم يتب، أما إذا تاب أو غلبت حسناته سيئاته أو تعمده الله برحمته وتفضل عليه بمغفرته فلا مجازاة ﴿وَهُمْ﴾ أي من جاء بالحسنة ﴿لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ بنقص ثواب حسنات المحسنين ولا بزيادة عقوبات المسيئين. ١٦١ - وهو ملة إبراهيم عليه السلام الدين المستقيم الذي لا عوج فيه ﴿حَنِيفًا﴾ والحنيف: المائل إلى الحق. ١٦٢ - ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى﴾ والمراد بالصلاة جميع أنواعها ﴿وَنُسُكِى﴾ جمع نسيكة، وهي الذبيحة، وقيل: عبادتي ﴿وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى﴾ أي: ما أعمله في حياتي من أعمال الخير، ومن أعمال الخير بعد الممات الوصية بالصدقات وأنواع القربات، وقيل: نفس الحياة، ونفس الموت ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ أي: خالصًا له. ١٦٣ - ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ أي: لا أشرك به شيئًا في صلاتي ولا نسكي ولا محياي ولا مماتي ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ أي: أول مسلمين أمته. عن علي: أن النبي ﷺ كان إذا قام إلى الصلاة قال: «وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض ... الحديث إلى قوله • وأنا أول المسلمين». ١٦٤ - وكيف أطلب غير الله ربا مستقلاً وأترك عبادة الله، أو كيف =

الحزب ١٦

سُورَةُ الأَعْرَافِ

ترتيبها ٧ — آياتها ٢٠٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ
لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم
مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾
وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ
﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا
ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ
ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾
وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟
أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ
فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾
وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟
لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾

١٥١

= أطلب شريكًا لله فأعبدهما معًا، والحال أنه رب كل شيء، والذي تدعونني إلى عبادته مربوب له، ومخلوق مثلي، لا يقدر على نفع ولا ضر ولا يقدر أحد أن يكتسب لغيره ذنبًا ولا يحمل بريء ذنب غير بريء، وفيه رد لما كانت عليه الجاهلية من مؤاخذة القريب بذنب قريبه، والواحد من القبيلة بذنب الآخر، وفي الآية الأخرى ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

١٦٥ - ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ خلفاء الأمم الماضية والقرون السالفة، خلفتموهم في عمران الأرض. وقيل المراد: أن هذا النوع الإنساني خلفاء الله في أرضه ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ في الخلق والرزق والقوة والفضل والعلم، إلى درجات ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ أي: ليختبركم فيما آتاكم من تلك الأمور ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ فإنه وإن كان في الآخرة فكل آت قريب ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾﴾ أي: كثير الغفران والرحمة لمن آمن بالله وبرسله، وكتبه، واتبع ما أنزله من الهدى.

سُورَةُ الأَعْرَافِ

هي مكية إلا ثمان آيات.

١ - ﴿الٓمٓصٓ ﴿١﴾﴾ تقدم الكلام أول سورة البقرة على هذه الحروف المقطعة. ٢ - ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ أي: هذا كتاب ﴿فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ أي: لا يكن في صدرك ضيق منه من إبلاغه إلى الناس، مخافة أن يكذبوك ويؤذوك، فإن الله حافظك وناصرك، ولا يضق صدرك حيث لم يؤمنوا به، ولم يستجيبوا لك ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾ وقيل المراد: لا يكن في صدرك شك ولا لَبْس في كون هذا القرآن كتاب الله أنزله إليك لدعوة عباد الله إلى دين الله لتنذر الناس بالكتاب الذي أنزلنا إليك وتذكيرًا للمؤمنين كي يزدادوا ثباتًا على الحق وتمسكًا بالدين. ٣ - ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ هو القرآن العظيم، والسنة معه لأنها تبينه وتفسره، قد قال الله تعالى ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ تعبدونهم وتجعلونهم شركاء لله، وألا تتبعوا من دون كتاب الله أولياء تقلدونهم في دينكم، كما كان يفعله أهل الجاهلية من طاعة الرؤساء فيما يحللونه لهم ويحرمونه عليهم قليلاً ما تذكرون الواجب عليكم نحو ربكم. ٤ - ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا﴾ أي: أردنا إهلاكها ﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا﴾ أي: أهلكنا كثيرًا من القرى المكذبة بالحق، فكان أن جاءها عذابنا ﴿بَيَٰتًا﴾ أي: ليلاً وهم نائمون ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾﴾ والقيلولة: هي نوم نصف النهار، وقيل هي مجرد الاستراحة في ذلك الوقت لشدة الحر من دون نوم، وخص الوقتين لأنهما وقت السكون والدعة، فمجيء العذاب فيهما أشد وأفظع. ٥ - ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾ أي: فما كان دعاؤهم ربهم عند نزول العذاب إلا اعترافهم بالظلم على أنفسهم. ٦ - فلنسألن الأمم السالفة عما أجابوا به رسلهم عند دعوتهم ولنسألن الأنبياء الذين بعثهم الله، نسألهم عما أجاب به أممهم عليهم، =

قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ
وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ
فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ
﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ
صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ
وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ
اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ
شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ
لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ
مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا
مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾
فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا
يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا
عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾

= ومن أطاع منهم ومن عصى. ٧- ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم﴾ أي: على الرسل والمرسل إليهم ما وقع بينهم عند الدعوة منهم، أي: عالمين بالأمر كيف وقع بينهم حينما جاءهم الرسل ﴿وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ۝﴾ عنهم حتى يخفى علينا شيء مما وقع بينهم. ٨- وتوزن أعمال العباد يوم القيامة بالميزان وزنًا حقيقيا طبقًا للعدل الذي لا ظلم معه فمن رجحت أعماله الصالحة الموزونه فقد فاز. ٩- ومن خفت أعماله الصالحة فرجحت سيئاته ﴿فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ۝﴾ أي: يعاملونها بغير ما تستحقه من التعظيم فكذبوا بها.

١٠- ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: جعلنا لكم فيها مكانًا،وهيأنا لكم فيها أسباب المعايش. ١١- ولقد خلقنا الأرواح أولاً، ثم صورنا الأشباح ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ أمرناهم بذلك فامتثلوا الأمر، إلا إبليس أبى السجود تكبرًا. ١٢- ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ السؤال: لإقامة الحجة، وإلا فهو سبحانه عالم بذلك ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ كان المانع له من السجود بزعمه هو اعتقاده أنه أفضل من آدم، وإنكار أن يؤمر مثله بالسجود لمثله ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ۝﴾ اعتقادًا منه أن عنصر النار أفضل من عنصر الطين. ١٣- ﴿قَالَ فَاهْبِطْ﴾ من السماء التي هي محل المطيعين من الملائكة الذين لا يعصون الله فيما أمرهم، إلى الأرض التي هي مقر من يعصى ويطيع ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ فإن السماء لا تصلح لمن يتكبر ويعصى أمر ربه مثلك ﴿فَاخْرُجْ﴾ أي: من الجنة ﴿إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ۝﴾ من أهل الصغار والهوان على الله، وعلى صالحي عباده، جزاء استكبارك. وكل من تردى برداء الاستكبار، عوقب بلبس رداء الهوان والصغار، ومن لبس رداء التواضع رفع الله قدره. ١٤- ﴿قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝﴾ كأنه طلب ألا يموت أبدًا، لأن يوم البعث لا موت بعده والمراد إلى أن يبعث آدم وذريته ليوم القيامة. ١٥- ﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ۝﴾ أي: المهملين قيل: الحكمة في إنظاره: ابتلاء العباد ليعرف من يطيعه ممن يعصيه. ١٦- قال فبسبب إضلالك إياي لأجهدن في إغوائهم حتى يفسدوا بسببي كما فسدتُ بسبب تركي السجود لأبيهم. ١٧- ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ﴾ الجهات الأربع، لأنها هي التي يأتي منها العدو عدوه، وترك ذكر جهة الفوق والتحت، لأنَّ الرحمة تنزل من فوقهم، أي: سوف آتيهم من الجهات، محاولا إغواءهم عن صراطك المستقيم بكل وسيلة أقدر عليها ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ۝﴾ لتأثير وسوستي فيهم وإغوائي لهم، فهو يضلهم عن الأعمال الصالحة ويحاول إفسادها.

١٨- ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا﴾ من السماء أو الجنة ﴿مَذْءُومًا﴾ أي: مذمومًا، والمدحور: المطرود ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ۝﴾ قسم وإنذار منه تعالى لمن ترك طاعة الرحمن، واتبع سبيل الشيطان. ١٩- ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ أي: وقلنا يا آدم، وهذا القول بعد إخراج إبليس من الجنة ﴿مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ من أي نوع من أنواع ثمار الجنة شئتما أكله ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ أباح لهم جميع=

قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ
ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى
ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا
تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا
يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ
ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ
ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا
لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ
إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا۟
فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ
لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ
أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ
وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا
هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ
أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾

= شجر الجنة ما عدا هذه الواحدة وقد اختلف في نوع تلك الشجرة، ولم يرد في تعيينه خبر صحيح، ولا جدوي من البحث في ذلك. ٢٠- ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي: حدثهما بصوت خفي ﴿لِيُبْدِىَ لَهُمَا﴾ أي: ليظهر لهما ﴿مَا وُۥرِىَ﴾ أي: ما سُتِرَ وغُطِّي ﴿عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا﴾ أراد الشيطان أن يسوءهما بظهور ما كان مستورًا عنهما من عوراتهما، فإنهما كانا لا يريان عورة أنفسهما، ولا يراها أحدهما من الآخر، ثم قد قيل: إنما بدت عورتهما لهما لا لغيرهما ﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ﴾ أكل هذه الشجرة ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ لئلا تكونا ملكين ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ في الجنة، أو من الذين لا يموتون. ٢١- وحلف لهما، وقيل: إنهم أقسما له بالقول، كما أقسم لهما على المناصحة أي: فصدقه آدم وحوّاء، ولم يخطر ببالهما أنه كاذب مُضِلّ.

٢٢- والمعنى: أنه أهبطهما بذلك من الرتبة العلية، وهي رتبة الطاعة والكرامة، بما خدعهما به من اليمين الكاذبة. ولما أكلا من الشجرة ظهرت لهما عوراتهما وأخذا يقطعان الورق، قيل: هو ورق التين، ويلزقانه بعورتهما ليستراها طبقة فوق طبقة ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ﴾ قائلاً لهما ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ وهذا عتاب من الله لهما وتوبيخ، حيث خالفا أمر الله فأكلا من الشجرة بعينها، ولم يحذرا ما حذرهما منه وهو مكايدة الشيطان بقوله: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ أي: ظاهر العداوة لا يخفيها.

٢٣- ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ اعتراف بالذنب، وأنهما ظلما أنفسهما مما وقع منهما من المخالفة. ٢٤- ﴿قَالَ ٱهْبِطُوا۟﴾ والخطاب لآدم وحواء وذريتهما، ولإبليس ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ جعل العداوة نوعًا من العقوبة ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ موضع استقرار ﴿وَ﴾ لكم فيها ﴿مَتَٰعٌ﴾ تتمتعون به في الدنيا، وتنتفعون به، من المطعم والمشرب ونحوهما ﴿إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ أي إلى وقت، وهو وقت موتكم، أو المراد: إلى وقت قيام الساعة. ٢٥- قال في الأرض تحيون، وفيها يأتيكم الموت، ومنها تخرجون إلى دار الآخرة. ٢٦- يا بني آدم قد يسرنا لكم السبل لإخراج النباتات المختلفة ليكون لكم منها لباس يستر عوراتكم أو للزينة والتجمل ولباس الإيمان والعمل الصالح، والورع، واتقاء معاصي الله، والخشية من الله، فذلك خير لباس وأجمل زينة، وقيل: هو الدرع والمغفر الذي يلبسه من يجاهد في سبيل الله ذلك من دلائل قدرة الله ورحمته بعباده كي يتذكروا نعمه ويشكروه عليها. ٢٧- ويا بني آدم لا يخدعنكم الشيطان عن طاعة الله، فينزع عنكم اللباس، أو التقوى، ويحرمكم من دخول الجنة كما أخرج أبويكم منها بإغفائه لهما وتسبب في نزع لباسهما وكشف عورتهما التي كانت مستورة واحفظوا أنفسكم من رؤيته لكم عراة حيث نهاكم الله عن إبداء العورة، لأن من كان بهذه المثابة - يرى بني آدم من حيث لا يرونه - كان عظيم الكيد، وكان حقيقًا بأن يحتَرَس منه أبلغ احتراس ﴿وَقَبِيلُهُۥ﴾ أعوانه من الشياطين وجنوده. ٢٨- نزلت في طواف المشركين بالبيت عُراة، فعلوا ذلك اقتداء بآبائهم وادعوا أنهم مأمورون بذلك من جهة الله سبحانه. ووجود آبائهم على القبح لا يسوِّغ لهم فعله، والأمر من =

ربع الحزب ١٦

۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ
وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ
ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ
فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ
لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا
بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ
سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞۖ
فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٣٤﴾
يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ
ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ
كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ
فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ
بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ
رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ
قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾

= الله سبحانه لهم لم يكن بالفحشاء، بل أمرهم باتباع الأنبياء، والعمل بالكتب المنزلة، ونهاهم عن مخالفتها، ومما نهاهم عنه فعل الفواحش ﴿قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ﴾ فكيف تدَّعون ذلك عليه سبحانه فإن القول بالجهل إذا كان قبيحًا في كل شيء، فكيف إذا كان في التقوُّل على الله؟ ٢٩- ﴿قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ أي: هذه أوامر الله تعالى، فأين أمركم بالتعري والفواحش؟ والقسط العدل، وفيه أن الله سبحانه يأمر بالعدل لا كما زعموه من أن الله أمرهم بالفحشاء وصلوا له تعالى متوجهين إليه في صلاتكم إلى القبلة في أي مسجد كنتم واعبدوه حال كونكم مخلصين الدعاء أو العبادة له وحده ولا تشركوا به ﴿كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ٢٩﴾ كما أنشأكم في ابتداء الخلق يعيدكم، وقيل: كما أخرجكم من بطون أمهاتكم تعودون إليه كذلك ليس معكم شيء. ٣٠- ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾ أي: تعودون فريقين: سعداء وأشقياء، والفريق الذي ﴿حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ﴾ هم الكفار ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي إن ذلك بسبب أنهم أطاعوا الشياطين في معصية الله. ٣١- ويأمر الله تعالى عباده بالتزين وستر العورة عند الحضور إلى المساجد للصلاة والطواف ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ﴾ نهاهم عن الإسراف، فلا زهد في ترك مطعم ولا مشرب، وتاركه بالمرة قاتل لنفسه، وهو من أهل النار؛ والمقلل منه على وجه يضعف به بدنه، ويعجز عن القيام بما يجب عليه القيام به من طاعة أو سعيٍ على نفسه وعلى من يعول، مخالف لما أمر الله به وأرشد إليه؛ والمسرف في إنفاقه على وجه لا يفعله إلا أهل السفه والتبذير، مخالف لما شرعه الله لعباده، واقع في النهي القرآني. ٣٢- والزينة: ما يتزين به الإنسان من ملبوس أو غيره من الأشياء المباحة كالمعادن والجواهر ونحوها. فلا حرج على من لبس الثياب الجيدة الغالية القيمة وهكذا ﴿ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ من المطاعم والمشارب، فإنه لا زهد في ترك الطيب منها، ولهذا جاءت الآية للإنكار على من حرم ذلك على نفسه، أو حرمه على غيره، وترك أكل اللحم والطيبات المستلذات من الطعام من اللحم والفاكهة والحلويات وغيرها مما طاب كسبًا ومطعمًا فهو داخل في هذا النهي. ﴿قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي إنها لهم بالأصالة، وإن شاركهم الكفار فيها ما داموا في الحياة ﴿خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ أي: مختصة بهم يوم القيامة لا يشاركهم فيها الكفار. ٣٣- ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ﴾ المعاصي التي اشتدت شناعتها ﴿مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ﴾ أي ما أُعْلِنَ منها وما أُسِرَّ ﴿وَٱلۡإِثۡمَ﴾ يتناول كل معصية يتسبب عنها العقاب والظلم للناس المجاوز للحد وأن تجعلوا لله شريكًا لم ينزل عليكم به حجة ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣﴾ بحقيقته وأن الله قاله، وهذا مثل ما كانوا ينسبون إلى الله سبحانه من التحليلات والتحريمات التي لم يأذن بها. ٣٤- ولكل أمة وقت معين محدود يميتهم فيه إذا جاء أجل كل أمة من الأمم كان ما قدَّره عليهم واقعًا في ذلك الأجل.

٣٥- ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ﴾ المعنى: إن أتاكم رسل منكم يخبرونكم بأحكامي، ويبينونها لكم، أي فأطيعوا هؤلاء الرسل وصدّقوهم =

قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ
فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا
جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ
عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾
وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ
فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ
بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ
ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي
ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ
وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ
ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ
تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا
وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ
وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾

= وتابعوهم ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ معاصي الله ﴿وَأَصۡلَحَ﴾ حال نفسه باتباع الرسل، وإجابتهم ﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ من ظلم أو عذاب ينالهم ﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ يوم القيامة على ما أصابهم في الدنيا.

٣٦- ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ التي يقصها عليهم رسلنا ﴿وَٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ عن إجابتها والعمل بما فيها فـ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ لا يخرجون منها، بسبب كفرهم. ٣٧- ولا أحد أظلم ممن اقترف معصية الكذب على الله، فشرع من الدين ما لم يأذن الله به، أو كذب بما جاءت به الرسل ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الكاذبون على الله، والمكذبون لما أتاهم من الله ﴿يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ﴾ أي: مما كتب الله لهم من خير وشر، حتى إذا جاء ملك الموت وأعوانه قالوا أين الآلهة التي كنتم تدعونها من دون الله وتعبدونها؟ ابحثوا عنها لتنفعكم اليوم قالوا: ذهبوا عنا وغابوا فلا ندري أين هم؟ وأقرّوا بالكفر على أنفسهم.

٣٨- ادخلوا في جملة الأمم التي قد مضت من الأمم الماضية من قبلكم ﴿مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ﴾ وهم الكفار من الطائفتين من الأمم الماضية ﴿لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ﴾ أي: الأخرى التي سبقتها إلى النار والتدارك: التلاحق والتتابع والاجتماع في النار قالت: أخراهم دخولاً، وهم رؤساؤهم وكبارهم ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾ فإن المضلين هم الرؤساء، ويجوز أن يراد أنهم أضلوهم لأنهم تبعوهم واقتدوا بدينهم من بعدهم، لأن أخراهم تبعت دين أولاهم ﴿فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ﴾ الضعف: الزائد على مثله مرة أو مرات قال لكل طائفة منكم ضعف العذاب: أي الطائفة الأولى، والطائفة الأخرى. ٣٩- ﴿وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ﴾ قال السابقون للاحقين، أو المتبوعون للتابعين ﴿فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ﴾ أي تخفيف من العذاب، فإن العبرة بكسب الإنسان وعمله، ولا عذر له في اتباع الباطل، بل الفريقان سواء في الكفر بالله واستحقاق عذابه ﴿فَذُوقُواْ﴾ عذاب النار كما ذقناه ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾ من معاصي الله والكفر به. ٤٠- لا تفتح أبواب السماء لأرواحهم إذا ماتوا، وقيل: لا تفتح أبواب السماء لأدعيتهم إذا دعوا ولا تقبل، بل تردّ عليهم فيضرب بها في وجوههم ولا يدخلون الجنة بحال من الأحوال، ولهذا علقه بالمستحيل، فقال: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ﴾ وخص سمّ الخياط، وهو ثقب الإبرة، لكونه غاية في الضيق، والجمل: الذكر من الإبل، وقيل الحبل الغليظ من القِنَّب. ٤١- ﴿مِهَادٞ﴾ المهاد: الفُرُش ﴿غَوَاشٖۚ﴾ الغواشي: اللحف، أي: نيران تغشاهم من فوهم كالأغطية. ٤٢- نكلف العباد بما يدخل تحت وسعهم ويقدرون عليه، ولا نكلفهم ما لا يدخل تحت وسعهم. ٤٣- ينزع الله ما في قلوبهم من الحقد بعضهم على بعض، حتى تصفو قلوبهم، ويودّ بعضهم بعضًا، فإن الغلّ لو بقي في ذلك تنغيص لنعيم الجنة، لأن المتشاحنين لا يطيب لأحدهم عيش مع وجود الآخر، والغلّ: الحقد الكامن في الصدور، وقيل نزع الغلّ في الجنة ألا يحسد بعضهم بعضًا في تفاضل=

وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا
فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن
لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا
عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ
رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ
لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ
أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ
ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ
وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ
ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ
﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا
مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى
ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا
وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ
لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٥١﴾

نصف الحزب ١٦

= المنازل ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ أي: لهذا الجزاء العظيم، وهو الخلود في الجنة، ونزع الغلّ من صدورهم، بالهداية لسببه من الإيمان والعمل الصالح في الدنيا ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ﴾ نطيق أن نهتدي بهذا الأمر لولا هداية الله لنا ﴿لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ﴾ قالوا هذا اغتباطًا بما صاروا فيه ﴿وَنُودُوٓاْ﴾ ورثتم منازلها بعملكم ولولا التفضل من الله سبحانه وتعالى على العامل بإقداره على العمل لم يكن عمل أصلاً. ٤٤- ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ أي: ينادونهم بعد أن يستقرّ كلٌّ من الفريقين في منزله ﴿أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا﴾ أي: إنا قد وصلنا إلى ما وعدنا الله به من النعيم، فهل وصلتم إلى ما وعدكم الله به من العذاب الأليم؟ قالوا: نعم وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فنادى مناد بين الفريقين، قيل: هو من الملائكة. ٤٥- والذين يمنعون الناس عن سلوك سبيل الحق وينفّرون الناس عنها، ويقدحون في استقامتها بقولهم إنها غير حق، وإن الحق ما هم فيه. ٤٦- ﴿وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ﴾ أي: بين الفريقين، أو بين الجنة والنار، والحجاب هو السور والأعراف: هي شرفات السور المضروب بينهم. والأعرف في اللغة: المكان المرتفع، أصحاب الأعراف: هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، قد قصّرت بهم أعمالهم عن دخول الجنة، ثم يدخلون الجنة بفضل الله ورحمته، وهم آخر من يدخلها؛ يعرفون بعلامتهم كبياض الوجوه وسوادها ونادى رجال الأعراف أصحاب الجنة حين رأوهم ﴿أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ تحية لهم وإكرامًا وتبشيرًا لم يدخل الجنة أصحاب الأعراف، ولكنهم يطمعون في دخولها. ٤٧- ﴿۞ وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ﴾ أي: قال أهل الأعراف ﴿رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ سألوا الله ألا يجعلهم منهم. ٤٨- ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا﴾ من الكفار ﴿يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ﴾ أي: بعلاماتهم ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ﴾ الذي كنتم تجمعون للصدّ عن سبيل الله وما أغنى عنكم استكباركم.

٤٩- ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ﴾ قالوا للكفار مشيرين إلى المسلمين الذين صاروا إلى الجنة هذه المقالة ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾﴾ من قول أصحاب الأعراف: أي قالوا للمسلمين ادخلوا الجنة، وقيل: إن هذا الكلام يقال لأصحاب الأعراف أنفسهم فيدخلهم ربهم الجنة برحمته. عن السدّي قال: أصحاب الأعراف يعرفون الناس بسيماهم: أهل النار بسواد وجوههم، وأهل الجنة ببياض وجوههم، فإذا مروا بزمرة يُذْهَب بهم إلى الجنة قالوا: سلام عليكم، وإذا مروا بزمرة يذهب بها إلى النار، قالوا: ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين. ٥٠- ﴿أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ﴾ طلبوا منهم أن يواسوهم بشيء من الماء، أو بشيء من الأشربة أو الأطعمة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا﴾ أي: الماء وما رزقهم الله من غيره ﴿عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾ فلا نواسيكم بشيء مما حرّمه الله عليكم.

٥١- ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ﴾ نتركهم في النار كنسيانهم لقاء يومهم هذا ﴿وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾ أي: ينكرونها.

وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ
ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا
مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ
قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾
إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ
أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا
وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ
وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا
وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى
ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ
ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ
ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا
ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ
ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

٥٢- ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم﴾ بالقرآن، والتفصيل التبيين عالمين بما نفصّله.

٥٣- هل ينتظرون إلا ما وعدوا به في الكتاب من العقاب الذي يئول الأمر إليه يوم القيامة ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ﴾ أي: تركوه من قبل أن يأتي تأويله ﴿قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ أي: أقروا به حيث لا ينفعهم الإقرار برسالات الرسل ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ﴾ معناه: التمني ﴿فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ﴾ عند ربنا فيعفينا من عذاب النار ﴿أَوْ نُرَدُّ﴾ أو يشفعوا لنا حتى يرجعنا الله إلى الدنيا، ﴿فَنَعْمَلَ﴾ أي: أننا إن رجعنا نعمل ﴿غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ أي: غير ما كنا نعمل من المعاصي ﴿قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ أي لم ينتفعوا بها فكانت أنفسهم بلاء عليهم ومحنة لهم، فكأنهم خسروها كما يخسر التاجر رأس ماله ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ بطل كذبهم الذي كانوا يقولونه في الدنيا، أو غاب عنهم ما كانوا يجعلونه شريكًا لله، فلم ينفعهم.

٥٤- قيل: هذه الأيام من أيام الدنيا، وقيل: من أيام الآخرة، وقيل: هذه الأيام الست أوّلها الأحد وآخرها الجمعة، وهو سبحانه قادر على خلقها في لحظة واحدة، يقول لها: كوني فتكون، ولكن لكل شيء عنده أجل، والاستواء: هو العلوّ والاستقرار، والله أعلم بكيفية ذلك، بل على الوجه الذي يليق بجلاله تعالى. والعرش: هو سرير الملك. عن أم سلمة قوله ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ الكيف غير معقول، والاستواء غير مجهول، والإقرار به إيمان، والجحود كفر. وعن مالك أن رجلا سأله كيف استوى على العرش؟ فقال: الكيف غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، يجعل الليل كالغشاء للنهار فيغطي بظلمته ضياءه وحال كون الليل طالبًا للنهار طلبًا سريعًا لا يفتر عنه بحال ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ﴾ خلقها تسير طبقًا لما أراده الله منها دون تخلف ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ أي: أن الكون كله خلقه، والأمر فيه أمره ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ أي: كثرت بركته واتسعت. ٥٥- ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾ أي: بضراعة وتذلل وابتهال ورغبة إليه تعالى. ﴿وَخُفْيَةً﴾ الخفية: الإسرار به، فإن ذلك أقطع لعرق الرياء ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ أي: المجاوزين لما أمروا به في الدعاء وفي كل شيء. ومن الاعتداء في الدعاء، كأن يسأل الداعي ما ليس له كالخلود في الدنيا، أو إدراك ما هو محال في نفسه، أو يطلب الوصول إلى منازل الأنبياء في الآخرة، أو يرفع صوته بالدعاء صارخًا به. ٥٦- ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بقتل الناس، وتخريب منازلهم، وقطع أشجارهم، وتغوير أنهارهم. ومن الفساد في الأرض: الكفر بالله، والوقوع في معاصيه بعد أن أصلحها الله بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وتقرير الشرائع خائفين من الله ألا يستجيب لكم طامعين في استجابته ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ وفي هذا ترغيب للعباد إلى الخير وتنشيط لهم. ٥٧- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى﴾ =

وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ
إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ٥٨
لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم
مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ٥٩
قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ٦٠ قَالَ
يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ
٦١ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ
مَا لَا تَعْلَمُونَ ٦٢ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ
رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ٦٣ فَكَذَّبُوهُ
فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟
بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ٦٤ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ
هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ
٦٥ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى
سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ٦٦ قَالَ يَٰقَوْمِ
لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٦٧

١٥٨

ثلاثة أرباع الحزب ١٦

= ﴿يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾ يتضمن ذكر نعمة من النعم التي أنعم بها على عباده، مع ما في ذلك من الدلالة على وحدانيته، وثبوت إلاهيته ﴿بُشْرًۢا﴾ أي: الرياح تبشر بالمطر حتى إذا حملت الرياح سحابًا قد ثقلت بالماء الذي صارت تحمله ﴿سُقْنَٰهُ﴾ أي: السحاب ﴿لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ أي: مجدب ليس فيه نبات. فأنزلنا الماء بالبلد فأخرجنا بالماء ﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ أي من جميع أنواعها ومثل إخراج الثمرات نخرج الموتى من القبور يوم حشرهم فحيث أمكن بقدرة الله تعالى إخراج الثمر على تلك الصورة العجيبة، فما الذي يعجزه عن إخراج الموتى من قبورهم ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ٥٧﴾ فتعلمون بعظيم قدرة الله وبديع صنعته، وإنه قادر على بعثكم. ٥٨- والتربة الطيبة تخرج نباتها بإذن الله وتيسيره إخراجًا حسنًا تامًّا وافيا ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ أي: والتربة الخبيثة لا يخرج نباتها إلا نكدًا، أي: لا خير فيه. هذا مثل للقلوب، فشبه القلب القابل للوعظ بالبلد الطيب، والنائي عنه بالبلد الخبيث ﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ٥٨﴾ الله ويعترفون بنعمته. ٥٩- ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ نوح أوّل الرسل إلى أهل الأرض بعد آدم، وكان بأرض العراق، وقيل: إن إدريس قبلا نوح ﴿فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ أي: اعبدوه لأنه لم يكن لكم إله غيره حتى يستحق منكم أن يكون معبودًا ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي: إن لم تعبدوه أخاف عليكم عذاب يوم القيامة، أو عذاب يوم الطوفان. ٦٠- ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ﴾ الملأ: أشراف القوم ورؤساؤهم ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ﴾ في دعائك إلى عبادة الله وحده ﴿فِى ضَلَٰلٍ﴾ عن طريق الحق. ٦١- ﴿وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٦١﴾ أرسلني إليكم لسوق الخير إليكم، ودفع الشر عنكم، نفى عن نفسه الضلالة، وأثبت لها الرسالة. ٦٢- ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى﴾ ما أرسله الله به إليهم مما أوحاه إليه ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ أخلص النية لكم عن شوائب الفساد، بل أريد صلاح أموركم ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٦٢﴾ بإخبار الله له بذلك. ٦٣- أستبعدتم، أو أكذبتم، أو أنكرتم وعجبتم ﴿أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي وحي وموعظة ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ﴾ أي: على لسان رجل منكم تعرفونه ليس من جنس آخر كالملائكة والجنّ فتنفروا عنه، بل هو بشر مثلكم تأنسون به، وهو رجل منكم تعرفونه منذ نشأ، لا ضالاً ولا كذّابًا ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ٦٣﴾ بسبب ما يفيده الإنذار لكم، والتقوى منكم، من التعرّض لرحمة الله سبحانه لكم، ورضوانه عنكم. ٦٤- ﴿فِى ٱلْفُلْكِ﴾ وهي السفينة التي أمره الله تعالى ببنائها لينجو عليها هو ومن معه من المؤمنين من خطر الطوفان ﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ واستمروا على ذلك ولم يرجعوا إلى التوبة وأغرقنا المكذبين لكونهم عمي القلوب، لا تنجع فيهم الموعظة، ولا يفيدهم التذكير. وقد فَصَّلَ الله تعالى قصة نوح وقومه، وكيف أنجاه في السفينة وأغرق قومه =

أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ
أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْۚ
وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ
فِي ٱلْخَلْقِ بَصۜۡطَةًۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ
﴿٦٩﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ
يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَاۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ
﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌۖ
أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم
مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ
ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا
وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ
﴿٧٢﴾ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ
مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن
رَّبِّكُمْۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةًۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ
فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾

١٥٩

= بالطوفان، انظر سورة هود (الآيات ٣٥-٤٨). ٦٥- وأرسلنا إلى قبيلة عاد أخاهم هودًا أي: واحدًا من قبيلتهم. ٦٦- ﴿سَفَاهَةٍ﴾ السفاهة: الخفة والحمق، نسبوه إلى الخفة والطيش زورًا وكذبًا ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ مؤكدين ظنهم كذبه فيما ادعاه من الرسالة. ٦٨- ﴿أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ الأمين: المعروف بالأمانة، وهي ضد الخيانة والصدق، أي فلم أغير في رسالة الله شيئًا. ٦٩- ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ أذكرهم نعمة من نعم الله عليهم، أي: جعلهم سكان الأرض بعد هلاك قوم نوح، أو جعلهم ملوكًا وزادكم في الخلق طولاً في الخلق، وعظم جسم، زيادة على ما كان عليه غيرهم في الأبدان فاذكروا نعمه عليكم، ومن جملتها نعمة الاستخلاف في الأرض، والبسطة في الخلق، وغير ذلك مما أنعم به عليهم ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾ لأن الذكر للنعمة سبب باعث على شكرها، ومن شكر فقد أفلح. ٧٠- ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ﴾ وإنما كان هذا مستنكرًا عندهم لأنهم وجدوا آباءهم على خلاف ما دعاهم إليه ونترك الذي كانوا يعبدونه ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾﴾ هذا استعجال منهم للعذاب الذي كان هود يعدهم به، لشدة تمردهم على الله. ٧١- قد استحققتم عذاب الله وغضبه فهو واقع بكم لا محالة، جعل ما هو متوقع كالواقع، تنبيهًا على تحقق وقوعه، والرجس: العذاب الشديد ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسْمَآءٍ﴾ يعني: أسماء الأصنام التي كانوا يعبدونها، جعلها مجرد أسماء، لأن مسمياتها لا حقيقة لها، بل تسميتها بالآلهة باطلة، فكأنها معدومة لم توجد، بل الموجود أسماؤها فقط ﴿سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ أي: سميتم بها معبوداتكم من جهة أنفسكم أنتم وآباؤكم، ولا حقيقة لذلك. ﴿مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ أي: من حجة تحتجون بها على ما تدّعونه لها من الدعاوى الباطلة. ثم توعّدهم بأشدّ وعيد، فقال: فانتظروا ما طلبتموه من العذاب، فإني معكم من المنتظرين له وهو واقع بكم لا محالة. ونازل عليكم ولا شك. ٧٢- وأخبر الله سبحانه أنه نجّى هودًا ومن معه من المؤمنين به من العذاب النازل بمن كفر به ولم يقبل رسالته واستأصلنا هؤلاء القوم الجامعين بين التكذيب وعدم الإيمان.

٧٣- وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحًا وثمود قبيلة بين الحجاز والشام قرب وادي القرى وأمرهم بعبادة الله التي لأجلها خلق الله الخلق، وأخبرهم أن العبادة لا تصلح إلا لله وحده، وهذان الأمران هما خلاصة دعوة الرسل، كما قال الله تعالى ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: معجزة ظاهرة، وهي إخراج الناقة من الحجر الصلد ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾ أي: دعوها تأكل في أرض الله، فهي ناقة الله، والأرض أرضه، فلا تمنعوها مما ليس لكم ولا تملكونه ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا﴾ بشيء من السوء، أي: لا تتعرضوا لها بوجه من الوجوه التي تسوؤها وتضرّها.

وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ
فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ
ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ
مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن
قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ
أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ
مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ
ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ
أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ
ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ
جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ
رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ
﴿٧٩﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم
بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ
شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾

١٦٠

٧٤- ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ﴾ أي: استخلفكم في الأرض، أو جعلكم ملوكًا فيها وجعل لكم فيها مباءة، وهي المنزل الذي تسكنونه ﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا﴾ ترابها يتخذون منه اللبن والآجُرَّ ونحو ذلك، فيبنون به القصور ﴿وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ كانوا لقوتهم وصلابة أبدانهم ينحتون الجبال، فيتخذون فيها كهوفًا يسكنون فيها، قيل: لأن الأبنية والسقوف كانت تفنى قبل فناء أعمارهم ﴿فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾ تقدم تفسيره في القصة التي قبل هذه ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾﴾ لا تكثروا فيها من الفساد.

٧٥- ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ أي: قال الرؤساء المستكبرون من قوم صالح للمستضعفين الذين استضعفهم المستكبرون ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ قالوا: هذا على طريق الاستهزاء والسخرية ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾﴾ أي: قال المؤمنون أتباع صالح: لسنا فقط نعلم صدقه، بل نؤمن به ونتبعه ونطيع أمره. ٧٧- ﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ﴾ قتلوها بنحرها، أو قطع عرقوبها، وإنما عقرها واحد منهم، لكن كان ذلك برضاهم وموافقتهم، فلذلك نسبه إليهم، استكبروا وعاندوا ﴿وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ أي: من العذاب، قالوا ذلك تحديًا واستخفافًا.

٧٨- ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ أي: الزلزلة، وقيل: وكانت صيحة شديدة خلعت قلوبهم ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ﴾ أي: بلدهم ﴿جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾ لاصقين بالأرض على ركبهم ووجوههم كما يجثم الطائر، ميتين لا حراك بهم.

٧٩- ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ ذهب عن أرضهم موليًا لهم ظهره عند اليأس من إجابتهم ﴿وَقَالَ﴾ لهم هذه المقالة ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾ أبان عن نفسه أنه لم يألُ جهدًا في إبلاغهم الرسالة ومحض النصح، لكن أبوا ذلك، فحق عليهم العذاب، ونزل بهم ما كذّبوا به واستعجلوه ويحتمل أنه قال لهم هذا بعد موتهم، فتحسر على ما فاتهم من الإيمان والسلامة من العذاب. ٨٠- وأرسلنا لوطًا، ولوط هو ابن أخي إبراهيم، هاجَرَ مع عمه إبراهيم من أرض العراق إلى أرض بيت المقدس، فأرسله الله رسولاً إلى قرية تسمى سدوم، بقرب بيت المقدس ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ أي: الخصلة الفاحشة الشديدة شناعتها، وهي اللواط لم يفعلها أحد قبلكم، فإن اللواط لم يكن في أمة من الأمم. ٨١- ولا غرض لهم إلا مجرد قضاء الشهوة من غير أن يكون لهم في ذلك غرض يوافق العقل والفطرة السليمة، فهم في هذا كالبهائم التي ينزو بعضها على بعض، لما يتقاضاها من الشهوة ﴿مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾ وهن محل لقضاء الشهوة، وموضع لطلب اللذة ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾ إخبار لهم بأن هذا الخروج عن مقتضى الفطرة، إنما سببه الإسراف والخروج عن حدّ الاعتدال البشري.

وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن
قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ
إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم
مَّطَرًاۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾
وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًاۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ
مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن
رَّبِّكُمْۖ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ
ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ
إِصْلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ
﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ
عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًاۚ
وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْۖ وَٱنظُرُواْ
كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ
مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ
فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَاۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾

٨٢- وما كان جواب الواقعين في هذه الفاحشة عما أنكره عليهم منها ﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم﴾ أي: لوطًا وأتباعه ﴿مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾ وكان حق قوم لوط أن يصدقوا نبوته ويطيعوا أمره ويجيبوه بالموافقة، لكنهم أجابوا بهذا الجواب الذي ينبعث من نفوسهم الخبيثة وفطرتهم المنكوسة ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ يتنزهون عن الوقوع في هذا العمل، فلا يساكنوننا في قريتنا.

٨٣- فأنجى الله لوطًا وأهله إذ أخرجهم من سَدُوم في الليلة التي وقع العذاب على تلك القرية في صبيحتها، في قصة فصلتها سورة هود واستثنى امرأته من الأهل، لكونها لم تؤمن به ﴿كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾﴾ من الباقين في عذاب الله. ٨٤- ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ غير ما يعتادونه، والمطر كان هو رميهم بالحجارة كما في قوله: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾﴾ وسيأتي في سورة هود تفصيل قصة لوط بأبين مما هنا. ٨٥- وأرسلنا إلى مدين وهي قبيلة من ولد إبراهيم رسولاً منهم هو نبي الله شعيب ودعاهم إلى الله، وذكرهم بأنهم قومه، وأنه واحد منهم، يحبّ ما فيه صلاحهم، وأمَرهم بتوحيد الله وإفراده بالعبادة، وذلك رأس دعوة الرسل. وأنكر أن يكون شيء مما تخذوه آلهة قد كان إلهًا بحق، بل هي باطلة زائلة وكانوا أهل معاملة بالكيل والوزن وكانوا لا يوفونها فأمرهم أن يوفوا الكيل والميزان ولا ينقصوا الناس شيئًا من حقوقهم والبخس: النقص، وهو يكون بالتعييب للسلعة، أو التزهيد فيها، أو المخادعة لصاحبها والاحتيال عليه، وكل ذلك من أكل أموال الناس بالباطل. وقيل: كانوا مكاسين يمكسون كل ما دخل إلى أسواقهم ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ تقدم تفسيره قريبًا.

٨٦- ﴿وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ﴾ الصراط: الطريق ﴿تُوعِدُونَ﴾ الناس بالعذاب، قيل: كانوا يقعدون في الطرقات المفضية إلى شعيب، فيتوعدون من أراد المجيء إليه، ويقولون: إنه كذاب فلا تذهب إليه ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ والمراد بالصد عن سبيل الله صد الناس عن الطريق الذي قعدوا عليه، ومنعهم من الوصول إلى شعيب وقيل: المراد نهيهم عن القعود على طرق الدين ومنع من أراد سلوكها وليس المراد القعود على الطرق حقيقة ﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ أي: تطلبون لسبيل الله أن تكون معوجة غير مستقيمة ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا﴾ عددكم ﴿فَكَثَّرَكُمْ﴾ بالنسل، وقيل: كنتم فقراء فأغناكم ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾ من الأمم الماضية، فإن الله أهلكهم ومحا أثرهم.

٨٧- ﴿فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَاۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ وحكم الله بين الفريقين هو كالحكم بين الخصمين: القضاء بينهما، ونصر المحقين على المبطلين. وفيها أمر للمؤمنين بالصبر على ما يحل بهم من أذى الكفار حتى ينصرهم الله عليهم.

قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوۡ
كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنۡ عُدۡنَا فِي مِلَّتِكُم
بَعۡدَ إِذۡ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنۡهَاۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ
ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ
بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعۡتُمۡ شُعَيۡبًا إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ
﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾
ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَاۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا
كَانُواْ هُمُ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ
أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ
عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ
أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ
بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدۡ مَسَّ
ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩٥﴾

١٦٢

٨٨- قال الأشراف المستكبرون ﴿لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ﴾ لم يكتفوا بترك الإيمان والتمرد عن الإجابة، بل جاوزوا ذلك بغيًا وبطرًا وأشرًا، إلى توعّد نبيهم ومن آمن به، بالإخراج من قريتهم، أو عوده هو ومن معه في ملتهم الكفرية: أي لا بد من أحد الأمرين: إما الإخراج أو العود ﴿قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾﴾ أي: أتعيدوننا في ملتكم في حال كراهتنا للعود إليها، أو: أتخرجوننا من قريتكم في حال كراهتنا للخروج منها، فليس لكم ذلك ولا يصح لكم أن تكرهونا على ما لا نريد، فإن المكره لا اختيار له، ولا تعد موافقته موافقة، ولا عوده عودًا. ٨٩- ﴿قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنۡ عُدۡنَا فِي مِلَّتِكُم﴾ التي هي الشرك ﴿بَعۡدَ إِذۡ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنۡهَا﴾ بالإيمان وما يصح لنا ولا يستقيم ﴿أَن نَّعُودَ فِيهَآ﴾ بحال من الأحوال بعد ما نجانا الله منها إلا أن يشاء الله ذلك وأحاط سبحانه علمه بكل الموجودات عليه اعتمدنا في أن يثبتنا على الإيمان، ويحول بيننا وبين الكفر وأهله، ويتم علينا نعمته، ويعصمنا من نقمته ﴿رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ﴾ أي: احكم بيننا وبين الكفر وأهله، ويتم علينا نعمته، ويعصمنا من نقمته ﴿رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ﴾ أي: احكم بيننا وبين قومنا بالحق، بنصر المحقين على المبطلين، فكأنهم طلبوا نزول العذاب بالكافرين. ٩٠- لئن دخلتم في دينه وتركتم دينكم ﴿إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ وخسرانهم: هلاكهم، أو ما يخسرونه بسبب إيفاء الكيل والوزن، وترك التطفيف الذي كانوا يعاملون الناس به. ٩١- فأخذتهم الزلزلة، وقيل: الصيحة ﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾﴾ قد تقدم تفسيره في قصة صالح. ٩٢- وأصبحت بعد العذاب خرابًا خالية، يقال: غَنِيتُ بالمكان: إذا أقمت به، أي: كأن لم يقيموا في دارهم، لأن الله سبحانه استأصلهم بالعذاب ﴿كَانُواْ هُمُ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾ لأنفسهم وما ملكوا.

٩٣- فتولى شعيب لما شاهد نزول العذاب بهم ﴿فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ﴾ أي: أحزن ﴿عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾ بالله مصرين على كفرهم متمردين عن الإجابة. ٩٤- ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ﴾ من الأنبياء، فكذّب أهلها، إلا أخذناهم ﴿بِٱلۡبَأۡسَآءِ﴾ البؤس والفقر ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ الضر والمرض لكي يتضرعوا ويتذللوا، فيدَعوا ما هم عليه من الاستكبار وتكذيب الأنبياء.

٩٥- ثم بعد الأخذ لأهل القرى بأحوال الفقر والمرض، ولم يتعظوا، بدلناهم ﴿مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ﴾ التي أصبناهم بها من البلاء والامتحان ﴿ٱلۡحَسَنَةَ﴾ أي: الخصلة الحسنة، فصاروا في خير وسعة وأمن ﴿حَتَّىٰ عَفَواْ﴾ كثروا في أنفسهم وفي أموالهم ﴿وَّقَالُواْ قَدۡ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾ أي: إن هذا الذي مسّنا من البأساء والضراء، ثم من الرخاء والخصب من بعد، هو أمر وقع لآبائنا قبلنا مثله، ومعناهم أن هذه هي العادة الجارية في السلف والخلف، ولم يصدّقوا أن ذلك من الله سبحانه ابتلاء لهم، وعقوبة على ظلمهم ﴿فَأَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ﴾ أي: فجأة عقب أن قالوا هذه المقالة من دون تراخ ولا إمهال ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩٥﴾﴾ بذلك ولا يترقبونه.

وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ
يَكۡسِبُونَ ٩٦ أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا بَيَٰتٗا
وَهُمۡ نَآئِمُونَ ٩٧ أَوَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا
ضُحٗى وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ٩٨ أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ
مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩٩ أَوَلَمۡ يَهۡدِ لِلَّذِينَ
يَرِثُونَ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ أَهۡلِهَآ أَن لَّوۡ نَشَآءُ أَصَبۡنَٰهُم
بِذُنُوبِهِمۡۚ وَنَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ١٠٠
تِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآئِهَاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم
بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبۡلُۚ
كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٠١ وَمَا وَجَدۡنَا
لِأَكۡثَرِهِم مِّنۡ عَهۡدٖۖ وَإِن وَجَدۡنَآ أَكۡثَرَهُمۡ لَفَٰسِقِينَ
١٠٢ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ
فَظَلَمُواْ بِهَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٠٣
وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠٤

٩٦- ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ﴾ التي أرسلنا إليها رسلنا ﴿ءَامَنُواْ﴾ بالرسل المرسلين إليهم ﴿وَٱتَّقَوۡاْ﴾ ما صمموا عليه من الكفر، ولم يصروا على ما فعلوا من القبائح ﴿لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: يسرنا لهم خير السماء والأرض، كما يحصل التيسير للأبواب المغلقة بفتح أبوابها، والمراد بخير السماء: المطر، وخير الأرض: النبات وسائر الخيرات ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُواْ﴾ بالآيات، والأنبياء، ولم يؤمنوا، ولا اتقوا ﴿فَأَخَذۡنَٰهُم﴾ بالعذاب ﴿بِـ﴾ سبب ﴿مَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٩٦﴾ من الذنوب.

٩٧- ﴿أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ﴾ هم أهل القرى المذكورة قبله، وقيل: المراد بالقرى مكة وما حولها لتكذيبهم للنبي ﷺ ﴿أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا بَيَٰتٗا﴾ أي: في الليل.

٩٨- ﴿ضُحٗى﴾ ضحوة النهار، إذا أشرقت الشمس وارتفعت ﴿وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ٩٨﴾ أي: يشتغلون بما لا يعود عليهم بفائدة. ٩٩- ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِ﴾ ما يدبره لهم من العقوبة وهم لا يشعرون. وقيل: مكر الله هنا هو استدراجه لهم بالنعمة والصحة. ١٠٠- ألم يتبين لمن يسكن الأرض بعد إهلاك أصحابها، أن الله لو شاء أهلكهم بذنوبهم كما أهلك من كان يسكن تلك الأرض قبلهم ﴿وَنَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ١٠٠﴾ الطبع الختم والإغلاق فلا ينفذ إليها شيء أي ولكنهم صاروا بسبب الطبع على قلوبهم، لا يسمعون ما يتلوه عليهم، من أرسله الله إليهم، من الوعظ، والإعذار، والإنذار، فلا يتبينون هذا الأمر مع وضوحه، لعدم الفرق بينهم وبين من قبلهم. ١٠١- ﴿تِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰ﴾ أي: التي أهلكناها، وهي قرى: قوم نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، المتقدم ذكرها ﴿نَقُصُّ عَلَيۡكَ﴾ أي: نتلو عليك من أخبارها ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ﴾ عند مجيء الرسل بالمعجزات بسبب ﴿بِمَا كَذَّبُواْ﴾ به ﴿مِن قَبۡلُۚ﴾ مجيئهم بها، أو فلما رأوها لم يؤمنوا بما كذبوا به من قبل رؤيتها، بل حالهم عند مجيئهم بها كحالهم قبله ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٠١﴾ فلا ينجع فيهم بعد ذلك وعظ، ولا تذكير، ولا ترغيب ولا ترهيب. ١٠٢- ودأبهم نقض العهود في كل حال، والمراد بالعهد: هو المأخوذ عليهم في عالم الذر، وقيل: هم الكفار على العموم، لا عهد لهم ولا وفاء، والقليل منهم قد يفي بعهده ويحافظ عليه وقد وجدنا أكثرهم خارجين عن طاعتنا خروجًا شديدًا. عن ابن عباس في قوله: ﴿وَإِن وَجَدۡنَآ أَكۡثَرَهُمۡ لَفَٰسِقِينَ ١٠٢﴾ قال: ذاك أن الله إنما أهلك القرى لأنهم لم يكونوا حفظوا ما وصاهم به الله. ١٠٣- ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ أي: المعجزات الآتي ذكرها. من الحية، واليد، وغيرهما ﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ﴾ ملك مصر، وكل من كان يملك أرض مصر كان يسمى فرعون ﴿وَمَلَإِيْهِۦ﴾ أشراف قومه، وتخصيصهم بالذكر لأن من عداهم كالأتباع لهم ﴿فَظَلَمُواْ بِهَا﴾ أي: كذبوا بها، والتكذيب بها هو أصدق الصدق ظلم عظيم. وقيل المعنى: ظلموا الناس بسببها لما صدوهم عن الإيمان بها، أو ظلموا أنفسهم بسببها ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٠٣﴾ أي: نهاية أمر المكذبين بالآيات الكافرين بها. ١٠٤- ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠٤﴾ ومن كان =

حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم
بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ
جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ
عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ
لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ
عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾
قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ
بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ
لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ
لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن
نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟
أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾
۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا
يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟
هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾

ربع الحزب ١٧

= مرسلاً من جهة من هو رب العالمين أجمعين، فهو حقيق بالقبول.

١٠٥- ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ أي: أنا حريص على أن أخبركم بما أرسلت به كما هو، وأنا جدير بذلك ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: بما يتبين به صدقي، وأني رسول من رب العالمين ﴿فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾﴾ طلب منه أن يترك بني إسرائيل يذهبون معه ويرجعون إلى الأرض المقدسة. وقد كانوا باقين لديه مستبعدين ممنوعين من الرجوع إلى وطنهم. ١٠٦- ﴿قَالَ﴾ له فرعون: ﴿إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ﴾ من عند الله كما تزعم ﴿فَأْتِ بِهَآ﴾ حتى نشاهدها وننظر فيها. ١٠٧- ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ﴾ حية عظيمة من ذكور الحيات ﴿مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ أن كونها حية في تلك الحال أمر مرئي ظاهر واضح لا لبس فيه. ١٠٨- ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾ أي: أخرجها وأظهرها من جيبه، أو من تحت إبطه فإذا هي بيضاء تتلألأ نورًا يظهر لكل مبصر دون أن يكون بها برص. ١٠٩- قال الأشراف لما شاهدوا انقلاب العصا حية، ومصير يده بيضاء من غير سوء ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ أي: موسى ﴿لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾﴾ أي: كثير العلم بالسحر. ١١٠- ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾ هي أرض مصر ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾﴾ أي: قال بعضهم لبعض ماذا تأمرون به من الرأي؟ ١١١- قال الملأ جوابًا لكلام فرعون: أرجئ موسى وأخاه وأخرهما إلى وقت آخر وأرسل جماعة في المدائن التي فيها السحرة حتى يحضروهم إليك.

١١٢- يأتيك هؤلاء الذين أرسلتهم بكل ماهر في السحر كثير العلم بصناعته. ١١٣- فبعث في المدائن حاشرين وجاء السحرة فرعون وسألوا فرعون أن يجعل لهم جعلا إن غلبوا موسى بسحرهم. ١١٤- فأجابهم فرعون بقوله إن لكم لأجرًا، وإنكم مع هذا الأجر المطلوب منكم لمن المقربين لدينا، وَعَدَهم بالمناصب. ١١٥- وخيروا موسى بين أن يبتدئ بإلقاء ما يريد إلقاءه أو يتبدئوه هم بذلك، ثقة من أنفسهم بأنهم غالبون وإن تأخروا. ١١٦- فأجابهم موسى بقوله ﴿أَلْقُوا۟﴾ اختار أن يكونوا المتقدمين عليه بإلقاء ما يلقونه غير مبال بهم ولا هائب لما جاءوا به ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟﴾ أي: حبالهم وعصيهم ﴿سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: غيروها عن صحة إدراكها بما جاءوا به من التمويه والتخييل الذي يفعله المشعوذون وأهل الخفة ﴿وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ أي: أدخلوا الرهبة في قلوبهم إدخالاً شديدًا ﴿وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾ في أعين الناظرين لما جاءوا به، وإن كان لا حقيقة له في الواقع. ١١٧- فإذا العصا تبتلع حبالهم وعصيهم، وسماه إفكًا لأنه لا حقيقة له في الواقع، بل هو كذب وزور وتمويه وشعوذة. ١١٨- ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ﴾ أي: ظهر وتبين لما جاء به موسى ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾﴾ من سحرهم، أي: تبين بطلانه. ١١٩- ﴿فَغُلِبُوا۟﴾ أي: السحرة ﴿هُنَالِكَ﴾ أي: في الموقف الذي أظهروا فيه سحرهم ﴿وَٱنقَلَبُوا۟﴾ من ذلك الموقف ﴿صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾﴾ أذلاء مقهورين. ١٢٠- ﴿وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ أي: خروا ساجدين، لم يتمالكوا مما رأوا.

قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢١ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١٢٢ قَالَ
فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ
فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ١٢٣ لَأُقَطِّعَنَّ
أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٢٤
قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ١٢٥ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا
بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ
١٢٦ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ
فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ
نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ١٢٧ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ
ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن
يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ١٢٨ قَالُوٓاْ أُوذِينَا
مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ
أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ
فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ١٢٩ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ
بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ١٣٠

١٢١، ١٢٢ - وصرحوا بأنهم آمنوا برب العالمين: رب موسى وهارون: لئلا يتوهم متوهم من قوم فرعون المقرِّين بإلاهيته أن السجود له.

١٢٣ - ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ﴾ أي: حيلة احتلتموها أنتم وموسى عن مواطأة بينكم سابقة ﴿لِتُخۡرِجُواْ﴾ من مدينة مصر ﴿أَهۡلَهَا﴾ من القبط وتستولوا عليها، وتسكنوا فيها أنتم وبنو إسرائيل، ومعنى ﴿فِي ٱلۡمَدِينَةِ﴾ أن هذه الحيلة والمؤامرة كانت بينكم وأنتم بالمدينة، قبل أن تبرزوا أنتم وموسى إلى هذه الصحراء.

١٢٤ - ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ﴾ أي الرجل اليمنى واليد اليسرى من كل إنسان منكم، أو الرجل اليسرى واليد اليمنى ﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ﴾ في جذوع النخل. ١٢٥ - وسيجازيك الله بصنعك بنا، ويحسن إلينا بما أصابنا في ذاته، فتوعدوه بعذاب الله في الآخرة، لما توعدهم بعذاب النار. ١٢٦ - ولست تعيب علينا وتنكر منا ﴿إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَا﴾ مع أن هذا هو الشرف العظيم. والخير الكامل، وهو حقيق بالثناء الحسن، لا بالإنكار والانتقام. ثم تركوا خطابه، والتفتوا لخطاب الجناب العلي، مفوضين الأمر إليه قائلين ربنا صُبَّ علينا صبرًا من عندك حتى يفيض ويغمرنا. طلبوا أبلغ أنواع الصبر استعدادًا منهم لما سينزل بهم من العذاب، وتوطينًا لأنفسهم على التصلب في الحق، وثبوت القدم على الإيمان ﴿وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ١٢٦﴾ غير محرَّفين ولا مبدلين ولا مفتونين. عن السُّدِّي قال: فقطعهم وقتلهم.

١٢٧ - وقال الأشراف لفرعون: أتترك موسى وأتباعه أحرارًا في الأرض، فيفسدوا فيها بالدعوة لدينهم وعندئذ يترك الناس عبادتك وعبادة آلهتك الذين نصبتهم أنت آلهة؟! قال: سنقتل أبناءهم الذكور ونستبقي الإناث وإنا فوقهم مستعلون عليهم بالقهر والغلبة. ١٢٨ - ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْ﴾ على المحنة ﴿إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾ وهو وعد من موسى لقومه بالنصر على فرعون وقومه، ثم بشرهم بأن ﴿ٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ١٢٨﴾ أي العاقبة المحمودة في الدنيا والآخرة للمتقين من عباده، وهم موسى ومن معه. وعاقبة كل شيء آخره. ١٢٩ - ﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا﴾ أي من قبل أن تأتينا رسولا، وذلك بقتل فرعون أبناءنا عن مولدك ﴿وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَا﴾ رسولا، بقتل أبنائنا الآن، وقيل: المعنى أوذينا من قبل أن تأتينا باستعمالنا في الأعمال الشاقة بغير أجر، وبما صرنا فيه الآن من الخوف على أنفسنا وأولادنا وأهلنا ﴿وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ هو تصريح بما رَمَزَ إليه سابقا من أن الأرض لله، أي فيجعل لكم فيها الأمر والملك ﴿فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ١٢٩﴾ هل تكونون مثل فرعون وقومه، أم على ما يرضاه الله. ١٣٠ - ﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ﴾ المراد بآل فرعون هنا قومه بالسنين المجدبة، والجوائح المتتالية ﴿وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ بسبب عدم نزول المطر، وكثرة العاهات كي يتعظون ويرجعون عن غوايتهم.

فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ
يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ
أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ
لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ
ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ
فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ
ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن
كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ
إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلرِّجۡزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ
هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ
فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾
وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ
ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ
ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ
يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ﴿١٣٧﴾

١٣١ - ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ﴾ الخصب وصلاح الثمرات ورخاء الأسعار ﴿قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾ أعطيناها باستحقاق، وهي مختصة بنا ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ﴾ من الجدب والقحط وكثرة الأمراض ونحوها من البلاء ﴿يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ أي يتشاءموا بهم ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي سبب خيرهم وشرهم بجميع ما ينالهم من خصب وقحط هو من عند الله، ليس بسبب موسى ومن معه، وكان هذا الجواب على نمط ما يعتقدونه وبما يفهمونه، ولهذا عبر بالطائر عن الخير والشر الذي يجري بقدر الله وحكمته ومشيئته وليس المراد إثبات الاعتقاد بالتطير ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣١﴾﴾ بهذا، بل ينسبون الخير والشر إلى غير الله جهلا منهم.

١٣٢ - ﴿وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ﴾ لتصرفنا عما نحن عليه كما يفعله السحرة بسحرهم ﴿فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾ أرادوا تيئيسه حتى لا يراجعهم بالدعوة.

١٣٣ - ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ﴾ الماء الشديد. وقيل الطوفان: الموت ﴿وَٱلۡجَرَادَ﴾ أرسله الله لأكل زروعهم فأكلها ﴿وَٱلۡقُمَّلَ﴾ قيل: هي الدَّبا، والدَّبا الجراد قبل أن تطير، وقيل البراغيث ﴿وَٱلضَّفَادِعَ﴾ الحيوان المعروف الذي يكون في الماء ﴿وَٱلدَّمَ﴾ روي: أنه سال النيل عليهم دما، وقيل: هو الرعاف ﴿ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ﴾ أي بينات ظاهرات ﴿فَٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ أي ترفعوا عن الإيمان بالله ﴿وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ لا يهتدون إلى حق، ولا ينزعون عن باطل.

١٣٤ - ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ﴾ أي العذاب بهذه الأمور، وقيل: كان هذا الرجز طاعونا مات به من القبط في يوم واحد ألوف ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ أو بما اختصك به من النبوة، أو ادع لنا متوسلا إليه بعهده عندك ﴿لَنُؤۡمِنَنَّ﴾ بك: أي لنصدقن بنبوتك ﴿وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾﴾ وقد كانوا حابسين لهم عندهم يمتهنونهم في الأعمال، فوعدوه بتخليتهم ليذهبوا معه. ١٣٥ - فلما رفعنا عنهم العذاب إلى الأجل المضروب لإهلاكهم بالغرق إذا هم ينقضون ما عقدوه على أنفسهم، فامتنعوا من إرسال بني إسرائيل مع موسى كما التزموا بذلك.

١٣٦ - ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾ لما نكثوا فأغرقناهم في البحر ﴿بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أي لذلك السبب.

١٣٧ - وأورثنا بني إسرائيل الذين كانوا يُستذلون ويمتهنون بالخدمة لفرعون وقومه ﴿مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا﴾ بإخراج الزرع والثمار منها على أتم ما يكون وأنفع ما يتفق ومضت واستمرت على التمام، ﴿عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ بسبب صبرهم على ما أصيبوا به من فرعون وقومه من الجنات، وقيل: يعرشون: يبنون.

وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ
أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ
قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ
مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٣٩ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا
وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٤٠ وَإِذۡ أَنجَيۡنَٰكُم
مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُقَتِّلُونَ
أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن
رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ١٤١ ۞ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ
وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ
مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ
سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤٢ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ
رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ
إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ
رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ
قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣

نصف الحزب ١٧

١٣٨ - وهذا شروع في بيان ما فعله بنو إسرائيل بعد الفراغ مما فعله فرعون وقومه ﴿فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ﴾ يعبدونها، قيل: هم من لخم، كانت أصنامهم تماثيل بقر، وقيل: كانوا من الكنعانيين قالوا يا موسى اجعل لنا صنما نعبده كالذي لهؤلاء القوم ﴿قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨﴾ لأنهم قد شاهدوا من آيات الله ما يزجر من له أدنى علم عن طلب عبادة غير الله، ولكن بني إسرائيل أشد خلق الله عنادًا وجهلا وتلونا. ١٣٩ - ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ العاكفين على الأصنام ﴿مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ﴾ التبار: الهلاك والتدمير، والذي هم فيه: هو عبادة الأصنام وذاهب مضمحل جميع ما كانوا يعملونه من الأعمال مع عبادتهم للأصنام. ١٤٠ - كيف أطلب لكم غير الله إلها تعبدونه؟ وقد شاهدتم من آياته العظام ما يكفي البعض منه ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٤٠﴾ بما أنعم به عليكم من إهلاك عدوكم، واستخلافكم في الأرض، وإخراجكم من الذل والهوان إلى العز والرفعة.

١٤١ - ﴿يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾ يعذبونكم به حتى ألفتموه، كالإبل التي ألفت المراعي ﴿وَفِي ذَٰلِكُم﴾ أي في هذا الإنجاء من تلك الأضرار الجسيمة ﴿بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ١٤١﴾ نعمة كبيرة يبتليكم بها ويختبركم، هل تقومون بحق شكرها. ١٤٢ - من جملة ما كرَّم الله به موسى عليه السلام وشرفه، ضرب الله هذه المدة موعدا لمناجاة موسى ومكالمته، زدناه عشرا بعد أن جاء للميقات وقال موسى لأخيه هارون كن خليفتي فيهم، قال موسى هذا لما أراد المضي إلى المناجاة ﴿وَأَصۡلِحۡ﴾ أمر بني إسرائيل بحسن سياستهم، والرفق بهم، وتفقد أحوالهم ولا تسلك سبيل العاصين، ولا تكن عونا للظالمين، بل يسلك سبيل أهل الصلاح والإصلاح. ١٤٣ - ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ﴾ لكلام الله في الموعد المضروب لذلك وأسمعه ربه كلامه من غير واسطة ﴿أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ عن قتادة قال: لما سمع موسى الكلام طمع في الرؤية، أي اشتياقا ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ يفيد أنه لا يراه هذا الوقت الذي طلب رؤيته فيه، وأما رؤيته في الآخرة فقد ثبتت بالأحاديث المتواترة تواترا لا يخفى على من يعرف السنة المطهرة ثم قال: أنك لا تثبت لرؤيتي، ولا يثبت لها ما هو أعظم منك جرما وصلابة وقوة، وهو الجبل، قيل: هو جبل الطور فانظر إليه ﴿فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ﴾ مكانه ولم يتزلزل عند رؤيتي له ﴿فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ وإن ضعف عن ذلك فأنت منه أضعف، فهذا الكلام بمنزلة ضرب المثل لموسى عليه السلام بالجبل ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ﴾ ظهر له، وتجلي الشيء: أي انكشف جعله مدكوكا مدقوقا، فصار ترابا. وفي حديث أنس مرفوعا: فساخ الجبل مغشيا عليه مأخوذا من الصاعقة ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾ موسى من غشيته قال سبحانك أنزهك تنزيها ﴿تُبۡتُ إِلَيۡكَ﴾ عن العود إلى مثل هذا السؤال ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣﴾ بك قبل قومي المعترفين بعظمتك وجلالك.

قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي
فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤ وَكَتَبۡنَا
لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ
شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ
دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ١٤٥ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ
فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ
بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ
سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا
وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ١٤٦ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ
ٱلۡأٓخِرَةِ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ
يَعۡمَلُونَ ١٤٧ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ
عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ
سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ١٤٨ وَلَمَّا سُقِطَ
فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا
رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ١٤٩

١٤٤- اخترتك على الناس فخصصتك بالرسالة والتكليم من غير واسطة ثم أمره بأن يأخذ ما أعطاه من هذا الشرف الكريم وأمره بأن يكون من ﴿ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾ على هذا العطاء العظيم، والإكرام الجليل.

١٤٥- وكتبنا له في الألواح من كل ما يحتاج إليه بنو إسرائيل في دينهم ودنياهم، وهذه الألواح: هي التوراة. ﴿مَّوۡعِظَةٗ﴾ لمن يتعظ بها من بني إسرائيل وغيرهم ﴿وَتَفۡصِيلٗا﴾ للأحكام المحتاجة إلى التفصيل ﴿فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ﴾ أي خذ الألواح، أو خذ المواعظ والتفاصيل بجد ونشاط واعمل بها فيها ﴿وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَا﴾ أي: بأحسن ما فيها مما أجره أكثر من غيره، ومن الأحسن الصبر على الغير، والعفو عنه، والعمل بالعزيمة دون الرخصة، وفعل المأمور به على أحسن وجوهه، وترك المنهي عنه وعدم مقاربته. أمر موسى أن يأخذ نفسه بأشد مما أمر به قومه ﴿سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ١٤٥﴾ قيل: هي منازل الكفار من الجبابرة والعمالقة، ليعتبروا بها. ١٤٦- ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ﴾ سأمنعهم فهم كتابي، وقيل: سأصرفهم عن الإيمان بها ﴿وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا﴾ مع كثرتها ووضوح دلالتها ﴿ذَٰلِكَ﴾ الصرف ﴿بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ١٤٦﴾ بسبب تكذيبهم بالآيات وتغافلهم عنها، أي إن الله تعالى صرف قلوبهم عن الإيمان والتصديق بالرسالة لكونهم أصروا على التكذيب والإعراض تجبرًا وكبرًا على كثرة ما رأوا من المعجزات. ١٤٧- ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ ولقائهم ما وعدوا به فيها. وحبوط الأعمال بطلان ما عملوه مما صورته صورة الطاعة كالصدقة والصلة، وإن كانوا في حال كفرهم لا طاعات لهم تبطل، بعد ما كانت مرجوة النفع ﴿هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٤٧﴾ أي فلم يظلمهم الله تعالى شيئا، ولم يزدهم على العقوبة التي يستحقونها. ١٤٨- ومن بعد خروجه إلى الطور اتخذوا معهم من حلي الذهب ﴿عِجۡلٗا﴾ عجلا إلها ﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ الخوار: صوت الثور إذا خار. روي أنه لما وعد موسى قومه ثلاثين ليلة، فأبطأ عليهم في العشر المزيدة، قال السامري لبني إسرائيل، وكان مطاعا فيهم: إن معكم حليا من حلي آل فرعون الذي استعرتموه منهم لتتزينوا به في العيد، وخرجتم وهو معكم، وقد أغرق الله أهله، فهاتوها، فدفعوها إليه، فاتخذ منها العجل المذكور ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ﴾ فضلا عن أن يقدر على جلب نفع لهم، أو دفع ضر عنهم ﴿وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًا﴾ لا يدلهم على طريق خير حسي أو معنوي ﴿ٱتَّخَذُوهُ﴾ إلها ﴿وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ١٤٨﴾ لأنفسهم في اتخاذه، أو في كل شيء. ١٤٩- ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ﴾ أي ندموا وتحيروا. قيل: كان ذلك بعد عودة موسى من الميقات ﴿وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ﴾ أي باتخاذهم العجل، وأنهم قد ابتلوا بمعصية الله سبحانه ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا﴾ =

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى
مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ
أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟
يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ
ٱلظَّٰلِمِينَ ١٥٠ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى
رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٥١ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟
ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ
وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ١٥٢ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ
تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ
١٥٣ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى
نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ١٥٤ وَٱخْتَارَ
مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ
قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ
ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى
مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ١٥٥

= لجأوا إلى الاستغاثة بالله والتضرع والابتهال في السؤال. ١٥٠- ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾ أي حزينًا. وقيل: الأسف منزلة وراء الغضب أشد منه قال: بئس العمل ما عملتموه من بعد غيبتي عنكم أعَجِلتم عن انتظار ميعاده الذي وعدنيه، وهو الأربعون، ففعلتم ما فعلتم، أو تعجلتم سخط ربكم بعبادة العجل ﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾ أي طرحها من شدة الغضب والأسف، حين أشرف على قومه وهم عاكفون على عبادة العجل أخذ برأس أخيه هارون، أو بشعر رأسه، لكونه لم ينكر على السامري، ولا غيَّر ما رآه من عبادة بني إسرائيل للعجل ﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى﴾ فلم أطق تغيير ما فعلوه، وإنما قال: ابن أمّ، لأنها كلمة لين وعطف، ولأن أمهما كانت كما قيل مؤمنة ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾ فلا تسرَّهم بمعاقبتك لي ولا تجعلني بغضبك علي في عداد القوم الظالمين، يعني الذين عبدوا العجل، أي فإني لم أفعل مثل فعلهم، أو لا تعتقد أني منهم.

١٥١- ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى﴾ ليزيل عن أخيه ما خافه من الشماتة فكأنه تذمَّم مما فعله بأخيه، وأظهر أنه لا وجه له، وطلب المغفرة له من الله بدل ما فرط منه في جانبه. ١٥٢- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ﴾ إلهًا ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ لعل الغضب ما نزل بهم من العقوبة في الدنيا بقتل أنفسهم ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وذلك مختص بالمتخذين العجل إلهًا، لا لمن بعدهم من ذراريهم، ومجرد ما أمروا به من قتل أنفسهم هو من غضب الله عليهم ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ١٥٢﴾ ومنهم هؤلاء الذين جعلوا تمثال العجل إلهًا وليس بإله. فمن افترى على الله سيناله من الله غضب وذلة في الحياة الدنيا. ١٥٣- ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أي سيئة كانت ﴿ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا﴾ أي من بعد ما عملوها ﴿وَءَامَنُوٓا۟﴾ بالله ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾ أي من بعد هذه التوبة، أو من بعد عمل هذه السيئات، وآمن بالله ﴿لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٥٣﴾ كثير الغفران والرحمة لهم. ١٥٤- ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾ لما سكن ﴿أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ﴾ التي ألقاها عند غضبه ﴿وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ أي فيما نسخ من الألواح المتكسرة، ونقل إلى الألواح الجديدة، والهدى: ما يهتدون به من الأحكام، والرحمة ما يحصل لهم من الله عند عملهم بما فيه من الرحمة الواسعة.

١٥٥- ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ أي من قومه ﴿لِّمِيقَٰتِنَا﴾ للوقت الذي وقَّتناه له بعد أن وقع من قومه ما وقع، أمره أن يأتي إلى الطور في موعد وقته له، في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه سبحانه من عبادة العجل و﴿ٱلرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة، قيل: إنهم زلزلوا حتى ماتوا ﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ﴾ أي: لو شئت إهلاكنا لأهلكتنا من قبل أتهلكنا بذنوب السفهاء والجهلة منا؟ قيل هم: السامري وأصحابه ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ أي قد كانت مسألة السامري وعبادة العجل اختبارًا منك تضل=

۞ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا
هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي
وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ
ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ
فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ
عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ
ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ
عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ
ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧ قُلۡ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي
لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ
فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ
وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨
وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ١٥٩

= بهذه الفتنة من تشاء وتهدي من تشاء. رجع إلى الاستعطاف والدعاء فقال: أنت المتولي لأمورنا ﴿فَٱغۡفِرۡ لَنَا﴾ ما أذنبناه ﴿وَٱرۡحَمۡنَا﴾ برحمتك التي وسعت كل شيء. وأنت خير الغافرين لعباده المقصرين.

١٥٦ - ﴿۞ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ﴾ بتوفيقنا للأعمال الصالحة، أو تفضل علينا بإفاضة النعم في هذه الدنيا من العافية وسعة الرزق واكتب لنا في الآخرة الجنة إنا تبنا إليك ورجعنا عن الغواية ﴿قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُ﴾ المراد: الرجفة، أو يندرج تحته كل عذاب ويدخل فيه عذاب هؤلاء ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ من المكلفين وغيرهم. ثم أخبر سبحانه أنه سيكتب هذه الرحمة الواسعة ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الذنوب ﴿وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ المفروضة عليهم ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦﴾ أي يصدقون بها ويذعنون لها.١٥٧- ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ﴾ وهو محمد ﷺ، والأمي: أي الذي لا يكتب ولا يقرأ المكتوب ﴿ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ﴾ يعني اليهود والنصارى يجدون نعته ﴿مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ﴾ وهما مرجعهم في الدين. ﴿يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ بكل ما تعرفه القلوب ولا تنكره من مكارم الأخلاق ﴿وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ أي ما تنكره القلوب من مساوئ الأخلاق، وقبيح الأفعال والأقوال، ويحل لهم المستلذات وخاصة ما حرم على بني إسرائيل بسبب ذنوبهم ويحرم عليهم النجاسات والمستخبثات حقيقة لما فيها من القبح والضرر كالحشرات والخنازير ويضع عنهم التكاليف الشاقة الثقيلة. ﴿وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ التكاليف الشاقة التي كانوا قد كلفوا بها ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ منكم يا بني إسرائيل ومن غيركم ﴿بِهِۦ﴾ أي بمحمد ﷺ ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ أي عظموه ووقروه ﴿وَنَصَرُوهُ﴾ أي قاموا بنصره على من يعاديه واتبعوا القرآن الذي أنزل عليه، مع اتباعه بالعمل بسنته مما يأمر به وينهى عنه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧﴾ الفائزون بالخير يومئذ لهذه الأمة الإسلامية.عن ابن عباس قال: سأل موسى ربه مسألة فأعطاها محمدًا ﷺ (فسأكتبها للذين يتقون) فأعطى محمدًا ﷺ كل شيء سأله موسى ربه في هذه الآية. ١٥٨ - أمر الله سبحانه نبيه محمدًا ﷺ أن يقول هذا القول المقتضي لعموم رسالته إلى الناس جميعًا، لا كما كان غيره من الرسل عليهم السلام يبعثون إلى قومهم خاصة ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لأن من ملك السماوات والأرض وما فيهما هو الإله على الحقيقة، وهكذا من كان ﴿يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾ هو المستحق لتفرده بالربوبية ونفي الشركاء عنه ﴿ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾ ما أنزله الله عليه وعلى الأنبياء من قبله ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨﴾ أي فإن الهداية في أمور الدين في اتباعه، من بني إسرائيل وغيرهم من الأمم والشعوب. ١٥٩ - لما قص الله ما وقع من السامري وأصحابه وما حصل من بني إسرائيل من التزلزل في الدين، قص علينا=

وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ
إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ
فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ
مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ
وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا
ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ
قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ
شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ
لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾
فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ
فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟
يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ
حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ
حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ
لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾

= سبحانه أن من قوم موسى أمة مخالفة لأولئك يدعون الناس إلى الهداية متلبسين بالحق وبالحق ﴿يَعْدِلُونَ﴾ بين الناس في الحكم.

١٦٠ – والمعنى: أنه ميز بعضهم من بعض حتى صاروا أسباطًا، كل سبط معروف على انفراده، لكل سبط نقيب و﴿أُمَمًا﴾ أي كل سبط قبيلة من أب واحد من أولاد يعقوب ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ﴾ لما أصابهم العطش في التيه ﴿فَٱنۢبَجَسَتْ﴾ أي فضرب فانفجرت ﴿مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ بعدد الأسباط، لكل سبط عين يشربون منها ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ أي كل سبط عرف العين المختصة به التي يشرب منها ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ﴾ أي جعلناه مظللاً عليهم في التيه يقيهم حر الشمس، يسير بسيرهم، ويقيم بإقامتهم ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ تقدم تحقيقه في سورة البقرة الآية ٥٧ ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ أي وقلنا لهم كلوا من المستلذات التي رزقناكم ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ بما وقع منهم من المخالفة، وكفران النعم، وعدم تقديرها حق قدرها.

١٦١ – ﴿ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ أي أرض بيت المقدس ﴿وَكُلُوا۟ مِنْهَا﴾ مما فيها من الخيرات ﴿حَيْثُ شِئْتُمْ﴾ أي في أي مكان شئتم من أمكنتها ﴿وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾ تقدم تفسيرها في سورة البقرة (الآية ٥٨) ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ﴾ أي باب القرية المتقدم ذكرها ساجدين ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ﴾ أي متى دخلتم بيت المقدس منتصرين، وأنتم مع ذلك متذللون لله، خاشعون لله، سامعون مطيعون يكون ذلك مغفرة لذنوبكم ﴿سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾﴾ بما يتفضل به عليهم من النعم.

١٦٢ – ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ قد تقدم بيان ذلك في البقرة.

﴿رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ عذابًا بسبب ظلمهم.

١٦٣ – واطلب من اليهود أن يقصوا عليك ما كان من أصحاب ﴿ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ قيل: هي أيلة التي بجوار العقبة، وقيل: طبرية، إذ يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت الذي نهوا عن الاصطياد فيه، وقد ابتلاهم الله تعالى بسبب ظهور الفسوق فيهم، بأن تأتيهم الأسماك يوم السبت ظاهرة على وجه البحر، قريبة المأخذ يسهل صيدها، وفي سائر الأيام لا تأتي، ولا يقدرون عليها. وفي ذلك امتحان لمدى قدرتهم على الصبر عن محارم الله.

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ
عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾
فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ
وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ
﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ
﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن
يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ
لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ
ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ
وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ
وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا
وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَـٰقُ ٱلْكِتَـٰبِ
أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ
خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ
بِٱلْكِتَـٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾

١٧٢

١٦٤ - ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ﴾ جماعة من صلحاء أهل القرية لآخرين، ممن كان يجتهد في وعظ المتعدين في السبت، حين أيسوا من قبولهم للموعظة، وإقلاعهم عن المعصية ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ أي مستأصلهم بالعقوبة ﴿أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ بما انتهكوا من الحرمة وفعلوا من المعصية ﴿قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ أي قال الواعظون: موعظتنا لهم معذرة إلى الله، حتى لا يؤاخذنا بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين أوجبهما علينا ولعلهم يقلعون عما هم فيه من المعصية. هذا وإن بني إسرائيل افترقوا ثلاث فرق: فرقة عصت وصادت، وفرقة اعتزلت فلم تنه ولم تعص، وفرقة اعتزلت ونهت ولم تعص. ١٦٥ - ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ﴾ أي لما ترك العصاة من أهل القرية ما ذكرهم به الصالحون الناهون عن المنكر ﴿وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ وهم العصاة المعتدون في السبت ﴿بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ﴾ أي شديد. ١٦٦ - فلما تجاوزوا الحد في معصية الله تمردًا وتكبرًا مسخناهم قردة أذلاء مطرودين.

١٦٧ - ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ أعلمهم إعلامًا ظاهرًا ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ أي ليرسلن عليهم وليسلطن ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ فكانوا هكذا أذلاء مستضعفين معذبين بأيدي أهل الملل، ويسلِّمون الجزية ﴿يَسُومُهُمْ﴾ يذيقهم. ١٦٨ - ﴿وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا﴾ فليس قطر من أقطار الأرض إلا وفيه منهم طائفة ﴿مِّنْهُمُ ٱلصَّـٰلِحُونَ﴾ هم الذين آمنوا بمحمد ﷺ، ومن مات قبل البعثة المحمدية غير مبدِّل، ومنهم دون: دون الطائفة الأولى في الصلاح، وامتحناهم بالخير والشر، من الأمن والخوف، والرخاء والبلاء، ليرجعوا عما هم فيه من الكفر والمعاصي.

١٦٩ - ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ أولاد وذرية خلفوا أولئك، وأجيال نشأوا بعدهم، والخلف: خلف السوء ﴿وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ أي التوراة من أسلافهم يقرأونها ولا يعملون بها ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾ هو الدنيا يتعجلون مصالحها بالرشاء والسحت في مقابلة تحريفهم لكلمات الله، وتهوينهم للعمل بأحكام التوراة، وكتمهم لما يكتمونه منها ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ أي يعللون أنفسهم بالمغفرة مع تماديهم في الضلالة ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ﴾ ويتعللون بالمغفرة أيضًا، وهكذا مرة بعد مرة ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَـٰقُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ أي التوراة ﴿أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ دون تحريف أو تبديل رغبة أو رهبة ﴿وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ﴾ تركوا العمل بالميثاق، وقد درسوا ما في الكتاب وعلموه، فكان الترك منهم عن علم لا عن جهل، وذلك أشد ذنبًا وأعظم جرمًا ﴿وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ﴾ من ذلك العرض ﴿لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الله ويجتنبون معاصيه، ويحذرون من تحريف كلام الله والتحايل عليه. ١٧٠ - ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ﴾ أي ومنهم طائفة يتمسكون بالكتاب، أي التوراة ويعملون بما فيه، ويرجعون إليه في أمر دينهم، فهم المحسنون الذين لا يضيع أجرهم عند الله، وذلك التمسك منهم هو الإصلاح ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ١٧٠﴾.

وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ
خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾
وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ
عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ
ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ
ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ
﴿١٧٤﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا
فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا
لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ
كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ
يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ
ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ
كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ
فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾

١٧٣

١٧١ – وإذ رفعنا الجبل من جذوره. وهو الطور كأنه سحابة تظلهم، وظنوا أنه ساقط عليهم، وقلنا لهم ﴿خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ أي وقلنا لهم خذوا، والقوة: الجد والعزيمة ﴿وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ﴾ من الأحكام التي شرعها الله لكم ولا تنسوه. عن قتادة قال: انتزع الله الجبل من أصله، ثم جعله فوق رؤوسهم، ثم قال لتأخذُنَّ أمري أو لأرمينكم به.

١٧٢ – ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ المعنى: أن الله سبحانه لما خلَق آدم مسح ظهره فاستخرج منه ذريته وأخذ عليهم العهد، وهؤلاء هم عالم الذر ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أي أشهد كل واحد منهم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ أي قائلاً: ألست بربكم. ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾ أي على أنفسنا بأنك ربنا ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ أي لئلا تقولوا: لم يكن عندنا علم بكون الله ربنا وحده لا شريك له.

١٧٣ – ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾ لا نهتدي إلى الحق، ولا نعرف الصواب، وإنما استمر العمل بيننا بما كان عليه أوائلنا ﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ من آبائنا ولا ذنب لنا لجهلنا وعجزنا عن النظر واقتفائنا آثار سلفنا.

١٧٤ – ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾﴾ إلى الحق ويتركون ما هم عليه من الباطل. ١٧٥ – واتل على الناس عامة، واليهود خاصة نَبأً مهمًا لرجل آتيناه آياتنا ويسرنا له فهمها. عن ابن عباس قال: هو رجل من مدينة الجبارين: يقال له بلعم، تعلم اسم الله الأكبر، فلما نزل بهم موسى أتاه بنو عمه وقومه، فقالوا: إن موسى رجل حديد، ومعه جنود كثيرة، وإنه إن يظهر علينا يهلكنا، فادع الله أن يرد عنا موسى ومن معه، قال: إني إن دعوت الله أن يرد موسى ومن معه مضت دنياي وآخرتي، فلم يزالوا به حتى دعا الله فسلخ ما كان فيه ﴿فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ فانخلع منها وأعرض عنها بالكلية كما تنسلخ الشاة عن جلدها ﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ ولحقه فأدركه وصار قرينًا له، فكان من المتمكنين في الغواية وهم الكفار. ١٧٦ – ﴿وَلَوْ شِئْنَا﴾ لأكرمناه ورفعنا قدره ولكنه مال إلى الدنيا، ورغب فيها وآثرها على الآخرة واتبع ما يهواه، وهو ما أعطاه الجبارون من حطام الدنيا الواسعة ليدعو على أهل الحق ويمكر بهم ﴿إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ إن حُمل الحكمة لم يحملها، وإن تُرك لم يهتد لخير، وقيل: المعنى: إن وعظته ضلّ، وإن تركته ضل فهو في ضلال ملازم. لانسلاخه عن آيات ربه، فهو كالكلب إن كان رابضًا لهث، وإن يطرد لهث، ذلك المثل الخسيس مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا من اليهود وغيرهم، بعد أن علموا بها وعرفوها فحرفوا وبدلوا وكذبوا بها. ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ﴾ الذي هو صفة الرجل المنسلخ عن الآيات، فإن مثله المذكور كمثل هؤلاء القوم المكذبين لك من اليهود ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ فينزجرون عن الضلال، ويقبلون على الصواب. ١٧٧ – ﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أي قَبُح مثلهم، بقبح أفعالهم ﴿وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ أي ما ظلموا بالتكذيب إلا أنفسهم. ١٧٨ – ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى﴾ لما أمر الله به وشرعه لعباده ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾﴾ الكاملون في الخسران.

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ
لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ
بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾
وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي
أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ
يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ
كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ
هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ
أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا
هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ
أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ
فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ
عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾

١٧٩ - ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾ خلقهم وهو يعلم أن عاقبتهم ستكون النار، لأنهم بعمل أهل النار يعملون. وقد علم ما هم عاملون قبل كونهم ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ كما يفقه غيرهم ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ انتفى من الأعين إبصار ما فيه الهداية بالتفكر والاعتبار، وإن كانت مبصرة في غير ذلك، وانتفى من الآذان سماع المواعظ النافعة، والشرائع التي اشتملت عليها الكتب المنزلة، وما جاءت به رسل الله، وإن كانوا يسمعون غير ذلك ﴿أُولَٰئِكَ﴾ المتصفون بهذه الأوصاف ﴿كَالْأَنْعَامِ﴾ في انتفاء انتفاعهم بهذه المشاعر، بل هم أضل طريقًا من البهائم، لأنها تدرك ما ينفعها ويضرها فتنتفع بما ينفع، وتجتنب ما يضر، وهؤلاء لا يميزون بين ما ينفع وما يضر، باعتبار ما طلبه الله وكلفهم به. ١٨٠ - ولله أحسن الأسماء لدلالتها على أحسن مسمى، وأشرف مدلول ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ فإنه إذا دعي بأحسن أسمائه كان ذلك من أسباب الإجابة ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ يحرفون لفظها أو معناها. والإلحاد في أسمائه يكون على ثلاثة أوجه: إما بالتغيير كما فعله المشركون، فإنهم أخذوا اسم اللات من الله، والعزى من العزيز، ومناة من المنان؛ أو بالزيادة عليها، بأن يخترعوا أسماء من عندهم لم يأذن الله بها، أو بالنقصان منها بأن ينكروا بعضها. ١٨١ - ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ﴾ قيل: هم من هذه الأمة، وإنهم الفرقة الذين لا يزالون على الحق ظاهرين، كما ورد في الحديث الصحيح. ١٨٢ - ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ الاستدراج: هو الأخذ بالتدريج منزلة بعد منزلة، وذلك بإدرار النعم عليهم وإنسائهم شكرها، فينهمكون في الغواية، ويتنكبون طرق الهداية. ١٨٣ - ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ أي أطيل لهم المدة وأمهلهم وأؤخر عنهم العقوبة ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ لأنه في الظاهر إحسان، وفي الحقيقة خذلان. ١٨٤ - ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ في شأن رسول الله ﷺ وفيما جاء به ﴿مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ﴾ شيء مما يدَّعونه من الجنون ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾﴾ منذر من الله لهم، معه الدليل على نبوته.

١٨٥ - والمعنى: إن هؤلاء لم يتفكروا حتى ينتفعوا بالتفكر، ولا نظروا في مخلوقات الله حتى يهتدوا بذلك إلى الإيمان به ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ من الحيوان والنبات والكواكب وغيرها ﴿وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ فيموتوا عن قريب، فما لهم لا ينظرون فيما يهتدون به وينتفعون فبأي كلام غير القرآن يؤمنون إن لم يؤمنوا به، فليس هناك حديث خير منه، ولا أدعى منه للتفكر والاعتبار.

١٨٧ - ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ السائلون: هم اليهود، وقيل: قريش، عن القيامة: أي متى يرسيها الله: أي يثبتها ويوقعها، قل: لا يعلمها غير الله ولا يظهرها لوقتها ولا يكشف عنها إلا الله سبحانه بل لا تطيقها السماوات والأرض لعظمها، لأن السماء تنشق، والنجوم تتناثر، والبحار تنضب ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ إلا فجأة على غفلة وأنتم آمنون، أي فلن يُطلع الله على وقت مجيئها أحد. يسألونك كأنك عالم بها، أو كأنك مستقص للسؤال عنها ومستكثر منه، ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ ذلك.

ربع الحزب ١٨

قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ
أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ
أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨ ۞ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم
مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا
تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا
ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٨٩
فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى
ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٩٠ أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ
١٩١ وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ١٩٢
وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمۡۚ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ
أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ١٩٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن
كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٩٤ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ
يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ
يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ١٩٥

١٨٨ - ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ لتأكيد ما تقدم من عدم علمه بالساعة أيان تكون ومتى تقع، أي فبالأولى لا أقدر على علم ما استأثر الله بعلمه ﴿وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ﴾ أي لاشتريت حين يكون فيما أشتريه الربح، وبعت حين يكون الربح في البيع، فيكثر مالي، ولا أخسر في بيع، ولتعرضت لما فيه الخير فجلبته إلى نفسي، وتوقيت ما فيه السوء حتى لا يمسني، إن أنا إلا مبلِّغ عن الله لأحكامه أنذر بها قومًا، وأبشر بها آخرين، ولست أعلم بغيب الله سبحانه، أي وليس الإخبار بالغيب من مهمتي، ولا العلم به من صفتي.

١٨٩ - ﴿۞ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ آدم، وقيل: من نفس واحدة يعني من جنس واحد وشكل واحد، ﴿وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ وهي حواء، خلقها من ضلع من أضلاعه ﴿لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ﴾ يأنس إليها، ويطمئن بها، فإن الجنس بجنسه أسكن، وإليه آنس، وكان هذا في الجنة ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾ كناية عن الوقاع: أي فلما جامعها ﴿حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا﴾ علقت به بعد الجماع ﴿فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ﴾ أي استمرت بذلك الحمل تقوم وتقعد وتمضي في حوائجها لا تجد به ثقلاً ﴿فَلَمَّآ أَثۡقَلَت﴾ لكبر الولد في بطنها ﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا﴾ دعا آدم وحواء ربهما ﴿لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا﴾ أي ولدًا صالحًا ذا خلق سوي ﴿لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٨٩﴾ لك على هذه النعمة. ١٩٠ - ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ الولد الصالح، وقيل: صالحًا: أي غلامًا سويًا، لا كما خافا أن يكون على خلق آخر، وأجاب دعاءهما. ١٩١ - أي: أيجعلون الأصنام شركاء لله في العبادة، وهم يعلمون أن هذه الأصنام لم تخلق شيئًا من الخلق حتى تستحق بذلك أن تُعبد وهؤلاء الذين جعلوهم شركاء من الأصنام أو الشياطين مخلوقين. ١٩٢ - ﴿وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا﴾ إن طلبوه منهم ومن عجز عن نصر نفسه، فهو عن نصر غيره أعجز. ﴿وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ١٩٢﴾ ١٩٣ - وإن تدعوا هؤلاء الشركاء إلى الهدى لا يجيبوكم إلى ذلك ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ١٩٣﴾ فحالهم واحدة عند ندائكم وعدم ندائكم، لأنهم مجرد أحجار منحوتة جامدة. ١٩٤ - وهؤلاء الذين جعلتموهم آلهة هم عباد لله، كما أنتم عباد له، مع أنكم أكمل منهم، لأنكم أحياء تنطقون، وتمشون، وتسمعون، وتبصرون، وهذه الأصنام ليست كذلك، ولكنها مثلكم في كونها مملوكة لله مسخرة لأمره ﴿فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ﴾ أي فليردوا عليكم الجواب إن كانوا أحياء ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٩٤﴾ فيما تدعونه لهم من قدرتهم على النفع والضر. ١٩٥ - بل إنَّ هؤلاء الذين جعلتموهم شركاء لله في العبادة ليس لهم شيء من الآلات التي هي ثابتة لكم، أم لهم أيد يعملون بها، أو يضربون بها، فكيف تدعون من هم على هذه الصفة من سلب الأدوات، وبهذه المنزلة من العجز؟ والبطش: الأخذ بقوة ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ﴾ أنتم وهم جميعًا بما شئتم من وجوه الكيد ﴿فَلَا =

إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩٦
وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ
أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ١٩٧ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ
وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ١٩٨ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ
بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ
ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٠٠ إِنَّ
ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ
فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١ وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ
لَا يُقۡصِرُونَ ٢٠٢ وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم بِـَٔايَةٖ قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ
قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ
وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٢٠٣ وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ
فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٢٠٤ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ
فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ
وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ
لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ ۩ ٢٠٦

سجدة

١٧٦

= ﴿تُنظِرُونِ ١٩٥﴾ أي فلا تمهلوني، ولا تتأخروا عن إنزال الضرر بي، إن كنتم أنتم وهم قادرين على شيء من الضرر، أمره الله تعالى بتحديهم بذلك ليظهر لهم عجز آلهتهم عن كل شيء. ١٩٦- ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ﴾ أي كيف أخاف هذه الأصنام التي هذه صفتها، ولي وليّ ألجأ إليه وأستنصر به وهو الله عز وجل ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩٦﴾ أي يحفظهم وينصرهم، ويحول ما بينهم وبين أعدائهم. ١٩٨- وإن تسألوا هدايتكم لا يسمعوا ولا يقدروا على هدايتكم، وتراهم ينظرون إليك أي: الأصنام، كانوا يصنعونها تماثيل كهيئة بني آدم، أو كالحيوانات، ولها مثال الأيدي والأرجل والأعين، ولكنها جامدة لا تبطش ولا تمشي ولا ترى شيئًا. ١٩٩- ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ﴾ من أخلاقهم وصدقاتهم، فلا تكلفهم ما يشق عليهم، ثم كلفوا بالحدود وبالزكاة بعد ذلك. وكان رسول الله ﷺ يقول: «يسّروا ولا تعسّروا، وبشروا ولا تنفروا» ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ﴾ بالمعروف، وهو كل خصلة حسنة ترتضيها العقول وتطمئن إليها النفوس ﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ أي إذا أقمت الحجة عليهم في أمرهم بالمعروف فلم يفعلوا، فأعرض عنهم ولا تمارهم ولا تسافههم مكافأة لما يصدر منهم من المراء والسفاهة. ٢٠٠- ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ﴾ النزغ: الوسوسة بالفساد، يقال نزغ بيننا: أي أفسد ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٠٠﴾ التجئ إليه، فإنه يسمع ذلك منك ويعلم به. ٢٠١- ﴿طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ وهي الوسوسة؛ لأنها لمة من الشيطان تشبه لمة الخيال. ووسوسته: أمره بالسوء عند الغضب ﴿تَذَكَّرُواْ﴾ عظمة ربهم ونهيه ﴿فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١﴾ منتبهون. ٢٠٢- وإخوان الشياطين، وهم الفجار من ضُلال الإنس، تمدهم الشياطين ليرعوا في مراعي الغي، فيقبلون منهم ويقتدون بهم، ثم لا تقصر الشياطين لهم ولا تحول بينهم وبين ما يشتهون، بل تزيدهم وسوسة وإضلال حتى يهلكوا. ٢٠٣- ﴿وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم بِـَٔايَةٖ قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَا﴾ كانوا يقولون لرسول الله ﷺ إذا تراخى الوحي: هلا أتيت بشيء من الآيات القرآنية افتعالاً من تلقاء نفسك ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ فما أوحاه إلى وأنزله عليّ أبلغته إليكم ﴿هَٰذَا﴾ القرآن المنزل علي هو ﴿بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ﴾ يتبصر بها من قبلها ﴿وَهُدٗى﴾ يهتدي به المؤمنون إلى ما يرضي ربهم.

٢٠٤- ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ﴾ لتنتفعوا به، وتتدبروا ما فيه من الحكم والمصالح، وهذا في الصلاة وغيرها لعلكم تنالون الرحمة وتفوز بها بامتثال أمر الله سبحانه.

٢٠٥- ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ﴾ خفية بتأمل وتدبر، و﴿تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ أي تسمع نفسك ولا تصرخ به صراخًا، أي: متضرعًا، وخائفًا، ومتكلمًا بكلام هو دون الجهر من القول ﴿بِٱلۡغُدُوِّ﴾ أي أوقات الغدوات، والغدوة الصباح، وأوقات الأصيل، والأصيل: الوقت من بعد العصر إلى المغرب، ولا تغفل عن ذكر الله. =

ترتيبها ٨ — **سورة الأنفال** — آياتها ٧٥

نصف الحزب ١٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ ۖ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ
قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ
يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ
رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ
مِنۢ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾
يُجَٰدِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ
وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا
لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ
وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾
لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾

١٧٧

= ٢٠٦- إن ملائكة ربك لا يتكبرون عن عبادته وتقديسه وينزهونه عن كل شين، ويخصونه بعبادة السجود التي هي أشرف عبادة.

سورة الأنفال

وهي مدنية. نزلت في عقب غزوة بدر.

١- ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ﴾ أي الغنائم ﴿قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ أي: حكمها مختص بهما، يقسمها بينكم رسول الله ﷺ عن أمر الله سبحانه، وليس لكم حكم في ذلك. ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ حيث اختلفوا في الأنفال. عن مكحول قال: كان صلاح ذات بينهم أن ردت الغنائم، فقسمت بين من ثبت عند رسول الله ﷺ وبين من قاتل وغنم ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾ تهييج لهم على التقوى، وإصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله، فإن الإيمان لا يتم إلا بهذه الثلاثة ولذلك كانت الطاعة علامة على صدق الإيمان.

٢- المعنى: أن حصول الخوف من الله والفزع منه عند ذكره هو شأن المؤمنين ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ لا على غيره. والتوكل على الله: تفويض الأمر إليه.

٤- والمتصفون بالأوصاف المتقدمة ﴿هُمُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ الكاملون الإيمان، البالغون فيه إلى أعلى درجاته وأقصى غاياته و﴿حَقًّا﴾ معناه أنهم برئوا من الكفر ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ﴾ أي: منازل خير وكرامة وشرف في الجنة وفي كونها عنده سبحانه زيادة تشريف لهم وتكريم وتعظيم وتفخيم ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ من واسع فضله، وفائض جوده.

٥- وكره بعض الشباب قسمة الغنائم؛ لأنهم هم الذين أبلوا في المعركة بلاءً حسنًا كما كره بعض المسلمين القتال لأنهم لم يَعُدُّوا أنفسهم له مع أن الله قد أخرج رسوله من المدينة بالحق والحكمة وإن فريقًا من المؤمنين لغير راضين.

٦- يجادلونك في الحق بعد ما علموه وكرهوا التقدم نحو لقاء العدو. وقد يئسوا من النصر واشتد بهم الخوف كأنما يساقون إلى موتٍ محقق، وهم ينظرون إليه. ٧- واذكروا وقت وعد الله إياكم إحدى الطائفتين، والطائفتان: هما العير والنفير ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ﴾ الشوكة: السلاح، وهي طائفة العير، لأنها غنيمة صافية عن كدر القتال، إذ لم يكن معها من يقوم بالدفع عنها ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ من ظفركم بذات الشوكة، وقتلكم لصناديدهم، وأسر كثير منهم حتى تظهر قوة الإسلام ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾﴾ ويستأصلهم جميعًا. ٨- ليثبت الإسلام في الأرض ويعلي بنيانه ويمحق الشرك حتى يبطل وجوده وينتهي ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾﴾ هم المشركون من قريش، أو جميع طوائف الكفار.

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ
مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ
وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ
عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ
الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾
إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ
سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ
الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ
شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ
شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ
عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ
كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ
دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ
بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾

٩- ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ لما علموا أنه لا بد من قتال النفير كما أمرهم الله، ورأوا كثرة عدد النفير وقلة عددهم، استغاثوا بالله سبحانه. وإن النبي ﷺ لما رأى ذلك استقبل القبلة، ثم مد يديه، فجعل يهتف بربه: اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آتني ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ﴾ جند منهم يقاتلون المشركين معكم ﴿مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ متتابعين: أمدهم الله بألف، ثم بثلاثة، ثم أكملهم خمسة.

١٠- ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ أي: الإمداد بالملائكة إلا بشارة لكم بنصره ولتطمئن بالإمداد ﴿قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ لا من عند غيره، ليس هو من عند الملائكة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يغالب ﴿حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ في كل أفعاله. عن عمر قال: أما يوم بدر فلا نشك أن الملائكة كانوا معنا، وأما بعد ذلك فالله أعلم. ١١- ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ سكّن الله قلوبهم وأمنها حتى ناموا آمنين غير خائفين، وكان هذا في الليلة التي كان القتال في غدها، وقيل: إن النوم غشيهم في حال التقاء الصفين ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ﴾ أنزل الله على جيش المسلمين قبل القتال مطرًا حتى سال الوادي ﴿لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ﴾ ليرفع عنكم الأحداث [فاغتسلتم وصليتم على أتم الوجوه وأكملها، ولم يكن قد شرع التيمم] ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ أي: وسوسته لك من الخوف والفشل ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ فيجعلها صابرة قوية ثابتة في مواطن الحرب ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾ فقد اشتد بالمطر رخو الأرض ورملها وزال الغبار. ١٢- ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ﴾ نعمة أخرى يذكرهم بها ﴿فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بشروهم بالنصر، أو ثبتوهم على القتال بالحضور معهم وتكثير سوادهم ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ تقدم بيانه في سورة آل عمران (الآية ١٥١) ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ أعاليها، لأنها المفاصل الذي يكون الضرب فيها أسرع إلى القطع، قيل: وهذا أمر للملائكة، وقيل: للمؤمنين ﴿وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ أطراف الأصابع من اليدين. فإنه إذا ضربت البنان تعطل المضروب عن القتال، بخلاف سائر الأعضاء. ١٣- ﴿ذَٰلِكَ﴾ القتل للمشركين ﴿بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ لأنهم خاصموا الله ورسوله وعاندوهما. ١٤- ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ إشارة إلى العقاب العاجل الذي أصيب به المشركون ﴿فَذُوقُوهُ﴾ ﴿وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾﴾ إشارة إلى العقاب الآجل. ١٥- ﴿زَحْفًا﴾ أي يمشي بعضكم إلى بعض ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾﴾ نهى الله المؤمنين أن ينهزموا عن الكفار إذا لقوهم. ١٦- ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ﴾ أي: من أدار إليهم ظهره منهزمًا يوم الزحف، والتولي يوم الزحف من الكبائر من السبع الموبقات ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾ من جانب إلى جانب في المعركة طلبًا لمكائد الحرب، وخدعًا للعدو، كمن يوهم أنه منهزم ليتبعه العدو فيكر عليه ويتمكن منه، فإن الحرب خدعة ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ أي: إلى جماعة من المسلمين غير الجماعة المقابلة للعدو ﴿فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ رجع بغضب كائن من الله إلا المتحرف والمتحيز ﴿وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ﴾ =

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ
وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ
فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ ۚ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ
تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ
لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ
ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ
وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ
وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ
تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾

ثلاثة أرباع الحزب ١٨

١٧٩

=ففراره أوقعه إلى ما هو أشد بلاء مما فر منه وأعظم عقوبة ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ ما صار إليه من عذاب النار.

١٧- ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ بما يسره لكم من الأسباب الموجبة للنصر ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ هو ما كان منه ﷺ في يوم بدر، فإنه أخذ قبضة من تراب فرمى بها في وجوه المشركين، فأصابت كل واحد منهم ودخلت عينيه ومنخريه وأنفه ولم ترمها أنت على الحقيقة، لأنك لو رميتها وكانت على الوجه المعتاد ما بلغ أثرها إلا ما يبلغه رمي البشر، ولكنها كانت رمية الله حيث أثرت ذلك الأثر العظيم، وأثرها الذي لا يطيقه البشر فعل الله عز وجل ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾ أي: وللإنعام عليهم بنعمه الجميلة فَعلَ ذلك، لا لغيره ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ لدعائهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأحوالهم. ١٨- ﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: إن الغرض بما وقع مما حكته الآيات السابقة إبلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين. ١٩- ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ خطاب للكفار تهكمًا بهم، وقد كانوا عند خروجهم من مكة سألوا الله أن ينصر أحق الطائفتين بالنصر ﴿وَإِن تَنتَهُوا۟﴾ عما كنتم عليه من الكفر والعداوة لرسول الله ﷺ ﴿فَهُوَ﴾ أي: الانتهاء ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا۟﴾ إلى الكفر والعداوة ﴿نَعُدْ﴾ بتسليط المؤمنين عليكم ونصرهم، كما سلطناهم في يوم بدر ﴿وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ﴾ وهي قومهم بمكة ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ومن كان الله معه فهو المنصور. ٢٠- ﴿وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ أي: اثبتوا على الحق ولا تحيدون عنه وأنتم تسمعون ما فيه. ٢١- وهم المنافقون أو اليهود، فإنهم يسمعون بآذانهم من غير فهم ولا عمل، فهم كالذي لم يسمع أصلاً. ٢٢- ﴿شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ﴾ أي: ما دبّ على الأرض ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: في حكمه، الذين لا يسمعون ولا ينطقون، وصفوا بذلك مع كونهم ممن يسمع وينطق لعدم انتفاعهم بالسمع والنطق ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ما فيه النفع لهم فيأتوه، وما فيه الضرر عليهم فيجتنبوه، فهم شر الدواب عند الله، لأنها تميز بعض تمييز، وتفرق بين ما ينفعها ويضرها. ٢٣- ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ﴾ أي: في هؤلاء الصم البكم ﴿لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ سماعًا ينتفعون به ويتعقلون عنده الحجج والبراهين ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ لأنه قد سبق في علمه أنهم لا يؤمنون. ٢٤- وبادروا إلى طاعة رسول الله ﷺ وتنفيذ أمره، فإن أوامره فيها حياة لكم وعز وكمال، كما إذا دعاكم إلى ما فيه حياتكم من علوم الشريعة، فإن العلم حياة، والجهل موت؛ وإلى ما تضمنه القرآن من أوامر ونواهٍ، ففيه الحياة الأبدية، والنعمة السرمدية، وإلى الجهاد، فإنه سبب الحياة في الظاهر، لأن العدوّ إذا لم يُغْزَ غزا. وبادروا إلى الاستجابة لأوامر الله تعالى ما دامت قلوبكم لينة مطاوعة لكم، قبل أن تتغير الأحوال فلا تطاوعكم، وذلك بموت الإنسان فلا يستطع العمل، ومن أكثر من المعصية فقد لا يوفق للاستجابة بعد ذلك. ٢٥- واتقوا فتنة تتعدى الظالم، فتصيب الصالح والطالح ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ ومن شدة عقابه أنه يصيب بالعذاب من لم يباشر أسبابه، والذين لم يظلموا قد=

وَاذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ
أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم
مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ
﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ
عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ
ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ
لَكُمْ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ
ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا
قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ
أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا
هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ
وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾

١٨٠

= تسببوا للعقوبة بأسباب: كترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، حتى يظهر الفساد، فتكون العقوبة عامة لا خاصة.

٢٦- والخطاب للمهاجرين، وقيل: هو لأمة العرب ﴿مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ هي أرض مكة ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ﴾ الخطف: الأخذ بسرعة، والناس: مشركو قريش، وقيل: فارس والروم ﴿فَـَٔاوَىٰكُمْ﴾ ضمكم الله إلى المدينة، أو إلى الأنصار ﴿وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ﴾ أي قواكم بالنصر في مواطن الحرب التي منها يوم بدر ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ التي من جملتها الغنائم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ هذه النعم التي أنعم بها عليكم.

٢٧- ﴿لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ نهاهم الله عن أن يخونوه بترك شيء افترضه عليهم، أو يخونوا رسوله بترك شيء مما أمنهم عليه، أو يخونوا شيئًا من الأمانات التي اؤتمنوا عليها ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ أن ذلك الفعل خيانة، فتفعلون الخيانة عن عمد.

٢٨- ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ لأنهم سبب الوقوع في كثير من الذنوب ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ فآثروا حقه على أموالكم وأولادكم.

٢٩- ﴿يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ يجعل لكم من ثبات القلوب، وقوة البصائر، وحسن الهداية، ما تفرقون به بين الحق والباطل، ويتبين لكم به المخرج من الشبهات، والنجاة من كل ما تخافونه ﴿وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ يمحو عنكم الذنوب ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ وقد قيل إن المراد بالسيئات الصغائر، وبالذنوب التي تغفر الكبائر.

٣٠- ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ عن ابن عباس قال تشاورت قريش ليلة بمكة فقال بعضهم: إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق، يريدون النبي ﷺ، وقال بعضهم: بل اقتلوه، وقال بعضهم: بل أخرجوه، فأطلع الله نبيه على ذلك، فبات علي ابن أبي طالب على فراش النبي ﷺ حتى لحق بالغار ويخفون ما يعدونه لرسول الله على ذلك، ويرد كيدهم في نحورهم.

٣١- ﴿قَالُواْ﴾ تعنتًا وتمردًا وبعدًا عن الحق ﴿قَدْ سَمِعْنَا﴾ ما تتلوه علينا ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾ الذي تلوته علينا، فلما راموا أن يقولوا مثله عجزوا عنه، ثم قالوا عنادًا وتمردًا ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾﴾ أي ما يسطره الوراقون من أخبار الأولين. ٣٢- ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا﴾ قالوا هذه مبالغة في الجحود والإنكار.

٣٣- ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ﴾ يا محمد ﴿فِيهِمْ﴾ موجود، فإنك مادمت فيهم فهم في مهلة من العذاب الذي هو الاستئصال ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ روي أنهم كانوا يقولون في الطواف غفرانك.

وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ
عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ
بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ
أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ
عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ
يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ
الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ
فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُلْ لِلَّذِينَ
كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا
فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ
لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ
انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا
فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٤٠﴾

٣٤- ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: إنهم مستحقون لعذاب الله لما ارتكبوا من القبائح ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ من آمن منهم بالله واتبع الرسول، فلا يمكنونهم من أداء المناسك ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾ هذا كالرد لما كانوا يقولونه من أنهم ولاة البيت ﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾ أي ما أولياؤه إلا من كان في عداد المتقين للشرك والمعاصي، فإنه لله، فلا ولاية لأولياء الأصنام.

٣٥- والمعنى: أن المشركين كانوا يصفرون ويصفقون عند البيت، فوضعوا ذلك موضع الصلاة قاصدين به أن يشغلوا المصلين من المسلمين عن الصلاة ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ جزاؤكم على ما فعلتم، وهو ما حصل لكم يوم بدر.

٣٦- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾ للصد عن سبيل الحق بمحاربة رسول الله ﷺ وجمع الجيوش لذلك، وإنفاق أموالهم عليها ﴿فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ﴾ عاقبة ذلك أن يكون إنفاقهم ﴿حَسْرَةً﴾ عليهم ندمًا ﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ كم وعد الله به في مثل قوله ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ وصدق الله، فقد كان خبر هذه الآية من المعجزات.

٣٧- ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ﴾ الفريق ﴿الْخَبِيثَ﴾ من الكفار ﴿مِنَ﴾ الفريق ﴿الطَّيِّبِ﴾ وهم المؤمنون ﴿وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا﴾ أي يجمع بعضهم إلى بعض حتى يتراكموا لفرط ازدحامهم.

٣٨- ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا﴾ عما هم عليه من عداوة رسول الله ﷺ وقتاله بالدخول في الإسلام ﴿يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ من العداوة، فإن الإسلام يجب ما قبله ﴿وَإِنْ يَعُودُوا﴾ إلى القتال والعداوة والكفر ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾ أي قد مضت سنة الله فيمن فعل مثل فعل هؤلاء من الأولين من الأمم أن يصيبه بعذاب، فليتوقعوا مثله.

٣٩- ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي كفر، وقد تقدم تفسير هذا في سورة البقرة (الآية ١٩٣).

٤٠- ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عما أمروا به من الانتهاء ﴿فَاعْلَمُوا﴾ أيها المؤمنون ﴿أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ﴾ أي ناصركم عليهم. ﴿نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾ فمن والاه فاز، ومن نصره غلب.

وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ
وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن
كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ
يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذۡ
أَنتُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ وَٱلرَّكۡبُ
أَسۡفَلَ مِنكُمۡۚ وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ
وَلَٰكِن لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا لِّيَهۡلِكَ مَنۡ
هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ
لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذۡ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلٗاۖ
وَلَوۡ أَرَىٰكَهُمۡ كَثِيرٗا لَّفَشِلۡتُمۡ وَلَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذۡ
يُرِيكُمُوهُمۡ إِذِ ٱلۡتَقَيۡتُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِكُمۡ قَلِيلٗا وَيُقَلِّلُكُمۡ
فِيٓ أَعۡيُنِهِمۡ لِيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗاۗ وَإِلَى ٱللَّهِ
تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ
فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾

٤١- الغنيمة مال الكفار إذا ظفر به المسلمون عى وجه الغلبة والقهر، والغنائم شاملة لكل ما غنمه المسلمون من أرض ومال وغيرها ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ قال الشافعي: إن الخمس يقسم على خمسة، وإن سهم الله وسهم رسوله واحد يصرف في مصالح المؤمنين، والأربعة الأخماس على الأربعة الأصناف المذكورة في الآية. ﴿وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ أي أقارب النبي ﷺ وهم: بنو هاشم، وبنو المطلب، وأما الأسهم الأربعة الأخرى من الغنيمة فتقسم على الغانمين الذين حضروا المعركة وإن كنتم مؤمنين بالله فانقادوا وسلموا لأمر الله فيما أعلمكم به من حال قسمة الغنيمة، فاقطعوا عنه أطماعكم، واقتنعوا بالأخماس الأربعة ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا﴾ محمد ﷺ يوم بدر من الملائكة، والنصر والآيات، والمعجزات و﴿يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ﴾ يوم بدر، لأنه فرق بين أهل الحق، وأهل الباطل ﴿ٱلۡجَمۡعَانِ﴾: الفريقان من المسلمين والكافرين.

٤٢- ﴿إِذۡ أَنتُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ بالجانب الأدنى من الوادي إلى جهة المدينة، وعدوكم بالجانب الأقصى منه مما يلي مكة ﴿وَٱلرَّكۡبُ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ﴾ والمراد ركب أبي سفيان، وهي العير فإنهم كانوا في موضع أسفل منهم مما يلي ساحل البحر، فامتن الله على المسلمين بنصرتهم عليهم والحال هذه ﴿وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ﴾ أي لو تواعدتم أنتم والمشركون على أن تلتقوا في هذا الموضع لخالف بعضكم بعضًا، فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد، وثبطهم ما في قلوبهم من المهابة لرسول الله ﷺ ﴿وَلَٰكِن﴾ جمع الله بينكم في هذا الموطن ﴿لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا﴾ من نصر أوليائه، وخذلان أعدائه، وإعزاز دينه، وإذلال الكفر، ولم يكن في حساب الطائفتين أن يقع هذا الاتفاق على هذه الصفة ﴿لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ﴾ أي ليموت من يموت عن بينة، ويعيش من عاش ﴿عَنۢ بَيِّنَةٖ﴾ لئلا يبقى لأحد على الله حجة، وقيل المعنى: ليكون كفر من كفر عن غير شبهة، وإسلام من أسلم عن غير شبهة كذلك، إذ زالت الشبهة بنصر أهل الإيمان، وما حصل من الفرقان أي فإذا هلك إنسان بعد هذا فاستحق باستمراره على الكفر العذاب يكون هلاكه عن غير شبهة، بل باستمراره على الضلال وهو يعلم. وكذا لا تبقى شبهة لأهل الإيمان في أنهم على حق ويتبينوا أن دين الله منصور وأولياءه ظاهرون. ٤٣- والمعنى: أن النبي ﷺ رآهم في منامه قليلاً، فقص ذلك على أصحابه، فكان ذلك سببًا لثباتهم، ولو رآهم في منامه كثيرًا، لفشلوا وجبنوا عن قتالهم، وتنازعوا في الأمر، هل يلاقونهم أم لا. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ﴾ وعصمهم من الفشل، فقللهم في عين رسول الله ﷺ. ٤٤- ﴿وَإِذۡ يُرِيكُمُوهُمۡ إِذِ ٱلۡتَقَيۡتُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِكُمۡ قَلِيلٗا وَيُقَلِّلُكُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِهِمۡ﴾ أي ليغري كلا من الطائفتين بضعف الأخرى، حتى قال القائل من المسلمين لآخر: أتراهم سبعين، قال: هم نحو المائة، وقلل المسلمين في أعين المشركين، حتى قال قائلهم: إنما هم أكلة جزور، وكان هذا قبل القتال، فلما شرعوا فيه كثر الله المسلمين في أعين المشركين ﴿لِيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا﴾ أي =

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ
وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ
خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ
عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٤٧) وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ
الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ
النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ
عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ
إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤٨) إِذْ يَقُولُ
الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ
وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٩)
وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ
وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٥٠) ذَٰلِكَ
بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (٥١)
كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ
فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٥٢)

= ليلف بينهم الحرب للنقمة ممن أراد الانتقام منه، والإنعام على من أراد النعمة عليه.

٤٥ - وإذا حاربتم جماعة من المشركين ﴿فَاثْبُتُوا﴾ لهم ولا تجبنوا عنهم، وقد لا يحصل الثبات إلا بالتحرُّف والتحيز ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ عند جزع قلوبكم، فإن ذكره يعين على الثبات، واذكروه بألسنتكم، وادعوه في ذلك الموطن كما قال أصحاب طالوت ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا﴾ نهاهم عن التنازع، وهو الاختلاف في الرأي، فإن ذلك يتسبب عنه الفشل في الحرب ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ الريح القوة والنصر، وقيل الريح الدولة، شبهت في نفوذ أمرها بالريح في هبوبها.

٤٧ - ﴿بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ﴾ وهم قريش، فإنهم خرجوا يوم بدر ليحفظوا العير، ومعهم القيان والمعازف، وبلغهم أن العير قد نجت وسلمت، فلم يرجعوا، بل قالوا: لا بد لهم من الوصول إلى بدر، ليشربوا الخمر، وتغني لهم المغنيات، وتسمع العرب بمخرجهم، فكان ذلك منهم بطرًا وأشرًا، وطلبًا للثناء من الناس، والتمدح إليهم، والفخر عندهم وهو الرياء ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ والصد: إضلال الناس والحيلولة بينهم وبين طرق الهداية. ٤٨ - ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ أوهمهم أنهم محسنون بمقاتلة المسلمين، وقد روي أن الشيطان تمثل لهم ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ أي مجير لكم من كل عدو، أو من بني كنانة، كان في صورة سراقة بن مالك بن جعشم، وهو من بني بكر ابن كنانة، وكانت قريش تخاف من بني بكر أن يأتوهم من ورائهم ﴿فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ﴾ أي فئة المسلمين والمشركين ﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ أي رجع القهقري ﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ﴾ تبرأ منهم لما رأى أمارات النصر مع المسلمين بإمداد الله لهم بالملائكة، ثم علل ذلك بقوله ﴿إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ رأى جبريل ومعه الملائكة ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾ خاف أن يصاب بمكروه من الملائكة الذين حضروا الوقعة، وقيل: رأى أنه لا قوة له ولا للمشركين، فاعتل بذلك. ٤٩ - ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾ هم الذين قد أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ هم الشاكون من غير نفاق، بل لكونهم حديثي عهد بالإسلام ﴿غَرَّ هَٰؤُلَاءِ﴾ أي المسلمين ﴿دِينُهُمْ﴾ حتى تكلفوا ما لا طاقة لهم به من قتال قريش ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يغلبه غلاب، ولا يذل من توكل عليه. ٥٠ - ﴿إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ﴾ هم من قتلتهم الملائكة يوم بدر، وقيل: المراد ملائكة الموت حين تنزع أرواح الكفار، لرأيت أمرًا عظيمًا ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ﴾ قيل: هذا الضرب يكون عند الموت، وقيل: هو يوم القيامة حين يسيرون بهم إلى النار. ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (٥٠) المعنى: وتقول الملائكة لهم ذوقوا عذاب الحريق. ٥١ - ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ أي ذلك واقع بسبب ما كسبتم من المعاصي، واقترفتم من الذنوب وبسبب ﴿أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (٥١) لأنه سبحانه قد أرسل إليهم رسله، وأنزل كتبه، وأوضح لهم السبيل. ٥٢ - ولما ذكر الله سبحانه ما أنزله بأهل بدر، أتبعه بما =

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ
مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٥٣﴾ كَدَأۡبِ ءَالِ
فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم
بِذُنُوبِهِمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَۚ وَكُلّٞ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾
إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٥﴾
ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ
وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم
مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن
قَوۡمٍ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ
﴿٥٨﴾ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ ﴿٥٩﴾
وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ
تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ
لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ
ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِن جَنَحُواْ
لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦١﴾

ربع الحزب ١٩

= يدل على أن هذه سنته في فرق الكافرين، والدأب: العادة، فكانت العادة في عذاب هؤلاء كالعادة الماضية لله في تعذيب طوائف الكفر، أي دأبهم هذا هو أنهم كفروا بآيات الله، فتسبب عن كفرهم أخذ الله سبحانه لهم. ٥٣- ﴿ذَٰلِكَ﴾ العقاب الذي أنزله الله بهم ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ﴾ أي بسبب أن عادة الله في عباده عدم تغيير نعمه التي ينعم بها عليهم ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ من الأحوال والأخلاق بكفران نعم الله، وغمط إحسانه، وإهمال أوامره ونواهيه. ٥٤- كعادة الله فيهم: إذا كفروا وأذنبوا يأخذهم الله بالعقوبة، فعاقب آل فرعون بالغرق، وأهلك من سواهم. حكم على كلا الطائفتين: من آل فرعون والذين من قبلهم، ومن كفار قريش بالظلم لأنفسهم، بم تسببوا به لعذاب الله من الكفر بالله وآياته ورسله، وبالظلم لغيرهم، كما كان يجري منهم في معاملاتهم للناس بأنواع الظلم. ٥٥- وشر ما يدب على وجه الأرض من أنواع الحيوان، لعدم تعقلهم لما فيه رشادهم في حكمه سبحانه، المصرون على الكفر، المتمادون في الضلال ﴿فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٥﴾﴾ أبدًا، ولا يرجعون عن الغواية أصلاً. وهؤلاء هم: ٥٦- ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ﴾ من الذين كفروا ﴿ثُمَّ﴾ هم ﴿يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ﴾ الذي عاهدتم عليه ﴿فِي كُلِّ مَرَّةٖ﴾ من مرات المعاهدة ﴿وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾﴾ النقض، ولا يخافون عاقبته، ولا يتجنبون أسبابه، ومن هؤلاء بنو قريظة، عاهدهم رسول الله ﷺ ألا يعينوا الكفار فلم يفوا بذلك، بل ذهبوا إلى مكة يؤلبون الكفار على حرب المسلمين، ويَعِدونهم العون والنصر عليهم، وجاءت قريش إلى غزوة الخندق، فنقض بنو قريظة عهدهم مع المسلمين، فأوقع بهم المسلمون كما هو معروف في السيرة. ٥٧- وإن تقدر عليهم وتتمكن من غلبهم ﴿فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ﴾ أي ففرق بقتلهم والتنكيل بهم من خلفهم من المحاربين لك من أهل الشرك حتى يهابوا جانبك، ويكفوا عن حربك، مخافة أن ينزل بهم ما نزل بهؤلاء. ٥٨- ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ﴾ أي غشًا ونقضًا للعهد من القوم المعاهدين فاطرح إليهم العهد الذي بينك وبينهم على طريق مستوية، بالنقض، ولا يناجزهم الحرب بغتة، والآية عامة في كل معاهد يُخاف من وقوع النقض منه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ تحذير لرسول الله ﷺ عن المناجزة قبل أن ينبذ إليهم على سواء. ٥٩- ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أنفسهم ﴿سَبَقُوٓاْ﴾ فاتونا وأفلتوا من أن نظفرك بهم ﴿إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ ﴿٥٩﴾﴾ أي إنهم وإن أفلتوا من هذه الوقعة فستدركهم بالعذاب لا محالة. ٦٠- القوة: كل ما يتقوى به في الحرب، ومن ذلك السلاح، والحصون من كل ما تقدرون عليه ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ﴾ وهي الخيل التي ترتبط بإزاء العدو ﴿تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾ هم المشركون من أهل مكة وغيرهم ممن يحاربكم ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ﴾ هم المنافقون، وقيل: هم اليهود، وقيل: فارس والروم، وغيرهم من كل من لا تعرف عداوته ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ﴾ في الجهاد وإن كان يسيرًا حقيرًا فجزاؤه في الدنيا والآخرة، أضعافًا كثيرة. ٦١- وإن مالوا إلى الصلح ودفع الجزية فاقبلوا منهم، =

وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ
بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ
مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ
ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ
ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ
ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ
يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ
ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ
صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ
بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ
لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا
وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ
ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا
غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾

= ثم قيل: هي منسوخة ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ في جنوحك للسلم ولا تخف من مكرهم، فـ ﴿إِنَّهُۥ﴾ سبحانه ﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لما يقولون ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾ بما يفعلون. ٦٢- ﴿وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ﴾ بالصلح، وهم مضمرون الغدر والخداع ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ﴾ أي كافيك ما تخافه من شرورهم بالنكث والغدر ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾ فإن الله الذي قواك عليهم بالنصر فيما مضى، وهو يوم بدر، هو الذي سينصرك ويقويك عليهم عند حدوث الخدع والنكث. ٦٣- ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ المراد: الأوس والخزرج. كان بينهم عصبية شديدة وحروب عظيمة، فألف الله بين قلوبهم بالإيمان برسول الله ﷺ، وقيل: أراد التأليف بين المهاجرين والأنصار ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ لما كان بينهم من العصبية والعداوة قد بلغ إلى حد لا يمكن دفعه بحال من الأحوال ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ بعظيم قدرته وبديع صنعه. ٦٤- المعنى: إن الله كافيك وكافي المؤمنين. ٦٥- ﴿حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ﴾ أي حثهم وحضهم، ثم بشرهم تثبيتًا لقلوبهم وتسكينًا لخواطرهم: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ﴾ وهذه البشارة بهذا العدد، وهي جارية في كل عدد ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا﴾ ومن غُلبَ من المسلمين بأقل من هذا العدد، فذلك لعدم إيمانهم، أو عدم صبرهم، أو عدم استعدادهم، أو للتنازع الذي قد يحصل بينهم، أو لغير ذلك من الأسباب التي أشير إلى بعضها في هذه السورة. وقيل: إن هذا الخبر الواقع في الآية هو معنى في الأمر. كانوا مأمورين من جهة الله سبحانه بأن تثبت الجماعة منهم لعشرة أمثالهم. ٦٦- ثم لما شق ذلك عليهم واستعظموه، خفف عنهم ورخص لهم لما علمه سبحانه من وجود الضعف فيهم فقال: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ﴾ إلى آخر الآية، فأوجب على الواحد أن يثبت لاثنين من الكفار ﴿قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ يقاتلون على غير بصيرة، ومن كان هكذا فهو مغلوب في الأكثر. ٦٧- أخبر الله سبحانه أن قتل المشركين يوم بدر كان هو الواجب على المسلمين لا أسرهم وأخذ الفداء منهم كما فعل المسلمون يومئذ ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي نفعها ومتاعها بما قبضتم من الفداء ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ بما يحصل لكم من الثواب في الإثخان بالقتل.

٦٨- ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ﴾ من المال فداء لأسرى بدر ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ وهذا الكتاب مغفرة الله لأهل بدر ما تقدم من ذنوبهم وما تأخر. ٦٩- وكلوا من الفداء الذي غنمتم، فإنه من جملة الغنائم التي أحلها الله لكم ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ فيما يستقبل، فلا تقدموا على شيء لم يأذن الله لكم به ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لما فرط منكم ﴿رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾﴾ بكم، فلذلك رخص لكم فيما أخذتموه من الفداء ولم يحرمه عليكم.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ
فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ
وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ
ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٧١ إِنَّ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ
ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ
وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ
بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٧٢ وَٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي
ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ٧٣ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ
وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٧٤ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ
بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ
بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٧٥

٧٠- قل لهؤلاء الأسرى الذين هم في أيديكم أسرتموهم يوم بدر وأخذتم منهم الفداء: إن يعلم الله في قلوبكم من حسن إيمان وصلاح نية وخلوص طويّة يؤتكم خيرًا مما أخذ منكم فداءً ﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ﴾ ذنوبكم.

٧١- إن كان قولهم كذبًا فقد كفروا وقاتلوك من قبل فأمكنك الله ﴿مِنۡهُمۡۗ﴾ فهزمتهم، فلا تعبأ بهم لأن الله عليمٌ بنيَّاتهم ومظهر لك كيدهم، حكيمٌ في كل ما صنع وقدر.

٧٢- وختم الله سبحانه هذه السورة بذكر الموالاة، ليعلم كل فريق وليه الذي يستعين به. وسمى سبحانه المهاجرين إلى المدينة بهذا الاسم، لأنهم هجروا أوطانهم وفارقوها طلبًا لما عند الله، وإجابة لداعيه ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ﴾ هم الأنصار ﴿أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾ في النصرة والمعونة، وقيل: في الميراث أيضًا، فقد كانوا يتوارثون بالهجرة والنصرة، ثم نسخ ذلك بقوله سبحانه ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ﴾ أي ما لكم من نصرتهم وإعانتهم، أي ليس عليكم أن تنصروهم، أو ما لكم من ميراثهم شيء لعدم وقوع الهجرة منهم ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ﴾ أي هؤلاء الذين آمنوا ولم يهاجروا إذا طلبوا منكم النصرة لهم على المشركين فواجب عليكم النصر ﴿إِلَّا﴾ أن يستنصروكم ﴿عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ﴾ فلا تنصروهم، ولا تنقضوا العهد الذي بينكم وبين أولئك القوم حتى تنقضي مدته. ٧٣- ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ﴾ فيه تعريض للمسلمين بأنهم لا يناصرون الكفار ولا يتولونهم ﴿إِلَّا تَفۡعَلُوهُ﴾ من موالاة المؤمنين ومناصرتهم على التفصيل المذكور، وترك موالاة الكافرين ﴿تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ٧٣﴾ أي مفسدة كبيرة في الدين والدنيا. ٧٤- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ﴾ أي الكاملون في الإيمان ﴿لَّهُم﴾ من عند الله تعالى ﴿مَّغۡفِرَةٞ﴾ لذنوبهم في الآخرة، ولهم في الدنيا ﴿وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٧٤﴾ خالص عن الكدر، طيب مستلذ.

٧٥- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ﴾ أي بعد نزول هذه الآيات فأولئك منكم أي من جملة المهاجرين والأنصار في استحقاق ما استحقوه من الموالاة والمناصرة، وكمال الإيمان، والمغفرة، والرزق الكريم ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ﴾ والمراد بهم: القرابات فيتناول كل قرابة من العصبات وغير العصبات ﴿بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ﴾ أي في حكمه، ويدخل في هذه الأولوية الميراث دخولاً أوليًّا لوجود سببه، أعني القرابة. عن ابن عباس قال: آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه وورث بعضهم من بعض، حتى نزلت هذه الآية ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ﴾ فتركوا ذلك وتوارثوا بالنسب.

سورة التوبة | ترتيبها ٩ | آياتها ١٢٩

بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١
فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى
ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ٢ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ
إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ
وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟
أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ
٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ
شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ
مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ٤ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ
فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ
وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٥
وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ
كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ٦

سورة التوبة

هي مائة وتسع وعشرون آية وإنما سميت سورة التوبة لأن فيها التوبة على المؤمنين عامة، وتسمى الفاضحة لكونها فضحت المنافقين، وهي مدنية نزلت عام تسع من الهجرة بعد فتح مكة بعام، وأرسل النبي ﷺ بالآيات العشر الأولى منها مع علي رضي الله عنه ليقرأها على أهل مكة، وينبذ العهود إلى المشركين بعد أن كثر منهم النقض. فكان ينادي: لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يجتمع مسلم وكافر بالبيت الحرام بعد عامهم هذا ومن كان بينه وبين النبي ﷺ أجل فأجله إلى مدته. ومن لم يكن له أجل فأجله أربعة أشهر. ١- المعنى: الإخبار للمسلمين بأن الله ورسوله قد برئا من تلك المعاهدات بسبب ما وقع من الكفار من النقض، فصار النبذ إليهم بعهدهم واجبًا على المعاهدين من المسلمين.

٢- المعنى: أن الله سبحانه بعد أن أمر بالنبذ إلى المشركين بعهدهم، أباح للمشركين الضرب في الأرض، والذهاب إلى حيث يريدون، والاستعداد للحرب هذه الأربعة الأشهر، وهم حرب بعد ذلك لله ولرسوله وللمؤمنين يُقتلون حيث يوجدون. وابتداء هذا الأجل يوم الحج الأكبر وانقضاؤه إلى عشر من ربيع الآخر من سنة عشر واعلموا أن هذا الإمهال ليس لعجز، ولكن لمصلحة، ليتوب من تاب، ولا تفوتون الله وهو مخزيكم: أي مذلكم ومهينكم في الدنيا بالقتل والأسر، وفي الآخرة بالعذاب لمن أصر على الكفر. ٣- ﴿وَأَذَٰنٌ﴾ وهو الإعلام والإعلان العام إلى كافة الناس غير مختص بقوم دون قوم، يوم عيد الأضحى. ووصفه بالأكبر لأنه يجتمع فيه الناس، أو لكون معظم أفعال الحج فيه، وجعل الإعلان فيه ليكفل بلوغه إلى الناس جميعًا. أن الله قد برئ من المشركين الناقضين للعهد والرسول أيضًا قد برئ منهم. ﴿فَإِن تُبْتُمْ﴾ أي من الكفر ﴿فَهُوَ﴾ أي التوبة ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مما أنتم فيه من الكفر ﴿وَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي وبقيتم على الكفر ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾ أي غير فائتين عليه، بل هو مدرككم فمجازيكم بأعمالكم. ٤- ﴿ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا﴾ أي لم يقع منهم أي نقص وإن كان يسيرًا، أي لم ينقضوا عهدكم، وفيه دليل على أنه كان من أهل العهد من خاس بعهده، ومنهم من ثبت عليه، فأذن الله سبحان لنبيه ﷺ بنقض عهد من نقض، وأمره بالوفاء لمن لم ينقض إلى مدته ﴿وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾ أي لم يعاونوا عليكم أحدًا من أعدائكم ﴿فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ﴾ أي أدوا إليهم عهدهم تامًا غير ناقص ﴿إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ﴾ التي عاهدتموهم إليها، وإن كانت أكثر من أربعة أشهر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ٤﴾ الذين يتقون الله فيما حرم عليهم فيوفون بالعهد. ٥- ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾ هي الأشهر الأربعة التي أمهلهم إليها، وسميت حرمًا لأن الله سبحانه حرم على المسلمين فيها دماء المشركين والتعرض لهم ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي قاتلوهم حتى تقتلوهم، أي مع مراعاة ما شرعه الله تعالى في قتال الكفار ﴿حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ في أي مكان وجدتموهم، ﴿وَخُذُوهُمْ﴾ أي اتسروهم فإن الأخيذ هو الأسير ﴿وَٱحْصُرُوهُمْ﴾ الحصر: منعهم من التصرف =

كَيۡفَ يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ عَهۡدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ
رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ فَمَا
ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ
٧ كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلّٗا
وَلَا ذِمَّةٗۚ يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ وَأَكۡثَرُهُمۡ
فَٰسِقُونَ ٨ ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا فَصَدُّواْ
عَن سَبِيلِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩ لَا يَرۡقُبُونَ
فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ ١٠
فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ
فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ١١ وَإِن نَّكَثُوٓاْ
أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ
أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ
١٢ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ
بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ
أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣

١٨٨

= في بلاد المسلمين إلا بإذن منهم ﴿كُلَّ مَرۡصَدٖۚ﴾ المرصد الموضع الذي يرقب فيه العدو، أي اقعدوا لهم في المواضع التي ترتقبونهم فيها. وهذه الآية المتضمنة للأمر بقتل المشركين عند انسلاخ الأشهر الحرم عامة لكل مشرك لا يخرج عنها إلا من خصته السنة، وهو المرأة والصبي، والعاجز الذي لا يقاتل، وأهل الكتاب الذين يعطون الجزية. وهذه الآية نسخت كل آية فيها ذكر الإعراض عن المشركين، والصبر على أذاهم ﴿فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ﴾ أي اتركوهم وشأنهم فلا تأسروهم ولا تحصروهم ولا تقتلوهم إن تابوا وفعلوا ما ذُكر. ٦- وإن أحد من المشركين استجارك فكن جارًا له محاميًا عنه حتى يسمع منك كلام الله ويتدبره حق تدبره، ويقف على حقيقة ما تدعو إليه ﴿ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ﴾ أي إلى الدار التي يأمن فيها بعد أن يسمع كلام الله إن لم يسلم، ثم بعد أن تبلغه مأمنه جاز لك أن تقاتله، فقد خرج من جوارك وأمِن ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ ٦﴾ العلم النافع المميز بين الخير والشر. ٧- ومحال أن يثبت لهؤلاء عهد وهم أضداد لكم، مضمرون للغدر، يتحينون الفرص لينقضوا عهدكم، أي فلا يطمعوا في ذلك ولا يحدثوا به أنفسهم ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾ ولم ينقضوا ولم ينكثوا، أي: فلا تقاتلوهم. فما داموا مستقيمين لكم على العهد الذي بينكم وبينهم ﴿فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ﴾ قيل: هم بنو كنانة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٧﴾ إشارة إلى أن الوفاء بالعهد، والاستقامة عليه من أعمال المتقين. ٨- ﴿كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ﴾ بالغلبة لكم ﴿لَا يَرۡقُبُواْ﴾ أي لا يراعوا فيكم ﴿إِلّٗا﴾ الإل: القرابة ﴿وَلَا ذِمَّةٗۚ﴾ الذمة العهد ﴿يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ أي يقولون بألسنتهم ما فيه مجاملة ومحاسنة لكم، طلبًا لمرضاتكم وتطييب قلوبكم وقلوبهم تأبى ذلك وتخالفه، وتود ما فيه مساءتكم ومضرتكم، ثم حكم عليهم بالفسق، وهو التمرد والتجري، والخروج عن الحق لنقضهم العهود، وعدم مراعاتهم للعقود. ٩- واستبدلوا بآيات القرآن التي من جملتها ما فيه الأمر بالوفاء بالعهود ثمنًا قليلاً حقيرًا، وهو ما آثروه من حطام الدنيا وأعرضوا عن سبيل الحق، وصرفوا غيرهم عنه. ١٠- وليس عندهم أي مراعاة لحقوق المؤمنين على الإطلاق وأولئك هم المجاوزون للحلال إلى الحرام بنقض العهد، أو البالغون في الشر والتمرد إلى الغاية القصوى. ١١- ﴿فَإِن تَابُواْ﴾ عن الشرك، والتزموا أحكام الإسلام، وتركوا اللات والعزى، وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله فهم مسلمون مثلكم ولا يحل لكم قتالهم. عن ابن عباس قال: حرمت هذه الآية قتال أو دماء أهل الصلاة. ١٢- وإن نكثوا العهود التي عاهدوا بها المسلمين، ووثقوها لهم بالأيمان، وضموا إلى ذلك الطعن في دين الإسلام، والقدح فيه، فقد وجب على المسلمين قتالهم ﴿أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾ صناديد المشركين، وأهل الرئاسة فيهم على العموم ﴿إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ﴾ المعنى: أن أيمان الكافرين الناقضين، وإن كانت في الصورة يمينًا، فهي في الحقيقة ليست بيمين حتى يستحقوا العصمة لدمائهم وأموالهم ﴿لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ١٢﴾ أي عن كفرهم ونكثهم وطعنهم في دين الإسلام. ١٣- ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ﴾ =

قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ
عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ
غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ
﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟
مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ
وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ
أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ
أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾
إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ
وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ
أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ
ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ
وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾

١٨٩

ثلاثة أرباع الحزب ١٩

= للتحضيض على القتال والمبالغة في تحققه. فمن كان حاله كحال هؤلاء: من نقض العهد، وإخراج الرسول من مكة، والبداءة بالقتال، فهو حقيق بألا يترك قتاله، وأن يوبَّخ من فرط في ذلك، أتخشونهم أن ينالكم منهم مكروه فتتركون قتالهم فالله هو الجدير بأن يخشى؛ فإنه الضار النافع بالحقيقة، ومن خشيتكم له أن تقاتلوا من أمركم بقتاله إن كنتم مؤمنين حقًّا. ١٤- ﴿قَٰتِلُوهُمْ﴾ رتب على هذا الأمر فوائد: الأولى: تعذيب الله للكفار بأيدي المؤمنين بالقتل والأسر، والثانية: إخزاؤهم، قيل: بالأسر، وقيل: بما نزل بهم من الذل والهوان، والثالثة: نصر المسلمين عليهم وغلبتهم لهم، والرابعة: أن الله يشفي بالقتال صدور قوم مؤمنين ممن لم يشهد القتال ولا حضره. ١٥- والخامسة: أنه سبحانه يُذهب بالقتال غيظ قلوب المؤمنين الذي نالهم بسبب ما وقع من الكفار من نقض للعهد ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ كما وقع من بعض أهل مكة يوم الفتح، فإنهم أسلموا وحسن إسلامهم. ١٦- ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟﴾ من غير أن تُبتلوا بما يظهر به المؤمن والمنافق ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ﴾ كيف تحسبون أنكم تتركون ولم يتبين المخلص منكم في جهاده من غير المخلص ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ الوليجة: البطانة من المشركين، والمعنى: لا بد أن يعلم الله هؤلاء ويميزهم ممن اتخذوا دخيلة أو بطانة من المشركين يفشون إليهم بأسرارهم ويعلمونهم أمورهم من دون الله ورسوله والمؤمنين. ١٧- ما صح لهم وما استقام أن يشغلوا المساجد بعباداتهم ويخدموها، وقيل: المراد بهذه الآية المسجد الحرام خاصة ﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾ بإظهار ما هو كفر من نصب الأوثان، والعبادة لها، وجعلها آلهة، فكيف يجمعون بين ذلك وبين عمارة المساجد التي هي من شأن المؤمنين وحدهم. وقيل: المراد بهذه الشهادة قولهم في طوافهم: لبيك لا شريك لك، إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ التي يفتخرون بها ويظنون أنها من أعمال الخير التي يعملونها، ومنها عمارة المساجد. أي بطلت ولم يبق لها أثر. ١٨- ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ وفعل ما هو من لوازم الإيمان من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ﴿وَلَمْ يَخْشَ﴾ أحدًا ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾ فمن كان مؤمنًا موحدًا يعمل هذه الأعمال الصالحة كما أمره الله فهو الحقيق بعمارة المساجد، لا من كان خاليًا منها ﴿فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ إذا كان اهتداؤهم مرجوا فقط، فكيف بالكفار الذين لم يتصفوا بشيء من تلك الصفات. وقيل: إن الرجاء راجع إلى العباد. ١٩- وأنكر عليهم التسوية بين ما كان تعمله الجاهلية من الأعمال التي صورتها صورة الخير، وإن لم ينتفعوا بها، وبين إيمان المؤمنين وجهادهم في سبيل الله، وقد كان المشركون يفتخرون بالسقاية والعمارة ويفضلونها على عمل المسلمين. لا تساوي تلك الطائفة الكافرة الساقية للحجيج العامرة للمسجد الحرام، هذه الطائفة المؤمنة بالله واليوم الآخر المجاهدة في سبيله، فكيف يدعون أنهم أفضل عملاً ومكانة من المؤمنين ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾ سماهم ظالمين=

يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا
نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ
عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ
وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ
وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن
كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ
وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ
تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ
فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى
ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ
كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ
تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ
بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ
عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا
وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾

= فلم تغن عنهم عمارة المسجد الحرام شيئًا. ثم صرح بالفريق الفاضل فقال: ٢٠- ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ إلى آخره، أي: الجامعون بين الإيمان والهجرة والجهاد بالأموال والأنفس ﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ﴾ وأحق بما لديه من الخير من تلك الطائفة المشركة المفتخرة بأعمالها الحابطة الباطلة ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾ المتصفون بالصفات المذكورة هم المختصون بالفوز عند الله دون غيرهم من أهل الشرك، وإن كانوا يسقون الحجيج، ويعمرون الكعبة والمسجد الحرام. ٢١- ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ فوق وصف الواصفين، وتصور المتصورين. والنعيم المقيم: الدائم المستمر الذي لا يفارق صاحبه.

٢٣- ﴿لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ﴾ حكم باقٍ إلى يوم القيامة، يدل على قطع الولاية بين المؤمنين والكافرين، نزلت في الحض على الهجرة ورفض بلاد الكفر، ونهت المؤمنين أن يوالوا الآباء والإخوة، فيكونوا لهم تبعًا، إن أقاموا على كفرهم وأبو أن يسلموا، ثم حكم على من يتولى من استحب الكفر على الإيمان من الآباء والإخوان بالظلم، فدل ذلك على أن تولي من كان كذلك من أعظم الذنوب وأشدها.

٢٤- ﴿وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ عشيرة الرجل: قرابته الأدنون، والاقتراف الاكتساب، والتجارة: الأمتعة التي يشترونها ليربحوا فيها، والكساد: عدم النَّفاق لفوات وقت بيعها بالهجرة ومفارقة الأوطان ﴿وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ﴾ هي المنازل التي تعجبهم وتميل إليها أنفسهم، أي: إن كانت هذه الأشياء ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ ومن الجهاد في سبيل الله، فاشتغلتم بها عن حق الله تعالى وتنفيذ أوامره والهجرة والجهاد في سبيله فانتظروا ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ فيكم وما تقتضيه مشيئته من عقوبتكم. ٢٥- ونصركم يوم حنين ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ أما فيما قبل يوم حنين فكان المسلمون قلة، وكثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن، ولم يكونوا كثيرًا في جميعها. وحنين: واد بين مكة والطائف، التقى فيه النبي ﷺ والمسلمون معه بكفار هوازن وأهل الطائف، وكانوا اثني عشر ألفًا. فقال قائلهم: لن نغلب اليوم من قلة، ثم انهزموا، وثبت رسول الله ﷺ وثبت معه طائفة يسيرة، منهم: أبو بكر وعمر وعمه العباس وأبو سفيان بن الحارث، ثم تراجع المسلمون فكان النصر والظفر ﴿بِمَا رَحُبَتْ﴾ المعنى: أن الأرض مع كونها واسعة الأطراف ضاقت عليهم من الخوف والوجل ﴿ثم وليتم مدبرين﴾ أي انهزمتم مولين أدباركم إلى جهة عدوكم. ٢٦- ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي أنزل ما يسكنهم فيذهب خوفهم حتى وقع منهم الاجتراء على قتال المشركين، المراد من ثبت منهم فلم ينهزم ومن رجع وقاتل وهم الأنصار ﴿وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ هم الملائكة ﴿وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بما وقع عليهم من القتل والأسر، وأخذ الأموال، وسبي الذرية.

ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ
نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ۚ
وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن
شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ
ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟
ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ
﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى
ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ
يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ
ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ
وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ
مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ
لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾

٢٧- ثم يتوب الله من بعد هذا التعذيب على من يشاء ممن هداه منهم إلى الإسلام. ٢٨- ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ المراد نجاسة الشرك والظلم والأخلاق والعادات السيئة. والكافر ليس بنجس الذات، لأن الله سبحانه أحل طعامهم. وثبت عن النبي ﷺ أنه أكل في آنيتهم، وشرب منها، وتوضأ فيها، وأنزلهم في مسجده، فلا يدخلوا الحرم المكي، ومنه المسجد الحرام، ولو لحج أو عمرة، فليس لهم أن يحجوا البيت أو يعتمروا. أما غير المسجد الحرام من المساجد. فذهب أهل المدينة إلى منع كل مشرك عن كل مسجد لأنهم نجس، والمساجد طاهرة مطهرة، ونهي المشركين عن أن يقربوا المسجد الحرام هو نهي للمسلمين عن أن يمكنوهم من ذلك ﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا﴾ سنة تسع، وهي التي حج فيها أبو بكر على الموسم، فيمنعون من دخوله ابتداء من سنة عشرة للهجرة ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ العيلة: الفقر، وكان المسلمون لما منعوا المشركين من الموسم، وهم كانوا يجلبون إليه الأطعمة والتجارات، قذف الشيطان في قلوبهم الخوف من الفقر، وقالوا: من أين نعيش؟ فوعدهم الله أن يغنيهم من فضله ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ قال عكرمة: أغناهم بإدرار المطر، والنبات، وخصب الأرض، وأسلمت العرب، فحملوا إلى مكة ما أغناهم الله به، وأغناهم بالفيء. ٢٩- ﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ فبين الذنب الذي يوجب العقوبة ﴿وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ أكد الذنب في جانب الاعتقاد. ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ فيه زيادة للذنب في مخالفة الأعمال، ثم قال: ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ﴾ فيه إشارة إلى تأكيد المعصية بالانحراف، والمعاندة، والأنفة عن الاستسلام، ثم قال: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ تأكيد للحجة عليهم، لأنهم كانوا يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ﴾ الجزية: هي المبلغ من المال الذي يفرض على الكافر إذا أُذِنَ له في الإقامة بدار الإسلام ﴿عَن يَدٍ﴾ مواتية غير ممتنعة، وقيل: معناه يعطونها بأيديهم غير مستنيبين فيها أحدًا، والمعنى: أن الذمي يعطي الجزية حال كونه صاغرًا ذليلاً، فيأتي بها بنفسه ويسلمها وهو قائم، والمتسلم قاعد. ٣٠- ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ قالوا هذا عندما جاء عزير فأملى عليهم التوراة من صدره بعد نسيانهم لها ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ قالوا هذا لما رأوا من إحيائه للموتى مع كونه من غير أب ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ أي أن هذا القول لما كان ساذجًا ليس فيه بيان، ولا عضده برهان، كان مجرد دعوى ليس فيها إلا كونها خارجة من الأفواه، غير مفيدة لفائدة يعتد بها ﴿يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ شابهوا بهذه المقالة عبدة الأوثان في قولهم: اللات والعزى ومناة بنات الله، والملائكة بنات الله ﴿قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ دعاء عليهم بالهلاك، لأن من قاتله الله هلك. وقيل المعنى: لعنهم الله كيف يصرفون عن الحق إلى الباطل. ٣١- ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ﴾ =

يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ
أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ
أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ
كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ
أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ
وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ
عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ
وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ
تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ
شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ
أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا
يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾

الحزب ٢٠

= ﴿ٱللَّهِ﴾ كانو إذا أحلوا لهم شيئًا استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئًا حرموه. أطاعوهم فيما يأمرونهم به وينهونهم عنه فيما يخالف أحكام الله تعالى، فنسخوا بذلك ما في كتب الله، فكانوا بمنزلة المتخذين لهم أربابًا لأنهم أطاعوهم كما تطاع الأرباب ﴿وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ أي اتخذه النصارى ربًّا معبودًا، وبه إشارة إلى أن اليهود لم يتخذوا عزيرًا ربًّا معبودًا وما أمر الأحبار والرهبان وعيسى وعزير إلا بعبادة الله وحده، فكيف يكونون آلهة؟ أو كيف حق لأتباعهم أن يتخذوهم آلهة؟ ﴿سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ أي تنزيهًا له عن الإشراك في طاعته وعبادته.

٣٢- هذا كلام يتضمن ذكر نوع آخر من أنواع ضلالهم وهو ما راموه من إبطال الحق بأقاويلهم الباطلة والمجادلات الزائفة ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ أي دينه القويم.

٣٣- هو الذي أرسل بما يهدي به الناس من البراهين والمعجزات والأحكام التي شرعها الله لعباده ﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ وهو الإسلام ليظهر رسوله، أو دين الحق بما اشتمل عليه من الحجج والبراهين، وقد وقع ذلك ولله الحمد.

٣٤- ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ﴾ أي من هؤلاء الذين اتخذهم اليهود والنصارى أربابًا يأكلون السحت والمال الحرام، كالرشوة ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي عن الطريق إليه، وهو دين الإسلام ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾ الكنز: كل شيء مجموع بعضه إلى بعض، أي لا يؤدون زكاة أموالهم، فالمال الذي أديت زكاته ليس بكنز ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾ أي الكنوز والأموال ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾ من باب التهكم. ٣٥- ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ أي إن النار توقد عليها وهي ذات حمى وحر شديد ﴿هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ أي يقال لهم: هذا ما كنزتموه لتنتفعوا به، فهذا نفعه، على طريقة التهكم والتوبيخ فذوقوا وباله، وسوء عاقبته. ٣٦- وعدد شهور السنة في حكمه تعالى وقضائه وحكمته، اثنا عشر شهرًا فيما أثبته في كتابه وهو ثابت في علمه في أول ما خلق الله العالم ﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ هي ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب: ثلاثة سردٌ، وواحد فرد ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ أي كون هذه الشهور كذلك، ومنها أربعة حرم، هو الدين المستقيم، والحساب الصحيح، والعدد المستوفي ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ أي في هذه الأشهر الحرم بإيقاع القتال فيها والهتك لحرمتها، وتحريم القتال في الأشهر الحرم ثابت محكم لم ينسخ، لهذه الآية ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ أي جميعًا ﴿كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾ أي جميعًا ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ أي ينصرهم ويثبتهم، ومن كان الله معه فهو الغالب، وله العاقبة.

إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ
فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ
لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ
إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ
فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾
إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا
غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ
قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ
يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ
ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا
وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ
وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

٣٧- ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ﴾ هو تأخير التحريم من شهر إلى شهر، فيحللون بعضها ويحرمون مكانه بقدره من غير الأشهر الحرم، فيحلون شهر المحرم مثلاً في بعض السنين، ويحرمون بدله صفر. وقيل في تفسير معنى النسيء غير ذلك ﴿زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾ إلى كفرهم بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر ﴿يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي إن الذي سن لهم ذلك يجعلهم ضالين بهذه السنة السيئة ﴿يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا﴾ بإبداله بشهر آخر من شهور الحل ﴿وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا﴾ أي: يحافظون عليه فلا يحلون فيه القتال، بل يبقونه على حرمته ﴿لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ أنهم لم يحلوا شهرًا إلا حرموا شهرًا، لتبقى الأشهر الحرم أربعة في العدد فأنكر الله تعالى عليهم إحلال ما حرم الله وتحريم ما أحل ليوافقوا هوى أنفسهم بالقتال في الأشهر التي يحلونها.

﴿فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ أي من الأشهر الحرم التي أبدلوها بغيرها ﴿زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡ﴾ أي: زين لهم الشيطان الأعمال السيئة التي يعملونها، ومن جملتها النسيء والله لا يهدي القوم المصرين على كفرهم المستمرين عليه. ٣٨- نزلت عتابًا لمن تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، وكانت سنة تسع من الهجرة بعد الفتح بعام، والنفير: هو الخروج للقتال ﴿ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ أصله تثاقلتم أي تباطأتم وملتم إلى الإقامة بأرضكم والبقاء فيها ﴿أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي بنعيمها بدلاً من الآخرة، فإن نعيم الآخرة يحصل بالجهاد والنفير في سبيل الله ﴿فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أي في جنب الآخرة، وفي مقابلها ﴿إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾ حقير لا يعبأ به. ٣٩- ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ﴾ أي إن تركتم الجهاد عذبكم الله بالقهر والإذلال ﴿وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ﴾ ينصرونه تكون لهم الدولة ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗا﴾ بترك امتثال أمره بالنفير، أو لا تضروا رسول الله بترك نصره والنفير معه شيئًا ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ من جملة مقدوراته تعذيبكم والاستبدال بكم. ٤٠- وإن تركتم نصرة رسول الله ﷺ فالله متكفل به ﴿فَقَدۡ نَصَرَهُ﴾ في مواطن القلة، وأظهره على عدوه بالغلبة والقهر، أو فسينصره مَن نَصره حين لم يكن معه إلا رجل واحد وقت إخراج الذين كفروا له ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾ أي أحد اثنين، وهما رسول الله ﷺ وأبو بكر الصديق رضي الله عنه، ﴿إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ﴾ والغار: ثقب في الجبل المسمى ثورًا، وهو جبل قريب من مكة ﴿إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ﴾ لأبي بكر ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ ومن كان الله معه فلن يُغلب، ومن لا يُغلب فيحق له ألا يحزن ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ﴾ السكينة: تسكين جأشه وتأمينه حتى ذهب روعه وحصل له الأمن ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾ هي الملائكة كما كان في يوم بدر ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰ﴾ أي كلمة الشرك، وكلمة التوحيد ودعوى الإسلام، صفتها الدائمة أنها فوق كل كلمة، والإسلام يعلو ولا يُعلى، والله غالب قاهر لا يفعل إلا ما فيه حكمة وصواب.

رُبع الحزب ٢٠

ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ
فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤١
لَوۡ كَانَ عَرَضٗا قَرِيبٗا وَسَفَرٗا قَاصِدٗا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ
عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ وَسَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا لَخَرَجۡنَا
مَعَكُمۡ يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ٤٢
عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ
صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٤٣ لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ
يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ
وَأَنفُسِهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ٤٤ إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ
لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ
فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ ٤٥ ۞ وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ
لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ
وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ٤٦ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم
مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ
ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٤٧

٤١- ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا﴾ نشاطًا وغير نشاط، فقراء وأغنياء، شبابًا وشيوخًا، رجالاً وفرسانًا، ومن لا عيال له ومن له عيال ﴿وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الجهاد فرض كفاية، فإن كان لا يقوم بالعدو إلا جميع المسلمين في قطر من الأرض أو أقطار، وجب عليهم ذلك وجوب عين ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ أي خير عظيم في نفسه، أو خير من السكون والدعة. ٤٢- ﴿لَوۡ كَانَ عَرَضٗا قَرِيبٗا﴾ لو كان المدعو إليه غنيمة قريبة غير بعيدة ﴿وَسَفَرٗا قَاصِدٗا﴾ متوسطًا بين القرب والبعد ﴿لَّٱتَّبَعُوكَ﴾ أي: لمشي معك إليه هؤلاء المتخلفون ﴿وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ﴾ غزوة تبوك فإنها كانت سفرة بعيدة شاقة ﴿وَسَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ﴾ أي المتخلفون عن غزوة تبوك، قائلين ﴿لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ﴾ أي لو قدرنا على الخروج، ووجدنا ما نحتاج إليه فيه مما لا بد منه ﴿لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ﴾ لأن من حلف كاذبًا فقد أهلك نفسه ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ٤٢﴾ في حلفهم الذي سيحلفون به لكم. كانوا يستطيعون الخروج، ولكن كان تركه تبطئة من عند أنفسهم وزهادة في الجهاد. ٤٣- ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾ لم سارعت إلى الإذن لهم في التخلف عن الجهاد بأعذار أخبروك بها، وهلا تأنيت حتى يتبين لك صدق من هو صادق منهم في العذر الذي أبداه، وكذب من هو كاذب منهم في ذلك. ٤٤- ﴿لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ﴾ لا يستأذنك المؤمنون في الجهاد، بل دأبهم أن يبادروا إليه، من غير توقف ولا ارتقاب منهم لوقوع الإذن منك، فضلا عن أن يستأذنوك في التخلف ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ٤٤﴾ وهم هؤلاء الذين لم يستأذنوا. ٤٥- ﴿إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ﴾ في القعود عن الجهاد، والتخلف عنه ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ وهم المنافقون. وذكر الإيمان بالله وباليوم الآخر لأنهما الباعثان على الجهاد في سبيل الله ﴿وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ وهو الشك ﴿فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ ٤٥﴾ يتحيرون، فهؤلاء الذين يستأذنونك ولا عذر لهم ليسوا بمؤمنين، بل هم مرتابون في الدين، حائرون لا يهتدون إلى طريق الصواب. ٤٦- ولو كانوا صادقين فيما يدعونه لما تركوا إعداد العدة وتحصيلها قبل وقت الجهاد، كما يستعد لذلك المؤمنون، لكنهم لم يريدوا الخروج أصلاً، ولا استعدوا للغزو، بما يلزمهم من الزاد والراحلة والسلاح ولكن حبسهم الله عن الخروج معك وخذلهم، لأنهم قالوا: إن لم يؤذن لنا في الجلوس أفسدنا وحرضنا على المؤمنين وأوقع الله في قلوبهم القعود خذلانًا لهم؛ مع أولي الضرر، من العميان، والمرضى، والنساء، والصبيان. وفيه من الذم لهم، والإزراء عليهم، والتنقص بهم، ما لا يخفى. ٤٧- وهذه تسلية للمؤمنين عن تخلف المنافقين. والخبال: الفساد والنميمة وإيقاع الاختلاف والأراجيف ﴿وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ﴾ لسعوا بينكم سعيًا حثيثًا بالإفساد بما يختلقونه من الأكاذيب الموجبة لفساد ذات البين ﴿يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ﴾ في ذات بينكم بما يصنعونه منه التحريش والإفساد وفيكم من يستمع ما يقولونه من الكذب، فينقله إليكم فينشأ من ذلك الاختلاف بينكم، والفساد لإخوانكم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٤٧﴾ =

لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ حَتَّىٰ
جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾
وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ
سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ
﴿٤٩﴾ إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡۖ وَإِن تُصِبۡكَ
مُصِيبَةٞ يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ وَيَتَوَلَّواْ
وَّهُمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ
ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ
﴿٥١﴾ قُلۡ هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ وَنَحۡنُ
نَتَرَبَّصُ بِكُمۡ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٖ مِّنۡ عِندِهِۦٓ
أَوۡ بِأَيۡدِينَاۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلۡ
أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمۡۖ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ
قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ
إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ
إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾

= وبما يحدث منهم لو خرجوا معكم، فلذلك اقتضت حكمته البالغة ألا يخرجوا معكم. ٤٨- ولقد طلبوا الإفساد والخبال وتفريق كلمة المؤمنين وتشتيت شملهم من قبل هذه الغزوة وصرفوها من أمر إلى أمر لعل شيئًا منها يؤثر فيك فيبطل عزمك على الجهاد حتى جاء النصر لك والتأييد ﴿وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ بإعزاز دينه وإعلاء شرعه وقهر أعدائه كان ذلك على رغم منهم. ٤٩- ومن المنافقين ﴿مَّن يَقُولُ﴾ لرسول الله ﷺ ﴿ٱئۡذَن لِّي﴾ في التخلف عن الجهاد ﴿وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ﴾ عن ابن عباس قال: لما أراد النبي ﷺ أن يخرج إلى غزوة تبوك قال لجد بن قيس: يا جدّ: «ما تقول في مجاهدة بني الأصفر؟ فقال: يا رسول الله: إني امرؤ صاحب نساء، ومتى أرى نساء بني الأصفر - يعني نساء الروم - أفتتن، فائذن لي ولا تفتني. وقيل المعنى: لا توقعني في الفتنة أي الإثم إذا لم تأذن لي فتخلفت بغير إذنك ﴿أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْۗ﴾ أي في نفس الفتنة سقطوا، وهي فتنة التخلف عن الجهاد، والاعتذار الباطل.

٥٠- ﴿إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡۖ وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ﴾ الحسنة: الغنيمة والظفر والمصيبة: الجراح والقتل في سبيل الله ﴿قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ﴾ أي احتطنا لأنفسنا، وأخذنا بالحزم، فلم نخرج إلى القتال كما خرج المؤمنون حتى نالهم من المصيبة ﴿وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾﴾ بسلامتهم وبمصيبة المؤمنين. ٥١- ﴿لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ أي في اللوح المحفوظ، وقد أمرنا بالقتال فنحن نمتثل أمره ﴿هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ﴾ أي ناصرنا وجاعل العاقبة لنا ومظهر دينه على جميع الأديان ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ والتوكل على الله تفويض الأمور إليه لا يتوكلون على غيره. ٥٢- هل تنتظرون إلا النصرة أو الشهادة، وكلاهما مما يحسن لدينا ﴿وَنَحۡنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمۡ﴾ إحدى المساءتين لكم: إما ﴿أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٖ مِّنۡ عِندِهِۦٓ﴾ أي قارعة نازلة من السماء فيسحتكم بعذابه ﴿أَوۡ﴾ بعذاب لكم ﴿بِأَيۡدِينَاۖ﴾ أي بإظهار الله لنا عليكم بالقتل والأسر والنهب والسبي ﴿فَتَرَبَّصُوٓاْ﴾ أي تربصوا بنا ما ذكرنا من عاقبتنا، فنحن معكم متربصون ما هو عاقبتكم. ٥٣- وإن أنفقتم طائعين من غير أمر من الله ورسوله، أو مكرهين بأمر منهما، فإن نفقتكم لن تجد قبولاً عن الله تعالى، لأجل الكفر الذي تبطنونه ولفسقكم وتآمركم على حزبه. ٥٤- وجعل المانع من القبول ثلاثة أمور: الأول: الكفر، الثاني: أنهم لا يصلون في حال من الأحوال إلا في حالة الكسل والتثاقل، لأنهم لا يرجون ثوابًا ولا يخافون عقابًا، فصلاتهم ليست إلا رياء، والثالث: أنهم ﴿وَلَا يُنفِقُونَ﴾ أموالهم ﴿إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾ ولا ينفقونها طوعًا، لأنهم يعدون إنفاقها وضعًا لها في مضيعة، لعدم إيمانهم بما وعد الله ورسوله.

فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم
بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾
وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ
قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ
أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ
فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا
هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ
وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ
وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ
لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ
وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ
فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَمِنْهُمُ
ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ
لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾

نصف الحزب ٢٠

٥٥- لا تستحسن ما معهم من الأموال والأولاد ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بسبب عدم الشكر لربهم الذي أعطاهم ذلك، وترك ما يجب عليهم من الزكاة فيها، والتصدق بما يحق التصدق به، كما أن الله يريد أن تخرج أرواحهم حال كفرهم لعدم قبولهم لما جاءت به الأنبياء، وتصميمهم على الكفر، وتماديهم في الضلالة. ٥٦- ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ أي من جملتكم في دين الإسلام ﴿وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾ في ذلك إلا بمجرد ظواهرهم دون بواطنهم ﴿وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾﴾ أي يخافون من لقاء الأعداء، ويجبنون عنهم. ٥٧- ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا﴾ يحفظون نفوسهم فيه منكم من حصن أو غيره ﴿أَوْ مَغَٰرَٰتٍ﴾ وهي الكهوف يستترون فيها عنكم لئلا تلزموهم بالخروج معكم إلى القتال ﴿أَوْ مُدَّخَلًا﴾ أي مكانًا يدخلون فيه لالتجأوا إليه وأدخلوا أنفسهم فيه وهم يسرعون إسراعًا لا يردهم شيء، كما يجمح الفرس إذا لم يرده اللجام. ٥٨- يعيبك في تفريقها وقسمتها فإن أعطوا من الصدقات بقدر ما يريدون ﴿رَضُوا۟﴾ بما وقع من رسول الله ﷺ ولم يعيبوه، وذلك لأنه لا مقصد لهم إلا حطام الدنيا، وليسوا من الدين في شيء ﴿وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ﴾ ما يريدونه ويطلبونه ﴿إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾﴾ يظهرون التذمر وعدم الرضى. ٥٩- ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ أي ما فرضه الله لهم وما أعطاهم رسول الله ﷺ أي لكان خيرًا له ﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ﴾ كفانا الله: سيعطينا من فضله ويعطينا رسوله بعد هذا ما نرجوه ونؤمله ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾ في أن يعطينا من فضله ما نرجوه. ٦٠- ﴿۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ﴾ لما لمز المنافقون رسول الله ﷺ في قسمة الصدقات، بين الله لهم مصرفها دفعًا لطعنهم وقطعًا لشغبهم. ﴿وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾ أي السعاة والجباة الذين يبعثهم الإمام لتحصيل الزكاة ﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ هم الكفار الذي كان النبي ﷺ يتألفهم ليسلموا، وكانوا يدخلون في الإسلام بالعطاء ﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾ بأن يشتري مماليك ثم يعتقهم ﴿وَٱلْغَٰرِمِينَ﴾ هم الذين ركبتهم الديون ولا وفاء عندهم بها، إلا من لزمه دين في سفاهة، فإنه لا يعطى منها ولا من غيرها إلا أن يتوب. وقد أعان النبي ﷺ من الصدقة من تحمل حمالة، وأرشد إلى إعانته منها ﴿وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ هم الغزاة والمرابطون يعطون من الصدقة ما ينفقون في غزوهم ومرابطتهم وإن كانوا أغنياء ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ المراد الذي انقطعت به الأسباب في سفره عن بلده، فإنه يعطى منها وإن كان غنيًّا في بلده ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ كون الصدقات مقصورة على هذه الأصناف هو حكم لازم فرضه الله على عباده، ونهاهم عن مجاوزته. ٦١- ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ هذا نوع آخر من فضائح المنافقين، يقال رجل أذن: إذا كان يسمع مقال كل أحد فيصدقه، ولا يفرق بين الصحيح والباطل، قالوا هذا عن النبي ﷺ اغترارًا منهم بحلمه عنهم، وصفحه عن جناياتهم، كرمًا وحلمًا وتغاضيًا ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ أي نعم هو يستمع لكم، =

يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ لِيُرۡضُوكُمۡ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ
أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ
مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدٗا فِيهَاۚ
ذَٰلِكَ ٱلۡخِزۡيُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ
أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ
إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ
لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ
وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم
بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ
بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ
بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ
عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ
إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ
ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ
فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴿٦٨﴾

= ولكن نعم الأذن هو، لكونه يسمع الخير ولا يسمع الشر ﴿يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أي: يصدق بالله ويصدق المؤمنين ويستمع لهم.

٦٢- ﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ لِيُرۡضُوكُمۡ﴾ وذلك أن المنافقين كانوا في خلواتهم يطعنون على النبي ﷺ فإذا بلغ ذلك إلى المؤمنين، جاء المنافقون فحلفوا لهم على أنهم لم يقولوا ما بلغ عنهم.

٦٣- ﴿مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أي من يعاديها ﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب هو ﴿ٱلۡخِزۡيُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٣﴾﴾ الذل والهوان.

٦٤- ﴿يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ﴾ أي على النبي ﷺ في شأن المنافقين ﴿تُنَبِّئُهُم﴾ أي المنافقين ﴿بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡ﴾ مما يسرونه فضلاً عما يظهرونه، فالمراد: إطلاعهم على أن المؤمنين قد علموا بها في قلوبهم ﴿قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ ﴿٦٤﴾﴾ إما بإنزال سورة، أو بإخبار رسوله بذلك.

٦٥- ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ﴾ عما قالوه من الطعن في الدين، وثلب المؤمنين، بعد أن يطلعك الله عليه ﴿لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُ﴾ ولم نكن في شيء من أمرك ولا أمر المؤمنين ﴿قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾ ولم يعبأ بإنكارهم لأنهم كانوا كاذبين في الإنكار، بل جعلهم كالمعترفين بوقوع ذلك منهم.

٦٦- ﴿لَا تَعۡتَذِرُواْ﴾ فإن ذلك غير مقبول منكم ﴿قَدۡ كَفَرۡتُم﴾ أي أظهرتم الكفر بما وقع منكم من الاستهزاء المذكور ﴿بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ﴾ أي بعد إظهاركم الإيمان.

﴿إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ﴾ وهم من أخلص الإيمان وترك النفاق وتاب عنه ﴿نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِـ﴾ سبب ﴿أَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ مصرين على النفاق لم يتوبوا.

٦٧- ﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖ﴾ ذكورهم في ذلك كإناثهم، وأحوالهم في ذلك متفقة، متناهون، في النفاق والبعد عن الإيمان.

﴿وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡ﴾ أي يشحون فيما ينبغي إخراجه من المال في الصدقة والصلة والجهاد ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ﴾ حتى لا تخطر تقواه لهم على بال ﴿فَنَسِيَهُمۡ﴾ أغفلهم من رحمته.

٦٨- ﴿هِيَ حَسۡبُهُمۡ﴾ أي كافيتهم لا يحتاجون إلى زيادة على عذابها ﴿وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي طردهم وأبعدهم من رحمته.

كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ
أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَاقِكُمْ
كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ
كَالَّذِي خَاضُوا أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ
نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ
إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ
رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن
كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ
وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾
وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ
وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾

٦٩- ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ الخطاب للمنافقين، أي كان قبلكم من الكفار أشد من هؤلاء المنافقين المعاصرين للنبي ﷺ ﴿قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا﴾ أي تمتعوا بنصيبهم الذي قدره الله لهم من ملاذ الدنيا ﴿فَاسْتَمْتَعْتُم﴾ أنتم أيها المنافقون بنصيبكم الذي قدره الله لكم ﴿كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَاقِهِمْ﴾ أي انتفعتم به كما انتفعوا به، عاب على الفريقين استغراقهم في تلك الحظوظ حتى غفلوا عن حق المنعم بها ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ أي كالخوض الذي خاضوه في أسباب الدنيا واللهو واللعب، وقيل: في آيات الله بالتكذيب والمتصفون بهذه الأوصاف بطلت أعمالهم، مما هو في صورة الطاعة وبطلانها في الدنيا: فلأنه يصير ما يرجونه من الغنى فقرًا، ومن العز ذلاً، ومن القوة ضعفًا، وفي الآخرة: فلأنهم يصيرون إلى عذاب النار، ولا ينتفعون بشيء من الأعمال التي يظنونها طاعة وقربة.

٧٠- ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ﴾ أي المنافقين ﴿نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي خبرهم الذي له شأن، وهو ما فعلوه وما فُعِل بهم، فذكر منهم ههنا ست طوائف، قد سمع العرب أخبارهم ﴿قَوْمِ نُوحٍ﴾ وقد أهلكوا بالإغراق ﴿وَعَادٍ﴾ وقد أهلكوا بالريح العقيم ﴿وَثَمُودَ﴾ وقد أخذوا بالصيحة ﴿وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ﴾ وقد سلط الله عليهم البعوض ﴿وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ﴾ وهم قوم شعيب، وقد أخذتهم الرجفة ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتِ﴾ وهي قرى قوم لوط، وقد أهلكهم الله بما أمطر عليهم من الحجارة، وسميت مؤتفكات لأنها انقلبت بهم حتى صار عاليها سافلها ﴿أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي رسل هذه الطوائف الست ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ لأن رسله أنذروهم وحذروهم ﴿وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بسبب ما فعلوه من الكفر بالله وعدم الانقياد لأنبيائه. ٧١- ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ أي قلوبهم متحدة في التواد والتحاب والتعاطف، بسبب ما جمعهم من أمر الدين وضمهم من الإيمان بالله ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي بما هو معروف في الشرع غير المنكر، ومن ذلك توحيد الله سبحانه، وترك عبادة غيره ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ أي عما هو منكر في الدين ﴿وَيُطِيعُونَ اللَّهَ﴾ في صنع ما أمرهم بفعله والمتصفون بهذه الأوصاف ﴿سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ بإنجاز الوعد.

٧٢- ولقد وعد الله هؤلاء المؤمنين والمؤمنات جناتٍ فسيحات تجري الأنهار من تحت قصورها وأشجارها خالدين في نعيمها أبدًا، ومساكن طيبة ليس فيها من السوء شيء، يهنئون بالعيش فيها في جنات الإقامة دار عدن ولهم ما هو أعظم من كل ذلك رضوان الله، فلا يسخط عليهم أبدًا، ذلك هو الفوز العظيم. عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: ربنا وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعطه أحدًا من خلقك؟ فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: يا ربنا وأي شيء أفضل من ذلك؟ قال: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبدًا»**.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ
وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ
مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ
وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ
مِن فَضۡلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ وَإِن يَتَوَلَّوۡاْ يُعَذِّبۡهُمُ
ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَا لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ
مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ
ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾
فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ
﴿٧٦﴾ فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ بِمَآ أَخۡلَفُواْ
ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ
أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ
ٱلۡغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا
جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٢٠

١٩٩

٧٣- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ وجهاد الكفار يكون بمقاتلتهم حتى يسلموا، وجهاد المنافقين بإقامة الحجة عليهم، وبإقامة الحدود عليهم، فهم أكثر من يفعل موجبات الحدود، لأنهم لا يخافون الله والغلظ: شدة القلب، وخشونة الجانب وهكذا تكون معاملة المؤمنين لهذين الفريقين في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار. ٧٤- نزلت بسبب قول بعض المنافقين: لئن كان محمد صادقًا على إخواننا الذين هم ساداتنا وخيارنا، لنحن شر من الحمير، فأخبر بذلك النبي ﷺ وأخذ قائل تلك الكلمة يحلف بالله ما قالها. وقيل في سبب نزولها غير ذلك ﴿وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾ وهي ما تقدم بيانه ﴿وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ﴾ فعلوا ما يوجب على تقدير صحة إسلامهم ﴿وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ﴾ قيل: هو أنهم هموا بقتل رسول الله ﷺ ليلة العقبة في غزوة تبوك ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ أي وما عابوا وأنكروا إلا ما هو حقيق بالمدح والثناء، وهو إغناء الله لهم من فضله، وقد كان هؤلاء المنافقون في ضيق من العيش، فلما قدم النبي ﷺ المدينة اتسعت معيشتهم وكثرت أموالهم ﴿فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡ﴾ في الدين والدنيا ﴿وَإِن يَتَوَلَّوۡاْ﴾ عن التوبة والإيمان ﴿يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمٗا فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ بالقتل والأسر ﴿وَ﴾ في ﴿ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ بعذاب النار ﴿وَمَا لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن وَلِيّٖ﴾ يواليهم ﴿وَلَا نَصِيرٖ ﴿٧٤﴾﴾ ينصرهم.

٧٥- ومن المنافقين من عاهد ربه - حالفًا: لئن أعطانا الله من خيراته ووسع في أرزاقنا لنتصدقن، ولنكونن من الصالحين، الذين يسارعون إلى الخيرات. ٧٦- فلما حقق لهم ما تمنوا ووسع في أرزاقهم نقضوا عهده ولم يتصدقوا بشيء منه كما حلفوا، وتولوا عن الحق وهم ثابتون في إعراضهم عنه غير ملتفتين إلى الخير. ٧٧- فأعقبهم الله بسبب البخل وإخلاف عهدهم مع الله مستمرًا في قلوبهم إلى يوم القيامة يوم يلقون الله عز وجل. ٧٨- ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ﴾ أي المنافقون ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۡ﴾ ما يتناجون به فيما بينهم من الطعن على النبي ﷺ وعلى أصحابه، وعلى دين الإسلام ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿٧٨﴾﴾ فلا يخفى عليه شيء، ومن جملة ذلك ما يصدر عن المنافقين. ٧٩- ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ﴾ كانوا يعيبون المسلمين إذا تطوعوا بشيء يسير من أموالهم وأخرجوه للصدقة، فكانوا يقولون: ما أغنى الله عن هذا، وإن تصدق أحد المؤمنين بشيء كثير، يقولون: ما فعلوا هذا إلا رياء، ولم يكن لله خالصًا ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ﴾ لا يجدون إلا شيئًا قليلاً يتصدقون به هو حاصل ما يقدرون عليه ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ﴾ أهانهم وأذلهم وعذبهم.

ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةً
فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ
وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ
بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ
وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ
أَشَدُّ حَرًّاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا
جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ
مِّنۡهُمۡ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن
تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ
مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ
عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ
﴿٨٤﴾ وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم
بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَآ
أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ
أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾

٨٠- إن صدور الاستغفار منه للمنافقين وعدمه سواء، وذلك لأنهم ليسوا بأهل لاستغفاره ﷺ ولا للمغفرة من الله سبحانه لهم ﴿إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ﴾ أي إن الله لن يغفر لهم، وإن استغفرت لهم استغفارًا بالغًا في الكثرة غاية المبالغ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ﴾ أي ذلك الامتناع سببه كفرهم بالله ورسوله ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾ أي المتمردين الخارجين عن الطاعة، فإنهم لفسقهم لا يوفقون إلى الهداية الموصلة إلى المطلوب.

٨١- ﴿فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ وهم الذين استأذنوا رسول الله ﷺ من المنافقين، فأذن لهم وخلفهم بالمدينة في غزوة تبوك، أي فرح المخلفون بقعودهم بعد رسول الله ﷺ ﴿وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وسبب ذلك الشح بالأموال والأنفس، وعدم الإيمان والإخلاص، وما هم فيه من النفاق ﴿وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ﴾ قال المنافقون لإخوانهم هذا تثبيطًا لهم وتواصيًا بينهم بالمخالفة لأمر الله ورسوله ﴿قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾ والمعنى: أنكم أيها المنافقون كيف تفرون من هذا الحر اليسير ونار جهنم التي ستدخلونها خالدين فيها أبدًا أشد حرًّا مما فررتم منه وهو حرٌّ غير متناه أبد الآبدين ودهر الداهرين. ٨٢- فسيضحكون قليلاً ويبكون كثيرًا في الآخرة، كما كانوا يضحكون في الدنيا كثيرًا: اتخذوا دينهم هزوًا ولعبًا، وذلك أمر محتوم لا يكون غيره ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ من المعاصي. ٨٣- ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ﴾ إنما قال: إلى طائفة لأن منهم من تاب عن النفاق وندم على التخلف ﴿فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ﴾ معك في غزوة أخرى بعد غزوتك هذه ﴿فَقُل﴾ لهم ﴿لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ﴾ عقوبة لهم، ولما في استصحابهم من المفاسد ﴿إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ وهي غزوة تبوك ﴿فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾ والخالفون المراد بهم: من تخلف عن الخروج من المرضى والنساء والصبيان. ٨٤- ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ﴾ فما صلى رسول الله ﷺ على منافق بعد ﴿وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ﴾ كان إذا دفن الميت وقف على قبره ودعا له، فمنع هاهنا من أن يقف على قبر أي منافق ليدعو له ﴿وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ وصفهم بالفسق بعد وصفهم بالكفر، لأن الكافر قد يكون عدلاً في دينه، والكذب والنفاق والخداع والجبن والخبث مستقبحة في كل دين. ٨٥- ﴿وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ﴾ تقدم تفسيرها (الآية ٥٥) ٨٦- ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ﴾ قيل: هي هذه السورة، أي سورة براءة ﴿ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ﴾ أي ذوو الفضل والسعة، وقيل: هم الرؤساء والكبراء المنظور إليهم ﴿وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾ أي المتخلفين عن الغزو من المعذورين كالضعفاء والزمنى، فنقعد عن القتال معك.

رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ
لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ
جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ ۖ
وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي
مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَاءَ
الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا
اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ
لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ
مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾
وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ
مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ
حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ۞ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى
الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ ۚ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا
مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾

الجزء ١١ الحزب ٢١

٨٧- ﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ أي إنهم لنفاقهم وما في قلوبهم من المرض والشك والجبن الخالع لم يستنكفوا أن يبقوا خلاف رسول الله ﷺ مع النساء اللاتي يخلفن الرجال في القعود في البيوت ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾﴾ بل هم كالأنعام. ٨٨- ﴿وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ﴾ وهي كل خير، فيشمل منافع الدنيا والدين، وقيل: الخيرات هن النساء الحسان في الجنة. ٩٠- المعذِّر: هو الذي يعتذر ولا عذر له، اعتذروا بأعذار باطلة لا أصل لها. والمعنى: أنه جاء هؤلاء من الأعراب بما جاءوا به من الأعذار بحق أو بباطل لأجل أن يأذن لهم رسول الله ﷺ بالتخلف عن الغزو، وطائفة أخرى لم يعتذروا، بل قعدوا عن الغزو لغير عذر، وهم منافقوا الأعراب ﴿وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ ولم يؤمنوا ولا صدقوا: بايعوا النبي ﷺ على السمع والطاعة ثم تبين بتخلفهم من دون اعتذار أنهم كانوا كاذبين ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾ أي من الأعراب، وهم الذين اعتذروا بالأعذار الباطلة، والذين لم يعتذروا، بل كذبوا بالله ورسوله.

٩١- ﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ﴾ وهم النساء والصبيان ﴿وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ﴾ وهم أرباب الزمانة والهرم والعمى والعرج ونحو ذلك، أي ليس عليهم حرج في تخلفهم عن الخروج إلى الغزو، فإن أعذارهم قائمة، وهذه أعذار قائمة بالبدن. ثم ذكر العذر الراجع إلى المال لا إلى البدن، فقال: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ﴾ أبان أن الجهاد مع هذه الأعذار ساقط عنهم غير واجب عليهم ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ والنصح لله: الإيمان به، والعمل بشريعته، وترك ما يخالفها كائنًا ما كان، ويدخل تحته دخولاً أوليًا: نصح عباده، ومحبة المجاهدين في سبيله وبذل النصيحة لهم في أمر الجهاد، وترك المعاونة لأعدائهم بوجه من الوجوه، ونصيحة الرسول ﷺ: التصديق بنبوته، وبما جاء به، وبطاعته في كل ما يأمر به أو ينهى عنه، وموالاة من والاه، ومعاداة من عاداه، ومحبته، وتعظيم سنته، وإحياؤها بعد موته بما تبلغ إليه القدرة. وقد ثبت في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: «**الدين النصيحة، ثلاثًا، قالوا: لمن؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم**» ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ أي ليس على المعذورين الناصحين طريق عقابٍ ومؤاخذة وثواب الغزو ثابت لهم لرغبتهم إليه لولا أن حبسهم العذر عنه. ٩٢- تتحدث الآية عن وهم نفر من الأنصار طلبوا منه ما يركبونه من الدواب. وقيل: سألوه الزاد. وقيل: لم يسألوه إلا النعال ﴿قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي إن من جملة المعذورين هؤلاء الذين أتوك لتحملهم على ما يركبون عليه في الغزو، فلم تجد ذلك الذي طلبوه منك ﴿وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ أي تولوا عنك لما قلت لهم: لا أجد ما أحملكم عليه، حال كونهم باكين ﴿حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ لا عند أنفسهم ولا عندك. ٩٣- إنما طريق العقوبة والمؤاخذة ﴿عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ﴾ في التخلف عن الغزو ﴿وَهُمْ أَغْنِيَاءُ﴾ أي يجدون ما يتجهزون به ﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ﴾ النساء=

يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ إِذَا رَجَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡۚ قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ
لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ وَسَيَرَى
ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ
وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٩٤ سَيَحۡلِفُونَ
بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ فَأَعۡرِضُواْ
عَنۡهُمۡۖ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ
يَكۡسِبُونَ ٩٥ يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ لِتَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡۖ فَإِن
تَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ
٩٦ ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ
حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٩٧ وَمِنَ
ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغۡرَمٗا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ
عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٩٨ وَمِنَ
ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ
مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ
لَّهُمۡۚ سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٩

= القاعدات في البيوت بسبب هذا الطبع ﴿لَا يَعۡلَمُونَ ٩٣﴾ ما فيه الربح لهم حتى يختاروه على ما فيه الخسران.

٩٤- هذا إخبار عن المنافقين بأنهم سوف يعتذرون إلى المؤمنين إذا رجعوا من الغزو ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ﴾ أي لن نصدقكم ﴿قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡ﴾ أي لأن الله قد أعلمنا بالوحي ما هو مناف لصدق اعتذاركم ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ﴾ فيما بعد هل تقلعون عما أنتم عليه الآن من الشر أم تبقون عليه ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ وهو الله تعالى فإنه يعلم بكل شيء يقع منهم مما يكتمونه، أو يتظاهرون به.

٩٥- سيؤكدون ما جاءوا به من الأعذار الباطلة، وغرضهم أن يعرض المؤمنون عنهم فلا يوبخونهم ولا يؤاخذونهم بالتخلف، ويظهرون الرضى عنهم ﴿فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡ﴾ المراد تركهم، والمهاجرة لهم، لا الرضا عنهم والصفح عن ذنبهم ﴿إِنَّهُمۡ رِجۡسٞ﴾ جميع أعمالهم نجسة قبيحة، فهؤلاء لما كانوا هكذا كانوا غير متأهلين لقبول الإرشاد إلى الخير، والتحذير من الشر، فليس لهم إلا الترك.

٩٦- ﴿فَإِن تَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡ﴾ كما هو مطلوبهم مساعدة لهم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٩٦﴾ المقصود نهي المؤمنين عن ذلك لأن الرضى على من لا يرضى الله عليه مما لا يفعله مؤمن.

٩٧- كفرهم ونفاقهم أشد من كفر غيرهم ومن نفاق غيرهم، لأنهم أقسى قلبًا، وأغلظ طبعًا، وأجفى قولاً، وأبعد عن سماع كتب الله وما جاءت به رسله.

والأعراب هم: من سكن البوادي من العرب. فمن استوطن القرى العربية فهو عربي، ومن نزل البادية فهو أعرابي ﴿وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ من الشرائع والأحكام لبعدهم عن مواطن الأنبياء وديار التنزيل.

٩٨- ومن الأعراب من يعتقد أن الذي ينفقه في سبيل الله غرامة وخسران، ولكنه ينفقه للرياء والتقية ﴿ٱلدَّوَآئِرَ﴾ الدائرة الحالة المنقلبة عن النعمة إلى البلية ﴿عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِ﴾ جعل ما دعا به عليهم مماثلاً لما أرادوه بالمسلمين. عليهم دائرة الهزيمة والشر، والعذاب والبلاء، والمكروه ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لما يقوله ﴿عَلِيمٞ ٩٨﴾ بما يضمرونه.

٩٩- والنوع الثاني من الأعراب يصدق بالله واليوم الآخر ويجعل ما ينفقه في سبيل الله قربة إلى الله وطلبًا لمغفرته ورحمته ﴿أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡ﴾ أي ألا إن صدقاتهم وصلوات النبي ﷺ عليهم قربة لهم مقبولة عند الله تعالى سيدخلهم الله في جنته وهو واسع المغفرة والرحمة.

وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ
ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ
لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ
ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠ وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ
مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ
نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ
عَظِيمٖ ١٠١ وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا
وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٠٢
خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ
إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٠٣ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ
أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ
ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٤ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ
وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥ وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ لِأَمۡرِ
ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمۡ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ١٠٦

١٠٠ - ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ﴾ هذه شهادة من الله تعالى للسابقين من أصحاب النبي ﷺ وبشرى لهم بالجنة والفوز في الآخرة. وهي بشرى لمن سلك مسلكهم واتخذهم له قدوة، والسابقون هم: الذين صلوا القبلتين، أو الذين شهدوا بيعة الرضوان، أو أهل بدر، وأفضلهم الخلفاء الأربعة ثم الستة الباقون، ثم البدريون، ثم أصحاب أحد، ثم أهل بيعة الرضوان بالحديبية. وإنما فضل السابقين لإيمانهم وإنفاقهم قبل انتشار الإسلام. والذين اتبعوا السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وهم المتأخرون عنهم من الصحابة فمن بعدهم إلى يوم القيامة، إذا اتبعوهم بإحسان في الأفعال والأقوال اقتداء منهم بالسابقين الأولين ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾ فقبل طاعاتهم وتجاوز عنهم ولم يسخط عليهم ﴿وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ بما أعطاهم من فضله.

١٠١ - ﴿وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَٰفِقُونَ﴾ وهؤلاء هم الذين حول المدينة من المنافقين ﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ﴾ قوم منافقون ﴿مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ أقاموا على النفاق وثبتوا عليه ثبوتًا شديدًا، ومهروا فيه ولجوا ولم ينثنوا عنه، حتى خفي أمرهم على رسول الله ﷺ فكيف سائر المؤمنين؟ ﴿لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡ﴾ أي لا تعلمهم أنت يا محمد بأعيانهم لمهارتهم في النفاق، ورسوخهم فيه على وجه يخفى على البشر، ولا يظهر لغير الله سبحانه ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ﴾ الفضيحة بانكشاف نفاقهم، والعذاب في الآخرة، وقيل المراد بالمرتين: المصائب في أموالهم وأولادهم وأنفسهم وعذاب القبر ثم يُرَدُّون بعد عذابهم في النار كسائر الكفار إلى الدرك الأسفل في النار. ١٠٢ - ومن أهل المدينة قوم آخرون، تخلفوا عن الغزو لغير عذر مسوّغ للتخلف، ثم ندموا على ذلك ولم يعتذروا بالأعذار الكاذبة، ورجوا أن يتوب الله عليهم ﴿خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا﴾ ما تقدم من قيامهم بشرائع الإسلام، وخروجهم إلى الجهاد في سائر المواطن، والمراد بالعمل السيء: تخلفهم عن هذه الغزوة، وقد أتبعوا هذا العمل السيء عملاً صالحًا، وهو الاعتراف به والتوبة عنه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٠٢﴾ أي يغفر الذنوب ويتفضل على عباده. ١٠٣ - قيل: هي صدقة الفرض، وقيل: هي مخصوصة بهذه الطائفة المعترفة بذنوبها، لأنهم بعد التوبة عليهم عرضوا أموالهم على رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية تأمره بأخذ بعض أموالهم لا كلها، وتزكيهم يا محمد بالصدقة المأخوذة، والتطهير: إذهاب ما يتعلق بهم من أثر الذنوب، والتزكية: المبالغة في التطهير وادع لهم بعد أخذك لتلك الصدقة من أموالهم إن صلاتك تسكن إليه النفس وتطمئن به. ١٠٤ - ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ﴾ لاستغنائه عن طاعة المطيعين، وعدم مبالاته بمعصية العاصين ﴿وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ أي يتقبلها منهم، وهذا تشريف عظيم لهذه الطاعة ولمن فعلها. ١٠٥ - وهذا خطاب لهؤلاء التائبين وغيرهم. أي فسارعوا إلى أعمال الخير، وأخلصوا أعمالكم لله عز وجل ﴿وَسَتُرَدُّونَ﴾ بعد الموت ﴿إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ إلى الله سبحانه الذي لا يخفى عليه شيء، ويستوي عنده كل معلوم، سواء أظهرتموه أم أخفيتموه. ١٠٦ - ﴿وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ لِأَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ وكانوا ثلاثة هم: =

وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ
وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ
١٠٧ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ
يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ
وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ١٠٨ أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ
عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ
عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي
ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٩ لَا يَزَالُ بُنۡيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوۡاْ رِيبَةٗ
فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١١٠
۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم
بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ
وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ
وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ
بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١

٢٠٤

ربع الحزب ٢١

= كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع، كلهم من الأنصار، بقي أمرهم موقوفًا في تلك الحال ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمۡ﴾ إن بقوا على ما هم عليه ﴿وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ﴾ إن تابوا توبة صحيحة، وأخلصوا إخلاصًا تامًّا. وسيأتي في آخر السورة أن الله تعالى تاب عليهم. ١٠٧- وهذه طائفة أخرى من المنافقين ابتنوا مسجدًا ﴿ضِرَارٗا﴾ أي بقصد الضرر بالمؤمنين وإيقاع الأذية بهم ﴿وَكُفۡرٗا﴾ لأنهم أرادوا ببنائه تقوية أهل النفاق ﴿وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أرادوا ألا يحضروا مسجد قباء، فتقل جماعة المسلمين، وفي ذلك من اختلاف الكلمة وبطلان الألفة ما لا يخفى ﴿وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ وهم المنافقون، ومنهم أبو عامر الراهب ﴿مِن قَبۡلُ﴾ أي من قبل بناء مسجد الضرار ﴿وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ أي وهي الرفق بالمسلمين ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٠٧﴾ فيما حلفوا.

١٠٨- وهذا المسجد يا محمد لا تصلي فيه أبدًا فإن المسجد الذي أسسته على التقوى من أول يوم هو مسجد قباء، وقيل: مسجد النبي ﷺ ﴿أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ أي لو كان القيام في مسجد المنافقين جائز، لكان هذا أولى بقيامك فيه للصلاة ولذكر الله ﴿فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾ بالوضوء والغسل، يؤثرونه ويحرصون عليه عند عروض موجبه ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ١٠٨﴾ من الأحداث والذنوب. ١٠٩- إن من أسس بنيانه على قاعدة قوية محكمة، وهي تقوى الله ورضوانه، خير ممن أسس على ضد ذلك، والجرف: ما ينجرف بالسيول، وهي الجوانب من الوادي التي تنجرف بالماء، والهار: المشرف على السقوط ﴿فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ فانهار الجرف بالبنيان في النار. ١١٠- ولا يزال المسجد الذي بناه المنافقون شكًّا ونفاقًا، كان هؤلاء الذين بنوا مسجد الضرار منافقين شاكين في دينهم، ازدادوا بهدم رسول الله ﷺ لمسجدهم وإبطاله لكيدهم تصميمًا على الكفر، ومقتًا للإسلام، إلا أن تتقطع قلوبهم بالموت أو بالسيف. ١١١- ولما شرح الله تعالى فضائح المنافقين، يبين هنا فضيلة الجهاد، فهؤلاء المجاهدون باعوا أنفسهم من الله بالجنة، فجادوا بأنفسهم، وجادوا بالأموال في الجهاد، وجاد الله عليهم بالجنة ﴿فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَ﴾ يقدمون على قتل الكفار في الحرب، ويبذلون أنفسهم في ذلك، فإن فعلوا فقد استحقوا الجنة، وإن لم يقع القتل عليهم بعد التعرض للموت بالإقدام على الكفار ﴿وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِ﴾ إخبار من الله سبحانه أن استحقاق المجاهدين الجنة. قد ثبت الوعد بها من الله في كتبه المنزلة، التوراة والإنجيل كما وقع في القرآن ﴿وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ لا أحد. وهو صادق الوعد لا يخلف الميعاد ﴿فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦ﴾ أظهروا السرور بهذا البيع فقد ربحتم فيه ربحًا لم يربحه أحد من الناس إلا من فعل مثل فعلكم.

التَّٰٓئِبُونَ الْعَٰبِدُونَ الْحَٰمِدُونَ السَّٰٓئِحُونَ
الرَّٰكِعُونَ السَّٰجِدُونَ الْأَٰمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ
وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَن
يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ
مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ
اسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ
فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ
﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ
يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ
لَهُۥ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن
دُونِ اللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى
النَّبِىِّ وَالْمُهَٰجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِى
سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ
مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾

١١٢ - والراجعون إلى طاعة الله عن الحالة المخالفة للطاعة والقائمون بما أمروا به من عبادة الله مع الإخلاص والذين يحمدون الله سبحانه على السراء والضراء و﴿السَّٰٓئِحُونَ﴾ قيل: هم الصائمون، وقيل: المجاهدون والمصلون الآمرون بما هو معروف في الشريعة والناهون عما ينكره الشرع والقائمون بحفظ شرائعه التي أنزلها في كتبه وعلى لسان رسله وبشر الموصوفين بالصفات السابقة عن ابن عباس قال: من مات على هذه التسع فهو في سبيل الله. ١١٣ - ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ لما حضرت الوفاة أبا طالب دخل النبي ﷺ وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية، فقال النبي ﷺ أي عم قل لا إله إلا الله، أحاج لك بها عند الله. فقال أبو جهل وعبد الله بن أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فجعل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، وأبو جهل وعبد الله يعاندانه بتلك المقالة، فقال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول لا إله إلا الله، فقال النبي ﷺ: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» فنزلت ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾ الآية. رواه البخاري ومسلم وغيرهما وهذه الآية متضمنة لقطع الموالاة للكفار، وتحريم الاستغفار لهم، والدعاء بما لا يجوز لمن كان كافرًا والقرابة في مثل هذا لا تأثير لها ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ الْجَحِيمِ﴾ لموتهم على الشرك.

١١٤ - ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ عندما قال له ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ انظر سورة الممتحنة / ٤ وكان وعده قبل أن يتبين له أنه من أهل النار، ومن أعداء الله ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ﴾ الأواه: المتضرع الخاضع، الذي إذا ذكر خطاياه تأوه منها. فيقول: آه من ذنوبي آه مما أعاقب به بسببها ﴿حَلِيمٌ﴾ وهو الذي يصفح عن الذنوب، ويصبر على الأذى. ١١٥ - ﴿حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ أي إن الله لا يوقع الضلال على قوم، بعد أن هداهم إلى الإسلام والقيام بشرائعه، ما لم يقدموا على شيء من المحرمات بعد أن يتبين لهم أنه محرم، وأما قبل أن يتبين لهم ذلك فلا إثم عليهم ولا يؤاخذون به، أي فلا تستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى، فإن القرابة لا تنفعهم شيئًا، لأنه قد بين لهم ما يتقون، فلم يتقوا الله، ولم يؤمنوا. ١١٦ - ﴿لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ﴾ فيما وقع منه من الإذن في التخلف، أو الاستغفار للمشركين ﴿وَ﴾ على ﴿الْمُهَٰجِرِينَ وَالْأَنصَارِ﴾ فيما قد اقترفوه من الذنوب ﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ فلم يتخلفوا عنه ﴿فِى سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ هي غزوة تبوك ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ هموا بالتخلف عن الغزو لما هم فيه من الشدة العظيمة ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ أي على الذين كادوا يتخلفون أو على الجميع.

وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ
بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ
مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ
ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ
ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم
مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ
عَن نَّفْسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ
وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ
ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم
بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾
وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ
وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ
يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةًۚ
فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ
وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾

نصف الحزب ٢١

٢٠٦

١١٨ - ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ أي وتاب على الثلاثة الذين خلفوا: أي أخروا، ولم تقبل توبتهم في الحال كما قبلت توبة أولئك المتخلفين من أصحاب الأعذار المتقدم ذكرهم لم يقبل النبي ﷺ توبتهم حتى نزل القرآن بأن الله قد تاب عليهم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ لإعراض الناس عنهم، وعدم مكالمتهم من كل أحد، لأن النبي ﷺ نهى الناس أن يكالموهم ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ ضاقت صدورهم بما نالهم من الوحشة، وبما حصل لهم من الجفوة وعلموا أن لا ملجأ يلجئون إليه قط إلا إلى الله سبحانه بالتوبة والاستغفار ثم رجع عليهم بالقبول والرحمة ليستقيموا فيما يستقبل من الزمان إن فرطت منهم خطيئة ليتوبوا عنها ويرجعوا إلى الله فيها.

١١٩ - فيه الإشارة إلى أن هؤلاء الثلاثة حصل لهم بالصدق ما حصل من توبة الله.

١٢٠ - ما صح وما استقام لأهل المدينة ومن حولهم كمزينة، وجهينة، وأشجع ﴿أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ﴾ ﷺ أي ليس لهم إذا خرج النبي ﷺ إلى الجهاد بنفسه أن يتخلف عنه منهم أحد بغير أمره ﷺ في غزوة تبوك وغيرها، بخلاف غيرهم من العرب فإنهم لم يستنفروا، مع كون هؤلاء لقربهم وجوارهم أحق بالنصرة والمتابعة لرسول الله ﷺ ﴿وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ أي وما كان لهم أن يشحوا بها ويصونوها ولا يشحون بنفس رسول الله ويصونونه، بل واجب عليهم أن يكابدوا معه المشاق، ويجاهدوا بين يديه أهل الشقاق، ويبذلوا أنفسهم دون نفسه ﴿ذَٰلِكَ﴾ من وجوب المتابعة، والظمأ: العطش، والنصب: التعب، والمخمصة: المجاعة الشديدة التي يظهر عندها ضمور البطن ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ في طاعة الله وجهاد أعدائه ﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ﴾ أي لا يدوسون مكانًا من أمكنة الكفار بأقدامهم، أو بحوافر خيولهم فيحصل بسبب ذلك الغيظ للكفار ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا﴾ قتلاً، أو أسرًا، أو هزيمة، أو غنيمة ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾ الحسنة المقبولة يجازيهم بها.

١٢١ - ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً﴾ وإن كان شيئًا صغيرًا يسيرًا ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾ كل منفرج بين جبال أو آكام ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾ أي كتب لهم ذلك الذي عملوه من النفقة والسفر في الجهاد ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ به ﴿أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾.

١٢٢ - ﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً﴾ وتركون المدينة خالية، بل ينفر ﴿مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ من تلك الفرقة، ويبقى من عداهم ليتفقه القاعدون ﴿فِي ٱلدِّينِ﴾ والمعنى أن طائفة من هذه الفرقة تخرج إلى الغزو، ومن بقي من الفرقة يقفون لطلب العلم، ويعلمون الغزاة إذا رجعوا إليهم من الغزو.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ
وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٢٣
وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ
إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ
١٢٤ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا
إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ١٢٥ أَوَلَا يَرَوۡنَ
أَنَّهُمۡ يُفۡتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٖ مَّرَّةً أَوۡ مَرَّتَيۡنِ ثُمَّ
لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمۡ يَذَّكَّرُونَ ١٢٦ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ
سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ
ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ
١٢٧ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ
عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ
رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ١٢٩

سُورَةُ يُونُسَ — ترتيبها ١٠ — آياتها ١٠٩

١٢٣ - وأمر سبحانه المؤمنين بأن يجتهدوا في مقاتلة من يليهم من الكفار، وأن يأخذوا في حربهم بالغلظة والشدة، والجهاد واجب لكل الكفار، وإن كان الابتداء بمن يلي المجاهدين منهم أهم وأقدم، ثم الأقرب فالأقرب واعلموا أن الله ينصر من اتقاه فجاهد في سبيله.

١٢٤ - ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم﴾ أي من المنافقين ﴿مَّن يَقُولُ﴾ لإخوانه منهم ﴿أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ﴾ السورة النازلة ﴿إِيمَٰنٗا﴾ يقولون هذا استهزاء بالمؤمنين فأما المؤمنون فزادتهم إيمانًا مع إيمانهم وهم يستبشرون بنزول الوحي وما يشتمل عليه من المنافع الدينية والدنيوية.

١٢٥ - ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾ وهم المنافقون ﴿فَزَادَتۡهُمۡ﴾ السورة المنزلة خبثًا إلى خبثهم الذي هم عليه من الكفر وفساد الاعتقاد، فتشددوا فيه، ورسخوه في أنفسهم، واستمروا عليه إلى أن ماتوا كفارًا منافقين.

١٢٦ - ﴿يُفۡتَنُونَ﴾ يختبرون، أو يبتليهم الله سبحانه بالقحط والشدة، وبالأمراض والأوجاع، أو بأمرهم بالغزو والجهاد مع النبي ﷺ ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾ بسبب ذلك ﴿وَلَا هُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾ وهذا تعجيب من حالة المنافقين وتصلبهم في النفاق.

١٢٧ - وإذا ما أنزلت سورة نظر بعض المنافقين إلى البعض الآخر قائلين ﴿هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ﴾ من المؤمنين لنتصرف عن المقام الذي يتزل فيه الوحي، فإنه لا صبر لنا على استماعه، ولنتكلم بما نريد من الطعن والسخرية ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ﴾ عن ذلك المجلس إلى منازلهم، أو عما يقتضي الهداية والإيمان إلى ما يقتضي الكفر والنفاق ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ أي صرفها عن الخير وما فيه الرشد لهم والهداية وخذلهم ﴿بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ١٢٧﴾ أي لا يفهمون ما يسمعونه لعدم تدبرهم وإنصافهم.

١٢٨ - ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ﴾ يا معشر العرب ﴿رَسُولٞ﴾ أرسله الله إليكم له شأن عظيم ﴿مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾ من جنسكم في كونه عربيًا، ولم يكن من العرب قبيلة إلا ولها على النبي ﷺ ولادة، مضريها وربيعيها ويمانيها: أي وقد ولدتموه يا معشر العرب.

﴿عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ﴾ شاق عليه عنتكم، والعنت: التعب لهم والمشقة عليهم بعذاب الدنيا، أو بعذاب الآخرة بالنار ﴿حَرِيصٌ عَلَيۡكُم﴾ أي شحيح عليكم بأن تدخلوا النار، أو حريص على إيمانكم ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ منكم أيها العرب أو الناس ﴿رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾. ١٢٩ - فإن أعرضوا عنك ولم يعملوا بما جئت به ولا قبلوه ﴿فَقُلۡ﴾ يا محمد: يكفيني الله سبحانه المنفرد بالألوهية عن أن أحتاج إلى الاعتماد على غيره أو الالتجاء إلى أحد سواه عليه فوضت جميع أموري ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ١٢٩﴾ لأنه أعظم المخلوقات.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ١ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا
أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ
أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا
لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ ٢ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ
فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ
إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ٣ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ
يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
بِٱلۡقِسۡطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ
أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ٤ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ
ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ
وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ
لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٥ إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ
ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ ٦

سورة يونس

هي مكية إلا ثلاث آيات.

١ - ﴿الٓرۚ﴾ تقدم الكلام على الحروف الواقعة في أوائل السور في أول سورة البقرة ﴿تِلۡكَ﴾ أي ما تضمنته هذه السورة من الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ وهو القرآن ﴿ٱلۡحَكِيمِ ١﴾ المحكم بالحلال والحرام والحدود والأحكام، وقيل: الحكيم ذو الحكمة لاشتماله عليها. ٢ - ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾ لإنكار التعجب مع ما يفيده من التقريع والتوبيخ للمعترضين على القرآن. والمعنى: أكان إيحاؤنا إليك الكتاب عجبًا للناس ﴿إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ﴾ وليس في هذا الإيحاء إلى رجل من جنسهم ما يقتضي العجب، فإنه لا يلابس الجنس ويرشده ويخبره عن الله سبحانه إلا من كان من جنسه، ولو كان من الملائكة أو من الجن يتعذر المقصود حينئذ من الإرسال، لأنهم لا يأنسون إليه. هذا إن كان العجب منه لكونه رسولاً من جنسهم. أما أن العجب لكونه يتيمًا أو فقيرًا فذلك لا يمنع من كان كذلك أن يكون جامعًا لخصال الخير والكمال والشرف مما يؤهله ليكون محلاً للرسالة. وقد كان لرسول الله ﷺ قبل أن يصطفيه الله بإرساله، من خصال الكمال عند قريش، ما هو أشهر من الشمس، حتى كانوا يسمونه الأمين ﴿أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ أي بلغهم على سبيل التحذير لهم بما يأتي في السورة ﴿قَدَمَ صِدۡقٍ﴾ أي منزل صدق، ودرجة عالية فيه، ﴿قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا﴾ الرجل ﴿لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ ٢﴾. ٣ - ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾ أي له هذا الاقتدار العظيم، فكيف يكون إرساله لرسول إلى الناس من جنسهم محلاً للتعجب؟ ويقضي ويقدر وحده أحوال ملكوت السماوات والأرض والعرش وسائر الخلق وليس لأحد أن يشفع إليه في شيء إلا بعد إذنه، لأنه أعلم بموضع الحكمة والصواب، وفي هذا بيان لاستبداده بالأمور في كل شيء سبحانه وتعالى ﴿فَٱعۡبُدُوهُ﴾ لبديع صنعه وعظيم اقتداره ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣﴾ لأن من له أدنى تذكر وأقل اعتبار يعلم بهذا ولا يخفى عليه. ٤ - ﴿إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا﴾ هذا من الإنذار الذي أجمل في أول السورة والتبشير بما بعد هذا ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾ أي إرجاعه إياكم إليه وعد منه صادق، والمعنى أن إعادة حشر البشر جميعًا إلى الله عز وجل بعد موتهم وبعثهم موعد من الله صادق لن يخلفه. ﴿إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ﴾ من التراب ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ إلى الحياة بعد أن يموت، لأجل الجزاء يوم القيامة ﴿بِٱلۡقِسۡطِ﴾ العدل الذي لا جور فيه ﴿مِّنۡ حَمِيمٖ﴾ الحميم: الماء الحار. ٥ - ﴿جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا﴾ الضياء: ما كان من ذات الشيء، كضوء النار والسراج، والنور: ما كان مستفادًا من غير الذات بالانعكاس، كانعكاس النور على المرآة، ونور القمر مستفاد من ضوء الشمس، وقدر مسيره في منازل، ومنازل القمر هي المسافة التي يقطعها في يوم وليلة بحركته الخاصة به، وجملتها ثمانية وعشرون ينزل القمر في كل ليلة منها منزلاً لا يتخطاه، فيبدو صغيرًا في أول منازله، ثم يكبر قليلاً قليلاً حتى يبدو كاملاً، وإذا كان في آخر منازله رق واستقوس، ثم يستتر ليلتين أو ليلة ﴿لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَ﴾ ولولا هذا التقدير لم يعلم الناس بذلك، ولا عرفوا ما يتعلق به كثير من مصالحهم، والاختلاف بين السنة الشمسية والقمرية معروف ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ أي: ما خلق الله الشمس والقمر =

ثلاثة أرباع الحزب ٢١

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ
بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ
ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن
تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ
ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ
رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ۞ وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ
ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ
لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ
ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا فَلَمَّا كَشَفۡنَا
عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ
لِلۡمُسۡرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ
مِن قَبۡلِكُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ
لِيُؤۡمِنُواْۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ
خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٤﴾

٢٠٩

= واختلاف تلك الأحوال إلا بالحق والصواب دون الباطل والعبث.

٦- ﴿إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ تقدم تفسير هذا الاختلاف (سورة البقرة/ ١٦٤) ﴿لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾﴾ يمعنون النظر والتفكر في مخلوقات الله سبحانه حذرًا منهم عن الوقوع في شيء مما يخالف مراد الله سبحانه، ونظرًا لعاقبة أمرهم، وما يصلحهم في معادهم.

٧- ﴿لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾ لا يتوقعون لقاءنا، فهم لا يخافون ولا يطمعون فيه ﴿وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ عن الآخرة ﴿وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا﴾ أي سكنت أنفسهم إليها وفرحوا بها، والذين هم عن آياتنا لا يعتبرون بها ولا يتفكرون فيها.

٨- فهؤلاء مكان إقامتهم النار بسبب ما كانوا يكسبون من الكفر والتكذيب بالمعاد. ٩- ﴿يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡ﴾ يرزقهم الهداية بسبب الإيمان والعمل الصالح، فيصلون بذلك إلى الجنة ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ من تحت بساتينهم أو من بين أيديهم لأنهم على سرر مرفوعة. ١٠- ﴿دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا﴾ أي: دعاؤهم ونداؤهم في الجنة قولهم: ﴿سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ والمعنى إن دعاءهم الذي يدعون به في الجنة هو تسبيح الله وتقديسه ﴿وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞ﴾ أي: تحية بعضهم للبعض، أو تحية الله، أو الملائكة لهم ﴿وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ أي وخاتمة دعائهم الذي هو التسبيح أن يقولوا: الحمد لله رب العالمين. ١١- ولو عجل الله للناس العقوبة، كما يتعجلون بالثواب والخير لماتوا، وقيل: المعنى لو فعل الله مع الناس في إجابته مثل ما يريدون فعله معهم في إجابته إلى الخير لأهلكهم ولكنه سبحانه لم يعجل لهم الشر فأمهلوا وقد دعا أهل مكة فقالوا: «**إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم**» فلم يستجب دعاءهم لحكمته فيما قدر لهم ﴿فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١١﴾﴾ أي: نتركهم يتحيرون في تطاولهم وتكبرهم وعدم قبولهم للحق. ١٢- ﴿دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ﴾ مضطجعًا ﴿أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا﴾ وكأنه قال: دعانا في جميع الأحوال المذكورة وغيرها ﴿فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥ﴾ مضي على طريقته التي كان عليها قبل أن يمسه الضر، ونسي حالة الجهد والبلاء، ونسي موقف الدعاء والتضرع لا يرجع إليه كأنه لا عهد له به. وهذه الحالة تتفق لكثير من المسلمين، تلين ألسنتهم بالدعاء عند نزول ما يكرهون بهم، فإذا كشفه الله غفلوا، وذهلوا عما يجب عليهم من شكر النعمة من إجابة دعائهم، ورفع الضر ودفع المكروه. اللهم أوزعنا شكر نعمك وأذكرنا الأحوال التي مننت علينا فيها بإجابة الدعاء حتى نستكثر من الشكر، وما أغناك عنه وأحوجنا إليه ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡمُسۡرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ زين لهم الإعراض عن الدعاء، والغفلة عن الشكر، والاشتغال بالشهوات. ١٣- والأمم الماضية أهلكناهم حين فعلوا الظلم بالتكذيب، والتجرؤ على الرسل، والتطاول في المعاصي ﴿وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ وقد جاءتهم رسلهم الذين أرسلناهم إليهم: بالآيات الواضحات الدلالة على صدق الرسل ﴿وَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ﴾ وما صح لهم وما استقام أن يؤمنوا =

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ
لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ
أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ
أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ١٥ قُل لَّوْ شَآءَ
ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ
فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ١٦ فَمَنْ أَظْلَمُ
مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ
لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ١٧ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا
عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا
فِى ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ١٨ وَمَا كَانَ
ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
١٩ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا
ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ٢٠

= لعدم استعدادهم لذلك وسلب الألطاف ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝١٣﴾ وهذا وعيد شديد لكفار مكة. ١٤- ثم استخلفناكم في الأرض بعد تلك القرون التي تسمعون أخبارها، وتنظرون آثارها ﴿لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ۝١٤﴾ من أعمال الخير أو الشر. ١٥- ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ والمراد: الآيات التي في الكتاب العزيز الدالة على إثبات التوحيد وإبطال الشرك. ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ وهم المنكرون للمعاد ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ﴾ القرآن الذي فيه ذم عبادة الأوثان ﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾ بنسخ بعض آياته أو كلها، ووضع أخرى مكانها مما يلائم غرضهم ﴿مَا يَكُونُ لِىٓ﴾ ما ينبغي لي ولا يحل لي ﴿أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ﴾ أي بل الأمر إلى الله تعالى إن شاء أن يأمر بتبديله، فليس إلي من الأمر شيء ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ من عند الله سبحانه من غير تبديل ولا تحويل ولا تحريف ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى﴾ بفعل ما تطلبون على تقدير إمكانه ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٥﴾ هو يوم القيامة. ١٦- ولو شاء الله ألا أتلوه عليكم، ولا أبلغكم إياه ما تلوته ﴿وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾ أي ولو شاء الله ما أدراكم بالقرآن: أي ما أعلمكم به على لساني ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ﴾ أي زمانًا طويلاً، وهو أربعون سنة من قبل القرآن، تعرفونني بالصدق والأمانة، لست ممن يقرأ ولا ممن يكتب، وعدم قراءتي للكتب المنزلة على الرسل، وتعلمي لما عند أهلها من العلم، ولا طلبي لشيء من هذا الشأن ولا حرصي عليه، ثم جئتكم بهذا الكتاب الذي عجزتم عن الإتيان بسورة منه، وقصرتم عن معارضته، وأنتم العرب المشهود لهم بكمال الفصاحة. ١٧- ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ لما طلبوا منه أن يأتي بقرآن غير هذا القرآن، أو يبدله، بين لهم أنه لو فعل ذلك لكان من الافتراء على الله، ولا ظلم يماثل ذلك ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ لا يظفرون بمطلوب. ١٨- ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي متجاوزين الله إلى عبادة غيره لا بمعنى ترك عبادته بالكلية ﴿مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ ومن الحق أن يكون المعبود نافعًا ضارًّا إذا شاء، وإلا فما فائدة عبادته إن كان عاجزًا ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ زعموا أنهم يشفعون لهم عند الله، فلا يعذبهم بذنوبهم، ويزعمون أن آلهتهم توسط لهم عند الله في إصلاح أحوال دنياهم ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ المعنى: الله سبحانه لا يعلم لنفسه شريكًا ولا شفيعًا بغير إذنه من جميع مخلوقاته الذين هم في سماواته وفي أرضه. ١٩- ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ موحدة لله سبحانه مؤمنة به ﴿فَٱخْتَلَفُوا۟﴾ فصار البعض كافرًا، وبقي البعض الآخر مؤمنًا، فخالف بعضهم بعضًا ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ وهي أنه لا يقضي بينهم فيما اختلفوا فيه إلا يوم القيامة ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ في الدنيا ﴿فِيمَا﴾ هم ﴿فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝١٩﴾ لكنه امتنع ذلك بالكلمة التي لا تتخلف، وقيل: الكلمة أنه لا يأخذ أحدًا إلا بحجة، وهي إرسال الرسل كما قال تعالى: وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا. ٢٠- ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ هم أهل مكة، كأنهم لم يعتدوا =

وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ
ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ
٢١ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ
وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ
وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ
ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ
ٱلشَّٰكِرِينَ ٢٢ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ
ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ
ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٣
إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ
نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ
زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ
أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ
بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢٤ وَٱللَّهُ
يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٥

= بما قد نزل على رسول الله ﷺ من الآيات الباهرة، والمعجزات القاهرة، فطلبوا منه آية كإحياء الأموات، وجعل الجبال ذهبًا، ونحو ذلك ﴿فَقُلۡ إِنَّمَا ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ﴾ أي إن نزول الآية غيب، والله هو المختص بعلمه، لا علم لي به، ولا لكم، ولا لسائر مخلوقاته ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ نزول ما اقترحتموه. ٢١- ﴿إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَا﴾ وسع عليهم في الأرزاق، وأدرَّ عليهم النعم بالمطر وصلاح الثمار، بعد أن مستهم الضراء بالجدب وضيق المعايش، فما شكروا نعمته، ولا قدروها حق قدرها، بل أضافوها إلى أصنامهم التي لا تنفع ولا تضر، وطعنوا في آيات الله، واحتالوا في دفعها بكل حيلة ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًا﴾ أي أعجل عقوبة ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ ٢١﴾ وهم الملائكة يكتبون مكر الكفار، لا يخفى ذلك على الملائكة الذين هم الحفظة، فكيف يخفى على العليم الخبير؟ ٢٢- ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾ يمشون على أقدامهم التي خلقها لهم لينتفعوا بها، ويركبون ما خلقه الله لركوبهم من الدواب، وألهمهم لعمل السفائن التي يركبون فيها في لجج البحر ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ﴾ هي السفن ﴿وَجَرَيۡنَ﴾ أي السفن ﴿بِهِم﴾ أي بالراكبين عليها ﴿بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ﴾ تسوق سفنهم وليست بعاصفة ﴿جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ﴾ العصوف: شدة هبوب الريح ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ﴾ أي من جميع الجهات ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ﴾ أي غلب على ظنونهم الهلاك ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ﴾ أي توجهوا في تلك الحال إلى الله بالدعاء لعلمهم أنه على إنجائهم قادر ﴿مُخۡلِصِينَ﴾ أي لم يشوبوا دعاءهم بشيء من الشوائب، كما جرت عادتهم أنهم يشركون أصنامهم في الدعاء، ﴿لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ﴾ المحنة، يقسمون قائلين ذلك. ٢٣- ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ﴾ الله من هذه المحنة وأجاب دعاءهم ﴿إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يفسدون فيها وينسون ما دعوا وحلفوا وعاهدوا الله عليه ﴿بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ بغير شبهة عندهم، بل تمردًا وعنادًا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ أي أن ما يقع من البغي على الغير هو بغي على نفس الباغي باعتبار ما يؤول إليه الأمر من الانتقام منه مجازاة على بغيه. تتمتعون بالبغي ﴿مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي في زمنها فقط ﴿ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ﴾ المعنى: أنكم بعد هذه الحياة الدنيا ومتاعها ترجعون إلى الله ﴿فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٣﴾ فنخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا من خير، ونجازيكم عليه. ٢٤- ولما ذكر الله متاع الدنيا، جاء بكلام مستأنف يتضمن بيان حالها وسرعة تقضيها. والمعنى: أن مثلها في سرعة الذهاب، مثل ما على الأرض من أنواع النبات في زوال رونقه وذهاب بهجته وسرعة تقضيه ﴿فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ﴾ اشتبك بعض أنواعه ببعض حتى بلغ إلى حد الكمال ﴿مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ﴾ من الحبوب والثمار والكلأ ﴿أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا﴾ أخذت لونها الحسن المشابه بعضه للون الذهب، وبعضه للون الفضة، وبعضه للون الياقوت وبعضه للون الزمرد ﴿وَٱزَّيَّنَتۡ﴾ تزينت. شبهها بالمرأة التي تلبس الثياب الجيدة، المتلونة ألوانًا كثيرة، والحلي، وتتصبغ لتلفت الأنظار ﴿وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ﴾ على حصادها والانتفاع بها ﴿أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا﴾ =

۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ
وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٦) وَالَّذِينَ
كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ
اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ
أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧) وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ
جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا
بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ (٢٨) فَكَفَىٰ بِاللَّهِ
شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ (٢٩)
هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ
الْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٣٠) قُلْ مَن يَرْزُقُكُم
مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ
الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ
فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣١) فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ ۖ
فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ (٣٢) كَذَٰلِكَ
حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٣)

= بإهلاكها واستئصالها وضربها ببعض العاهات ﴿فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا﴾ أي جعلنا زرعها شبيهًا بالمحصود في قطعة من أصوله ﴿بِالْأَمْسِ﴾ مخضرًا طريًا ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل ذلك التفصيل البديع ﴿نُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ القرآنية التي من جملتها هذه الآية ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢٤)﴾ فيما اشتملت عليه. ٢٥- ورغبهم الله في الدار الآخرة، ودار السلام الجنة، هي دار السلامة من الآفات. ٢٦- للذين أحسنوا القيام بما أوجبه الله عليهم من الأعمال، والكف عما نهاهم عنه من المعاصي، المثوبة الحسنى، وهي الجنة والزيادة التفضل بالنظر إلى وجه الله الكريم. ولا يعلو وجوههم سواد الوجوه، ولا دخان النار من الخزي والحسرة والندامة.

٢٧- ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾ أي يجازي سيئة واحدة بسيئة واحدة، لا يزاد عليها بل يماثلها في الصغر والكبر ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ يغشاهم هوان وخزي ﴿مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ أي لا يعصمهم أحد كائنًا من كان من سخط الله وعذابه ﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾ لشدة ما يغشاها من دخان النار وسوادها ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ لا انفكاك لهم عنها. ٢٨- ويوم يحشر العابد والمعبود لسؤالهم ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ تقريعًا لهم على رءوس الأشهاد مع حضور معبوداتهم قفوا في موضعكم أنتم والذين اتخذتموهم آلهة مع الله ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ أي فرقنا المعبودين عن عابديهم ﴿وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ (٢٨)﴾ أي لم نأمركم بعبادتنا، وإنما عبدتم هواكم وضلالكم، وشياطينكم الذين أغووكم، أمروكم بعبادتنا فأطعتموهم، فمعناه إنكار عبادتهم إياهم عن أمرهم لهم بالعبادة.

٢٩- ﴿فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ أي إن الله يشهد أننا ما كنا أمرناكم بعبادتنا، أو رضينا ذلك منكم ﴿إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ (٢٩)﴾ لم نكن نشعر أنكم تعبدوننا، ولا طلبنا ذلك منكم. ٣٠- في ذلك الموقف تذوق كل نفس وتختبر جزاء ما أسلفت من العمل ﴿وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾ رد الذين أشركوا إلى ربهم الصادق الربوبية دون ما اتخذوه من المعبودات الباطلة ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٣٠)﴾ من الآلهة، فلم تنفع، ولم تشفع. ٣١- ﴿مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ﴾ بالمطر ﴿وَ﴾ من ﴿الْأَرْضِ﴾ بالنبات والمعادن، فلا بد أن يعترفوا بأن الله هو الذي خلقها ﴿أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾ أي من يستطيع ملكها وتسويتها على هذه الصفة العجيبة، والخلقة الغريبة، حتى ينتفعوا بها هذا الانتفاع العظيم ﴿وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ الإنسان من النطفة، والطير من البيضة، والنبات من الحبة ﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ أي النطفة من الإنسان ﴿وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ أي يقدره ويقضيه ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ سيكون قولهم أن الفاعل لهذه الأمور هو الله، إن أنصفوا وعملوا على ما يوجبه الفكر الصحيح والعقل السليم ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣١)﴾ أي تعلمون ذلك، أفلا تتقون الله الذي يفعل هذه الأفعال، فتفردوه بالعبادة. ٣٢- ﴿فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾ أي هذا هو الرب الحقيقي، لا ما جعلتموهم شركاء له، لا يقدرون على شيء ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ ثبوت ربوبية الرب سبحانه حق بإقرارهم، فكان غيره باطلاً ﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ (٣٢)﴾ =

قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ
ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ
إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن
يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾
وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ
ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ
فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ
مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾
بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾
وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ
بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ
أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن
يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُواْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾

٢١٣

= أي كيف تستجيزون العدول عن الحق الظاهر، وتقعون في الضلال فتتخذون غيره ربًا. ٣٣- ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أي حكمه وقضاؤه ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ﴾ أي خرجوا من الحق إلى الباطل، وتمردوا في كفرهم عنادًا ومكابرة ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾ هذه هي الكلمة التي حقت عليهم. ٣٤- ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ بالبعث بعد الموت، ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ أي لا جواب لكم غير هذا، ولن تدعوا ذلك للشركاء ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾ تصرفون عن الحق إلى غيره. ٣٥- ويرشد إلى دين الإسلام ويدعو الناس إلى الحق، فإذا قالوا لا، فقل لهم: ﴿ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ﴾ بما نصبه لهم من الآيات في المخلوقات، وإرساله للرسل وإنزاله للكتب، وخلقه لما يتوصل به العباد إلى ذلك من العقول والأفهام والأسماع والأبصار ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾ أفمن يهدي الناس إلى الحق، وهو الله سبحانه، أحق أن يتبع ويقتدى به، أم الأحق بأن يتبع ويقتدى به من لا يهتدي بنفسه إلا أن يهديه غيره، فضلاً عن أن يهدي غيره ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ في شأن هذه الحجة التي أوردناها لكم، وكيف تحكمون باتخاذ هؤلاء شركاء لله. ٣٦- ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا﴾ ولم يكن ذلك عن بصيرة، بل هو ظن من ظن من سلفهم أن هذه المعبودات تقربهم إلى الله، وأنها تشفع لهم، ولم يكن ظنه هذا لمستند قط، بل مجرد خيال ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ لأن أمر الدين إنما يبنى على العلم، وبه يتضح الحق من الباطل. ٣٧- وما صح وما استقام أن يكون هذا القرآن المشتمل على الحجج البينة أن يفترى من الخلق من دون الله، وإنما هو من عند الله سبحانه وهو من الكتب المنزلة على الأنبياء، وقد بشرت به قبل نزوله، فجاء مصدقًا لها ﴿وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أراد ما بين في القرآن من الأحكام. ٣٨- ﴿قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ في البلاغة، وجودة الصناعة، فأنتم مثلي في معرفة لغة العرب، وبلاغة الكلام ﴿وَٱدْعُواْ﴾ من مظاهريكم ومعاونيكم ﴿مَنِ ٱسْتَطَعْتُم﴾ دعاءه والاستعانة به من قبائل العرب، ومن آلهتكم التي تجعلونهم شركاء لله ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ في دعواكم أن هذا القرآن مفترى. فإن فعلتم هذا فأنتم صادقون فيما نسبتموه إلي، وألصقتموه بي، فلم يأتوا بكلمة، بل تشبثوا بأذيال العناد البارد. ٣٩- ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ سارعوا إلى تكذيب القرآن، قبل أن يتدبروه ويفهموا معانيه، وما اشتمل عليه، ومن كذب بأمر قبل أن يحيط بعلمه، فهو لم يتمسك بشيء في هذا التكذيب إلا مجرد كونه جاهلاً لما كذب به غير عالم به، فكان بهذا التكذيب مناديًا على نفسه بالجهل بأعلى صوت، ومسجلاً بقصوره عن تعقل الحجج ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم عندما جاءتهم الرسل بحجج الله وبراهينه، فإنهم كذبوا به قبل أن يحيطوا بعلمه، وقبل أن يأتيهم تأويله ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾﴾ من الأمم السالفة من سوء العاقبة، كما حكى ذلك القرآن عنهم. ٤٠- ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ في نفسه، ويعلم أنه صدق وحق، ولكنه كذب به مكابرة وعنادًا ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ ولا يصدقه في=

وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟
لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ
ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا
سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ
وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ
فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ
أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ
﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ
أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾
قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ
ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ
تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ
هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ
أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾

ربع الحزب ٢٢

= نفسه، بل كذب به جهلاً ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾﴾ فيجازيهم بأعمالهم، والمراد بهم: المصرون المعاندون. ٤١- ﴿لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ أي لي جزاء عملي، ولكم جزاء عملكم، فقد أبلغت إليكم، وليس علي غير ذلك أنتم لا تؤاخذون بعملي، ولا أؤاخذ بعملكم. ٤٢- ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ إلى النبي ﷺ إذا قرأ القرآن وعلم الشرائع ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ﴾ أي الذين لديهم مانع من السماع، وهو البغض والكراهية، فمنعهم القبول ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾﴾ ومن كان أصم غير عاقل، فإنه لا يفهم شيئًا، ولا يسمع ما يقال له. ٤٣- ومن جمع له بين عمى البصر والبصيرة فقد تعذر عليه الإدراك، وكذا من جُمع له بين الصمم وذهاب العقل فقد انسد عليه باب الهدى. والمقصود من هذا الكلام تسلية رسول الله ﷺ، فإن الطبيب إذا رأى مريضًا لا يقبل العلاج أصلا أعرض عنه، وترك الاشتغال به. ٤٤- ولأجل ما صار في طبائعهم من التعصب والمكابرة للحق، فهم الذين ظلموا أنفسهم بذلك، ولم يظلمهم الله شيئًا من الأشياء، بل خلقهم وجعل لهم من المشاعر ما يدركون به أكمل الإدراك، وركب فيهم من الحواس ما يصلون به إلى ما يريدون، ووفر مصالحهم الدنيوية عليهم، وخلى بينهم وبين مصالحهم الدينية، فعلى نفسها براقش تجني. ٤٥- ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾ استقلوا المدة الطويلة، إما لأنهم ضيعوا أعمارهم في الدنيا، أو لطول وقوفهم في المحشر، نسوا لذات الدنيا وكأنها لم تكن ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ هكذا من هول موقف القيامة استقلوا حياتهم الدنيا ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾﴾ يتحققون من ذلك عند حشرهم للجزاء والحساب. ٤٦- ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ من إظهار دينك في حياتك بقتلهم وأسرهم ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ أي تموت قبل ذلك ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ فعند ذلك نعذبهم في الآخرة، فنرينك عذابهم فيها، فإن لم ننتقم منهم عاجلاً انتقمنا منهم آجلاً ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾. ٤٧- ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ من الأمم الخالية ﴿رَّسُولٌ﴾ يرسله الله إليهم، ويبين له ما شرعه الله لهم من الأحكام ﴿فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ﴾ وبلغهم ما أرسله الله به فكذبوه جميعًا ﴿قُضِىَ بَيْنَهُم﴾ أي بين الأمة ورسولها بالعدل، فنجا الرسول، وهلك المكذبون له. ٤٩- فكيف أقدر على أن أملك ذلك لغيري ولكن ما شاء الله من ذلك كان، وفي هذه أعظم واعظ وأبلغ زاجر لمن صار ديدنه المناداة لرسول الله ﷺ والاستغاثة به عند نزول النوازل التي لا يقدر على دفعها إلا الله سبحانه، وكذلك من صار يطلب من الرسول ﷺ ما لا يقدر على تحصيله إلا الله سبحانه، فإن هذا مقام رب العالمين. ويترك الطلب من رب الأرباب القادر على كل شيء الخالق الرازق المعطي المانع. فيا عجبًا لقوم يعكفون على قبور الأموات الذين قد صاروا تحت أطباق الثرى، ويطلبون منهم الحوائج، كيف لا يتيقظون لما وقعوا فيه من الشرك؟ ولا يتنبهون لما حل بهم من المخالفة لمعنى لا إله إلا الله، ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ يحل بهم ما يريده الله سبحانه لهم عند حلوله ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ عن ذلك الأجل المعين ﴿سَاعَةً وَلَا =

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦۗ وَأَسَرُّوا۟
ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِۚ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِنَّ
وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ
وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ
مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ
﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا
يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ
فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ
تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ
وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ
فِيهِۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي
ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾

= ﴿يَسْتَقْدِمُونَ﴾ عليه ساعة. ٥٠- ﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾ فإن العذاب مكروه تنفر منه القلوب، وتأباه الطبائع، فما المقتضى لاستعجالهم له؟ ومن حق المجرم أن يخاف من العذاب بسبب إجرامه، فكيف يستعجله؟ ٥١- ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾ أبعد ما وقع عذاب الله عليكم، وحل بكم سخطه وانتقامه آمنتم حين لا ينفعكم هذا الإيمان شيئًا، ولا يدفع عنكم ضرًّا ﴿ءَآلْـَٰٔنَ﴾ آمنتم به ﴿وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ تستعجلون بالعذاب تكذيبًا منكم واستهزاء. ٥٢- ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾ أي العذاب الدائم الذي لا ينقطع ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾﴾ في الحياة من الكفر والمعاصي. ٥٣- ﴿۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ﴾ أحق ما تعدنا به من العذاب؟ ٥٤- ولو أن لكل كافر يوم القيامة ما في الأرض من كل شيء من الأشياء التي تشتمل عليها من الأموال النفيسة والذخائر، لود أن يجعله فدية لنفسه من العذاب ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ أخفوها لما قد شاهدوه في ذلك الموطن مما سلب عقولهم، فأسروا الندامة لئلا يشمت بهم المؤمنون، ووقوع هذا منهم كان عند رؤية العذاب، وأما بعد الدخول فيه فيقولون ﴿قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ يظهرون ما أسروا ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾ بين المؤمنين وبين الكافرين، أو بين الرؤساء والأتباع. ٥٥- ألا فاعلموا أن لله ملك الكون ما علمنا منه وما لم نعلم فأيقنوا إن وعد الله حق وكائن لا محالة ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ أي الكفار ﴿لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾﴾ ما فيه صلاحهم وما فيه فسادهم، فيستعدوا للقاء الله. ٥٧- ﴿مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ القرآن فيه التذكير بالعواقب: بالترغيب أو الترهيب ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ من الشكوك التي تعتري المرتابين، واشتماله على تزييف العقائد الباطلة ﴿وَهُدًى﴾ الهدى: الإرشاد لمن اتبع القرآن وتفكر فيه إلى الطريق الموصلة إلى الجنة ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ الرحمة: هي ما في الكتاب العزيز من الأمور التي يرحم الله بها عباده. ٥٨- وقل يا محمد لجميع الخلق بهذا القرآن والإسلام فليفرحوا فهذا ﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ من حطام الدنيا. ٥٩- ﴿فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا﴾ أي فجعلتم بعضه حرامًا، وجعلتم بعضه حلالاً، وذلك كما كانوا يفعلونه في الأنعام حسبما سبق، انظر سورة الأنعام. ٦٠- ﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي أيُّ شيء ظنهم في هذا اليوم، أن يصنع بهم فيه. ٦١- ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ أي أمر من الأمور التي تعرض لك ﴿وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ﴾ أي وما تقرأ في تلك الحال من القرآن ومن أجل الشأن الذي حدث القرآن، فيعلم كيف حكمه ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ وللأمة. ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ نراكم ونسمعكم ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ تندفعون فيه من أقوالكم وأعمالكم ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ أي وما يغيب عنه تعالى وزن ذرة: أي نملة حمراء ﴿وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ﴾ أي وليس شيء أصغر من الذرة ولا أكبر منها إلا هو عند الله ﴿فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ فكيف يغيب عنه؟ والغرض: الرد على من يزعم أنه تعالى غير عالم بالجزئيات.

أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ
﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ
فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ
ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ
ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ
مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ
يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا
ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ
سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ
إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا
لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلۡ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ
لَا يُفۡلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٞ فِي ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ
نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴿٧٠﴾

٦٢- أولياء الله هم خلص المؤمنين، كأنهم قربوا من الله سبحانه بطاعته واجتناب معصيته، فهؤلاء لا يخافون عند البعث والحشر ولا في عرصات القيامة، إذ ضمن الله لهم ألا تنالهم أهوالها ﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢﴾ على ما فاتهم وما خلفوه من الدنيا كما يحزن أهل محبة الدنيا، وهؤلاء الأولياء هم: ٦٣- ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣﴾ لا يخافون أبدًا كما يخاف غيرهم، لأنهم قد قاموا بما أوجب الله عليهم، وانتهوا عن المعاصي التي نهاهم عنها، فهم على ثقة من أنفسهم، وحسن ظن بربهم. وكذلك لا يحزنون على فوت مطلب من المطالب، لأنهم يعلمون أن ذلك بقضاء الله وقدره، فصدورهم منشرحة، وجوارحهم نشطة، وقلوبهم مسرورة. ٦٤- ﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ أي لهم البشرى من الله ما داموا في الحياة بما يوحيه إلى أنبيائه، من كون حال المؤمنين عنده هو إدخالهم الجنة ورضوانه عنهم، وكذلك الرؤيا الصالحة وما يتفضل الله به عليهم من إجابة دعائهم، وما يشاهدونه عند حضور آجالهم بتنزل الملائكة عليهم قائلين لهم: لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة، وأما البشرى في الآخرة، فتلقي الملائكة لهم مبشرين بالفوز بالنعيم والسلامة من العذاب ﴿لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾ لا تغيير لأقواله على العموم، فيدخل فيها ما وعد به عباده الصالحين دخولاً أوليًا، أي فإنه سيتحقق لا محالة. ٦٥- ﴿وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ﴾ المتضمن للطعن عليه وتكذيبه والقدح في دينه ﴿إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ﴾ أي الغلبة والقهر له في مملكته وسلطانه، فكيف يقدرون عليك حتى تحزن لأقوالهم؟

٦٦- ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ ومن جملتهم هؤلاء المشركون، وإذا كانوا في ملكه يتصرف فيهم كيف يشاء، فكيف يستطيعون أن يؤذوا رسول الله ﷺ بما لا يأذن الله به؟ ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ﴾ أي: إنهم وإن سموا معبوداتهم شركاء لله، فليست شركاء له على الحقيقة: إنما هي أسماء لا مسميات لها، والله مالك لمعبوداتهم ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ أي ما يتبعون يقينًا، والظن لا يغني من الحق شيئًا ﴿وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ٦٦﴾ أي يقدرون أنهم شركاء تقديرًا باطلاً وكذبًا بحتًا. ٦٧- ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ﴾ يسكن العباد فيه عن الحركة والتعب، ويريحون أنفسهم عن الكد والكسب ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ﴾ أي مضيئًا، تظهر فيه المرئيات وتدرك، فهم يسعون فيه بما يعود على نفعهم، وتوفير معايشهم ﴿لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ٦٧﴾ ما يتلى عليهم من الآيات التنزيلية، ويتفكرون ويعتبرون، فيكون ذلك من أعظم أسباب الإيمان. ٦٨- ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ﴾ فتنزه عما نسبوه إليه من هذا الباطل البين، وبين أنه غني عن ذلك، وأن الولد إنما يطلب للحاجة، والغني المطلق لا حاجة له حتى يكون له ولد يقضيها. ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ فلا يصح أن يكون شيء مما فيهما ولدًا له، للمنافاة بين الملك والبنوة والأبوة ﴿إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ﴾ أي ما عندكم من حجة وبرهان بهذا القول. ٦٩- ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ٦٩﴾ لا يفوزون بجنة الله والنجاة من عذاب النار. ٧٠- ﴿مَتَٰعٞ فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ =

نصف الحزب ٢٢

۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم
مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ
أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ
إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ
أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٧٢﴾
فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ خَلَٰٓئِفَ
وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ
﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ
فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۚ كَذَٰلِكَ نَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ
ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ
فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿٧٥﴾
فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٧٦﴾
قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمۡۖ أَسِحۡرٌ هَٰذَا وَلَا يُفۡلِحُ
ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا
وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٨﴾

= أي إن هذا الافتراء وإن فاز صاحبه بشيء من المطالب العاجلة فهو متاع قليل في الدنيا، ثم يتعقبه الموت والرجوع إلى الله، فيعذب المفتري عذابًا مؤبدًا، بسبب الكفر الحاصل بأسباب من جملتها الكذب على الله. ٧١- ﴿نَبَأَ نُوحٍ﴾ ما جرى له مع قومه الذين كفروا بما جاء به، كما فعله كفار قريش ﴿يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي﴾ شق عليكم مكثي بين أظهركم، وقيامي بالوعظ في مواطن اجتماعكم ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ التكوينية والتنزيلية ﴿فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ﴾ لا أقابل ذلك منكم إلا بالتوكل على الله ﴿فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ﴾ اعزموا عليه ﴿وَشُرَكَآءَكُمۡ﴾ أي: ادعوهم لاتخاذ قراركم أو لنصرتكم ﴿ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ﴾ ليكن أمركم ظاهرًا منكشفًا ﴿ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ﴾ أي ذلك الأمر الذي تريدونه بي ﴿وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾﴾ لا تمهلوني؛ بل عجلوا أمركم واصنعوا ما بدا لكم. وهذا الكلام من نوح عليه السلام لوثوقه بنصر ربه، وعدم مبالاته بما يتوعده به قومه. ٧٢- ﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍ﴾ أي إن أعرضتم عن العمل بنصحي فما سألتك في مقابلة ذلك من أجر تؤدّونه إليّ حتى تتهموني فيما جئت به ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ فهو يثيبني، آمنتم أو توليتم. ٧٣- ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ أي: استمروا على تكذيبه وأصروا على الشقاق ﴿فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ﴾ من المؤمنين الذين تابعوه في الدين وثبتوا برغم معاندة قومهم وإيذائهم ﴿فِي ٱلۡفُلۡكِ﴾ وهي السفينة التي أمره الله عز وجل أن يصنعها ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ خَلَٰٓئِفَ﴾ خلفاء يسكنون الأرض التي كانت للمهلكين بالغرق ويخلفونهم فيها ﴿وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ من الكفار المعاندين لنوح، أغرقهم الله بالطوفان ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾﴾ تسلية لرسول الله ﷺ، وتهديد للمشركين. ٧٤- ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ من بعد نوح ﴿رُسُلًا﴾ كهود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب ﴿فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ أي بالمعجزات والشرائع ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ﴾ أي: ما أحدثوا إيمانًا، بل استمروا على الكفر وأصروا عليه ﴿بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُ﴾ لم يوفقوا للإيمان بما جاءتهم به رسل الله تعالى بسبب إصرارهم السابق على تكذيب الرسل، أو المعنى: ما كان أقوام هؤلاء الرسل المذكورين بعد نوح عليه السلام ليؤمنوا بما كذب به قوم نوح قبلهم ﴿كَذَٰلِكَ نَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٧٤﴾﴾ المتجاوزين للحد في الكفر. ٧٥- ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم﴾ أي بعد الرسل المذكورين سابقًا وبعد أممهم ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ الآيات: المعجزات، وهي التسع المذكورة في الكتاب العزيز ﴿فَٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ عن قبولها، ولم يتواضعوا لها، ويذعنوا لما اشتملت عليه ﴿وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ أجرموا باستكبارهم عن اتباع ما جاء به موسى وهارون. ٧٦- ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٧٦﴾﴾ حملوها على السحر مكابرة منهم. ٧٧- أتقولون للحق لما جاءكم هذا سحر فلا تقولوا ذلك، وهو أبعد شيء من السحر ﴿وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾﴾ فلا يظفرون بمطلوب، ولا يفوزون بخير، ولا ينجون من مكروه، فكيف يقع في هذا من هو مرسل من عند الله؟ ٧٨- ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا﴾ أي تريد أن تصرفنا عن الشيء الذي وجدنا عليه آباءنا، وهو عبادة =

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ
قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ
مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ
عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ
ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ
خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ
فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ
ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ
تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا
بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ
أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً
وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ
رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِي ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ
وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾

٢١٨

= الأصنام، والمراد بـ ﴿ٱلْكِبْرِيَآءُ﴾ الملك، عللوا عدم قبولهم دعوة موسى بأمرين: التمسك بالتقليد للآباء والحرص على الرياسة، لأنهم إذا أجابوا النبي وصدقوه، صارت مقاليد أمر أمته إليه، ولم يبق للملك رئاسة تامة، لأن التدبير للناس بالدين يرفع تدبير الملوك لهم بالسياسات والعادات. ٧٩- ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾ قال هكذا لما رأى الآيات التي جاء بها موسى، من اليد البيضاء والعصا، لأنه اعتقد أنهما من السحر. ٨٠- فلما جاء السحرة قال لهم موسى: اطرحوا على الأرض ما معكم من حبالكم وعصيكم. ٨١- ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ﴾ أي الذي جئتم به هو السحر، وهو الباطل الزائف الذي تُخيِّلون به على الناس، ولا حقيقة له، بخلاف ما جئت به أنا، فهو حق، لأنه آية من آيات الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾ سيمحق ما صنعتم، فيصير باطلاً يعلم الناس بطلانه بما يظهره على يدي من الآيات المعجزة. ٨٢- ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ﴾ يبينه ويوضحه ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ التي أنزلها في كتبه على أنبيائه لاشتمالها على الحجج والبراهين. أو المراد: بكلماته التي هي أمره التكويني، كأمره العصا أن تكون حية تأكل حبالهم وعصيهم ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾﴾ من آل فرعون وغيرهم. ٨٣- ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾ من ذراري بني إسرائيل، وقيل: المراد من ذراري قوم فرعون، ومنهم مؤمن آل فرعون، وامرأته، وماشطة ابنته، وامرأة خازنه ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ﴾ وأشراف قومهم ﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ أي يصرفهم عن دينهم بالعذاب ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي عات متكبر متسلط على أرض مصر وأهلها. ﴿وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾ في الكفر وما يفعله من القتل والصلب وتنويع العقوبات. ٨٤- ﴿فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ أمرٌ لهم بالتوكل على الله، وحضٌّ لهم على أن يسلموا أنفسهم لله: أي يجعلوها له سالمة خالصة، لا حظ للشيطان فيها، لأن التوكل لا يكون إلا مع الإخلاص. ٨٥- ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾﴾ لا تسلطهم علينا فيعذبونا حتى يفتنونا عن ديننا، أو لا تجعلنا فتنة لهم يفتنون بنا غيرنا، فيقولون لهم لو كان هؤلاء على حق لما سُلطنا عليهم وعذبناهم. ٨٧- ﴿تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾ أي: اتخذا لقومكما بمصر بيوتًا لعبادة الله تعالى، أي مساجد، قيل: ومصر في هذه الآية هي الإسكندرية. ﴿وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ أي متوجهة إلى جهة القبلة، ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ التي أمركم الله بإقامتها ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾﴾ المطيعين يا موسى. ٨٨- ﴿زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ الزينة: اسم لكل ما يتزين به من ملبوس، ومركوب، وحلية، وفراش، وسلاح، وغير ذلك، وقد استعملوها في الصدِّ عن دينك ومحاربة عبادك ربنا بدِّد أموالهم فلا ينتفعوا بها. ﴿وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ واجعل قلوبهم قاسية مطبوعة لا تقبل الحق، ولا تنشرح للإيمان ولا =

ثلاثة أرباع
الحزب
٢٢

قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ
ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ
فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ
ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ
وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ
مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ
خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾
وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ
فَمَا ٱخْتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ
فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ
ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ
مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ
﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ
﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾

= يحصل منهم الإيمان إلا مع المعاينة لما يعذبهم الله به، وعند ذلك لا ينفع إيمانهم. ٨٩- ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا﴾ الاستقامة: الثبات على ما هما عليه من التمسك بالدين، وعدم الخروج عن أحكامه، والدعاء إلى الله ولا تسلكا طريق الذين لا علم عندهم بالدين. ٩٠- ﴿۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ﴾ جعل البحر يبسا فمروا فيه حتى خرجوا منه إلى البر. ﴿بَغْيًا وَعَدْوًا﴾ والبغي: الظلم، والعدو: الاعتداء ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ﴾ أي ناله ووصله وألجمه، انطبق عليهم البحر، فغرقوا كما حكى الله سبحانه ﴿قَالَ ءَامَنتُ﴾ ولم ينفعه هذا الإيمان لأنه وقع منه بعد إدراك الغرق له. ولم يقل اللعين: آمنت بالله، لأنه بقي فيه عر ق من دعوى الإلهية ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ أي المستسلمين لأمر الله، الذين يوحدونه وينفون ما سواه. ٩١- ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾ أي: فقيل له: أتؤمن الآن؟. ٩٢- فاليوم ننجيك بجسدك أي: بدون روح، فقد قذفه البحر ميتًا.حتى شاهدوه ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ من آيات الله يعتبر بها الناس ممن سيأتي من الأمم إذا سمعوا ذلك، حتى يحذروا من التكبر والتجبر والتمرد على الله سبحانه، وحتى يعلموا كذب هذا الذي ادعى أنه الرب الأعلى، فها هي جثته مطروحة بالعراء لا روح بها ﴿عَنْ ءَايَٰتِنَا﴾ التي توجب الاعتبار والتفكر، وتوقظ من سنة الغفلة ﴿لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾. ٩٣- ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ أسكناهم، وأنزلناهم في المنزل المحمود، وهو أرض بيت المقدس وما حوله ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُواْ﴾ في أمر دينهم وتشعبوا فيه شعبًا بعدما كانوا على طريقة واحدة غير مختلفة ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ بقراءتهم التوراة، وعلمهم بأحكامها. وقيل المعنى: أنهم لم يختلفوا حتى جاءهم العلم، وهو القرآن، فاختلفوا في نعته وصفته، وآمن به من آمن منهم وكفر به من كفر ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾﴾ فيجازي المحق بعمله بالحق والمبطل بما يستحق. ٩٤- ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ أهل الكتاب الذين قد أسلموا، وآمنوا بدعوة النبي ﷺ كعبد الله بن سلام، فإنهم سيخبرونك بأنه كتاب الله حقًا، وأنك رسوله، وأن التوراة شاهدة بذلك ناطقة به. ﴿لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ في هذا بيان ما يقلع الشك، وهو شهادة الله سبحانه بأن هذا الذي يتشككون فيه هو الحق الذي لا يخالطه باطل، ولا تشوبه شبهة ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾﴾ وهم الشاكون المتحيرون المترددون.٩٦، ٩٧- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾﴾ حق عليهم قضاء الله وقدره بأنهم يصرون على الكفر، ويموتون عليه، لا يقع منهم الإيمان بحال من الأحوال ﴿وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ﴾ من الآيات التكوينية والتنزيلية، فإن ذلك لا ينفعهم ﴿حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾ فيقع منهم الإيمان عند معاينتهم للعذاب، كما فعل فرعون، ولكن ذلك لا يفيدهم ولا ينجيهم. ٩٨- فهلا قرية واحدة من هذه القرى =

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ
ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ
إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ
جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا
كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ
عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾
فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ ۚ
قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّى
رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ
﴿١٠٣﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ
تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ
أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا
وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ
مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾

= التي أهلكناها آمنت إيمانًا معتدًا به، وذلك بأن يكون خالصًا لله قبل معاينة عذابه، ولم يؤخروه كما أخره فرعون لكن قوم يونس ﴿لَمَّآ ءَامَنُواْ﴾ إيمانًا معتدًا به قبل معاينة العذاب ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ﴾ وهو العذاب الذي كان قد وعدهم يونس أنه سينزل عليهم ولم يروه، فرأوا علاماته دون عينه ﴿وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ أي بعد كشف العذاب عنهم. ٩٩- ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ مجتمعين على الإيمان لا يتفرقون فيه ويختلفون، ولكنه لم يشأ ذلك لكونه مخالفًا للمصلحة التي أرادها الله سبحانه، وهي الحكمة البالغة ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ فإن ذلك ليس في وسعك يا محمد، ولا داخل تحت قدرتك. ١٠٠- أي ما صح واستقام لنفس من الأنفس أن تؤمن بالله إلا بإذنه: فلا يقع غير ما يشاؤه كائنًا ما كان. ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ أي العذاب، أو الخذلان الذي هو سبب العذاب على الكفار الذين لا يتعقلون حجج الله، ولا يتفكرون في آياته، ولا يتدبرون فيما نصبه لهم من الأدلة. ١٠١- قل انظروا وتفكروا واعتبروا بالمصنوعات الدالة على الصانع ووحدانيته وكمال قدرته وما تنفع الآيات والرسل ﴿عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ في علم الله سبحانه، فمن كان هكذا لا يجدي فيه شيء، ولا يدفع عنه الكفر دافع، فإن التفكر والتدبر في هذه الدلائل لا ينفع في حق من استكملت شقاوته. ١٠٢- فهل ينتظر هؤلاء فقد كان الأنبياء المتقدمون يتوعدون كفار زمانهم بأيام مشتملة على أنواع العذاب، وهم يكذبونهم ويصممون على الكفر حتى ينزل الله عليهم عذابه ويحل عليهم انتقامه ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ أي تربصوا لوعد ربكم ﴿إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ لوعد ربي. ١٠٣- ﴿ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا﴾ أهلكنا الأمم، ثم نجينا رسلنا المرسلين إليهم، والذين آمنوا بهم ﴿كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ بمحمد ﷺ من قريش وغيرهم، ننجيهم من عذابنا للكفار. ١٠٤- ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى﴾ وهو عبادة الله وحده لا شريك له، ولم تعلموا بحقيقته، فاعلموا أني بريء من أديانكم التي أنتم عليها ﴿فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ في حال من الأحوال ﴿وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾ فيفعل بكم ما يفعل من العذاب الشديد ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ وأخلص له الدين. ١٠٥- ثم أمره سبحانه بالاستقامة في الدين، والثبات فيه، وعدم التزلزل عنه بحال من الأحوال، وخص الوجه لأنه أشرف الأعضاء ﴿حَنِيفًا﴾ مائلًا عن كل دين من الأديان إلى دين الإسلام. ١٠٦- ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ بشيء من النفع والضر إن دعوته، ودعاء من كان هكذا لا يجلب نفعًا، ولا يقدر على ضر، ضائع لا يفعله عاقل فإن دعوت ﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ لأنفسهم.

وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن
يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ
وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ
ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن
ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ
مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

سُورَةُ هُودٍ

ترتيبها ١١ — آياتها ١٢٣

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾
أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟
رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ
كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ
كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ
يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ
يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾

١٠٧- وأن الله سبحانه هو الضار النافع، فإن أنزل بعبده ضرًّا، أو أصابه بمكروه في نفسه ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ لم يستطع أحد أن يدفعه عنه، ويحول بينه وبينه، كائنًا من كان إلا الله وحده ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾ أي إن قصدك الله بالخير، أي أراد إيصال خير إليك ﴿فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ لا أحد يحول دون ذلك. بفضله ﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ بمحض اختيار المولى سبحانه ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾. ١٠٨- ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ أي منفعة اهتدائه مختصة به، وضرر كفره مقصور عليه لا يتعداه، وليس لله حاجة في شيء من ذلك ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾﴾ أي: بحفيظ يحفظ أموركم، وتوكل إليه، إنما أنا بشير ونذير. ١٠٩- وأمره الله سبحانه أن يتبع ما أوحاه إليه من الأوامر والنواهي التي يشرعها الله له ولأمته، ثم أمره بالصبر على أذى الكفار، وما يلاقيه من مشاق التبليغ، وما يعانيه من تلون أخلاق المشركين وتعجرفهم ﴿وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ أي يحكم الله بينه وبينهم في الدنيا بالنصر له عليهم، وفي الآخرة بعذابهم بالنار أي فلا ينبغي أن تستعجل ذلك فإنه آتٍ لا ريب فيه.

سُورَةُ هُودٍ

هي مكية إلا آية ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ﴾. وأخرج الترمذي وحسنه والحاكم وصححه، قال أبو بكر: يا رسول الله: قد شِبْتَ، قال: «شيبتني هود، والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت». ١- ﴿الٓر﴾ تقدم تفسير هذه الحروف في أول سورة البقرة ﴿كِتَٰبٌ﴾ هو القرآن ﴿أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ صارت محكمة متقنة لا نقض لها، كالبناء المحكم، ولم تنسخ، بخلاف التوراة والإنجيل ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ بالوعد والوعيد، والثواب والعقاب، ومعنى إحكامها: أي لا فساد فيها ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾ أحكمها حكيم، وفصلها خبير عالم بمواقع الأمور. ٢- وقل يا محمد إن إنزال القرآن لأجل عبودية الله وحده وإنني لكم منه نذير يخوفهم من عذاب الله لمن عصاه وبشير: يبشرهم بالجنة والرضوان لمن أطاعه. ٣- قدم ذكر الاستغفار، لأن المغفرة هي الغرض المطلوب، والتوبة هي السبب إليها، وقيل: استغفروا في الصغائر، وتوبوا إليه في الكبائر ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾ من سعة الرزق ورغد العيش ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى وقت مقدر عند الله، وهو الموت ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ﴾ في الطاعة والعمل ﴿فَضْلَهُۥ﴾ أي جزاء فضله: إما في الدنيا، أو في الآخرة، أو فيهما جميعًا. ﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ أي تتولوا وتعرضوا عن العبادة والاستغفار والتوبة ﴿فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾﴾ وهو يوم القيامة. ٤- ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ رجوعكم إليه بالموت، ثم البعث، ثم الجزاء، لا إلى غيره ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾﴾ ومن جملة ذلك عذابكم على عدم الامتثال. ٥- ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ ينحرفون ويَزْوَرُّون عنه إصرارًا على ما هم عليه ﴿لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ﴾ أي ليستخفوا من الله بسرِّ=

۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا
وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ
عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ
إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ
إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ
أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ
مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾
وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ
لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ
مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾
إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ
وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ
وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ
مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾

= أعمالهم فلا يطلع عليه رسوله والمؤمنون ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ حين يأوون إلى فراشهم، ويتدثرون بأغطيتهم يعلم الله ما في قلوبهم، وذلك أن بعض الكفار كان إذا مر به رسول الله ﷺ ثنى صدره، وولى ظهره، واستغشى ثيابه، لئلا يراه رسول الله ﷺ ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ فلا فائدة لهم في الاستخفاء، فالظاهر والباطن عند الله سواء ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾﴾ هي الضمائر التي تشتمل عليها الصدور. ٦- ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ من الغذاء اللائق بالحيوان على اختلاف أنواعه تفضلاً منه وإحسانًا، فلما كان لا يغفل عن كل حيوان باعتبار ما قسمه له من الرزق، فكيف يغفل عن أحواله وأقواله وأفعاله ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾ أي محل استقرارها في الأرض حيث تأوي ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ موضعها الذي تموت فيه ﴿كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ أي كل مما تقدم ذكره من: الدواب ومستقرها، ومستودعها، ورزقها، في كتاب مبين، وهو اللوح المحفوظ: أي مثبت فيه. ٧- ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ أي كان عرشه قبل خلقهما على الماء ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ فيما أمر به ونهى عنه، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته ﴿لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾ إلا باطل كبطلان السحر، وخدع كخدعه. ٨- ﴿إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾ أي إلى طائفة من الأيام قليلة، وقيل: إلى حين تنقضي أمة معدودة من الناس ﴿لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ﴾ أي: يقول المنافقون: أي شيء يمنعه من النزول؟ استعجالاً له على جهة الاستهزاء والتكذيب ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ أي ليس محبوسًا عنهم، بل واقع بهم لا محالة ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾﴾ أي أحاط بهم العذاب الذي كانوا يستعجلونه استهزاء منهم. ٩- ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ أي هذه طبيعة البشر: اليأس بعد سلب النعمة، والغفلة بعد زوال النقمة. فيشمل الإنسان المؤمن والكافر ﴿رَحْمَةً﴾ الرحمة: النعمة من توفير الرزق والصحة والسلامة من المحن ﴿ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ﴾ أي سلبناه إياها ﴿إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ﴾ أي آيس من الرحمة، شديد القنوط من عودها وأمثالها ﴿كَفُورٌ﴾ والكفور: عظيم الكفران. ١٠- ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓ﴾ أي: إنه إن أذاق الله سبحانه العبد نعماءه من الصحة والسلامة والغنى، بعد أن كان في ضر من فقر أو مرض أو خوف لم يقابل ذلك بما يليق به من الشكر لله سبحانه، بل يقول: ذهبت المصائب التي ساءته من الضر والفقر والخوف والمرض عنه، وزال أثرها، غير شاكر لله ولا مثن عليه، على إزالة تلك الحال السيئة ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾﴾ أي كثير الفرح بطرًا وأشرًا، كثير الفخر على الناس والتطاول عليهم بما يتفضل الله به عليه من النعم الحاضرة. ١١- ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ فإنهم ثابتون في الحالين في مقام الشكر: يذكرون الله عند زوال النعم، ويحمدون الله عليها، ويذكرون الله عند زوال النقمة، وحصول النعمة، فيعلمون أنها من الله فلا يبطرون ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ المتصفون بالصبر وعمل الصالحات ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَأَجْرٌ﴾ لأعمالهم الحسنة ﴿كَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ متناه في الكبر. ١٢- ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ أي: فلعلك =

أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ
وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٣
فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٤ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ
ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ
١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ
مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٦ أَفَمَن كَانَ
عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٞ مِّنۡهُ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ
مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةًۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ
مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُۚ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ
مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٧ وَمَنۡ
أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ
عَلَىٰ رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ
رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ
عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ١٩

= لعظم ما تراه منهم من الكفر والتكذيب، واقتراح الآيات التي يقترحونها عليك على حسب هواهم وتعنتهم، تارك بعض ما أنزله الله عليك وأمرك بتبليغه مما يشق عليهم سماعه أو العمل به، كسبِّ آلهتهم، وأمرهم بالإيمان بالله وحده. أي: لا يكن منك ذلك، بل تبلغهم جميع ما أنزل الله عليك، أحبوا ذلك أم كرهوه ﴿وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ﴾ مخافة ﴿أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ﴾ أي مال مكنوز مخزون ينتفع به ﴿أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ﴾ يصدقه ويبين لنا صحة رسالته. ١٣- ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ﴾ أي اختلق القرآن من عند نفسه كذبًا ﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ﴾ في البلاغة وحسن النظم، وجزالة اللفظ، وفخامة المعاني ﴿مُفۡتَرَيَٰتٖ﴾ أي: فأنا واحد منكم، فهاتوا، وافتروا أقل مما افتريته ﴿وَٱدۡعُواْ﴾ للاستظهار على المعارضة بالعشر السور ﴿مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم﴾ دعاءه، وقدرتم على الاستعانة به من النوع الإنساني، وممن تعبدونه وتجعلونه شريكًا لله سبحانه ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٣﴾ فيما تزعمون من افترائي له، إذ لو كان الأمر كما تدعون لكان بإمكانكم أن تأتوا بمثله. ١٤- ﴿فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ﴾ لم يفعلوا ما طلبته منهم، وتحديتهم به ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ﴾ أيها المؤمنون علم اليقين ﴿أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ﴾ المختص به الذي لا تطلع على كنهه العقول، لما اشتمل عليه من الإعجاز الخارج عن طوق البشر ﴿وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ المتفرد بالألوهية، ولا يقدر غيره على ما يقدر عليه ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٤﴾ أي ثابتون على الإسلام مخلصون لله، مزدادون من الطاعات، أي فكونوا كذلك وأسلموا لله، لأنه قد حصل لكم بعجز الكفار عن الإتيان بمثل عشر سور من هذا الكتاب طمأنينة فوق ما كنتم عليه، وبصيرة زائدة وإن كنتم مسلمين من قبل. ١٥- ومن كان يريد بعمله حظ الدنيا يكافأ بذلك، من الصحة والأمن والسعة في الرزق، وارتفاع الحظ، ونفاذ القول، ونحو ذلك، وذلك بمشيئة الله سبحانه. لقوله: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾. ١٦- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ﴾ بأنهم لم يريدوا الآخرة بشيء من الأعمال المعتد بها، الموجبة للجزاء الحسن في الدار الآخرة ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ﴾ أي ظهر في الدار الآخرة حبوط ما صنعوه من الأعمال، أفسدوها بفساد مقاصدهم، وعدم الخلوص ﴿وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ لأنه لم يعمل لوجه صحيح يوجب الجزاء. ١٧- ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ في اتباع النبي ﷺ والإيمان بالله كغيره ممن يريد الحياة الدنيا وزينتها، وقيل: المراد النبي ﷺ ﴿وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٞ مِّنۡهُ﴾ وهو القرآن، وقيل: الشاهد المعجزات، أو الإنجيل ﴿وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ التقدير: ويتلوا الشاهد شاهد آخر من قبله هو كتاب موسى، بشر بمحمد ﷺ وأخبر بأنه رسول من الله ﴿إِمَامٗا وَرَحۡمَةًۚ﴾ الإمام: هو الذي يؤتم به في الدين، ويقتدى به. وهو أي التوراة النعمة العظيمة التي أنعم الله بها على من أنزله عليهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي من كان على البينة وعلم شهادة الشاهدين المذكورين ﴿يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۚ﴾ أي يصدقون بالنبي ﷺ أو بالقرآن ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾ من أهل مكة وغيرهم، من أهل الأديان كلها ﴿فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ﴾ أي هو من أهل النار لا =

أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن
دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ
ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ
أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ
فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ
هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ
وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ
﴿٢٤﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾
أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ
﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا
مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ
ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ
﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ
مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾

ربع الحزب ٢٣

= محالة ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُۚ﴾ أي لا تك في شك من القرآن، أو من الموعد ﴿إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ فلا مدخل للشك فيه ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾ مع ظهور الدلائل الموجبة له، ولكنهم يعاندون. ١٨- ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ﴾ بقولهم لأصنامهم: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وقولهم: الملائكة بنات الله، ونحو ذلك ﴿يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾ فيحاسبهم على أعمالهم ﴿وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ﴾ الأشهاد: الملائكة والمرسلون والعلماء الذين بلغوا ما أمرهم الله بإبلاغه، يقولون عند العرض ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ المعروضون هم ﴿ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ﴾ بما نسبوه إليه ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ الذين ظلموا أنفسهم بالافتراء. ١٩- ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي يمنعون من قدروا على منعه عن دين الله والدخول فيه ﴿وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًا﴾ أي يصفونها بالاعوجاج تنفيرًا للناس عنها. ٢٠- ﴿لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي ما كانوا يفوتون الله في الدنيا إن أراد عقوبتهم ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ يدفعون عنهم ما يريده الله سبحانه من عقوبتهم ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ﴾ فعذابهم مضاعف بالنسبة لعذاب كافر لم يفعل مثل فعلهم. ﴿مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ﴾ أي أفرطوا في إعراضهم عن الحق، وبغضهم له، حتى كأنهم لا يقدرون على السمع ولا على الإبصار. ٢١- ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ بعبادة غير الله ﴿وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٢١﴾﴾ أي ذهب وضاع ما كانوا يفترون من الآلهة التي يدعون أنها تشفع لهم، ولم يبق بأيديهم إلا الخسران. ٢٢- ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ﴿٢٢﴾﴾ أي وما دام أمرهم كذلك فلا بد أن يخسروا، وأنهم في الخسران قد بلغوا إلى حد يتقاصر عنه غيرهم ولا يبلغ إليه. ٢٣- ﴿وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾ أي أنابوا إليه وخشعوا. ٢٤- ﴿مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ﴾ فالكافر شبه بمن جمع بين العمى والصمم، والمؤمن شبه بمن جمع بين السمع والبصر ﴿هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ﴾ يعني الفريقين، أي هل يستويان حالاً وصفة ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ في عدم استوائهما، وفيما بينهما من التفاوت الظاهر. ٢٥- ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ﴾ قائلاً ﴿إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾﴾ منذر من قبل الله تعالى، معي بينة على أني رسوله. ٢٦- ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ﴿٢٦﴾﴾ أبهمه ولم يفسره لهم، وتأويله هو: يوم القيامة، أو يوم الطوفان. ٢٧- ﴿فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ﴾ الملأ: الأشراف، فيه دليل على أن بعض أشراف قومه لم يكونوا كفرة أجابوه بهذا الجواب الذي يقتضي طعنهم في نبوته من ثلاث جهات: الجهة الأولى: قولهم: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا﴾ في البشرية، فلم يكن لك علينا مزية تستحق بها النبوة دوننا. والجهة الثانية: قولهم: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا﴾ أي: ولم يتبعك أحد من الأشراف، والأراذل: الفقراء، والذين لا حسب لهم، ومن يدخل في الحرف الدنية أي فليس لك علينا مزية باتباع هؤلاء الأراذل لك. ﴿بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ﴾ أي اتبعوك في ظاهر الرأي من غير تعمق ولا تحقق من كونك نبيًّا. والجهة الثالثة من مطاعنهم قولهم: ﴿وَمَا نَرَىٰ﴾ =

وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ
أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ
قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ
أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ
أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ
أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا
لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ
جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ
إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ
نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ
هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ
قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾
وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ
فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا
وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾

=﴿لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ خاطبوه بهذا وخاطبوا متبعيه: أي ما نرى لك ولمن اتبعك من الأراذل علينا من فضل تتميزون به وتستحقون ما تدعونه. ثم أضربوا المطاعن الثلاثة وانتقلوا إلى ظنهم المجرد عن البرهان الذي لا مستند له إلا مجرد العصبية والحسد واستبقاء ما هم فيه من الرياسة الدنيوية فقالوا: ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾. ٢٨- ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾ أي أخبروني إن كنت على برهان من ربي في النبوة يدل على صحتها، ويوجب عليكم قبولها، والمساواة في صفة البشرية لا تمنع المفارقة في صفة النبوة ﴿وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ﴾ هي النبوة ﴿فَعُمِّيَتْ﴾ خفيت ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ أيمكننا أن نضطركم وندخل الإيمان في قلوبكم رغمًا عنكم ﴿وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾﴾ غير متدبرين فيها، فإن ذلك لا يقدر عليه إلا الله.

٢٩- ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا﴾ لا يطلب النبي على تبليغ الرسالة مالاً حتى يكون بذلك محلاً للتهمة ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ من الفقراء كما تطلبون ﴿إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾ فهو يجازيهم على إيمانهم ﴿وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ ومن جهلهم استرذالهم للفقراء وسؤالهم له أن يطردهم. ٣٠- ﴿وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ﴾ وقد سبقوا إلى الإيمان والإجابة وإلى الدعوة التي أرسلني الله بها، أي: فهم أحقاء بالإكرام ورفعة المقام بسبب مبادرتهم إلى الإيمان بالله، لا بالطرد والإبعاد والإهانة، ولا يصنع هذا بهم إلا الجهلة الذين لا يعلمون حق الله، فكيف أفعله وأنا رسول الله، ومن ينصرني إن فعلت هذه المعصية. ٣١- ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ حتى تستدلوا بعدمها على كذبي، والمراد بخزائن الله: خزائن رزقه ﴿وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ أي ولا أدعي أني أعلم بغيب الله، بل لم أقل لكم إلا أني نذير مبين ﴿وَلَآ أَقُولُ﴾ لكم ﴿إِنِّى مَلَكٌ﴾ حتى تقولوا ما نراك إلا بشرًا مثلنا ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ﴾ أي لا أقول لهؤلاء المتبعين لي، المؤمنين بالله، الذين تعيبونهم وتحتقرونهم ﴿لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا﴾ بل قد آتاهم الخير بالإيمان، فهو مجازيهم بالجزاء العظيم في الآخرة، ورافعهم في الدنيا ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ من الإيمان به والإخلاص له، فمجازيهم على ذلك. ٣٢- ﴿يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا﴾ دفعتنا بكل حجة ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ من العذاب الذي تخوفنا منه، وتخافه علينا. ٣٣- ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ عجله لكم أو أخره ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾﴾ بفائتين عما أراده الله بكم بهرب أو مدافعة. ٣٤- ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ﴾ الذي أبذله لكم، واستكثر منه بحق النصيحة لله بإبلاغ رسالته، ولكم بإيضاح الحق ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ لا ينفعكم نصحي إن كان الله يريد أن يضلكم عن سبيل الرشاد، ويخذلكم عن طريق الحق، ولا أدري ما يريد الله بكم ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾ فإليه الإغواء، وإليه الهداية ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾﴾ فيجازيكم بأعمالكم. ٣٥- ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ يعني بل أيقول كفار مكة: افترى محمد قصة نوح هذه ﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ﴾ ﴿فَعَلَىَّ إِجْرَامِى﴾ إثمي وجزاء كسبي ﴿وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ ما تنسبونه إلي من الافتراء، فالإجرام وعقابه ليس إلا عليكم، وأنا بريء=

وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟
مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾
فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ
مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا
مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ
وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟
فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ
تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ
فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾
قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ
ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ
مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ
أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ
بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ
ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾

٢٢٦

نصف الحزب ٢٣

= منه. ٣٦- الآية تأييس له من إيمانهم، إلا من قد سبق إيمانه ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ فلا تحزن. والابتئاس: حزن في استكانة. ٣٧- واعمل السفينة بمرأى منا، وحفظنا لك، وبما أوحينا إليك من كيفية صنعتها ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ أي لا تطلب منا إمهالهم، فإنه محكوم منا عليهم بالغرق، وقد مضى به القضاء، فلا سبيل إلى دفعه ولا تأخيره، فإنهم مغرقون في الوقت المضروب لذلك. ٣٨- ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ﴾ أي وأخذ يصنع الفلك ﴿سَخِرُوا۟ مِنْهُ﴾ فيقولون يا نوح: صرت بعد النبوة نجارًا ﴿إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا﴾ بسبب عملنا للسفينة اليوم، فإنا نسخر منكم غدًا عند الغرق. ٣٩- ﴿عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ وهو عذاب الغرق في الدنيا ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ وهو عذاب النار الدائم. ٤٠- ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ أي فار الماء من التنور، وهو تنور الخبز الذي يخبزون فيه. وقيل: التنور وجه الأرض، وفورانه علامة بدء الطوفان. ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ احمل في السفينة من كل صنف مما في الأرض من الحيوانات زوجين اثنين ذكرًا وأنثى ﴿وَأَهْلَكَ﴾ أمره أن يحمل معه أهله وهم امرأته، وبنوه ونساؤهم ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾ أي من تقدم الحكم عليه بأنه من المغرقين ﴿وَمَنْ ءَامَنَ﴾ أي واحمل في السفينة من آمن معك من قومك ثم وصف الله سبحانه قلة المؤمنين مع نوح بالنسبة إلى من كفر به، فقال: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾ قيل: هم ثمانون إنسانًا: منهم ثلاثة من بنيه، وهم سام وحام ويافث، وزوجاتهم. ٤١- ﴿۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا﴾ القائل: نوح وإنما قال هذا لإشعارهم بلطف الله ورحمته بهم ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ جريانها في الطوفان ورسوها بعده ﴿إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ﴾ للذنوب ﴿رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ ومن رحمته إنجاء هذه الطائفة تفضلاً منه لبقاء أجناس الحيوان التي حملها معه. ٤٢- ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ﴾ نظرًا لارتفاع الموج ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾ قيل: هو كنعان، وكان كافرًا، وقيل: كان منافقًا ﴿وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ﴾ عن قومه وقرابته بحيث لم يبلغه قول نوح: اركبوا فيها. ﴿وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾﴾ خارج السفينة، أو لا تكن على دينهم فإنهم هالكون. ٤٣- ﴿يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ أي يمنعني بارتفاعه من وصول الماء إلي ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ أي لا مانع فإنه يوم قد حق فيه العذاب ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ أي لكن من رحمه الله فهو يعصمه ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ﴾ أي وتعاظمت الأمواج حتى حالت بين نوح وابنه، فتعذر خلاصه من الغرق. ٤٤- ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ﴾ ليس كالنشف المعتاد على سبيل التدريج ﴿وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى﴾ يقال أقلع المطر إذا انقطع ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾ أي نقص وأهلك الله قوم نوح على تمام وإحكام واستقرت السفينة على الجبل المعروف بالجودي، وهو جبل بقرب الموصل ﴿وَقِيلَ بُعْدًا﴾ هلاكًا ﴿لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ وقد أطبق علماء البلاغة على أن هذه الآية الشريفة بالغة من الفصاحة والبلاغة إلى محل يتقاصر عنه الوصف، وتضعف عن الإتيان بما يقاربه قدرة القادرين على فنون البلاغة، الثابتين الأقدام في علم البيان الراسخين في علم اللغة. ٤٥- ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾ أي فهو من الذين وعدتني بتنجيتهم بقولك: وأهلك =

قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ
مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٤٦
قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا
تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٤٧ قِيلَ يَٰنُوحُ
ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ
وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ٤٨ تِلۡكَ
مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ
مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ٤٩ وَإِلَىٰ عَادٍ
أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ
غَيۡرُهُۥٓۖ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ ٥٠ يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ
أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٥١
وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ
عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ
مُجۡرِمِينَ ٥٢ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ
بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ٥٣

= ﴿وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ﴾ الذي لا خلف فيه ﴿وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٤٥﴾ أعلمهم وأعدلهم. ٤٦- فـ ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَ﴾ لأنه لم يكن من الذين آمنوا بك وتابعوك، فالقرابة قرابة الدين لا قرابة النسب وحده ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ﴾ للمبالغة في ذمه، كأنه جعل نفس العمل، أي: ﴿فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌ﴾ أي لو كان في علمي أنه مؤمن لأنجيته. وفيه عدم جواز الدعاء بما يعلم الإنسان عدم مطابقته للشرع ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٤٦﴾ أي أحذرك أن تكون منهم، بل كن من العالمين العاملين. ثم لما علم نوح بأن سؤاله لم يطابق مرضاة الله، وأن دعاءه ناشئ عن وهم كان يتوهمه، بادر إلى الاعتراف بالخطأ، وطلب المغفرة والرحمة. ٤٧- ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ﴾ ما لا علم لي بصحته وجوازه ﴿وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي﴾ ذنب ما دعوت به على غير علم مني ﴿وَتَرۡحَمۡنِيٓ﴾ برحمتك، فتقبل توبتي ﴿أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٤٧﴾ في أعمالي فلا أربح فيها. ٤٨- ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ﴾ أي: انزل من السفينة إلى الأرض، أو من الجبل إلى المنخفض من الأرض، فقد بلعت الأرض ماءها وجفت ﴿بِسَلَٰمٖ مِّنَّا﴾ أي بسلامة وأمن ﴿وَبَرَكَٰتٍ﴾ أي نعم ثابتة ﴿وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ وهم المتشعبون من ذرية من كان معه في السفينة، ومن في السفينة، فإنهم أمم مختلفة، وأنواع من الحيوانات متباينة ﴿وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ﴾ من صار كافرًا من ذريتهم إلى يوم القيامة، سنمتعهم في الدنيا، ونعطيهم منها ما يعيشون به ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا﴾ في الآخرة ﴿عَذَابٌ أَلِيمٞ ٤٨﴾. ٤٩- ﴿تِلۡكَ﴾ قصة نوح ﴿مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ﴾ أي من أخباره ﴿مَا كُنتَ﴾ يا محمد ﴿تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا﴾ يعلمها ﴿قَوۡمُكَ﴾ من قبل الوحي أي فكان مجيئك بها على هذا التفصيل البديع المطابق للحقيقة دليلاً لهم على أنك رسول الله حقًا ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ على ما تلاقيه من كفار زمانك ﴿إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ﴾ المحمودة في الدنيا والآخرة ﴿لِلۡمُتَّقِينَ ٤٩﴾ لله، المؤمنين بما جاءت به رسله. ٥٠- ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ﴾ أي: إلى قبيلة عاد، كانت تسكن الأحقاف باليمن ﴿أَخَاهُمۡ هُودٗا﴾ أخاهم: أي واحد منهم ﴿إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ ٥٠﴾ أي كاذبون باتخاذ إله غير الله. ٥١- ﴿يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا﴾ على ما أبلغه إليكم، وأنصحكم به ﴿عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓ﴾ أي خلقني فهو الذي يثيبني على ذلك. ٥٢- ﴿يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ﴾ أي المطر ﴿عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا﴾ أي كثير الدرور، والناقة المدرار الكثيرة الحليب. أي إن الاستغفار والتوبة يجلبان رزق السماء، وبركات الأرض ﴿وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ﴾ خصبًا إلى خصبكم، أو عزًّا على عزكم ﴿وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ٥٢﴾ أي لا تعرضوا عما أدعوكم إليه وتقيموا على الكفر مصرين عليه والإجرام: الآثام. ٥٣- ﴿مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ﴾ أي بحجة واضحة نعمل عليها ﴿وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا﴾ التي نعبدها من دون الله من أجل قولك وما نحن لك بمصدقين.

إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ
وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى
جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا
مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ
﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ
رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ
﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ
مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ
رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا۟
فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا
بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ
يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ
وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ
﴿٦١﴾ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن
نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾

ثلاثة أرباع
الحزب
٢٣

٥٤- وما نقول إلا أنه أصابك بعض آلهتنا بسوء: بجنون، فمن جنونك ما تقوله لنا، وتكرره علينا من التنفير عنها ﴿قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟﴾ أنتم ﴿أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾. ٥٥- من إشراككم من دون الله من غير أن ينزل به سلطانًا ﴿فَكِيدُونِى جَمِيعًا﴾ أنتم وآلهتكم إن كانت كما تزعمون تقدر على الإضرار بي، وأنها اعترتني بسوء ولا تمهلوني، بل عاجلوني واصنعوا ما بدا لكم من الإضرار بي. ٥٦- ﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم﴾ فهو يعصمني من كيدكم وإن بلغتم في طلب وجوه الإضرار بي كل مبلغ، فمن توكل على الله كفاه. وكل دابة، ومنها أنتم في قبضته وتحت قهره، بغاية التسخير ونهاية التذليل، ومعنى: آخذ بناصيتها: مالكها، والقادر عليها، وقاهرها، والناصية: قصاص الشعر من مقدم الرأس وهو على الحق والعدل فلا يسلطكم علي، لأنني مؤمن به داع إلى سبيله، وأنتم تكفرون به، وتعرضون عن دعوته. ٥٧- فإن تستمروا على الإعراض عن الإجابة والتصميم على الكفر ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ﴾ ليس علي إلا ذلك، وقد لزمتكم الحجة ويستخلف ربي في دياركم وأموالكم قومًا آخرين. ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا﴾ كثيرًا من الضرر ولا حقيرًا ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾﴾ رقيب مهيمن، فهو يحفظني من أن تنالوني بسوء. ٥٨- ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ أي عذابنا الذي هو إهلاك عاد ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ أي برحمة عظيمة كائنة من الله، لأنه لا ينجو أحد إلا برحمة الله ﴿مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾﴾ أي شديد، قيل وهو رياح السموم التي كانت تدمر ديارهم وتفنيهم حتى لم تبق منهم أحدًا. ٥٩- ﴿جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ أي كفروا بها وكذبوها وأنكروا المعجزات ﴿وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ﴾ أي هودًا وحده، لأنه لم يكن في عصره رسول سواه، ولكن تشير الآية إلى أن من كذب برسول واحد فقد كذب بجميع الرسل. ومن كان قبله من الرسل ﴿وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾﴾ الجبار: المتكبر، والعنيد: الطاغي الذي لا يقبل الحق ولا يذعن له أي إنهم أدركوا سوء المصير هذا بسبب إعراضهم عن طاعة الله وطاعة رسوله مع ما جاءهم به من المعجزات والبراهين، واتباعهم العتاة من رؤسائهم وقادتهم إلى الشر. ٦٠- ﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ فأصبحت لازمة لهم لا تفارقهم ما دامت هذه الدنيا ﴿وَ﴾ أتبعوها ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ فلعنوا هنالك كما لعنوا في الدنيا ﴿كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ﴾ أي بربهم، أو كفروا نعمة ربهم ﴿أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾﴾ أي لا زالوا مبعدين من رحمة الله. ٦١- وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحًا فقال لهم: يا قوم أطيعوا الله وحده فلا معبود بحق سواه هو الذي ابتدأ خلقكم من الأرض، لأن كل بني آدم من صلب آدم، وهو مخلوق من الأرض وجعلكم عمارها: من بناء المساكن، وغرس الأشجار فاسألوا الله أن يغفر لكم ما كنتم عليه من عبادة الأصنام وسائر الذنوب وارجعوا إلى عبادته واندموا على ما فرط منكم فهو قريب الإجابة لمن دعاه. ٦٢- أي كنا نرجو أن تكون فينا سيدًا مطاعًا ننتفع برأيك قبل هذا الذي أظهرته، من ادعائك النبوة، ودعوتك إلى التوحيد،=

قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي
مِنۡهُ رَحۡمَةٗ فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنۡ عَصَيۡتُهُۥۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي
غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ ٦٣ وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ
فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ
عَذَابٞ قَرِيبٞ ٦٤ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ
ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ ٦٥ فَلَمَّا جَآءَ
أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا
وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ٦٦ وَأَخَذَ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ
٦٧ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا
لِّثَمُودَ ٦٨ وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ
سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ٦٩ فَلَمَّا
رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ
قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ ٧٠ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ
فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١

= فلما دعاهم إلى الله قالوا انقطع رجاؤنا منك ﴿أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ للإنكار، أنكروا عليه هذا النهي ﴿وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ٦٢﴾ من عبادة الله وحده، وترك عبادة الأوثان – موقع في الريب.

٦٣ – قال يا قوم فكّروا في قولي وأخبروني إن كنت على حجة ظاهرة وبرهان صحيح وآتاني النبوة فمن يمنعني من عذاب الله ﴿إِنۡ عَصَيۡتُهُۥ﴾ في تبليغ الرسالة وراقبتكم وفترتُ عما يجب عليّ من البلاغ لكم بترك عبادة الطواغيت. ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي﴾ بتثبيطكم إياي ﴿غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ ٦٣﴾ بأن تجعلوني خاسرًا بإبطال عملي، والتعرض لعقوبة الله لي. ٦٤ – ﴿وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗ﴾ معجزة ظاهرة، لأنه أخرجها لهم من جبل على حسب اقتراحهم. ٦٥ – ﴿فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِ﴾ مما فيها من المراعي التي تأكلها الحيوانات ولا تلمسوها بأذى فيأخذكم عذاب قريب من عقرها، وذلك ثلاثة أيام فقتلوها بضربها بسيف أو نحوه فقال لهم صالح: تمتعوا بالعيش في منازلكم ثلاثة أيام: فإن العقاب نازل عليكم بعدها. ٦٦ – ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾ بوقوع العذاب ﴿وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍ﴾ وهو هلاك قومه بالصيحة، والخزي: الذل والمهانة.

٦٧ – ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ صيح بهم فماتوا، قيل: صيحة جبريل. ﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٦٧﴾ أي ساقطين على وجوههم موتى قد لصقوا بالتراب كالطير إذا جثمت.

٦٨ – كأنهم لم يقيموا في بلادهم، أو ديارهم ولم يستعمروا فيها. ٦٩ – ولما أنزل الله الملائكة بعذاب قوم لوط، فمروا بإبراهيم ونزلوا عنده، لتبشيره بهذه البشارة المذكورة ﴿فَمَا لَبِثَ﴾ أي: إبراهيم ﴿أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ٦٩﴾ الحنيذ: المشوي بحرّ الحجارة من غير أن تمسه النار. ٧٠ – ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ﴾ أي: لا يمدونها إلى العجل، كما يمد يده من يريد الأكل استنكر منهم ذلك، ظن أنهم قد جاءوه بشر، لأن عادتهم أن الضيف إذا نزل بهم، ولم يأكل من طعامهم، ظن أنه قد جاء بشر ﴿وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ﴾ أي: أحس في نفسه منهم ﴿خِيفَةٗ﴾ أي خوفًا وفزعًا ﴿إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ ٧٠﴾ أي نحن ملائكة، وقد أرسلنا إليهم لنعذبهم. ٧١ – قيل: كانت قائمة تخدم الملائكة وهو جالس، والضحك هنا: هو الضحك المعروف، وقيل معناه: أنها حاضت في تلك الحال، وكانت عجوزًا عقيمًا قد يئست من الحيض ﴿فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ﴾ تلده لإبراهيم ﴿وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ﴾ بشرناها أنه يأتيه ولد له هو ﴿يَعۡقُوبَ ٧١﴾.

قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا
لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ
وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ
عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾
إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ
قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا
جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا
يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ
فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ
﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ
﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا۟
يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ
مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا
مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾

٧٢- ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾ كلمة تقع على أفواه النساء إذا طرأ عليهن ما يعجبن منه أألد وأنا شيخة قد طعنت في السن قيل: بنت تسعين، وهذا زوجي إبراهيم شيخًا لا تحبل من مثله النساء، قيل: كان إبراهيم ابن مائة وعشرين سنة، وهذه المبشرة هي سارة امرأة إبراهيم. وقد كان ولد لإبراهيم - من هاجر أمته - إسماعيل، فتمنت سارة أن يكون لها ابن، وأيست منه لكبر سنها، فبشرها الله به على لسان ملائكته. ٧٣- ﴿قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ وهو لا يستحيل عليه شيء، وإنما أنكروا عليها مع كون ما تعجبت منه من خوارق العادة، لأنها من بيت النبوة، ولا يخفى على مثلها أن هذا من مقدوراته سبحانه ﴿وَبَرَكَٰتُهُۥ﴾ البركات: هي النمو والزيادة، يا أهل بيت النبوة. ﴿إِنَّهُۥ حَمِيدٌ﴾ أي يفعل موجبات حمده من عباده ﴿مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾ وهو صاحب المجد والعظمة. ٧٤- ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ﴾ الخيفة التي أوجسها في نفسه ﴿وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ أي بالولد، أي يجادلنا في شأنهم وأمرهم لعله أن يجد وجهًا لتأخير العذاب عنهم. ٧٥- ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾ أي ليس بعجول في الأمور. والأواه: كثير التأوه، والمنيب:

الراجع إلى الله. ٧٦- ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ﴾ الجدال في أمر قد فرغ منه، وحق به القضاء ﴿إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ بعذابه الذي قدره عليه، وسبق به قضاؤه ﴿وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾﴾ أي لا يرده دعاء ولا جدال، بل هو واقع بهم لا محالة، ليس بمصروف ولا مدفوع. ٧٧- ولما خرجت الملائكة من عند إبراهيم، وكان بين إبراهيم وقرية لوط فراسخ، جاءوا إلى لوط في صورة أضياف، فلما رآهم لوط ساءه مجيئهم وضاق صدره لما رأى الملائكة في تلك الصورة، خوفًا عليهم من قومه، لما يعلم من فسقهم وارتكابهم لفاحشة اللواط وقال هذا يوم شديد. علم أنه سيضطر لمدافعة قومه عما جرت عليه عادتهم الخبيثة، وظن أنهم قد يغلبونه على أضيافه، فلا يقدر على دفعهم. ٧٨- وجاءه قومه يسرعون إليه إسراعًا مع رعدة، وقيل يهرعون: يهرولون، كأنما يدفعون دفعًا لطلب الفاحشة من أضيافه ومن قبل كانت عادتهم إتيان الرجال، فلما جاءوا إلى لوط، وقصدوا أضيافه لذلك العمل، قام إليهم لوط مدافعًا و﴿قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ قيل: المراد تزوجوهن، وقيل: أراد بقوله ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى﴾ النساء جملة، لأن نبي القوم أب لهم، وقيل: إنما كان هذا القول منه على طريق المدافعة إلى أن ينصرف الضيوف، ولم يرد الحقيقة. ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ أحل وأنزه ﴿وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ﴾ أي اتقوا الله بترك ما تريدون من الفاحشة بهم، ولا تجلبوا علي العار في حق أضيافي، أليس منكم رجل يرشدكم إلى ترك هذا العمل القبيح ويمنعكم منه. ٧٩- ﴿مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ من شهوة ولا حاجة، وقيل: إنهم كانوا قد خطبوا بناته من قبل فردهم. ٨٠- قال لو وجدت معينًا وناصرًا ﴿أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾﴾ قيل: مراده بالركن الشديد: عشيرة قوية تحميه ولم يكن له منهم عشيرة، لأنه كان من أهل العراق. ٨١- ﴿قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ﴾ أي قالت له الملائكة: لن يقدروا أن يمسوك بسوء، فنحن ملائكة =

فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا
حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ
وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ ﴿٨٣﴾ ۞ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ
شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ
وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۚ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ
وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوۡمِ
أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ
ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٨٥﴾
بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم
بِحَفِيظٖ ﴿٨٦﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن
نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُاْۖ
إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن
كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ
أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ
مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾

= أرسلنا الله إليك، ثم أمروه أن يخرج عنهم، فقالوا له: ﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ﴾ اخرج للسفر بهم من هذه القرية ليلاً ﴿بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾ ساعة منه شديدة الظلمة ﴿وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ﴾ أي لا ينظر إلى ما وراءه، أو يشتغل بما خلفه من مال أو غيره ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ﴾ أي لكن امرأتك ستخالف هذا وتلتفت، فـ ﴿إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡ﴾ من العذاب ﴿إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُ﴾ جعل الصبح ميقاتًا لهلاكهم، لكون النفوس فيه أسكن، والناس فيه مجتمعون لم يتفرقوا إلى أعمالهم. ٨٢- ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾ بوقوع العذاب ﴿جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾ أي: عالي قرى قوم لوط سافلها، قلبها على هذه الهيئة، حتى إن عاليها صار سافلها، وسافلها صار عاليها، قيل: أمر الله تعالى جبريل فرفعها بجناحه ثم قلبها بهم ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ﴾ والسجيل: الطين المتحجر بطبخ أو غيره ﴿مَّنضُودٖ ﴿٨٢﴾﴾ بعضه فوق بعض. ٨٣- ﴿مُّسَوَّمَةً﴾ المسومة التي لها علامة القوم الذين يرجمون بها، قيل: كان عليها أمثال الخواتيم، وقيل: مكتوب على كل حجر اسم من رمي به ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ في خزائنه ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي وما هذه الحجارة من كل ظالم من الظلمة، ومنهم كفار قريش ومن عاضدهم على الكفر بمحمد ﷺ ﴿بِبَعِيدٖ ﴿٨٣﴾﴾ فهم لظلمهم مستحقون لها. وقيل ﴿وَمَا هِيَ﴾ أي قرى قوم لوط ﴿بِبَعِيدٖ ﴿٨٣﴾﴾ فإنها بين الشام والمدينة ليست بعيدة عن أهل مكة. ٨٤- وأرسلنا إلى مدين أخاهم في النسب شعيبًا، وسموا مدين باسم أبيهم، وهو مدين بن إبراهيم، ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ﴾ بثروة وسعة في الرزق، فلا تغيروا نعمة الله عليكم بمعصيته والإضرار بعباده، ففي هذه النعمة ما يغنيكم عن أخذ أموال الناس بغير حقها ﴿وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ﴿٨٤﴾﴾ لا يشذ منكم أحد عنه ولا يجد منه ملجأ ولا مهربًا. ٨٥- ﴿بِٱلۡقِسۡطِ﴾ العدل، وهو عدم الزيادة والنقص ﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ﴾ بنقصهم عما يستحقون غشًا، أو مخادعة، أو غصبًا ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٨٥﴾﴾ لا تكثروا فيها الفساد. ٨٦- وما يبقيه لكم الله من الحلال بعد إيفاء الحقوق بالقسط أكثر خيرًا وبركة من التطفيف والبخس والفساد في الأرض ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ لأن ذلك إنما ينتفع به المؤمن لا الكافر ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴿٨٦﴾﴾ أحفظ عليكم أعمالكم وأحاسبكم بها وأجازيكم عليها بل أنا مبلّغ. ٨٧- ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾ من الأوثان ﴿أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُاْ﴾ من الأخذ والإعطاء، والزيادة والنقص. فهي أموالنا لا حرج علينا أن نتصرف فيها على الوجه الذي نرضاه ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾﴾ على طريقة التهكم به، لأنهم يعتقدون أنه على خلافهما، وقيل: بل هو عندهم كذلك، وأنكروا عليه الأمر والنهي منه لهم بما يخالف الحلم والرشد في اعتقادهم. ٨٨- ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي﴾ على حجة واضحة فيما أمرتكم به ونهيتكم عنه ﴿وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗا﴾ كان عليه السلام كثير المال، وقيل: أراد بالرزق النبوة، ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُ﴾ أي ليس من شأني أن أنهاكم عن الشيء ثم أفعله دونكم ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ﴾ ما أريد =

وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ
قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم
بِبَعِيدٖ ٨٩ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي
رَحِيمٞ وَدُودٞ ٩٠ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ
وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ
عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ٩١ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ
ٱللَّهِ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ
مُحِيطٞ ٩٢ وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ
سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ
كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ ٩٣ وَلَمَّا جَآءَ
أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٩٤
كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّمَدۡيَنَ كَمَا بَعِدَتۡ ثَمُودُ ٩٥ وَلَقَدۡ
أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ٩٦ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ
وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ٩٧

= بالأمر والنهي إلا الإصلاح لكم ودفع الفساد في دينكم ومعاملاتكم ﴿مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ﴾ ما تمكنت منه طاقتي ﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ أي ما صرت موفقًا هاديًا نبيًّا مرشدًا إلا بتأييد الله سبحانه وإقداري عليه ومنحي إياه ﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ﴾ في جميع أموري ﴿وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨﴾ أي: أرجع وأفوض جميع أموري إلى ما يختاره لي. ٨٩- ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ﴾ أي لا تحملنكم عداوتي على تكذيبي، فيكون جزاؤكم إصابة العذاب إياكم كما أصاب من كان قبلكم ﴿وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ٨٩﴾ ليس مكانهم ببعيد من مكانكم، أو ليس زمانهم ببعيد من زمانكم، فاخشوا مثل أيامهم إن عصيتم الله كما عصوه. ٩٠- ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ﴾ عظيم الرحمة للتائبين، والـ ﴿وَدُودٞ ٩٠﴾ المحب فالله يفعل بالتائبين المستغفرين ما تقتضيه المحبة من اللطف بهم وسوق الخير إليهم ودفع الشر عنهم. ٩١- ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ﴾ تأتينا بما لا عهد لنا به من الأخبار بالأمور الغيبية، كالبعث والنشور، ولا نفقه ذلك، أي: لا نفهمه كما نفهم الأمور الحاضرة المشاهدة ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ﴾ أي لا قوة لك تقدر بها على أن تمنع نفسك منا وتمكن بها من مخالفتنا ﴿وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ﴾ رهط الرجل: عشيرته الذين يستند إليهم ويتقوى بهم، وإنما جعلوا رهطه مانعًا من إنزال الضرر به، مع كون رهطه قلة، والكفار ألوف كثيرة، لأنهم كانوا على دينهم، فتركوه احترامًا لهم، لا خوفًا منهم ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ٩١﴾ بل تركنا رجمك لعزة رهطك علينا ﴿لَرَجَمۡنَٰكَۖ﴾ لقتلناك بالرمي بالحجارة. ٩٢- ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ لأن الاستهانة بأنبياء الله استهانة بالله عز وجل، فلم تحترموه في نبيه، بل احترمتم رهطي أكثر من احترامكم لله تعالى ﴿وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ﴾ المعنى: واتخذتم الله عز وجل بسبب عدم اعتدادكم بنبيه الذي أرسله الله إليكم ﴿وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ﴾ أي منبوذًا وراء الظهر لا تبالون به. ٩٣- ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾ لما رأى إصرارهم على الكفر، وتصميمهم على دين آبائهم، وعدم تأثير الموعظة فيهم، توعدهم بأن يعملوا على غاية تمكنهم ونهاية استطاعتهم، وأخبرهم أنه عامل على حسب ما يمكنه ﴿سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ أي عاقبة ما أنتم فيه من عبادة غير الله والإضرار بعباده ﴿مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ﴾ العذاب المخزي الذل والفضيحة والعار الذي يلحق المستكبرين والمتعالين على الناس بغير الحق ﴿وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ﴾ ستعلمون من هو المعذب ومن هو الكاذب مني ومنكم ﴿وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ ٩٣﴾ أي انتظروا إني معكم منتظر لما يقضي به الله بيننا. ٩٤- ﴿بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا﴾ لهم حيث أنجيناهم وأهلكنا الظالمين بسبب رحمتنا، وهي هدايتهم للإيمان ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ غيرهم بما أخذوا من أموالهم بغير وجه وظلموا أنفسهم على الكفر ﴿ٱلصَّيۡحَةُ﴾ التي صاح بهم جبرائيل حتى خرجت أرواحهم من أجسادهم ﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٩٤﴾ أي ميتين. ٩٥- ﴿أَلَا بُعۡدٗا﴾ هلاكًا كما هلكت ثمود. ٩٦- ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ التوراة ﴿وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ٩٦﴾ المعجزات، وقيل الآيات هي التسع المذكورة في سورة الإسراء، والسلطان معجزة قلب العصا حية. ٩٧- ﴿وَمَلَإِيْهِۦ﴾ الملأ: أشراف =

يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ
ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَـٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ بِئْسَ
ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ
مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن ظَلَمُوٓا۟
أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ
ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾
وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَـٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ
أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ
ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا
نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ
إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى
ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ
ربع الحزب ٢٤ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾

= القوم، وسائر القوم أتباع لهم في الإصدار والإيراد ﴿فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾ أي أمره لهم بالكفر. ويجوز أن يراد بأمر فرعون شأنه وطريقته ﴿وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾﴾ أي ليس فيه رشد قط، بل هو غي وضلال. ٩٨- ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ يصير متقدمًا سابقًا لهم إلى عذاب النار، كما أنه أمرهم في الدنيا بالكفر فاتبعوه ﴿فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ يتبعونه حتى يوصلهم النار ويدخل بهم فيها ﴿وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾﴾ لأن الوارد إلى الماء إنما يرده ليطفئ حر العطش، والنار على ضد ذلك.

٩٩- وأتبع الله فرعون وملأه بعد هلاكهم على الصفة التي بينها الله تعالى في غير هذا الموضع ﴿فِى هَـٰذِهِۦ﴾ الدنيا طردًا وإبعادًا وأتبعوا لعنة يوم القيامة يلعنهم أهل المحشر وبئس العطاء والإعانة ما أعطوهم إياه، وأعانوهم به وهو اللعنة المذكورة. ١٠٠- ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ﴾ أي: ما قصه الله سبحانه في هذه السورة من أخبار الأمم السالفة ﴿مِنْهَا﴾ أي: من القرى ﴿قَآئِمٌ﴾ على عروشه ومبانيه، ومنها ﴿حَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾﴾ والحصيد: الخراب، سقطت مبانيه حتى ليس له أثر. ١٠١- ﴿وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ﴾ بما فعلنا بهم من العذاب ﴿وَلَـٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بالكفر والمعاصي التي هي سبب الهلاك، فهم الذين جلبوا الهلاك لأنفسهم ﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ﴾ أي فما دفعت عنهم العذاب ﴿لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ أي لما جاء عذابه ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾﴾ أي ما زادتهم الأصنام التي يعبدونها إلا هلاكًا وخسرانًا، وقد كانوا يعتقدون أنها تعينهم على تحصيل المنافع. ١٠٢- ﴿وَهِىَ ظَـٰلِمَةٌ﴾ أي يأخذ أهلها وهم ظالمون ﴿إِنَّ أَخْذَهُۥٓ﴾ أي عقوبته للكافرين ﴿أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ أي موجع غليظ. ١٠٣- ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً﴾ لعبرة وموعظة ﴿لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ لأنهم الذين يعتبرون بالعبر، ويتعظون بالمواعظ ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ﴾ يوم القيامة أي يجمع فيه الناس للمحاسبة والمجازاة ﴿وَذَٰلِكَ﴾ أي يوم القيامة ﴿يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾﴾ أي يشهده أهل المحشر. ١٠٤- ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾﴾ معلوم بالعدد، قد عين الله سبحانه وقوع الجزاء بعده. ١٠٥- ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ﴾ أي لا تتكلم بحجة ولا شفاعة ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ لها في التكلم بذلك. فإن الأمر يومئذ لله وحده ما من شفيع إلا من بعد إذنه ﴿فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾﴾ أي ينقسم الناس فريقين: أصحاب النار وأصحاب الجنة. ١٠٦- ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟﴾ من الكفار والعصاة، أي كتبت لهم الشقاوة لكفرهم وفساد أعمالهم ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾﴾ الزفير: إخراج النفس بصوت شديد من شدة ألم صدورهم، والشهيق: أخذ النفس. ١٠٧- المعنى أنهم خالدون فيها أبدًا لا انقطاع لذلك، ولا انتهاء له، والمراد سماوات الآخرة وأرضها ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ من تأخير قوم عن ذلك. وقيل إلا العصاة من المؤمنين فيخرجون منها ويبقى فيها الكفار ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ يصنع في الدنيا والآخرة ما يشاء. ١٠٨- ﴿۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟﴾ كتبت لهم السعادة بإيمانهم وصلاح أعمالهم ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ من تأخرهم في قبورهم، وفي المحشر قبل دخول الجنة ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ ممتد إلى =

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ
ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ١٠٩
وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ
١١٠ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ
خَبِيرٌ ١١١ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟
إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ١١٢ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ
لَا تُنصَرُونَ ١١٣ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ
ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ
١١٤ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ١١٥ فَلَوْلَا
كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ
فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ
ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ١١٦ وَمَا كَانَ
رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ١١٧

= غير نهاية، لا ينقطع. ١٠٩- لا تكن في شك من بطلان ما يعبد هؤلاء فلا نفع في أصنامهم ولا ضرر وإنا لموفوهم نصيبهم من العذاب كما وفينا آباءهم لا ينقص من ذلك شيء. ١١٠- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي التوراة ﴿فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾ أي في شأنه وتفاصيل أحكامه، فآمن به قوم، وترك العمل ببعضها آخرون، فلا يضق صدرك يا محمد بما وقع من هؤلاء في شأن القرآن ولولا أن الله قد حكم بتأخير عذابهم إلى يوم القيامة لما علم في ذلك من الصلاح لقضى بينهم أي بين قومك، أو بين قوم موسى فأثيب المحق وعذاب المبطل. ١١١- وإن كل أولئك من الكفار والمؤمنين ليعطيهم الخالق العظيم جزاء أعمالهم. ١١٢- ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ أي فكما أمرك الله، فيدخل في ذلك جميع ما أمره به وجميع ما نهاه عنه ﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ أي وليستقم من تاب معك. وما أعظم موقع هذه الآية وأشد أمرها، فإن الاستقامة كما أمر الله لا تقوم بها إلا الأنفس المطهرة ﴿وَلَا تَطْغَوْا۟﴾ الطغيان مجاوزة الحد. ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ١١٢﴾ يجازيكم على حسب ما تستحقون. ١١٣- ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ والركون المنهي عنه هو الرضى بما عليه الظلمة، أو تحسين الطريقة وتزيينها عند غيرهم، ومشاركتهم في شيء من تلك الأبواب، فأما مداخلتهم لرفع ضرر واجتلاب منفعة عاجلة فغير داخلة في الركون ﴿فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ بسبب الركون إليهم ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ والمعنى: أنها تمسكم النار حال عدم وجود من ينصركم وينقذكم منها، حتى هؤلاء الذين ركنتم إليهم ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ١١٣﴾ من جهة الله سبحانه، إذ قد سبق في علمه أنه يعذبكم بسبب الركون الذي نهيتم عنه فلم تنتهوا. ١١٤- ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ وهما: الفجر والعصر، وقيل: الصبح والمغرب ﴿وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ أي ساعة بعد ساعة في صلاة الليل، أو المراد صلاة العشاء ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ﴾ ومن جملتها بل عمادها الصلاة ﴿يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ على العموم، وقيل المراد بالسيئات: الصغائر، يكفرنها حتى كأنها لم تكن وذلك أي موعظة للمتعظين. ١١٥- ﴿وَٱصْبِرْ﴾ على ما أمرت به من الاستقامة، وعدم الطغيان والركون إلى الذين ظلموا ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ١١٥﴾ أي يوفيهم أجورهم ولا يضيع منها شيئًا. ١١٦- فهلا كان الأمم التي عذبت ﴿مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ﴾ من الرأي والعقل والدين ﴿يَنْهَوْنَ﴾ قومهم ﴿عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي لكن قليلاً ﴿مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ كانوا ينهون عن الفساد في الأرض، فأنجيناهم ﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ﴾ آثروا ذلك على الاشتغال بأعمال الآخرة، واستغرقوا أعمارهم في الشهوات ﴿وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ١١٦﴾ أي اتبعوا شهواتهم، وكانوا بذلك الاتباع مجرمين. ١١٧- ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ١١٧﴾ ينصف بعضهم بعضًا، فلا يهلكهم بمجرد الشك وحده حتى ينضم إليهم الفساد في الأرض. ١١٨- ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ على الحق غير مختلفين فيه، مجتمعين على دين الإسلام دون سائر الأديان ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ١١٨﴾ أو لا يزالون مختلفين في الحق بسبب اتباع الهوى والبغي.

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ
إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ ﴿١١٨﴾
لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَّقُصُّ
عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ
الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ
﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ
فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

سُورَةُ يُوسُفَ

ترتيبها ١٢ — آياتها ١١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا
لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ
بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ
لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ
أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾

٢٣٥

١١٩ - ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ بالهداية إلى الدين الحق، فإنهم لم يختلفوا ﴿وَلِذَٰلِكَ﴾ أي لما ذكر من الاختلاف ﴿خَلَقَهُمْ﴾ أو لرحمته خلقهم. وقيل: الإشارة بذلك إلى مجموع الاختلاف والرحمة ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ ثبتت كما قدره في أزله، وإذا تمت امتنعن عن التغيير والتبديل. وقيل: الكلمة هي قوله ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ أي: من يستحقها من الطائفتين. ١٢٠ - ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ بزيادة يقينه ووفور طمأنينته وجاءك في هذه السورة، البراهين القاطعة الدالة على صحة المبدأ والمعاد ﴿وَمَوْعِظَةٌ﴾ يتعظ بها الواقف عليها من المؤمنين ﴿وَذِكْرَىٰ﴾ يتذكر بها من تفكر فيها منهم، وخص المؤمنين لكونهم المتأهلين للاتعاظ والتذكير. ١٢١ - ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بهذا الحق ولا يتعظون ولا يتذكرون اعملوا على تمكنكم وحالكم وجهتكم إنا عاملون على حالنا وجهتنا من الإيمان بالحق والاتعاظ والتذكير. ١٢٢ - وانتظروا عاقبة أمرنا، فإنا منتظرون عاقبة أمركم، وما يحل بكم من عذاب الله وعقوبته. ١٢٣ - ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي علم جميع ما هو غائب عن العباد فيهما، لا يشاركه فيه غيره ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ أي يوم القيامة، فيجازي كلا بعمله ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ فإنه كافيك كل ما تكره، ومعطيك كل ما تحب ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ بل عالم بجميع ذلك ومجاز عليه: إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

سُورَةُ يُوسُفَ

وهي مكية كلها، قال العلماء: ذكر الله أقاصيص الأنبياء في القرآن، وكررها بمعنى واحد، في وجوه مختلفة، بألفاظ متباينة. وقد ذكر قصة يوسف ولم يكررها، فلم يقدر مخالف على معارضة ما تكرر، ولا على معارضة غير المتكرر. ١ - وتبدأ السورة بالحروف الدالة على إعجاز القرآن وهي المسماة بالحروف المقطعة ثم بين سبحانه أن الآيات التي أنزلت إليك في هذه السورة، هي من آيات القرآن المبين، أي: الظاهر أمره في كونه من عند الله، وفي إعجازه، المبين لما فيه من الأحكام. ٢ - ولقد أنزلنا القرآن على لغة العرب لكي تعلموا معانيه وتفهموا ما فيه. ٣ - ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ عن الأمم الماضية، وأمور الله في عباده، وذلك أحسن حديث يحدث به أحدٌ أحدًا ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾﴾ عن هذه القصة وغيرها مما أوحاه الله إليك من القصص. وهذه السورة أحسن القصص لأنها تتضمن من العبر والمواعظ والحكم ما لم يكن في غيرها، وفيها ذكر الأنبياء، والصالحين، والملائكة وسير الملوك والمماليك، والتجار، والرجال والنساء وحيلهن، ومكرهن، ولأن كل من ذكر فيها كان مآله السعادة. ٤ - ﴿لِأَبِيهِ﴾ هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ﴿إِنِّي رَأَيْتُ﴾ أي: في المنام ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ تأويلها: إخوته ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ تأويلها: أمه وأبوه ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾﴾ أجريت مجرى العقلاء لوصفها =

قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ
إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ
رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ
وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ
إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٦﴾ ۞ لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ
ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ
أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقۡتُلُواْ
يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ
بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ
وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ
فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ
لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ
لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ
أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ لَئِنۡ
أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾

نصف الحزب ٢٤

= بوصف العقلاء، وهو كونها ساجدة.

٥- ونهى يعقوب عليه السلام ابنه يوسف عن أن يقص رؤياه على إخوته، لأنه قد علم تأويلها وخاف أن يقصها على إخوته فيفهموا تأويلها ويحصل منهم الحسد له ﴿فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًا﴾ أي خشية أن يدبروا لك تدبيرًا خفيًّا لا تفهمه، فيهلكوك حسدًا ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٥﴾﴾ فيحملهم على ذلك، لأنه عدو للإنسان، مظهر للعداوة، مجاهر بها. ٦- ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ فيجعلك نبيًّا، ويصطفيك على سائر العباد، ويسخرهم لك كما تسخّرت لك تلك الأجرام التي رأيتها في منامك فصارت ساجدة لك ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾ أي تأويل الرؤيا ﴿وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ﴾ فيجمع لك بين النبوة والملك وفي ذلك خير الدنيا والآخرة ﴿كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ أنجاه الله من النار، ونبأه، واتخذه الله خليلاً ﴿وَإِسۡحَٰقَ﴾ قيل: نبّأه. وصار لهما الذرية الطيبة. ٧- ﴿ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾﴾ دالة على نبوة محمد ﷺ للسائلين له من اليهود، فإنه روي أنه سأله اليهود عن قصة يوسف وهو بمكة، ولم يكن بمكة أحد من أهل الكتاب ولا من يعرف خبر الأنبياء، فأنزل الله سورة يوسف جملة واحدة. ٨- وأخوه: هو بنيامين، وخصوه بكونه أخاه مع أنهم جميعًا إخوته، لأنه أخوه من أمه وأبيه، أما سائرهم، فهم إخوته من أبيه لا من أمه والعصبة: الجماعة، قيل: وهي ما بين الواحد إلى العشرة ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٨﴾﴾ بالترجيح لهما علينا، وإيثارهما دوننا. ٩- قالوا: افعلوا به أحد الأمرين: إما القتل، أو الطرح في أرض؛ أو أشار بعضهم بالقتل وبعضهم بالطرح. ﴿يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ﴾ أي: يصف ويخلص فيقبل عليكم ويحبكم حبًّا كاملاً ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ بعد الفراغ من قتله أو طرحه، ﴿قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾﴾ في أمور دينكم وطاعة أبيكم، أو صالحين في أمور دنياكم لذهاب ما كان يشغلكم عن ذلك، وهو الحسد ليوسف. ١٠- قيل: هو يهوذا ﴿وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ﴾ قعر البئر الذي لا يقع البصر عليه، وهذه البئر بأرض بيت المقدس ﴿يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾ المسافرين، فيحمله إلى مكان بعيد بحيث يخفى عن أبيه ومن يعرفه ﴿إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ عاملين بما أشرت به عليكم في أمره، وفي هذا دليل على أن إخوة يوسف ما كانوا أنبياء. ١١- ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ كان يضن به أن يرسله معهم حبًّا له، ولعل ذلك من خشيته عليه منهم، وكأنهم سألوه قبل ذلك أن يخرج معهم يوسف فأبى ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾﴾ في حفظه وحيطته حتى نرده إليك. ١٢- ﴿يَرۡتَعۡ﴾ يتسع في الخصب، واللعب: هو المباح لمجرد الانبساط.

١٣- فأخبرهم أنه يحزن لغيبة يوسف عنه لفرط محبته له وخوفه عليه ﴿وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ﴾ قيل: قال يعقوب هذا تخوفًا عليه منهم، فكنى عن ذلك بالذئب ﴿وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾﴾ لاشتغالكم بالرتع واللعب، أو لكونهم غير مهتمين بحفظه.

١٤- ﴿إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ هالكون ضعفًا وعجزًا لانتفاء القدرة على أيسر شيء.

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا
إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٥) وَجَاءُو
أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٦) قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ
وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ
بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (١٧) وَجَاءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِ
بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ
وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ (١٨) وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا
وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً
وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٩) وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ
دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (٢٠) وَقَالَ
الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ
أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي
الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ
أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢١) وَلَمَّا بَلَغَ
أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٢٢)

٢٣٧

١٥- ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ﴾ من عند يعقوب ﴿وَأَجْمَعُوا﴾ عزموا أمرهم ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾ أي إلى يوسف تأنيسًا لوحشته، مع كونه صغيرًا. اجتمع على إنزال الضرر به عشرة رجال من إخوته بقلوب غليظة، قد نزعت عنها الرحمة، وسلبت منها الرأفة ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا﴾ أي: لتخبرن إخوتك بأمرهم هذا الذي فعلوه معك بعد خلوصك مما أرادوه بك من الكيد، وسيأتي ما قاله لهم عند دخولهم عليه بعد أن صار إليه أمر خزائن مصر (الآية ٨٩). ١٦- ﴿وَجَاءُو أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٦)﴾ أي متباكين ترويجًا لكذبهم وتنفيقًا لمكرهم وغدرهم. ١٧- قالوا يا أبانا إنا ذهبنا أي: نتسابق في العدو، أو على الخيل، أو في الرمي. وتركنا يوسف عند ثيابنا ليحرسها، وما أنت بمصدق لنا في هذا العذر الذي أبدينا ﴿وَلَوْ كُنَّا﴾ عندك أو في الواقع ﴿صَادِقِينَ (١٧)﴾ لما قد علق بقلبك من التهمة لنا في ذلك مع شدة محبتك له. ١٨- ﴿وَجَاءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ قال لهم: متى كان هذا الذئب حكيمًا يأكل يوسف ولا يخرق القميص ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ أي: زينت وسهلت أمرًا شنيعًا صنعتموه بأخيكم ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ هو الذي لا شكوى معه والله أطلب منه العون على إظهار حال ما تصفون من الكذب، أو على احتمال ما تصفون. ١٩- وجاءت رفقة مارة تسير من الشام إلى مصر ﴿وَارِدَهُمْ﴾ الوارد: الذي يرد الماء ليستقي للقوم ﴿فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ﴾ أي: أرسلها لتمتلئ. فتعلق يوسف بالحبل، فلما خرج الدلو من البئر أبصره الوارد ﴿قَالَ يَا بُشْرَىٰ﴾ أي قال هذا بنفسه، أو نادى به أصحابه مبشرًا لهم ﴿وَأَسَرُّوهُ﴾ أي: الرفقة المسافرون، أخفوا وجدانهم له في الجب، وزعموا أنه دفعه إليهم أهل الماء ليبيعوه لهم بمصر، وسكت يوسف مخافة أن يأخذوه فيقتلوه ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٩)﴾ بيوسف من المحن وما صار فيه من الابتذال بجري البيع والشراء فيه، وهو الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم. ٢٠- وباعه الوارد وأصحابه بمصر، ناقص عن ثمن الرقيق الذين في مثل حال يوسف، وكانوا فيه من الراغبين عنه الذين لا يبالون به. ٢١- وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر، وكان وزيرًا الملك مصر ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾ بالطعام الطيب واللباس الحسن عسى أن يكفينا بعض المهمات مما نحتاج إلى مثله فيه أو نتبناه فنجعله ولدًا لنا، قيل كان العزيز حصورًا لا يولد له ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾ الإشارة إلى ما تقدم من إنجائه من إخوته وإخراجه من الجب، وعطف قلب العزيز عليه، حتى صار متمكنًا من الأمر والنهي، ولنعلمه من تأويل الرؤيا والله لا يعجزه شيء وحكمه نافذ ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الله غالب على أمره، وهم المشركون. ٢٢- ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ الأشد: هو وقت استكمال القوة، ثم يكون بعده النقصان، قيل: هو ثلاث وثلاثون سنة، ﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ قيل: الحكم هو النبوة، والعلم: هو العلم بالدين وعلم الرؤيا ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٢٢)﴾ فكل من أحسن في عمله أحسن الله جزاءه.

وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ
وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ
إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا
لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ
وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٢٤ وَٱسۡتَبَقَا
ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ
قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ
أَلِيمٞ ٢٥ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ
أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ
ٱلۡكَٰذِبِينَ ٢٦ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ
مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٧ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ
مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ٢٨ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ
هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ
٢٩ ۞ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا
عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٣٠

ثلاثة أرباع الحزب ٢٤

٢٣- ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ﴾ المـــــراودة: الإرادة والطلب برفق ولين، وقد يخص بمحاولة الوقــاع ﴿ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا﴾ هــي امــرأة العزيز، واسمها زليخا فيما قيل.

﴿وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ﴾ قيــل: وكانــت الأبواب سبعة ﴿هَيۡتَ لَكَ﴾ أي: هلـم وتعال، تدعوه إلى نفسها، قـال: أعـوذ بالله معاذاً مما دعوتني إليه وكيف أفعـل ذلك والحال أن زوجك العزيز سيدي الذي رباني وأحسن مثواي حيث أمرك بقوله أكرمي مثواه، فكيف أخونـه في أهله وأجيبك إلى ما تريدين من ذلك.

٢٤- ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا﴾ مال كـل واحـد منهما إلى الآخـر بمقتـضى الطبيعة البشرية والجبلة الخلقية. ﴿لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ هو تذكره عهـد الله وميثاقه وما أخذه على عباده، وقيل رأى صورة يعقوب عاضًّا على أنملته يتوعده ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي أراه الله برهانًـا منـه ليتذكر ولنصرف عنه الخيانة للعزيـز في أهلـه والزنـا، إنـه ممـن استخلـصه الله للرسالة، وقد كان مستخلصًا فعـصمه الله. ٢٥- ﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ﴾ أي: تسابقا إليه يوسف يريد الفرار والخـروج مـن الباب، وامرأة العزيز تريد أن تسبقه إليه لتمنعه ﴿وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ﴾ أرادت أن تمنعه من الخروج بجذبها لقميصه فانشق من جهة الخلف ﴿وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِ﴾ وجدا العزيز هنالك، وعنى بالسيد: الزوج ﴿قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا﴾ قالـت هذه المقالة طلبًا منها للحيلة وللستر على نفسها، فنسبت ما كان منها إلى يوسف ﴿إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ﴾ أو يضرب الضرب المؤلم.

٢٦- قال هي التي طلبت مني ذلك ولم أرد بها سوءًا ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾ طفل في المهد تكلم. للحديث الوارد في ذلك عن النبي ﷺ في ذكر من تكلم في المهد، وذكر من جملتهم شاهد يوسف، وشهادته أنه قال: إن كان قميصه شق من أمامه فقد صدقت بأنه هو الذي أراد بها سوءًا ﴿وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٢٦﴾ في قوله إنها هي التي راودته عن نفسه.

٢٧- وإن كان قميصه شق من ورائه ﴿فَكَذَبَتۡ﴾ في دعواها عليه ﴿وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٧﴾ في دعواه عليها.

٢٨- ﴿فَلَمَّا رَءَا﴾ أي العزيز قميص يوسف شق من دبر قال هذا الأمر الذي وقع فيه الاختلاف بينكما ﴿مِن كَيۡدِكُنَّ﴾ يا معشر النساء ﴿إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ٢٨﴾ والكيد: المكر والحيلة.

٢٩- يوسف أعرض عن هذا الأمر الذي جرى واكتمه ولا تتحدث به.

﴿وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِ﴾ الذي وقع منك ﴿إِنَّكِ كُنتِ﴾ بسبب ذلك ﴿مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ ٢٩﴾ المتعمدين.

٣٠- ﴿تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا﴾ غلامها المملوك تدعوه إلى نفسها، أي إن ذلك الخبر انتشر في المدينة ﴿قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ دخل حبه في شغافها فأمرضها، وشغاف القلب: غلافه.

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ
كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ
وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا هَـٰذَا بَشَرًا إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ
كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن
نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا
مِّنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ
إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ
﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ
حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ
إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْـَٔاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ
رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا
بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ
مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾

٣١- ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ﴾ امرأة العزيز ﴿بِمَكْرِهِنَّ﴾ أي بغيبتهن إياها. فوصلن إليه لأنها ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾ أي: تدعوهن إليها لينظرن إلى يوسف حتى يقعن فيما وقعت فيه ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا﴾ أي هيأت لهن مجالس يتكئن عليها ﴿وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا﴾ لشيء يأكلنه مما يحتاج إلى التقطيع من الأطعمة ﴿وَقَالَتِ﴾ ليوسف ﴿ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾ ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ﴾ أعظمنه ودهشن وراعهن حسنه حتى اضطربت أيديهن، فوقع القطع عليها وهن في شغل عن ذلك بما دهمهن، مما تطيش عنده الأحلام ﴿وَقُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ﴾ براءة لله وتنزيهًا له ﴿مَا هَـٰذَا بَشَرًا﴾ أي لأن له من الجمال البديع ما لم يعهد على أحد من البشر ﴿إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ قد تقرر في الطباع أنهم فائقون في الحسن أعني الملائكة. ٣٢- قالت: فهذا هو الفتي الذي عيرتُنني في حبي له. قالت لهن هذا لما رأت افتتانهن بيوسف إظهارًا لعذر نفسها ﴿فَٱسْتَعْصَمَ﴾ أي: استعصى عليّ واستعف وامتنع مما أريده طالبًا العصمة لنفسه من ذلك، صرحت بما وقع منها من المراودة له ﴿لَيُسْجَنَنَّ﴾ أي لأدبرن له تدبيرًا يؤدي به إلى السجن ﴿وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ الأذلاء لما يناله من الإهانة، ويسلب عنه النعمة. ٣٣- ﴿قَالَ﴾ مناجيًا لربه سبحانه ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ﴾ أي: يا رب السجن الذي أوعدتني هذه به ﴿أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ﴾ من مؤاتاتها والوقوع في المعصية العظيمة التي تذهب بخير الدنيا والآخرة. لأن النسوة دعونه إلى أنفسهن أيضًا ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ﴾ احتيالهن عليّ من الترغيب له في المطاوعة والتخويف من المخالفة ﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ أي أمل إليهن وأشتاق ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾ ممن يعمل عمل الجهال. لما عظم عليه البلاء وخشي الفتنة العظيمة، لجأ إلى الله عز وجل بالدعاء. ٣٤- ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ لطف به وعصمه عن الوقوع في المعصية، لأنه إذا صرف عنه كيدهن لم يقع شيء مما رمنه منه ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لدعوات الداعين له ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾ بأحوال الملتجئين إليه. ٣٥- ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم﴾ أي: ظهر لهم رأي وتدبير في شأن يوسف ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾ أي: العلامات الدالة على براءة يوسف ونزاهته. والآيات: قيل هي القميص، وشهادة الشاهد، وقطع الأيدي. ولم يُجْدِ ذلك فيهم، بل كانت امرأة العزيز هي الغالبة على رأيه، الفاعلة لما يطابق هواها في يوسف، وإنفاذ ما تقدم منها من الوعيد له. وهذا الرأي لهم في سجن يوسف لأنهم أرادوا ستر القالة، وكتم ما شاع في الناس، ويحتمل: أن العزيز قصد بسجنه الحيلولة بينه وبين امرأته ﴿حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾﴾ إلى مدة غير معلومة. ٣٦- ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ﴾ أي: فسجنوه ودخل معه السجن فتيان، أي: عبدان، وقد قيل إن أحدهما كان خباز الملك، والآخر ساقيه. ﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ أي: رأيت نفسي في المنام أعصر العنب لأصنع منه خمرًا ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ﴾ أي بتأويل ما قصصناه عليك ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾ الذين يحسنون عبارة الرؤيا، أو: من المحسنين إلى أهل السجن. ٣٧- ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا﴾ لا يأتيهما إلى السجن طعام إلا أخبرهما بماهيته =

وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ
لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى
ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٣٨ يَٰصَٰحِبَيِ
ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ
٣٩ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ
وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ
أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ
ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٠ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا
فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ
مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ٤١ وَقَالَ لِلَّذِي
ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ
ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ
٤٢ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ
سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ٤٣

= قبل أن يأتيهما، كقول عيسى عليه السلام ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ﴾ قال يوسف عليه السلام لهما هذا ليحصل الانقياد منهما له فيما يدعوهما إليه بعد ذلك، من الإيمان بالله، والخروج من الكفر. ومعنى ترزقانه: يجري عليهما من جهة الملك أو غيره ﴿إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ﴾ بينت لكما ماهيته وكيفيته قبل أن يأتيكما ﴿ذَٰلِكُمَا﴾ أي: التأويل ﴿مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾ بما أوحاه إلي وألهمني إياه لا من قبيل الكهانة والتنجيم ﴿إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ ملة ملك مصر وغيره. ٣٨- ﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ﴾ سماهم آباء جميعًا لأن الأجداد آباء، وهذا منه عليه السلام، لترغيب صاحبيه في الإيمان بالله ﴿مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ﴾ أي ما صح لنا ذلك أنا وآبائي ﴿ذَٰلِكَ﴾ الإيمان والتوحيد ﴿مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا﴾ ولطفه بنا بما جعله لنا من النبوة المتضمنة للعصمة عن معاصيه ﴿وَ﴾ من فضل الله ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ كافة ببعثة الأنبياء إليهم وهدايتهم إلى ربهم وتبيين طرائق الحق لهم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٣٨﴾ الله سبحانه على نعمه. ٣٩- ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩﴾ المراد: يا صاحبيَّ في السجن: هل الأرباب المتفرقون في ذواتهم، المختلفون في صفاتهم، المتنافون في عددهم، خير لكما؟ أم الله المعبود بحق، المتفرد في ذاته وصفاته، الذي لا ند له ولا شريك، القهار الذي لا يغالبه مغالب، ولا يعانده معاند. ٤٠- ﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ﴾ أي إلا مسميات أسماء سميتموها ﴿أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم﴾ من تلقاء أنفسكم، وليس لها من الإلهية شيء إلا مجرد الأسماء، لكونها جمادات لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ أي بتلك التسمية ﴿مِن سُلۡطَٰنٍ﴾ من حجة تدل على صحتها ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ أي لا يحكم في الخلق إلا الله ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي تخصيصه بالعبادة ﴿ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ﴾ أي المستقيم الثابت ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٠﴾ أن ذلك هو دينه القويم، وصراطه المستقيم. ٤١- ﴿أَمَّآ أَحَدُكُمَا﴾ هو الساقي ﴿فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗا﴾ فكأنه قال: أما أنت أيها الساقي فستعود إلى ما كنت عليه، ويدعو بك الملك ويطلقك من الحبس ﴿وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ﴾ وهو الخباز ﴿فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦ﴾ تعبيرًا لما رآه من أنه يحمل فوق رأسه خبزًا فتأكل الطير منه ﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ٤١﴾ وهو ما رأياه وقصاه عليه. ٤٢- ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا﴾ أي: قال يوسف، والظان هو أيضًا يوسف، لأن عابر الرؤيا إنما يظن ظنًا ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ أمره بأن يذكره عند الملك، ويصفه بما شاهده منه، من جودة التعبير والاطلاع على شيء من علم الغيب، ليكون ذلك سببًا لانتباهه إلى ما وقع من الظلم البين على يوسف بسجنه، بعد أن رأى من الآيات ما يدل على براءته، والذي ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ﴾ هو الذي نجا من الغلامين، فأنساه الشيطان أن يخبر الملك بما أمره به يوسف مع خلوصه من السجن ورجوعه إلى ما كان عليه من القيام بسقي الملك ﴿فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ٤٢﴾ البضع: ما بين الثلاث إلى التسع. ٤٣- ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ﴾ هو الملك الأكبر، الذي كان العزيز وزيرًا له ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ﴾ أي: =

قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾
وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ
فَأَرۡسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ
سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ
وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ
تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا
قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ
مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ
عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي
بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ
ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ﴿٥٠﴾ قَالَ
مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ
مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ
ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ
لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾

= رأيت في المنام ﴿سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ﴾ في أثرهن ﴿سَبۡعٌ عِجَافٞ﴾ أي مهازيل. وقد أقبلت العجاف على السمان فأكلنهن ﴿وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ﴾ قد انعقد حبها، واليابسات التي قد بلغت حد الحصاد. كان قد رأى أن السبع السنبلات اليابسات قد أدركت الخضر والتوت عليها حتى غلبتها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ﴾ خطاب للأشراف من قومه ﴿أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ﴾ أي: أخبروني بحكم هذه الرؤيا ﴿إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ﴾ أي: تعبّرونها وتفسرونها. ٤٤- ﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖ﴾ أخاليط أحلام. والحلم: الرؤيا الكاذبة التي لا حقيقة لها كما يكون من حديث النفس، ووسواس الشيطان. ﴿وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ المعنى: بتأويل الأحلام المختلطة، وقيل: إنهم قصدوا محوها من صدر الملك حتى لا يشتغل بها.

٤٥- وقال الذي نجا من الغلامين، وهو الساقي وتذكر يوسف وما شاهده منه من العلم بتعبير الرؤيا بعد حين، وهي مجموع السنين التي قضاها يوسف في السجن أنا أخبركم به بسؤالي عنه من له علم بتأويله، وهو يوسف ﴿فَأَرۡسِلُونِ ﴿٤٥﴾﴾ خاطب الملك بلفظ التعظيم، طلب أن يرسله إلى يوسف ليقص عليه الرؤيا فيعود بتأويلها إلى الملك. ٤٦- ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا﴾ أي فذهب إليه فقال له: أخبرنا عن رؤيا من رأى سبع بقرات.... الخ ﴿لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي إلى الملك ومن عنده من الملأ ﴿لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ تأويل هذه الرؤيا، ويعلمون فضلك ومعرفتك لفن التعبير. ٤٧- ﴿قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا﴾ أي: متوالية متتابعة، فعبر يوسف عليه السلام السبع البقرات السمان بسبع سنين فيها خصب، والعجاف بسبع سنين فيها جدب، وهكذا عبر السبع السنبلات الخضر والسبع السنبلات اليابسات، واستدل بالسبع السنبلات الخضر على ما ذكره في التعبير من قوله ﴿فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾ أي ما حصدتم في كل سنة من السنين المخصبة فاتركوا ذلك المحصود في سنبله، ولا تفصلوه عنها لئلا يأكله السوس. ٤٨- ﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ أي من بعد السبع السنين المخصبة سبع سنين مجدبة يصعب أمرها على الناس ﴿يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ﴾ من تلك الحبوب المتروكة في سنابلها إلا قليلاً مما تحبسون من الحب. ٤٩- ثم من بعد السبع المُجْدبة عامٌ فيه يكثر المطر، ويفيض النيل، لأن زراعاتهم عليه فيرفع عن الناس الجدب، ويعصرون الأشياء كالعنب والسمسم. ٥٠- ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦ﴾ رغب إلى رؤيته ومعرفة حاله بعد أن علم من فضله ما علمه من وصف الرسول له ومن تعبيره لرؤياه ﴿قَالَ﴾ يوسف للرسول ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي: سيدك ﴿فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ﴾ وتوقف عن الخروج من السجن، ولم يسارع إلى إجابة الملك، ليظهر للناس براءة ساحته. وهذا من الحلم والصبر والأناة ما تضيق الأذهان عن تصوره. ٥١- قال لهن الملك: ما شأنكن ﴿إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦ﴾ وقد تقدم معنى المراودة، ومن جملة من شمله خطاب الملك امرأة العزيز قلن معاذ الله ما علمنا عليه من أمر سيء ينسب إليه، قالت امرأة العزيز مقرة على نفسها بالمراودة له: تبين الحق الآن وظهر واضحًا جليًّا بعد خفائه ﴿أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ﴾ ولم =

۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ
رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ
لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ﴿٥٤﴾ قَالَ
ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ
مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ
بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجۡرُ
ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَآءَ إِخۡوَةُ
يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا
جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ أَلَا تَرَوۡنَ
أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي بِهِۦ فَلَا
كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي وَلَا تَقۡرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ
وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ
لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ
﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ
فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾

= تقع منه المراودة أصلاً ﴿وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾﴾ فيما قاله من تبرئة نفسه، ونسبة المراودة إليها. ٥٢- ﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ هذا من كلام يوسف أي: فعلت ذلك ليعلم العزيز أني لم أخنه في أهله بالغيب، أي: وهو غائب عني، أو وأنا غائب عنه. ٥٣- ﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓ﴾ من كلام يوسف من باب الهضم للنفس، وعدم التزكية لها ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ أي: إن شأن الأنفس البشرية الأمر بالسوء لميلها إلى الشهوات، وتأثيرها بالطبع، وصعوبة قهرها وكفها عن ذلك ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾ من النفوس فعصمها عن الوقوع في المعصية. ٥٤- ﴿أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِي﴾ وعادة الملوك أن يجعلوا الأشياء النفيسة خالصة لهم دون غيرهم ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ﴾ أي: فلما كلم الملك يوسف وسمع جوابه ﴿قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ﴿٥٤﴾﴾ جاء بما حببه إلى الملك، وقربه من قلبه، فقال له هذه المقالة، ومكين: ذو مكانة وأمانة بحيث يتمكن مما يريده من الملك، ويأمنه الملك على ما يطلع عليه من أمره، أو على ما يكله إليه من ذلك. ٥٥- قال يوسف ولني أمر حفظ خزائن أرض مصر، وما فيها من الأطعمة والأموال طلب يوسف ذلك ليتوصل به إلى نشر العدل ورفع الظلم، ويتوسل به إلى دعاء أهل مصر إلى الإيمان بالله، وترك عبادة الأوثان ﴿إِنِّي حَفِيظٌ﴾ ضابط لها ولا أصرفها في غير مصارفها ولديَّ العلم بوجوه جمعها وتفريقها، ومدخلها ومخرجها. ٥٦- وكذلك جعلنا ليوسف مكانة هي قدرته ونفوذ أمره ونهيه، حتى صار الملك يصدر عن رأيه ﴿يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُ﴾ أي ينزل منها حيث أراد كما يتصرف الرجل في منزله، وتدل الآية على أنه يجوز تولي الأعمال من جهة السلطان الجائر، بل الكافر، لمن وثق من نفسه بالقيام بالحق ﴿نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُ﴾ من العباد فنرحمه في الدنيا بالإحسان إليه والإنعام عليه ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ كما صنع الله بيوسف لما صبر على بلاء الله، وعف عند الفتنة لوجه الله مراقبة له. ٥٨- جاءوا إخوته إلى مصر من أرض كنعان ليمتاروا. ﴿فَدَخَلُواْ﴾ على يوسف ﴿فَعَرَفَهُمۡ﴾ لأنه فارقهم رجالاً ﴿وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ لأنهم فارقوه صبيًّا، ودخلوا عليه الآن وهو رجل عليه أبهة الملك. ٥٩- ولما أعطاهم ما طلبوه من الميرة، وما يصلحون به سفرهم من العدة التي يحتاجها المسافر ﴿قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡ﴾ استدرجهم حتى رووا له قصتهم، فقال لهم ذلك، يعنى أخاه بنيامين، وهو أخو يوسف لأبيه وأمه ﴿أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ﴾ ذلك عادته المستمرة ﴿وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾﴾ لمن نزل بي كما فعلته بكم من حسن الضيافة. ٦٠- ﴿فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي﴾ أي فلا أبيعكم شيئًا فيما بعد، وأما في الحال فقد أوفاهم كيلهم ﴿وَلَا تَقۡرَبُونِ ﴿٦٠﴾﴾ لا أنزلكم عندي كما أنزلتكم هذه المرة. ٦١- قالوا سنطلبه منه ونجتهد. ﴿وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ هذه المراودة غير مقصرين فيها. ٦٢- وقال لغلمانه ﴿ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ﴾ أي الأوعية التي جعلوا فيها الطعام، والبضاعة: هي التي وصلوا بها من بلادهم ليشتروا بها الطعام ﴿لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ﴾ رجعوا إليهم ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٦٢﴾﴾ إلينا إذا عرفوا ذلك وعلموا أنهم أخذوا الطعام =

قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن
قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا۟
مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا
مَا نَبْغِى هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ
أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ
أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ
أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ
﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ
مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا
لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا
دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم
مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا وَإِنَّهُۥ
لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ
إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾

= بلا ثمن. ٦٣- فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل في المستقبل، ثم ذكروا له ما أمرهم به يوسف، فقالوا: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا﴾ بنيامين ﴿نَكْتَلْ﴾ بسبب إرساله معنا ما نريده من الطعام. أي إن أرسلته اكتلنا، وإلا منعنا الكيل ﴿وَإِنَّا لَهُۥ﴾ أي لأخيهم بنيامين ﴿لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾﴾ من أن يصيبه سوء أو مكروه. ٦٤- ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾ خاف أن يخونوه فيه كما خانوه في يوسف ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ أي: فتوكل يعقوب على الله ودفعه إليهم. ٦٥- ﴿وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ﴾ أي البضاعة التي حملوها إلى مصر ليمتاروا بها ﴿مَا نَبْغِى﴾ أي شيء نطلب من هذا الملك بعد أن صنع معنا ما صنع من الإحسان برد البضاعة، والإكرام عند القدوم إليه، وقيل: أي ما نبغي في القول وما نتزيّد فيما وصفنا لك ﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ فإن من تفضل عليهم برد ذلك حقيق بالثناء عليه ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ نجلب إليهم الميرة، وهي الطعام ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾ بنيامين مما تخافه عليه ﴿وَنَزْدَادُ﴾ بسبب إرساله معنا ﴿كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ أي حمل بعير زائد على ما جئنا به هذه المرة ﴿ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾﴾ أي زيادة كيل بعير لأخينا يسهل على الملك، لا يتعاظمه ولا يضايقنا فيه. ٦٦- قال لن أرسله معكم حتى تعطوني ما أثق به وأركن إليه، وهو الحلف بالله تعالى ﴿لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ﴾ لتردن بنيامين إلي إلا أن تغلبوا عليه، أو تهلكوا دونه، فيكون ذلك عذرًا لكم عندي فلما أعطوه اليمين قال الله مطلع رقيب لا يخفى عليه منه خافية، فهو المعاقب لمن خاس في عهده وفجر في الحلف به. ٦٧- وقال لهم والدهم: يا أبنائي... إذا دخلتم الدّيار المصرية فلا تجتمعوا على الدخول من باب واحد. وقيل: خاف عليهم أن تصيبهم العين، لكونهم كانوا ذوي جمال ظاهر، مع كونهم أولاد رجل واحد ﴿وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾ أي فذلك أحرى أن تسلموا ولا أدفع عنكم ضررًا ولا أجلب إليكم نفعًا بتدبيري هذا، إن كان الله عز وجل يريد ألا ينفعكم به والأمر كله لله وحده ولذا عليه اعتمدت ووثقت وعليه فليعتمد المعتمدون. ٦٨- ولما دخلوا من الأبواب المتفرقة، ولم يجتمعوا داخلين من باب واحد ﴿مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم﴾ ذلك الدخول ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي من جهته ﴿مِن شَىْءٍ﴾ من الأشياء مما قدره الله عليهم، وهو تعالى قد قدر أخذ يوسف لبنيامين كما يأتي ﴿إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ﴾ أي ولكن حاجة كانت في نفس يعقوب، وهي شفقته عليهم، ومحبته لسلامتهم ﴿قَضَىٰهَا﴾ يعقوب: أي أظهرها لهم ووصاهم بها، وقيل: خطر ببال يعقوب أن الملك إذا رآهم مجتمعين مع ما يظهر فيهم من كمال الخلقة، وسيما الشجاعة، أوقع بهم حسدًا وحقدًا، أو خوفًا منهم وإنه لصاحب علم عظيم من الله تعالى ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾ مثلما كان يعلم. ٦٩- ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ أي ضم إليه أخاه بنيامين، قيل: إنه أمر بإنزال كل اثنين في منزل، فبقي أخوه منفردًا فضمه إليه و﴿قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ﴾ =

فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ
أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟
عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ
وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ
لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَـٰرِقِينَ
﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَـٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ
مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ
﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن
وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ
فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ
وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ۞ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ — ربع الحزب ٢٥
فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ
وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا
فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾

= يوسف، قال له ذلك سرًا من دون إخوته ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ أي فلا تحزن ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾﴾ أي إخوتك من الأعمال الماضية التي عملوها. ٧٠- ﴿جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ﴾ التي هي الصواع ﴿فِى رَحْلِ أَخِيهِ﴾ بنيامين، والرحل: هو الوعاء الذي يجعل فيه ما اشتراه من الطعام من مصر. ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ أي نادى مناد ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ﴾ معناه: يا أصحاب العير، والعير الإبل المرحولة المركوبة. ٧١- ﴿قَالُوا۟﴾ أخوة يوسف ﴿وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم﴾ على المنادي من أصحاب الملك ﴿مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾﴾ ماذا ضاع منكم؟ ٧٢- ﴿قَالُوا۟﴾ في جوابهم ﴿نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ﴾ والصواع: هو الصاع بعينه ﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ أي قالوا: ولمن جاء بالصواع من جهة نفسه حمل بعير، والبعير: الجمل، ثم قال المنادي ﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾﴾ أي كفيل، أي بحمل البعير الذي جعل لمن جاء بالصواع قبل التفتيش للأوعية. ٧٣- ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي حلفوا قائلين: إن يوسف وأصحابه يعلمون يقينًا بنزاهة جانبهم، وطهارة ذيلهم عن التلوث بقذر الفساد في الأرض الذي من أعظم أنواعه السرقة، ولو لم يكن من ذلك إلا ردهم لبضاعتهم التي وجدوها في رحالهم. ٧٤- والقائلون: هم أصحاب يوسف، أو المنادي، أي فما جزاء سرقة الصواع عندكم ﴿إِن كُنتُمْ كَـٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾﴾ فيما تدعونه من البراءة عن السرقة. ٧٥- ﴿قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ أي جزاء سرقة الصواع، أخذ الرجل الذي يوجد الصواع في رحله، وكان حكم السارق في آل يعقوب أن يؤخذ السارق عبدًا لمن سرق منه سنة ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ لغيرهم من الناس بسرقة أمتعتهم. ٧٦- ﴿فَبَدَأَ بِـ﴾ تفتيش ﴿أَوْعِيَتِهِمْ﴾ أي أوعية الإخوة العشرة ﴿قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ﴾ دفعًا للتهمة، وسترًا لما دبره من الحيلة ﴿ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا﴾ أي: السقاية، أو الصواع ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ علمناه وأوحينا إليه الكيد، ونهايته إلقاء المخدوع من حيث لا يشعر في أمر مكروه لا سبيل إلى دفعه ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾ في شريعته التي كان عليها، بل كان دينه وقضاؤه أن يضرب السارق، ويغرم ضعف ما سرقه، دون الاستعباد سنة، كما هو دين يعقوب وشريعته ﴿نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ بضروب العلوم والمعارف والعطايا والكرامات كما رفعنا درجة يوسف بذلك ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ﴾ ممن رفعه الله بالعلم ﴿عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ أرفع رتبة منهم، وأعلى درجة، وقيل: معنى ذلك أن فوق كل أهل العلم عليم، وهو الله سبحانه. ٧٧- قال إخوة يوسف: إن يسرق بنيامين هذه المرة ﴿فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾ يعنون يوسف، قيل: إن يوسف أخذ صنمًا كان لجده أبي أمه، فكسره وألقاه على الطريق، تغييرًا للمنكر، وكان صنمًا من ذهب، ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ﴾ أي أسر من قولهم: إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل ﴿قَالَ﴾ يوسف ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ أي موضعًا ومنزلاً ممن نسبتموه إلى السرقة وهو بريء. يعني: فإنكم قد فعلتم ما فعلتم من إلقاء يوسف في الجب والكذب على أبيكم، يعني: وغير ذلك من أفاعيلكم، ثم قال: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾﴾ من الباطل بنسبة السرق إلى يوسف.

قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ
إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ
قَالَ كَبِيرُهُمۡ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم
مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ فَلَنۡ أَبۡرَحَ
ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ
﴿٨٠﴾ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ
وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ
﴿٨١﴾ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ
وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ
فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ
ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ
يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ﴿٨٤﴾
قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا
أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي
وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٦﴾

٧٨- ﴿قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا﴾ أي: إن لبنيامين هذا أبًا شيخًا كبيرًا لا يستطيع فراقه، ولا يصبر عنه، ولا يقدر على الوصول إليه ﴿فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ﴾ يبقى لديك، فإن له منزلة في قلب أبيه ليست لواحد منا، فلا يتضرر بفراق أحدنا كما يتضرر بفراق بنيامين ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٧٨﴾﴾ إلى الناس كافة، وإلينا خاصة، فتمم إحسانك إلينا بإجابتنا إلى هذا المطلب. ٧٩- ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾ وهو بنيامين، فقد حل لنا استعباده بفتواكم ﴿إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾﴾ إذا أخذنا غيره. ٨٠- فلما يئسوا من يوسف وإسعافهم منه إلى مطلبهم انفردوا متناجين فيما بينهم ﴿قَالَ كَبِيرُهُمۡ﴾ قيل: هو روبيل، وقيل: شمعون، لأنه رئيسهم ﴿مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: عهدًا بالله في حفظ ابنه ورده إليه ﴿وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَ﴾ أي: وتعلمون تفريطكم في يوسف، ولم تحفظوا عهد أبيكم فيه ﴿فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ﴾ أرض مصر، ولا أزال مقيمًا فيها ﴿حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ﴾ في مفارقتها والخروج منها، وقيل: أو يحكم الله لي بالنصر على من أخذ أخي فأحاربه وآخذ أخي منه. ٨١- ﴿إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ﴾ وذلك لأنهم قد شاهدوا استخراج الصواع من وعائه ﴿وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا﴾ من استخراج الصواع من وعائه ﴿وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾﴾ حتى يتضح لنا هل الأمر على ما شاهدناه، أو على خلافه، ولعلهم يريدون الشهادة على بنيامين بأنه قد سرق حقيقة، ومرادهم أنه سرق وهم نيام، أو فعل ذلك وهو غائب عنهم. ٨٢- واسأل أهل القرية وهي من قرى مصر ﴿وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَا﴾ أي: واسأل أصحاب القافلة التي رجعنا فيها إلى بلادنا، قيل: وكانوا قومًا معروفين من جيران يعقوب ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ فيما قلنا. ٨٣- ﴿قَالَ﴾ أي قال يعقوب لما وصلوا إليه: ﴿بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗا﴾ أي: زينت، والأمر هنا: قولهم ﴿إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ﴾ وما سرق في الحقيقة، وقيل المراد بالأمر: إخراجهم بنيامين، والمضي به إلى مصر طلبًا للمنفعة ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٌ﴾ والصبر الجميل: هو الذي لا يبوح صاحبه بالشكوى، بل يفوض أمره إلى الله ويسترجع ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًا﴾ أي بيوسف وأخيه بنيامين، والأخ الثالث الباقي بمصر. ٨٤- وأعرض عنهم، وقطع الكلام معهم وانقلب سواد عينيه بياضًا من كثرة البكاء فهو مكظوم، مملوء من الحزن، ممسك له لا يبثه. ٨٥- قالوا: لا تزال تتذكره وتنطق باسمه تأسفًا وتحزنًا عليه لشدة الفراق ﴿حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾ الحرض: الفساد في الجسم، أو العقل من الحزن، أو الهرم أو نحوها ﴿أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾﴾ من الميتين، وغرضهم منع يعقوب من البكاء والحزن شفقة عليه، وإن كانوا هم سبب أحزانه وتيئيسه من لقاء يوسف، أي: فإنه قد ذهب، أو أكله الذئب كما ادعوا، فلن تراه حتى تموت فماذا ينفعك البكاء؟ ٨٦- ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي﴾ البث: ما يرد على الإنسان من الأشياء التي يعظم حزن صاحبها =

يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ
مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ
﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ
وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآۖ
إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِي ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم
بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ
لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ
عَلَيْنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا
وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ
ٱلْيَوْمَۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾
ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا
وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ
ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوْلَآ أَن
تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾

= بها حتى لا يقدر على إخفائها، فالبث على هذا: أعظم الحزن وأصعبه ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ من لطفه وإحسانه، وثوابه على المصيبة. ٨٧- فتعرفوا أخبار يوسف وأخيه ولا تقنطوا من فرجه وتنفيسه. وكل ما يهتز الإنسان بوجوده ويلتذ به فهو رَوح ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ لكونهم لا يعلمون بقدرة الله سبحانه، وعظيم صنعه، وخفي ألطافه. ٨٨- ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ﴾ أي: على يوسف ﴿مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ﴾ أي: المرض في أنفسنا وفي أهلنا، لشدة ما نحن فيه من قلة الأمطار والجوع والحاجة ﴿وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ﴾ بضاعة تدفع ولا يقبلها التجار لقلتها ورداءتها ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾ إما بزيادة يزيدها لهم على ما يقابل بضاعتهم، أو بالإغماض عن رداءة البضاعة التي جاءوا بها. ٨٩- والذي فعلوا بيوسف هو ما تقدم مما قصه الله في هذه السورة، وما فعلوا بأخيه: هو ما أدخلوه عليه من الغم بفراق أخيه يوسف، وما كان يناله منهم من الاحتقار والإهانة، ولم يذكر أباه يعقوب وما دخل عليه من الغم بفراقه تعظيمًا له ورفعًا من قدره ﴿إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾﴾ وقت عدم علمكم بما فيه من الإثم، وقصور معارفكم عن عاقبته. ٩٠- ﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ﴾ وكان ذلك منهم على طريق التعجب والاستغراب، قيل: سبب معرفتهم له بمجرد قوله لهم ﴿مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ لما قال لهم ذلك تنبهوا وفهموا أنه لا يخاطبهم بمثل هذا إلا هو ﴿قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ﴾ كأنه قال أنا المظلوم المُستحل منه المحرَّم المراد قتله ﴿وَهَٰذَآ أَخِي﴾ المظلوم كظلمي ﴿قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ﴾ بالخلاص ورفعة القدر، اعترف لله بفضله العظيم عليه وعلى أخيه. ٩١- قالوا تالله لقد اختارك وفضلك علينا بما خصك به من صفات الكمال ﴿وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾﴾ والخاطئ: من تعمد ما لا ينبغي، علموا أنه لا بد لهم من الاعتراف بأخطائهم القديمة، ومنها إلقائه في الجب، والحديثة، ومنها اتهامه بالسرقة. ٩٢- قال: لا تعيير ولا توبيخ ولا لوم عليكم، ولكم عندي الصفح والعفو، عند اعترافكم بالذنب، ثم دعا لهم بقوله ﴿يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾. ٩٣- ﴿يَأْتِ بَصِيرًا﴾ قد ذهب عنه العمى ﴿وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾﴾ من النساء والذراري. ٩٤- ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ﴾ أي خرجت منطلقة من مصر إلى الشام وفارقت العامر من مدينة مصر ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ أي يعقوب لمن عنده في أرض كنعان من أهله ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ رائحته لولا أن تنسبوني إلى الخرف، وهو ذهاب العقل من الهرم. ٩٥- قال الحاضرون عنده من أهله: إنك يا يعقوب لمستمر على ما كنت عليه من ذهابك عن طريق الصواب من إفراط حبك ليوسف لا تنساه، وتتوهم أنه حي، وترجو أن يعود إليك، وقد أكله الذئب من زمان بعيد. ٩٦- فلما أن جاء حامل البشرى لأبيهم ﴿أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ أي: ألقى البشير قميص يوسف على وجه يعقوب ﴿فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا﴾ عاد =

فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ قَالَ
أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ
يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوۡفَ
أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا
دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ
إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ
لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا
رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم
مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ
رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ
قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي
مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ
نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ
﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

نصف الحزب ٢٥

= إلى صحة بصره ﴿قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ﴾ إني لأجد ريح يوسف فقلتم ما قلتم ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾ ويريد بذلك إخبارهم بما قاله لهم سابقًا ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾. ٩٧- ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾﴾ أي: قال إخوة يوسف هذه لما وصلوا بعد وصول البشير. اعترفوا بالذنب فوعدهم بما طلبوه منه. ٩٨- و﴿قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓ﴾ قال: الزجاج أراد يعقوب أن يستغفر لهم في وقت السحر، لأنه أخلق بإجابة الدعاء، ولم يعجل بالدعاء، لعظيم جريمتهم، فأراد أن يخلص لله الدعاء ويتحرى ساعة الإجابة شفقة على أولاده لعل الله أن يتجاوز عنهم. ٩٩- ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ﴾ أي ضمهما إلى مسكنه وأنزلهما عنده. قال المفسرون: المراد يعقوب وزوجته خالة يوسف، لأن أمه قد كانت ماتت في ولادتها لأخيه بنيامين. ١٠٠- وأجلسهما معه على السرير الذي يجلس عليه كما هو عادة الملوك ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗا﴾ أي: الأبوان والإخوة، وكان ذلك جائزًا في شريعتهم منزَّلاً منزلة التحية ﴿وَقَالَ﴾ يوسف ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ﴾ يعني التي تقدم ذكرها ﴿قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗا﴾ بوقوع تأويلها على ما دلت عليه ﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ﴾ أي لطف بي محسنًا، ولم يذكر إخراجه من الجب، لأن في ذكره نوع تثريب للإخوة، وقد قال: لا تثريب عليكم ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ﴾ أي البادية، وهي أرض كنعان بالشام، وكانوا أهل مواش وبرية ﴿مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓ﴾ أي أفسد بيننا وحمل بعضنا على بعض، أحال يوسف ذنب إخوته على الشيطان تكرمًا منه وتأدبًا ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُ﴾ اللطيف: الرفيق بوجه الوصول إلى ما يشاء حتى يناله بأيسر طريق على وجه الصواب. ١٠١- وهو ما ولاه ملك مصر من شأن خزائن الأموال ﴿وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾ أي: تأويل الرؤيا ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أي يا فاطر، والفاطر: الخالق والمبدع أنت ناصري ومتولي أموري في الدنيا والآخرة اجعلني طيلة حياتي على الإسلام لا يفارقني حتى أموت عليه، وَألحقني بالصالحين من النبيين من آبائي وغيرهم، فأظفر بمثل ثوابهم منك ودرجاتهم عندك. ١٠٢- ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَ﴾ يا محمد، ولم يكن عندك قبل الوحي شيء من ذلك ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ﴾ أي: لدى إخوة يوسف ﴿إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ﴾ إذ عزموا جميعًا على إلقائه في الجب ﴿وَهُمۡ﴾ في تلك الحالة ﴿يَمۡكُرُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ بيوسف، ويبغونه الغوائل. وإذا لم يكن رسول الله ﷺ لديهم عندما فعلوا ذلك، ولم يكن بين قوم لهم علم بأحوال الأمم السالفة، ولا خالطهم ولا خالطوه، فلم يبق لعلمه بذلك طريق إلا مجرد الوحي من الله سبحانه. ١٠٣- ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ أي: ليسوا ولو حرصت على هدايتهم وبالغت في ذلك بمؤمنين بالله، إلا من رحم الله، لتصميمهم على الكفر الذي هو دين آبائهم.

وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾
وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا
وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا
وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ
أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَٰذِهِۦ
سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَٰنَ
ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ
إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى
ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ
إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ
نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ
﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ
حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ
وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

١٠٤- ﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ أي: على القرآن وما تتلوه عليهم منه، أو على الإيمان أو على ما تحدثهم به، من مال يعطونك إياه ويجعلونه لك، كما يفعله أحبارهم ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ كافة لا يختص بقريش وحدهم. ١٠٥- وكم من آية تدلهم على توحيد الله في السماوات من كونها منصوبة بغير عمد، مزينة بالكواكب النيرة، السيارة والثوابت، وفي الأرض من جبالها وقفارها وبحارها ونباتها وحيواناتها، تدلهم على توحيد الله سبحانه وأنه الخالق لذلك ﴿يَمُرُّونَ﴾ على هذه الآيات غير متأملين لها ولا ملتفتين إلى ما تدل عليه من وجود خالقها، وإن نظروا إليها بعيونهم، فقد أعرضوا عن التفكر والاعتبار والاستدلال. ١٠٦- وما يصدق ويقر أكثر الناس بالله من كونه الخالق الرازق المحيي المميت ﴿إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ بالله، يعبدون معه غيره، كما كانت تفعله الجاهلية، فإنهم مقرون بالله سبحانه وبأنه الخالق لهم، لكنهم كانوا يثبتون له شركاء، فيعبدونهم ليقربوهم إلى الله؛ مثل هؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله، ومثلهم كذلك المعتقدون في الأموات بأنهم يقدرون على ما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه. ١٠٧- ﴿أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ﴾ الغاشية: ما يغشاهم ويغمرهم من العذاب. ﴿أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ أي فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ بإتيانه. ١٠٨- ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾ هذه الدعوة التي أدعو إليها، والطريقة التي أنا عليها، سبيلي: أي طريقتي وسنتي ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ أي على حجة واضحة ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ أي ويدعو إليها من اتبعني واهتدى بهديي ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ بالله الذين يتخذون من دونه أندادًا. ١٠٩- ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ لا ملائكة، فكيف ينكرون إرسالنا إياك ﴿نُّوحِىٓ إِلَيْهِم﴾ كما نوحي إليك ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ أي المدائن ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: أفلم يسافر المشركون في أرض الله فينظروا إلى مصارع الأمم الماضية، فيعتبروا بهم حتى ينزعوا عما هم فيه من التكذيب ﴿وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ الجنة هي خير للمتقين من دار الدنيا. ١١٠- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾ من النصر بعقوبة قومهم ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟﴾ استبطأوا النصر، فحدثتهم أنفسهم بأنهم قد أخلفوا ما وُعِدوا به من النصر. روي معناه عن ابن عباس. ﴿جَآءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ أي فجاء الرسل نصرُ الله سبحانه فجأة ﴿فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ﴾ هم الرسل ومن آمن معهم، وهلك المكذبون ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾ عند نزوله بهم. ١١١- ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ﴾ أي: قصص الرسل ومن بعثوا إليهم من الأمم، أو في قصص يوسف وإخوته وأبيه ﴿عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ والعبرة: البصيرة المخلصة من الجهل والحيرة، وأولو الألباب: هم ذوو العقول السليمة الذين يعتبرون بعقولهم، فيدرون ما فيه مصالح دينهم ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾ أي ما كان القرآن المشتمل على ذلك حديثًا مختلقًا ﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب المنزلة كالتوراة والإنجيل والزبور ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ =

سُورَةُ الرَّعْدِ — ترتيبها ١٣ — آياتها ٤٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ١ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ
عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلٌّ
يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ
رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ٢ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ
وَأَنْهَٰرًاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ
ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ٣ وَفِى ٱلْأَرْضِ
قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ
وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ
فِى ٱلْأُكُلِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٤
۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ
جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ
فِىٓ أَعْنَاقِهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٥

ثلاثة أرباع الحزب ٢٥

= من الشرائع المجملة المحتاجة إلى تفصيلها والأصول والقوانين ﴿وَهُدًى﴾ في الدنيا يهتدي به كل من أراد الله هدايته ﴿وَرَحْمَةً﴾ في الآخرة يرحم الله بها عباده العاملين ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي يصدقون به وبما تضمنه من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وشرائعه وقدره، وأما من عداهم فلا ينتفع به ولا يهتدي، فلا يستحق ما يستحقونه.

سُورَةُ الرَّعْدِ

عن ابن عباس أنها نزلت بمكة

١- ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الإشارة بقوله ﴿تِلْكَ﴾ إلى آيات هذه السورة ﴿وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾ مرادًا به القرآن كله: هو الحق البالغ في اتصافه بهذه الصفة ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بهذا الحق الذي أنزله الله عليك. ٢- ﴿ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ العمد: الأساطين، أي: قائمات بغير عمد تعتمد عليه. ثم علا على العرش وارتفع، والله أعلم بكيفية ذلك ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ أي: ذللهما لما يراد منهما من منافع الخلق ومصالح العباد كل من الشمس والقمر يجري إلى وقت معلوم: وهو فناء الدنيا وقيام الساعة. ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ أي: يصرفه على ما يريد ﴿يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ أي يبينها، وهي الدالة على كمال قدرته وربوبيته، ومنها ما تقدم من رفع السماء بغير عمد، وتسخير الشمس والقمر وجريهما لأجل مسمى، لعلكم بلقاء ربكم لا تشكون فيه، ولا تمترون في صدقه. ٣- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ﴾ بسطها طولاً وعرضًا؛ ولا ينافي كُرويتها في نفسها لتباعد أطرافها، وجعل فيها جبالاً ثوابت ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ الذكر والأنثى ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ أي يلبسه مكانه، فيصير أسود مظلمًا بعدما كان أبيض منيرًا. ٤- ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾ متدانيات ترابها واحد، وماؤها واحد، ولكنها مع ذلك تُنبت أنواعًا مختلفة من الثمار ﴿وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ أي: أصناف متماثلات، وأصناف غير متماثلات. ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾ فيكون طعم بعضها حلوًا، والآخر حامضًا، وهذا في غاية الجودة، وهذا ليس بجيد، وهذا فائق في حسنه، وهذا غير فائق، مما يقطع من تفكر واعتبر ونظر فيه نظر العقلاء بأنه صنع الحكيم الخبير. فإذا كان المكان متجاورًا، وقطع الأرض متلاصقة، والماء الذي تسقى به واحدًا لم يبق سبب للاختلاف في نظر العقل إلا تلك القدرة الباهرة والصنع العجيب ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ غير مهملين لما يقتضيه من التفكر في المخلوقات، والاعتبار في عبر الموجودات. ٥- ﴿۞ وَإِن تَعْجَبْ﴾ يا محمد من تكذيبهم لك، فأعجب منه تكذيبهم بالبعث إذ قالوا: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أنبعث أو نُعاد وأولئك المنكرون لقدرته على البعث هم المتمادون في الكفر الكاملون فيه ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ﴾ فتصرفهم عن الإيمان، فلا يقدرون عليه، وقيل: الأغلال أعمالهم =

وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ وَقَدۡ خَلَتۡ مِن
قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ
وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ
أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ
﴿٧﴾ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ
وَمَا تَزۡدَادُۚ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ
وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ
ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ
بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ
مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ
وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن
وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا
وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ
وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا
مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ﴿١٣﴾

= السيئة التي هي لازمة لهم لزوم الأطواق للأعناق. ٦- ﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ﴾ السيئة: العقوبة المهلكة، والحسنة: العافية والسلامة، والمعنى: أنهم طلبوا العقوبة قبل السلامة والعافية ﴿وَقَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُۗ﴾ أي: أن هؤلاء يستعجلونك بإنزال العقوبة بهم، وقد مضت من قبلهم عقوبات أمثالهم من المكذبين، فما لهم لا يعتبرون بهم، ويحذرون من حلول ما بهم ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ﴾ أي لذوا تجاوز عظيم ﴿عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ﴾ فلا يعاجلهم بالعقوبة مع استمرارهم في عمل الذنوب ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٦﴾﴾ يعاقب العصاة المكذبين من الكافرين عقابًا شديدًا على ما تقتضيه مشيئته. ٧- ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ﴾ أي: هلا أنزل عليه آية غير ما قد جاء به من الآيات المعجزات ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ﴾ تنذرهم النار، وليس إليك من الآيات شيء وقد فعل محمد ﷺ ما هو عليه وأنذر أبلغ إنذار ﴿وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ﴿٧﴾﴾ أي نبي يدعوهم إلى ما فيه هدايتهم ورشادهم. ٨- ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾ في بطنها من علقة، أو مضغة ذكر أو أنثى، صبيح أو قبيح، سعيد أو شقي، وعلى أي حال هو ويعلم ما تُسقطه الأرحام قبل تمامه ونموه وما يزيد حمله عليها وكل شيء مقدر عند الله تعالى بمقدار من الزيادة والنقصان لا يتجاوز قدره تعالى. ٩- عالم كل غائب عن الحسّ، وكل مشهود حاضر، أو كل معدوم وموجود العظيم المستعلي على كل شيء بقدرته وعظمته وقهره. ١٠- ﴿سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾ فهو يعلم ما أسره الإنسان، كعلمه بما جهر به من خير وشر ﴿وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ﴾ أي مستتر في الظلمة متوار عن الأعين ﴿وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾﴾ فالظاهر في الطرقات والمستخفي في الظلمات علم الله فيهم جميعًا سواء. ١١- لكل من هؤلاء الناس معقبات، وهم الحفظة من الملائكة، يأتي بعضهم بعقب بعض ﴿مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾ المراد: أن الحفظة من الملائكة من جميع جوانبه يحفظونه بأمر الله، أي: بما أمرهم به لا أنهم يقدرون أن يدفعوا أمر الله. وقيل: يحفظونه من الجن، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ﴾ من النعمة والعافية ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ من طاعة الله، فلا يسلب قومًا نعمة، أنعم بها عليهم حتى يغيروا الذي بأنفسهم من الخير والأعمال الصالحة، وإذا أراد الله بقوم هلاكًا وعذابًا فلا رد له. ﴿وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾ يلي أمرهم ويلتجئون إليه، فيدفع عنهم ما ينزل بهم من العقاب. ١٢- ﴿خَوۡفٗا وَطَمَعٗا﴾ أي لتخافوا خوفًا، ولتطمعوا طمعًا، والخوف للمسافر لما يتأذى به من المطر، والطمع للحاضر إذا رأى البرق طمع في المطر ﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾﴾ بما فيها من الماء. ١٣- ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ﴾ ولا مانع من أن ينطقه الله وقيل: تسبيحه شهادته بقدرة الله، من دون أن ينطق ويسبح الملائكة من خيفة الله سبحانه ﴿وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾ من خلقه فيهلكه.

﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾ المحال: المكر، والمكر من الله: هو التدبير بالحق. وإيصال المكروه إلى من يستحقه.

لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا
كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ
إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا
وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ۩ ﴿١٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ
نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي
ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ
عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ أَنزَلَ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ
وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ
يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا
يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴿١٧﴾
لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ
لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓۚ
أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿١٨﴾

سجدة

١٤- دعاؤه سبحانه عند الخوف، فإنه لا يدعى فيه سواه، فهو القادر على الاستجابة، فمن دعاه فقد دعاه بحق ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ﴾ أي: والآلهة الذين يدعوهم الكفار من دون الله عز وجل لا يستجيبون لهم بشيء مما يطلبونه منهم كائنًا ما كان، إلا استجابة كاستجابة الماء لمن بسط كفه إليه من بعيد فإن الماء لا يستجيب له، لأنه جماد لا يشعر بحاجته إليه ولا يدري أنه طلب منه أن يبلغ فاه ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي الماء ببالغ على فم الداعي. وقيل: شبه من يدعون الأصنام والأموات، بمن مد يده إلى البئر بغير حبل ولا دلو ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ١٤﴾ أي يضل عنهم ذلك الدعاء، فلا ينفعهم بوجه من الوجوه. ١٥- ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ المراد بالسجود: الانقياد لأمره وحكمه فيهم بالصحة والمرض، والحياة والموت، والفقر والغنى ﴿طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا﴾ فإن الكفار ينقادون كرهًا كما ينقاد المؤمنون طوعًا فيعبدونه كما يأمرهم ﴿وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ۩ ١٥﴾ المراد به: ظل الإنسان الذي يتبعه، جعل ساجدًا وخص الغدو والآصال بالذكر، لأنه يزداد ظهور الظلال فيهما. ١٦- وأمر الله سبحانه رسوله أن يسأل الكفار، فقال: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ فكأنه حكى جوابهم وما يعتقدونه ﴿قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ فما بالكم اتخذتم لأنفسكم من دونه أولياء عاجزين؟ ﴿لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا﴾ ينفعونها به ﴿وَلَا ضَرّٗا﴾ يضرون به غيرهم، أو يدفعونه عن أنفسهم، فكيف ترجون منهم النفع والضر؟ وهم لا يملكونها لأنفسهم ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾ في دينه وهو الكافر ﴿وَٱلۡبَصِيرُ﴾ فيه وهو الموحد، فإن الأول جاهل لما يجب عليه وما يلزمه، والثاني عالم بذلك ﴿أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾ الكفر، والإيمان ﴿فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡ﴾ بل إنما جعلوا له شركاء الأصنام ونحوها، وهي لم تخلق شيئًا، فكيف اشتبه عليهم الأمر؟

١٧- أي: سال ماؤها ﴿بِقَدَرِهَا﴾ فإن صغر الوادي قل الماء، وإن اتسع كثر. شبه نزول القرآن الجامع للهدى والبيان بنزول المطر، إذ نفع نزول القرآن يعم كعموم نفع نزول المطر، وشبه الأودية بالقلوب، فمن القلوب من يتسع لخير وعلم كثير، ومنها بخلاف ذلك والزبد: هو الأبيض المرتفع المنتفخ على وجه السيل، ويقال له: الغثاء والرغوة، والرابي: العالي المرتفع فوق الماء. ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ﴾ فيذوب من الأجسام المعدنية كالذهب والحديد ﴿ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ﴾ أي: لطلب اتخاذ حلية تتزينون بها وتتجملون كالذهب والفضة ﴿أَوۡ مَتَٰعٖ﴾ من الأواني والآلات المتخذة من الحديد والصفر والنحاس والرصاص ﴿زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥ﴾ فإنه يعلو فوق ما أذيب من تلك الأجسام وهو الخبث والتراب كذلك يضرب الله مثل الحق ومثل الباطل ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗ﴾ يقذفه السيل على وجه الأرض فيجف ويذهب ولا يستكن في الأرض، وزبد المعادن يلقيه الصائغ فلا يصنع منه حلية ولا متاعًا. وكذلك الباطل يزول ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ منها، وهو الماء الصافي، والذائب الخالص من المعدن ﴿فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي يثبت فيها، أما الماء فإنه يسلك في عروق الأرض فتنتفع =

۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ
أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ
﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ
وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ
بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا
وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ
عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ
﴿٢٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ
أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ
وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟
بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ
مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ
قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾

= الناس به، وأما ما أذيب من تلك الأجسام فإنه يصاغ حلية وأمتعة، وهو مثل الحق. فمثل المؤمن واعتقاده ونفع الإيمان كمثل هذه الماء المنتفع به في نبات الأرض وحياة كل شيء، وكمثل نفع الفضة والذهب وسائر الجواهر لأنها كلها تبقى منتفعًا بها؛ ومثل الكافر وكفره، كمثل الزبد الذي يذهب جفاء، وكمثل خبث الحديد وما تخرجه النار من وسخ الفضة والذهب الذي لا ينتفع به ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾ أي: مثل ذلك الضرب العجيب يضرب الله الأمثال في كل باب. ١٨- ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ﴾ إذ دعاهم إلى توحيده وتصديق أنبيائه والعمل بشرائعه الحسنى وهي الجنة، والذين لم يستجيبوا لدعوته لو أن لهم ما في الأرض من أصناف الأموال ومثل ما في الأرض جميعًا منضمًا إليه ﴿لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ﴾ مما هم فيه من العذاب الكبير والهول العظيم يوم القيامة، ولن يقبل ذلك منهم، بل ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ يعني الذين لم يستجيبوا ﴿لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾ هو أن يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر منه ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ أي: هي مسكنهم ﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾﴾ أي المستقر الذي يستقرون فيه. ١٩- ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ أي: ليس من يعلم أن ما أنزله الله سبحانه إلى رسوله ﷺ من الحق الذي لا شك فيه ولا شبهة، وهو القرآن، مثل من هو أعمى لا يعلم ذلك ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾ أهل العقول الراجحة. ٢٠- الذين يوفون بما عقدوه من العهود فيما بينهم وبين ربهم، أو فيما بينهم وبين العباد ﴿وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾﴾ الذي وثقوه على أنفسهم، وأكدوه بالأيمان ونحوها. ويدخل تحت الميثاق كل ما أوجبه العبد على نفسه كالنذور ونحوها وما يلزم به العبد نفسه. ٢١- ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ كصلة الأرحام ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ خشية تحملهم على فعل ما وجب، واجتناب ما لا يحل ﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾ وهو الاستقصاء والمناقشة، فمن نوقش الحساب عذب، فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا. ٢٢- والذين صبروا على الطاعات ابتغاء مرضاة الله ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي فعلوها في أوقاتها على ما شرعه الله في أذكارها وأركانها مع الخشوع والإخلاص ﴿وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ فأدوا زكاة أموالهم، وبذلوا المال حيث وجب أو نُدب ﴿سِرًّا﴾ خفية ﴿وَعَلَانِيَةً﴾ جهارًا ليقتدي بهم ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ أي يدفعون سيئة من أساء إليهم بالإحسان إليه، أو يدفعون بالعمل الصالح العمل السيئ، أو الذنب بالتوبة والموصوفون بالصفات المتقدمة لهم العاقبة المحمودة في الآخرة. ٢٣- وتلك العاقبة هي جنات إقامة دائمة لأهلها لا يرحلون عنها ﴿وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ﴾ يشمل الآباء والأمهات ﴿وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ ذكر الصلاح دليل على أنه لا يدخل الجنة من قرابات أولئك إلا من كان صالحًا، ولا ينفع مجرد كونه من الآباء أو الأزواج أو الذرية بدون صلاح ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾﴾ أي: من جميع أبواب المنازل التي يسكنونها. ٢٤- قائلين سلام عليكم، أي: سلمتم من الآفات بسبب صبركم على تقوى الله ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ مدح لما أعطاهم من عقبى الدار المتقدم ذكرها. ٢٥- ﴿وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالكفر وارتكاب المعاصي =

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ
مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ
لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ
قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾
وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ
بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟
أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ
وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ
مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ
عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟
لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم
بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ
ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾

= والإضرار بالأنفس والأموال ﴿لَهُمُ﴾ بسبب ذلك ﴿ٱللَّعْنَةُ﴾ أي: الطرد والإبعاد من رحمة الله سبحانه ﴿وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ أي: سوء عاقبة دار الدنيا، وهي عذاب النار. ٢٦- ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ فقد يبسط الرزق لمن كان كافرًا، ويقتره على من كان مؤمنًا ابتلاء وامتحانًا، ولا يدل البسط على الكرامة، ولا القبض على الإهانة ﴿وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وجهلوا ما عند الله ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ﴾ شيء قليل ذاهب. ٢٧- ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ كما ضل هؤلاء القائلون: لولا أنزل عليه آية من ربه، ويهدي إلى الحق من رجع إلى الله بالتوبة والإقلاع عما كان عليه.

٢٨- ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: إنهم هم الذين هداهم الله وأنابوا إليه وتسكن وتستأنس بذكر الله سبحانه بألسنتهم: كتلاوة القرآن والتسبيح والتحميد والتكبير والتوحيد، أو بسماع ذلك من غيرهم. ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ وحده دون غيره ﴿تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ والنظر في مخلوقات الله سبحانه، وبدائع صنعه، وإن كان يفيد طمأنينة في الجملة، وكذلك النظر في المعجزات، فليس إفادتها للطمأنينة كإفادة ذكر الله.

٢٩- ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ﴾ طوبى هي الحال المستطابة من الفرح وقرة العين. وقيل: طوبى شجرة في الجنة ﴿وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾ وحسن مرجع، وهو الدار الآخرة. ٣٠- ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ﴾ في جماعة من الناس قد مضت من قبلها جماعات أرسلنا إليهم رسلاً لتقرأ عليهم القرآن والحال أنهم يجحدون بالرحمن واسع الرحمة، فقال سبحانه ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿هُوَ رَبِّى﴾ أي خالقي لا يستحق العبادة سواه ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ في جميع أموري ﴿وَإِلَيْهِ﴾ لا إلى غيره توبتي. ٣١- والمعنى: لو أن هناك كلامًا إذا قيل سيرت به الجبال، أي: بإنزاله وقراءته، فسارت عن محل استقرارها أو تشققت به الأرض أو يحيا به الموتى أي: ساروا أحياء بقراءته عليهم، فكانوا يفهمونه عند تكليمهم به كما يفهمه الأحياء، أي: لكان هذا القرآن. أي: لو أن قرآنًا فعل به ذلك لكان هذا القرآن، ولكن لم يفعل بل فعل ما عليه الشأن الآن، فلو شاء أن يؤمنوا لآمنوا، وإذا لم يشأ أن يؤمنوا لم ينفع تسيير الجبال، وسائر ما اقترحوه من الآيات، بل يبقون على كفرهم ﴿أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ أي: أفلم يعلموا ويتحققوا ويتبينوا ﴿أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ من غير أن يشاهدوا الآيات ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ﴾ هذا وعيد لكفار مكة، تصيبهم بسبب ما صنعوا من الكفر والتكذيب للرسل قارعة، أي داهية تفجعهم بها تصنع بهم جيوش الإسلام من قتل أو أسر، وقد قيل: إن القارعة النكبة ﴿أَوْ تَحُلُّ﴾ القارعة ﴿قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ فيفزعون منها ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ﴾ وهو موتهم، أو قيام الساعة عليهم.٣٢- ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الإملاء: الإمهال ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾﴾ أي: فكيف كان عقابي لهؤلاء الكفار الذين استهزءوا بالرسل. ٣٣- يعني: ليس الله تعالى الذي هو المتولي لأمور خلقه، المدبر لأحوالهم بالآجال والأرزاق، كالأصنام والأموات الذين اتخذهم المشركون آلهة من دون الله، فإنها لا تقوم على شيء ولا تدبر شيئًا ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ أي: وقد جعلوا، قل يا محمد =

ربع الحزب ٢٦

مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ
أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ تِلۡكَ عُقۡبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْۚ وَّعُقۡبَى
ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَفۡرَحُونَ
بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَۖ وَمِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ مَن يُنكِرُ بَعۡضَهُۥۚ قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ
أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ إِلَيۡهِ أَدۡعُواْ وَإِلَيۡهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾
وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيّٗاۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ مَا
جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا وَاقٖ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدۡ
أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَذُرِّيَّةٗۚ وَمَا كَانَ
لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٞ ﴿٣٨﴾
يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾
وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ
ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا
مِنۡ أَطۡرَافِهَاۚ وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ
ٱلۡحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَلِلَّهِ ٱلۡمَكۡرُ جَمِيعٗاۖ
يَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٖۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلۡكُفَّٰرُ لِمَنۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾

٢٥٤

= جعلتم له شركاء فسموهم من هم؟ فهم أحقر من أن يسموا بالآلهة كما تزعمون ﴿أَمۡ تُنَبِّـُٔونَهُۥ﴾ أي: بل أتنبئون الله ﴿بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ من الشركاء الذين تعبدونهم مع كونه العالم بما في السماوات والأرض ﴿أَم بِظَٰهِرٖ مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ من غير أن تكون له حقيقة، وإنما خص الأرض لأنهم ادعوا له شريكًا في الأرض لا في السماء بل حقيقة أمرهم أن الشيطان حسن لهم قولهم الباطل وصرفهم عن الإيمان ومن يجعله الله ضالاً وتقتضي مشيئته إضلاله، فما له من هاد يهديه إلى الخير. ٣٤- ولهؤلاء الكفار عذاب أليم في الحياة الدنيا بما يصابون به من القتل والأسر وغير ذلك ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَقُّۖ﴾ عليهم من عذاب الحياة الدنيا ﴿وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ﴿٣٤﴾﴾ يقيهم عذابه، ولا عاصم يعصمهم منه. ٣٥- ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ﴾ أي: صفتها العجيبة الشأن أنها ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ أُكُلُهَا دَآئِمٞ﴾ أي: إن ثمارها دائمة لا تنقطع كما تنقطع ثمار أشجار الدنيا ﴿وَظِلُّهَاۚ﴾ أي: كذلك دائم لا يتقلص ولا تنسخه الشمس ﴿وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾﴾ ليس لهم عاقبة ولا منتهى إلا ذلك. ٣٦- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَۖ﴾ الكتاب: هو التوراة والإنجيل، والذين يفرحون هم أهل الكتابين لكونهم يجدونه موافقًا لما في كتبهم مصدقًا لهم ﴿وَمِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ مَن يُنكِرُ بَعۡضَهُۥۚ﴾ هم المشركون واليهود والنصارى، فإنه أنكروا ما يشتمل عليه من كونه ناسخًا لشرائعهم، فيتوجه فرح من فرح به منهم إلى ما هو موافق لما في الكتابين، وإنكار من أنكر منهم إلى ما خالفهما، إنما أمرت فيما أنزل إلي بعبادة الله وتوحيده، وهذا أمر اتفقت عليه الشرائع، وتطابقت على عدم إنكاره جميع الملل المقتدية بالرسل وإلى الله لا إلى غيره أدعو وإليه وحده، لا إلى غيره مرجعي. ٣٧- ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيّٗاۚ﴾ أنزلنا القرآن مشتملاً على أصول الشرائع وفروعها مبينة بلسان العرب، كما أنزلنا الكتب على الرسل بلغاتهم ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم﴾ التي يطلبون منك موافقتهم عليها ﴿بَعۡدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ الذي علمك الله إياه. مالك من الله من يلي أمرك وينصرك ولا من يقيك من عذابه. ٣٨- ﴿وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَذُرِّيَّةٗۚ﴾ أي: إن الرسل هم من جنس البشر، لهم أزواج من النساء، ولهم ذرية توالدوا منهم ومن أزواجهم، ولم نرسل الرسل من الملائكة الذين لا يتزوجون ولا يكون لهم ذرية، فلست يا محمد بدعا من الرسل في ذلك، فما بالكم تنكرون عليه ما كان عليه الأنبياء قبله؟ ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ﴾ معجزة، ومن جملتها ما اقترحه عليه الكفار ﴿إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ﴾ سبحانه ولكل أمر مما قضاه الله أجل. ٣٩- ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ﴾ مما في الكتاب المذكور، فيمحو ما يشاء محوه، من شقاوة، أو سعادة، أو رزق، أو عمر، أو خير، أو شر، ويبدل هذا بهذا، ويجعل هذا مكان هذا. وقيل: يمحو ما يشاء من الشرائع فينسخه، ويثبت ما يشاء فلا ينسخه وأصله الذي لا تبديل فيه ولا تغيير. ٤٠- ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ أي: إن أريناك بعض ما نعدهم من العذاب قبل موتك، أو توفيناك قبل أن تراه ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ﴾ أي: فليس عليك إلا =

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ
شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾

سُورَةُ إبراهِيمَ

ترتيبها ١٤ — آياتها ٥٢

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ
إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾
ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ
لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ
ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا
مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ
مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ
﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ
قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ
ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾

٢٥٥

= تبليغ أحكام الرسالة ﴿وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾ أي محاسبتهم بأعمالهم، ومجازاتهم عليها، وليس عليك أن تتكفل بأن ينتهي الأمر في حياتك بإيمانهم أو تعذيبهم. ٤١ - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾ يعني أهل مكة ﴿أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ أي نأتي أرض الكفر ننقصها من أطرافها بالفتوح على المسلمين منها شيئًا فشيئًا ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾ أي يحكم ما يشاء في خلقه، فيرفع هذا، ويضع هذا، ويحيي هذا، ويميت هذا، وقد حكم بعزة الإسلام وعلوه على الأديان ﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾ لا يتعقب أحد حكم الله سبحانه بنقض ولا تغيير ﴿وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ فيجازي المحسن والمسيء على وجه السرعة لا يرهقه حسابهم، ولا تشغله محاسبة أحد منهم عن محاسبة غيره من الناس بل يحاسبهم جميعًا في وقت واحد. ٤٢ - ﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ مكر الكفار الذين من قبل كفار مكة بمن أرسله الله إليهم من الرسل، فكادوهم وكفروا بهم، ومكرهم هذا كالعدم ﴿فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ أي لا اعتداد بمكر غيره فلا قيمة له ولا تأثير له في مواجهة مكر الله تعالى بالماكرين ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ ومن علم ما تكسب كل نفس وأعد لها جزاءها كان المكر كله له، ولا أثر لمكر غيره في مقابلة مكره ﴿لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾﴾ لمن العاقبة المحمودة من الفريقين في دار الدنيا، أو في الدار الآخرة. ٤٣ - ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ أي: لست يا محمد مرسلاً إلى الناس من الله ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ فهو يعلم صحة رسالتي، وصدق دعوتي، ويشهد لي بذلك بما أجراه على يدي من المعجزات، وتلك شهادة كافية، وهو يعلم كذبكم في تكذيبي وردكم شهادته ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ من أسلم منهم كعبد الله بن سلام، فهم يشهدون لي بالرسالة، وقيل: المراد: من عنده علم اللوح المحفوظ، وهو الله سبحانه.

سُورَةُ إبراهِيمَ

هي مكية ١ - ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ﴾ كتاب: أي هذا القرآن كتاب أنزلته إليك يا محمد ﴿لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ من ظلمات الكفر، والجهل والضلالة، إلى نور الإيمان، والعلم والهداية ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ بما أذن لك من تعليمهم ودعائهم إلى الإيمان وإلى طريقة الله الواضحة التي شرعها لعباده. ٢ - ﴿وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ الويل: كلمة تقال للعذاب والهلكة، فحقت بذلك كلمته سبحانه وتعالى على من لم يخرج من الكفار بهداية رسول الله ﷺ أن عليه الويل ﴿مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾﴾ قيل المعنى: أنهم يولولون ويضجون من العذاب الشديد الذي صاروا فيه، وقيل: الويل العذاب نفسه. ٣ - ومن صفات الجاحدين أنهم يؤثرون الحياة الدنيا وشهواتها لمحبتهم لها على الآخرة الدائمة والنعيم الأبدي لأنهم لا يؤمنون بالآخرة ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ بصرف الناس عنها ومنعهم منها ويطلبون لها زيغًا وميلاً لموافقة أهوائهم وقضاء حاجاتهم وأغراضهم فهم في بُعد عن الحق =

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ
إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ
وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى
ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ
رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ
عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ
جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ
مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ
بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ
فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم
بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ قَالَتْ
رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ
لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ
مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا
عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾

نصف الحزب ٢٦

= والصواب لأنهم في ضلال كبير.
٤- ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ أي متكلمًا بلغتهم، ليفهم عنه المرسل إليهم ما يقوله لهم ويسهل عليهم، ولو كان بلسان غيرهم فإنهم لا يدرون ما يقول، ولا يفهمون ما يخاطبهم به ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ ما أمرهم الله به من الشريعة التي شرعها لهم، وهم يبينونه لمن كان على غير لسانهم ويوضحونه، حتى يصير فاهمًا له كفهمهم إياه ﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ﴾ أي: ثم إن الرسول متى بيَّن لقومه شرع الله بلسانهم فإنه لا يقدر أن يهدي أحدًا، والمضل والهادي هو الله عز وجل. ٥- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ هي المعجزات التسع التي لموسى وقلنا له في مضمون الرسالة أخرج بني إسرائيل الذين هم في ملك فرعون واستعباده من الكفر أو من الجهل الذي قالوا بسببه: اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة ومن العبودية إلى الإيمان أو إلى العلم أو الحرية ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ أي بوقائعه وبنعم الله عليهم، وبنقم أيام الله التي انتقم فيها من قوم نوح وعاد وثمود إن في ذلك التذكير بأيام الله لدلالات عظيمة دالة على التوحيد وكمال القدرة ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ أي: كثير الصبر على المحن والمنح ﴿شَكُورٍ ﴿٥﴾﴾ كثير الشكر للنعم التي أنعم الله بها عليه. ٦- ﴿إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ وذلك لما خرج بهم موسى من أرض مصر، وفلق الله لهم البحر وأغرق فرعون وجنوده ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ وهو استعبادهم واستعمالهم في الأعمال الشاقة ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ من الذكور ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ أي: يتركونهن في الحياة لإهانتهن وإذلالهن ﴿وَفِى ذَٰلِكُم﴾ المذكور من أفعالهم ﴿بلاء من ربكم عظيم﴾ أي ابتلاء لكم.
٧- ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾ أي أعلن لكم إعلانًا عامًا لتسمعوا قوله وتعقلوه فقال ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ﴾ أي: لئن شكرتم إنعامي عليكم بما ذكر لأزيدنكم نعمة إلى نعمة تفضلاً مني. ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾ ذلك وجحدتموه ﴿إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ فلا بد أن يصيبكم منه ما يصيب.
٨- وقال موسى إن تكفروا نعمته تعالى أنتم وجميع الخلق ولم تشكروها ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ﴾ عن شكركم لا يحتاج إليه، ولا يلحقه بذلك نقص مستوجب للحمد لذاته لكثرة إنعامه، والنفع من حمدكم لذاته لكثرة إنعامه، والنفع من حمدكم لله وشكركم له عائد عليكم حتى يكون راضيًا عنكم ويزيدكم من فضله. ٩- يحتمل أن يكون هذا خطابًا من موسى لقومه، فيكون داخلاً تحت التذكير بأيام الله، ويحتمل أن يكون من كلام الله سبحانه ابتداء خطاب من الله سبحانه لقوم محمد ﷺ تحذيرًا لهم عن مخالفته، على سبيل الاستطراد والذين من بعد هؤلاء المذكورين ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ أي: لا يحصي عددهم ويحيط بهم علمًا إلا الله سبحانه ﴿فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ أي: جعلوا أيدي أنفسهم في أفواههم ليعضوها غيظًا مما جاءت به الرسل، لأن الرسل جاءتهم بتسفيه أحلامهم وشتم أصنامهم، وقيل: جعلوا أيديهم في أفواه الرسل ردًا لقولهم ﴿وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ﴾ أي: في شك من الإيمان بالله وحده وترك ما سواه ﴿مُرِيبٍ ﴿٩﴾﴾ أي: موجب للريب في حقيقة ما أتيتمونا به. أي: هو أمر غير يقيني فكيف تريدونا أن نؤمن به؟ إنا نشك في صحة نبوتكم. ١٠- قالت رسلهم، =

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ
يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم
بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ
﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ
وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ
﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ
أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ
ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُوا۟
وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ
مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ
وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن
وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ
أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ
مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾

= أفي وحدانية الله سبحانه شك، وهي في غاية الوضوح والجلاء ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: خالقهما ومخترعهما ومبدعهما وموجدهما بعد العدم ﴿يَدْعُوكُمْ﴾ إلى الإيمان به وتوحيده ليغفر لكم خطاياكم ويؤخر بقاءكم في الدنيا إلى نهاية آجالكم. فرد الكفار قائلين ما نراكم إلا رجالاً مثلنا في الهيئة والصورة، تأكلون وتشربون كما نأكل ونشرب، ولستم ملائكة، تريدون أن تصرفونا عن معبودات آبائنا من الأصنام ونحوها ﴿فَأْتُونَا﴾ إن كنتم صادقين بأنكم مرسلون من عند الله بحجة ظاهرة تدل على صحة ما تدعونه. ١١- ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ في الصورة والهيئة والخلقة حقيقة كما قلتم ولكن الله يتفضل على من يشاء منهم بالنبوة. وقد شاء أن يتفضل علينا بذلك، وما صح ولا استقام لنا أن نأتيكم بحجة من الحجج إلا بمشيئته سبحانه وليس ذلك في قدرتنا، قيل: المراد بالسلطان هنا هو ما يطلبه الكفار من الآيات على سبيل التعنت وعلى الله وحده فليتوكل المؤمنون في جميع أمورهم. ١٢- وأي عذر لنا في ألا نتوكل عليه سبحانه والحال أنه قد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه من هدايتنا إلى الطريق الموصل إلى رحمته وإننا نُقسم على أننا سوف نصبر على ما يقع منكم من التكذيب لنا والاقتراحات الباطلة وعلى الله وحده دون من عداه يعتمد المؤمنون. ١٣- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ هم طائفة المتمردين ﴿لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾ خيروهم بين الخروج من أرضهم، أو العود في ملتهم الكفرية، أي أصروا على أن ينفذوا فيهم واحدًا من هذين الأمرين. وهذا منهم ظلم وعدوان، أن يخرجوا الأنبياء من دورهم وأرضهم وأهلهم لمجرد أنهم جاءوهم بدعوة الله فأخبر الله رسله في تلك الحال الخطيرة لنعاقبن الجاحدين بالهلاك. ١٤- ﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: أرض هؤلاء الكفار الذين توعدوكم بما توعدوا من الإخراج أو العود ﴿ذَٰلِكَ﴾ ما تقدم من إهلاك الظالمين وإسكان المؤمنين في مساكنهم ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِى﴾ أي موقفي، وذلك يوم الحساب. ﴿وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ أي خاف وعيدي بالعذاب، وقيل: هو نفس العذاب. ١٥- واستنصر الرسل بالله على أعدائهم، وقيل المعنى: طلب الكفار من الله أن يقضي بينهم وبين الرسل، فيهلك الظالم وينصر المظلوم، فلما قضى الله بينهم نصر الرسل والمؤمنين ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾﴾ الجبار: المتكبر الذي لا يرى لأحد عليه حقًا، والعنيد: المعاند للحق والمجانب له، الذي أبى أن يقول لا إله إلا الله. ١٦- ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ﴾ أي: جهنم في طلبه، وسوف تدركه ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾﴾ الصديد ما يسيل من جلود أهل النار من القيح والدم. ١٧- يتحساه مرة بعد مرة، لا مرة واحدة، لمرارته وحرارته ولا يكاد يبتلعه، بل يغص به فيطول عذابه بالعطش تارة، ويشربه على هذه الحال أخرى وتأتيه أسباب الموت من كل جهة من الجهات ولكن لا يموت بها فيستريح من الآلام والشدة.١٨- ﴿أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ﴾ أعمالهم باطلة غير مقبولة يمحقها كما تمحق الريح الشديدة الرماد في يوم عاصف، فإنها تحمله بسرعة، وتنثره في كل مكان حتى لا يقدر عليه، ويبقى مكانه خاليًا لا شيء فيه =

أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ إِن يَشَأۡ
يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ١٩ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ
٢٠ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعٗا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ
إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ
مِن شَيۡءٖۚ قَالُواْ لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيۡنَٰكُمۡۖ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ
أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ ٢١ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ
لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ
فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ
فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠
بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ
أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ
٢٢ وَأُدۡخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ
تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡۖ تَحِيَّتُهُمۡ
فِيهَا سَلَٰمٌ ٢٣ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ
كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٢٤

= ﴿لَا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ﴾ من تلك الأعمال الباطلة، ولا يرون له أثرًا في الآخرة يجازون به ويثابون عليه ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٨﴾ عن طريق الحق.

١٩- ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ﴾ بالوجه الصحيح الذي يحق أن يخلقها عليه ليستدل بها على كمال قدرته ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ١٩﴾ يهلك العصاة ويأتي بمن يطيعه من خلقه، من نوع الإنسان أو من نوع آخر.

٢٠- ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ٢٠﴾ أي بممتنع لأنه سبحانه قادر على كل شيء.

٢١- وخرجوا من قبورهم يوم القيامة إلى البراز، وهو المكان الواسع الظاهر، وهو المحشر، واجتمعوا جميعًا فقال الأتباع الضعفاء للرؤساء الأقوياء المتكبرين لما هم فيه من الرياسة ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا﴾ أي في الدنيا، فكذبنا الرسل، وكفرنا بالله متابعة لكم ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا﴾ أي: دافعون عنا ﴿مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ﴾ أي: بعض الشيء الذي هو عذاب الله ﴿قَالُواْ لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ إلى الإيمان ﴿لَهَدَيۡنَٰكُمۡۖ﴾ إليه. ويستوي علينا الجزع والصبر ما لنا منجى ومهرب من العذاب. ٢٢- ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ لما دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ﴾ بالبعث والحساب، ومجازاة المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته ﴿وَوَعَدتُّكُمۡ﴾ أي: وعدتكم وعدًا باطلًا، بأنه لا بعث ولا حساب ولا جنة ولا نار ﴿فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ﴾ ما وعدتكم به من ذلك ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ﴾ أي تسلط عليكم، لكن دعوتكم إلى الكفر وحسنته ولم ألزمكم به، فسارعتم إلى إجابتي ﴿فَلَا تَلُومُونِي﴾ بما وقعتم فيه بسبب وعدي لكم بالباطل وإخلافي لهذا ﴿وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم﴾ باستجابتكم لي بمجرد الدعوة، وتركم لوعد الله الحق، ودعوته لكم إلى دار السلام، مع قيام الحجة التي لا تخفى على عاقل، ولا تلتبس إلا على مخذول، وما أنا بمغيثكم مما أنتم فيه من العذاب، وما أنتم بمغيثيَّ مما أنا فيه، أي: أن الشيطان في تلك الحالة مبتلى بما ابتلوا به من العذاب، محتاج إلى من يغيثه ويخلصه مما هو فيه، فكيف يطمعون في إغاثة من هو محتاج إلى من يغيثه، ثم صرح لهم بأنه كافر بإشراكهم له مع الله في الربوبية، ولقد قام لهم الشيطان في هذا اليوم مقامًا يقصم ظهورهم، ويقطع قلوبهم.

٢٣- تحية الملائكة لهم في الجنة التسليم عليهم بإذن ربهم.

٢٤- وهي كلمة الإسلام: أي لا إله إلا الله، أو كل كلمة تأمر بمعروف أو تنهي عن منكر، أي شبه الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة، أصلها في الأرض وأغصانها مرتفعة في السماء وكذلك كلمة التوحيد راسخة في قلب المؤمن في دنياه وآخرته.

تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ
كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ
﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ
اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا
وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ
الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ
تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ
آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴿٣١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ
بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ
فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ
الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٢٦

٢٥- ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ بإرادته ومشيئته، قيل: وهي نخلة تثمر كل ساعة من الساعات من ليل أو نهار في جميع الأوقات من غير فرق بين شتاء وصيف، وكذلك كلمة التوحيد وكلمة الخير تثمر الخير، وتدفع حاملها إلى العمل الصالح في كل حين، ويدخل بسببها الجنة. ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ في ضرب الأمثال زيادة تذكير وتفهيم وتصوير للمعاني. ٢٦- ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ هي كلمة الكفر، وكل كلمة تدعو إلى شر ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ قيل: هي شجرة الحنظل. استؤصلت واقتلعت من أصلها فهي تموت وتذروها الريح ما لها من استقرار على الأرض، وكذلك كلمة الكفر والباطل والشر نهايتها إلى الفناء، بل الكافر وكلمة الكفر لا حجة له ولا ثبات فيه، ولا خير يأتي منه أصلاً، ولا يصعد له قول طيب ولا عمل طيب.
٢٧- ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ وهي الكلمة الطيبة المتقدم ذكرها: كلمة الشهادة «**شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله**» وسائر الكلام الحق، فإن الآخذين بها يدومون على القول الثابت في وقت المساءلة في القبر، ويوم القيامة. والمراد أنهم إذا سئلوا عن معتقدهم ودينهم أوضحوا ذلك بالقول الثابت من دون تلعثم ولا تردد ولا جهل، كما يقول من لم يوفق: لا أدري، فيقال له: لا دريت ولا تليت ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ أي يضلهم عن حجتهم فلا يقدرون على التكلم بها في قبورهم، ولا عند الحساب.
٢٨- ﴿بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ تعجيب من حال الكفار حيث جعلوا بدل الشكر لنعمة الله عليهم الكفر بها، وذلك بتكذيبهم محمدًا ﷺ حين بعثه الله منهم، وأنعم الله عليهم به ﴿وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾ وهي جهنم، والبوار: الهلاك، وقيل: هم قادة قريش أحلوا قومهم يوم بدر دار البوار، وهو القتل الذي أصيبوا به. ٢٩- ﴿وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾ بئس المقر جهنم. ٣٠- وجعلوا لله شركاء في الربوبية ليوقعوا قومهم في الضلال عن سبيل الله ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا﴾ بما أنتم فيه من الشهوات، وإضلال الناس فإن مردكم ومرجعكم إلى النار ليس إلا. ٣١- ﴿وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ أي: مسرين ومعلنين، وقيل: السر التطوع والعلانية الفرض ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴿٣١﴾﴾ المعنى: أن يوم القيامة لا بيع فيه حتى يفتدي المقصر في العمل نفسه من عذاب الله بدفع عوض عن ذلك، وليس هناك مخاللة حتى يشفع الخليل لخليله وينقذه من العذاب. ٣٢- ﴿فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ أخرج بذلك الماء من الثمرات المتنوعة رزقًا لبني آدم يعيشون به ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ﴾ فجرت على إرادتكم واستعملتموها في مصالحكم ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾﴾ أي ذللها لكم بالركوب عليها، والإجراء لها إلى حيث تريدون.
٣٣- ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ لتنتفعوا بهما وتستضيئوا بضوئهما أي: دائبين في إصلاح ما يصلحانه من النبات وغيره، =

وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ
لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤ وَإِذۡ
قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ
أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ
فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٦
رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ
ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ
تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧
رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ
فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٣٨ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي
عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٩
رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ
دُعَآءِ ٤٠ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ
ٱلۡحِسَابُ ٤١ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ
ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ٤٢

= وقيل دائبين في السير امتثالاً لأمر الله لا يفتران عن السير. ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ٣٣﴾ يتعاقبان، فالنهار لسعيكم في أمور معاشكم، والليل لتسكنوا فيه. ٣٤- ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُ﴾ أي ومن كل ما لم تسألوه وإن تعدوا نعمة الله لا تطيقوا إحصاءها بوجه من الوجوه، ولو رام فرد من أفراد العباد أن يحصي ما أنعم الله به عليه في خلق عضو من أعضائه، أو حاسة من حواسه، لم يقدر على ذلك قط، فكيف بما عدا ذلك من النعم في جميع ما خلقه الله في بدنه، والنعم الواصلة إليه في كل وقت على تنوعها واختلاف أجناسها. اللهم إنا نشكرك على كل نعمة أنعمت بها علينا مما لا يعلمه إلا أنت ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ﴾ لنفسه بإغفاله لشكر نعم الله عليه ﴿كَفَّارٞ ٣٤﴾ أي: شديد كفران نعم الله عليه، جاحد لها، غير شاكر لله سبحانه عليها كما ينبغي عليه. ٣٥- ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ﴾ أي: اذكر وقت قوله. رأى بعض المفسرين أن ذكر قصة إبراهيم ها هنا كمثال للكلمة الطيبة التي تثمر الخير كل وقت، لقصد الدعاء إلى التوحيد ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا﴾ مكة: دعا إبراهيم ربه أن يجعله آمنًا ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥﴾ قيل: أراد بنيه من صلبه، وقيل أراد جميع ذريته ما تناسلوا. والصنم: هو التمثال الذي كانت تصنعه أهل الجاهلية من الأحجار ونحوها فيعبدونه. ٣٦- ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ مع كونها جمادات لا تعقل، لأنها سبب لضلالهم، فكأنها أضلتهم ﴿فَمَن تَبِعَنِي﴾ في ديني فصار مسلمًا موحدًا ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾ أي من أهل ديني ﴿وَمَنۡ عَصَانِي﴾ فلم يتابعني ويدخل في ملتي ﴿فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٦﴾ قادر على أن تغفر له، قيل: المراد عصيانه هنا فيما دون الشرك. ٣٧- ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي﴾ إسماعيل وولده ﴿بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ﴾ أي لا زرع فيه، وهو وادي مكة ﴿عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾ قيل إنه محرم على الجبابرة، ومحرم من أن تنتهك حرمته، أو يستخف به ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي أسكنتهم ليقيموا الصلاة فيه فاجعل قلوب بعض الناس ﴿تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ ﴿وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ التي تنبت فيه، أو تجلب إليه ﴿لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾ نعمك التي أنعمت بها عليهم. ٣٨- ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُ﴾ أي ما نكتمه وما نظهره. ٣٩- ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ﴾ أي وهب لي على كبر سني وسن امرأتي، قيل: ولد له إسماعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة، وولد له إسحاق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة. ٤٠- ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ أي اجعلني واجعل بعض ذريتي مقيمين للصلاة، علم أن منهم من لا يقيمها كما ينبغي. ٤١- وطلب من الله أن يغفر لوالديه، قيل: إنه دعا لهما بالمغفرة قبل أن يعلم أنهما عدوان لله سبحانه ﴿وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ خص المؤمنين من عباد الله بدعاء المغفرة، إذ لا يجوز الدعاء للكفار بها ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ٤١﴾ أي يوم يثبت حساب المكلفين في المحشر. ٤٢- ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي لا =

مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ
هَوَآءٞ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوۡمَ يَأۡتِيهِمُ ٱلۡعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ
ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ نُّجِبۡ دَعۡوَتَكَ وَنَتَّبِعِ
ٱلرُّسُلَۗ أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ مَا لَكُم
مِّن زَوَالٖ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمۡ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ
أَنفُسَهُمۡ وَتَبَيَّنَ لَكُمۡ كَيۡفَ فَعَلۡنَا بِهِمۡ وَضَرَبۡنَا
لَكُمُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ وَعِندَ ٱللَّهِ
مَكۡرُهُمۡ وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ
﴿٤٦﴾ فَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخۡلِفَ وَعۡدِهِۦ رُسُلَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٞ
ذُو ٱنتِقَامٖ ﴿٤٧﴾ يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ
وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ
مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٖ وَتَغۡشَىٰ
وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجۡزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡۚ
إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ
بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٢﴾

٢٦١

= يقع في ظنك إذ ترى الظالمين في صحة وأمن ونعمة أن الله تعالى غفل عن استحقاقهم للعذاب ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ﴾ أي يؤخر جزاءهم بظلمهم، فلا يؤاخذهم في الحال، بل يؤخرهم ﴿لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾ أي: ترفع فيه أبصار أهل الموقف ولا تغمض، من هول ما تراه في ذلك اليوم، بقيت مفتوحة لا تتحرك من شدة الحيرة والدهشة. ٤٣- مسرعين رافعي رؤوسهم إلى السماء ينظرون إليها نظر فزع وذل، ولا ينظر بعضهم إلى بعض، لا ترجع إليهم أبصارهم وأفئدتهم خالية عن العقل والفهم لما شاهدوا من الفزع والحيرة والدهش. ٤٤- وخوفهم يوم القيامة وحذرهم منه فيقول الكفار: ربنا أمهلنا إلى أمد من الزمان معلوم غير بعيد ﴿نُّجِبۡ دَعۡوَتَكَ﴾ لعبادك على ألسن أنبيائك ﴿وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ﴾ فنعمل بما بلغوه إلينا من شرائعك، ونتدارك ما فرط منا من الإهمال ﴿أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ ﴿٤٤﴾﴾ أي: فيقال لهم توبيخًا وتقريعًا: أولم تكونوا حلفتم أنكم باقون مخلدون في الدنيا وأن ليس هناك قيامة؟

٤٥- ﴿وَسَكَنتُمۡ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ أي استقررتم فيها، وهي بلاد ثمود ونحوهم من الكفار الذين ظلموا أنفسهم بالكفر بالله والعصيان له ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمۡ كَيۡفَ فَعَلۡنَا بِهِمۡ﴾ تبين لكم بمشاهدة الآثار كيف فعلنا بهم من العقوبة والعذاب الشديد بما فعلوه من الذنوب ﴿وَضَرَبۡنَا لَكُمُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴿٤٥﴾﴾ في كتب الله وعلى ألسنة رسله إيضاحًا لكم وتقريرًا، وتكميلاً للحجة عليكم، أي: فلم تتعظوا بذلك كله، بل أصررتم على التكذيب، كأن الأمر لعب وليس جدًا. ٤٦- وقد تآمر المشركون على الرسول ﷺ لقتله وعند الله تعالى أخبار تآمرهم وإن كانوا ما فعلوه من الخبث لتزول منه الجبال الراسخة. ٤٧- ﴿فَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخۡلِفَ وَعۡدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾ المراد ما وعدهم سبحانه بقوله ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ و ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ﴾ إن الله غالب لا يغالبه أحد ينتقم من أعدائه لأوليائه. ٤٨- المراد: تغير صفاتها، وقيل: تغير ذاتها وتبدل السماوات غير السماوات على الاختلاف الذي مر وظهروا من قبورهم، أو ظهر من أعمالهم ما كانوا يكتمونه. ٤٩- ترى المشركين يوم القيامة مشدودين بعضهم مع بعض، أو قرنوا مع الشياطين، أو: جعلت أيديهم مقرونة إلى أرجلهم في الأغلال والقيود. ٥٠- قمصانهم من قطران تطلى به جلودهم، وخصّ القطران لسرعة اشتعال النار فيه مع نتن رائحته وتعلو وجوههم وتضر بها، وخص الوجوه لأنها أشرف ما في البدن، وفيها الحواس المدركة. ٥١- ﴿لِيَجۡزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ﴾ من خير أو شر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٥١﴾﴾ لا يشغله عنه شيء. ٥٢- ﴿هَٰذَا بَلَٰغٞ﴾ أي تبليغ وكفاية في الموعظة والتذكير لجميع الناس ولينصحوا ولينذروا وليخوّفوا به ليعلموا بالأدلة التكوينية المذكورة سابقًا، وبهذه الآيات القرآنية المتلوة في السورة، وحدانية الله سبحانه، وأنه لا شريك له وليتعظ أصحاب العقول التي تعقل وتدرك.

الجزء ١٤ الحزب ٢٧

سُورَةُ الحِجْرِ

آياتها ٩٩ — ترتيبها ١٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟
وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا
مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ
أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ
ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ
مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟
إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن
رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى
قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ
﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ
﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾

٢٦٢

سُورَةُ الحِجْرِ

هي مكية بالاتفاق

١- ﴿تِلْكَ﴾ الإشارة بقوله تلك إلى ما تضمنته هذه السورة من الآيات، والكتاب هو القرآن، جمع له بين الاسمين. ٢- والمراد: أنه عندما ينكشف لهم الأمر، ويتضح بطلان ما كانوا عليه من الكفر، وأن الدين عند الله سبحانه هو الإسلام لا دين غيره، يحصل منهم التمني أن يكونوا قد أسلموا، ولكن أمنيتهم تكون لمجرد التحسر والتندم ولوم النفس على ما فرطت في جنب الله. ٣- هذا تهديد لهم: أي دعهم فهم لا يرعوون أبدًا ولا يخرجون من باطل إلى حق، واتركهم على ما هم فيه من الاشتغال بالأكل والتمتع بزهرة الدنيا، فإنهم كالأنعام التي لا تهتم إلا بذلك، واتركهم على ما هم عليه من إلهاء الأمل لهم عن اتباعك، فسوف يعلمون عاقبة أمرهم وسوء صنيعهم. ٤- أجل مقدر لا تتقدم عليه ولا تتأخر عنه غير مجهول ولا منسي.

٥- لا يأتي هلاكها قبل مجيء أجلها وما يتأخرون عنه، فإن هذا الإمهال لا ينبغي أن يغتر به العقلاء. ٦- وقال كفار مكة - لرسول الله ﷺ متهكمين به - يا أيها الذي نزل عليه الذكر في زعمه، وعلى وفق ما يدعيه إنك لمجنون، فإنه لا يدعي مثل هذه الدعوى العظيمة عندهم من كان عاقلاً. ٧- ﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ ليشهدوا على صدقك ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾﴾ وقيل المعنى: لوما تأتينا بالملائكة فيعاقبونا على تكذيبنا لك. ٨- ﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ فيما تقتضيه الحكمة الإلهية والمشيئة الربانية، وليس هذا الذي اقترحتموه مما يحق عنده تنزيل الملائكة ﴿وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾﴾ أي: ولو نزلنا الملائكة لعوجلوا بالعقوبة. ٩- ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ الذي أنكروه ونسبوك بسببه إلى الجنون ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ عن كل ما لا يليق به من تصحيف وتحريف وزيادة ونقص ونحو ذلك. ١٠- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ رسلاً في أممهم وأتباعهم وسائر فرقهم وطوائفهم.

١١- وما يأتي رسول من الرسل شيعته إلا كانوا به يستهزئون، كما يفعله هؤلاء الكفار مع محمد ﷺ.

١٢- كذلك نسلك الضلال في قلوب المجرمين. ١٣- لا يؤمنون بالذكر الذي أنزلناه وقد مضت طريقتهم التي سنها الله في إهلاكهم، حيث فعلوا ما فعلوا من التكذيب والاستهزاء. ١٤- ولو فتحنا على هؤلاء المعاندين لمحمد ﷺ المكذبين له المستهزئين به ﴿بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ ومكناهم من الصعود إليه فظلوا في ذلك الباب يصعدون بآلة أو بغير آلة حتى يشاهدوا ما في السماء من عجائب الملكوت.

١٥- ﴿لَقَالُوٓا۟﴾ أي الكفار لفرط عنادهم وزيادة عتوهم ﴿إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا﴾ وهو سدها عن الإحساس، وقيل: هو من سكر الشراب ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾ وفي هذا بيان لعنادهم: إذا رأوا آية توجب عليهم الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله نسبوا إلى أبصارهم أن إدراكها غير حقيقي لعارض السكر، أو أن عقولهم قد سحرت فصار إدراكهم غير صحيح.

وَلَقَدۡ جَعَلۡنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾
وَحَفِظۡنَٰهَا مِن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسۡتَرَقَ ٱلسَّمۡعَ
فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ مُّبِينٞ ﴿١٨﴾ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا
رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ ﴿١٩﴾ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا
مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسۡتُمۡ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا
خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٢١﴾ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ
لَوَٰقِحَ فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ
بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾
وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَقۡدِمِينَ مِنكُمۡ وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَـٔۡخِرِينَ ﴿٢٤﴾
وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحۡشُرُهُمۡۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ
مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٢٦﴾ وَٱلۡجَآنَّ خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ مِن نَّارِ
ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن
صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن
رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ
أَجۡمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾

١٦- البروج: النجوم السيارة، وهي الاثنا عشر المشهورة. والمعرفة بمواقع النجوم ومنازلها من أجلّ العلوم، يستدلون بها على الطرقات والأوقات. ﴿وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ (١٦)﴾ وجمال السماء بنجومها لا يخفى على أحد، أو للمتفكرين المعتبرين المستدلين.

١٨- ﴿إِلَّا مَنِ ٱسۡتَرَقَ ٱلسَّمۡعَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ مُّبِينٞ (١٨)﴾ حفظنا السماء من الوحي وغيره إلا من استرق السمع فإنها تتبعه الشهب فتقتله أو تخبله.

١٩- والأرض بسطناها وفرشناها وألقينا فيها جبالاً ثابتة وأنبتنا في الأرض من كل شيء مقدر معلوم، وقيل: موزون بميزان الحكمة، ومقدر بقدر الحاجة. ٢٠- المعنى: وجعلنا لمن لستم له برازقين فيها معايش وهم سائر الناس غيركم، والدواب على اختلاف أجناسها. ٢١- المعنى: أن كل الممكنات مقدورة ومملوكة لله تعالى، يخرجها من العدم إلى الوجود بمقدار كيف شاء وما ننزله من السماء إلى الأرض أو نوجده للعباد على مقدار حاجة العباد إليه. ٢٢- ﴿وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ تلقح السحاب ببخار الماء فيمتلئ ماء، وتلقح الشجر ليثمر وجعلنا ذلك المطر لسقياكم ولشرب مواشيكم وأرضكم ﴿وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ (٢٢)﴾ في الآبار والغدران والعيون. ٢٣- ﴿وَنَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثُونَ (٢٣)﴾ أي للأرض ومن عليها، لأنه سبحانه الباقي بعد فناء خلقه الحي الذي لا يموت. ٢٤- ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَقۡدِمِينَ مِنكُمۡ وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَـٔۡخِرِينَ (٢٤)﴾ والمراد: من تقدم ولادة وموتًا، ومن تأخر فيهما، وقال الحسن: المستقدمين في طاعة، والمستأخرين فيها. ٢٥- يجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، لأنه الأمر المقصود من الحشر. ٢٦- ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ هو آدم والصلصال هو الطين اليابس، يتصلصل إذا حُرك، فإذا طبخ في النار، فهو الفخار، والحمأ: الطين الأسود المتغير، والمسنون: هو المتغير، فالتراب لما بل صار طينًا، فلما أنتن صار حمأ مسنونًا، فلما يبس صار صلصالاً.

٢٧- هو إبليس، وسمي جانًّا لتواريه عن الأعين، والسموم الريح الحارة النافذة في المسام، تكون بالنهار الحار.

٢٩- ﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ﴾ عدلت صورته الإنسانية وكملت أجزاءه ﴿وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ قال القرطبي: الروح جسم لطيف، أجرى الله العادة بأن يخلق الحياة في البدن مع ذلك الجسم، أضافه الله تعالى إلى نفسه إضافة خلق إلى خالق، فالروح خلق عجيب من خلقه ﴿فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ (٢٩)﴾ سجود تحية وتكريم لا سجود عبادة، ولله أن يكرم من يشاء من مخلوقاته كيف يشاء بما يشاء.

٣٠- ﴿فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ (٣٠)﴾ عند أمر الله لهم بذلك من غير تراخ.

٣١- ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ (٣١)﴾ قيل: كان من جنس الملائكة، ولكنه أبى ذلك استكبارًا وحسدًا لآدم فحقت عليه كلمة الله.

قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمۡ أَكُن
لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٣٣﴾ قَالَ
فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ
ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ
مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ
أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾
إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ
مُسۡتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ
ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٣﴾
لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ
ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾
وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ
﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ﴿٤٨﴾
۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي
هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئۡهُمۡ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾

ربع الحزب ٢٧

٣٣- ﴿قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٣٣﴾﴾ زعمًا منه أنه مخلوق من عنصر أشرف من عنصر آدم.

٣٤- ﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا﴾ أي من الجنة فإنك ملعون مطرود، لأن من يُطرد يرجم بالحجارة.

٣٥- وإن عليك الطرد والإبعاد من رحمة الله سبحانه مستمرًا عليك لازمًا لك إلى يوم الجزاء.

٣٦- قال رب أخرني وأمهلني ولا تمتني إلى يوم يبعث آدم وذريته، كأنه طلب ألا يموت أبدًا، لأنه إذا أخر موته إلى البعث فهو يوم لا موت فيه.

٣٧- فأجابه إلى ما طلبه، وأخبره بأنه من جملة من أخر آجالهم من مخلوقاته.

٣٨- وهو يوم القيامة ولم يؤخره إلى البعث.

٣٩- أي أقسم بإغوائك إياي لأزينن لهم ما داموا في الدنيا. والتزيين منه: إما بتحسين المعاصي لهم وإيقاعهم فيها، أو بشغلهم بزينة الدنيا عن فعل ما أمرهم الله به فلا يلتفتون إلى غيرها، ولأضلنهم عن طريق الهدى، وأوقعهم في طريق الغواية. ٤٠- إلا عبادك الذين استخلصتهم من الناس لعبادتك. ٤١- أي: حق عليَّ أن أراعيه، وهو ألا يكون لك على عبادي سلطان، وقيل المعنى: كقولك لمن تهدده: طريقك عليَّ ومصيرك إليَّ.

٤٢- المراد بالعباد هنا: هم المخلصون إلا من اتبعك من طريق الحق الواقعين في الضلال. ٤٣- أي موعد المتبعين الغاوين.

٤٤- ﴿لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ﴾ يدخل أهل النار منها، وإنما كانت سبعة لكثرة أهلها ﴿لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ﴾ أي من الأتباع الغواة ﴿جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ أي قدر معلوم متميز عن غيره.

٤٦- قيل لهم ﴿ٱدۡخُلُوهَا﴾ قبل أن يكونوا فيها. وقيل المعنى: إنهم لما صاروا في الجنات، فإذا انتقلوا من بعضها إلى بعض يقال لهم ادخلوها ﴿بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾﴾ بسلامة من الآفات، وأمن من المخافات، أو مسلمًا عليهم من الله عز وجل.

٤٧- الغل: الحقد والعداوة ﴿إِخۡوَٰنًا﴾ أي أخوة في الدين والتعاطف ﴿عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ ينظر بعضهم إلى وجوه بعض، والسرير هو المجلس الرفيع المهيأ للسرور.

٤٨- لا يمسهم فيها تعب.

٤٩- أي أخبرهم يا محمد أني أنا الكثير المغفرة لذنوبهم، الكثير الرحمة لهم.

٥١- أي: أخبرهم بما جرى على إبراهيم من الأمر الذي اجتمع فيه له الرجاء والخوف، ليعتبروا بذلك ويعلموا أنها سنة الله سبحانه في عباده.

إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا
لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن
مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ
فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ
رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ
﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا آلَ لُوطٍ
إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ
الْغَابِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ
إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ
يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ
بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ
وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ
دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ
يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَاتَّقُوا
اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾

٥٢- ﴿قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾ أي فزعون خائفون، قال هذا بعد أن قرب إليهم العجل فرآهم لا يأكلون منه، كما تقدم في سورة هود. ٥٣- قالت الملائكة لا تخف ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ كثير العلم: هو إسحاق. ٥٤- ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ﴾ أي مع حالة الكبر والهرم ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ عجب من حصول الولد له مع ما قد صار إليه من الهرم، فإن البشارة بها لا يكون عادة لا تصح. ٥٥- ﴿قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ أي باليقين الذي لا خلف فيه فلا تكن من الآيسين من ذلك الذي بشرناك به. ٥٦- أي: إنما استبعدت الولد لكبر سني لا لقنوطي من رحمة ربي. ٥٧- أي: فما أمركم وشأنكم؟ وما الذي جئتم به غير ما قد بشرتموني به؟ ٥٨- هم قوم لوط. ٥٩- ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾ فليسوا مجرمين ﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي آل لوط، وهم أهله وأتباعه وأهل دينه. ٦٠- ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ قضينا: حكمنا أنها من الباقين في العذاب مع الكفرة. ٦٢- أي قال لوط لا أعرفكم بل أنكركم. ٦٣- أي بالعذاب الذي كانوا يشكون فيه. ٦٤- ﴿وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ وهو العذاب النازل بهم لا محالة ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ في ذلك الخبر الذي أخبرناك. ٦٥- ﴿وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ﴾ أي كن من ورائهم تذودهم لئلا يتخلف منهم أحد فيناله العذاب ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ أي لا تلتفت أنت ولا يلتفت أحد منهم، فيرى ما نزل بهم من العذاب فيشتغل ويتباطأ عن سرعة السير ﴿وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ أي إلى الجهة التي أمركم الله سبحانه بالمضي إليها، قيل: هي أرض الخليل. ٦٦- ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ﴾ أي أوحينا إلى لوط ﴿ذَٰلِكَ الْأَمْرَ﴾ وهو إهلاك قومه، ثم فسره بقوله ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ أي: أن آخر من يبقى منهم يهلك وقت الصبح. ٦٧- أي: وجاء أهل مدينة قوم لوط، وهي سدوم، مستبشرين بأضياف لوط طمعًا في ارتكاب الفاحشة منهم. ٦٨- فـ ﴿قَالَ﴾ لهم لوط ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي﴾ رآهم على هيئة الأضياف، وقومه رأوهم مردًا حسان الوجوه فلذلك طمعوا فيهم ﴿فَلَا تَفْضَحُونِ﴾ بتعريضكم لهم بالفاحشة، فيعلموا أني عاجز عن حماية من نزل بي. ٦٩- ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في أمرهم ﴿وَلَا تُخْزُونِ﴾ من الخزي: وهو الذل والهوان خشي أن يلحقه ذلك إن عجز عن حماية أضيافه. ٧٠- أي: ألم نتقدم إليك وننهك عن أن تكلمنا في شأن أحد من الناس إذا قصدناه بالفاحشة. ٧١- ﴿قَالَ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ فتزوجوهن ﴿إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ الفاحشة بضيفي، فهؤلاء بناتي تزوجوهن حلالاً ولا تركبوا الحرام. ٧٢- ﴿لَعَمْرُكَ﴾ اتفق أهل التفسير في هذا أنه قسم من الله جل جلاله بمدة حياة محمد ﷺ وهو سبحانه يقسم بما شاء من مخلوقاته، كالنجم، والضحى، والشمس، والليل، ونحو ذلك ﴿لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ أي: لفي غوايتهم يضربون على غير تعقل ولا بصيرة، جعل الغواية لكونها تذهب بعقل صاحبها كما تذهب به الخمرة سكرة. ٧٣- ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ العظيمة، أو صيحة جبريل حال كونهم داخلين في وقت شروق الشمس. ٧٤- ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ أي: قلبنا مدينتهم بمن فيها من الناس حتى دفنوا تحتها =

قَالَ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ
يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا
سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾
فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ
الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ
﴿٨١﴾ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ
الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾
وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ
السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ
الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ
وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّي
أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾

٢٦٦

= ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ أي: من طين متحجر. ٧٥- ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور من قصتهم وبيان ما أصابهم لعلامات يستدل بها للمتفكرين الناظرين في الأمر، والواسم: الناظر إليك من قرنك إلى قدمك. ٧٦- ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ يعني قرى قوم لوط أو مدينتهم على طريق ثابت، وهي الطريق من المدينة إلى الشام. ٧٧- ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور من المدينة أو القرى وما صنعه الله بها من العذاب لما عصوا نبيهم، وأصروا على ارتكاب فاحشة اللواطة، وقطع الطريق وإتيان المنكر مجاهرين ﴿لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ يعتبرون بها. ٧٨- ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ والأيكة، الغيضة، وهي جماع الشجر، وأصحاب الأيكة: هم قوم شعيب. ٧٩- ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ مدينة قوم لوط، ومكان أصحاب الأيكة، أي وإن المكانين لبطريق واضح. ٨٠- ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ﴾ الحجر، اسم لديار ثمود قوم نبي الله صالح، وهي ما بين مكة وتبوك. ٨١- ﴿وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا﴾ المنزلة على نبيهم، ومن جملتها الناقة ﴿فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ غير معتبرين، ولهذا عقروا الناقة وخالفوا ما أمرهم به نبيهم.

٨٢- ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ أي يخرقونها في الجبال ﴿آمِنِينَ﴾ من العذاب ركونًا منهم على قوتها ووثاقتها. ٨٣- ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾ أي داخلين في وقت الصبح. ٨٤- أي لم يدفع عنهم شيئًا من عذاب الله ما كانوا يكسبون من الأموال وما ينحتون من البيوت والحصون في الجبال بل أخذتهم الرجفة وصاح بهم جبريل فهلكوا. ٨٥- ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ وهو ما فيهما من الفوائد والمصالح، وقيل: المراد بالحق مجازاة المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾ وعند إتيانها ينتقم الله ممن يستحق العذاب، ويحسن إلى من يستحق الإحسان ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ تجاوز عنهم واعف عفوًا حسنًا، وعاملهم معاملة الصفوح الحليم، قيل: وهذا منسوخ بآية القتال. ٨٦- أي الخالق للخلق جميعًا، العليم بأحوالهم وبالصالح والطالح منهم. ٨٧- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي﴾ أكثر المفسرين على أنها الآيات السبع من سورة فاتحة الكتاب، سميت مثاني: لأنها تثنى، أي: تكرر في كل صلاة. ﴿وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ جميع القرآن. ثم لما بين لرسوله ﷺ ما أنعم به عليه من هذه النعمة الدينية، نفره عن اللذات العاجلة الزائلة. ٨٨- فقال ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ﴾ أي لا تطمح ببصرك إلى زخارف الدنيا طموح رغبة فيها وتمنٍّ لها. والأزواج: الأغنياء وأشباههم، وإدامة النظر إليه تدل على استحسانه وتمنيه ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ حيث لم يؤمنوا وصمموا على الكفر والعناد ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ كناية عن التواضع ولين الجانب. ٨٩- أي المنذر المظهر لقومه ما يصيبهم من عذاب الله. ٩٠- أي: أنذرتكم ما أنزلنا على المقتسمين من العذاب، قيل: هم ستة عشر رجلاً بعثهم الوليد بن المغيرة أيام الموسم، فاقتسموا أنقاب مكة وفجاجها، يقولون لمن دخلها: لا تغتروا بهذا الخارج فينا فإنه مجنون، وربما قالوا: ساحر، وربما قالوا: شاعر، وربما قالوا: كاهن، فقيل لهم: مقتسمين. ٩١- ﴿الَّذِينَ﴾ =

نصف الحزب ٢٧

ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ
أَجۡمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ
عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ
يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ
أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن
مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾

سُورَةُ النَّحۡلِ

ترتيبها ١٦ — آياتها ١٢٨

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ
﴿١﴾ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ
أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ
ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ﴿٤﴾ وَٱلۡأَنۡعَٰمَ
خَلَقَهَاۖ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ
﴿٥﴾ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ﴿٦﴾

= ﴿جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾ أي أجزاء متفرقة، بعضه شعر، وبعضه سحر، وبعضه كهانة، ونحو ذلك. وقيل معنى عضين: إيمانهم ببعض الكتاب وكفرهم ببعض. ٩٢- فوربك لنسألن هؤلاء الكفرة أجمعين يوم القيامة. ٩٣- ﴿عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ في الدنيا من الأعمال التي يحاسبون عليها ويسألون عنها. ٩٤- ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ أي أظهر دينك وفرق جمعهم وكلمتهم، بأن تدعوهم إلى التوحيد، فإنهم يتفرقون بعد إظهار الدعوة، فيؤمن بك منهم قوم، ويكفر بك آخرون ﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾ أي لا تبال بهم ولا تلتفت إليهم إذا لاموك على إظهار الدعوة. ٩٥- ﴿إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴿٩٥﴾﴾ مع كونهم كانوا من أكابر الكفار، وأهل الشوكة فيهم. وهؤلاء المستهزئون كانوا خمسة من رؤساء أهل مكة: الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يغوث، والحرث بن الطلاطلة. وقد أهلكهم الله جميعًا وكفاه أمرهم في يوم واحد. ٩٦- ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ فلم يكن ذنبهم مجرد الاستهزاء، بل لهم ذنب آخر وهو الشرك بالله سبحانه ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾ كيف عاقبتهم في الآخرة. ٩٧- من رميك بالسحر والجنون والكهانة والكذب. ٩٨- ﴿وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾﴾ أي المصلين فإنك إذا فعلت ذلك، كشف الله همك، وأذهب غمك، وشرح صدرك. ٩٩- ﴿حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ أي الموت والمعنى: اعبد ربك أبدًا ما دمت حيًّا.

سُورَةُ النَّحۡلِ

هي مكية. وتسمى هذه السورة: سورة النِّعم بسبب ما عدد الله فيها. ١- ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ أي خروج محمد ﷺ وقيل: عقاب الله للمشركين، وقال جماعة من المفسرين: هو يوم القيامة، أي سيأتي لا محالة ﴿فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ﴾ فلا تطلبوا حضوره قبل ذلك ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿١﴾﴾ أي تنزه وترفع عن إشراكهم، أو عن أن يكون له شريك. ٢- ﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ﴾ أي إنما يُعلم الله أنبياءه بالوحي على ألسن الملائكة، يأتون به إلى من اختصه بذلك، وهم الأنبياء ﴿أَنۡ أَنذِرُوٓاْ﴾ أي اعلموا الناس ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ أي مروهم بتوحيدي وأعلموهم ذلك مع تخويفهم ﴿فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾﴾ تحذير لهم من الشرك بالله. ٣- ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ﴾ أي أوجدهما على هذه الصفة للدلالة على قدرته ووحدانيته ﴿تَعَٰلَىٰ﴾ الله ﴿عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣﴾﴾ أي ترفع وتقدس عن إشراكهم، أو عن شركة الذي يجعلونه شريكًا له. ٤- ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ﴾ من جماد يخرج من حيوان، وهو المني، فنقله أطوارًا إلى أن كملت صورته، ونفخ فيه الروح، وأخرجه من بطن أمه إلى هذه الدار فعاش فيها ﴿فَإِذَا هُوَ﴾ بعد خلقه على هذه الصفة ﴿خَصِيمٞ﴾ أي: كالمخاصم لله سبحانه في قدرته ﴿مُّبِينٞ ﴿٤﴾﴾ ظاهر الخصومة واضحها. ٥- ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۖ لَكُمۡ﴾ وهي الإبل والبقر والغنم ﴿فِيهَا دِفۡءٞ﴾ وهو ما استدفئ به =

وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ
الْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ
وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾
وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ ۚ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ
شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنبِتُ لَكُم
بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ
الثَّمَرَاتِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾
وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ وَالنُّجُومُ
مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ۗ إِنَّ
فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي
سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا
مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ
وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾

= من أصوافها وأوبارها وأشعارها ﴿وَمَنَافِعُ﴾ وهي درّها، وركوبها، ونتاجها، والحراثة بها، ونحو ذلك ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾﴾ أي من لحومها وشحومها. ٦- ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ تجمل وتزيُّن عند الناظرين إليها ﴿حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾﴾ وقت ردها من مراعيها، ووقت تسريحها إليها. ٧- ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾ وهو متاع المسافر من طعام وغيره، وقيل المراد: تحمل أبدانهم ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ﴾ أي: لم تكونوا واصلين إليه لو لم يكن معكم إبل تحمل أثقالكم إلا بمشقة تنالكم وترهق أبدانكم. ٨- ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ﴾ أي: وخلق لكم هذه الثلاثة الأصناف ﴿لِتَرْكَبُوهَا﴾ والانتفاع بها في غير الركوب معلوم كالتحميل عليها ولتتزينوا بها ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ أي يخلق ما لا يحيط علمكم به من المخلوقات غير ما قد عدّده ها هنا: في الأرض، وفي البحر، مما لم يره البشر، ولم يسمعوا به.٩- وعلى الله بيان الطريق إلى المطلوب بيُسْر وسهولة ﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾ أي: ومن الأنعام والخيل والمراكب ما يجور أي يميل عن القصد، فتطول بكم الطريق وتتأخرون عن الوصول بكم إلى الأمكنة التي تريدون، والهداية من الله ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾﴾ إلى الطريق الصحيح، ولكنه لم يشأ، بل يهدي بعضًا ويضل بعضًا.١٠- ﴿لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ﴾ يشربه الناس والمواشي، ومن جملته ماء الآبار والعيون، وقسم يحصل منه شجر ترعاه المواشي ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾﴾ أي في الشجر ترعون مواشيكم. ١١- ﴿وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ جميع أصناف ثمار الفاكهة والثمار النافعة الأخرى ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي الإنزال والإثبات ﴿لَآيَةً﴾ عظيمة دالة على كمال القدرة، والتفرد بالربوبية ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾ في مخلوقات الله، ولا يهملون النظر في مصنوعاته. ١٢- ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ تسخيرهما للناس تصييرهما نافعين لهم بحسب ما تقتضيه مصالحهم، يتعاقبان دائمًا كالعبد الطائع لسيده لا يخالف ما يأمره به ولا يهمل السعي في نفعه ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ التسخير ﴿لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾﴾ أي يُعمِلون عقولهم في هذه الآثار الدالة على وجود الصانع وتفرده، وعدم وجود شريك له. ١٣- ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ أي: خلق وسخر لهم المخلوقات الأرضية على اختلاف الألوان، آية عظيمة دالة على وجود الصانع سبحانه وتفرده. ﴿لَآيَةً﴾ واضحة ﴿لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ فإن من تذكر اعتبر، ومن اعتبر استدل على المطلوب. ١٤- ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ﴾ بتمكينكم من الركوب عليه، واستخراج ما فيه من صيد وجواهر ﴿لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ المراد به السمك، ووصفه بالطراوة للإشعار بلطافته ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ أي: لؤلؤًا ومرجانًا يجوز للرجال أن يلبسوها، ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ أي ترى السفن تجري في البحر تشق عباب الماء بصدورها. ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾ أي: لتتجروا فيه =

وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا
لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥) وَعَلَامَاتٍ ۚ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ
(١٦) أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٧) وَإِن
تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٨)
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (١٩) وَالَّذِينَ يَدْعُونَ
مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (٢٠) أَمْوَاتٌ غَيْرُ
أَحْيَاءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٢١) إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ
فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ
(٢٢) لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُ
لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ (٢٣) وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ
قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٢٤) لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً
يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا
سَاءَ مَا يَزِرُونَ (٢٥) قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ
مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٢٦)

= فيحصل لكم الربح من فضل الله سبحانه ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾ أي: إذا وجدتم فضله عليكم اعترفتم بنعمته عليكم، فشكرتم باللسان والأركان. ١٥- ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ أي: جبالاً ثابتة ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ أي: لئلا تضطرب بكم ﴿وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا﴾ أي: طرقًا أظهرها وبينها لتهتدوا بها في أسفاركم. ١٦- وجعل فيها علامات، وهي معالم الطرق ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ يهتدون بأنواع النجوم المختلفة، فيعرفون الجهات ومنها القبلة، ويهتدون في البر والبحر في سفرهم ليلاً. وقيل: المراد بالنجم هنا الجدي. ١٧- ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ﴾ هذه المصنوعات العظيمة، ويفعل هذه الأفاعيل العجيبة ﴿كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ شيئًا منها ولا يقدر على إيجاد واحد منها، وهو هذه الأصنام. ١٨- ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ فإن كل جزء من أجزاء الإنسان لو ظهر فيه أدنى خلل وأيسر نقص لنغص النعم على الإنسان، وتمنى أن ينفق الدنيا لو كانت في ملكه حتى يزول عنه ذلك الخلل ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ لا يؤاخذكم بالغفلة عن شكر نعمه. اللهم إني أشكرك عدد ما شكرك الشاكرون بكل لسان في كل زمان. ١٩- ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ﴾ أي: تضمرونه من الأمور ﴿وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾﴾ أي: تظهرونه منها. ٢٠- ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: الآلهة الذين يدعوهم الكفار ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا﴾ من المخلوقات أصلاً لا كبيرًا ولا صغيرًا، ولا جليلاً ولا حقيرًا ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾﴾ يصنعهم الكفار من الخشب أو الحجارة أو غير ذلك. ٢١- ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾ ما تشعر هذه الجمادات من الأصنام متى يبعث عبدتهم من الكفار، أو ما تشعر هذه الأصنام متى تبعث هي. ٢٢- ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ صرح بما هو الحق في نفس الأمر: وهو وحدانيته سبحانه ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ﴾ للوحدانية، لا يؤثر فيها وعظ، ولا ينجع فيها تذكير ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾﴾ عن قبول الحق. ٢٣- ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ أي حقًا أن الله يعلم ما يسرون من أقوالهم وأفعالهم وما يعلنون من ذلك. ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ أي: لا يحب كل من استكبر، ومنهم هؤلاء الذين يستكبرون عن توحيد الله. ٢٤- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ﴾ قيل: القائل المسلمون، فأجاب المشركون المنكرون المستكبرون: ﴿قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾ أي: ما تدعون أيها المسلمون نزوله هو الأباطيل والترهات التي يتحدث الناس بها عن القرون الأولى. ٢٥- لم يكفر منها شيء لعدم إسلامهم الذي هو سبب لتكفير الذنوب، ويحملون بعض أوزار الذين أضلوهم، لأن من سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي يضلون الناس جاهلين بما يلزمهم من الآثام. ٢٦- ذهب أكثر المفسرين إلى أن المراد به نمروذ بن كنعان، حيث بنى بناء عظيمًا ببابل، ورام الصعود إلى السماء ليقاتل أهلها، فأهب الله الريح، =

ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ
كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ
الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ
ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَى
إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ
خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقِيلَ
لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي
هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ
﴿٣٠﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا
مَا يَشَاءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ
الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا
كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ
أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ
اللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ
سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٤﴾

٢٧٠

ثلاثة أرباع الحزب ٢٧

= فخر ذلك البناء عليه وعلى قومه فهلكوا. ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ﴾ أتاها أمر الله من جهة قواعدها فزعزعها، فسقط السقف عليهم ﴿مِن فَوْقِهِمْ﴾ فهلكوا، وما أفلتوا، وأتاهم الهلاك ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ به، بل من حيث ظنّوا أنهم في أمان. ٢٧- ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ﴾ بإدخالهم النار، ويفضحهم بذلك ويهينهم ﴿وَيَقُولُ﴾ لهم مع ذلك توبيخًا وتقريعًا ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾ كما تزعمون وتدعون الذين كنت تخاصمون الأنبياء والمؤمنين فيهم ﴿قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ قيل: هم العلماء، قالوه لأممهم، وكان هذا القول منهم على طريق الشماتة: إن الفضيحة يوم القيامة والعذاب ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾﴾ مختص بهم. ٢٨- ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ بالكفر بما أنزل الله ﴿فَأَلْقَوُا السَّلَمَ﴾ أي: أقروا بالربوبية، وانقادوا عند الموت، وتركوا المشاقة عند رؤية ملائكة الموت ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ﴾ قالوا هذا كذبًا. ﴿بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ أي بلى كنتم تعملون السوء ولا ينفعكم هذا الكذب شيئًا.

٢٩- ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾ أي: يقال لهم ذلك عند الموت ﴿خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ جهنم، والمراد تكبرهم عن الإيمان والعبادة. ٣٠- ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ وهم المؤمنون ماذا أنزل ربكم قالوا: أنزل خيرًا ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ أي: يقولون هذا هو القول الذي أنزل الله، وقيل: هذا من كلام الله سبحانه، والمعنى: للذين أحسنوا أعمالهم في الدنيا مثوبة حسنة في الدنيا ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ أي مثوبتها ﴿خَيْرٌ﴾ مما أوتوا في الدنيا ولنعم دار الآخرة. ٣١- لهم ذلك في الجنات صفوًا عفوًا يحصل لهم بمجرد اشتهائهم له ﴿كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾﴾ وهم كل من يتقي الشرك، وما يوجب النار من المعاصي. ٣٢- ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ طاهرين من الشرك أو صالحين، أو زاكية أفعالهم وأقوالهم، أو طيبين الأنفس ثقة بما يلقونه من ثواب الله وتسلم عليهم الملائكة تبشيرًا لهم بالجنة، لأن السلام أمان ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ أي: بسبب عملكم، وفي الحديث الصحيح: «**سددوا وقاربوا واعلموا أنه لن يدخل أحد الجنة بعمله، قيل: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته**». ٣٣- هل ينتظرون في تصديق نبوتك ﴿إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ شاهدين بذلك ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ أي: بعذابه في الدنيا المستأصل لهم ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الإصرار على الكفر والتكذيب والاستهزاء، فأتاهم أمر الله فهلكوا ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ بتدميرهم بالعذاب فإنه أنزل بهم ما استحقوه بكفرهم.

٣٤- فأصابهم جزاء سيئات أعمالهم ونزل بهم على وجه الإحاطة العذاب الذي كانوا به يستهزئون.

وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن
شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ
فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ
﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ
وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ
حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ
فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٧﴾
وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ
وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾
لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ
كَانُوا كَاذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ
لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا
لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا
يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾

٣٥- أي: من أهل مكة لو شاء عدم عبادتنا لشيء غيره ما عبدنا ذلك ﴿نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا﴾ الذين كانوا على ما نحن عليه الآن من الشرك بالله ﴿وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ﴾ من السوائب والبحائر ونحوهما، ومقصودهم بهذا الطعن في الرسالة، أي: لو كان ما قاله الرسول حقًا من المنع من عبادة غير الله، والمنع من تحريم ما لم يحرمه الله، لم يقع منا ما يخالف ما أراده منا، فإنه قد شاء ذلك، وما شاءه كان، وما لم يشأه لم يكن، فلما وقع منا العبادة لغيره وتحريم ما لم يحرمه كان ذلك دليل على أن ذلك هو المطابق لمراده والموافق لمشيئته ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من طوائف الكفر، فإنهم أشركوا بالله وحرموا ما لم يحرمه، وجادلوا رسله بالباطل واستهزءوا بهم. ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ أما حساب أقوامهم فعلى الله وليس على الرسل. ٣٦- ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ لإقامة الحجة عليهم ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ أي: اتركوا كل معبود دون الله كالشيطان والكاهن والصنم، وكل من دعا إلى الضلال فمن هذه الأمم التي بعث الله إليها رسله من أرشده إلى دينه وتوحيده واجتناب الطاغوت ومنهم من وجبت وثبتت، لإصراره على الكفر والعناد وفي هذه الآية أن الله سبحانه يأمر الكل بالإيمان، ولا يريد الهداية إلا للبعض، إذ لو أراد للكل لم يكفر أحد ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ سير معتبرين ﴿فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ من الأمم السابقة عند مشاهدتكم لآثارهم، كعاد وثمود، صار آخر أمرهم إلى خراب الديار، بعد هلاك الأبدان. ٣٧- إن تطلب بجهدك هداهم فإن الله لا يرشد من أضله وسبق له عنده الحكم بالضلال. وقيل المعنى: من يضله الله فلا أحد يهديه ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ ينصرونهم على الهداية لمن أضله الله، أو ينصرونهم بدفع العذاب عنهم. ٣٨- وأقسموا بالله جاهدين ﴿لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ من عباده، وهم بذلك يحلفون إن الله كاذب، قاتلهم الله. فرد الله عيهم ذلك بقوله: بلى يبعثهم ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ لا خلف فيه ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ أن ذلك يسير عليه سبحانه غير عسير. ٣٩- ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ﴾ أي: بلى يبعثهم ليبين لهم ﴿الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ الأمر الذي وقع الخلاف بينهم فيه ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله سبحانه وأنكروا البعث ﴿أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴿٣٩﴾﴾ في جدالهم وإنكارهم البعث بقولهم ﴿لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾. ٤٠- ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ لبيان كيفية الإبداء والإعادة بعد بيان سهولة البعث عليه سبحانه. ٤١- الهجرة ترك الأهل والأوطان في سبيل نصر دين الله ﴿مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾ أي: عذبوا وأهينوا، فإن أهل مكة عذبوا جماعة من المسلمين حتى قالوا ما أرادوا منهم، فلما تركوهم هاجروا ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ فقيل المراد: نزولهم المدينة وما استولوا عليه من فتوح البلاد، وصار لهم فيها من الولايات، وما بقي لهم فيها من الثناء، وصار لأولادهم من الشرف ﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ﴾ أي: جزاء أعمالهم في الآخرة ﴿أَكْبَرُ﴾ أي: أكبر مما حصله المهاجرون من حسنات الدنيا الآنفة الذكر ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ أي: لو كان هؤلاء الظلمة =

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ
ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ
ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ
﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ
أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ
فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ
رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ
يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ
﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ
وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ
وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ
ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن
نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ
إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾

= يعلمون ذلك. ٤٢- ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾﴾ على ربهم خاصة يتوكلون في جميع أمورهم.

٤٣- ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ رد على قريش حيث زعموا أن الله سبحانه أجل من أن يرسل رسولاً من البشر ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ أي: فاسألوا أيها المشركون مؤمني أهل الكتاب إن كنتم لا تعلمون، فإنهم سيخبرونكم بأن جميع الأنبياء كانوا بشرًا. ٤٤- ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾ أي: أرسلناهم بالبينات والزبر. والبينات: الحجج والبراهين، والزبر: الكتب ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ﴾ أي القرآن ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ جميعًا بأقوالك وأفعالك ﴿مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ في هذا الذكر من الأحكام الشرعية والوعد والوعيد ﴿وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ أي ليتأملوا ويُعمِلوا أفكارهم فيتعظوا. ٤٥- ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ تآمروا ليضلوا الناس عن التصديق بالنبوة، أي: مكروا المكرات السيئات بسعيهم في إيذاء رسول الله ﷺ وإيذاء أصحابه على وجه الخفية، واحتيالهم في إبطال الإسلام، وكيد أهله ﴿أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ﴾ كما خسف بقارون ﴿أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ به في حال غفلتهم عنه، كما فعل بقوم لوط وغيرهم. ٤٦- ﴿أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ﴾ في أسفارهم ومتاجرهم، وفي حال إقبالهم وإدبارهم، وذهابهم ومجيئهم بالليل والنهار ﴿فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٤٦﴾﴾ أي: بفائتين ولا ممتنعين. ٤٧- ﴿أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ﴾ أي على تنقص: إما بقتل أو بموت، يعني بنقص من أطرافهم ونواحيهم، يأخذهم الأول فالأول، حتى يأتي الأخذ على جميعهم ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾ لا يعاجل، بل يمهل رأفة بكم. ٤٨- ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ﴾ من الجبال والأشجار ونحوها ﴿يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ﴾ تميل من جانب إلى جانب، ويكون أول النهار على حال ويتقلص، ثم يعود في آخر النهار على حالة أخرى ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ﴾ أي عن جانبي كل واحد منها ﴿سُجَّدٗا لِّلَّهِ﴾ أي حال كون الظلال سجدًا لله، يعني أن هذه الأشياء مجبولة على الطاعة، لأنها كانت كما أرادها الله أن تكون ﴿وَهُمۡ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ أي خاضعون صاغرون. ٤٩- ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ﴾ أي: له وحده يخضع وينقاد ما في السماوات جميعًا، وما في الأرض من دابة تدب على الأرض ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ عن عبادة ربهم وعن السجود. ٥٠- يخافون ربهم حال كونه من فوقهم ﴿وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾ به من طاعة الله، يعني الملائكة، أو جميع من تقدم ذكره. ٥١- فنهى سبحانه عن اتخاذ إلهين، كما فعل الثنوية الذين عبدوا إلهين: إله النور، وإله الظلمة. ثم أثبت أن الإلهية منحصرة في إله واحد، وهو الله سبحانه وإن كنتم راهبين شيئًا فارهبوني لا غيري. ٥٢- ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا﴾ أي ثابتًا واجبًا دائمًا لا يزول. والدين: هو الطاعة والإخلاص، فليس أحد يطاع إلا انقطع ذلك بزوال أو بهلكة، غير الله تعالى، فإن الطاعة تدوم له ﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾﴾ أي: أتخافون غير الله ممن يسمى إلهًا وأمره إلى زوال؟ بل خافوا الله وحده الذي له الطاعة الدائمة. ٥٣- ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ﴾ =

لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ٥٥ وَيَجْعَلُونَ
لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ
تَفْتَرُونَ ٥٦ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ
٥٧ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ
٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ
أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ٥٩ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ
٦٠ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن
يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ
سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ٦١ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ
وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۖ لَا جَرَمَ أَنَّ
لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ٦٢ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن
قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ
ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ٦٤

٢٧٣

= من النعم على اختلاف أنواعها ﴿فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ النعمة: إما دينية، وهي معرفة الحق لذاته، ومعرفة الخير لأجل العمل به، وإما دنيوية: نفسانية، أو بدنية، أو خارجية، كالسعادات المالية وغيرها. والكل من الله سبحانه، فعلى العاقل أن يشكر المنعم على كل ذلك ثم إذا مسكم الضر فإليه تتضرعون في كشفه. والضر: المرض والبلاء والحاجة والقحط، وكل ما يتضرر به الإنسان. ٥٤- ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ٥٤﴾ يضعون الإشراك بالله الذي أنعم عليهم بكشف ما نزل بهم من الضر مكان الشكر له. ٥٥- ﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ يعني ما كانت عاقبة تلك التضرعات إلا هذا الكفر ﴿فَتَمَتَّعُوا۟﴾ بما أنتم فيه من عبادة غير الله ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ٥٥﴾ عاقبة أمركم، وما يحل بكم من العذاب في هذه الدار وفي الدار الآخرة. ٥٦- ويجعلون لما لا يعلمون حقيقته من الجمادات والشياطين نصيبًا مما رزقهم من أموالهم يتقربون به إليه.

٥٧- وقد كانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله فنزه نفسه عما نسبه إليه هؤلاء الجفاة ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ٥٧﴾ أي: ويجعلون لأنفسهم ما يشتهونه من البنين الذكور. ٥٨- إذا أُخبر أحدهم بولادة بنت له ظل وجهه متغيرًا مما يحصل له من الغم وظهور الكآبة والانكسار وهو ممتلئ من الغم غيظًا وحنقًا، يكتم غيظه ولا يظهره. ٥٩- يتغيب ويختفي من سوء الحزن والعار والحياء الذي يلحقه بسبب حدوث البنت له. لا يزال مترددًا بين الأمرين: وهو إمساك البنت التي بشر بها، أو دفنها في التراب على ذل وانكسار ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ٥٩﴾ حيث أضافوا البنات التي يكرهونها إلى الله سبحانه وأضافوا البنين إلى أنفسهم. ٦٠- للذين لا يؤمنون بالآخرة صفة السوء من الجهل والكفر بالله ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ من الغنى الكامل والجود الشامل والعلم الواسع. ٦١- ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم﴾ المراد بالناس هنا الكفار أو جميع العصاة، ومن ظلمهم دعوى المشركين أن الأصنام بنات الله ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ أي على الأرض، والمراد بالدابة كل ما دب، وذلك بإهلاك الظالم انتقامًا منه، وإهلاك غيره بشؤم ظلم الظالمين، فيمنع عنهم المطر حتى يهلكوا، ويصيبهم غير ذلك من القوارع. ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو منتهى حياتهم وانقضاء أعمارهم، أو أجل عذابهم ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ٦١﴾ تقدم تفسيره في سورة الأعراف [الآية: ٣٤]. ٦٢- ويجعلون لله ما يكرهون نسبته إلى أنفسهم من البنات ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي: الخصلة الحسنى، وهي الأولاد الذكور. ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ أي: حقًا أنها لهم مكان ما جعلوه لأنفسهم ﴿وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ٦٢﴾ أي: متروكون منسيون في النار. ٦٣- ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ الخبيثة، فهو قرينهم في الدنيا، وقيل المراد: الشيطان وليهم أي ناصرهم يوم القيامة، فليستنصروه إن كان لديه نصر. ٦٤- ﴿لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ من التوحيد وأحوال البعث وسائر الأحكام=

وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا
فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾
وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا
حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ
أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى
مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا
شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ
ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَٱللَّهُ
فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى
رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ
ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا
وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ
ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾

= الشرعية ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾ بالله سبحانه ويصدقون ما جاءت به الرسل ونزلت به الكتب.

٦٥- ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ أي: أحياها بالنبات بعد أن كانت يابسة لا حياة بها ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ الإنزال والإحياء ﴿لَءَايَةً﴾ دالة على وحدانيته، وعلى بعثه للخلق ومجازاتهم ﴿لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾﴾ كلام الله، ويفهمون ما يتضمنه من العبر.

٦٦- الأنعام: الإبل والبقر والغنم، والعبرة في الأنعام تسخيرها لأربابها وطاعتها لهم. وما تضمنه قوله: ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ﴾ الفرث: الزبل الذي ينزل من الكرش، فإذا خرج منه لم يسم فرثًا، وأعلاه دمًا، وأوسطه ﴿لَّبَنًا﴾ فيجري الدم في العروق واللبن في الضروع مصفىً من حمرة الدم وقذارة الفرث بعد أن جمعهما وعاء واحد لذيذًا هنيئًا لا يغص به من شربه. ٦٧- أي: نسقيكم مما في بطونه ومن ثمرات النخيل والعنب ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾ والسكر: ما يسكر من الخمر، والرزق الحسن جميع ما يؤكل من هاتين الشجرتين، كالتمر والدبس والزبيب والخل. وكان نزول هذه الآية قبل تحريم الخمر ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ عند النظر في الآيات التكوينية. ٦٨- ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ الوحي: الإلهام ﴿أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾﴾ أي: مساكن توافقها وتليق بها، في كوى الجبال وتجويف الشجر، وفي العروش التي يعرشها بنو آدم من الأجناح والحيطان وغيرها، وأكثر ما يستعمل فيها يكون من الخشب. ٦٩- ﴿ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ تأكل من الزهر والثمر ﴿فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ﴾ أي: الطرق التي فهمك الله وعلمك في الجبال وخلال الشجر، أو اسلكي ما أكلت في سبل ربك، أي: في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته الرحيق عسلاً، أو إذا أكلت الثمار في الأمكنة البعيدة فاسلكي إلى بيوتك راجعة سبل ربك لا تضلين فيها ﴿ذُلُلًا﴾ أي: مذللة غير متوعرة ﴿شَرَابٌ﴾ هو العسل ﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾ بعضه أبيض، وبعضه أحمر، وبعضه أزرق وبعضه أصفر ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ قالت طائفة: إن ذلك خاص ببعض الأمراض ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ من أمر النحل ﴿لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ أي: يعملون أفكارهم عند النظر في صنع الله سبحانه وعجائب مخلوقاته، فإن أمر النحل من أعجبها وأغربها وأدقها وأحكمها. ٧٠- ﴿يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ هو عندما يصير الإنسان إلى الخرف، بمنزلة الصبي الذي لا عقل له ﴿لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ﴾ كان قد حصل له ﴿شَيْـًٔا﴾ من العلم لا كثيرًا ولا قليلاً. ٧١- أي: ووسع على بعض عباده وضيقه على بعض عباده حتى صار لا يجد القوت، وذلك لحكمة بالغة. ﴿فَهُمْ﴾ أي المالكون والمماليك ﴿فِيهِ﴾ أي في الرزق ﴿سَوَآءٌ﴾ أي لا يردونه عليهم بحيث يساوونهم، أي فكيف تجعلون عبيدي شركاء معي سواء فتعبدونهم وأنتم لم تجعلوا عبيدكم مشاركين لكم في أموالكم ﴿أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾﴾ حيث يفعلون ما يفعلون من الشرك. ٧٢- والله خلق لكم من جنسكم نساء تتزوجونهن لتستأنسوا بهن وخلق لكم من أزواجكم البنين =

ربع الحزب ٢٨

وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقٗا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ٧٣ فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ
إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧٤ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدٗا
مَّمۡلُوكٗا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنٗا
فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرّٗا وَجَهۡرًاۖ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ
بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٧٥ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلَيۡنِ
أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ
مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن
يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٧٦ وَلِلَّهِ غَيۡبُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ
أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٧٧ وَٱللَّهُ
أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ
لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ
٧٨ أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ
مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٧٩

= والحفدة: أولاد الأولاد، ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ التي تستطيبونها وتستلذونها ﴿أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ﴾ الباطل هو اعتقادهم في أصنامهم أنها تضر وتنفع. ٧٣- المعنى: أن هؤلاء الكفار يعبدون معبودات لا تملك أن ترزقهم أي رزق من السماوات والأرض ﴿وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ٧٣﴾ أن يتصرفوا، فهم من الجمادات لا كسب لهم. ٧٤- لا تجعلوا لله مثلاً، لأنه واحد لا مثل له، وكانوا يقولون: إن إله العالم أجل من أن يعبده الواحد منا مباشرة، فكانوا يتوسلون إلى الأصنام والكواكب، كما أن أصاغر الناس يخدمون أكابر حضرة الملك، وأولئك الأكابر يخدمون الملك. ٧٥- ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾ يكتسبه، فهو لا يملك شيئًا ومن رزقناه من جهتنا ﴿رِزۡقًا حَسَنٗا﴾ من الأحرار الذين يملكون الأموال ويتصرفون بها كيف شاءوا ﴿فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ﴾ في وجوه الخير، ويصرف منه إلى أنواع البر والمعروف ﴿سِرّٗا وَجَهۡرًا﴾ أي: في أي وقت شاء بكامل إرادته، وهل يستوي الحر والعبد الموصوفان بالصفات المتقدمة،

فكذلك لا يستوي الرب الخالق الرازق، والجمادات من الأصنام التي تعبدونها وهي لا تضر ولا تنفع فالحمد لله كله على كمالاته ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٧٥﴾ ذلك حتى يعبدوا من تحق له العبادة، ويعرفوا المنعم عليهم بالنعم الجليلة. ٧٦- ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا﴾ آخر أوضح مما قبله وأظهر منه ﴿رَّجُلَيۡنِ﴾ والأبكم العييّ المفحم، وقيل: هو الأقطع اللسان الذي لا يحسن الكلام ﴿لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾ لعدم فهمه وعدم قدرته على النطق وهو ثقيل على وليه وقرابته لأنه عاجز عن التصرف لا يمكنه أن يتكلم ﴿هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ﴾ في نفسه مع هذه الأوصاف التي اتصف بها ومن يأمر الناس بالعدل ﴿وَهُوَ﴾ في نفسه على دين قويم وسيرة صالحة، والمقصود امتناع التساوي بينه سبحانه وبين ما يجعلونه شريكًا له من الأصنام التي لا تنطق، ولا تستطيع أن تصنع شيئًا. ٧٧- أي يختص ذلك به لا يشاركه فيه غيره ولا يستقل به ﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ﴾ من الغيوب المختصة به سبحانه ﴿إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُ﴾ وصف سرعة القدرة على الإتيان بها، لأنه يقول للشيء كن فيكون ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٧٧﴾ ومجيء الساعة بسرعة من جملة مقدوراته. ٧٨- والله أخرجكم من بطون أمهاتكم أطفالاً لا علم لكم بشيء وركّب فيكم السمع والأبصار والأفئدة لتُحصلوا بها العلم الذي كان مسلوبًا عنكم عند إخراجكم من بطون أمهاتكم لكي تصرفوا كل آلة فيما خلقت له، فتعرفوا مقدار ما أنعم الله به عليكم فتشكروه. ٧٩- ألم يروا إلى الطير مذللات للطيران بما خلق الله لها من الأجنحة، وسائر الأسباب المواتية لذلك، كرقة قوام الهواء، وإلهامها بسط الجناح وقبضه كما يفعل السابح في الماء ﴿فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ﴾ في الهواء المتباعد من الأرض في سمت العلو ﴿مَا يُمۡسِكُهُنَّ﴾ في الجو ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ بقدرته الباهرة، فإن ثقل أجسامها ورقة قوام الهواء يقتضيان سقوطها، لأنها لم تتعلق بشيء من فوقها، ولا اعتمدت على شيء تحتها ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ﴾ تدل على =

وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ
ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ
وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ
(٨٠) وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم
مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ
ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ
عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ (٨١) فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ
ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ (٨٢) يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا
وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ (٨٣) وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ
شَهِيدٗا ثُمَّ لَا يُؤۡذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ
(٨٤) وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلۡعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمۡ وَلَا هُمۡ
يُنظَرُونَ (٨٥) وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ شُرَكَآءَهُمۡ
قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدۡعُواْ مِن دُونِكَۖ
فَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلَ إِنَّكُمۡ لَكَٰذِبُونَ (٨٦) وَأَلۡقَوۡاْ
إِلَى ٱللَّهِ يَوۡمَئِذٍ ٱلسَّلَمَۖ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ (٨٧)

= وحدانية الله سبحانه، وقدرته ﴿لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ (٧٩)﴾ بالله سبحانه وبما جاءت به رسله من الشرائع التي شرعها الله.

٨٠- ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا﴾ تسكنون فيها وتهدأ جوارحكم من الحركة ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا﴾ وهي بيوت البادية والرحلة، كالخيام والقباب ﴿تَسۡتَخِفُّونَهَا﴾ أي: يخف عليكم حملها في الأسفار وغيرها ﴿يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ﴾ الظعن: سير أهل البادية للانتجاع والتحوّل من موضع إلى موضع ﴿وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا﴾ الأصواف للغنم، والأوبار للإبل، والأشعار للمعز، والأثاث متاع البيت، والمتاع ما يفرش في المنازل ويتزين به ﴿إِلَىٰ حِينٖ (٨٠)﴾ إلى أن تنقضوا أوطاركم منه، أو إلى أن يبلى ويفنى. ٨١- أي أشياء تستظلون بها من حر الشمس ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا﴾ وهو ما يستكن به من المطر وجعل لكم القمصان والثياب من الصوف والقطن والكتان وغيرها تدفع عنكم ضرر الحر، وخص الحر ولم يذكر البرد اكتفاء بذكر أحد الضدين عن ذكر الآخر، ويحتمل أنه لم يذكر البرد لكون الآية في الامتنان بما يقي من الحر فقط ﴿وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ﴾ وهي الدروع والجواشن يتقون بها الطعن والضرب والرمي ﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ﴾ بصنوف النعم المذكورة ها هنا وبغيرها ﴿لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ (٨١)﴾ فإن من أمعن النظر في هذه النعم لم يسعه إلا الإسلام والانقياد للحق. ٨٢- ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ (٨٢)﴾ وليس عليك غير ذلك.

٨٣- يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها بأفعالهم القبيحة من عبادة غير الله، وبأقوالهم الباطلة، حيث يقولون: هي بشفاعة الأصنام، وإنهم ورثوا تلك النعم من آبائهم، ولا يستعملون هذه النعم في مرضاة الرب سبحانه وأكثرهم الجاحدون لنعم الله. ٨٤- ﴿وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا﴾ وشهيد كل أمة نبيها، يشهد لهم بالإيمان والتصديق، وعليهم بالكفر والجحود، والتكذيب، وذلك يوم القيامة ﴿ثُمَّ لَا يُؤۡذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في الاعتذار، إذ لا حجة لهم ولا عذر، أو في الرجوع إلى دار الدنيا ﴿وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ (٨٤)﴾ لأن العتاب إنما يطلب لأجل العود إلى الرضى، فإذا كان على عزم السخط فلا فائدة في العتاب. ٨٥- ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلۡعَذَابَ﴾ الذي يستحقونه بشركهم، وهو عذاب جهنم ﴿فَلَا يُخَفَّفُ﴾ ذلك العذاب ﴿عَنۡهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ (٨٥)﴾ أي ولا هم يمهلون ليتوبوا. ٨٦- وإذا رأى الذين أشركوا أصنامهم وأوثانهم التي عبدوها، فإنهم يبعثون مع المشركين ﴿قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدۡعُواْ مِن دُونِكَ﴾ ومقصودهم إحالة الذنب على تلك الأصنام ﴿فَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلَ﴾ أي: أنطق الله الأصنام والأوثان والشياطين فقالوا للمشركين ﴿إِنَّكُمۡ لَكَٰذِبُونَ (٨٦)﴾ فيما تزعمون من إحالة الذنب علينا، بل الذنب ذنبكم، وقيل: المراد تكذيبهم في قولهم إنهم شركاء، فليس لله شريك.

٨٧- ﴿وَأَلۡقَوۡاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوۡمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ﴾ الاستسلام والانقياد لعذابه والخضوع لعزته وضاع وبطل من كانوا يعبدونه، فلم يستطع لهم شيء.

نصف الحزب ٢٨

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابٗا فَوۡقَ
ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفۡسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ
أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ
هَٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى
وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ
وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ
وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ
﴿٩٠﴾ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ
بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ
ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ
غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا
بَيۡنَكُمۡ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبۡلُوكُمُ
ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾
وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن
يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَلَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾

٨٨- ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في أنفسهم ﴿وَصَدُّواْ﴾ غيرهم ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وهي طريق الإسلام، منعوهم من سلوكها، وحملوهم على الكفر بتزيينه لهم ﴿زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابٗا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ﴾ أي زادهم الله عذابًا لأجل الإضلال لغيرهم فوق العذاب الذي استحقوه لأجل ضلالهم في ذات أنفسهم.

٨٩- ويوم نبعث في كل أمة نبيًّا يشهد عليهم ﴿مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ من جنسهم، إتمامًا للحجة وقطعًا للمعذرة ﴿وَجِئۡنَا بِكَ﴾ يا محمد تشهد على هذه الأمم وتشهد لهم.
﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ أي القرآن ﴿تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ فيه البيان لكثير من الأحكام، وفيه الأمر لهم باتباع رسوله ﷺ فيما يأتي به من الأحكام. ﴿وَهُدٗى﴾ للعباد ﴿وَرَحۡمَةٗ﴾ لهم ﴿وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ خاصة دون غيرهم لأنهم المنتفعون بذلك.

٩٠- العدل الإنصاف والتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط، والإحسان التفضل بما لم يجب، كصدقة التطوع وما يثاب عليه العبد مما لم يوجبه الله عليه في العبادات وغيرها وإعطاء القرابة ما تدعو إليه حاجتهم ﴿وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ﴾ هي الخصلة المتزايدة في القبح من قول أو فعل كالزنى والبخل ﴿وَٱلۡمُنكَرِ﴾ ما أنكره الشرع بالنهي عنه، وهو يعم جميع المعاصي ﴿وَٱلۡبَغۡيِ﴾ هو الكبر والظلم ﴿يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ بما ذكره في هذه الآية مما أمركم به ونهاكم عنه، فتتعظون بها وعظكم الله به. ٩١- ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ﴾ كل عهد يقع من الإنسان كعهد البيعة وغيره ﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا﴾ أي: بعد تشديدها وتغليظها وتوثيقها ﴿وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًا﴾ أي: شهيدًا، وقيل: ضامنًا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾ فيجازيكم به.

٩٢- ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا﴾ أي ما غزلته ﴿مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ﴾ أي من بعد إبرام الغزل وإحكامه ﴿أَنكَٰثٗا﴾ أي فإنكم إن فعلتم ذلك كنتم مثل امرأة غزلت غزلاً وأحكمته، ثم جعلته أنكاثًا أي: محلولاً كما كان قبل أن تغزله ﴿تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ﴾ الدخل: المكر والخديعة والغش ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍ﴾ أي: أكثر عددًا منها وأوفر مالاً، قيل: هو تحذير للمؤمنين أن يغتروا بكثرة قريش وسعة أموالهم، فينقضوا بيعة النبي ﷺ ﴿إِنَّمَا يَبۡلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ﴾ أي: يختبركم هل تتمسكون بحبل الوفاء، أم تنقضون اغترارًا بالكثرة ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾﴾ فيوضح الحق والمحقين ويرفع درجاتهم، ويبين الباطل والمبطلين فينزل بهم من العذاب ما يستحقونه. ٩٣- ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ متفقة على الحق ﴿وَلَٰكِن﴾ بحكم الإلهية ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ بخذلانه إياهم عدلاً منه فيهم حتى يستسهلوا النكث والنقض للمواثيق ﴿وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ بتوفيقه إياهم فضلاً منه عليهم ﴿وَلَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ من الأعمال في الدنيا.

وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا
وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ
عَظِيمٞ ٩٤ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ
هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩٥ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ
وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ
مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٦ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ
أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ
أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ
فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٩٨ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ
عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٩٩ إِنَّمَا
سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ
١٠٠ وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ
بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ
١٠١ قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ١٠٢

٩٤- ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ﴾ وهي أيمان البيعة، نهي الذين بايعوا رسول الله ﷺ عن نقض العهد على الإسلام ونصرة الدين ﴿فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا﴾ من المبالغة وبها في قوله ﴿وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فإن من نقض البيعة وارتد، اقتدى به غيره في ذلك، فكان فعله سنة سيئة، عليه وزرها ووزر من عمل بها ﴿وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٩٤﴾ وهو عذاب الآخرة.

٩٥- ولا تشتروا بعهد الله عوضًا يسيرًا حقيرًا وهو كل عرض دنيوي وإن كان في الصورة كثيرًا ﴿إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ أي من النصر في الدنيا والغنائم والرزق الواسع، وما عنده في الآخرة من نعيم الجنة ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩٥﴾ أي إن كنتم من أهل العلم والتمييز. ٩٦- ﴿مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ﴾ يزول وإن بلغ في الكثرة أي مبلغ، وأما نعيم الآخرة فهو الباقي الذي لا ينقطع ﴿وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٦﴾ أي: لنجزينهم بسبب صبرهم على الثبات على عهدهم مع النبي ﷺ واستمرارهم على القيام بمشاق التكليف، وجهاد الكافرين، والصبر على ما ينالهم منهم من الإيذاء، بأحسن ما كانوا يعملون من الطاعات. ٩٧- ﴿وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾ لأن عمل الكافر لا اعتداد به ﴿فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗ﴾ بالرزق الحلال، وبالتوفيق إلى حلاوة الطاعة. وقيل: هي حياة الجنة ﴿وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧﴾ قدمنا تفسيره قريبًا.

٩٨- أي إذا أردت أن تقرأ القرآن ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ﴾ أي: اسأله سبحانه أن يعيذك من وساوس الشيطان الرجيم.

٩٩- ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ﴾ أي: ليس للشيطان تسلط ﴿عَلَى﴾ إغواء ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٩٩﴾ يفوضون أمورهم إليه في كل قول وفعل، فإن الإيمان بالله والتوكل عليه يمنعان الشيطان من وسوسته لهم، وإن وسوس لأحد منهم لا تؤثر فيه وسوسته. ١٠٠- إنما تسلطه بالإغواء على الذين يتخذونه وليًا، ويطيعونه في وساوسه، ويعصون الله تعالى والذين هم من أجله وبسبب وسوسته مشركون بالله. ١٠١- ﴿وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ﴾ وهو نسخها بآية سواها. ﴿قَالُوٓاْ﴾ أي: كفار قريش الجاهلون للحكمة في النسخ ﴿إِنَّمَآ أَنتَ﴾ يا محمد ﴿مُفۡتَرِۭ﴾ أي: كاذب مختلق على الله متقول عليه بما لم يقل، حيث تزعم أنه أمرك بشيء، ثم تزعم أنه أمرك بخلافه. ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٠١﴾ بالحكمة في النسخ، فقد يكون في شرع هذا الشيء مصلحة مؤقتة بوقت، ثم تكون المصلحة بعد ذلك الوقت في شرع غيره.

١٠٢- ﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ﴾ أي القرآن ﴿رُوحُ ٱلۡقُدُسِ﴾ أي: جبريل المطهر من أدناس البشرية ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ تنزيله من عنده سبحانه ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ الذي لا خطأ فيه، لحكمة بالغة ﴿لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ على الإيمان وهداية من الله وبشرى للمسلمين.

وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ
ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ
مُّبِينٌ ١٠٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهۡدِيهِمُ
ٱللَّهُ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٠٤ إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ
لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ
١٠٥ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ
وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا
فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ
وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٠٧ أُوْلَٰٓئِكَ
ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ
وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٠٨ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي
ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٠٩ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ
لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ
وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١٠

١٠٣- أي: ولقد نعلم أن هؤلاء الكفار يقولون: إنما يعلم محمدًا القرآن بشرٌ من بني آدم غيرُ مَلَكٍ. وهذا البشر الذي زعموا قيل: هو غلام الفاكه بن المغيرة، واسمه جبر، وكان نصرانيًا فأسلم ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ﴾ أي: لغة الذي يميلون إليه ويزعمون أنه يعلمك أعجمية، فليس هو من الفصاحة في شيء ﴿وَهَٰذَا﴾ القرآن ﴿لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ١٠٣﴾ ذو بلاغة عربية وبيان واضح فكيف تزعمون أن بشرًا يعلمه من العجم، وقد عجزتم أنتم عن معارضة سورة منه، وأنتم أهل الفصاحة وقادة البلاغة؟ ١٠٤- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي لا يصدقون بها ﴿لَا يَهۡدِيهِمُ ٱللَّهُ﴾ إلى الحق الذي هو سبيل النجاة لما علم من شقاوتهم ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٠٤﴾ بسبب ما هم عليه من الكفر والتكذيب. ١٠٥- ﴿إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ فكيف يقع الافتراء من رسول الله ﷺ وهو رأس المؤمنين بها والمتصفون بذلك ﴿هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ١٠٥﴾ أي: إن الكذب نعت لازم لهم وعادة من عاداتهم. ١٠٦- هذه الآية فيمن يرتد بأن ينطق بقول الكفر، أو بفعله، بعد أن يكون قد دخل في الإسلام، فله حالتان: أما من أُكره على الكفر حتى خشي على نفسه القتل، فإنه لا أثم عليه بقول يقوله، أو فعل يفعله، كالسجود لغير الله، إن صدر منه ذلك وقلبه مطمئن بالإيمان، ولا يحكم عليه بحكم الكفر. و﴿شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا﴾ أي: رضي به واطمأن إليه، فعليه غضب الله وعذابه. ١٠٧- ﴿ذَٰلِكَ﴾ الكفر بعد الإيمان ﴿بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي بسبب إيثارهم للحياة الدنيا ﴿عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٠٧﴾ إلى الإيمان به.

١٠٨- والمرتدون المؤثرون للدنيا على أمر الله والإيمان به، هم ﴿ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡ﴾ فلم يفهموا المواعظ، ولا سمعوها، ولا أبصروا الآيات التي يستدل بها على الحق ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٠٨﴾ عما يراد بهم، لا غفلة مثل غفلتهم هذه.

١٠٩- ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٠٩﴾ أي الكاملون في الخسران، البالغون إلى غاية منه ليس فوقها غاية.

١١٠- ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ من دار الكفر إلى دار الإسلام ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ﴾ أي فتنهم الكفار بتعذيبهم لهم فرجعوا في الكفر وسكنوا إليه ﴿ثُمَّ جَٰهَدُواْ﴾ في سبيل الله ﴿وَصَبَرُوٓاْ﴾ على الجهاد، وعلى ما يلقونه من مشاق التكليف ﴿لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١٠﴾ لهؤلاء المفتونين الذين تكلموا بكلمة الكفر مكرهين، وصدورهم غير منشرحة للكفر، إذا صلحت أعمالهم، وجاهدوا في الله وصبروا.

﴿يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ
نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١١١ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا
قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا
مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ
ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١١٢ وَلَقَدۡ
جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡهُمۡ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَهُمۡ
ظَٰلِمُونَ ١١٣ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا
وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١١٤
إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ
أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ
ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١٥ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ
ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ١١٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ
وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١١٧ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ
مِن قَبۡلُۖ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ١١٨﴾

٢٨٠

١١١- يوم يأتي كل إنسان يجادل عن ذاته لينجو، ولا يهمه غيرها.

١١٢- قيل: أن القرية هنا هي مكة نفسها، ضربها الله مثلاً لغيرها، وذلك لما دعا عليهم رسول الله ﷺ وقال: اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كسني يوسف، فابتلوا بالقحط حتى أكلوا العظام، والمثل إنذار لغير مكة من مثل عاقبتها ﴿كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ﴾ أي لا يخاف أهلها ولا ينزعجون ﴿يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا﴾ واسعًا ﴿مِّن كُلِّ مَكَانٖ﴾ من الأمكنة التي يجلب ما فيها إليها ﴿فكفرت﴾ أي كفر أهلها ﴿بأنعم الله﴾ التي أنعم بها عليهم، وهذا الكفر منهم هو كفرهم بالله سبحانه وتكذيب رسله ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ﴾ ما يظهر به عليهم من الهزال شحوبة اللون وسوء الحال.

١١٣- ﴿وَلَقَدۡ جَآءَهُمۡ﴾ يعني أهل مكة رسول من جنسهم يعرفونه ويعرفون نسبه ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ فيما جاء به ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾ النازل بهم من الله سبحانه ﴿وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ١١٣﴾ لأنفسهم بإيقاعها في العذاب الأبدي.

١١٤- أي فكلوا الحلال الطيب واتركوا الخبائث وهو الميتة والدم ﴿وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ﴾ التي أنعم بها عليكم واعرفوا حقها ﴿إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١١٤﴾ ولا تعبدون غيره. ١١٥- ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ تقدم تفسيره في سورة البقرة / ١٧٣. ١١٦- معناه: لا تحرموا ولا تحللوا لأجل قول تنطق به ألسنتكم من غير حجة، فتقول ﴿هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾ أي فيكون من ذلك افتراؤكم على الله الكذب بالتحليل والتحريم، وإسناد ذلك إليه من غير أن يكون منه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ١١٦﴾ أي بنوع من أنواع الفلاح: وهو الفوز بالمطلوب. عن أبي نضرة قال: «قرأت هذه الآية من سورة النحل، فلم أزل أخاف الفتيا» وصدق فإن هذه الآية تتناول بعموم لفظها فتيا من أفتى بخلاف ما في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، كما يقع كثيرًا من المؤثرين للرأي المقدمين له على الرواية، أو الجاهلين لعلم الكتاب والسنة. وإنهم لحقيقون أن يحال بينهم وبين فتاويهم، ويُمنعوا من جهالاتهم، فإنهم أفتوا بغير علم من الله، ولا هدى ولا كتاب منير، فضلوا وأضلوا. ١١٧- أي لهم متاع قليل [بهذا القول الذي يحرمون به ويحللون بأهوائهم] ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١١٧﴾ يردون إليه في الآخرة. ١١٨- ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا﴾ أي حرمنا عليهم خاصة دون غيرهم ﴿مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ﴾ بقولنا ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ﴾ أي فهذه دون غيرها هي المحرمات من الأطعمة التي حرمها الله تعالى في القرآن وفي التوراة فمن أين أتيتم بتحريم ما تحرمونه من ذلك؟ ﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ﴾ بذلك التحريم بل جزيناهم ببغيهم ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ١١٨﴾ حيث فعلوا أسباب ذلك فحرمنا عليهم تلك الأشياء عقوبة لهم.

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ
بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ١١٩
إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ
١٢٠ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ
١٢١ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
١٢٢ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ
مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٢٣ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ
ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا
كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ١٢٤ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ
وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ١٢٥
وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ
لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ
وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ
١٢٧ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ١٢٨

١١٩- ﴿ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي من بعد عملهم للسوء ﴿وَأَصْلَحُوٓا۟﴾ أعمالهم التي كان فيها فساد ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾ أي من بعد التوبة ﴿لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ١١٩﴾. ١٢٠- أي كان معلمًا للخير أو جامعًا لخصال الخير، أو عالمًا بما علمه الله من الشرائع، والقانت: المطيع الذي ملأت خشية الله جوانحه، وحكمت جوارحه. والحنيف: المائل عن الأديان الباطلة إلى دين الحق ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٢٠﴾ بالله كما تزعمه كفار قريش أنه كان على دينهم الباطل.

١٢١- ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾ التي أنعم الله بها عليه اختاره للنبوة، واختصه بها وهداه إلى ملة الإسلام ودين الحق.

١٢٢- ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ أي: خصلة حسنة، قيل: هي الولد الصالح، وقيل: النبوة، وقيل: أنه يتولاه جميع أهل الأديان. ١٢٣- ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ يا محمد مع علو درجتك ﴿أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ في التوحيد والدعوة إليه، وفي التبري من الأوثان والتدين بدين الإسلام، وفي جميع شريعته إلا ما نسخ منها. ١٢٤- أي: إنما جعل وبال السبت على الذين اختلفوا فيه، أو إنما جعل فرض تعظيم السبت على الذين اختلفوا فيه، أي على الذين اختلفوا في إبراهيم وهم اليهود والنصارى؛ أو على الذين اختلفوا في السبت، وهم اليهود، كانوا يزعمون أن السبت من شرائع إبراهيم، فأخبر الله سبحانه أنه إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه، ولم يجعل الالتزام به فرضًا ودينًا على إبراهيم ولا على بنيه بين المختلفين فيه ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ١٢٤﴾ فيجازي كلاً فيه بما يستحقه ثوابًا وعقابًا.

١٢٥- ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ وسبيل الله هو الإسلام بالمقالة المحكمة الصحيحة، قيل: وهي الحجج المفيدة لليقين والمقارنة التي يستحسنها السامع وتبلغ من نفسه مبلغًا حتى يقتنع بها ويعمل بما فيها، وتكون في نفسها حسنة باعتبار انتفاع السامع بها، قيل: وهي الحجج الظنية الإقناعية الموجبة للتصديق بمقدمات مقبولة وبالطريق التي هي أحسن طرق المجادلة ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ بين أن الرشد والهداية ليس إلى النبي ﷺ وإنما ذلك إليه تعالى ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ١٢٥﴾ أي: بمن يبصر الحق فيقصده غير متعنت.

١٢٦- أردتم المعاقبة بمثل ما فعل بكم لا تجاوزوا ذلك ولئن عفوتم وصبرتم ابتغاء مرضاة الله. ﴿لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦﴾ فالصبر خير لكم من الانتصاف. ١٢٧- واصبر على ما أصابك من صنوف الأذى وما صبرك إلا بتوفيقه سبحانه وتثبيته ولا تحزن على الكافرين في إعراضهم عنك تَكُ في ضيق صدر من مكرهم لك فيما يستقبل من الزمان.

١٢٨- إن الله مع الذين اتقوا المعاصي بتأدية الطاعات، والقيام بها أمروا بها منها، فهؤلاء هم الذين ينصرهم الله.

سُورَةُ الإِسْرَاءِ
ترتيبها ١٧ — آياتها ١١١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ
إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ
هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ
هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾
ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾
وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ
مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا
عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ
وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ
وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾
إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ
وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ
كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾

سُورَةُ الإِسْرَاءِ

هي مكية إلا ثلاث آيات.

١- فهو سبحانه الذي سيَّر عبده، يعني محمدًا ﷺ ليلاً. وقال بعبده، ولم يقل بنبيه، أو رسوله، أو بمحمد، تشريفًا له ﷺ في هذا المقام العظيم وقد أسري برسول الله ﷺ من دار أم هانئ بجوار المسجد الحرام. وقد يطلق المسجد الحرام على مكة، أو الحرم، لإحاطة كل واحد منهما بالمسجد الحرام، إلى مسجد بيت المقدس، وسمي الأقصى: لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام، ولم يكن حينئذ وراءه مسجد ﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ بالثمار والأنهار ومنازل الأنبياء والصالحين. وفيه من بركات الدنيا والآخرة ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ أي: ما أراه الله سبحانه في تلك الليلة من العجائب ﴿إِنَّهُۥ﴾ سبحانه ﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ بكل مسموع ﴿ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ بكل مبصر، ومن جملة ذلك ذات رسوله وأفعاله. وكان الإسراء بجسده ﷺ مع روحه. ٢- ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: التوراة ﴿وَجَعَلْنَٰهُ﴾ أي: ذلك الكتاب ﴿هُدًى﴾ يهتدون به ﴿لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ يهتدون به ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾﴾ كفيلاً بأمورهم. ٣- ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ أي: يا ذرية من أنجيناهم في السفينة مع نوح من أولاده، ذكَّرهم الله بتلك الحال حيث لم يكن العون إلا من الله، ولا ناصر إلا هو ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾ وصف الله نوحًا بكثرة الشكر حثا لذريته على شكر الله سبحانه. ٤- ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: حكمنا وأخبرنا، والمراد بالكتاب: التوراة، لتفسد في الأرض المقدسة التي بها المسجد الأقصى، وهي أرض بيت المقدس ﴿مَرَّتَيْنِ﴾ قيل المرة الأولى: قتل أشعياء، أو حبس أرمياء، أو مخالفة أحكام التوراة، والثانية: قتل يحيى بن زكريا، والعزم على قتل عيسى، ولتستعلنَّ على الناس، وليظهرن أمركم ودولتكم بالظلم والبغي مجاوزين للحد في ذلك. ٥- ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾ أي: أولى المرتين المذكورتين بعثنا عليكم عبادًا لنا أولي قوة في الحروب وبطش عند اللقاء، قيل: هو بختنصر وجنوده من أهل بابل فعاثوا وترددوا وتخللوها، وطافوا بين الديار يطلبونهم ويقتلونهم ذاهبين وجائين ﴿وَكَانَ﴾ ذلك كائنا لا محالة. ٦- ثم رددنا لكم الدولة والغلبة، وذلك عند توبتكم ﴿وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾ بعد نهب أموالكم، وسبي أبنائكم وجعلناكم أكثر من عدوكم في عدد رجال الحرب الذين يخرجون للقتال. ٧- ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ﴾ أي: أفعالكم وأقوالكم على الوجه المطلوب منكم ﴿أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ لأن ثواب ذلك عائد إليكم ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ﴾ أفعالكم وأقوالكم ﴿فَلَهَا﴾ أي: فقد أسأتم لأنفسكم لا لغيرها ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: حضر وقت ما وعدوا من عقوبة المرة الثانية ﴿لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ تقويهم عليكم ليفعلوا بكم ما تظهر به عليكم آثار المساءة، ويتبين في وجوهكم الهزيمة والخزي والعار بعد التكبر والافتخار ﴿وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ =

عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ
حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ
الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾
وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾
وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾
وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ
النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ
السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ
إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا
يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا
﴿١٤﴾ مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ
عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ
رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا
فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ
الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾

= ﴿وَلِيُتَبِّرُوا﴾ أي: يدمِّروا ويهلكوا ﴿مَا عَلَوْا﴾ أي: ما غلبوا عليه من بلادكم أو مدة علوهم ﴿تَتْبِيرًا ۝﴾ أي: تدميرا.

٨- ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ يا بني إسرائيل بعد انتقامه منكم في المرة الثانية ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ﴾ للثالثة ﴿عُدْنَا﴾ إلى عقوبتكم ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ۝﴾ الحصير المحبس، فيحصرون فيها ولا يتخلصون عنها أبدًا. ٩- ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ وهي ملة الإسلام التي هي أقوم الحالات، وهي توحيد الله والإيمان برسله ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بما اشتمل عليه من الوعد بالخير آجلاً وعاجلاً ﴿الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ﴾ التي أرشد إلى عملها القرآن ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝﴾. ١٠- ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ وأحكامها المبينة في القرآن ﴿أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝﴾ وهو عذاب النار. ١١- ﴿وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ﴾ وهو دعاء الرجل على نفسه وولده عند الضجر بما لا يحب أن يستجاب له ﴿دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾ أي مثل دعائه لربه بالخير لنفسه ولأهله، كطلب العافية والرزق ونحوهما، فلو استجاب الله دعاءه على نفسه بالشر هلك، لكنه لم يستجب تفضلاً منه ورحمة ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ۝﴾ أي مطبوعًا على العجلة، ومن عجلته أنه يسأل الشر كما يسأل الخير. ١٢- ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾ لما فيهما من الإظلام والإنارة، مع تعاقبهما، فهما لمن تفكر في عجيب صنعهما يدلان على وجود الصانع وقدرته فمحونا الآية التي هي الليل نفسه. وجعل سبحانه النهار مضيئًا تبصر فيه الأشياء لتتوصلوا بضياء النهار إلى التصرف في وجوه المعاش، أي وجعل الليل ليسكنوا فيه. ﴿وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ إذ لا يكون علم عدد السنين وحساب الشهور والأيام، إلا باختلاف الليل والنهار وكل شيء أظهره الله من الأحكام ظهورًا بيِّنًا. ١٣- والطائر عند العرب: الحظ، ويقال له البخت، والمعنى: وكل إنسان في هذا الكون الفسيح أُلزِمَ عمله من خيرٍ أو شرٍّ معه فلا يحاسب بعمل غيره ولا يحاسب غيره بعمله، فهو في عنقه لا يفارقه أينما كان، ويخرج الله له يوم القيامة كتابًا يراه منشورًا فيه ذكر أعماله الصالحة وأعماله الخبيثة، تعجيلا للبشرى بالحسنة وللتوبيخ على السيئة. ١٤- قيل: يقرأ ذلك الكتاب من كان قارئًا، ومن لم يكن قارئًا ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝﴾ الحسيب بمعنى المحاسب. ١٥- ولا تحمل نفس حاملة للوزر وزر نفس أخرى، بل يحمل كل إنسان وزر نفسه لا يحمله عنه أحد ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۝﴾ وهذا من عدل الله تعالى، ثم قد قيل: من مات من أهل الفترة أو مات صغيرًا يختبر في عرصات القيامة، فلا يعذب الله عباده إلا بعد الإعذار إليهم بإرسال رسله، وإنزال كتبه، ولا يؤاخذهم قبل إقامة الحجة عليهم. ١٦- وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرناهم بالطاعة والخير فعصوا وفعلوا الشر، وقيل: معنى أمرنا مترفيها: أكثرنا فساقها، والمترفين: هم المنعمون الذين قد أبطرتهم النعمة وسعة العيش، وهم الجبارون المتسلطون، والملوك الجائرون. ١٧- وكم أهلكنا من الأمم ﴿مِن بَعْدِ نُوحٍ﴾ كعاد وثمود ﴿خَبِيرًا بَصِيرًا ۝﴾ لا تخفى عليه منها خافية. ١٨- من كان يريد المنفعة العاجلة أو=

مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ
جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ
ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ
سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ
رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا
بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا
﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾
۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا
يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ
أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ
لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى
صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَـٰلِحِينَ
فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ
وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ
كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾

ربع الحزب ٢٩

= الدار العاجلة، أي: من كان يريد بأعمال البر أو بأعمال الآخرة ذلك عجلنا له في تلك العاجلة ﴿مَا نَشَآءُ﴾ نحن، لا ما يشاؤه ذلك المريد لمن نريد التعجيل له منهم، فلا يحصل لمن أراد العاجلة ما يشاؤه إلا إذا أراد الله له ذلك ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ﴾ بسبب تركه لما أمر به من العمل للآخرة وإخلاصه عن الشوائب يدخلها مطرودًا من رحمة الله مبعدًا عنها. ١٩- ومن أراد بأعماله الدار الآخرة ﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾ أي السعي اللائق بطالبها على القانون الشرعي، من دون ابتداع ولا هوى ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ بالله إيمانًا صحيحًا فأولئك كان سعيهم عند الله مقبولاً غير مردود. ٢٠- أي: كل واحد من الفريقين نزيده من عطائنا على تلاحق من غير انقطاع، نرزق المؤمنين والكفار، وأهل الطاعة وأهل المعصية، لا تؤثر معصية العاصي في قطع رزقه ﴿مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ﴾ بمحض التفضل ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ أي: ممنوعًا. ٢١- ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ فمنهم غني وفقير، وقوي وضعيف، وصحيح ومريض، وذلك لحكمة بالغة تقصر العقول عن إدراكها ﴿وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾ أي: إن التفاضل في الآخرة ودرجاتها بين المؤمنين والكفار - فوق التفاضل في الدنيا ومراتب أهلها فيها من بسط وقبض ونحوهما. ٢٢- ولا تجعل مع الله شريكًا فتصير جامعًا بين الأمرين: الذم لك من الله ومن ملائكته، ومن صالحي عباده، والخذلان لك منه سبحانه. ٢٣- وأمر أمرًا جزمًا بإفراده بالعبادة وقضى بأن تحسنوا بالوالدين إحسانًا، ثم خص سبحانه حالة الكبر بالذكر، لكونها إلى البر من الولد أحوج من غيرها فقال: إن بلغ أحدهما أو كلاهما الكبر في كنفك وكفالتك ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ وهي كلمة تنبئ عن الضجر من أبويه، أو الاستثقال لهما ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ النهر: الزجر والغلظة. أي لا تكلمهما ضجرًا صائحًا في وجوهما ﴿وَقُل لَّهُمَا﴾ بدل التأفيف والنهر لينًا لطيفًا، أحسن ما يمكن التعبير عنه من لطف القول وكرامته، مع التأدب والحياء والاحتشام. ٢٤- ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ أصله أن الطائر إذا أراد ضم فراخه إليه للتربية خفض لها جناحه، فكأنه قال للولد: اكفل والديك بأن تضمهما إلى نفسك، كما فعلا ذلك بك في حال صغرك ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا﴾ رحمة مثل تربيتهما لي أو لأجل تربيتهما لي. ٢٥- ربكم أعلم بما في ضمائركم من الإخلاص وعدمه في كل الطاعات، ومن البر بالوالدين والعقوق لهما ﴿إِن تَكُونُوا۟ صَـٰلِحِينَ﴾ فلا يضركم ما وقع من الذنب الذي تبتم عنه ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾ أي الرجاعين عن الذنوب إلى التوبة، فمن تاب تاب الله عليه. ٢٦- وأعط قريبك من النسب حقه، وهو صلة الرحم التي أمر الله بها، بما تبلغ إليه القدرة وحسبما يقتضيه الحال ﴿وَٱلْمِسْكِينَ﴾ هو الفقير العاجز عن الكسب والمنقطع في سفره. والمراد التصدق عليهم من صدقة النفل، أو من صدقة الفرض ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ وهو الإسراف المذموم في الحلال لمجاوزته للحد المستحسن شرعًا في الإنفاق، ومنه الإنفاق في غير الحق وإن كان يسيرا. ٢٧- ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ﴾ والإسراف =

وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا
مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا
كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ
لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟
أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ
خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ
سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَن
قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى
ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى
هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ
مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ
ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ
إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾
وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ
ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾

= في الإنفاق من الشيطان، فإذا فعله أحد فقد أطاع الشيطان واقتدى به ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾ لا يعمل إلا شرا، ولا يأمر إلا بعمل الشر، فالمبذر كفور. ٢٨- وإما تعرضن عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل لأمر اضطرك إلى ذلك الإعراض لفقد رزق من ربك، وترجو أن يفتح الله به عليك فقل لهم قولاً سهلاً لينًا، كالوعد الجميل، أو الاعتذار المقبول. ٢٩- ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ حال الشحيح كحال من كانت يده مربوطة في رقبته لا يستطيع التصرف بها ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾ عند الناس بسبب ما أنت عليه من الشح، أو بسبب ما فعلته من الإسراف: أي منقطعًا عن المقاصد بسبب الفقر. ٣٠- ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ أي يوسعه على بعض ويضيقه على بعض لحكمة بالغة ﴿خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ لا يخفى عليه من ذلك خافية. ٣١- ﴿خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ نهاهم سبحانه أن يقتلوا أولادهم خشية الفقر، وقد كانوا يفعلون ذلك ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ ولستم لهم برازقين حتى تصنعوا بهم هذا الصنع ﴿خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾ أي إثمًا كبيرًا. ٣٢- ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ بمباشرة مقدماته، وهو نهي عنه بالأولى ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً﴾ أي متبالغًا في القبح مجاوزًا للحد ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ لأنه يؤدي إلى النار، ويفضي إلى اختلاط الأنساب. ٣٣- ولا تقتلوا النفس التي جعلها معصومة بعصمة الدين، أو عصمة العهد ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ وهو يباح به قتل الأنفس، كالردة، والزنى من المحصن، وكالقصاص من القاتل عمدًا عدوانًا ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا﴾ لا بسبب من الأسباب المسوغة لقتله شرعًا جعلنا لمن يلي أمر ه من ورثته سلطانًا، والسلطان: التسلط على القاتل: إن شاء قتل، وإن شاء عفا، وإن شاء أخذ الدية فلا يمثل بالقاتل أو يعذبه به مؤيدًا معانًا، يعني الولي، فإن الله أمر أهل الولايات بمعونته والقيام بحقه حتى يستوفيه. ٣٤- ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ النهي عن قربان مال اليتيم مبالغة في النهي عن المباشرة له بإتلافه، أو بما يفسده، ولكن يباشره الولي بالخصلة ﴿ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ وهي حفظه وطلب الربح فيه ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ فإذا بلغ اليتيم أشده ورشده، كان لكم أن تدفعوه إليه، أو تتصرفوا فيه بإذنه ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ﴾ قوموا بحفظه على الوجه الشرعي، والقانون المرضي، إلا إذا دل دليل خاص على جواز النقض. ٣٥- وأتموا الكيل ولا تخسروه ﴿وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾ القسطاس: هو الميزان الذي توزن به البضائع، ومنه القبان وموازين الذهب وغيرها، والمستقيم: الذي لا يخس ولا يزيد. ﴿ذَٰلِكَ﴾ وهو إيفاء الكيل والوزن ﴿خَيْرٌ﴾ لكم عند الله وعند الناس، ينتج عنه حسن الذكر، وترغيب الناس في معاملة من كان كذلك ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾﴾ أي: أحسن عاقبة. ٣٦- ثم نهيٌ عن أن يقول الإنسان ما لا يعلم، أو يعمل بما لا علم له به، كذم الناس بغير علم، وقذفهم، واتباع الحدس والظنون ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ يسأل صاحبها عما استعملها فيه، لأنها آلات، فإن استعملها في الخير استحق الثواب، وإن استعملها في الشر استحق العقاب. ٣٧- ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ المرح: =

ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا
ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم
بِٱلۡبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ إِنَّكُمۡ لَتَقُولُونَ قَوۡلًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾
وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا نُفُورٗا ﴿٤١﴾
قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا
﴿٤٢﴾ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ
ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن
لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأۡتَ
ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا
مَّسۡتُورٗا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ
وَقۡرٗاۚ وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا
﴿٤٦﴾ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَسۡتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذۡ يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ
إِذۡ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرۡ
كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ﴿٤٨﴾
وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ﴿٤٩﴾

= الخيلاء والفخر ﴿إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ﴾ بمشيك عليها تكبرًا، وفيه تهكم بالمختال المتكبر ولن تبلغ قدرتك إلى أن تطاول الجبال حتى يكون عظم جثتك حاملاً لك على الكبر والاختيال. ٣٩- والإشارة إلى ما تقدم ذكره وهي خمسة وعشرون تكليفًا، مما أوحى إليك ربك من الأحكام المحكمة التي لا يتطرق إليها الفساد، ثم كرر النهي عن الشرك تأكيدًا وتقريرًا، وتنبيهًا على أن التوحيد رأس خصال الدين وعمدته فتلقى في جهنم موبخًا مطرودًا. ٤٠- وهو خطاب للكفار القائلين بأن الملائكة بنات الله. أي: هل فضلكم على نفسه فخصكم بالذكور من الأولاد، وجعل الإناث منهم، إنكم لتقولون قولاً بالغًا في العظم والجراءة على الله إلى مكان لا يقادر قدره. ٤١- أي: بيّنّا ضروب القول فيه من الأمثال وغيرها، أو كررنا فيه ليتعظوا ويتدبروا بعقولهم ويتفكروا فيه حتى يقفوا على بطلان ما يقولونه وما يزيدهم إلا تباعدًا عن الحق، وغفلة عن النظر في الصواب. ٤٢- الخطاب للقائلين بأن مع الله آلهة أخرى إذن لابتغوا إلى الله سبحانه طريقًا للمغالبة والممانعة، كما تفعل الملوك بعضهم مع البعض من المقاتلة والمصاولة. ٤٣- ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ التسبيح التنزيه ﴿وَتَعَٰلَىٰ﴾ تباعد ﴿عَمَّا يَقُولُونَ﴾ من الأقوال الشنيعة والفرية العظيمة ﴿عُلُوّٗا﴾ أي: تعاليًا. ٤٤- أي من مخلوقاته الذين لهم عقول، وهم الملائكة والإنس والجن، وغيرهم من الأشياء التي لا تعقل ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾ فشمل كل ما يسمى شيئًا، كائنًا ما كان، لأن كل مخلوق يشهد بأن الله خالق قادر. وقالت طائفة: هذا التسبيح على حقيقته، تنطق به الأشياء، ولكن البشر لا يسمعون ذلك ولا يفهمونه. ولكن لا تفهمون ما تقول الجمادات، وقيل: الخطاب للكفار الذين يعرضون عن الاعتبار ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾﴾ فمن حمله الإمهال لكم، ومن مغفرته لكم أنه لا يؤاخذ من تاب منكم. ٤٥- ﴿حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا ﴿٤٥﴾﴾ أي: إنهم لإعراضهم عن قراءتك وتغافلهم عنك كمن بينك وبينه حجاب ساتر يمنعهم من السماع. ٤٦- وجعلنا على قلوبهم أغطية لئلا يفقهوه وفي آذانهم صممًا وثقلاً ﴿وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ﴾ غير مشفوع بذكر آلهتهم ﴿وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا ﴿٤٦﴾﴾ أعطوك ظهورهم لئلا يسمعوا. ٤٧- ﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَسۡتَمِعُونَ بِهِۦٓ﴾ من الاستخفاف بك وبالقرآن واللغو في ذكرك لربك وحده ﴿وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ﴾ أي: ونحن أعلم بما يتناجون به فيما بينهم وقت تناجيهم، بالتكذيب والاستهزاء ﴿إِذۡ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ﴿٤٧﴾﴾ سُحِرَ فاختلط عقله، وزال عن حد الاعتدال. ٤٨- أي: قالوا تارة إنك كاهن، وتارة ساحر، وتارة شاعر، وتارة مجنون ﴿فَضَلُّواْ﴾ عن طريق الصواب في جميع ذلك ﴿فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ﴿٤٨﴾﴾ إلى الهدى، أو إلى الطعن الذي تقبله العقول ويقع التصديق له. ٤٩- الرفات: ما تكسر وبلي من كل شيء، فيكونون رفاتًا بعد موتهم وبلي أجسادهم ﴿أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ﴿٤٩﴾﴾ الاستفهام: للاستنكار=

نصف الحزب ٢٩

۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى
صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ
فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن
يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ
وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ
أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ
عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ
يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ
بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ
وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا
يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ
رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾
وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ
أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾

٢٨٧

= والاستبعاد. ٥٠- معناه: لو كنتم حجارة أو حديدًا لأعادكم الله كما بدأكم، ولأماتكم ثم أحياكم كما خلقكم أول مرة. ٥١- ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ﴾ أي: يعظم عندكم، مما هو أكبر من الحجارة والحديد مباينة للحياة، فإنكم مبعوثون لا محالة ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا﴾ إلى الحياة بعد أن نصير رفاتًا، أو حجارة، أوحديدًا، قل يعيدكم الذي خلقكم واخترعكم عند ابتداء خلقكم من غير مثال سابق ولا صورة متقدمة ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ أي: يحركونها استهزاء ويقولون متى البعث والإعادة قل هو قريب، وكل ما هو آت قريب. ٥٢- ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ الله إلى المحشر ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ﴾ أي: منقادين له حامدين ﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ﴾ في قبوركم ﴿إِلَّا﴾ زمنًا ﴿قَلِيلًا ﴿٥٢﴾﴾ تحقرت الدنيا في أعينهم، وقلت حين رأوا أهوال يوم القيامة. ٥٣- أي: قل يا محمد لعبادي المؤمنين آمرًا لهم أن يقولوا عند محاورتهم للمشركين الكلمة التي هي أحسن من غيرها من الكلام الحسن - لأن المخاشنة لهم ربما تنفر عن الإجابة،

وقيل: يقول بعض المؤمنين لبعض أحسن الكلام ولا يقولون سيئه ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ إذا قيلت الكلمة السيئة، أي بالفساد وإلقاء العداوة والإغراء ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ أي متظاهرًا بالعداوة مكاشفًا بها.
٥٤- قيل: هذا خطاب للمشركين، والمعنى: إن يشأ الله يوفقكم للإسلام فيرحمكم، أو يميتكم على الشرك فيعذبكم وما وكلناك في منعهم من الكفر، وقسرهم على الإيمان. ٥٥- ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أعلم بهم ذاتًا وحالاً واستحقاقًا ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ كما اتخذ الله إبراهيم خليلا، وموسى كليمًا، وجعل عيسى كلمته وروحه، وجعل لسليمان ملكًا عظيمًا، وغفر لمحمد ﷺ ما تقدم من ذنبه وما تأخر ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾ هو الكتاب الذي أعطاه الله داود، ويسمى: مزامير داود، وكله كان مواعظ وأذكارا. ٥٦- أي: ادعوا الذين زعمتم أنهم آلهة من دون الله واطلبوا منهم كشف البلاء الذي نزل بكم فإنهم لا يستطيعون تحويله من حال إلى حال، وليس من عجز عن ذلك إلهًا. ٥٧- أي: إن تلك المعبودات التي تدعونها من دون الله من الملائكة والمسيح ونحوهم، هم أنفسهم يرغبون إلى الله في طلب ما يقربهم إلى ربهم، ويتقربون إليه بالعمل الصالح، ويتنافسون ليعلموا أيهم أقرب إليه سبحانه بالطاعة والعبادة ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ﴾ كما يرجوها غيرهم ﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ كما يخافه غيرهم إن عذاب ربك كان حقيقًا بأن يحذره العباد من الملائكة والأنبياء وغيرهم.
٥٨- أي: ما من قرية، أي قرية كانت من قرى الكفار، إلا سيهلكون: إما بموت، وإما بعذاب يستأصلهم قبل يوم القيامة ﴿كَانَ ذَٰلِكَ﴾ المذكور من الإهلاك والتعذيب ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي اللوح المحفوظ.

وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ
وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ
إِلَّا تَخۡوِيفٗا ﴿٥٩﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ وَمَا
جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ
فِي ٱلۡقُرۡءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمۡ فَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا طُغۡيَٰنٗا كَبِيرٗا ﴿٦٠﴾
وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ
قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي
كَرَّمۡتَ عَلَيَّ لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ
ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذۡهَبۡ فَمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ فَإِنَّ
جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمۡ جَزَآءٗ مَّوۡفُورٗا ﴿٦٣﴾ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ
مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ
فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا
غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞۚ وَكَفَىٰ
بِرَبِّكَ وَكِيلٗا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِي يُزۡجِي لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ
فِي ٱلۡبَحۡرِ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٦٦﴾

٥٩- ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ﴾ سأل أهل مكة رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبًا، وأن ينحي عنهم جبال مكة، فأتاه جبريل، فقال: إن شئت كان ما سأل قومك، ولكنهم إن لم يؤمنوا لم يمهلوا، وإن شئت استأنيت بهم، فأنزل الله هذه الآية. ﴿وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ﴾ علامة بينةً، ومعجزة ظاهرةً دالة على صدقه ﴿فَظَلَمُواْ بِهَاۚ﴾ أي: فجحدوا بها ﴿وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ﴿٥٩﴾﴾ أي: وما نرسل المعجزات مع الرسل إلا تخويفًا للمكذبين لعلهم يؤمنون.

٦٠- أي: إنهم في قبضته وتحت قدرته. وهذه الرؤيا هي رؤيا عين وهي الإسراء، وهي المذكورة في صدر السورة، وسماها رؤيا لأنها وقعت بالليل، وكانت الفتنة ارتداد قوم كانوا أسلموا حين أخبرهم النبي ﷺ أنه أسري به، وقيل: كانت رؤيا نوم، وقيل: إن الله سبحانه أراه في المنام مصارع قريش في بدر ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾ وهي شجرة الزقوم. والفتنة فيها أن أبا جهل وغيره قالوا: زعم صاحبكم أن نار جهنم تحرق الحجر، ثم يقول ينبت فيها الشجر. ونخوفهم بالآيات، فما يفيدهم إرسال الآيات إلا الزيادة في الكفر. ٦٢- ﴿أَرَءَيۡتَكَ﴾ أي: أخبرني عن هذا الذي فضلته عليَّ: لِمَ فضلته؟ وأنت قد خلقتني من نار وخلقته من طين لأستولين عليهم بالإغواء والإضلال كما يحنِّك الفرس، إذا جعل في فيه الرسن، أقسم اللعين هذا القسم لما ظنه من قوة نفوذ كيده في بني آدم، وأنه يجري منهم في مجاري الدم ﴿إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٦٢﴾﴾ وهم الذين عصمهم الله منه بقوله: (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان). ٦٣- قال اذهب فمن أطاعك منهم ﴿فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمۡ﴾ أي جزاء إبليس ومن أطاعه جزاء وافرًا مكملاً. ٦٤- والمعنى: استخفهم بصوتك داعيًا لهم إلى معصية الله واجمع عليهم جندك من راكبٍ وراجل، وأما المشاركة في الأموال، فهي كل تصرف فيها يخالف وجه الشرع، سواء كان أخذًا من غير حق، أو وضعًا في غير حق، كالغصب والسرقة والربا. والمشاركة في الأولاد: دعوى الولد بغير سبب شرعي، وتحصيله بالزنى، وتسميتهم بعبد اللات وعبد العزى، ويدخل فيه ما قتلوا من أولادهم خشية إملاق، ووأد البنات، وتصير أولادهم على الملة الكفرية التي هم عليها ﴿وَعِدۡهُمۡۚ﴾ قال الفراء: قل لهم: لا جنة ولا نار، فاصنعوا ما بدا لكم، وعدهم بأنهم لا يبعثون.

٦٥- ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞۚ﴾ يعني: عباده المؤمنين ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلٗا ﴿٦٥﴾﴾ يتوكلون عليه، فيدفع عنهم كيد الشيطان ويعصمهم من إغوائه. ٦٦- يسوق السفن ويسيرها في البحر لتتمكنوا من السفر في البلاد، وتحميل البضائع، فيحصل لكم من رزقه الذي تفضل به على عباده، أو من الربح بالتجارة ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٦٦﴾﴾ فهداكم إلى مصالح دنياكم.

وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ
إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ
بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ
وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ
عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟
لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ
فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ
كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ
بِإِمَٰمِهِمْ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ
كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ
أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُوا۟
لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ
وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ
تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ
ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٢٩

٦٧- يعني خوف الغرق في البحر ﴿ضَلَّ مَن تَدْعُونَ﴾ من الآلهة وذهب عن خواطركم، ولم يوجد لإغاثتكم ما كنتم تدعون من دونه من صنم، أو جن، أو ملك، أو بشر ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ وحده، فإن كل واحد منهم يعلم بالفطرة علمًا لا يقدر على مدافعته أن الأصنام ونحوها لا فعل لها ولا تنفعه في تلك الحال ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ عن الإخلاص لله وتوحيده ورجعتم إلى دعاء أصنامكم والاستغاثة بها وكان الإنسان كثير الكفران لنعمة الله. ٦٨- والخسف أن تنهار الأرض بالشيء فحذرهم ما أمنوه من البحر. ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ أي: ريحًا شديدة حاصبة، وهي التي ترمي بالحصى الصغار ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾﴾ أي حافظًا ونصيرا يمنعكم من بأس الله. ٦٩- ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ أي: في البحر مرة أخرى بأن يقوي دواعيكم إلى ركوبه ﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ﴾ القاصف: الريح الشديد التي لها قصيف: أي صوت شديد ﴿فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ أي: بسبب كفركم ثم لا تجدوا لكم ناصرًا ينصركم من بأس الله. ٧٠- ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ خلقهم على هذه الهيئة الحسنة، وميزهم بالنطق والعقل والتمييز، وتخصيصهم بما خصهم به من المطاعم والمشارب والملابس على وجه لا يوجد لسائر أنواع الحيوان مثله، وأكرمهم بتسليطهم على سائر الخلق، وتسخير سائر الخلق لهم، وأكرمهم بالكلام والخط والفهم، وأعظم خصال التكريم العقل ﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ﴾ على الدواب وما يصنعونه من المراكب ﴿وَ﴾ في ﴿ٱلْبَحْرِ﴾ على السفن ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ أي: لذيذ المطاعم والمشارب ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ فعلى بني آدم أن يتلقوه بالشكر، ويحذروا من كفرانه. ٧١- الإمام: هو الكتاب المنزل عليهم، فيدعى أهل التوراة بالتوراة، وأهل الإنجيل بالإنجيل، وأهل القرآن بالقرآن، فيقال: يا أهل التوراة. يا أهل الإنجيل. يا أهل القرآن ﴿فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ من أولئك المدعوين ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ﴾ الذي أوتوه ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾﴾ أي: لا ينقصون من أجورهم قدر فتيل، وهو القشرة التي في شق النواة. ٧٢- ومن كان في الدنيا فاقد البصيرة، أي: أعمى القلب فهو في الآخرة أعمى البصر. يعاقب بعمى البصر على عمى القلب، ويحتمل أن يراد القلب عن الحجة يوم القيامة. ٧٣- ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ﴾ قاربوا أن يخدعوك فقالوا: تعال فتمسح آلهتنا، وندخل معك في دينك، فأوحى الله إليه ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ﴾ الآية، وذلك لأن في إعطائهم ما سألوه مخالفة لحكم القرآن، وافتراء على الله سبحانه من تبديل الوعد بالوعيد وغير ذلك ﴿وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾﴾ أي: لو اتبعت أهواءهم والوك وصافوك. ٧٤- ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ﴾ على الحق وعصمناك عن موافقتهم ﴿لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ﴾ تميل إليهم أدنى ميل ﴿شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾ لكن أدركته ﷺ العصمة، فامتنع من أدنى مراتب الركون إليهم. ٧٥- أي: لصار عذابك مثلي عذاب المشرك في الدنيا، ومثلي عذابه في الآخرة. ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ﴾=

وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا
وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ
أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ
الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ
قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ
نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ
أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن
لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ
إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ
وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا
أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا
﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ
سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي
وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ
بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾

٢٩٠

= ﴿عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ ينصرك فيدفع عنك هذا العذاب. ٧٦- وإن قاربوا أن يزعجوك من أرض مكة لتخرج عنها، ولكنه لم يقع ذلك منهم، بل منعهم الله منه حتى هاجر بأمر ربه بعد أن هموا به وإذًا لا يبقون بعد إخراجك ﴿إِلَّا﴾ زمنا ﴿قَلِيلًا ﴿٧٦﴾﴾. ٧٧- ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا﴾ أنهم إذا أخرجوا نبيهم من بين أظهرهم أو قتلوه ينزل العذاب بهم ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ أي: ما أجرى الله به العادة لم يتمكن أحد من تحويله ولا يقدر على تغييره. ٧٨- أي: عند زوال الشمس عن كبد السماء، وهي صلاة الظهر ﴿إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ الغسق: اجتماع الليل وظلمته، والمراد: صلاتا المغرب والعشاء ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ أي: وأقم قرآن الفجر، والمراد: صلاة الصبح، والصبح تطول فيها القراءة ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾ أي: تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار، كما ورد ذلك في الحديث الصحيح. ٧٩- التهجد: الصلاة بالليل بعد النوم ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ زائدة على الفرائض، قيل: كانت صلاة الليل فريضة في حقه ﷺ ولأمته تطوّع ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ هو المقام الذي يقومه النبي ﷺ للشفاعة يوم القيامة للناس ليريحهم ربهم سبحانه مما هم فيه، فيحمده على ذلك المقام أهل المحشر، وبيده لواء الحمد.

٨٠- قيل: نزلت حين أُمر النبي ﷺ بالهجرة، يريد: إدخال المدينة والإخراج من مكة، إدخال عز وإخراج نصر ﴿وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ﴾ حجة ظاهرة قاهرة تنصرني بها على جميع من خالفني، وقيل أمر أن يسأل ربه سلطة ودولة دنيوية قوية يكون له بها عزّ. ٨١- ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ ما وعد الله نبيه من ظهور وانتصار الإسلام وبَطَل الشرك واضمحل. ويقول ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾. ٨٢- ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾ للقلوب بزوال الجهل عنها وذهاب الريب والشبه والضلال ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ لما فيه من العلوم النافعة المشتملة على ما فيه صلاح الدين والدنيا، ولما في تلاوته وتدبره من الأجر العظيم، ومغفرة الله ورضوانه ﴿وَلَا يَزِيدُ﴾ القرآن ﴿الظَّالِمِينَ﴾ الذين وضعوا التكذيب موضع التصديق ﴿إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ أي هلاكًا، لأن سماع القرآن يغيظهم ويحنقهم، ويدعوهم إلى زيادة ارتكاب القبائح تمردًا فيهلكون. ٨٣- ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ﴾ بالنعم التي توجب الشكر، كالصحة والغنى ﴿أَعْرَضَ﴾ عن الشكر لله والذكر له، ويوليه ظهره، فلا يكون منه إلا التكبر والبعد بنفسه عن القيام بحقوق النعم ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ من مرض أو فقر ﴿كَانَ يَئُوسًا ﴿٨٣﴾﴾ شديد القنوط من رحمة الله: إن ظفر بالمقصود نسي المعبود، وإن فاته استولى عليه الأسف، وغلب عليه القنوط، وكلتا الخصلتين قبيحة. ٨٤- قل كل إنسان يعمل على ما يشاكل أخلاقه التي ألفها والله هو الذي يميز بين المؤمن الذي لا يعرض عند النعمة ولا ييأس عند المحنة، وبين الكافر الذي شأنه البطر للنعم والقنوط عند النقم. ٨٥- ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ أي: عن حقيقتها وكُنْهها، وهي الروح التي يعيش بها الإنسان، خلقها الله ولم يطلع على حقيقتها أحدًا ﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ قد استأثر بعلمها، ولم يطلع عليها أنبياءه ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا﴾ =

إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّ فَضۡلَهُۥ كَانَ عَلَيۡكَ كَبِيرٗا ٨٧ قُل
لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ
لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ٨٨ وَلَقَدۡ
صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ
إِلَّا كُفُورٗا ٨٩ وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ
ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ٩٠ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ
فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ٩١ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا
زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ٩٢
أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ
لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ
كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ٩٣ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ
ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ٩٤ قُل لَّوۡ كَانَ
فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا ٩٥ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ
شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ٩٦

٢٩١

= ﴿قَلِيلًا ٨٥﴾ أي: إن علمكم الذي علمكم الله قليل. ٨٦- معناه: لو شئنا لمحوناه من القلوب ومن الكتب، حتى لا يوجد له أثر ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ﴾ أي بالقرآن إذا ذهبنا به عنك وأنسيناك إياه ﴿عَلَيۡنَا وَكِيلًا ٨٦﴾ أي: لا تجد من يتوكل علينا في رد شيء منه. ٨٧- ﴿إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ﴾ لكن لا نشاء ذلك رحمة من ربك ﴿إِنَّ فَضۡلَهُۥ كَانَ عَلَيۡكَ كَبِيرٗا ٨٧﴾ حيث جعلك رسولا، وأنزل عليك الكتاب، وصيرك سيد ولد آدم، وأعطاك المقام المحمود، وغير ذلك مما أنعم به عليه.

٨٨- ﴿بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ المنزل من عند الله في كمال البلاغة وحسن النظم وجزالة اللفظ ﴿لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ﴾ لأن المخلوق يعجز عن مثل ما يأتي به الخالق ﴿وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ٨٨﴾ أي: عونًا ونصيرًا.

٨٩- أي: رددنا القول فيه بكل مثل يوجب الاعتبار من الآيات والعبر، والترغيب والترهيب، والأوامر والنواهي، وأقاصيص الأولين، والجنة والنار والقيامة ومع ذلك فإن كثيرًا من الناس جحدوا وأنكروا كون القرآن كلام الله بعد قيام الحجة عليهم.

٩٠- ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ﴾ أي: قال رؤساء مكة ﴿حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ٩٠﴾ الينبوع: عين الماء إذا كانت غزيرة من شأنها النبوع من غير انقطاع. ٩١- ﴿أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ﴾ أي: بستان تستر أشجاره أرضه ﴿فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ﴾ أي: تجريها بقوة ﴿خِلَٰلَهَا﴾ أي: وسطها ﴿تَفۡجِيرًا ٩١﴾ كثيرًا. ٩٢- ﴿أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا﴾ أي: قطعًا ﴿أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ٩٢﴾ أي: معاينة حتى نراهم بأعيننا مقابلين لنا، وقيل: المعنى: تأتي بأصناف الملائكة قبيلة قبيلة. ٩٣- ﴿أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ﴾ أي: من ذهب، وقيل المراد: مزين كثير الزخارف على عادة الأغنياء والمترفين من اتخاذ البيوت المزخرفة ﴿أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: تصعد في معارجها ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥ﴾ أي حتى تنزل علينا من السماء كتابًا يصدقك ويدل على نبوتك ﴿قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي﴾ أي: تنزيهًا لله عن أن يعجز عن شيء ﴿هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا﴾ أي: لست أنا إلا واحدًا من البشر المخلوقين، ولست ملكًا حتى أصعد السماء ﴿رَّسُولٗا ٩٣﴾ مأمورًا من الله سبحانه بإبلاغكم، فهل سمعتم أيها المقترحون لهذه الأمور أن بشرًا قدر على شيء منها؟ وأنا عبد مأمور ليس لي أن أتحكم على ربي. ٩٤- ﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ﴾ أي: ما منعهم إلا قولهم ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ٩٤﴾ وهو إنكار أن يكون الرسول من جنس البشر. ٩٥- أي: لو وجد في الأرض بدل من فيها من البشر ملائكة يمشون على الأقدام كما يمشي الإنس مطمئنين مستقرين فيها ﴿لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا ٩٥﴾ حتى يكون من جنسهم. ٩٦- ﴿قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ﴾ على إبلاغي إليكم ما أمرني به من أمور الرسالة، وقيل: المراد: أن إظهار المعجزة على وفق دعوى النبي شهادة من الله له على الصدق ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ٩٦﴾ أي: عالـمًا بجميع =

وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ
مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا
وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾
ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا
وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ
ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ
وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾
قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ
ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ
ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ
إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ
هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ
يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ
فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾

= أحوالهم، محيطًا بظواهرها وبواطنها. ٩٧- ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ إلى الحق ﴿وَمَن يُضْلِلْ﴾ أي: يرد إضلاله ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ ينصرونهم ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ سبحانه، ويهدونهم إلى الحق الذي أضلهم الله عنه ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ عبارة عن الإسراع بهم إلى جهنم، وقيل: إنهم يسحبون يوم القيامة على وجوههم حقيقة، كما يفعل في الدنيا بمن يبالغ في إهانته وتعذيبه ﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ يبعثون في أقبح صورة، وأشنع منظر، قد جمع الله لهم بين عمى البصر، وعدم النطق، وعدم السمع. ﴿مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ أي: المكان الذي يأوون إليه ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ أي: كلما سكن لهبه تزاد ما به يعلو لهبها ويتسعر. ٩٨- ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: العذاب ﴿جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أي: بسبب كفرهم بها، فلم يصدقوا بالآيات التنزيلية، ولا تفكروا في الآيات التكوينية ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا﴾ تقدم تفسيرها [الآية: ٤٩].
٩٩- ﴿قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ أي: من هو قادر على خلق هذا، فهو على إعادة ما هو أدون منه أقدر ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ وهو الموت، أو القيامة ﴿فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ أي: أبى المشركون إلا جحودًا. ١٠٠- أي: لو ملكوا خزائن الأرزاق لأمسكوا شحًا وبخلاً وكان الإنسان بخيلا مضيقًا على نفسه وعلى غيره في النفقة.

١٠١- ولقد آتينا موسى علامات دالة على نبوته، كأنها مساوية لتلك الأمور التي اقترحها كفار قريش، بل أقوى منها، أي: فلم يؤمن بها فرعون وقومه مع ظهور إعجازها، بل أدت بهم إلى الهلاك، فكذلك ما تطلبون يا أهل مكة. والآيات التسع هي: الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والعصا، واليد، والسنين، ونقص الثمرات. ﴿فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ سؤال استشهاد لمزيد الطمأنينة والإيقان، والمسئولون مؤمنو بني إسرائيل كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾﴾ والمسحور: الذي سُحِرَ فخولط عقله.

١٠٢- فـ ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني: الآيات التي أظهرها ﴿إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ أي: دلالات يستدل بها على قدرته ووحدانيته، والظن: هنا بمعنى اليقين، والثبور الهلاك والخسران. ١٠٣- وأراد فرعون أن يخرج بني إسرائيل وموسى ويزعجهم من أرض مصر بإبعادهم عنها، فأغرقناه وجيشه الذي لحق بموسى.

١٠٤- ومن بعد هلاك فرعون وجنده قلنا لبني إسرائيل اسكنوا أرض الشام فإذا جاء يوم القيامة جئنا بكم من قبوركم مختلطين من كل موضع، قد اختلط المؤمن بالكافر، وقيل: جئنا بكم من قبائل وبلدان شتى إلى الأرض المقدسة.

وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾
وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾
قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ۚ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ
عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ
وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ
خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ
الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ
بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن
لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾

سجدة

سُورَةُ الكَهْفِ

ترتيبها ١٨ — آياتها ١١٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۜ ﴿١﴾
قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ
يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّاكِثِينَ
فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾

سكتة لطيفة على ألف عوجا

١٠٥ - أي ما أنزلنا القرآن إلا بالحق، وقد نزل وفيه الحق ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ لمن أطاع بالجنة ومخوفًا لمن عصى بالنار. ١٠٦ - ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ﴾ أي أنزلناه شيئًا بعد شيء، لا جملة واحدة لتقرأه على الناس على تطاول في المدة شيئًا بعد شيء على ترسل وتمهل، فإن ذلك أقرب إلى الفهم وأسهل للحفظ وأنزلناه منجمًا مفرقًا لما في ذلك من المصلحة، ولو أُخِذوا بجميع الفرائض في وقت واحد لنفروا ولم يطيقوا. ١٠٧ - ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا﴾ لا يزيده ذلك ولا ينقصه ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ﴾ أي: إن العلماء الذين قرأوا الكتب السابقة قبل إنزال القرآن، وعرفوا حقيقة الوحي، وأمارات النبوة، كزيد بن عمرو بن نفيل، وورقة بن نوفل، وعبد الله بن سلام ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ أي: القرآن ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾﴾ أي: يسقطون على وجوههم ساجدين لله سبحانه لأن الحق لا يخفى عليهم ويقولون في خشوع تنزه ربنا وتقدَّس مما يصفه المشركون به إن وعد ربنا لمفعولا، أي: كائنًا واقعًا لا شك فيه. ١٠٩ - وكرر ذكر الخرور للأذقان لتأثير مواعظ القرآن في قلوبهم ومزيد خشوعهم ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾ القرآن بسماعهم له لين قلب ورطوبة عين. ١١٠ - ومعناه أنهما مستويان في جواز الإطلاق، وحسن الدعاء بهما ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُوا﴾ المعنى: أي اسم من أسمائه الحسنى دعوتموه به فقد أصبتم ﴿فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ ومعنى حسن الأسماء استقلالها بنعوت الجلال والإكرام ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ أي بقراءة صلاتك ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ أي بين طريقًا متوسطًا بين الأمرين، فلا تكن مجهورة ولا مخافتًا بها. وهذا للمنفرد، أما الإمام فيجهر في الصبح والمغرب والعشاء في الركعتين الأوليين من كل منهما، وفي الجمعة، لكي يسمع منه من خلفه.

١١١ - ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ كما تقوله اليهود والنصارى، ومن قال من المشركين إن الملائكة بنات الله ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ كما تزعمه الثنوية ونحوهم من الفرق القائلين بتعدد الآلهة ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ﴾ أي لم يحتج إلى موالاة أحد لذل يلحقه، فهو مستغن عن الولي والنصير ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ أي عظمه تعظيمًا، وصفه بأنه أعظم من كل شيء.

سُورَةُ الكَهْفِ

هي مكية في قول جميع المفسرين ١ - ﴿الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ محمد ﷺ علم الله عباده أن يحمدوه على إفاضة نعمه عليهم، ومنها إنزاله ﴿الْكِتَابَ﴾ وهو القرآن نعمة عليهم، أنزله على رسول الله ﷺ أطلعه بواسطتها على أسرار التوحيد، وأحوال الملائكة والأنبياء، وعلى الأحكام الشرعية التي تعبَّده الله وتعبَّد أمته بها ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ﴿١﴾﴾ أي: لم يجعل فيه شيئًا من الاختلال في اللفظ أو المعنى، ولم يجعل فيه اختلافًا. ٢ - القيِّم هو المستقيم الذي لا ميل فيه، أو القيم على ما قبله من الكتب السماوية مهيمنًا=

مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٖ وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡۚ كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ
أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبٗا ٥ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ
عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ٦ إِنَّا
جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا
٧ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيۡهَا صَعِيدٗا جُرُزًا ٨ أَمۡ حَسِبۡتَ
أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ٩
إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ
وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ١٠ فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي
ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدٗا ١١ ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ
أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا ١٢ نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ
إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ١٣ وَرَبَطۡنَا
عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ
لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا ١٤ هَٰٓؤُلَآءِ
قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم
بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ١٥

= عليها ﴿لِّيُنذِرَ﴾ الكافرين ﴿بَأۡسٗا شَدِيدٗا﴾ والبأس العذاب ﴿مِّن لَّدُنۡهُ﴾ نازلاً من عنده ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ٢﴾ وهو الجنة حسن كل ما فيها. ٣- ﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ﴾ أي في ذلك الأجر ﴿أَبَدٗا ٣﴾ أي: مكثًا دائمًا لا انقطاع له. ٤- وهم اليهود والنصارى، وبعض كفار قريش القائلون بأن الملائكة بنات الله، ونسبة الولد إلى الله سبحانه أقبح أنواع الكفر. ٥- ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٖ﴾ أي بالولد، أو اتخاذ الله إياه ﴿وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡ﴾ أي وليس عند المتقدمين منهم دليل صحيح على أن الله اتخذ ولدًا، بل كانوا في زعمهم هذا على ضلالة، وقلدهم أبناؤهم فضلوا جميعًا ﴿كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ لاستعظام اجترائهم على التفوه بها ﴿إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبٗا ٥﴾ لا مجال للصدق فيه بحال. ٦- ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ﴾ أي مهلكها ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ﴾ أي من بعد توليهم وإعراضهم ﴿إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ﴾ أي القرآن ﴿أَسَفًا﴾ أي: غيظًا أو حزنًا على قولهم هذا، وسائر ما يكفرون به، أي: فهون عليك الأمر يا محمد، فإن مهمتك التي بُعثت لها أن تبلغهم الرسالة التي يحملك الله إياها، ولست مكلفًا بأن تدخل الإيمان في قلوبهم، فلا تتلف نفسك حسرة على كفرهم. ٧- ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا﴾ مما يصلح أن يكون زينة لها من الحيوانات والنبات والجماد، ومما يلهم الله البشر أن يصنعوه عليها من المباني والرياش ﴿لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ٧﴾ لنمتحنهم أهذا أحسن عملاً أم ذاك؟ وأيهم أصلح فيما أوتي من المال. ٨- ﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيۡهَا﴾ من هذه الزينة عند تناهي عمر الدنيا ترابًا لا زرع ولا زينة فيه، كالزرع الذي أكله الجراد. ٩- أي: بل أظننت يا محمد أنهم كانوا عجبًا من آياتنا فقط؟ لا تحسب ذلك، فإن آياتنا كلها عجب كذلك، وفوق ذلك. والرقيم اسم الوادي أو القرية، أو اللوح الذي كتبت أسماؤهم فيه.

١٠- ﴿إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ﴾ هم أصحاب الكهف ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ﴾ أي: من عندك رحمة مختصة بأنها من خزائن رحمتك، وهي المغفرة في الآخرة، والأمن من الأعداء، والرزق في الدنيا ﴿وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ١٠﴾ أي: وأصلح لنا الأمر الذي نحن عليه وهو المفارقة للكفار. ١١- سددنا آذانهم بالنوم الغالب عن سماع الأصوات سنين كثيرة. ١٢- ثم أيقظناهم من تلك النومة ﴿لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ﴾ هما الفريقان من المؤمنين والكافرين المختلفين في مدة لبثهم ﴿أَحۡصَىٰ﴾ أضبط ﴿لِمَا لَبِثُوٓاْ﴾ لمدة بقائهم نومى في الكهف.

١٣- هذا شروع في تفصيل ما أجمل الله من خبر أصحاب الكهف: أي نحن نخبرك بخبرهم بالحق لا كالأخبار المشوّشة غير المنضبطة، عند أهل الكتاب إنهم أحداث شبان آمنوا بالله تعالى إلهًا وربًّا وزدناهم إيمانًا ويقينًا. ١٤- ﴿وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ أي قويناها بالصبر على هجر الأهل والأوطان ﴿إِذۡ قَامُواْ﴾ اجتمعوا وراء المدينة ليتواثقوا على الصبر على دينهم واعتزال قومهم ﴿فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ قيل: كان لهم ملك جبار يقال له: دقلديانوس، وكان يدعو الناس إلى عبادة الطواغيت، فثبت الله هؤلاء الفتية وعصمهم حتى =

ربع الحزب ٣٠

وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ
يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا
١٦ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ
ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ
مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن
يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ١٧ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا
وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم
بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ
فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ١٨ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ
لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا
يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟
أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ
طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ
بِكُمْ أَحَدًا ١٩ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ
أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ٢٠

= قاموا، فقالوا: ربنا رب السماوات والأرض لن ندعو معبودًا آخر غير الله، لا اشتراكًا ولا استقلالاً ﴿لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ١٤﴾ الشطط الغلو ومجاوزة الحد في البعد عن الحق. ١٥- أي هلا يأتون على إلهيتهم بحجة ظاهرة تصلح للتمسك بها ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ١٥﴾ فزعم أن له شريكًا في العبادة، أي: لا أحد أظلم منه. ١٦- وإذ: فارقتموهم وتنحيتم عنهم جانبًا، أي: عن العابدين للأصنام واعتزلتم عبادتهم فأووا إلى الكهف واجعلوه مأواكم. أي: إذا اعتزلتموهم اعتزالاً اعتقاديًا، فاعتزلوهم أيضًا اعتزالاً جسمانيًا بالالتجاء إلى الكهف ﴿يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ أي يبسط ويوسع ويسهل وييسر لكم من أمركم الذي أنتم بصدده ما ترتفقون به، وتنتفعون بحصوله. ١٧- ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ﴾ تميل وتتنحى ﴿عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ﴾ أي ناحية اليمين بالنسبة إلى باب الكهف ﴿وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ﴾ تعدل عنهم وتتركهم ﴿ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ أي شمال الكهف لا تصيبه، بل تعدل عن سمته إلى الجهتين ﴿وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ في مكان منفتح انفتاحًا واسعًا، قيل: المعنى أنهم كانوا في ظل جميع نهارهم، لا تصيبهم الشمس في طلوعها ولا في غروبها. ذلك من دلائل عظمة الله فمن يهديه الله فهو الموفق إلى الهداية ومن يضلله يخذله ولا يجد له معينًا. ١٨- ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ أي نيام. قيل: إن عيونهم كانت مفتحة، وهم نيام. وقيل: لكثرة تقلبهم ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ نقلبهم في رقدتهم إلى الجهتين، لئلا تأكل الأرض أجسادهم ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾ هو فناء الباب، وقيل: العتبة ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ هربًا ﴿وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ١٨﴾ أي خوفًا يملأ الصدر، قيل: سبب الرعب الهيبة التي ألبسهم الله إياها، وقيل: لطول أظفارهم وشعورهم. ١٩- ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ﴾ في مدة اللبث ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ أي في النوم، قالوا ذلك لأنهم رأوا أنفسهم على غير ما يعهدونه في العادة ﴿قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ قال المفسرون: دخلوا الكهف غدوة ، وبعثهم الله سبحانه آخر النهار، فلذلك قالوا يومًا ﴿قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ أي: إنكم لا تعلمون مدة لبثكم، وإنما يعلمها الله سبحانه ﴿فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ﴾ الورق الفضة مضروبة، أو غير مضروبة، والمدينة قيل: هي إفسوس مدينتهم التي كانوا فيها ويقال لها اليوم: طرسوس كذا قال الواحدي ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ أي: ينظر أي أهلها أطيب طعامًا، وأحل مكسبًا، وقيل المراد: أيهم أطهر ذبيحة، وكان غالب أهلها كفارًا يذبحون للطواغيت وليدقق النظر حتى لا يعرف أولا يغبن ولا يدع أحدًا يعلم بمكانكم. ٢٠- إنهم إن يطلعوا عليكم ويعلموا بمكانكم يقتلوكم بالرجم ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ﴾ التي كنتم عليها قبل أن يهديكم الله ﴿وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ٢٠﴾ إن رجعتم إلى =

وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ
ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ
ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ
أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ٢١ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ
رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ رَجۡمَۢا
بِٱلۡغَيۡبِۖ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ
بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا
وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا ٢٢ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ
إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ
إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا
٢٤ وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا
٢٥ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ
أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ
فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ٢٦ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ
رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ٢٧

= دينهم، لا في الدنيا ولا في الآخرة. ٢١- وكذلك أطلعنا الناس عليهم ﴿لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ بالبعث ﴿حَقّٞ﴾ قيل: وكان ملك ذلك العصر ممن ينكر البعث، فأراه الله هذه الآية. قيل: وسبب الإعثار عليهم هو ذلك الرجل الذي بعثوه بالورق إلى السوق، لما اطلع عليها أهل السوق اتهموه بأنه وجد كنزًا، فذهبوا به إلى الملك ثم قص عليه القصة، فركب الملك، وركب أصحابه معه حتى وصلوا إلى الكهف. وليعلموا أن القيامة لا شك في حصولها ﴿إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡ﴾ وقع التنازع والاختلاف بين أولئك الذين أعثرهم الله في أمر البعث ﴿فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗا﴾ وذلك أن الملك وأصحابه لما وقفوا عليهم وهم أحياء أمات الله الفتية ﴿رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡ﴾ من هؤلاء المتنازعين فيهم ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ٢١﴾ ذكر اتخاذ المسجد يشعر بأن هؤلاء الذين غلبوا على أمرهم، هم المسلمون، وقيل: هم أهل السلطان. ٢٢- هؤلاء القائلون بأنهم ثلاثة أو خمسة أو سبعة، هم المتنازعون في عددهم في زمن رسول الله ﷺ من أهل الكتاب والمسلمين ويقول بعض آخر ﴿خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِ﴾ والرجم بالغيب: هو القول بالظن والحدس من غير يقين ﴿وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ﴾ كأن قول هذه الفرقة أقرب إلى الصواب بدلالة عدم إدخالهم في سلك الراجمين بالغيب ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾ منكم أيها المختلفون ﴿مَّا يَعۡلَمُهُمۡ﴾ أي: لا يعلم ذواتهم فضلاً عن عددهم ﴿إِلَّا قَلِيلٞ﴾ من الناس ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ﴾ المراء في اللغة: الجدال ﴿إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا﴾ أي: غير متعمق فيه، وهو أن يقص عليهم ما أوحى الله إليه فحسب ﴿وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا ٢٢﴾ ففيما قصّ الله عليك في ذلك ما يغنيك عن سؤال من لا علم له. ٢٣، ٢٤- لما سألت اليهود النبي ﷺ عن خبر الفتية، فقال: أخبركم غدًا، ولم يقل إن شاء الله، فاحتبس الوحي عنه حتى شق عليه، فأنزل الله هذه الآية يقول: إذا قلت لشيء إني فاعل ذلك غدًا، فقل إن شاء الله. ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ﴾ بالاستغفار والتهليل وإذا نسيت أن تقول إن شاء الله ثم تذكرت فقلها، وقل عسى أن يعطيني ربي من الآيات والدلالات على النبوّة ما يكون أقرب في الرشد وأدلّ من قصة أصحاب الكهف. ٢٥- ولبثوا ثلاثمائة سنة وتسع سنين في كهفهم نيامًا. ٢٦- ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْ﴾ قال ابن عطية: يريد بعد الإعثار عليهم إلى مدة محمد ﷺ أو إلى أن ماتوا. وعن الزجاج: أن المراد ٣٠٠ سنة شمسية أو ٣٠٩ قمرية ﴿لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: ما خفي فيهما وغاب من أحوالهما، ليس لغيره من ذلك شيء ﴿أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡ﴾ فأفاد هذا التعجب من علمه بالمبصرات والمسموعات، فإنه يستوي في علمه الغائب والحاضر، والخفي والظاهر، والصغير والكبير ﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ﴾ الضمير لأهل السماوات والأرض ﴿وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ٢٦﴾ يقضي ما يريد ويبرمه، ولا يدخل في ذلك أحدًا يستشيره أو يستأمره. ٢٧- وأمره الله سبحانه أن يواظب على تلاوة القرآن، وقيل المراد: اتبع ما تقرأ ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ أي: ما أخبر الله به وما أمر به ولا مبدل له، فلا مبدل لحكم كلماته وأنك إن لم =

وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ
يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ
ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ
أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن
شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ
وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ
ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ٢٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ٣٠ أُوْلَٰٓئِكَ
لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ
مِن ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ
نصف الحزب ٣٠ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا ٣١ ۞ وَٱضۡرِبۡ
لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا
بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ٣٢ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ
تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ٣٣ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ
لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ٣٤

= تتبع القرآن، وتتله، وتعمل بأحكامه لن تجد معدلاً تعدل إليه، ومكانًا تميل إليه، ليحميك من عذاب الله. ٢٨- ثم أمره سبحانه بأن يحبس نفسه معهم بالاستمرار على الدعاء في جميع الأوقات، وقيل: في طرفي النهار يريدون بدعائهم رضا الله سبحانه ولا تتجاوزهم عيناك إلى غيرهم من ذوي الهيئات والزينة، وقيل: معناه لا تحتقرهم عيناك ﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي: مجالسة أهل الشرف والغنى أو تريد تحصيل الزينة ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا﴾ أي: جعلناه غافلاً بالختم عليه، كأولئك الذين طلبوا منه أن ينحي الفقراء عن مجلسه ﴿وَ﴾ مع هذا فهم ممن ﴿ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ وآثره على الحق، فاختار الشرك على التوحيد ﴿وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ وقيل: هو من التفريط، وهو التقصير والتضييع في أمر الله بالجهالة. ٢٩- ﴿وَقُلِ﴾ لأولئك الغافلين ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡ﴾ لا من جهة غيره، حتى يمكن فيه التبديل والتغيير، يعني لم آتكم به من قبل نفسي إنما أتيتكم به من الله ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾ أي ما دام هذا هو الحق، فإن من كفر لا يضل ولا يظلم إلا نفسه ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ الذين اختاروا الكفر بالله والجحد له والإنكار لأنبيائه ﴿نَارًا﴾ عظيمة ﴿أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَا﴾ السرادق: البيت المصنوع من القماش، فالآية على تشبيه ما يحيط بهم من النار بالسرادق المحيط بمن فيه ﴿وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ﴾ من حر النار ﴿يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ﴾ هو كل ما أذيب بالنار من معادن الأرض من حديد ورصاص ونحاس، وقيل: المهل عكر الزيت ﴿يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَ﴾ لحرارته ﴿بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ﴾ شرابهم هذا ﴿وَسَآءَتۡ﴾ النار ﴿مُرۡتَفَقًا ٢٩﴾ أي: منزلاً يتخذونه للراحة، ويرتفقون فيه. وكأن في هذه الآية تنبيه لمن يؤثر المناصب والمرافق وهوى النفس من الأشربة ونحوها على طاعة الله. ٣١- والعدن: الإقامة، أي: يقيمون فيها على الدوام ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ أي: من تحت غرفها وتحت أشجارها ﴿يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ﴾ السوار: زينة تلبس في الزند من اليد، وهي من زينة الملوك، السندس: الرقيق من الحرير، والإستبرق: ما ثخن من الحرير كذلك، وهو الديباج، وخص الأخضر لأنه الموافق للبصر ولكونه أحسن الألوان، متكئين فيها على الأسرّة المكللة بالدر والياقوت، ﴿نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ﴾ ذلك الذي أثابهم الله به ﴿وَحَسُنَتۡ﴾ تلك الأرائك متكأ. ٣٢- ﴿۞ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا﴾ لمن يتعزز بالدنيا، ويستنكف عن مجالسة الفقراء ﴿رَّجُلَيۡنِ﴾ مؤمن وكافر، قيل: كانا أخوين من بني إسرائيل، وقيل: هما أخوان مخزوميان من أهل مكة ﴿جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا﴾ وهو الكافر جنتين من كروم متنوِّعة وجعلنا النخل مطيفًا بالجنتين من جميع جوانبهما ﴿وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ٣٢﴾ أي: بين الجنتين. ٣٣- ﴿كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا﴾ ثمرهما ﴿وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗا﴾ أي: لم تنقص من أكلها شيئًا على خلاف ما يعتاد في سائر البساتين، فإنها في الغالب تكثر في عام وتقل في عام، وأجرينا وشققنا وسط الجنتين نهرًا ليسقيهما دائمًا من غير انقطاع. ٣٤- وكان لصاحب الجنتين ﴿ثَمَرٞ﴾ وقيل: هو هنا المال من الذهب والفضة ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ﴾ المؤمن وهو يراجعه الكلام ويحاوره =

وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ
أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى
لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ
أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا
﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ
دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا۠
أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن
جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا
زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾
وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ
عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ
فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ
لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ
فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾

= أنا أكثر منك مالاً وأعز أنصارًا وأعوانًا. ٣٥- قال المفسرون: أخذ بيد أخيه المسلم، فأدخله جنته يطوف به فيها، ويريه عجائبها ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ بكفره وعجبه. وقال الكافر لفرط غفلته وطول أمله: ما أظن أن تفنى هذه الجنة التي تشاهدها. ٣٦- وأنكر البعث وأخبر أخاه بكفره بفناء الدنيا وقيام الساعة وزعم أنه إن يردّ إلى ربه فرضًا وتقديرًا كما زعم صاحبه، ليكوننّ له يومئذ خير من هذه الجنة، قال هذا قياسًا للغائب على الحاضر، وأنه لما كان غنيًّا في الدنيا، سيكون غنيًّا في الأخرى، اغترارًا منه بما صار فيه من الغنى الذي هو استدراج له من الله. ٣٧- ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ﴾ المؤمن ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ حيث خلق أباك آدم منه، وهو أصلك ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ وهي المني ثم صيرك إنسانًا ذكرًا، وعدّل أعضاءك وكملك. وفي هذا تلويح بالدليل على البعث، فإن القادر على الابتداء قادر على الإعادة. ٣٨- لكن أنا هو الله ربي ﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾﴾ أي: كما فعلت أنت. ٣٩- أي: هلاّ قلت عندما دخلتها هذا القول: لا قوة إلا بالله تحضيضًا له على الاعتراف بأنها وما فيها بمشيئة الله، إن شاء أبقاها وإن شاء أفناها ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ تحضيض على الاعتراف بالعجز، وأن ما تيسر له من عمارتها إنما هو بمعونة الله، لا بقوته وقدرته، ولا يقوى أحد على ما في يده من ملك نعمة إلا بالله، ولا يكون إلا ما شاء الله. ٤٠- أي: إن ترني أفقر منك، فأنا أرجو أن يرزقني الله سبحانه جنة خيرًا من جنتك في الدنيا أو في الآخرة ويرسل على جنتك مقدارًا قدره الله عليها، وقيل الحسبان: الصواعق، فتصبح جنة الكافر أرضًا لا نبات بها تزلّ فيها الأقدام لملاستها. ٤١- أو يصبح ماؤها غائرًا في الأرض فلا تقدر عليه بحيلة من الحيل. ٤٢- وهذا عبارة عن إهلاكه وإفنائه لثمار ذلك الكافر فأصبح يقلب كفيه تحسرًا على ما أنفق في عمارتها وإصلاحها من الأموال وتلك الجنة ساقطة على دعائمها التي تعمد بها الكروم، أو ساقط بعض تلك الجنة على بعض وتمنى عند مشاهدته لهلاك جنته بأنه لم يشرك بالله حتى تسلم جنته من الهلاك، أو كان هذا القول منه لقصد التوبة من الشرك. ٤٣- ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ ما نفعه النفر الذين افتخر بهم فيما سبق وما كان ممتنعًا بقوته عن إهلاك الله لجنته، وانتقامه منه. ٤٤- ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾ أي: في ذلك المقام: النصرة لله وحده لا يقدر عليها غيره ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا﴾ لأوليائه في الدنيا والآخرة ﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾ أي: وخير عاقبة وختامًا. ٤٥- أي: اذكر لهم ما يشبه الحياة الدنيا في حسنها ونضارتها وسرعة زوالها ﴿فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ المعنى: أن النبات اختلط بعضه ببعض حين نزل عليه الماء، أي: نبت بسبب الماء وكثر ﴿فَأَصْبَحَ﴾ النبات متكسرًا ومتفتتًا تفرّقه وتنشر أجزاء النبات في نواحي الأرض، وتعود الأرض كما كانت، أي: وهكذا شأن الحياة الدنيا لا بقاء لها، وشأنها إلى زوال ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾ يحييه ويفنيه بقدرته لا يعجز عن شيء.

ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ
خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى
ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟
عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ
أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ
مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ
لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟
حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟
لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ
أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ
بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا
﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ
فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ
ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٣٠

٤٦- ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ مما يتزين به في الدنيا لا مما ينفع في الآخرة إذا لم ينفق في مرضاة الله، وأما أعمال الخير، وما يفعله المسلمون في دنياهم من الطاعة، وكل أعمال الخير، مالية أو بدنية، فيبقى محفوظًا عند الله ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ أي: أفضل ثوابًا، وأكثر عائدة ومنفعة لأهلها ﴿وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ أفضل مما يؤمله أهل المال والبنين. ٤٧- ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾ تسيير الجبال إزالتها من أماكنها، وتسييرها كما تسير السحاب، وذلك يوم القيامة. ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ بروزها ظهورها وزوال ما يسترها من الجبال والشجر والبنيان ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾ أي: الخلائق بعد بعثهم، أي: جمعناهم إلى الموقف من كل مكان ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾ فلم نترك منهم أحدًا إلا حشرناه إلى هناك.

٤٨- ﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ أي مصفوفين ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ أي: قلنا لهم: ها قد جئتمونا ﴿كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ﴾ أي: حفاة عراة كما ورد في الحديث ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾﴾ أي: زعمتم في الدنيا أن لن تبعثوا، وأن لن نجعل لكم موعدًا نجازيكم بأعمالكم.

٤٩- الكتاب: صحائف الأعمال. يوضع صحيفة كل واحد في يده: السعيد في يمينه، والشقيّ في شماله ﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾ أي: خائفين وجلين لما يتعقب ذلك من الافتضاح في ذلك الجمع، والمجازاة بالعذاب الأليم ويدعون على أنفسهم بالهلاك ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ لا يترك معصية صغيرة ولا معصية كبيرة إلا حواها وضبطها وأثبتها، وهذا للذين فعلوا الكبائر ولم يتوبوا منها، يجدون في كتابهم الصغائر أيضًا. أما من تجنب الكبائر فيجد الصغائر قد محيت. ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟﴾ في الدنيا من المعاصي ﴿حَاضِرًا﴾ مكتوبًا مثبتًا ولا يعاقب ربك أحدًا من عباده بغير ذنب، ولا ينقص فاعل الطاعة من أجره الذي يستحقه. ٥٠- ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ فإنه أبى واستكبر ولم يسجد ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ فلهذا عصى ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ خرج عن طاعة ربه ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ﴾ أي: بعد الإباء والفسق تتخذونه وتتخذون ذريته أولياء ﴿مِن دُونِى﴾ فتطيعونهم بدل طاعتي وتستبدلونهم بي ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ﴾ أي: أعداء، أي: كيف تصنعون هذا الصنع وتستبدلون بمن خلقكم وأنعم عليكم بجميع ما أنتم فيه من النعم من لم يكن لكم منه منفعة قط؟ بل هو عدو لكم يترقب حصول ما يضركم في كل وقت ﴿بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ عن موالاة ربهم موالاة الشيطان. ٥١- ﴿۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ما كانوا شركاء لي في تدبير العالم بدليل أني ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ﴿وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ وما اعتضدت بهم بل هم كسائر الخلق، وهذا استدلال واضح كالشمس، فإنهم يقرون أن الله خالق كل شيء وما كنت متخذ الشياطين أو الكافرين أعوانًا. ٥٢- ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ أنهم شركاء لي ينفعونكم ويشفعون لكم ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾﴾ وهو واد عميق فرق الله به تعالى بينهم. والموبِق: المهلك. ٥٣- أي: علموا وتيقنوا أنهم سيخالطونها بالوقوع فيها ولم يجدوا عنها ملجأ يلجئون إليه.

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ
ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟
إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ
ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ
إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ
لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ
إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ
وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ
ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ
ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾
وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم
مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ
أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا
مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾

٣٠٠

٥٤- ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ كررنا ورددنا ﴿فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ﴾ أي لأجلهم، ولرعاية مصلحتهم ومنفعتهم من الأمثال المذكورة في هذه السورة وكان الإنسان أكثر الأشياء التي يتأتى منها الجدال جدلاً. ٥٥- ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ سنتهم: أي العادة التي لازمت أولئك الأقوام، من أنهم لا يؤمنون ولا يستغفرون إلا عند نزول عذاب الدنيا المستأصل لهم، أو عند إتيان أصناف عذاب الآخرة أو معاينته.

٥٦- ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ من رسلنا إلى الأمم ﴿إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ للمؤمنين ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ للكافرين، أي: فلا يتمكنون من الأخذ بقلوبهم إلى الهداية بل ذلك إلى الله وحده ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ أي: ليزيلوا بالجدال بالباطل الحقّ ويبطلوه بقولهم للرسل: ما أنتم إلا بشر مثلنا، ونحو ذلك. واتخذوا القرآن وما أُنذروا به من الوعيد والتهديد لعبًا وباطلاً.

٥٧- ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ ولم يتدبر حق التدبر، ويتفكر فيها حق التفكر ﴿وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ من الكفر والمعاصي، فلم يتب عنها إنا جعلنا على قلوبهم أغطية تحول بين قلوبهم وبين وصول الفهم إليها وفي آذانهم ثقلاً يمنع من استماعه ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾ لأن الله قد طبع على قلوبهم بسبب كفرهم ومعاصيهم.

٥٨- وربك كثير المغفرة، وصاحب الرحمة التي وسعت كل شيء، فلم يعاجلهم بالعقوبة ﴿لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟﴾ من المعاصي التي من جملتها الكفر والمجادلة والإعراض ﴿لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ﴾ لاستحقاقهم لذلك بل لهم أجل مقدر لعذابهم لن يجدوا من دونه ملجأ يلجئون إليه. ٥٩- أي قرى عاد وثمود وأمثالها ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟﴾ بالكفر والمعاصي وجعلنا لمهلكهم وقتًا معينًا. ٦٠- هو موسى بن عمران النبي المرسل إلى فرعون ﴿لِفَتَىٰهُ﴾ هو يوشع ابن نون كان ملازمًا لموسى يأخذ عنه العلم ويخدمه لا أزال أسير إلى أن أبلغ مجمع البحرين، ومجمع البحرين ملتقاهما، قيل: المراد بالبحرين: بحر الأردن وبحر القلزم، وقيل: مجمع البحرين عند طنجة أو أسير زمانًا طويلاً.

٦١- ﴿فَلَمَّا بَلَغَا﴾ أي موسى وفتاه ﴿مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾ أي بين البحرين، وقيل: هما موسى والخضر، أي: وصلا الموضع الذي فيه اجتماع شملهما ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ قال المفسرون: إنهما تزوّدا حوتًا مملحًا في زنبيل، وكان قد جعل الله فقدانه أمارة لهما على وجدان المطلوب. ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾﴾ أحيا الله الحوت، حتى وثب ونزل في البحر وذهب فيه، فشبه مسلك الحوت في البحر بالسرب الذي هو الكوّة المحفورة في الأرض.

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا
هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ
ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ
فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا
قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ
عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ
عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ
مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ
سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ
فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا
﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا
لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ
لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا
تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ
قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾

٣٠١

٦٢- ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ مجمع البحرين الذي جعل موعدًا للملاقاة وأحس موسى - عليه السلام - بالجوع فقال لخادمه احضر إلينا غداءنا وعلل ذلك بقوله: لقد لقينا من سفرنا هذا تعبًا وإعياء. ٦٣- قال خادمه: أتذكر إذ لجأنا إلى الصخرة التي كانت عند مجمع البحرين، ذكرها لكونها متضمنة لزيادة تعيين المكان ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ بما يقع منه من الوسوسة ﴿أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ أي: أن أخبرك بخبر الحوت العجيب ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾﴾ موضع التعجب أن يحيا حوت قد مات، وأكل منه، ثم يثب إلى البحر، ويبقى أثر جريته في الماء. ٦٤- ذلك الذي ذكرت من فقد الحوت في ذلك الموضع هو الذي كنا نطلبه، فإن الرجل الذي نريده هو هنالك فرجعا على الطريق التي جاءا منها يقصان أثرهما لئلا يخطئا طريقهما. ٦٥- ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾ هو الخضر، وعلى ذلك دلت الأحاديث الصحيحة ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ قيل: الرحمة هي النبوة، وقيل: النعمة التي أنعم الله بها عليه ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ علمه الله سبحانه أشياء من علم الغيب الذي استأثر به. وفيما فعل موسى وهو من جلة الأنبياء من طلب العلم والرحلة في ذلك ما لا ينبغي لأحد أن يترك طلب العلم، وإن كان قد بلغ نهايته، وأن يتواضع لمن هو أعلم منه. ٦٦- فاستأذنه أن يكون تابعًا له على أن يعلمه مما علمه الله من العلم، وقد يأخذ الفاضل عن المفضول إذا اختص أحدهما بعلم لا يعلمه الآخر، فقد كان علم موسى علم الأحكام الشرعية، وكان علم الخضر علم بعض الغيب. ٦٧- أي: لا تطيق أن تصبر على ما تراه من علمي، لأن علمك لا يوافق ذلك. ٦٨- أي: كيف تصبر على علم لم تُحِط بحقيقته؟ ٦٩- قال موسى للخضر: ستجدني صابرًا معك، ملتزمًا طاعتك. ٧٠- ﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ﴾ مما تشاهده من أفعالي المخالفة حتى أكون أنا المبتدئ لك ببيان وجهه وما يؤول إليه. ٧١- فمرت بهم سفينة فكلموهم أن يحملوهم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾ قيل: خرق جدار السفينة ليعيبها ولم يجعل الخرق مما يلي الماء، لئلا يتسارع الغرق إلى أهلها ﴿قَالَ﴾ موسى للخضر ثقبتها لتغرق أهلها وفي بعض الروايات أن أصحاب السفينة أركبوهما معهم من غير نول: أي أجر، ولذلك كان استنكار موسى أعظم، لقد أتيت أمرًا عظيمًا. ٧٢- ﴿قَالَ﴾ أي: الخضر ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾﴾ أذكَرَهُ ما تقدم من قوله له سابقًا ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾﴾. ٧٣- فـ ﴿قَالَ﴾ له موسى: لا تؤاخذني بنسياني وعاملني باليسر لا بالعسر. ٧٤- ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ﴾ أي: الخضر، كان الغلام يلعب مع الصبيان فاقتلع الخضر رأسه ﴿قَالَ﴾ موسى: كيف قتلت نفسًا طاهرة بريئة من الذنوب بغير قتل نفس محرمة حتى يكون قتل هذه قصاصًا، لقد أتيت شيئًا فظيعًا منكرًا.

۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن
سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا
﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا
أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ
قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي
وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا
السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا
وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ
فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا
﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا
﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ
تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا
أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ
عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ وَيَسْأَلُونَكَ
عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾

٣٠٢

٧٥- ﴿۞ قَالَ﴾ الخضر: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾﴾ زاد هنا لفظ لك، لأن سبب العتاب أكثر، وموجبه أقوى لتكرر المخالفة.

٧٦- ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا﴾ أي بعد هذه المرة فلا تجعلني صاحبًا لك وتكون قد أعذرت حيث أكون قد خالفتك ثلاث مرات، وهذا كلام نادم شديد الندامة.

٧٧- ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ قيل: هي أيلة، فطلبا منهم الضيافة والطعام فامتنع أهل القرية من ضيافتهما وهنا وجدا حائطًا مائلاً يوشك على السقوط فقام الخضر فردَّه كما كان، قال له موسى: لو شئت لاتخذت على إقامته وإصلاحه أجرًا لا سيما وأن أهل هذه القرية لم يقدموا لنا حق الضيافة.

٧٨- وهنا قال الخضر: هذا الكلام والإنكار منك على تركي أخذ الأجر، هو المفرق بيننا ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾ التأويل تفسير وبيان الوجه الذي فعل بسببه تلك الأفعال التي أنكرها موسى، وذلك

٧٩- أما السفينة التي خرقها فكانت لضعفاء لا يقدرون على دفع من أراد ظلمهم. ولم يكن لهم مال غير تلك السفينة، يكرونها من الذين يركبون البحر ويأخذون الأجرة ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ بنزع ما نزعته منها ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ﴾ يعني: أمامهم وقيل: أراد خلفهم يأخذ كل أي: كل سفينة صالحة لا معيبة غصبًا من أصحابها. ٨٠- ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ﴾ يعني الذي قتله ﴿فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ أي: ولم يكن هو كذلك فخشينا أن يرهق الوالدين طغيانًا عليهما وكفرًا لنعمتهما بعقوقه وقيل: إن الخضر علم بإعلام الله له أنه طُبع يوم طُبع، كافرًا وسوف يتسبب عن كفره إضلال أبويه وكفرهما. ٨١- أي أردنا أن يرزقهما الله بدل هذا الولد ولدًا خيرًا منه دينًا وصلاحًا وطهارة من الذنوب وأقرب رحمة لوالديه. ٨٢- ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ﴾ يعني الذي أصلحه ﴿فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ﴾ هي القرية المذكورة سابقًا ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ كان مالاً جسيمًا، والكنز: المال المدفون ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ فكان صلاحه مقتضيًا لرعاية ولديه وحفظ مالهما ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ أي كمالها وتمام نموهما ﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾ من ذلك الموضع الذي عليه الجدار، ولو انقضَّ لخرج الكنز من تحته ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ أي كان هذا التدبير من الله تعالى رحمة لهما، بصلاح أبيهما وما فعلته عن اجتهادي ورأيي ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ أي ذلك المذكور هو تفسير ما ضاق صبرك عنه، ولم تطق السكوت عليه.

٨٣- السائلون هنا هم اليهود، وذو القرنين قيل: هو الإسكندر بن فيليبوس اليوناني، باني الإسكندرية، وهذا مشكل لأنه كان كافرًا وهو تلميذ أرسطو، وقيل: هو أبو كرب الحميري، وقيل: هو ملك من الملائكة، وإنما سمي ذا القرنين، لأنه بلغ قرن الشمس من مطلعها، وقرن الشمس من مغربها ﴿قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾﴾ وذلك بطريق الوحي المتلوّ.

إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا
﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ
وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ
فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ
فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً
ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ
إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن
دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ
سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا
لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ
مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ
سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ
قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا
﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾

٨٤- ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي أقدرناه بما مهدنا له من الأسباب حتى تمكن منها أين شاء وكيف شاء ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ مما يتعلق بمطلوبه طريقًا يتوصل بها إلى ما يريده.

٨٥- ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾ طريقًا تؤديه إلى مغرب الشمس. ٨٦- حتى إذا بلغ نهاية الأرض من جهة المغرب ليس بعدها إلا البحر المحيط ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ أي كثيرة الحمأة، وهي الطينة السوداء. قيل: ولعل ذا القرنين لما بلغ ساحل البحر المحيط رآها كذلك في نظره ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا﴾ أي عند مغربها ﴿قَوْمًا﴾ وكانوا كفارًا ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾﴾ أي: إما أن تعذبهم بالقتل من أول الأمر وإما تحسن إليهم بدعوتهم إلى الحق وتعليمهم الشرائع.

٨٧- ﴿قَالَ﴾ ذو القرنين ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾ نفسه بالإصرار على الشرك، ولم يقبل دعوتي ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾ بالقتل في الدنيا ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ﴾ في الآخرة ﴿فَيُعَذِّبُهُۥ﴾ فيها ﴿عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾﴾ أي منكرًا فظيعًا. ٨٨- ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ﴾ بالله وصدق دعوتي ﴿وَعَمِلَ﴾ عملاً ﴿صَٰلِحًا﴾ مما يقتضيه الإيمان ﴿فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾ وهي الجنة، ويجوز أن يكون هذا الجزاء من ذي القرنين، أي: أعطيه وأتفضل عليه ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾ ذا يسر ليس بالصعب الشاق. ٨٩- أي طريقًا غير الطريق الأولى. ٩٠- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ﴾ أي: الموضع الذي تطلع عليه الشمس أولاً من معمور الأرض ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾﴾ يسترهم، لا من البيوت ولا من اللباس، بل هم حفاة عراة لا يأوون إلى شيء من العمارة. ٩١- أي: وقد علمنا حين ملكناه ما عنده من الصلاحية لذلك الملك والاستقلال به. ٩٢- أي: طريقًا ثالثًا معترضًا بين المشرق والمغرب. ٩٣- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾ هما جبلان من قبل أرمينية وأذربيجان وجد من ورائهما قومًا لا يفهمون كلام غيرهم. ٩٤- ﴿قَالُوا۟﴾ قيل: إن فهم ذي القرنين لكلامهم من جملة الأسباب التي أعطاها الله له، وقيل إنهم قالوا ذلك لترجمانهم ﴿يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يأجوج ومأجوج هما قبيلتان من الناس، ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ أي ضريبة لك من أموالنا ﴿عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾ أي ردمًا حاجزًا بيننا وبينهم. ٩٥- قال ما بسطه الله لي من القدرة والملك ﴿خَيْرٌ﴾ من خرجكم، ثم طلب منهم المعاونة له فقال: ﴿فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ﴾ أي: برجال منكم يعملون بأيديهم، أو أعينوني بآلات البناء ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾﴾ والردم: هو السد. ٩٦- أي: أنهم أعطوه زبر الحديد، فجعل يبني بها بين الجبلين حتى ساواهما قال للعملة: انفخوا على هذه الزبر بالكيران ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا﴾ قيل: كان يأمر بوضع طاقة من الزبر والحجارة، يوقد عليها الحطب والفحم بالمنافخ حتى تحمى، والحديد إذا أوقد عليه صار كالنار المحمرة، ثم يؤتي بالنحاس المذاب فيفرغه على تلك الطاقة. ٩٧- فما استطاع يأجوج ومأجوج أن يعلوا على ذلك الردم لارتفاعه وملاسته وما استطاعوا أن ينقبوه من أسفله لشدته وصلابته.

قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي
حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ
فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾
الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ
سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي
أَوْلِيَاءَ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ
أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ
يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ
فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ
جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ
فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي
لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ
إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو
لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾

٣٠٤

٩٨- أي: قال ذو القرنين تمكُّني من بناء السدّ، من آثار رحمته بهؤلاء القوم، أو بالناس، لكونه يحول بين يأجوج ومأجوج وبين الفساد في الأرض ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ أي أجل ربي أن يخرجوا منه قبيل يوم القيامة جعله مستويًا بالأرض وكان أي: وعده ثابتًا لا يتخلف. وهذا آخر قول ذي القرنين. ٩٩- المعنى: أنهم يضطربون ويختلطون يوم القيامة، فإن خروج يأجوج ومأجوج من علامات قرب الساعة ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ قيل: هي النفخة الثانية، بدليل قوله بعد ﴿فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾﴾ أي أحييناهم بعد تلاشي أبدانهم ومصيرها ترابًا ثم أتيناهم إلى المحشر جميعًا. ١٠٠- أي: أظهرناها لهم حتى شاهدوها يوم جمعنا لهم. ١٠١- ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي﴾ وهو الآيات التي يشاهدها من له تفكر واعتبار، فيذكر الله بالتوحيد والتمجيد ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾﴾ لتعاميهم عن المشاهدة بالأبصار، وإعراضهم عن الأدلة السمعية. ١٠٢- وهم الملائكة والمسيح والشياطين معبودين ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾﴾ أي: هيأناها لهم نزلاً يتمتعون به عند ورودهم، كما يعدّ النزل للضيف. ١٠٣- أي: هل نخبركم أيها الناس بأشد الناس خسرانًا لأعمالهم؟ هم: ١٠٤- ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ضلال السعي بطلانه وضياعه ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ مخدوعون بما هم عليه يظنون أنهم محسنون في ذلك منتفعون بآثاره. ١٠٥- ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ بدلائل توحيده من الآيات التكوينية والتنزيلية. وكفرهم بلقائه: كفرهم بالبعث وما بعده من أمور الآخرة فبطلت أعمالهم التي عملوها مما يظنونه حسنًا، ولا يكون لهم عندنا قدر ولا نعبأ بهم. ١٠٦- ﴿ذَٰلِكَ﴾ من أنواع الوعيد جزاؤهم جهنم بسبب كفرهم. وقد اختلف السلف في تعيين هؤلاء الأخسرين أعمالاً، فقيل: اليهود والنصارى، وقيل: كفار مكة، وقيل: الرهبان أصحاب الصوامع. ١٠٧- ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ضد صفة من قبلهم ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾﴾ الفردوس في كلام العرب: الشجر الملتف، والأغلب عليه العنب، والفردوس البستان باللغة الرومية ﴿نُزُلًا ﴿١٠٧﴾﴾ معدًا لهم مبالغة في إكرامهم. ١٠٨- ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ أي: لا يطلبون تحولاً عنها، إذ هي أعز من أن يطلبوا غيرها. ١٠٩- لو كتبت كلمات علم الله وحكمته، وكان ماء البحر حبرًا للقلم والقلم يكتب لنفد البحر قبل نفاد الكلمات، ولو جئنا بمثل البحر مدادًا لنفد أيضًا، فيستفاد من الآية: كثرة كلمات الله بحيث لا تضبطها الأقلام والكتب. ١١٠- ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ أي: إن حالي مقصور على البشرية لا يتخطاها إلى الملكية أو الإلهية ﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ وكفى بهذا الوصف فارقًا بينه وبين سائر أنواع البشر ﴿أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ لا شريك له في إلوهيته ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ من كان له هذا الرجاء الذي هو شأن المؤمنين ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ وهو ما دل الشرع على أنه عمل خير يثاب عليه فاعله ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ من خلقه =

سورة مريم — مكية ١٩ — آياتها ٩٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾
إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ
مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ
شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ
ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ
مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ
إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا
﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى
عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ
قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ
شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا
تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ
مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾

٣٠٥

= سواء كان صالحًا، أو طالحًا، حيوانًا أو جمادًا، ويدخل في النهي الشرك الخفي الذي هو الرياء.

سورة مريم

هي مكية قاله ابن عباس وابن الزبير وعائشة.

١- تقدم الكلام في الحروف الواقعة في فواتح السور مستوفى في أوائل سورة البقرة. ٢- أي: هذا ذكر رحمة ربك ﴿عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝﴾. ٣- قيل: جعل نداءه لله خفيًا، لكونه قد صار ضعيفًا هرمًا لا يقدر على الجهر. ٤- أراد أن عظامه فترت وضعفت قوّته، وكثر شيبه جدًّا، وهذا كناية عن الهرم ولم أكن خائبًا، بل كلما دعوتك استجبت لي.

٥- الموالي هنا هم الأقارب وسائر العصبات من بني العم ونحوهم، كانوا مهملين لأمر الدين، أي قلوا وضعفوا عن حمل الدين، أو انشغلوا بالدنيا عن إقامة أمر الدين لبني إسرائيل. فخاف أن يضيع الدين بموته، فطلب وليًّا يقوم به بعد موته يكون حريصًا على الدين. والعاقر: هي التي لا تلد لكبر سنها ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝﴾ ولم يصرح بطلب الولد لما علم من نفسه بأنه قد صار هو وامرأته في حالة لا يجوز فيها حدوث الولد بينهما وحصوله منهما، وقيل: بل أراد الولد.

٦- الوراثة هنا: هي وراثة العلم والنبوة على ما هو الراجح لا وراثة المال، لقول النبي ﷺ: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث» رواه أحمد. أي: يرث ما عندهم من العلم ويقوم برعاية أمورهم في الدين واجعله رب مرضيًّا في أخلاقه وأفعاله، ترضاه أنت ويرضاه عبادك، ليكون أهلاً لحمل علم الدين وتعليمه وتبليغه وليقيم لهم شعائر دينهم.

٧- ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ﴾ استجاب له الله دعاءه فوجه إليه هذا النداء من جهة الملائكة ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝﴾ معناه: لم نسم أحدًا قبله يحيى، وقال مجاهد: لم يجعل له مثلاً ولا نظيرًا. ٨- معناه التعجب من قدرة الله وبديع صنعه، حيث يخرج ولدًا من امرأة عاقر وشيخ كبير. ٩- أي: هو مع بعده عندك عليّ هين، أي سهل ميسور ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۝﴾ خلقه ابتداء، وأوجده من العدم المحض، فإيجاد الولد له بطريق التوالد المعتاد أهون من ذلك وأسهل منه. ١٠- ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً﴾ أي: علامة تدلني على وقوع المسئول، وحصول البشرى من الله سبحانه بحمل امرأته بابنها يحيى ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۝﴾ ألا تقدر على الكلام وأنت سويّ الخلق، ليس بك آفة تمنعك منه.

١١- أي: أشار إليهم إشارة ولم يستطع أن يكلمهم بذلك. وقيل: كتب لهم كتابًا وأمرهم فيه بصلاة الفجر والعصر، وقيل: هو قولهم: سبحان الله، في الوقتين.

يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ﴿١٢﴾
وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ﴿١٣﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ
يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ
وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿١٥﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ
مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا
فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾ قَالَتۡ إِنِّيٓ
أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ
رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ﴿١٩﴾ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي
غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ
قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ
مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ
بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ
قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴿٢٣﴾
فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ﴿٢٤﴾
وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾

نصف الحزب ٣١

١٢- ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖ﴾ أي: فولد له مولود، فبلغ المبلغ الذي يخاطب فيه، فقلنا له: يا يحيى، والكتاب: التوراة ﴿بِقُوَّةٖ﴾ أي: بجد وعزيمة واجتهاد ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا﴾ الحكم: الحكمة، وهي الفهم، للكتاب. ١٣- ﴿وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا﴾ أي رحمناه رحمة من عندنا. والحنان الرحمة والشفقة والعطف والمحبة، وقيل: المعنى أعطيناه رحمة من لدنا كائنة في قلبه يتحنن بها على الناس، ومنهم أبواه وقرابته حتى يخلصهم من الكفر والمعاصي وجعلناه مباركًا للناس يهديهم إلى الخير وكان متجنبًا لمعاصي الله مطيعًا له. ١٤- أي لطيفًا بهما محسنًا إليهما ولم يكن متكبرًا ولا عاصيًا لوالديه أو لربه. ١٥- ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ﴾ أمان عليه من الله، وقيل: يسلم الله عليه ﴿يَوۡمَ وُلِدَ﴾ أمن من الشيطان في ذلك اليوم ﴿وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ١٥﴾ قيل: أوحش ما يكون الإنسان في ثلاثة مواطن: يوم يولد، لأنه يخرج مما كان فيه، ويوم يموت لأنه يرى قومًا لم يكن قد عرفهم، وأحكامًا ليس له بها عهد، ويوم يبعث لأنه يرى هول يوم القيامة. ١٦- واذكر يا محمد للناس في هذه السورة قصة ﴿مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ﴾ تنحت وتباعدت فقيل: انفردت لأجل أن تعبد الله سبحانه ﴿مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦﴾ أي: مكانًا من جانب الشرق من بيت المقدس. ١٧- ﴿فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا﴾ أي: حجابًا يسترها عنهم لئلا يروها حال العبادة، والحجاب: الستر والحاجز ﴿فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا﴾ هو جبريل عليه السلام ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧﴾ أي: تمثل جبريل لها إنسانًا مستوي الخلق لم يفقد من نعوت بني آدم شيئًا، فظنت أنه يريدها بسوء. ١٨- أي: ممن يتقي الله ويخافه فإنني أستعيذ بالله منك فاخرج من وراء الحجاب. ١٩- ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾ أي: لست أريد بك سوءًا، ولكن أنا رسول إليك من ربك الذي استعذت به، ولست ممن يتوقع منه السوء ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ١٩﴾ الزكي: الطاهر من الذنوب الذي ينمو على النزاهة والعفة. ٢٠- أي: لم يقربني زوج ولا غيره ﴿وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ٢٠﴾ البغي: هي الزانية التي تبغي الرجال بالأجر. ٢١- ﴿وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ﴾ أي: ولنجعل هذا الغلام، أو خلقه من غير أب، آية للناس يستدلون بها على كمال القدرة ﴿وَرَحۡمَةٗ مِّنَّا﴾ لما ينالونه منه من الهداية والخير الكثير، لأن كل نبي رحمة لأمته ﴿وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ٢١﴾ مقدرًا قد قدره الله وجف به القلم. ٢٢- ﴿۞ فَحَمَلَتۡهُ﴾ أي: فنفخ في جيب درعها، فوصلت النفخة إلى بطنها فحملته ﴿فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ٢٢﴾ اعتزلت إلى مكان بعيد. ٢٣- المخاض: حالة الولادة ﴿إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾ أي: ألجأها واضطرها إلى ساق النخلة اليابسة، كأنها طلبت شيئًا تستند إليه وتتعلق به، كما تتعلق الحامل لشدة وجع الطلق ﴿قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا﴾ تمنت الموت، لأنها خافت أن يظن بها السوء في دينها ﴿وَكُنتُ نَسۡيٗا﴾ النسي: الشيء الحقير الذي من شأنه أن ينسى ولا يذكر، ولا يتألم لفقده كالوتد والحبل. ٢٤- ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ﴾ أي: جبريل لما سمع قولها، وكان تحت الأكمة، وقيل: تحت النخلة، وقيل: المنادي هو عيسى ﴿قَدۡ جَعَلَ﴾ =

فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي
إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾
فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا
فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ
أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي
الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي
نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ
وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي
جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ
وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ
الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ
إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ
فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن
بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ
وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾

= ﴿رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤)﴾ السري: النهر الصغير أجراه الله لها لتشرب منه. ٢٥- ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ أي: أمسكي به وهزيه ﴿تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (٢٥)﴾ هو ما طاب وصلح للاجتناء، أي: رطبًا طريًا طيبًا. ٢٦- فكلي واشربي من الرطب والماء وطيبي نفسًا وارفضي عنك الحزن، وإن رأيت إنسانًا ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ الصوم هنا: الصمت عن الكلام ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا (٢٦)﴾ المراد أنها لا تكلم أحدًا من الإنس بعد إخبارهم بهذا الخبر، قيل: إنها لم تخبرهم هنا باللفظ، بل بالإشارة المفيدة.

٢٧- فأتت بعيسى ﴿تَحْمِلُهُ﴾ من المكان القصي الذي انتبذت فيه، فلما رأوا الولد ﴿قَالُوا﴾ منكرين لذلك يا مريم لقد فعلت شيئًا عجيبًا نادرًا.

٢٨- يا أخت هارون وهو رجل صالح في ذلك الوقت، وقيل: المعنى: يا من نظنها مثل هارون في العبادة، كيف تأتين بمثل هذا؟ ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (٢٨)﴾ فمن أين يأتيك السوء؟ ٢٩- فأشارت إلى عيسى، واكتفت بالإشارة ولم تأمره بالنطق، لأنها نذرت للرحمن صومًا عن الكلام. ٣٠- قال عيسى فكان أول ما نطق به الاعتراف بالعبودية لله وقدّر لي في الأزل أن أكون نبيًّا ذا كتاب. أي: حكم لي بإيتائي الكتاب والنبوة، ولم يكن قد نزل عليه في تلك الحال، ولا قد صار نبيًّا.

٣١- المبارك: النفّاع للعباد، والمعلم للخير ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ﴾ أي: أمرني بها ﴿وَالزَّكَاةِ﴾ زكاة المال، أو تطهير النفس ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١)﴾ أي مدة دوام حياتي. ٣٢- ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾ علم في تلك الحال أنه لم يكن له أب ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢)﴾ الجبار: المتعظم الشقي: العاصي لربه، وقيل: الخائب، وقيل: العاق. ٣٣- أي: السلامة علي يوم ولدت فلم يضرني الشيطان في ذلك الوقت، ولا أغواني عند الموت، ولا عند البعث. ٣٤- ﴿ذَٰلِكَ﴾ المتصف بالأوصاف السابقة الذي قال إني عبد الله هو قول الحق في حقيقة عيسى بن مريم لا ما يقوله الضالون ولا المغضوب عليهم ﴿الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤)﴾ يختلفون.

٣٥- ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾ أي: ما صح ولا استقام ذلك. بل تنزه وتقدس عن مقالتهم هذه ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٣٥)﴾ فمن كان هذا شأنه كيف يتوهم أن يكون له ولد؟ ٣٦- أي: هذا الذي ذكرته لكم من أنه ربي وربكم، هو الطريق القيم الذي لا اعوجاج فيه، ولا يضل سالكه. ٣٧- أي: فاختلفت الفرق من أهل الكتاب في أمر عيسى، فاليهود قالوا: إنه ساحر، وقالوا: إنه ابن يوسف النجار، والنصارى اختلفت فرقهم فيه، فقالت النسطورية منهم: هو ابن الله، وقالت المالكية: هو ثالث ثلاثة، وقالت اليعقوبية: هو الله تعالى. ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وهم المختلفون في أمره ﴿مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٣٧)﴾ أي: من شهود يوم القيامة، وما يجري فيه من الحساب والعقاب.

وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَاذْكُرْ
فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ
لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ
إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا
سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ
عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ
فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي
يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ
سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾
وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ
أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ
مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾
وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾
وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾

٣٨- ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ أي: ما أقوى سمعهم وأبصارهم ﴿يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ أي: للحساب والجزاء. لكن الظالمون في الدنيا في انحراف واضح مبين. ٣٩- أي: يوم يتحسرون جميعًا، فالمسيء يتحسر على إساءته، والمحسن على عدم استكثاره من الخير إذ فرغ من الحساب، وطويت الصحف، وصار أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار وهم الآن في الدنيا مغترون بها غافلون عما يعمل بهم يوم القيامة، وما أعد لهم من العذاب، ولو علموا وعقلوا لكان لهم شأن آخر ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾. ٤٠- ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ فلا يبقى بها أحد من أهلها يرث الأموات ما خلّفوا من الديار والمتاع وإلينا يردون إلينا يوم القيامة، فنجازي كلا بعمله. ٤١- ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: اتل خبره على الناس ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾ الصديق: الكثير الصدق، أو هو القوي التصديق لآيات الله. ٤٢- أبو إبراهيم هو آزر على ما تقدم في سورة الأنعام [٧٤] ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ﴾ دعاءك إياه ﴿وَلَا يُبْصِرُ﴾ ما تفعله من عبادته ولا يجلب لك نفعًا، ولا يدفع عنك ضررًا، وهي الأصنام التي كان يعبدها آزر. ٤٣- ويخبر إبراهيم أباه أنه قد وصل إليه نصيب من العلم بالوحي من قِبَل الله سبحانه، لم يصل به منه إلى الحق. ويقتدر به على إرشاد الضال، ولذلك قال: ﴿فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾﴾ مستويًا موصلاً إلى المطلوب منجيًا من المكروه. ٤٤- ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾ أي لا تطعه، فإن عبادة الأصنام: هي من طاعة الشيطان ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾﴾ حين ترك ما أمره به من السجود لآدم، والعاصي حقيق بأن تسلب عنه النعم وتحل به النقم. ٤٥- أي: فتكون بسبب موالاته في العذاب معه. ٤٦- قال: أمعرض أنت عن تلك الأصنام ومنصرف إلى غيرها؟ ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ أي: بالحجارة، وقيل: معناه لأشتمنك وفارقني زمانًا طويلاً. ٤٧- أي: تحية توديع ومتاركة، ووعده بأن يطلب له المغفرة من الله سبحانه تألفًا له وطمعًا في لينه وذهاب قسوته، وكان منه هذا الوعد قبل أن يعلم أنه يموت على الكفر. إن ربي كان بي كثير البر واللطف، يجيبني إذا دعوته. ٤٨- أي: أهاجر بديني عنكم وعن معبوداتكم حين لم تقبلوا نصحي، ولا نجعت فيكم دعوتي ﴿وَأَدْعُو رَبِّي﴾ وحده ﴿عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾ أي: خائبًا. وقيل: عاصيًا. ٤٩- أي: عندما ترك أرضه ووطنه وهاجر في سبيل الله إلى أرض بيت المقدس حيث يقدر على إظهار دينه. وقد تزوج بعد الهجرة من سارة التي ولد له منها ابنه إسحاق. وقبل ولادة إسحاق كان قد ولد له بكره إسماعيل من أمته هاجر عليهم السلام. ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ حفيده بدل الأهل الذين فارقهم وكل واحد منهم جعلناه نبيًا. ٥٠- ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ النبوة والمال والأولاد والكتاب ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾ لسان الصدق: الثناء الحسن على ألسن العباد.

٥١- ﴿إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا﴾ أي: جعلناه مختارًا، وأخلصناه ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾﴾ أرسله الله إلى عباده، فأنبأهم عن الله بشرائعه.

وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن
رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ
صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ
وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ
إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ
ثلاثة أرباع الحزب ٣١ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ
سجدة ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ
خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا
﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ
وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ
بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ
وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ
عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ
أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾

٥٢- وكلمناه من جانب الطور عن يمين موسى وأدنيناه بتقريب المنزلة حتى كلمناه حتى سمع مناجاة ربه.

٥٣- ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ﴾ أي من نعمتنا أخاه ﴿هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾ وذلك حين سأل ربه قائلاً: ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾﴾.

٥٤- ووصف الله سبحانه إسماعيل بصدق الوعد مع كون جميع الأنبياء كذلك، لأنه كان مشهورًا بذلك مبالغًا فيه. وناهيك من صدق وعده أنه وعد أباه أن يصبر على الذبح فوفى بذلك. كما في سورة الصافات [الآية: ١٠٢].

٥٥- ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ قيل المراد بأهله هنا: أمته، وقيل: عشيرته. والصلاة والزكاة هنا هما العبادتان الشرعيتان وكان عند ربه رضيًا زاكيًا صالحًا. ٥٦- وهو جد نوح،وهو أول من خط بالقلم. ٥٧- ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾ قيل: إن الله رفعه إلى السماء الرابعة، كما رواه مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك عن النبي ﷺ. ٥٨- ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ المذكورين من أول السورة إلى هنا.

﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ أي: من ذرية من حملنا معه، وهم من عدا إدريس ﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ وهم الباقون ﴿وَإِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي ومن ذرية إسرائيل، وهو يعقوب ومنهم موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا﴾ أي من جملة من هدينا إلى الإسلام ﴿وَٱجْتَبَيْنَآ﴾ ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾﴾ كانوا إذا سمعوا آيات الله بكوا وسجدوا. ٥٩- ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ أي: عقب سوء من أممهم يتسمون بالإيمان والاتباع للأنبياء ولكنهم في أفعالهم مقصرون ومخالفون، ولذلك: ﴿أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ قيل: لم يأتوا بها على الوجه المشروع، والظاهر أن من أخر الصلاة عن وقتها، أو ترك فرضًا من فروضها، أو شرطًا من شروطها، أو ركنًا من أركانها، فقد أضاعها. وأشد منهم إضاعة لها من تركها بالكلية، أو جحد وجوبها ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ أي: فعلوا ما تشتهيه أنفسهم من المحرمات، كشرب الخمر والزنى ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ الغي: هو الشر: وقيل: الخيبة. ٦٠- أي تاب مما فرط منه من تضييع الصلوات، واتباع الشهوات، فرجع إلى طاعة الله وآمن به وعمل عملاً صالحًا فلا ينقص من أجورهم شيء وإن كان قليلاً. ٦١- ﴿ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ آمنوا بها ولم يروها ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾﴾ مواعيده آتية، ومنها الجنة يأتيها أهلها. ٦٢- ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ هو الهذر من الكلام الذي لا طائل تحته، وقيل: اللغو كل ما لم يكن فيه ذكر الله ﴿إِلَّا سَلَٰمًا﴾ أي: ولكن يسمعون سلام بعضهم على بعض. أو سلام الملائكة عليهم ويأتيهم ما يشتهون من الطعام على مقدار ما يعرفون من الغداء والعشاء. ٦٣- أي: نجعلها لأهل التقوى. ٦٤- ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ أي: قل يا جبريل: وما نتنزل، وذلك أن رسول الله ﷺ استبطأ نزول جبريل عليه فأمر جبريل أن يخبره بأن الملائكة =

رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ
هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ
أُخۡرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ
وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ
لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ
شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحۡنُ أَعۡلَمُ بِٱلَّذِينَ
هُمۡ أَوۡلَىٰ بِهَا صِلِيّٗا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ
حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ
فِيهَا جِثِيّٗا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ خَيۡرٞ مَّقَامٗا وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا ﴿٧٣﴾ وَكَمۡ
أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَحۡسَنُ أَثَٰثٗا وَرِءۡيٗا ﴿٧٤﴾ قُلۡ مَن
كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ
إِمَّا ٱلۡعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ شَرّٞ مَّكَانٗا
وَأَضۡعَفُ جُندٗا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ
وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٞ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾

= ما تتنزل عليه إلا بأمر الله ﴿إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَ﴾ بالتنزيل. ﴿لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا وَمَا خَلۡفَنَا وَمَا بَيۡنَ ذَٰلِكَ﴾ أي من الجهات والأماكن، أو من الأزمنة الماضية والمستقبلة، فلا نقدم على أمر إلا بإذنه ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا ﴿٦٤﴾﴾ أي لم ينسك وإن تأخر عنك الوحي، ولا ينسى شيئًا. ٦٥- ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾ أي: خالقهما ومالكهما وما بينهما. ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ اثبت على ذلك فليس له مثل ولا نظير حتى يشاركه في العبادة. ٦٦- ﴿وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ والمراد بالإنسان هنا الكافر ﴿أُخۡرَجُ﴾ أي: من القبر.

٦٧- أي: ألا يتفكر هذا الجاحد في أول خلقه فيستدل بالابتداء على الإعادة، والابتداء أعجب وأغرب من الإعادة ﴿وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ﴿٦٧﴾﴾ أي: قبل خلقه كان معدومًا بالكلية، ومع ذلك أوجدناه. ٦٨- ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ﴾ إلى المحشر بعد إخراجهم من قبورهم أحياء شياطينهم الذين أغووهم وأضلوهم ﴿ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا ﴿٦٨﴾﴾ أي: جاثين على ركبهم لما يصيبهم من هول الموقف وروعة الحساب. ٦٩- ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾ الشيعة: الفرقة التي تبعت دينًا من الأديان ﴿أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا ﴿٦٩﴾﴾ ينتزع من كل طائفة من طوائف الغي والفساد أعصاهم وأعتاهم، وهم قادتهم ورؤساؤهم في الشر. ٧٠- ﴿ثُمَّ لَنَحۡنُ أَعۡلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمۡ أَوۡلَىٰ بِهَا صِلِيّٗا ﴿٧٠﴾﴾ أي: إن هؤلاء الذين هم أشد على الرحمن عتيًّا هم أولى بحريق النار. ٧١- ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ أي: ما من الناس أحد إلا سوف يرد إلى النار، والورود: هو المرور على الصراط ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٧١﴾﴾ أمرًا محتومًا قد قضى سبحانه أنه لا بد من وقوعه لا محالة.

٧٢- ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ أي: اتقوا ما يوجب النار، وهو الكفر بالله ومعاصيه. فالذين يتقون الله ينجيهم الله من الوقوع في النار، فيمرون على الصراط بإيمانهم وأعمالهم ﴿وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ﴿٧٢﴾﴾ يبقون فيها جاثين على ركبهم لا يستطيعون الخروج.

٧٣- المراد بالفريقين: المؤمنون والكافرون، كأنهم قالوا: أفريقنا خير أم فريقكم منزلاً ومسكنًا، وأكبر جاهًا، وأكثر أنصارًا وأعوانًا ﴿وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا ﴿٧٣﴾﴾ والندي والنادي: مجلس القوم ومجتمعهم. ٧٤- القرن: الأمة والجماعة، والأثاث: المال أجمع، من الإبل والغنم والبقر، والعبيد والمتاع. أي: أحسن منظرًا لدى الناس من جهة حسن اللباس، أو حسن الأبدان وتنعمها. ٧٥- ﴿قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّا﴾ أي: من كان يخبط في الدنيا على هواه، فإن الله تعالى جعل جزاءه أن يتركه في ضلالته ويمده فيها. ﴿إِمَّا ٱلۡعَذَابَ﴾ في الدنيا بالقتل والأسر، وإما يوم القيامة وما يحل بهم حينئذ من العذاب الأخروي ﴿فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضۡعَفُ جُندٗا ﴿٧٥﴾﴾ أي: هؤلاء الذين افتخروا على المؤمنين بأنهم خير مقامًا وأحسن نديًّا، سيعلمون يوم القيامة أنهم شر مكانًا، لا خير مكانًا، وأضعف جندًا، لا أقوى ولا أحسن من فريق المؤمنين. ٧٦- وذلك أن الخير يدعو إلى الخير، والله يجعل جزاء المؤمنين أن يزيدهم يقينًا، كما جعل =

أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا
﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا
سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ
مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً
لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ
عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ
تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾
يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ
إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ
ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ
جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ
وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا
﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ
وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾

٣١١

= جزاء الكافرين أن يمدهم في ضلالتهم وإن الطاعات المؤدية إلى السعادة الأبدية أنفع عائدة مما يتمتع به الكفار من النعم الدنيوية والمردّ: المرجع والعاقبة.

٧٧- ألا أخبرُك بقصة هذا الكافر الذي قال: ﴿لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ هو العاص بن وائل. ٧٨- ﴿أَطَّلَعَ﴾ على ﴿ٱلْغَيْبَ﴾ حتى يعلم أنه في الجنة ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ أقال: لا إله إلا الله فأرحمه بها؟ وقدم عملاً صالحًا فهو يرجوه. ٧٩- ليس الأمر على ما قال، بل سنحفظ عليه ما يقوله فنجازيه به في الآخرة ونزيده عذابًا فوق عذابه مكان ما يدّعيه.

٨٠- ﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ﴾ أي: نميته فنرثه المال والولد الذي يقول إنه يؤتاه ويأتينا يوم القيامة لا مال له ولا ولد، بل نسلبه ذلك، فكيف يطمع في أن نعطيه؟ ٨١- ﴿لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا﴾ ليكونوا لهم أعوانًا، أو ليكونوا لهم شفعاء في الآخرة. ٨٢- أي: ليس الأمر كما ظنوا، بل ستجحد هذه الأصنام عبادة الكفار لها يوم ينطقها الله سبحانه وتكون هذه الآلهة التي ظنوها عزًّا لهم ضدًّا عليهم وأعداء، بعد أن كانوا يحبونها ويؤمنون بها. ٨٣- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: سلطناهم عليهم ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ أي: إن الشياطين تحرك الكافرين إلى فعل المعاصي وتهيجهم وتغويهم. ٨٤- ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ بأن تطلب من الله التعجيل بإهلاكهم بسبب تصميمهم على الكفر وعنادهم ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ يعني نعد الأيام والليالي والشهور والسنين من أعمارهم إلى انتهاء آجالهم. ٨٥- أي وافدين إلى جنته ودار كرامته. ٨٦- ونحثهم على السير طردًا ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ الورد: المشاة العطاش، كالإبل ترد الماء. ٨٧- أي: لا يملك المتقون أن يشفعوا لغيرهم، إلا لمن قال لا إله إلا الله مؤمنًا بها لا يشرك بالله شيئًا.

٨٨- وهذا هو قول اليهود والنصارى، ومن يزعم من العرب أن الملائكة بنات الله.

٨٩- ردَّ لهذه المقالة الشنعاء، والإدّ: الداهية والأمر الفظيع، أي: قلتم قولاً عظيمًا. ٩٠- التفطر: التشقق ﴿وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ﴾ أي: وتكاد أن تنشق الأرض وتسقط وتنهدم هدًا. ٩١- أي: لأجل غضب الله عليهم لعظم ما قالوا إن الله اتخذ ولدًا.

٩٢- أي: لا يصلح له ولا يليق به، فإن هذا نقص يتعالى الله ويتنزه عنه. ٩٣- أي: كل واحد من الخلق لابد له أن يأتي إلى الله يوم القيامة مقرًّا بالعبودية خاضعًا ذليلاً، فكيف يكون واحد منهم ولدًا له؟ ٩٤- أي: حصرهم وعلم عددهم وعدّ أشخاصهم بعد أن حصرهم فلا يخفى عليه أحد منهم، ولا يتخلف أحد عن الحضور بين يديه.

٩٥- أي: كل واحد منهم يأتيه يوم القيامة وحده لا ناصر له ولا مال معه.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ
ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ
ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ﴿٩٧﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم
مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا ﴿٩٨﴾

سُورَةُ طه

ترتيبها ٢٠ — آياتها ١٣٥

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ
لِّمَن يَخۡشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ﴿٤﴾
ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي
ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ
فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ
ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذۡ رَءَا نَارٗا
فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ
أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾
إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾

٩٦- وفي الحديث الصحيح: «إذا أحب الله عبدًا نادى جبريل: إني قد أحببت فلانًا فأحبه، فينادي في السماء. ثم ينزل له المحبة في أهل الأرض. وإذا أبغض الله عبدًا نادى جبريل: إني قد أبغضت فلانًا، فينادي في أهل السماء. ثم ينزل له البغضاء في الأرض».

٩٧- أي: يسرنا القرآن بإنزالنا له على لغتك، وفصلناه وسهلناه ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ أي: المتلبسين بالتقوى، المتصفين بها ﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ﴿٩٧﴾﴾ ذوي خصومة شديدة.

٩٨- أي: وكم أهلكنا من أمة وجماعة من الناس هل تشعر بأحد منهم أو تراه، والركز: الصوت الخفي، وقيل: الركز ما لا يفهم من صوت أو حركة.

سورة طه

هي مكية في قول الجميع.

١- تقدم الكلام على الحروف المقطعة التي في أوائل السور في سورة البقرة، ومن جملة تلك الحروف ﴿طه ﴿١﴾﴾ وقيل: ليس هذا منها، ولكن معناها: طأ الأرض يا محمد.

٢- أي: لتتعب بفرط تأسفك عليهم، وعلى كفرهم وتحسرك على أن يؤمنوا، فإن إيمانهم ليس إليك. ٣- أي: ما أنزلناه إلا تذكرة لتذكر به من يوفقه الله للتقوى، وليس عليك جبرهم على الإيمان. ٤- إخبار العباد عن كمال عظمة منزل القرآن وعظيم جلاله.

٥- أي: استوى ولا يعلم البشر كيف ذلك، بل نؤمن به على طريقة السلف الصالح الذين يمرون الصفات كما وردت من دون تحريف ولا تأويل، ومن دون تشبيه ولا تمثيل. ٦- أي: إنه مالك كل شيء ومدبره ﴿وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾ من الموجودات وما تحت التراب من شيء. ٧- والمعنى: إن تجهر بذكر الله ودعائه، فاعلم أنه غني عن ذلك، فإنه يعلم السر وما هو أخفى من السر.

٨- وهي التسعة والتسعون التي ورد بها الحديث الصحيح، وقد تقدم بيانها في سورة الأعراف [الآية: ١٨٠].

٩- أي: قصته مع فرعون وملئه، وفي سياق هذه القصة تسلية للنبي ﷺ لما يلاقيه من مشاق أحكام النبوة.

١٠- ﴿إِذۡ رَءَا نَارٗا﴾ كانت رؤيته للنار في ليلة مظلمة لما خرج مسافرًا من مدين إلى مصر ﴿فَـ﴾ لما رآها ﴿قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ﴾ أقيموا مكانكم ﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا﴾ أي: رأيتها من بعيد والقبس: شعلة من النار ﴿أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ﴿١٠﴾﴾ أي: هاديًا يهديني الطريق ويدلني عليها.

١١- أي فلما أتى النار التي رآها ناداه الله تعالى قائلاً ﴿يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾﴾.

١٢- أي أمره بنزعها ليكون حافيًا وذلك أبلغ في التواضع، وأقرب إلى التشريف والتكريم وحسن التأديب والمقدس: المطهر، وطوى: اسم الوادي، وهو من أرض سيناء.

وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠
فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ
أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ
عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلۡكَ
بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا
وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلۡقِهَا
يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذۡهَا
وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ
إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ
مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى ﴿٢٣﴾ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ
رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن
لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ
أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ كَيۡ نُسَبِّحَكَ
كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدۡ
أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ﴿٣٧﴾

١٣- ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ﴾ للرسالة ﴿فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾.

١٤- أي: الذي يناديك هو الله ﴿فَٱعۡبُدۡنِي﴾ لأن اختصاص الإلهية به سبحانه موجب لتخصيصه بالعبادة وخصَّ الصلاة بالذكر لكونها أشرف طاعة وأفضل عبادة لتذكرني، أو المعنى: أقم الصلاة متى تذكرت أن عليك صلاة.

١٥- أي: فاعمل لها الخير من عبادة الله والصلاة وإن الله بالغ في إخفاء الساعة، فذكره بأبلغ ما تعرفه العرب، وقيل: المعنى: أكاد أظهرها لتجزى كل نفس بما تسعى فيه من أعمالها.

١٦- أي: فلا يصرفنك عن الإيمان بالساعة، والتصديق بها ﴿مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا﴾ من الكفرة ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ بالانهماك في اللذات الحسية الفانية فتهلك. ١٧- سؤال عن العصا، للتنبيه له عليها، لتقع المعجزة بها بعد التثبيت فيها، والتأمل لها، والتأكد من أنها هي عصاه الحقيقية التي يعرفها، وإلا فقد علم الله ما هي. ١٨- أي: أتحامل عليها في المشي عند الإعياء وأخبط بها الشجر ليسقط منه الورق لتأكله الغنم وقيل: هي لزجر الغنم ومنافع العصا كثيرة معلومة. ٢٠- ﴿فَأَلۡقَىٰهَا﴾ موسى على الأرض ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ وذلك بقلب الله سبحانه لأوصافها وأعراضها حتى صارت حية تسعى: أي تمشي بسرعة وخفة، فلما رآها كذلك خاف وفزع وولى مدبرًا ولم يعقب. ٢١- ﴿قَالَ﴾ سبحانه ﴿خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٢١﴾﴾ سنعيدها بعد أخذك لها إلى حالتها الأولى. ٢٢- وجناح الإنسان جنبه تحت العضد ﴿تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ﴾ مع أن جلد موسى كان أسمر، والسوء: العيب، كنى به عن البرص وهي معجزة أخرى غير العصا. ٢٣- أي: لنريك بهاتين الآيتين بعض دلائل قدرتنا على كل شيء.

٢٤- ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ كفر وتجاوز الحد. ٢٥- وسِّعه ليحتمل أعباء الدعوة ولأعي عنك ما تودعه من وَحْيك.

٢٧- أي: وأطلق عن لساني العقدة التي فيه بالقدر الذي استطيع إفهامهم به.

٢٨- أي: يفهموا كلامي.

٢٩- شخصًا يكون معينًا لي في بعض أموري.

٣١- أي: يا رب أحكم به قوتي.

٣٢- أي: واجعله شريكي في أمر الرسالة، شفع له كي يكون نبيًّا مثله ليعينه.

٣٦- أي: أعطيتك ما سألته [من شرح الصدر، وتيسير الأمر، وحل العقدة، ونبوة هارون].

٣٧- كلام مستأنف بتذكيره نعم الله عليه، والمن: الإحسان والإفضال.

إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ
فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ ۚ وَأَلْقَيْتُ
عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ
فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ
عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۚ
فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ ﴿٤٠﴾
وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا
فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا
لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا
أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ
﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ
وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ
الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ
وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ
كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٥١﴾

٣١٤

٣٨- والمراد بالإيحاء إليها: إما مجرد الإلهام لها، أو في النوم بأن أراها ذلك لا على طريق النبوة كالوحي إلى الأنبياء. ٣٩- أي: اطرحيه في الصندوق ثم اطرحي الصندوق في البحر وهو هنا نهر النيل، وسوف يحمله النهر، ويلقيه بالشاطئ قرب قصر فرعون لكي يأخذه فرعون عدوي وعدو موسى عندما يبعثه الله بالرسالة، وألقى الله على موسى محبة كائنة منه تعالى في قلوب عباده، لا يراه أحد إلا أحبه، وقيل: أحبه الله فيحبه الناس، ولتربَّى بمرأى مني. ٤٠- ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ﴾ خرجت تمشي على الشاطئ تسير بسير التابوت، تتابعه بنظرها لترى أين يستقر، فوجدت فرعون وامرأته يطلبان له مرضعة، فقالت لهما: هل أدلكم على من يربيه، فجاءت الأم فقبل ثديها، وكان لا يقبل ثدي مرضعة غيرها ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ والمراد بقرة العين: السرور برجوع ولدها إليها بعد أن طرحته في البحر وعظم عليها فراقه ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ بسبب يطرأ بعد ذلك ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾ نفس القبطي الذي وكزه موسى فقضى عليه، وكان قتله له خطأ ﴿فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ﴾ أي: الغم الحاصل معك من قتله خوفًا من العقوبة وخلصناك مرة بعد مرة مما وقعت فيه من المحن التي سبق ذكرها قبل أن يصطفيه الله لرسالته، ثم خرجت إلى أهل مدين فلبثت سنين، ومدين بأرض العرب على ثماني مراحل من مصر، هرب إليها موسى، فأقام بها عشر سنين كانت مهر امرأته ثم جئت أي: في وقت سبق في قضائي وقدري أن أكلمك وأجعلك نبيًّا. ٤١- أي: اخترتك لإقامة حجتي، وجعلتك بيني وبين خلقي. ٤٢- ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ﴾ هارون ﴿بِآيَاتِي﴾ بمعجزاتي التي جعلتها لك آية، وهي التسع الآيات، ولا تضعفا ولا تفترا عن ذكر الله. ٤٣- أي: جاوز الحد في الكفر والتمرد. ٤٤- اللين: هو الذي لا خشونة فيه، والمراد: تركهما للتعنيف. ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ أي: خاطباه بالقول اللين، فذلك أحرى به أن يمعن النظر فيما تبلغانه من الذكر والفكر فيه، ويخشى عقاب الله الموعود به على لسانهما. وقد أخرج النسائي وابن جرير عن ابن عباس أثرًا طويلاً في تفسير الآية، فمن أحب استيفاء ذلك فلينظر في كتاب التفسير من سنن النسائي. ٤٥- ﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا﴾ أن يعجل ويبادر بعقوبتنا ويشتط في أذيتنا. ٤٦- ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا﴾ أي: بالنصر لهما، والمعونة على فرعون ﴿أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ ما يجري بينهما وبينه وليس بغافل عنهما. ٤٧- أي: أرسلنا الله إليك ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي: خل عنهم، وأطلقهم من الأسر ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ كانوا عند فرعون في عذاب شديد: يذبح أبناءهم، ويستحيي نساءهم، ويكلفهم ما لا يطيقونه ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾ هي العصا واليد ومن اتبع الهدى سلم من سخط الله عز وجل ومن عذابه، وليس السلام هنا بتحية. ٤٨- ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا﴾ من جهة الله سبحانه أن الهلاك والدمار في الدنيا، والخلود في النار جزاء التكذيب بآيات الله وبرسله، والإعراض عن قبولها، وعن الإيمان بها. ٤٩- ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ﴿٤٩﴾﴾ فأضاف الرب إليهما ولم يضفه إلى نفسه لعدم تصديقه لهما، ولجحده للربوبية. ٥٠- أي: أعطى كل شيء صورته =

قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾
ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟
وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِي ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا
خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ
أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا
مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ
فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا
سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى
﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم
مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ
وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟
ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم
مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟
كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾

ربع الحزب ٣٢

= وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به المطابقة له كاليد للبطش، والرجل للمشي واللسان للنطق، والعين للنظر، والأذن للسمع.

ثم هداهم إلى طرق الانتفاع بما أعطاهم فانتفعوا بكل شيء فيما خلق له. ٥١- أي: فإنها لم تقر بالربِّ الذي تدعو إليه يا موسى، بل عبدت الأوثان ونحوها من المخلوقات. ٥٢- المعنى: أن كل أعمالهم محفوظة عند الله مثبتة عنده في اللوح المحفوظ، يجازي بها، ولا يخطئ في علم شيء من الأشياء، ولا ينسى ما علمه منها. ٥٣- ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ كالفراش ممهدة تعيشون عليها بيسر وسهولة، وفيها طرقًا تسلكونها وسهلها لكم ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ هو ماء المطر فأخرجنا به ضروبًا وأشباهًا من أصناف النبات المختلفة. ٥٤- ويمتنُّ الله تعالى بأن خلق ذلك النبات بأصنافه صالحًا للإنسان والأنعام المسخرة له، إن في ذلك لآيات لأصحاب العقول الراجحة. ٥٥- أي: من تراب الأرض خلقناكم في ضمن خلق آدم وفي الأرض ﴿نُعِيدُكُمْ﴾ بعد الموت فتدفنون فيها، وتتفرق أجزاؤكم حتى تصير من جنس الأرض ومن الأرض ﴿نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ أي: بالبعث والنشور. ٥٦- الآيات التسع المذكورة، وقيل: المراد بالآيات حجج الله سبحانه الدالة على توحيده، فكذب فرعون موسى وأبى عليه أن يجيبه إلى الإيمان. ٥٧- أي: جئت يا موسى بقلب العصا حية، وذلك نوع من السحر، توهم الناس بأنك نبي يجب عليهم اتباعك حتى تتوصل بذلك إلى أن تغلب على أرضنا وتخرجنا منها، وإنما ذكر الملعون الإخراج من الأرض لتنفير قومه عن إجابة موسى. ٥٨- ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ لنعارضنك بمثل ما جئت به من السحر فاجعل بيننا وبينك يومًا معلومًا ومكانًا معلومًا لا نخلف ذلك الوعد ﴿نَحْنُ وَلَآ أَنتَ﴾ وفوض تعيين الموعد إلى موسى إظهارًا لكمال اقتداره ﴿مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾﴾ معناه مكانًا وسطًا بين الفريقين. ٥٩- وكان ذلك يوم عيد يتزينون فيه، وأن يجمع الناس من وقت الضحى يشهدوا هذا الأمر. ٦٠- أي: جمع ما يكيد به من سحره وحيله، وجمع السحرة ثم أتى الموعد. ٦١- وأخذ موسى عليه السلام ينصح قومه قائلاً: لا تختلقوا على الله الكذب والبهتان، فلا تشركوا به شيئًا فيهلككم بعذاب يستأصلكم به، وقد خسر وهلك من افترى على الله الكذب والزور. ٦٢- ﴿فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ أي: السحرة لما سمعوا كلام موسى تناظروا وتشاوروا وتجاذبوا أطراف الكلام فيما بينهم في ذلك ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾﴾ أي: تناجوا فيما بينهم سرًّا من موسى قائلين: ٦٣- أي: إنهما لساحران ﴿يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم﴾ وهي أرض مصر ﴿بِسِحْرِهِمَا﴾ الذي أظهراه، وإنهما إن غلبا بسحرهما مال إليهما السادة والأشراف وتابعوهما على أمرهما، ومآل ذلك أن تنقضي سنتكم في الحياة. ٦٤- ﴿فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ﴾ ليكن عزمكم كلكم كالكيد مجمعًا عليه ﴿ثُمَّ ٱئْتُوا۟﴾ =

قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ٦٥ قَالَ
بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ
٦٦ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ٦٧ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ
أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ٦٨ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟
كَيْدُ سَـٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ٦٩ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا
قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ ٧٠ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ
لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ
وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ
أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ٧١ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ
ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَـٰذِهِ
ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ٧٢ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَـٰيَـٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا
عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ٧٣ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا
فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ٧٤ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ
عَمِلَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَـٰتُ ٱلْعُلَىٰ ٧٥ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ
تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ٧٦

= ﴿صَفًّا﴾ أي مصطفين مجتمعين ليكون أنظم لأمورهم وأشد لهيبتهم ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ٦٤﴾ أي: من غلب. وهذا كله من قول السحرة بعضهم لبعض، وقيل: من قول فرعون لهم. ٦٥- ﴿قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ﴾ أنت أولاً ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ﴾ نحن ﴿أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ٦٥﴾ ما يلقيه، والمراد إلقاء العصي على الأرض.

٦٦- فأمرهم بالإلقاء أولاً لتكون معجزته أظهر إذا ألقوا هم ما معهم، ثم يلقي هو عصاه فتبتلع ما ألقوه كله، وإظهارًا لعدم المبالاة بسحرهم.

٦٧- أي: أحس بالخوف من أن يغلب، وقيل: خاف لما يعرض من الطباع البشرية عند مشاهدة ما يخشى منه. ٦٨- أي المستعلي عليهم بالظفر والغلبة. ٦٩- ﴿وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ﴾ يعني العصا تبتلع الذي صنعوه من الحبال والعصي لأنه ليس إلا خيالاً.

٧٠- أي: فسجدوا لله وآمنوا برسالة موسى. ٧١- أي: هل صدقتم قوله واتبعتموه على دينه من غير إذن مني لكم بذلك ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ أي هو أسحركم وأعلاكم درجة في صناعة السحر، أو معلمكم وأستاذكم أراد فرعون بهذا القول أن يدخل الشبهة على الناس حتى لا يؤمنوا، وإلا فقد علم أنهم لم يتعلموا من موسى، ولا كان رئيسًا لهم، ولا بينه وبينهم مواصلة ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ﴾ من خلاف: هو قطع اليد اليمنى والرجل اليسرى، أو عكسه ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ أي: على جذوعها، وإنما اختارها لخشونتها وأذاها ولتعلمن هل أنا أشد عذابًا لكم أم رب موسى. ٧٢- قالوا لن نختارك على ما جاءنا به موسى من البينات الواضحة من عند الله سبحانه وعلى الذي خلقنا، وقيل هو قسم، أي: والله الذي فطرنا لن نؤثرك فاصنع ما أنت صانع إنما سلطانك علينا ونفوذ أمرك فينا في هذه الدنيا بما تريد من أنواع القتل، ولا سبيل لك علينا فيما بعدها.

٧٣- ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَـٰيَـٰنَا﴾ التي سلفت منا من الكفر وغيره ويغفر لنا الذي أكرهتنا عليه من عمل السحر في معارضة موسى والله خير منك ثوابًا وأبقى منك عقابًا.

٧٤- ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ٧٤﴾ لا يموت ميتة مريحة، ولا يحيا حياة ممتعة، فهو يألم كما يألم الحي، ويبلغ به الحال الموت في المكروه، إلا أنه لا يبطل فيها عن إحساس الألم.

٧٥- ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ مصدقًا به قد عمل الطاعات فأولئك لهم المنازل الرفيعة.

٧٦- في ﴿جَنَّـٰتُ عَدْنٍ﴾ وذلك الأجر ﴿جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ٧٦﴾ تطهر من الكفر والمعاصي الموجبة للنار.

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا
فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ
بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ
وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ
جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا
مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي
وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ
وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ۞ وَمَا أَعْجَلَكَ عَن
قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ
رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ
السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ
يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ
الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم
مَّوْعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا
أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾

نصف الحزب ٣٢

٧٧- أي سر بهم من مصر ليلاً دون أن يشعر بكم أحد واجعل لهم طريقًا في وسط البحر، وهو بحر القلزم (السويس) يابسًا، وذلك أن الله تعالى أيبس لهم تلك الطريق حتى لم يكن فيها ماء ولا طين ﴿لَّا تَخَافُ دَرَكًا﴾ أي: آمنًا من أن يدركم العدو ﴿وَلَا﴾ أنت ﴿تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾﴾ من فرعون أو من البحر. ٧٨- أي: تبعهم فرعون ومعه جنوده ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾﴾ التكرير للتعظيم والتهويل. وقيل: المعنى: غشيهم ما سمعت قصته. ٧٩- ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ﴾ عن الرشد، وما هداهم إلى طريق النجاة عندما سلك بهم في الطريق الذي سلكه بنو إسرائيل في وسط البحر. ٨٠- ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ﴾ قلنا لهم بعد إنجائهم: يا بني إسرائيل وأمرنا موسى بإخراجكم معه لنكلمه بحضرتكم فتسمعوا الكلام الذي يخاطبه به رب العزة. والمراد: أن يخرج معه جماعة مختارة منهم. وكان مكان الموعد جانب الطور الأيمن وهو جبل في سيناء. ٨١- والمراد بالطيبات المستلذات من الأطعمة الحلال ولا تتجاوزوا ما هو جائز إلى ما لا يجوز، وقيل: المعنى: لا تجحدوا نعمة الله فتكونوا طاغين ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾ أي: ينزل بكم ومن يحلل عليه غضبي فقد صار إلى الهاوية، وهي قعر النار. ٨٢- وإني لغفار لمن تاب من الذنوب، وآمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وعمل عملاً صالحًا مما ندب إليه الشرع وحسنه ثم استقام على ذلك حتى يموت، وقيل: تعلم العلم ليهتدي به. ٨٣- كانت المواعدة أن يوافي موسى وجماعة من وجوه قومه، فسار موسى بهم، ثم عجل من بينهم شوقًا إلى ربه، فقال الله له: ما أعجلك؟ أي: ما الذي حملك على العجلة، حتى تركت قومك وخرجت من بينهم. ٨٤- أي: هم بالقرب مني، واصلون بعدي وعجلت إليك رب لترضى عني بمسارعتي إلى الوصول إلى مكان الموعد لتزداد رضا عني بذلك. ٨٥- أي: ابتليناهم واختبرناهم وألقيناهم في فتنة ومحنة وجعلهم السامري في ضلال الحق بما أوقعهم فيه من عبادة عجل الذهب، وكان من قبيلة تعرف بالسامرة، قال لمن معه من بني إسرائيل: إنما تخلف موسى عن الميعاد الذي بينكم وبينه لما صار معكم من الحلي، وهي حرام عليكم، وأمرهم بإلقائها في النار، فكان من أمر العجل ما كان. ٨٦- الأسف الشديد: هو أشد الغضب. ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ وعدهم بالجنة إذا أقاموا على طاعته، ووعدهم أن يسمعهم كلامه في التوراة على لسان موسى ليعلموا بما فيها، فيستحقوا ثواب عملهم ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ﴾ أي: هل طال عليكم الزمان فنسيتم، أي: لم يمض على ذلك غير شهر وأيام؟ ﴿أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: يلزمكم وينزل بكم العقوبة والنقمة ﴿فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴿٨٦﴾﴾ وعدوه أن يقيموا على طاعة الله عز وجل إلى أن يرجع إليهم من الطور، وقيل: وعدوه أن يأتوا على أثره إلى الميقات، فتوقفوا وتخلفوا عن اللحاق به. ٨٧- ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ﴾ الذي وعدناك باختيارنا، بل كنا مضطرين إلى الخطأ ﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ فإنهم كانوا استعاروا من أهل مصر حلي الذهب حين أرادوا الخروج مع موسى، وأوهموهم أنهم =

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ
وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا
يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ
يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟
أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ
﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ
أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ
إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ
قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ
بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ
فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ
فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ
مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ
عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ
إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

٣١٨

= يجتمعون في عيد لهم أو وليمة وسميت أوزارًا: أي: آثامًا؛ لأنه لا يحل لهم أخذها ﴿فَقَذَفْنَٰهَا﴾ أي: طرحناها في النار طلبًا للخلاص من إثمها ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾﴾ أي: فمثل ذلك قذف السامريّ ما معه، وصاغ لهم منه عجلاً، ثم ألقى عليه قبضة من أثر الرسول، وهو جبريل. ٨٨- ﴿عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ أي: يخور كما يخور الحي من العجول، والخوار صوت البقر، وقيل: خواره كان بالريح، لأنه كان عمل فيه خروقًا، إذا دخلت الريح في جوفه خار، ولم يكن فيه حياة ﴿فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾ أي: قال السامريّ ومن وافقه هذه المقالة ﴿فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾﴾ أي: فضلّ موسى ولم يعلم مكان إلهه هذا، وذهب يطلبه في الطور، وقيل: المعنى فنسي موسى أن يذكر لكم أن هذا إلهه وإلهكم. ٨٩- أي: أفلا يعتبرون ويتفكرون في أن هذا العجل لا يرد عليهم جوابًا، ولا يكلمهم إذا كلموه، فكيف يتوهمون أنه إله. ٩٠- ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل أن يأتي موسى ويرجع إليهم ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ﴾ أي: وقعتم في الفتنة بسبب العجل وابتليتم به وضللتم عن طريق الحق لأجله

﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾﴾ أي: ربكم الرحمن، لا العجل، فاتبعوني في عبادة الله ولا تتبعوا السامريّ في أمره لكم بعبادة العجل، وأطيعوا أمري لا أمره. ٩١- أي: لن نزال مقيمين على عبادة هذا العجل، حتى يرجع إلينا موسى، فينظر هل يقررنا على عبادته، أو ينهانا عنها. فعند ذلك اعتزلهم هارون. ٩٢، ٩٣- ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ﴾ من اتباعي واللحوق بي عندما وقعوا في هذه الضلالة ودخلوا في الفتنة ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾﴾ كيف خالفت أمري لك بالقيام لله، ومنابذة من خالف دينه، وأقمت بين هؤلاء الذين اتخذوا العجل إلهًا. ٩٤- أي: لا تفعل هذا بي عقوبة منك لي، أي: وكان موسى قد أخذ برأس أخيه يجره إليه، فإن لي عذرًا هو أني خشيت إن خرجت عنهم وتركتهم أن يتفرقوا فتقول إني فرقت جماعتهم، وذلك لأن هارون لو خرج لتبعه جماعة منهم، وتخلف مع السامري عند العجل آخرون، وربما أفضى ذلك إلى القتال بينهم؛ ولم تعمل بوصيتي لك فيهم وتحفظها. ٩٥- أي: ما شأنك؟ أي: ما الذي حملك على ما صنعت؟ ٩٦- ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ﴾ قيل: أراد أنه رأى جبريل على فرس فألقي في ذهنه أن يقبض قبضة من أثر فرسه، وأن ذلك الأثر لا يقع على جماد إلا صار حيًّا ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ فطرحتها في الحلي المذابة المسبوكة على صورة العجل ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾﴾ أي: زينت. ٩٧- قال: فاذهب من بيننا، واخرج عنا، فإن لك ما دمت حيًّا أن لا يمسك أحد ولا تمس أحدًا، أي: أمر موسى أن ينفي السامريّ عن قومه، وأمر بني إسرائيل ألا يخالطوه ولا يقربوه ولا يكلموه عقوبة له ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾ أي: لن يخلفك الله ذلك الموعد، وهو يوم القيامة ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ الذي دمت وأقمت على عبادته ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ أي بالنار، وقيل معناه: لنبردنه بالمبارد ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾﴾ لنذرينه في البحر ليذهب به الريح. ٩٨- ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا﴾ =

كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا
ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا
﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ
فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ
بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ
أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ
فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾
لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ
لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا
﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ
قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ
عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ
حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا
يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا
وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٣٢

= ﴿هو﴾ لا هذا العجل الذي فتنكم به السامري ﴿وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾ وسع علمه كل شيء. ٩٩- أي: كما قصصنا عليك خبر موسى كذلك نقص عليك من أخبار الحوادث الماضية في الأمم الخالية لتكون تسلية لك ودلالة على صدقك ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾﴾ المراد بالذكر: القرآن.

١٠٠- أي: كل من أعرض عنه فلم يؤمن به ولا عمل بما فيه، يحمل إثمًا عظيمًا وعقوبة ثقيلة بسبب إعراضه.

١٠١- أي: في جزائه وهو النار وبئس الحمل يوم القيامة. ١٠٢- فإذا نفخ في الصور للبعث يحشر الله المشركين والكافرين يومئذ زرق العيون سود الوجوه عطاشًا. ١٠٣- يتساررون بينهم ما لبثتم في الدنيا إلا عشر ليال، يستقصرون مدة مقامهم في الدنيا، أو في القبور. ١٠٤- ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾ أي: أعدلهم قولاً، وأكملهم رأيًا، وأعلمهم عند نفسه ما لبثتم إلا يومًا واحدًا، ونسبة هذا القول إلى أمثلهم، لكونه أدل على شدة الهول، لا لكونه أقرب إلى الصدق. ١٠٥- ويسألونك عن حال الجبال يوم القيامة فقل يقلعها ربي قلعًا من أصولها، بتفجيرها حتى تطير هكذا وهكذا. ١٠٦- المعنى: فيترك مواضعها بعد نسف ما كان عليها من الجبال ﴿قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾﴾ القاع الصفصف: الأرض الملساء بلا نبات ولا بناء. ١٠٧- ولا عوج هنا: ما انخفض من وجه الأرض كالوادي ونحوه، والأمت: المكان المرتفع نحو التلال الصغار. ١٠٨- ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ﴾ يتبع الناس داعي الله إلى المحشر لا معدل لهم عن دعائه، فلا يقدرون على أن يزيغوا عنه، أو ينحرفوا منه، بل يسرعون إليه ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ سكتت رهبة وخشية وإنصاتًا لما يسمعونه من قوله تعالى ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾﴾ الهمس: الصوت الخفي. ١٠٩- ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ﴾ من شافع كائنًا من كان إلا شفاعة من أذن له الرحمن أن يشفع له ورضي قوله في الشفاعة، أو رضي لأجله قول الشافع. ١١٠- ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمر الساعة ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمر الدنيا ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ لا تحيط علومهم بذاته، ولا بصفاته، ولا بمعلوماته. ١١١- أي: ذلت وخضعت وقد خسر من حمل شيئًا من الظلم، وقيل: هو الشرك. ١١٢- ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: الأعمال الصالحة ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ بالله ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا﴾ من أن يعاقب بغير ذنب ﴿وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾ الهضم: النقص من ثواب حسناته. ١١٣- ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ﴾ أي: القرآن ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ أي: بلغة العرب ليفهموه وبينا فيه ضروبًا من الوعيد تخويفًا وتهديدًا، أو كررنا فيه بعضًا منه على أوجه مختلفة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ كي يخافوا الله، فيجتنبوا معاصيه، ويحذروا عقابه ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾﴾ أي: تنشئ مواعظ القرآن في قلوبهم اعتبارًا =

فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن
يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ
إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا
لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾
فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا
مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾
وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ
ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ
لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا
يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾
ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا
جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى
فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن
ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾

= واتعاظًا، وقيل: ورعًا. ١١٤- ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ جل الله عن إلحاد الملحدين، وعما يقول المشركون في صفاته، فإنه الملك حقًا، الذي بيده الثواب والعقاب ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ كان النبي ﷺ يبادر جبريل، فيقرأ قبل أن يفرغ جبريل من الوحي، حرصًا منه على ما كان ينزل عليه منه. فنهاه الله عن ذلك. ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ أي: سل ربك زيادة العلم. ١١٥- أي: أمرناه ووصيناه، وهو نهيه عن الأكل من الشجرة فترك العمل بما وقع به العهد إليه فيه، ونسي ما عهد الله به إليه فأكل من تلك الشجرة بعينها ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ العزم في اللغة: توطين النفس على الفعل والتصميم عليه، والمضي على المعتقد في أي شيء كان، وقد كان آدم عليه السلام قد وطن نفسه على ألا يأكل من الشجرة وصمم على ذلك، فلما وسوس إليه إبليس لانت عريكته، وفتر عزمه وأدركه ضعف البشر، فلم يصبر عن أكل الشجرة. ١١٦- تقدم تفسير الآية في سورة البقرة [الآية ٣٤]. ١١٧- ﴿فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾ فتتعب في حياتك الدنيا في الأرض في تحصيل ما لا بد منه في المعاش كالحرث والزرع. ١١٨- المعنى: إن لك في الجنة تمتعًا بأنواع المعايش، وتنعمًا بأصناف النعم من المآكل الشهية والملابس البهية. ١١٩- أي: لا تعطش في الجنة، ولا يؤذيك الحر، كما يكون لسكان الأرض، وأصول المتاعب في الدنيا هي: تحصيل الشبع، والري، والكسوة، والسكن.

١٢٠- ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي: قال لهما بنوع من الخفية هي الشجرة التي من أكل منها لم يمت أصلاً ولا يزول ملكه ولا ينقضي. وكان ذلك كذبًا من إبليس ليستدرجهما إلى معصية الله. ١٢١- قد تقدم تفسير هذا وما بعده في الأعراف. ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ أي: يخيطان ليسترا عوراتهما، قيل: جعلا يلصقان عليهما من ورق التين ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾ أي: عصاه بالأكل من الشجرة فضل عن الصواب، وقيل: فسد عليه عيشه بنزوله إلى الدنيا. ١٢٢- ثم اصطفاه ربه وقربه، بعد أن تاب من المعصية واستغفر ربه منها، وأعلن أنه قد ظلم نفسه فتاب عليه من معصيته، وهداه إلى التوبة. ١٢٣- أي: فقال الله عز وجل لآدم وحواء: انزلا من الجنة إلى الأرض بعضكم يا معشر البشر في الدنيا عدو لبعض في أمر المعاش ونحوه، فيحدث بسبب ذلك القتال والخصام ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾ بإرسال الرسل وإنزال الكتب ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ﴾ في الدنيا ﴿وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ في الآخرة. ١٢٤- أي: عن ديني، وتلاوة كتابي، والعمل بما فيه فإن له في هذه الدنيا عيشًا ضيقًا، ونحشره يوم القيامة مسلوب البصر، وقيل: المراد العمى عن الحجة.

١٢٥- ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾﴾ في الدنيا.

قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ
نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ
وَأَبۡقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ
فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ
سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامٗا وَأَجَلٞ مُّسَمّٗى ﴿١٢٩﴾ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ
مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ
وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا
تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا
لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ
وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ
﴿١٣٢﴾ وَقَالُواْ لَوۡلَا يَأۡتِينَا بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ أَوَلَمۡ تَأۡتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي
ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوۡ أَنَّآ أَهۡلَكۡنَٰهُم بِعَذَابٖ مِّن قَبۡلِهِۦ
لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن
قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخۡزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلۡ كُلّٞ مُّتَرَبِّصٞ فَتَرَبَّصُواْۖ
فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

١٢٦- أي: مثل ذلك فعلت أنت كما أعرضت عن آياتنا وتركتها ولم تنظر فيها وكذلك اليوم تترك في العمى والعذاب في النار. ١٢٧- الإسراف: الانهماك في الشهوات المحرمة ﴿وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾ بل كذب بها ولعذاب الآخرة أفظع من المعيشة الضنك وأدوم وأثبت لأنه لا ينقطع. ١٢٨- أفلم يتبين لأهل مكة خبر من ﴿أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡ﴾ يتقلبون في ديارهم، أو يمشون في مساكن القرون الذين أهلكناهم، وذلك عند خروجهم للتجارة وطلب المعيشة، فيرون بلاد الأمم الماضية خاوية خاربة من أصحاب الحجر وثمود وقرى قوم لوط، فإن ذلك مما يوجب اعتبارهم، لئلا يحل بهم مثل ما حل بأولئك إن في ذلك لآيات لذوي العقول التي تنهى أربابها عن القبيح. ١٢٩- ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ﴾ وهي وعد الله سبحانه بتأخير عذاب هذه الأمة إلى الدار الآخرة ﴿لَكَانَ﴾ عقاب ذنوبهم لازمًا لهم، لا ينفك عنهم بحال ولا يتأخر ولولا الأجل المسمى عندنا لكان الأخذ العاجل. ١٣٠- أي: من أنك ساحر كذاب، ونحو ذلك من مطاعنهم الباطلة. لا تحفل بهم، فإن لعذابهم وقتًا مضروبًا لا يتقدم، وصلّ بأمر ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها إشارة إلى صلاة الفجر وصلاة العصر ﴿وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ﴾ العشاء فصلّ ﴿وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ أي: المغرب والظهر، وقيل: إن الإشارة إلى صلاة الظهر هي بقوله وقبل غروبها، لأنها هي وصلاة العصر قبل غروب الشمس. أن تنال عند الله سبحانه ما ترضى به نفسك. ١٣١- ثم لا تطل نظر عينيك إلى هؤلاء المترفين وأصحاب النعيم الدنيوي وإنما جعل الله لهم ﴿لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ﴾ أي: ذلك فتنة لهم وابتلاء وما ييسره الله لك من الرزق في الدنيا، وثواب الله وما ادخر لك في الآخرة خير مما رزقهم في الدنيا على كل حال. ١٣٢- ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ والمراد بهم: أهل بيته، وقيل: جميع أمته ﴿وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ﴾ أي: اصبر على الصلاة لا نسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك نحن نرزقك ونرزقهم والعاقبة المحمودة، وهي الجنة لأهل التقوى. ١٣٣- ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا يَأۡتِينَا بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾ كما كان يأتي بها من قبله من الأنبياء، أي: من الآيات التي قد اقترحناها عليه أولم تأتهم بينة ما في التوراة والإنجيل والزبور وسائر الكتب المنزلة هم معترفون بصدقها وصحتها، وفيه ما يدفع إنكارهم لنبوته، ويبطل تعنتاتهم وتعسفاتهم. وقيل: المعنى: أولم يأتهم خبر إهلاكنا للأمم الذين كفروا واقترحوا الآيات. ١٣٤- ﴿وَلَوۡ أَنَّآ أَهۡلَكۡنَٰهُم بِعَذَابٖ مِّن﴾ من قبل بعثة محمد ﷺ ﴿لَقَالُواْ﴾ يوم القيامة ربنا هلا كنت أرسلت إلينا رسولاً في الدنيا ﴿فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾ التي يأتي بها الرسول ﴿مِن قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ﴾ بالعذاب في الدنيا ﴿وَنَخۡزَىٰ﴾ بدخول النار. ١٣٥- قل لهم يا محمد: كل واحد منا ومنكم متربص، أي: منتظر لما يئول إليه الأمر، فتربصوا أنتم ﴿فَسَتَعۡلَمُونَ﴾ عن =

قريب في العاقبة من هو على الحق مني ومنكم ومن نزع عن الغواية.

سورة الأنبياء

سورة الأنبياء — ترتيبها ٢١ — آياتها ١١٢

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ١
مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ
يَلۡعَبُونَ ٢ لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ
هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ وَأَنتُمۡ
تُبۡصِرُونَ ٣ قَالَ رَبِّي يَعۡلَمُ ٱلۡقَوۡلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۖ
وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٤ بَلۡ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ بَلِ
ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ
٥ مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآۖ أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ
٦ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ
ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧ وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا
لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ٨ ثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ
ٱلۡوَعۡدَ فَأَنجَيۡنَٰهُمۡ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٩
لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠

هي مكية في قول الجميع.

١- لقد اقترب وقت يوم القيامة فما بقي من الدنيا أقل مما مضى وهم في غفلة، وذلك لاشتغالهم بمتع حياتهم وما لهم عنه غنى، فهم لذلك منشغلون بالدنيا عن الآخرة، غير متأهبين لها.

٢- الذكر هنا: هو القرآن، محدث تنزيله.

٣- لم تلتفت قلوبهم إلى ذلك الأمر المهم حق الالتفات، وبالغوا في إخفاء ما يتناجون به، قائلين: إنه بشر لا يتميز عنكم بشيء، يأكل ويشرب مثلكم، وولد ويموت، فكيف يكون نبيًّا؟ وإذا كان بشرًا مثلكم وكان الذي جاء به سحرًا، فكيف تجيبونه إليه وتتبعونه؟

٤- أي: قال محمد: ربي يعلم القول في أي مكان تكلم به صاحبه من جوانب السماوات والأرض، فهو علام بما تناجيتم به ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لكل ما يسمع ﴿ٱلۡعَلِيمُ ٤﴾ بكل معلوم.

٥- أي: قالوا: إن الذي تأتي به هو من الرؤيا الكاذبة والأضغاث: ما لم يكن له تأويل بل هو كلام مختلق من تلقاء نفسه من غير أن يكون له أصل بل هو من جنس الشعر. وفي هذا التردد دليل أنهم جاهلون بحقيقة ما جاء به، لا يدرون ما هو ولا يعرفون كنهه، أو كانوا قد علموا أنه حق من عند الله، ولكن قد علموا أنه حق من عند الله، ولكن أرادوا التمويه على الأتباع ﴿فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ ٥﴾ أي: كما أرسل موسى بالعصا وغيرها، وصالح بالناقة. ٦- فيه بيان أن سنة الله في الأمم السالفة أن المقترحين إذا أعطوا ما اقترحوه، ثم لم يؤمنوا نزل بهم عذاب الاستئصال لا محالة، فكيف نعطيهم ما يقترحون؟ ﴿أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ ٦﴾ والمعنى: إن لم تؤمن أمة من الأمم المهلكة عند إعطاء ما اقترحوا، فكيف يؤمن هؤلاء لو أعطوا ما اقترحوا؟ ٧- أي لم نرسل قبلك إلى الأمم السابقة إلا رجالاً من البشر، ولم نرسل إليهم ملائكة وأهل الذكر: هم أهل العلم بهذا الأمر، وهم أهل الكتابين: اليهود والنصارى، فاسألوهم إن كنتم لا تعلمون أن رسل الله كانوا من البشر. ٨- أي: إن الرسل أسوة سائر أفراد بني آدم في حكم الطبيعة: يأكلون، كما يأكلون، ويشربون كما يشربون، فإن جسد كل إنسان لا يستغني عن الطعام والشراب فالأنبياء كذلك لا يستغنون عنه بل ويموتون كما يموت غيرهم من البشر. ٩- ثم أنجزنا وعدهم الذي وعدناهم بإنجائهم وإهلاك من كذبهم ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُمۡ وَمَن نَّشَآءُ﴾ من عبادنا المؤمنين من العذاب، وأهلكنا من أردنا إهلاكه من الذين كفروا بالعذاب الدنيوي، وأهلكنا المتجاوزين للحد في الكفر والمعاصي، وهم المشركون. ١٠- لقد أنزلنا إليكم كتابًا هو القرآن فيه شرفكم، وقيل: مكارم أخلاقكم، ومحاسن أعمالكم أفلا تعقلون أن الأمر كذلك فتؤمنون به تحصيلاً لذلك الفضل.

وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا
ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾
لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ
تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ
دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا
ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا
لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ
عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ
﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ
عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ
لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ
﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ
عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ
ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ
وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾

١١- أي: قد أهلكنا كثيرًا من القرى الظالم أهلها، كانوا كافرين بالله مكذبين بآياته وأحدثنا بعد إهلاك أهلها قومًا ليسوا منهم. ١٢- فلما أدركوا، أو رأوا عذابنا إذا هم منه يحاولون الفرار والهرب والركض: الفرار والهرب والانهزام، فقيل: لهم: ١٣- لا تهربوا وارجعوا إلى نعمكم التي كانت سبب بطركم وكفركم وارجعوا إلى مساكنكم التي كنتم تسكنونها وتفتخرون بها لعلكم تُقصدون للسؤال والتشاور والتدبير في المهمات، وهذا على طريقة التهكم بهم والتوبيخ لهم. ١٤- والمعنى: أنهم اعترفوا على أنفسهم بالظلم الموجب للعذاب، في ذلك الموقف العظيم، ولكن ماذا يجديهم الاعتراف حينئذ؟ ١٥- أي: ما زالت دعوتهم قولهم يا ويلنا، أي: يدعون به ويرددونها ﴿حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا﴾ أي كما يحصد الزرع بالمنجل ميتون لا حراك بهم. ١٦- ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾﴾ أي: لم نخلقهما عبثًا ولا باطلاً. ١٧- اللهو: ما يتلهى به، وقيل: اللهو الزوجة والولد ﴿لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾ أي: من عندنا ومن جهة قدرتنا لا من عندكم. قيل: أراد الرد على من قال: الأصنام أو الملائكة بنات الله ﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾﴾ أي: لو كنا ممن يرغب في أن يعمل ذلك لاتخذناه من لدنا أي: ولكن نحن أجل من أن نلهو، بل كل أفعالنا حق لا عبث فيه. ١٨- أي: بل شأننا أن نرمي بالحق على الباطل فيقهره، وأصل الدمغ شج الرأس حتى يبلغ الدماغ وهي ضربة قاتلة قيل: أراد بالحق الحجة، وبالباطل شُبههم فإذا هو زائل ذاهب، وقيل: هالك تالف ولكم العذاب في الآخرة بسبب وصفكم الله بما يتقدس عنه. ١٩- ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ عبيدًا وملكًا، وهو خالقهم ورازقهم ومالكهم، فكيف يكون بعض مخلوقاته شريكًا له يعبد كما يعبد ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ﴾ يعني الملائكة لا يتعاظمون ولا يأنفون عن عبادة الله سبحانه والتذلل له ولا يتعبون. ٢٠- أي: هم مواظبون على التسبيح دائمًا لا يضعفون عن ذلك ولا يسأمون. ٢١- أي: بل هل اتخذوا آلهة من الأرض هم مع حقارتهم ينشرون الموتى؟ أي: ليس الأمر كذلك، فإن ما اتخذوها آلهة بمعزل عن ذلك لا تستطيع إحياء أحد ولا إماتة أحد. ٢٢- أي: لو كان في السماوات والأرض آلهة معبودون غير الله لفسدتا: أي لبطلتا. ووجه الفساد أن ذلك يستلزم أن يكون كل واحد منها قادرًا على الاستبداد بالتصرف، فيقع عند ذلك التنازع والاختلاف، ويحدث بسببه الفساد. ٢٣- ولقوة سلطانه وعظيم جلاله لا يسأله أحد من خلقه عن شيء من قضائه وقدره والعباد يسألهم الله عن ذلك لأنهم عبيده، وكذلك يؤاخذ على أعماله كل من ادعيتم إلوهيته من المخلوقات، كالمسيح والملائكة، فلا تصلح لأن تكون آلهة. ٢٤- قل هاتوا حجتكم على دعوى أنها آلهة، ولا سبيل لهم إلى شيء من ذلك، لا من عقل ولا من نقل، وهذا الوحي الوارد إلي وهذه الكتب التي أنزلت قبلي، فانظروا هل في واحد منها أن الله أمر =

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ
إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ
بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم
بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ
وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ
﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ
جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ
أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا
مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ
رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ وَجَعَلۡنَا فِيهَا فِجَاجٗا سُبُلٗا لَّعَلَّهُمۡ
يَهۡتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ وَهُمۡ عَنۡ
ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ
وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ
ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ
ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٣٥﴾

ربع الحزب ٣٣

٣٢٤

باتخاذ إله سواه ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ﴾ لكونهم جاهلين للحق، لا يميزون بينه وبين الباطل ﴿فَهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٤﴾﴾ عن قبول الحق، مستمرون على الإعراض عن التوحيد واتباع الرسول، فلا يتأملون حجة، ولا يتدبرون في برهان، ولا يتفكرون في دليل.

٢٥- وفي هذا تقرير لأمر التوحيد.

٢٦- هؤلاء القائلون هم خزاعة، فإنهم قالوا الملائكة بنات الله، تنزه وتقدس عن ذلك بل الملائكة عبيد لله سبحانه مكرمون بكرامته لهم، مقربون عنده.

٢٧- لا يقولون شيئًا حتى يقوله، أو يأمرهم به ﴿وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ أي: هم العاملون بما يأمرهم الله به.

٢٨- أي: يعلم ما عملوا وما سوف يعملون، فلم يعملوا عملاً ولم يقولوا قولاً إلا بعلمه ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ أن يشفع الشافعون له، وهم أهل لا إله إلا الله والخشية: الخوف مع التوقع والحذر، أي: أن الملائكة لمعرفتهم بالله تعالى يخشونه حق خشيته لا يزالون منه خائفين.

٢٩- أي: من يقل من الملائكة إني إله من دون الله فذلك القائل، على سبيل الفرض والتقدير، نجزيه جهنم بسبب هذا القول الذي قاله، كما نجزي غيره من المجرمين.

٣٠- ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ أي: ألم يتفكروا ولم يعلموا ﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا﴾ شيئًا واحدًا ملتصقتين ففتقت، وفصلنا بعضهما من بعض وأحيينا بالماء الذي ننزله من السماء كل شيء حي، فيشمل الحيوان والنبات، والمعنى: أن الماء سبب حياة كل شيء حي في الأرض ﴿أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ مع وجود ما يقتضيه من الآيات الربانية.

٣١- وجعلنا في الأرض جبالاً ثوابت لئلا تتحرك وتضطرب بهم وجعلنا في الأرض الجبال الرواسي، وجعلنا في الأرض مسالك وطرقًا نافذة ﴿لَّعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿٣١﴾﴾ إلى مصالح معاشهم.

٣٢- وجعلنا السماء سقفًا محفوظًا عن أن يقع ويسقط على الأرض وقيل: محفوظًا بالنجوم من الشيطان وهم عن آياتها كالشمس والقمر ونحوهما لا يتدبرون فيها.

٣٣- ﴿كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ أي: كل واحد من الشمس والقمر والنجوم فهو يسير في فلكه كالسابح في الماء.

٣٤- أي: دوام البقاء في الدنيا. أفإن جاء أجلك بالموت فهم يعيشون ويخلدون؟! كلاً فإنهم يموتون أيضًا فلا شماتة في الموت.

٣٥- أي: ذائقة مفارقة جسدها، فلا يبقى أحد من ذوات الأنفس المخلوقة كائنًا ما كان، ونختبركم بالشدة والرخاء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية، والهدى والضلالة، أي لننظر كيف شكركم وصبركم ﴿وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ لا إلى غيرنا فنجازيكم بأعمالكم.

وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا
أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ
هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٦ خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ سَأُوْرِيكُمۡ
ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ ٣٧ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ
إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣٨ لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ
لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمۡ وَلَا
هُمۡ يُنصَرُونَ ٣٩ بَلۡ تَأۡتِيهِم بَغۡتَةٗ فَتَبۡهَتُهُمۡ فَلَا
يَسۡتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ٤٠ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ
بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ
يَسۡتَهۡزِءُونَ ٤١ قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ
ٱلرَّحۡمَٰنِۗ بَلۡ هُمۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِم مُّعۡرِضُونَ ٤٢ أَمۡ
لَهُمۡ ءَالِهَةٞ تَمۡنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَ
أَنفُسِهِمۡ وَلَا هُم مِّنَّا يُصۡحَبُونَ ٤٣ بَلۡ مَتَّعۡنَا هَٰٓؤُلَآءِ
وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۗ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَنَّا نَأۡتِي
ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَآۚ أَفَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ٤٤

٣٢٥

٣٦- وإذا رآك المستهزئون من المشركين ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ الهزو: السخرية ويقولون أهذا الذي يعيب الآلهة هم يعيبون على النبي ﷺ أن يذكر آلهتهم التي لا تضر ولا تنفع بالسوء، والحال أنهم بذكر الله سبحانه بما يليق به من التوحيد كافرون، فهم أحق بالعيب لهم.

٣٧- خلق الإنسان من طبعه التعجل في الأمور، قيل: نزلت في قريش لأنهم استعجلوا العذاب وستحل بكم نقماتي منكم بعذاب النار فلا تستعجلوني في الإتيان به قبل أوانه فإنه نازل بكم لا محالة.

٣٨- أي: إن كنتم يا معشر المسلمين صادقين في وعدكم، أي: الوعد الذي تتلونه في القرآن، وتخبروننا به أنه من عند الله.

٣٩- أي: لو علموه علم اليقين لعلموا أن الساعة آتية.

٤٠- بل تأتيهم النار، أو الساعة فجأة فتحيرهم، وقيل: فتفجؤهم فلا يستطيعون صرفها عن وجوههم ولا عن ظهورهم ولا يمهلون ويؤخرون لتوبة واعتذار.

٤١- أي: إن استهزأ بك هؤلاء فقد فعلت الأمم ذلك بمن قبلك من الرسل على كثرة عددهم وخطر شأنهم (فحاق) أي: فأحاط ودار بسبب ذلك بالذين سخروا من أولئك الرسل وهزئوا بهم أي: أحاط بهم جزاء استهزائهم، فلم يجدوا مهربًا.

٤٢- قل من يحفظكم مما يريد الرحمن إنزاله بكم من عقوبات الدنيا والآخرة وهم عن ربهم لا يذكرونه ولا يخطرونه ببالهم، بل يعرضون عنه.

٤٣- المعنى: بل ألهم آلهة تمنعهم من عذابنا وهم عاجزون عن نصر أنفسهم فكيف يستطيعون أن ينصروا غيرهم ولا هم يجارون من عذابنا.

٤٤- يعني أهل مكة متعهم الله بما أنعم عليهم ﴿حَتَّىٰ طَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُ﴾ فاغتروا بذلك وظنوا أنهم لا يزالون كذلك أفلا ينظرون فيرون أنا نأتي أرض الكفر ننقصها بالظهور عليها من أطرافها، فنفتحها لمحمد ﷺ والمسلمين بلدًا بعد بلد وأرضًا بعد أرض. كيف يكونون غالبين لنا بعد نقصنا لهم أرضهم من أطرافها حتى نحصرهم في بلدهم ثم نفتحها عليك، وننقض أمرهم.

قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا
مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ
لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ
ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ
مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ
﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا
لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ
ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ
نصف الحزب ٣٣
مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا
بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ
أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾
قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟
أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ
﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾

٤٥ - أي: أخوفكم وأحذركم بالقرآن وذلك شأني وما بعثني الله به ﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ المعنى: أن من أصم الله سمعه لا يسمع الدعاء.

٤٦ - أي: ولئن مسهم أقل شيء من العذاب فإنهم سوف يولولون ويدعون على أنفسهم بالويل والهلاك ويعترفون عليها بالظلم.

٤٧ - أي: الموازين العادلة لوزن أعمال العباد في يوم القيامة فلا ينقص من إحسان محسن، ولا يزاد في إساءة مسيء وإن كان العمل غاية الخفة والحقارة كحبة الخردل في الصغر أحضرناها من حيث كانت في ملك الله، للمجازاة عليها ونتقن الحساب فلا يفوتنا شيء.

٤٨ - الفرقان: التوراة. لأن فيها الفرق بين الحلال والحرام. وقيل: الفرقان هنا هو النصر على الأعداء وفيها الهداية، فإن أخذوا بها استضاءوا بها في ظلمات الجهل والغواية ويتعظون بما فيها أيضًا.

٤٩ - أي: يخشون عذابه وهو غائب عنهم وهم من الساعة خائفون وجلون.

٥٠ - المعنى: وهذا القرآن ذكر لمن تذكر به، وموعظة لمن اتعظ به، كثير البركة والخير.
وكيف تنكرون كونه منزلاً من عند الله مع اعترافكم بأن التوراة منزلة من عنده؟

٥١ - أي: الرشد اللائق به وبأمثاله من الرسل، ومعنى من قبل إيتاء موسى وهارون التوراة. ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ أنه موضع لإيتاء الرشد، وأنه يصلح لذلك.

٥٢ - ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ وأبوه هو آزر ﴿وَقَوْمِهِۦ﴾ نمروذ ومن اتبعه: ما هذه الأصنام التي أنتم مقيمون على عبادتها وأصل التمثال الشيء المصنوع مشابهًا لشيء من مخلوقات الله سبحانه، أنكر عليهم عبادتها.

٥٣ - أي: وجدنا آباءنا يعبدونها، فعبدناها اقتداء بهم، ومشيًا على طريقتهم.

٥٤ - قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في زيغ عن طريق الحق، واضح لا يخفى على ذي عقل وبصيرة. وفي المقلدين من أهل الإسلام شبه بهؤلاء ورفضوا لذلك قول من جاءهم بالحكم عليه والدليل واضح المنار.

٥٥ - أي: أجادٌّ أنت فيما تقول، أم أنت لاعب مازح؟

٥٦ - أي: خلقهن وأبدعهن وأنا على ذلك الأمر الذي ذكرته لكم من كون ربكم هو رب السماوات والأرض دون ما عداه من العالمين به المبرهنين عليه. ٥٧ - أقسم لهم أنه سينتقل من المحاجة باللسان إلى تغيير المنكر بالفعل ثقة بالله سبحانه ومحاماة على دينه، وذلك بعد أن ترجعوا من عبادتها.

فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ
٥٨ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ٥٩
قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ٦٠ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ
عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ٦١ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ
هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ٦٢ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ
هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ٦٣ فَرَجَعُوا إِلَىٰ
أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ٦٤ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ
رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ٦٥ قَالَ
أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا
يَضُرُّكُمْ ٦٦ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ٦٧ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ
فَاعِلِينَ ٦٨ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ٦٩
وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ٧٠ وَنَجَّيْنَاهُ
وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ٧١ وَوَهَبْنَا
لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ٧٢

٥٨- فجعل تلك الأصنام قطعًا إلا كبيرًا للأصنام، لعلهم إلى إبراهيم ﴿يَرْجِعُونَ ۝﴾ فيحاجهم بما سيأتي فيحجهم، وقيل: لعلهم إلى الصنم الكبير يرجعون، فيسألونه عن الكاسر، فإذا رجعوا إليه لم يجدوا عنده خبرًا، فيعلمون حينئذ أنها لا تجلب نفعًا، ولا تدفع ضررًا، ولا تعلم بخير.

٥٩- أي: فلما رجعوا من عيدهم، ورأوا ما حدث بآلهتهم، قالوا هذه المقالة.

٦٠- قال بعضهم مجيبًا سمعنا فتى يعيبهم اسمه إبراهيم.

٦١- ﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ﴾ ليكون ذلك حجة عليه يستحلون بها منه ما قد عزموا على أن يفعلوه به لعلهم يحضرون عقابه وقيل: لعلهم يشهدون عليه.

٦٢، ٦٣- ﴿قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ۝ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ مشيرًا إلى الصنم الذي تركه ولم يكسره فاسألوهم إن كانوا ممن يمكنه النطق،ويقدر على الكلام.

٦٤- أي فرجع بعضهم إلى بعض رجوع المنقطع عن حجته، وفهموا أن من لا يقدر على دفع المضرة عن نفسه، ولا على الإضرار بمن فعل به ما فعله إبراهيم بتلك الأصنام، يستحيل أن يكون مستحقا للعبادة فقالوا إنكم أنتم الظالمون لأنفسكم بعبادة هذه الجمادات وليس الظالم هو ذلك الذي كسر هذه الأشياء التي تسمونها آلهة.

٦٥- ثم رجعوا إلى جهلهم وعنادهم قائلين لإبراهيم لقد علمت أن النطق ليس من شأن هذه الأصنام.

٦٧-فقال لهم: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ تحقير لهم ولمعبوداتهم، والتأفف: صوت يدل على التضجر والاستخفاف ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝﴾ فتعلمون قبح هذا الصنع.

٦٨- أي: حرقوا إبراهيم، وإنما قالوا هذا ميلا منهم إلى إظهار الغلبة بأيّ وجه كان بالانتقام من هذا الذي فعل بها ما فعل.

٦٩- أي: فأضرموا النار، وألقوا إبراهيم فيها فكانت عليه بردًا وسلاما، فلم تضره.

٧١- ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا﴾ من أرض العراق - ولوط ابن أخي إبراهيم - ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ۝﴾ وهي أرض بيت المقدس، مباركة لكثرة خصبها وثمارها وأنهارها، ولأنها معادن الأنبياء، منها بعث الله أكثر الأنبياء.

٧٢- النافلة: الزيادة، وكان سأل الله أن يهب له ولدا، فوهب له إسحاق، ثم وهب لإسحاق يعقوب من غير دعاء، فكان ذلك نافلة، أي: زيادة على ما دعا به وكل واحد من هؤلاء الأربعة: إبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب، جعلناه صالحا عاملا بطاعة الله تاركا لمعاصيه.

وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ
ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا
عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ
ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ
فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ
وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ
ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ
نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾
فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا
مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾
وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ
فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ
إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾

٧٣- أي: رؤساء يقتدى بهم في الخيرات، وأعمال الطاعات، بما أنزلنا عليهم من الوحي وأوحينا إليهم أن يفعلوا الطاعات وكانوا لنا فاعلين لما نأمرهم به، تاركين ما ننهاهم عنه.

٧٤- الحكم: النبوة، والعلم المعرفة بأمر الدين، وقيل الحكم: هو فصل الخصومات بالحق، والقرية: هي سدوم كما تقدم يعمل أهلها الخبائث، وهي اللواطة والضراط في مجالسهم إنهم كانوا قوم سوء خارجين عن طاعة الله.

٧٥- ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ﴾ بإنجائنا إياه من القوم المذكورين ﴿إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾ الذين سبقت لهم منا الحسنى. ٧٦- ونوحا إذ نادى من قبل هؤلاء الأنبياء المذكورين، دعا الله بإهلاك الظالمين من قومه ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ دعاءه فنجيناه وأهله من الغرق بالطوفان، والمراد بأهله: المؤمنون منهم، وقد أنجاه الله تعالى في السفينة، وقصتها أيضًا في سورة هود [الآية: ٣٦ وما بعدها]. ٧٧- أي: منعناه من القوم أن ينالوه بشيء من الأذى ولم نترك منهم أحدًا، بل أغرقنا كبيرهم وصغيرهم بسبب إصرارهم على الذنب. ٧٨- ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ﴾ قيل: كان زرعا، وقيل: كرما تفرقت وانتشرت فيه الغنم، فأكلت الشجر وأتلفته والنفش: أن تنتشر الغنم بالليل من غير راع ﴿وَكُنَّا﴾ لحكم الحاكمين، حاضرين.

٧٩- قال المفسرون: دخل على داود صاحب حرث وصاحب غنم، فقال صاحب الحرث: إن هذا انفلتت غنمه ليلا، فوقعت في حرثي، فلم تبق منه شيئا، فقال: لك رقاب الغنم، فقال سليمان: أو غير ذلك: ينطلق أصحاب الكرم بالغنم، فيصيبون من ألبانها ومنافعها، ويقوم أصحاب الغنم على الكرم، حتى إذا كان كليلة نفشت فيه، دفع هؤلاء غنمهم، ودفع هؤلاء إلى هؤلاء كرمهم. فقال داود: القضاء ما قضيت، وحكم بذلك. أما في الأمة الإسلامية فقد ثبت عن النبي ﷺ من حديث البراء، أنه شَرَعَ لأمته: أن على أهل الماشية حفظها بالليل، وعلى أصحاب الحوائط حفظها بالنهار، وأن ما أفسدت المواشي بالليل مضمون على أهلها، وهذا الضمان هو مقدار الذاهب عينًا أو قيمة؛ وكل واحد منهما أعطيناه حكمًا وعلمًا كثيرًا، لا سليمان وحده ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ كان إذا سبح سبحت الجبال معه والطير مسخرات ﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾ يعني ما ذكر من التفهيم، وإيتاء الحكم والتسخير.

٨٠- وعلمناه صنعة الدروع لتحصنكم من حربكم، أو من وقع السلاح فيكم ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ لهذه النعمة التي أنعمنا بها عليكم؟

٨١- وسخرنا له الريح شديدة الهبوب ﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ وهي أرض الشام.

ثلاثة أرباع الحزب ٣٣

وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا
دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَأَيُّوبَ إِذۡ
نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾
فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ
وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾
وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ
﴿٨٥﴾ وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ
فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي
كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ
مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ
إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ
﴿٨٩﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا
لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ
وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾

٣٢٩

٨٢- وسخرنا من الشياطين من يغوصون له في البحار، ويستخرجون منها ما يطلبه منهم، والغواص: الذي يغوص في البحر على اللؤلؤ ويعملون عملا سوى ذلك، يراد بذلك المحاريب والتماثيل، وغير ذلك مما يسخرهم فيه. ويحتمل أن المراد يغوصون ويعملون له تحت الماء ما يطلبه، وكان الله لهم حافظا لأعمالهم، أو حافظين لهم من أن يهربوا أو يتمنعوا.

٨٣- ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ شدة المرض في بدنه وهلاك أهله ﴿وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ فأخبر الله سبحانه باستجابته لدعائه.

٨٤- ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖ﴾ أي: شفاه الله مما كان به ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ﴾ قيل: تركهم الله عز وجل له، وأعطاه مثلهم في الدنيا، وقد كان مات أهله جميعا إلا امرأته، فأحياهم الله في أقل من طرف البصر. وقيل: ولد له ضعف الذين أماتهم الله وقد آتيناه ذلك لرحمتنا له ﴿وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ ليصبروا كما صبر.

٨٥- ﴿وَذَا ٱلۡكِفۡلِ﴾ الصحيح أنه رجل من بني إسرائيل، كان لا يتورع عن شيء من المعاصي، فتاب فغفر الله له ﴿كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ وكل واحد من هؤلاء من الصابرين على القيام بما كلفهم الله به.

٨٦- ﴿وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآ﴾ أي: في الجنة، أو في النبوة.

٨٧- ﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾ وهو يونس ابن متى وهو الذي أرسل إلى أهل نينوى من أرض الموصل إذ ذهب مغاضبا لربه، وقيل: مغاضبا لقومه ووقع في ظنه أن الله تعالى لا يقدر على معاقبته، وقيل المعنى: ظن أن الله لن يقدِّر عليه العقوبة فنادى في ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت، وكان نداؤه: هو قوله ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ اعتراف بذنبه وتوبة من خطيئته.

٨٨- ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّ﴾ بإخراجنا له من بطن الحوت، قذفه إلى الساحل ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ أي: نخلصهم من همهم بما سبق من عملهم، وما أعددناه لهم من الرحمة.

٨٩- ﴿رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا﴾ أي: منفردا وحيدا لا ولد لي أنت حسبي إن لم ترزقني ولدا فإني أعلم أنك لا تضيع دينك، وأنه سيقوم بذلك من عبادك من تختاره للتبليغ.

٩٠- ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾ دعاءه ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ﴾ وقد تقدم في سورة مريم ﴿وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓ﴾ كانت عاقرًا فجعلها الله ولودًا، وقيل كانت سيئة الخلق فجعلها الله سبحانه حسنة الخلق، وكانوا يتضرعون إليه طلبًا للخير، ودفعًا للشر، في حال الرّخاء، وحال الشدة ﴿وَكَانُواْ لَنَا﴾ متواضعين متضرعين.

وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا
وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩١ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ
أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ٩٢
وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ٩٣
فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ
لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ٩٤ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ
أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ٩٥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ
يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦
وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا
ظَٰلِمِينَ ٩٧ إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ
ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ٩٨ لَوۡ كَانَ
هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلّٞ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٩٩
لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ ١٠٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ
سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ١٠١

٩١- واذكر خبر مريم: فإنها أحصنت فرجها ولم يمسسها بشر ﴿فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ يريد روح عيسى والآية فيهما واحدة، لأنها ولدته من غير فحل.

٩٢- أي إن هذا دينكم دين واحد لا خلاف بين الأمم المختلفة في التوحيد، وهي ملة الإسلام ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ٩٢﴾ خاصة، لا تعبدوا غيري كائنا ما كان.

٩٣- وتفرقوا فرقا في الدين حتى صاروا كالقطع المتفرقة، فهذا موحد، وهذا يهودي، وهذا نصرانيّ، وكان عليهم أن يكونوا على ملة الإسلام فكل واحد من هذه الفرق راجع إلينا بالبعث.

٩٤- فمن يعمل بعض الأعمال الصالحة ﴿وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾ بالله ورسوله واليوم الآخر فلا جحود لعمله، ولا تضييع لجزائه وإنا لسعيه حافظون.

٩٥- أي: ممتنع على أهل كل قرية قدرنا إهلاكها أن يرجعوا بعد الهلاك إلى الدنيا. ٩٦- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ﴾ والمراد: فتح السدّ الذي عليهم من كل مرتفع من الأرض يخرجون ويسرعون المشي في الأرض. ٩٧- والمعنى: حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج اقترب الوعد الحق، وهو القيامة ويقولون: ﴿يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا﴾ البعث والحساب فلم نستعد له، ولم نكن غافلين، بل كنا ظالمين بالتكذيب وعدم الانقياد المرسل. ٩٨- ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وهي الأصنام وقود جهنم وحطبها أنتم لها داخلون ولا يدخل في هذه الآية عيسى وعزير والملائكة، لأن ما لمن لا يعقل، ولأن المخاطبين بهذه الآية مشركو مكة دون غيرهم. ٩٩- أي: لو كانت هذه الأصنام آلهة كما تزعمون لامتنعوا من دخول النار لكنهم وردوها فلم يكونوا آلهة وكل العابدين والمعبودين في النار خالدون لا يخرجون منها.

١٠٠- الزفير: صوت نفس المغموم أي: لا يسمع بعضهم زفير بعض لشدة الهول، وقيل: لا يسمعون شيئًا.

١٠١- أي: الخصلة الحسنى، وهي السعادة، فعملوا بعمل أهل الجنة أولئك عن جهنم مبعدون لما نزل: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ﴾ الآية أتى ابن الزبعرى إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد ألست تزعم أن عزيرًا رجل صالح، وأن عيسى رجل صالح، وأن مريم صالحة؟ قال: بلى. فقال: فإن الملائكة، وعيسى، وعزير، ومريم يُعبدون من دون الله، فهؤلاء في النار، فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾ الآية.

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ
خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ
الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ
﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا
بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ
﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ
يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا
لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ
﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ
فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ
عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾
إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ
﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَالَ
رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

سُورَةُ الحَجِّ

ترتيبها ٢٢ — آياتها ٧٨

٣٣١

١٠٢- الحس والحسيس: الصوت تسمعه من الشيء يمر قريبًا منك فأهل الجنة لا يسمعون صوتها وهم فيما اشتهت أنفسهم دائمون، وفي الجنة ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين.

١٠٣- لا يحزنهم أهوال يوم القيامة ﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ على أبواب الجنة يهنئونهم ويقولون لهم: ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ به في الدنيا وتبشرون بما فيه.

١٠٤- أي: طيًّا كطي الصحيفة على ما يكتب فيها كما بدأناهم في بطون أمهاتهم، وأخرجناهم إلى الأرض حفاة عراة غرلاً، كذلك نعيدهم يوم القيامة وعدنا وعدًا علينا إنجازه والوفاء به، وهو الإعادة، إنا كنا قادرين على ما نشاء.

١٠٥- الزبور: كتاب داود، وهو كتاب المزامير من بعد التوراة ﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ أي: أرض الجنة، لقوله سبحانه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ﴾ وقيل: هي الأرض المقدسة. وقيل: هذا تبشير لأمة محمد ﷺ بوراثة أرض الكافرين.

١٠٦- أي: فيما جرى ذكره في هذه السورة من الوعظ والتنبيه مشغولين بعبادة الله مهتمين بها، ورأس العبادة الصلاة.

١٠٧- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمد بالشرائع والأحكام ﴿إِلَّا رَحْمَةً﴾ لجميع الناس. ومعنى كونه رحمة للكفار، أنهم أمنوا به من الخسف والمسخ والاستئصال. ١٠٨- ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ منقادون مخلصون لعبادة ولتوحيد الله سبحانه، أي: كونوا كذلك. ١٠٩- فإن أعرضوا عن الإسلام فقل لهم أعلمتكم أنا وإياكم حرب، لا صلح بيننا، كائنين على سواء في الإعلام، لم أخص به بعضكم دون بعض، لا أظهر لأحد شيئًا كتمته على غيره ﴿وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ وهو غلبة الإسلام وأهله على الكفر وأهله، وقيل: المراد بما توعدون: القيامة. فإنه لا علم بذلك، إنما علمه إلى الله سبحانه.

١١٠- ما تجاهرون به من الكفر والطعن على الإسلام وأهله وما تكتمونه من ذلك وتخفونه.

١١١- أي: وما أدري لعل الإمهال فتنة لكم واختبار ليرى كيف صنعكم وقد متعكم إلى وقت مقدر تقتضيه حكمته.

١١٢- أي: قال محمد ﷺ يا رب احكم بيننا وبين هؤلاء المكذبين بما هو الحق عندك، ففوض الأمر إليه سبحانه ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾ على ما تقولون من الكفر والتكذيب.

ربع الحزب ٣١

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ
عَظِيمٞ ١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ
أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ
سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ
٢ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ
شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ٣ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ
وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ٤ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي
رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ
مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ
وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ
طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ
وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ
بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا
ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٥

سُورَةُ الحَجِّ

منها مكي ومنها مدني وهذا هو الصحيح

١- يا أيها الناس احذروا عقابه، فاستتروا منه بطاعته، أي: بفعل الواجبات، وترك المحرمات ﴿إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١﴾ وهي الزلزلة التي هي أحد أشراط الساعة، تكون في الدنيا قبل يوم القيامة، هذا قول الجمهور، وقيل: هي الزلزلة المرافقة لنفخة القيامة. ٢- أي: في وقت رؤيتكم لها تغفل كل ذات رضاع عن رضيعها وتنساه، حتى كأنها لا رضيع لها، وذلك من شدة الهول وتلقي كل ذات حمل جنينها لغير تمام من شدة الهول ﴿وترى الناس﴾ كأنهم سكارى ﴿وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ حقيقة ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢﴾ فبسبب هذه الشدة والهول العظيم طاشت عقولهم، واضطربت أفهامهم، فصاروا كالسكارى. ٣- ومن الناس من يخاصم في قدرة الله، فيزعم أنه غير قادر على البعث، بغير علم يعلمه، ولا حجة يدلي بها، وإنما هي مجرد أوهام وخيالات يرد بها أخبار الله التي يرسلها إلى البشر على ألسنة أنبيائه ﴿وَيَتَّبِعُ﴾ فيما يقوله ويتعاطاه ويحتج به ويجادل عنه كل شيطان متمرد على الله وهو العاتي، والمراد: إبليس وجنوده، ورؤساء الكفار الذين يدعون أشياعهم إلى الكفر بزخرف القول، قيل: نزلت في الوليد بن المغيرة، وعتبة بن ربيعة. ٤- أي: كتب على الشيطان، سواء شيطان الجن وشيطان الإنس، أن من اتبعه وصدق قوله وترك تصديق الأنبياء والكتب السماوية، فاتخذه وليًّا فشأن الشيطان أن يضله عن طريق الحق ويحمله على ما يصير به في عذاب السعير. ٥- يا أيها الناس إن كنتم في شك من أمر البعث ﴿فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ﴾ في ضمن خلق أبيكم آدم ثم خلقناكم من مني ثم من علقة وهي الدم الجامد المتكون من المني ﴿ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ﴾ وهي: القطعة من اللحم تتكون من العلقة ﴿مُّخَلَّقَةٖ﴾ مستبينة الخلق ظاهرة التصوير وغير مستبينة الخلق ولا ظهر تصويرها ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡ﴾ كمال قدرتنا بتصريفنا أطوار خلقكم فلا يكون سقطًا، أي: ونسقط بعضها فلا يتم حمله وقت الولادة وهو محدد معين قدره الله، وهو تسعة أشهر للمرأة، ولكل جنس من الحيوان أجل للحمل محدد ثم نخرجكم من بطون أمهاتكم أطفالاً والأشد: هو كمال العقل، وكمال القوة والتمييز، قيل: وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين ومنكم من يتوفى قبل بلوغ الأشد ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ﴾ أي: أخسه وأدونه، وهو الهرم والخرف حتى لا يعقل، ويصير من بعد أن كان ذا علم بالأشياء وفهم لها، لا علم له ولا فهم، وترى الأرض لا تنبت شيئًا ميتة يابسة كالنار إذا طفئت ﴿فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا﴾ ماء المطر اهتز نباتها لكثرته وقوته وارتفعت، وقيل: انتفخت وأخرجت من كل صنف حسن، ولون مستحسن.

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ
٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي
ٱلۡقُبُورِ ٧ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى
وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٨ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي
ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٩ ذَٰلِكَ
بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ١٠ وَمِنَ ٱلنَّاسِ
مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ
فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ
ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١١ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ
وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٢ يَدۡعُواْ لَمَن
ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ١٣
إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ
تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ١٤ مَن كَانَ
يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى
ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ ١٥

٦- أي: هو الموجود الذي لا يتغير ولا يزول ﴿وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ كما أحيا الأرض الهامدة ﴿وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦﴾ كما قدر على عجائب إحياء النبات.

٧- وأن الساعة قادمة في مستقبل الزمان لا شك فيها ولا تردد ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ٧﴾ فيجازيهم بأعمالهم، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

٨- أي: في شأن الله. وهي في كل من يتصدى لإغواء الناس وإضلالهم عن شرائعه الواضحة والكتاب المنير: البين الحجة، الواضح البرهان.

٩- والمراد به: من يلوي عنقه مرحًا وتكبرًا. وقيل: أي معرضًا عن الذكر وإن غرضه هو الإضلال عن السبيل، وإن لم يعترف بذلك له في الدنيا الذل وذلك بما يناله من العقوبة في الدنيا من العذاب المعجل، وسوء الذكر على ألسن الناس ويوم القيامة له عذاب النار المحرقة.

١٠- ذلك العذاب بسبب ما قدمته يداك من الكفر والمعاصي والأمر أنه سبحانه لا يعذب عباده بغير ذنب.

١١- ومن الناس من يعبد الله شاكًّا في دينه على غير ثبات وطمأنينة، كالذي هو على حرف الجبل يضطرب اضطرابًا ويضعف قيامه بخلاف المؤمن لأنه يعبده على يقين وبصيرة فإن أصابه خير دنيوي من رخاء وعافية وخصب وكثرة مال ثبت دينه واستمر على عبادته وإن أصابه مكروه في أهله، أو ماله، أو نفسه ارتد ورجع إلى الكفر فلا حظ له في الدنيا من الغنيمة والثناء الحسن، ولا في الآخرة من الأجر وما أعده الله للصالحين من عباده ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: خسران الدنيا والآخرة هو الخسران الواضح الظاهر الذي لا خسران مثله. ١٢- أي: هذا الذي انقلب على وجهه ورجع إلى الكفر يعبد الأصنام وهي لا تضره إن ترك عبادتها، ولا تنفعه إن عبدها، فذلك المعبود جماد لا يقدر على ضر ولا نفع ذلك هو الضلال الواضح عن الحق والرشاد.

١٣- ﴿يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ﴾ فالأصنام لا نفع فيها بحال من الأحوال، بل هي ضر بحت لمن يعبدها، لأنه يدخل النار بسبب عبادتها، ولبئس الناصر هو له ولبئس الصاحب. ١٤- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ١٤﴾ فيثيب من يشاء ويعذب من يشاء.

١٥- من كان يظن أن لن ينصر الله محمدًا ﷺ وأنه يتهيأ له أن يقطع النصر الذي أوتيه فليطلب حيلة يصل بها إلى السماء ثم ليقطع النصر إن تهيأ له فلينظر هل يذهبن صنيعه وحيلته ما يغضبه ويُحْنِقُهُ من نصر الله النبي ﷺ.

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يُرِيدُ
﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ
وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ
يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ
يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ
وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ
وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ
إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ۩ ﴿١٨﴾ ۞ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ
فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ
مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ
وَٱلۡجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ
أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ
﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ
أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٢٣﴾

٣٣٤

ربع الحزب ٣٤

سجدة

١٦- ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ﴾ واضحات ظاهرة الدلالة على مدلولاتها وأن الله يهدي من يريد هدايته ابتداء، أو زيادة فيها لمن كان مهديًا من قبل.

١٧- إن الذين آمنوا بالله وبرسوله وهم المسلمون واليهود المنتسبون إلى ملة موسى ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ فرقة معروفة لا ترجع إلى ملة من الملل المنتسبة إلى الأنبياء ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ هم المنتسبون إلى ملة عيسى ﴿وَٱلۡمَجُوسَ﴾ هم الذين يعبدون النار، ويقولون: إن للعالم أصلين: النور والظلمة، قيل: كان لهم كتاب فرفع ﴿وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ﴾ الذين يعبدون الأصنام إن الله يقضي بينهم يوم القيامة فيدخل المؤمنين منهم الجنة، ويدخل الكافرين منهم النار إن الله على كل شيء من أفعال خلقه وأقوالهم وغيرها شهيد، لا يعزب عنه شيء منها ولذلك كان قضاؤه بينهم عن علم.

١٨- ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ وهم الملائكة ﴿وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ من مؤمني الإنس والجن والمراد بالسجود هنا: سجود الطاعة الخاصة بالعقلاء ﴿وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾ وسجودها سجود الانقياد الكامل ويسجد له كثير من الناس سجود الطاعة وكثير منهم يأبى ذلك فحق عليه العذاب ومن أهانه الله، بأن جعله كافرًا شقيًا، فما له من مكرم يكرمه، فيصير سعيدًا عزيزًا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ۩ ﴿١٨﴾﴾ من الأشياء التي من جملتها الإكرام والإهانة.

١٩- ﴿۞ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ﴾ أحدهما اليهود والنصارى والصابئون والمجوس والذين أشركوا، والخصم الآخر المسلمون، فهما فريقان مختصمان. وقيل: المراد بالخصمين، هم الذين برزوا يوم بدر، فمن المؤمنين حمزة وعلي وعبيدة، ومن الكافرين عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة اختصموا في شأن ربهم: أي في دينه، أو في ذاته، أو في صفاته، أو في شريعته لعباده ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ﴾ أي: سويت وجعلت لبوسًا لهم ويصب من فوق رؤوسهم الحميم، والحميم: هو الماء الحار المغلي بنار جهنم.

٢٠- الصهر: الإذابة بشدة الحرارة كما يصهر الحديد والنحاس. والمعنى: أنه يذاب بذلك الحميم ما في بطونهم من الأمعاء والأحشاء ويصهر به الجلود. ٢١- ﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ﴾ المقامع: قطع من الحديد.

٢٢- كلما أرادوا أن يخرجوا من النار لأجل غم شديد فيها أعيدوا إلى النار بالضرب بالمقامع، وقيل لهم: ذوقوا عذاب الحريق.

٢٣- أي: يحليهم الله. أو الملائكة بأمره. واللؤلؤ: ما يستخرج من البحر من جوف الصدف. ﴿وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٢٣﴾﴾ أي هذا النوع من الملبوس الذي كان محرمًا عليهم حلال لهم في الآخرة.

وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ
﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ
ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ
وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٢٥﴾
وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي
شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ
ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ
كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ﴿٢٧﴾ لِّيَشۡهَدُواْ
مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ
عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ
ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ
نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن
يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ وَأُحِلَّتۡ
لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱجۡتَنِبُواْ
ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾

٢٤- أي: أرشدوا إليه، قيل: هو لا إله إلا الله، وقيل: الحمد لله، وقيل: القرآن وأرشدوا إلى الصراط المحمود، أو صراط الله الذي هو دينه القويم، وهو الإسلام.

٢٥- أي: يمنعون من أراد الدخول في دين الله ويصدون عن ﴿ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ قيل: المراد به المسجد نفسه، جعلناه للناس على العموم يصلون فيه، ويطوفون به، مستويًا فيه العاكف، وهو المقيم فيه الملازم له، والبادي: أي الواصل من البادية، والمراد به الطارئ عليه من أهل البادية أو من غيرهم، والإلحاد: الميل عن الحق، قيل: المراد من ارتكب جرمًا خارج الحرم والتجأ إليه، وقيل: هو الشرك والقتل، وقيل المراد المعاصي فيه على العموم..

٢٦- بينا له ﴿مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ﴾ ليبنيه للعبادة وأنزلناه فيه ﴿أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا﴾ كأنه قيل له وحدني في هذا البيت ﴿وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ﴾ من الشرك وعبادة الأوثان، وفي الآية طعن على من أشرك من قطان البيت: أي هذا كان الشرط على أبيكم فمن بعده، وأنتم فلم تفوا بل أشركتم ﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾ بالبيت ﴿وَٱلۡقَآئِمِينَ﴾ فيه للصلاة والراكعين الساجدين. ٢٧- قال جماعة من المفسرين: لما فرغ إبراهيم من بناء البيت جاءه جبريل، فأمره أن يؤذن في الناس بالحج. فعلا المقام، وقال: يا أيها الناس، كتب عليكم الحج إلى البيت فأجيبوا ربكم، لبيك اللهم لبيك يأتوك مشاة والضامر: البعير المهزول الذي أتعبه السفر ﴿يَأۡتِينَ﴾ أي: تأتي الإبل بالركبان للحج ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ﴾ أي: طريق بعيد.

٢٨- ﴿لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ﴾ قيل: المراد بها المناسك، وقيل: التجارة والذبائح ويذكروا عند ذبح الهدايا والضحايا اسم الله، والأيام المعلومات هي أيام النحر ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ وهي الإبل والبقر والغنم فيسن الأكل من الهدي والأضحية. وقيل: يجب والبؤس: شدة الفقر فينبغي إطعام الفقراء من الهدي.

٢٩- أي: ليؤدوا إزالة وسخهم من طول الشعر والأظفار وذلك يوم العيد ما ينذرونه من البر في حجهم ﴿وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ﴾ طواف الإفاضة. وقد سمي العتيق، لأن الله أعتقه من أن يتسلط عليه جبار، وقيل: العتيق الكريم.

٣٠- ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ الحرمات: ما وجب القيام به، وحرم التفريط فيه، في الحج وغيره، وتعظيمها ترك ملابستها ﴿فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ﴾ أي: فالتعظيم خير له ﴿عِندَ رَبِّهِۦ﴾ يعني في الآخرة من التهاون بشيء منها ﴿وَأُحِلَّتۡ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ﴾ وهي الإبل والبقر والغنم ﴿إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ من المحرمات، وهي الميتة وما ذكر معها في سورة المائدة والرجس: النجس، ولا تزول نجاسة الشرك عن المشرك إلا بالإيمان، كما أنها لا تزول النجاسة الحسية إلا بالماء ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾ الباطل، والشرك بالله بأي لفظ كان.

حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ
(٣١) ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ
(٣٢) لَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلۡبَيۡتِ
ٱلۡعَتِيقِ (٣٣) وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكٗا لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ
ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ
فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ (٣٤) ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ
قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا
رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ (٣٥) وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ
ٱللَّهِ لَكُمۡ فِيهَا خَيۡرٞۖ فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا صَوَآفَّۖ فَإِذَا وَجَبَتۡ
جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡقَانِعَ وَٱلۡمُعۡتَرَّۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا
لَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ (٣٦) لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا
وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ
ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ (٣٧) ۞ إِنَّ ٱللَّهَ
يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ (٣٨)

نصف الحزب ٣٤

٣١- ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾ مائلين إليه ﴿غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦ﴾ شيئًا من الأشياء ومن يشرك بالله فكأنما انحط من رفيع الإيمان إلى حضيض الكفر ﴿فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ﴾ أي: تخطف لحمه وتقطعه بمخالبها وتقذفه وترمي به الريح في مكان بعيد.

٣٢- ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ أعلام دينه، ويدخل الهدي في الحج ومناسك الحج ومشاعره كلها في ذلك، وتدخل المساجد والعبادات أيضًا فإن تعظيمها من تقوى القلوب.

٣٣- ﴿لَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾ أي: في الشعائر على الخصوص، وهي البدن، ومن منافعها الركوب والدر والنسل والصوف وغير ذلك وقت نحرها ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ (٣٣)﴾ أي: حيث يحل نحرها. المعنى: أنها تنتهي إلى ما يلي البيت من الحرم.

٣٤- وقد جعل الله لكل أمة مكانًا لذبح القرابين لله فيذكروا الله عند ذبحهم للأنعام فلا يذبح إلا له ابتغاء مرضاته وتقربًا إليه وانقيادًا له لا إله غيره وبشر المتواضعين الخاشعين المخلصين. بشرهم يا محمد بما أعد الله لهم من جزيل ثوابه وجليل عطائه.

٣٥- ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ أي: خافت أشد الخوف وحذرت مخالفته، لكمال يقينهم وقوة إيمانهم ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ﴾ من البلايا والمحن في طاعة الله ومما رزقناهم يتصدقون به وينفقونه في وجوه البر، ويضعونه في مواضع الخير.

٣٦- الإبل المهداة إلى البيت، واختلفوا في صحة إطلاق البدنة على البقرة لكم فيها منافع دينية ودنيوية كما تقدم فاذكروا اسم الله على نحرها قائمة قد صفت قوائمها، لأنها تنحر قائمة معقولة، قد رفعت إحدى يديها بالعقل لئلا تضطرب فإذا سقطت على جنبها بعد نحرها، وذلك عند خروج روحها فأطعموا القانع والمعتر، والقانع: الذي يرضى بما عنده ولا يسأل، والمعتر: الذي يتعرض لك لتعطيه ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ﴾ فصارت تنقاد لكم إلى مواضع نحرها، فتنحرونها وتنتفعون بها، بعد أن كانت مسخرة للحمل عليها والركوب على ظهرها والحلب منها، ونحو ذلك ولعلكم تشكرون هذه النعمة التي أنعم الله بها عليكم.

٣٧- أي: لن يصعد إليه ولا يبلغ رضاه لحوم هذه الإبل التي تتصدقون بها ﴿وَلَا دِمَآؤُهَا﴾ التي تنصب عند نحرها من حيث إنها لحوم ودماء ولكن يبلغه منكم تقوى قلوبكم، فإن ذلك هو الذي يقبله الله ويجازي عليه ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ﴾ هو قول الناحر «الله أكبر» عند النحر، للدلالة على مشروعية الجمع بين التسمية والتكبير على ما أرشدكم إليه من علمكم بكيفية التقرب بها وبشر كل من يصدر منه الخير لوجه الله يصح إطلاق اسم المحسن عليه.

٣٨- إن الله يدفع عن المؤمنين غوائل المشركين، وقيل: يعلي حجتهم، ويبغض الكافرين والخائنين فهم غير محبوبين له.

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ
لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن
يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ
صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ
كَثِيرًاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ
عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ
وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ
قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾
وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ
أَخَذْتُهُمْۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ
أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا
وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ
فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا
لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

٣٩- ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ۚ﴾ كان مشركو مكة يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ بألسنتهم وأيديهم، فيشكون ذلك إلى رسول الله ﷺ فيقول لهم: اصبروا فإني لم أومر بالقتال، حتى هاجر، فأنزل الله سبحانه هذه الآية بالمدينة، وهي أوّل آية نزلت في القتال، وإباحة القتال لهم هي من جملة دفع الله عنهم.

٤٠- المراد بالديار مكة، وقولهم: ربنا الله أي: لكن أخرجوا منها لقولهم: ربنا الله ولولا ما شرعه الله للأنبياء والمؤمنين من قتال الأعداء لاستولى أهل الشرك، وذهبت مواضع العبادة من الأرض، فالصوامع: هي صوامع الرهبان، والبيع: كنائس النصارى واحدتها بيعة النصارى، والصلوات: هي كنائس اليهود، والمساجد: هي مساجد المسلمين التي يذكر فيها اسم الله كثيرًا ولينصرن الله تعالى من ينصر دينه وأولياءه والله هو القادر على كل شيء ولا يمتنع منه شيء.

٤١- وفيه إيجاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على من مكنه الله في الأرض وأقدره على القيام بذلك، وإلى الله تعالى ترجع الأمور بلا منازع ولا مدع.

٤٢- في هذه الآية تسلية لرسول الله ﷺ وتعزية له، متضمنة للوعد له بإهلاك المكذبين له من الملأ من قريش، الذين نصبوا العداوة له، كما أهلك المكذبين من أمم الأنبياء المذكورين.

٤٤- أي: أخرت عنهم العقوبة وأمهلتهم ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْۖ﴾ بالعذاب بعد انقضاء مدة الإمهال، فانظر كيف كان إنكاري عليهم، وتغيير ما كانوا فيه من النعيم وإهلاكهم.

٤٥- فهي خاوية على سقوفها، وذلك بسبب تعطل سكانها حتى تهدمت فسقطت حيطانها فوق سقوفها ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ هي الخالية عن أهلها لهلاكهم، وقيل: معطلة من الدلاء والأرشية وكم من قصر مشيد معطل من أهله، أو من آلاته، أو نحو ذلك.

٤٦- ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ حث للناس على السفر في نواحي الأرض ليروا مصارع تلك الأمم فيعتبروا بسبب ما شاهدوا من العبر وتكون لهم قلوب يعقلون بها ما يجب أن يتعقلوه ﴿أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَاۖ﴾ ما يجب أن يسمعوه مما تلاه عليهم أنبياؤهم من كلام الله، ليس الخلل في مشاعرهم، وإنما هو في عقولهم التي لا تدرك مواطن الحق ومواضع الاعتبار.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا
عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن
قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ
﴿٤٨﴾ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾
وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ
﴿٥١﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ
أَلْقَى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ
ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ
مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ
قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ
ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ
فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ
تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾

٤٧ - ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ لأنهم كانوا منكرين لمجيئه أشد إنكار، فاستعجالهم على طريقة الاستهزاء والسخرية وقد سبق الوعد فلا بد من مجيئه حتمًا وإن يومًا من الخوف والشدة في الآخرة كألف سنة من سني الدنيا فيها خوف وشدة.

٤٨ - أي: وكم من أهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد أمهلتهم حينًا، ثم أخذتهم بالعذاب، ومرجع الكل إلى حكمي.

٥١ - ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا﴾ بالتكذيب لها ظانين ومقدرين أن يعجزوا الله سبحانه ويفوتوه فلا يعذبهم فأولئك لهم عذاب الجحيم.

٥٢ - وما أرسل الله تعالى من رسول من رسله ولا نبي من أنبيائه إلا إذا تلا وقرأ كلام الله ألقى الشيطان في تلاوته وقراءته وفي حديثه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، ولكن الله بقدرته يبطل ما يلقي الشيطان ثم يثبت الله آياته وهو كثير العلم والحكمة في كل أقواله وأفعاله.

٥٣ - ليجعل ذلك الإلقاء الذي يلقيه الشيطان ضلالة للذين في قلوبهم شك ونفاق، والمشركين الذين قست قلوبهم، وإن الظالمين لفي عداوة شديدة.

٥٤ - وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق النازل من عند ربك فيثبتوا على الإيمان به ﴿فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: فتخشع وتسكن وتنقاد له قلوبهم، فإن الإيمان به وإخبات القلوب له، لا يمكن أن يكونوا تمكين من الشيطان، بل للقرآن ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ في أمور دينهم إلى طريق صحيح لا عوج به.

٥٥ - ولا يزال الذين كفروا في شك من القرآن.

وقيل: في الدين ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ حتى تأتيهم القيامة ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ أو يأتيهم عذاب يوم القيامة، لأنه لا يوم بعده.

وقيل: لأنه لا رحمة لهم فيه، فلا يأتيهم بخير وقيل: هو يوم حرب يقتلون فيه، كيوم بدر.

ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾
وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟
لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ
ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ
ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ
مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ
لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى
ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ
﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن
دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾
أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ
مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٣٤

٥٦- أي: السلطان القاهر والاستيلاء التام لله وحده ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾﴾ أي: كائنون فيها مستقرون منغمسون في نعيمها.

٥٧- ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أي: والذين جمعوا بين الكفر بالله والتكذيب بآياته فلهم عذاب بالغ الإهانة.

٥٨- ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟﴾ وهم الذين هاجروا من مكة إلى المدينة ثم قتلوا أو ماتوا في حال المهاجرة ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ ليدخلنهم الله الجنة يأكلون ويشربون فيها ويتمتعون بنعيمها الذي لا ينقطع، وذلك قبل أن تقوم الساعة لأنهم أحياء عند ربهم يُرزقون.

وفي الحديث: «**أرواح الشهداء في أجواف طير خضر تأكل من ثمار الجنة**» ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾﴾ يرزق بغير حساب.

٥٩- أي: الأوفق لنفوسهم، والأقرب إلى مطلبهم، على أنهم يرون في الجنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾ بدرجات العاملين ومراتب استحقاقهم ﴿حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾ عن تفريط المفرطين منهم لا يعاجلهم بالعقوبة.

٦٠- أي: ومن جازى الظالم بمثل ما ظلمه ولم يزد عليه ﴿ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ﴾ أي: الظالم له في الابتداء عاوده بالمظلمة بعد تلك المظلمة الأولى لينصرنَّ الله المبغيّ عليه على الباغي إن الله لكثير العفو والغفران للمؤمنين.

٦١- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ﴾ نصر الله سبحانه للمبغي عليه بسبب أنه سبحانه قادر، ومن كمال قدرته إيلاج الليل في النهار، والنهار في الليل، لأن زيادة أحدهما تستلزم نقصان الآخر.

٦٢- أي فدينه حق، وعبادته حق، ونصره لأوليائه على أعدائه حق، ووعده حق وأن ما يدعون من دونه الأصنام، هو الباطل الذي لا ثبوت له ولا لكونه إلهًا وأن الله هو العالي على كل شيء، المتقدس عن الأشباه والأنداد، المتنزه عما يقول الظالمون، فهو سبحانه ذو الكبرياء والعظمة.

٦٣- ومن آيات قدرته أنه ينزل الماء من السماء فتصبح الأرض مخضرة بما ينبت فيها من النبات والله لطيف بأرزاق عباده وخبير بحاجاتهم.

٦٤- ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ خلقًا وملكًا وتصرفًا، وكلهم محتاجون إلى رزقه ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ فلا يحتاج إلى شيء، المستوجب للحمد في كل حال.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ
بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓۚ إِنَّ
ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَحْيَاكُمْ
ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ ﴿٦٦﴾
لِّكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ
فِي ٱلْأَمْرِۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدٗى مُّسْتَقِيمٖ ﴿٦٧﴾
وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ
بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۚ إِنَّ ذَٰلِكَ
فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ
ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنٗا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٞۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ
مِن نَّصِيرٖ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ تَعْرِفُ فِي
وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمُنكَرَۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ
بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَاۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن
ذَٰلِكُمُۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

٦٥ - ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ من الدواب والشجر والأنهار وجعلها لمنافعكم، وسخر لكم الفلك في حال جريها في البحر. ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ وذلك بأنه خلقها على صفة مستلزمة للإمساك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٦٥﴾﴾ أي كثير الرأفة والرحمة حيث سخر هذه الأمور لعباده.

٦٦ - ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَحْيَاكُمْ﴾ بعد أن كنتم جمادًا ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند انقضاء أعماركم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ عند البعث للحساب إن الإنسان لكثير الجحود لنعم الله عليه مع كونها ظاهرة غير مستترة.

٦٧ - أي: لكل قرن من القرون الماضية وضعنا شريعة خاصة بحيث لا تتخطى كل أمة شريعتها الخاصة بها إلى غير شريعتها وتلك الأمة هي العاملة به لا غيرها، فكانت التوراة منسك الأمة التي كانت من مبعث موسى إلى مبعث عيسى، والإنجيل منسك الأمة التي من مبعث عيسى إلى مبعث محمد ﷺ والقرآن منسك المسلمين، وقيل: المنسك: موضع أداء الطاعة، وقيل: هو الذبائح ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ وذلك موجب لعدم منازعة من بقي منهم لرسول الله ﷺ ومستلزم لطاعتهم إياه في أمر الدين، وادع هؤلاء المنازعين، أو ادع الناس إلى دين الله وتوحيده والإيمان به إنك لعلى طريق لا اعوجاج فيه.

٦٨ - وإن أبوا إلا الجدال بعد ظهور الحجة عليهم فوكل أمرهم إلى الله، وقل لهم هذا القول المشتمل على الوعيد.

٦٩ - الله يحكم بين المسلمين والكافرين يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون من أمر الدين، فيتبين حينئذ الحق من الباطل.

٧٠ - أي: قد علمت يا محمد وتيقنت ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ومن جملة ذلك ما أنتم فيه مختلفون إن الذي في السماء والأرض من معلوماته مكتوب عنده، وإن إحاطة علمه بما في السماء والأرض يسير عليه.

٧١ - أي يعبدون أصنامًا لم يتمسكوا في عبادتها بحجة نيرة من الله سبحانه وليس لهم به من دليل عقلي يدل على جواز ذلك بوجه من الوجوه، أو بنقل يأثرونه عن الله أو عن رسله ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٖ ﴿٧١﴾﴾ ينصرهم، ويدفع عنهم عذاب الله.

٧٢ - وهو غضبهم وعبوسهم عند سماعهم، وقيل: هو التجبر والترفع يكادون يبطشون بضرب، أو شتم، أو أخذ باليد الذين يتلون عليهم آياتنا قل أأخبركم بشر من الذي فيكم من الغيظ على من يتلو عليكم آيات الله.
وهو النار التي أعدها الله لكم وبئس الموضع الذي تصيرون إليه.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ
تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ
وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ
ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ٧٣ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ
ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٧٤ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ
رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥ يَعۡلَمُ
مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٧٦
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ
رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧
وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ
عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ
ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ
وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ
وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨

سجدة

ترتيبها ٢٣ — سُورَةُ المُؤۡمِنُونَ — آياتها ١١٨

٧٣- كأنه قال: جعلوا لي شبهًا في عبادتين فاستمعوا خبر هذا الشبه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وهي الأصنام لن يقدروا على خلق الذباب مع كونه صغير الجسم حقير الذات ولو اجتمع العابدون والمعبودون، فلن يستطيعوا خلق ذبابة واحدة وإذا أخذ منهم الذباب شيئًا من الأشياء لا يقدرون على تخليصه منه، وإذا عجزوا عن خلق هذا الحيوان الضعيف، وعن استنقاذ ما أخذه منهم، فهم عن غيره، مما هو أكبر منه جرمًا، وأشد منه قوة، أعجز وأضعف ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ٧٣﴾ فالصنم كالطالب من حيث إنه يطلب خلق الذباب، أو يطلب استنقاذ ما سلبه منه، والمطلوب الذباب.

٧٤- أي: ما عظموه حق تعظيمه، ولا عرفوه حق معرفته، حيث جعلوا هذه الأصنام شركاء له مع كون حالها هذا الحال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٧٤﴾ بخلاف آلهة المشركين، فإنها جماد لا تنفع ولا تضر، ولا تقدر على شيء.

٧٥- أي: كجبريل وإسرافيل وميكائيل ويصطفي أيضًا الأنبياء فيختار من الملائكة ملكًا يختصه بإرساله إلى الأنبياء المصطفين من البشر، فيرسل الملك إلى النبي، والنبي إلى الناس؛ أو يرسل الملك لقبض أرواح مخلوقاته، أو لتحصيل ما ينفعكم. ٧٦- ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾ قيل المراد: يعلم ما قدمه الناس من أعمال الخير والشر وما أخروه. ٧٧- يا أيها الذين آمنوا صلوا الصلاة التي شرعها الله لكم وافعلوا جميع أنواع العبادة التي أمركم الله بها وافعلوا ما هو خير وأهمه: الفرائض ثم النوافل، تكونوا من الفائزين برحمة الله ورضوانه يوم القيامة.

٧٨- ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ﴾ أي في سبيله وهو الغزو للكفار، ومدافعتهم إذا غزوا بلاد المسلمين، وامتثال ما أمرهم الله به ونهى عنه على العموم ﴿حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ أي جهادًا خالصًا لله لا تخافوا في الله لومة لائم، اختاركم لدينه أيها المسلمون وما جعل عليكم في الدين من ضيق وشدة، فرخص لكم في النساء مثنى وثلاث ورباع وملك يمين، وقصر الصلاة، والإفطار للمسافر، والصلاة بالإيماء على من لا يقدر على غيره، وما جعل عليكم حرجًا بتكليف ما يشق عليكم، وجعل لكم من الذنب مخرجًا بفتح باب التوبة، وقبول الاستغفار، والتكفير فيما شرع فيه الكفارة والأرش، وغير ذلك من الرخص، واتبعوا ملة أبيكم إبراهيم إن الله سماكم المسلمين في الكتب المتقدمة وفي القرآن ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ﴾ أي: بتبليغه إليكم وتكونون شهداء يوم القيامة على الأمم التي تبلغونها شريعة الله ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ وتخصيص الخصلتين بالذكر لمزيد شرفهما ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ﴾ أي اجعلوه عصمة لكم مما تحذرون، والتجئوا إليه في جميع أموركم هو ناصركم ومتولي أموركم ولا مماثل له في الولاية لأموركم والنصرة على أعدائكم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾
وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ
فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ
أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾
فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ
لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ
يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ
الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ
سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ
خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا
الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا
آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ
لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ
خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾

سُورَةُ المُؤْمِنُونَ

هي مكية بلا خلاف

١- أي: فاز المؤمنون الجامعون للصفات التالية وأنجحوا.

٢- الخشوع: التواضع والخوف والتذلل، وقيل: السكون وترك الالتفات والعبث.

٣- اللغو: هو كل باطل ولهو وهزل ومعصية، وما لا يجمل من القول والفعل، وقيل: هو الشرك والمعاصي كلها، وإعراضهم عنه: تجنبهم له وعدم التفاتهم إليه. ٤- المراد بالزكاة هنا الصدقات وكل ما نفعت به مسلمًا.

٥- أي: ممسكون لها بالعفاف عما لا يحل لهم. ٦- المعنى: أنهم يلامون في إطلاق ما حظر عليهم، فأمروا بحفظه إلا على أزواجهم، فلا يلامون على الاسترسال معهن، وليس عليهم حفظ فروجهن عنهن. أو ما ملكت أيمانهم من الإماء ملكًا خالصًا ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝﴾ في عدم حفظ فروجهم عن أزواجهم، ولا عما ملكت أيمانهم، ويلامون إن انطلقوا فيما عدا ذلك.

٧- الإشارة إلى الزوجات وملك اليمين، والعادون: المجاوزون إلى ما لا يحل لهم، فمن تجاوز زوجته أو مملوكته إلى غيرها فهو معتدٍ ظالم آثم.

٨- الأمانة: ما يؤتمنون عليه والعهد: ما يعاهدون عليه من جهة الله سبحانه، أو جهة عباده. ومعنى راعون: أي: حافظون.

٩- أي: بإقامتها في أوقاتها، وإتمام ركوعها وسجودها وقراءتها، والمشروع من أذكارها. ١٠- أي: الأحقاء بأن يكونوا الوارثين.

١١- والفردوس: هو أوسط الجنة، يرثونه: أي يستحقونه، وقيل: المعنى أنهم يرثون من الكفار منازلهم، لأنه سبحانه خلق لكل إنسان منزلاً في الجنة، ومنزلاً في النار يدومون فيها لا يخرجون منها ولا يموتون فيها. ١٢- أي: من نطفة مستخرجة من الإنسان، وأصله من الطين الذي خلق منه آدم أبو البشر، والسلالة: من السلّ، وهو استخراج الشيء من الشيء، فالنطفة سلالة، والولد سليل، وسلالة أيضًا. ١٣- ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ﴾ باعتبار أفراده الذين هم بنو آدم نطفة في قرار الرحم. ١٤- ثم خلقنا النطفة البيضاء علقة حمراء فخلقنا العلقة قطعة لحم غير مخلقة، ثم تكون مخلقة في طور لاحق ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا﴾ متصلبة لتكون عمودًا للبدن على أشكال مخصوصة وأنبت الله سبحانه على كل عظم لحمًا على المقدار الذي يليق به ويناسبه ثم نفخنا فيه الروح بعد أن كان جمادًا، وأخرجناه إلى الدنيا مع تكميل القوى المخلوقة فيه فاستحق الله التعظيم والثناء بأنه أتقن الصانعين المقدرين.

١٥- أي: بعد تلك الأمور صائرون إلى الموت لا محالة. ١٦- أي: من قبوركم إلى المحشر للحساب والعقاب.

١٧- هي السماوات طرق بعضها فوق بعض وما كنا عن هذه السبع الطرائق وحفظها بغافلين، وحفظنا من في الأرض أن تسقط السماء عليهم فتهلكهم، أو تميد بهم الأرض.

وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ
بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ
لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن
طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى
ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ
وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ
غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ
إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ
مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا
رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى
بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا
وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن
كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ
مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾

٣٤٣

١٨- وأنزلنا من السماء ماء المطر، فإن به حياة الأرض وما فيها من الحيوان بمقدار يكون به صلاح الزرائع والثمار، فإنه لو كثر لكان به هلاك ذلك فجعلناه مستقرًا في الأرض ينتفعون به وقت حاجتهم إليه وكما قدرنا على إنزاله فنحن قادرون على أن نذهب به بوجه من الوجوه.

١٩- فأنشأنا لكم به بساتين ملتفة أشجارها لقوتها تجن ما تحتها، أي تستره وفي هذه الجنات فواكه كثيرة تتفكهون بها وتطعمون منها.

٢٠- المراد شجرة الزيتون، وهي أكرم الشجر وأعمها نفعًا وأكثرها بركة ﴿تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ أي: تنبت ثمرها وفيه الدهن، وهو زيت الزيتون ﴿وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾﴾ وهو زيت الزيتون نفسه لأنه يصطبغ به.

٢١- ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً﴾ يستدل بخلقها وأفعالها على عظيم القدرة الإلهية ويسقي الناس اللبن المتكون في بطونها المنصب إلى ضروعها، فإن في انعقاد ما تأكله من العلف إلى هذا الغذاء اللذيذ، والمشروب النفيس، أعظم عبرة للمعتبرين، وأكبر موعظة للمتعظين وفيها منافع أخرى في ظهورها وألبانها وأولادها وأصوافها وأشعارها. ٢٢- وهي الإبل خاصة من دون باقي الأنعام من البقر والغنم، وهي غالب ما يكون الركوب عليه في البر وتركب السفن في البحر تتميمًا للنعمة وتكميلاً للمنة. ٢٤- أي: قال أشراف قومه الذين كفروا به ما هذا إلا من جنسكم في البشرية، لا فرق بينكم وبينه يطلب أن يسودكم حتى تكونوا تابعين له منقادين لأمره قالوا ذلك لتنفير قوم نوح من دعوته حتى لا يتسارعوا في الاستجابة له ولو شاء الله إرسال رسول لأرسل ملائكة ما سمعنا بمثل دعوى هذا المدعي للنبوة من البشر. ٢٥- ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ﴾ أي: جنون، فهو لا يدري ما يقول ﴿فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾﴾ أي: انتظروا به حتى يستبين أمره، بأن يفيق من جنونه فيترك هذه الدعوى، أو حتى يموت فتستريحوا منه. فلما سمع نوح عليه السلام كلام قومه وعرف تماديهم على الكفر وإصرارهم عليه، طلب من الله إهلاكهم، وكان الله تعالى قد أوحى إليه أنه ﴿لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ .٢٦- ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى﴾ عليهم فانتقم منهم بما تشاء وكيف تريد بسبب تكذيبهم إياي.

٢٧- ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ﴾ وهو السفينة بحفظنا وتعليمنا إياك لكيفية صنعها ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ بالعذاب وخرج الماء من التنور – الفرن – فهذه علامة بدء الطوفان فأدخل في السفينة من كل أمة من أمم الحيوان زوجين ذكر وأنثى ﴿وَأَهْلَكَ﴾ أي: الذين آمنوا به، إلا من سبق عليه الحكم بالهلاك لأنهم كفروا ولم يؤمنوا ولا تدعُ لهم بإنجائهم فإنهم مقضي عليهم بالإغراق لظلمهم.

فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا
مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ
ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا
مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟
ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا
تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ
﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ
﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا
ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ
ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ
ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾
فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾

ربع الحزب ٣٥

٣٤٤

٢٨- ﴿فَإِذَا﴾ علوت أنت ومن معك من أهلك وأتباعك ﴿عَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ راكبين عليه فقل الحمد لله الذي حال بيننا وبينهم، وخلصنا من ظلمهم وشرورهم فأهلكهم بقدرته وعزته.

٢٩- أي: أنزلني في السفينة. أمره الله سبحانه بأن يقول هذا القول عند دخوله السفينة، وقيل: عند خروجه منها ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ هذا ثناء منه على الله عز وجل إثر دعائه له.

٣٠- ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ مما قصه الله علينا من أمر نوح عليه السلام لدلالات على كمال قدرته سبحانه وإن كنا لمختبرين لهم بإرسال الرسل إليهم، ليظهر المطيع والعاصي للناس.

٣١- أي: من بعد إهلاكهم. قال أكثر المفسرين: هم عاد قوم هود.

٣٢- ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ نشأ فيهم بين أظهرهم، ليكون سكونهم إلى قوله أكثر من سكونهم إلى من يأتيهم من غير مكانهم ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ أي: دعاهم إلى رأس ما دعا إليه الرسل أقوامهم من عبادة الله وتوحيده وإخلاص الدين له أفلا تخافون الله تعالى فتتركوا عبادة غيره والإشراك به الذي يؤدي بكم إلى عذابه.

٣٣- وقال الملأ من أشرافهم وقادتهم الذين كفروا وكذبوا بما في الآخرة من الحساب والعقاب، ووسعنا لهم نعم الدنيا من كثرة الأموال ورفاهة العيش فبطروا وقالوا ما هذا إلا بشرًا مثلكم يحتاج إلى الطعام والشراب كما تحتاجون.

٣٤- ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ﴾ فيما ذكر من الأوصاف إنكم إذن لمغبونون بتركتكم آلهتكم واتباعكم إياه من غير فضيلة له عليكم، ولم يَرَوا أنه بالإمكان أن يكون الرسول المرسل إليهم بشرًا مثلهم.

٣٥- ﴿أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾﴾ أي: من قبوركم أحياء كما كنتم بعد أن كان بعض أجزائكم ترابًا، وبعضها عظامًا نخرة لا لحم فيها ولا أعصاب. ٣٦- أي: بعد إخراجكم للوعد الذي توعدون. ٣٧- أي: ما الحياة إلا حياتنا الدنيا، لا الحياة الآخرة التي تعدنا بها ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي: في الدنيا لا غير. ٣٨- أي: ما هو فيما يدعيه إلا مفتر للكذب وما نحن له بمصدقين.

٣٩- أي قال نبيهم داعيًا ربه: رب انصرني عليهم، وانتقم لي منهم بسبب تكذيبهم إياي.

٤٠- أي: بعد مدة قليلة من الزمان سيندمون على ما وقع منهم من التكذيب والعناد والإصرار على الكفر.

٤١- فصاح بهم جبريل صيحة واحدة مع الريح التي أهلكهم الله بها فماتوا جميعًا فجعلناهم كغثاء السيل، وهو الزبد والرغوة الذي يحمله السيل على ظاهر الماء، صيرهم هلكى فيبسوا كما يبيس الغثاء فبعدًا للقوم الجاحدين.

٤٢- ثم أنشأنا من بعد إهلاكهم أقوامًا آخرين قوم صالح ولوط وشعيب. وقيل: هم بنو إسرائيل.

مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا
كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ
أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ
هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ
فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا
وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ
﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا
ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ
﴿٥٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَٰتِ وَاعْمَلُوا صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا
تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ
فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ
فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا
نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَٰتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ
﴿٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُم
بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾

٤٣- أي: ما تتقدم كل طائفة مجتمعة في قرن آجالها المكتوبة لها في الهلاك، ولا تتأخر عنها.

٤٤- ثم أرسلنا رسلنا تتواتر واحدًا بعد واحد، ويتبع بعضهم بعضًا مرسلين إلى تلك الأمم. ﴿فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا﴾ أي: في الهلاك بما نزل بهم من العذاب ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾ وهي ما يتحدث به الناس فأهلكهم الله وجعلهم مثلاً وعبرةً لكل المكذبين عَبْرَ السنين.

٤٥- ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ هي التسع المتقدم ذكرها غير مرة، والسلطان المبين: الحجة الواضحة البينة.

٤٦- إلى فرعون والأشراف منهم فطلبوا الكبر وتكلفوه ولم ينقادوا للحق وكانوا قومًا قاهرين للناس بالبغي والظلم، مستعلين عليهم.

٤٧- أي: يأكلان ويشربان وقومهما لنا مطيعون منقادون لما نأمرهم به كانقياد العبيد. وقيل: يحتمل أنه كان يدّعي الإلهية فدعى الناس إلى عبادته فأطاعوه. ٤٨- فأصروا على تكذيبهما فأهلكهم الله بالغرق في البحر.

٤٩- ولقد آتينا موسى التوراة لعل قوم موسى يهتدون بها إلى الحق، ويعملون بما فيها من الشرائع.

٥٠- أي: جعلناه علامة تدل على عظيم قدرتنا، وبديع صنعنا وآويناهما إلى مكان مرتفع: قيل هي في أرض دمشق، وقيل: في بيت المقدس ذات مستقر يستقر عليه ساكنوه ﴿وَمَعِينٍ﴾ أي: هو الماء الجاري في العيون. ٥١- المعنى: وقلنا يا أيها الرسل، كلوا من الطيبات، والطيبات: ما يستطاب ويستلذ من الحلال ﴿وَاعْمَلُوا صَٰلِحًا﴾ موافقًا للشرع إني لا يخفى علي شيء منه، وإني مجازيكم على حسب أعمالكم. ٥٢- أي: إن هذه ملتكم أيها الرسل ملة واحدة، وهو دعاء جميع الأنبياء إلى عبادة الله وحده لا شريك له، فلا تفعلوا ما يوجب العقوبة عليكم مني، بأن تشركوا بي غيري. ٥٣- أي: جعل أتباع الأنبياء دينهم - مع اتحاده - قطعًا متفرقة مختلفة، فأصبحوا طوائف. فاتبعت فرقة التوراة، وفرقة الزبور، وفرقة الإنجيل، ثم حرفوا وبدلوا وكل فريق من هؤلاء المختلفين بما لديهم من الدين معجبون به. ٥٤- أي: اتركهم في جهلهم وحيرتهم، ولا يضيق صدرك بتأخير العذاب عنهم، أو حتى يموتوا فيعذبوا في النار. ٥٥- أي: أيحسبون أن الذي نعطيهم في هذه الدنيا من الأموال والبنين. ٥٦- ﴿نُسَارِعُ﴾ به ﴿لَهُمْ﴾ فيما فيه خيرهم وإكرامهم؟! إنما هو استدراج لهم ليزدادوا إثمًا. وهم لا يشعرون. ٥٧- ثم وصف المتقين بأنهم من شدة خوفهم ربهم في خوف دائم. ٥٨- وبآياته يصدقون أنها الحق من ربهم.

٥٩- وهم بالله تعالى لا يشركون في عبادته أحدًا أي: يتصدقون وقلوبهم خائفة يظنون أن ذلك لا ينجيهم من عذاب الله لأنهم إلى ربهم راجعون، وسبب الوجل هو أنهم يخافون ألا يقبل منهم ذلك على الوجه المطلوب.

وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾
أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ
نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾
بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا
عَامِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ
﴿٦٤﴾ لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي
تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ
بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ
آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ
﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ ۚ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ
كَارِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ
وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن
ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ
وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾
وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ﴿٧٤﴾

٣٤٦

٦١- ولذا فهم يبادرون في الطاعات وهم يسبقون الناس إلى فعلها. ٦٢- والله لا يكلف نفسًا إلا بقدر طاقتها، فمن لم يستطع السجود في الصلاة فليوم إيماء، ومن لم يستطع الصوم فليفطر، وهذا للتحريض على ما وصف به السابقون من فعل الطاعات، المؤدي إلى نيل الكرامات، ببيان سهولته، وكونه غير خارج عن حد الوسع والطاقة وعند الله تعالى اللوح المحفوظ قد أثبت فيه أعمال كل واحد من المكلفين على ما هي عليه يظهر به الحق المطابق للواقع من دون زيادة ولا نقص. ٦٣- أي: بل قلوب الكفار في غفلة عن هذا الكتاب الذي ينطق بالحق، أو عن الأمر الذي عليه المؤمنون ولهم أعمال رديئة لم يعملوها من دون ما هم عليه لا بد أن يعملوها فيدخلون بها النار، لما سبق لهم من الشقاوة لا محيص لهم عن ذلك. ٦٤- حتى إذا أخذ الله تعالى رؤساءهم والمتنعمين منهم بالعذاب في الآخرة إذا هم يستغيثون ويولولون، ويقال لهم حينئذ: ٦٥- لا تجزعوا ولا تستغيثوا اليوم فإنكم من عذابنا لا تمنعون ولا ينفعكم جزعكم.

٦٦- ولقد كانت آيات القرآن تتلى عليكم في الدنيا فكنتم على أعقابكم ترجعون وراءكم معرضين عن سماع القرآن. ٦٧- أي وكانوا يستكبرون بسبب بيت الله الحرام، ويتعاظمون به وكانوا يقولون: لا يظهر علينا أحد، لأنا أهل الحرم وخدّامه وكانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون في الطعن في القرآن الكريم. ٦٨- ثم بين سبحانه أن سبب إقدامهم على الكفر هو أحد هذه الأمور الخمسة الأول: عدم التدبر في القرآن، فإنهم لو تدبروا معانيه لظهر لهم صدقه وآمنوا به وبما فيه، والثاني: قوله ﴿أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ فكان ذلك سببًا لاستنكارهم للقرآن؟ والثالث قوله: ٦٩- ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ أي: بل ألم يعرفوه بالأمانة والصدق فأنكروه، ومعلوم أنهم قد عرفوه بذلك، وأنهم لم يجربوا عليه كذبًا قط، والرابع قوله: ٧٠- أم يقولون به جنون، مع أنهم قد علموا أنه أرجح الناس عقلاً بل جاءهم بالدين القويم ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٠﴾﴾ لما جبلوا عليه من التعصب، أي: وأقلهم كانوا لا يكرهون الحق، ولكنهم لم يظهروا الإيمان خوفًا من الكارهين له. ٧١- المعنى: فلو جعل مع نفسه كما يحبون شريكًا لفسدت السماوات والأرض، وقيل: المعنى لو كان الحق ما يقولون من اتخاذ الآلهة مع الله لاختلفت الآلهة، ومثل ذلك قوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ بل أتيناهم بالكتاب الذي هو فخرهم وشرفهم، فهم عن ذكرهم مهملون للأمر الذي لهم فيه أعظم الشرف والأمر الخامس قوله: ٧٢- أم هل الأمر الذي يصدهم عن الإيمان بك أنهم يزعمون أنك تسألهم أجرًا تأخذه على الرسالة، فتركوا الإيمان بك وبما جئت به لأجل ذلك، مع أنهم يعلمون أنك لم تسألهم ذلك ولا طلبته منهم. فرزق ربك الذي يرزقك في الدنيا، وأجره الذي يعطيكه في الآخرة، خير لك مما ذكر. ٧٤- أي: =

نصف الحزب ٣٥

۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ
يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ
وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ
إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ
وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ
ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ
ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا
لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ
إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن
كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ
﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ
﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ
مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن
كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾

= أن هؤلاء الموصوفين بعدم الإيمان بالآخرة عن ذلك الصراط المستقيم، طريق الحق، لمنحرفون إلى طرق الضلال.

٧٥- ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من قحط وجدب لتمادوا في طغيانهم وضلالهم يترددون ويخبطون.

٧٦- قيل: هو الجوع الذي أصابهم في سني القحط فما خضعوا لربهم ولا تذللوا، بل أقاموا على التمرد على الله وما يخشعون لله في الشدائد.

٧٧- قيل: هو عذاب الآخرة، وقيل: قتلهم يوم بدر بالسيف إذا هم فيه متحيرون لا يدرون ما يصنعون، والإبلاس: الإياس من كل خير.

٧٨- وهو الذي امتن الله عليهم بنعمة السمع والبصر وقلوبهم التي يفقهون بها ليسمعوا المواعظ، وينظروا العبر، ويتفكروا بالأفئدة، فلم ينتفعوا بشيء من ذلك لأنهم لا يشكرونه ألبتة، لا أن للكفار شكرًا قليلاً. ٧٩- أي: بثكم فيها كما تبث الحبوب لتنبت وإليه تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم. ٨٠- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ على جهة الانفراد والاستقلال ﴿وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ يتعاقبان ويختلفان في الإضاءة والإظلام، وقيل تكررهما يومًا بعد يوم، وليلة بعد ليلة ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾﴾ كنه قدرته، وتتفكرون في ذلك. ٨١- أي: آباؤهم والموافقون لهم في دينهم، أو المراد الأمم السابقة.

٨٢- وهذا مجرد استبعاد لم يتعلقوا فيه بشيء من الشبه. ٨٣- لقد وُعدنا هذا البعث، ووُعِده آباؤنا وما هذا إلا أكاذيب الأولين التي سطروها في الكتب.

٨٤- أي: قل يا محمد لأهل مكة هذه المقالة، سائلاً لهم عمن يملك هذه الأرض ومن عليها، والمراد بمن في الأرض، الخلق جميعًا إن كنتم تعلمون خالقها ومالكها فأخبروني.

٨٥- ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ أي: لا بد لهم أن يقولوا ذلك، فقل لهم يا محمد: إن كنتم مقرين أنها لله تعالى وأنه الخالق لها المتصرف فيها فلم تعبدون معه آلهة أخرى؟!

٨٧- أي من خالق السماوات كلها سيقولون لك: الله، ولابد لهم أن يقولوا ذلك فقل لهم يا محمد أفلا تخافونه وتحذرون من غضبه، وأنتم تشركون به؟!

٨٨- قل من بيده خزائن كل شيء، وهو يغيث غيره إذا شاء ويمنعه ولا يمنع أحد أحدًا من عذاب الله، ولا يقدر على نصره وإغاثته من الله.

٨٩- سيقول الكفار: لله، فقل يا محمد: فكيف تصرفون عن الحق؟ وكيف يخيل لكم الحق باطلاً، والصحيح فاسدًا.

بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ
وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا
بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ
ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ
إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾
ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾
وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ
رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ
ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ
هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ
فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾
فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ
خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ
خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾

٩٠- بل لقد جاءهم الحق الذي يحق اتباعه في القرآن ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ فيما ينسبونه إلى الله من الأنداد والشركاء.

٩١- ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من شريك ولو كان مع الله آلهة أخرى لانفرد كل إله بخلقه، ولتنازعت الآلهة، ولغلب القوي على الضعيف، تنزه الله عما يقولون من الشريك والولد.

٩٢- أي: هو مختص بعلم الغيب والشهادة وأما غيره فهو وإن علم الشهادة لا يعلم الغيب وهو سبحانه متعالي عن أن يكون له شريك في الملك.

٩٣- أي: إن كان ولا بد يا رب أن تجعلني أرى ما تعدهم به من العذاب الذي يهلكهم.

٩٤- وأنزلت بهم النقمة يا رب فاجعلني خارجًا عنهم بعيدًا حال وقوع العذاب عليهم.

٩٥- أي: إن الله قادر على أن يري رسوله عذابهم، ولكنه يؤخره لعلمه بأن بعضهم سيؤمن.

٩٦- أي: ادفع بالخصلة التي هي أحسن من غيرها، وهي الصفح والإعراض عما يفعله الكفار، نحن أعلم بما يصفونك به مما أنت على خلافه، أو بما يصفون من الشرك والتكذيب.

٩٧- همزات الشياطين: نزعاتهم ووساوسهم، وثورات الغضب التي لا يملك الإنسان فيها نفسه.

٩٨- وأمره أن يتعوذ بالله من حضور الشياطين بعد ما أمره أن يتعوذ من همزاتهم، فإنهم إذا حضروا الإنسان لم يكن لهم عمل إلا الوسوسة والإغراء على الشر والصرف عن الخير.

٩٩- ثم يحدثنا الله تعالى عن أحوال الكافرين عند الموت فإذا حضر أحدهم الموت وشاهد الملائكة تبين له ضلاله. وقال رب أرجعني أرجعني. ١٠٠- ﴿لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا﴾ في الدنيا إذا رجعت إليها من الإيمان وما يتبعه من أعمال الخير ﴿كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ ولو أجيب إلى ذل لما حصل منه الوفاء ومن أمامهم وبين أيديهم حاجز بين الموت والبعث إلى يوم هو يوم القيامة. ١٠١- هي النفخة الثانية، والصور: هو القرن الذي ينفخ فيه لقيام الساعة، وأما النفخة الأولى فهي نفخة الصعق التي تميت الأحياء من الخلائق. انظر سورة الزمر [الآية: ٦٨] فلا يتفاخرون بالأنساب، ولا يذكرونها، ولن تفيدهم يومئذ شيئًا ولا يسأل بعضهم بعضًا، فإن لكل واحدٍ منهم إذ ذاك شغلاً شاغلاً. ١٠٢- فمن ثقلت موزوناته من أعماله الصالحة فأولئك هم الفائزون بمطالبهم المحبوبة، الناجون من الأمور التي يخافونها. ١٠٣- ومن خفت موزوناته من الأعمال الصالحة في مقابلة ما له من السيئات فأولئك الذين ضيعوا أنفسهم وتركوا ما ينفعها. ١٠٤- اللفح: الإحراق. وخص الوجوه لأنها أشرف الأعضاء والكالح: الذي قد تشمرت شفتاه وبدت أسنانه، من التعب والألم؟

أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٠٥ قَالُواْ
رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ١٠٦ رَبَّنَآ
أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ١٠٧ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا
وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ
ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٠٩ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ
سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ١١٠
إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ١١١ قَٰلَ
كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ١١٢ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ
يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ١١٣ قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ
كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١٤ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ
إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ١١٥ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا
هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ١١٦ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا
ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ
ٱلۡكَٰفِرُونَ ١١٧ وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١١٨

سُورَةُ النُّورِ

ترتيبها ٢٤ — آياتها ٦٤

١٠٦ – أي: غلبت علينا لذاتنا وشهواتنا، فسمي ذلك شقوة، لأنه يؤول إلى الشقاء ﴿وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ١٠٦﴾ بتلك الشقوة.

١٠٧ – أي: ربنا أخرجنا من النار فإن رجعنا إلى ما كنا عليه من الكفر فإنا لأنفسنا بالعود إلى ذلك ظالمون.

١٠٨ – أي: تباعدوا تباعد سخط، كما يقال للكلب، إذا اقترب من الأشياء الطاهرة اخسأ أي: ابعد، فابعدوا في جهنم، ولا تتحدثوا فلن يستمع إليكم.

١٠٩ – وهم المؤمنون يدعون الله بالرحمة والمغفرة ويعترفون بصفاته العُلى.

١١٠ – فكنتم تستهزئون بهم حتى انشغلتم بذلك عن الإيمان بي، وكنتم منهم تضحكون استهزاءً بهم في الدنيا.

١١١ – أي: جازيتهم على صبرهم بفوزهم اليوم.

١١٢ – أي: قال كم عشتم في الدنيا من السنين؟

١١٣ – أي: استقصروا مدة لبثهم في الدنيا لما هم فيه من العذاب الشديد. فاسأل المتمكنين من معرفة العدد، نسوا عدد السنين لما نالهم من الهول.

١١٤ – أي: لو أنكم كنتم تعلمون قدر الحياة الدنيا، وقدر الآخرة!!

١١٥ – أي: للإهمال، كما خلقت البهائم، ولا ثواب ولا عقاب؟ ﴿وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ١١٥﴾ بالبعث والنشور فنجازيكم بأعمالكم.

١١٦ – أي: تنزه الله تعالى عن أن يخلق شيئًا عبثًا فهو الملك الذي يحق له الملك على الإطلاق وملك غيره زائل فإنه لا ولد له ولا صاحبة ولا شريك فهو صاحب العرش الكريم فكيف لا يكون إلهًا وربًّا لما هو دون العرش الكريم من المخلوقات؟

١١٧ – البرهان: الحجة الواضحة والدليل الواضح، وليس هناك رب آخر غير الله عليه برهان.

١١٨ – ثم أمره سبحانه بالاستغفار لتقتدي به أمته.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ
(١) الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم
بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ
عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢) الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ
مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ (٣) وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ
فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ (٤) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ (٥) وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ
فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ۙ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٦)
وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٧) وَيَدْرَأُ
عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ۙ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ
(٨) وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٩)
وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ (١٠)

سُورَةُ النُّور

١- أي: هذه سورة منزلة من عند الله تعالى وواجب على المسلمين ما فيها من الآداب والأحكام وأنزل فيها آيات واضحات لعل أهل الإسلام يتعظون بما فيها. ٢- والزنى: هو وطء الرجل للمرأة من غير عقد زواج بينهما. والزانية: هي المرأة المطاوعة للزنى، الممكنة منه، لا المكرهة، والجلد: الضرب بالسوط أو العصا، يقال: جلده إذا ضرب جلده ﴿مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ هو حد الزاني الحر البالغ البكر، وكذلك الزانية، وثبت بالسنة زيادة على هذا الجلد، وهي تغريب عام، وأما من كان محصنًا من الأحرار فعليه الرجم بالسنة الصحيحة المتواترة. وهذه الآية ناسخة لآية الحبس، وآية الأذى، اللتين في سورة النساء، والرأفة: الرقة والرحمة، وإن كنتم تصدقون بالتوحيد والبعث الذي فيه جزاء الأعمال فلا تعطلوا الحدود وليحضر إقامتها فرقة من المسلمين زيادة على التنكيل بهما، وشيوع العار عليهما، وإشهار فضيحتهما. ٣- أي: إن غالب الزناة أن الواحد منهم لا يرغب إلا في الزواج بزانية مثله، وغالب الزواني لا ترغب الواحدة منهن إلا في الزواج بزان مثلها، وأما أهل الإيمان فقد حرم عليهم نكاح الزواني والمشركات، لما فيه من التشبه بالفسقة، والتعرض للتهمة، واحتمال أن تدخل عليه ولدًا ليس منه. فلا يحل للمسلم العفيف أن يتزوج امرأة غير عفيفة وهو يعلم، ولا يحل للمرأة العفيفة أن تتزوج رجلاً فاجرًا وهي تعلم.
٤- وهذا هو حكم القذف، فكل من رمى رجلاً متزوجًا، أو امرأة متزوجة بالزنا ولم يأت بأربعة شهود عدول على صحة ذلك الاتهام فيقام عليه «حد القذف» وهو أن يُجلد ثمانين جلدة، ولا يُقبل لهم شهادة أبدًا، ويحكم عليهم بالخروج عن طاعة الله ومجاوزة الحد بالمعصية، وإن كان المقذوف غير متزوج فيترك تقدير العقوبة للحاكم أو القاضي. ٥- إلا الذين تابوا من بعد اقترافهم لذنب القذف ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ أعمالهم التي من جملتها ذنب القذف، وتداركوا ذلك بالتوبة والانقياد للحد. فإذا تاب القاذف قبلت شهادته وزال عنه الفسق، وتوبة القاذف لا تكون إلا بأن يكذب نفسه في ذلك القذف الذي وقع منه وأقيم عليه الحد بسببه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥)﴾ ولذلك لم يؤاخذ القاذف بعد التوبة، ورضي لكم قبول شهادته. ٦، ٧- ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ﴾ يشهدون بما رموهن به من الزنى ﴿فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ﴾ أي: فشهادة أحدهم التي تزيل عنه حد القذف أن يشهد أربع مرات ﴿بِاللَّهِ ۙ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٦)﴾ فيما رماها به من الزنى. ثم يشهد ﴿الْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٧)﴾ أي: فيما رماها به من الزنى. ٨- والمعنى: أنه يدفع عن المرأة الحد شهادتها أربع شهادات بالله: إن الزوج ﴿لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (٨)﴾. ٩- أي: وتشهد الخامسة ﴿أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ﴾ الزوج ﴿مِنَ الصَّادِقِينَ (٩)﴾ فيما رماها به من الزنى. وتخصيص الغضب بالمرأة للتغليظ عليها لكون الإغراء بالزنى من جهتها في الغالب، ولأن النساء يكثرن اللعن في العادة، ومع استكثارهن منه لا يكون له في قلوبهن كبير موقع، بخلاف الغضب. ١٠- ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ﴾ =

إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ
خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ
كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١١﴾ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ
وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ﴿١٢﴾ لَّوۡلَا
جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ
عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ
فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ لَمَسَّكُمۡ فِي مَآ أَفَضۡتُمۡ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾
إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ
وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ﴿١٥﴾ وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ
قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ
﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧﴾
وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ
فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوۡلَا
فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٠﴾

= ﴿عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ﴾ أيها المؤمنون لنال الكاذب منهما عذاب عظيم وأن الله يعود على من تاب إليه، ورجع عن معاصيه بالتوبة عليه، والمغفرة له فإنه حكيم فيما شرع لعباده من اللعان، وفرض عليهم من الحدود.

١١- إن الذين جاءوا بالكذب والبهتان والمراد به هنا: ما وقع من الإفك على عائشة أم المؤمنين، ﴿عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ﴾ وهم عبد الله بن أبي رأس المنافقين، وزيد بن رفاعة، وحسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش، ومن ساعدهم ﴿لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ﴾ يحصل لكم به الثواب العظيم مع بيان براءة أم المؤمنين، وصيرورة قصتها هذه شرعًا عامًا ﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ﴾ أي: بسبب تكلمه بالإفك ﴿وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ﴾ هو عبد الله بن أبي، وقيل: هو حسان. ١٢- أي: كان ينبغي للمؤمنين حين سمعوا مقالة أهل الإفك أن يقيسوا ذلك على أنفسهم، فإن كان ذلك يبعد منهم، فهو من أم المؤمنين أبعد. ﴿وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ١٢﴾ كذب ظاهر مكشوف.

١٣- هلا جاء الخائضون بأربعة شهداء يشهدون على ما قالوا فإذ لم يأتوا بالشهداء فالخائضون في الإفك في حكم الله تعالى: هم الكاملون في الكذب. ١٤- أي: لولا أني قضيت عليكم بالفضل في الدنيا بالنعم التي من جملتها الإمهال، والرحمة في الآخرة بالعفو، لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الإفك، ولكن برحمته ستر عليكم في الدنيا، ويرحم في الآخرة من أتاه تائبًا. ١٥- أي: يرويه بعضكم عن بعض. وذلك أن الرجل منهم يلقى الرجل فيقول: بلغني كذا وكذا، ويتلقونه تلقيًا عن غير تحقق وإن قوله هذا مختص بالأفواه، من غير أن يكون واقعًا في الخارج، معتقدًا في القلوب وتحسبونه شيئًا يسيرًا لا يلحقكم فيه إثم وهو عظيم ذنبه وعقابه. ١٦- وهذا عتاب لجميع الذين خاضوا في إشاعة الإفك من المؤمنين: أي هلا إذ سمعتم حديث الإفك قلتم تكذيبًا للخائضين فيه، المفترين له: ما ينبغي لنا ولا يمكننا أن نتكلم بهذا الحديث ولا أن يصدر ذلك منا بوجه من الوجوه، تنزه الله وتقدس، هذا افتراء عظيم. ١٧- أي: ينصحكم الله، أو يحرم عليكم أن تعودوا لمثل هذا القذف مدة حياتكم إن كنتم بحق من أهل الإيمان. ١٨- ويوضح الله لكم آياته وأحكامه لتعملوا بذلك، وتتأدبوا بآداب الله والله عليم بما تبدونه وتخفونه وحكيم في تدبيراته لخلقه. ١٩- واعلموا أيها المؤمنون أن الذين يحبون أن يفشو الزنا وينتشر في المحصنين العفيفين من أهل الإيمان لهم عذاب موجع مؤلم في الدنيا بإقامة الحد عليهم وهم في الآخرة عذاب النار ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ١٩﴾ إلا ما علمكم به وكشفه لكم من أمر هؤلاء الذين لا يبغون لكم إلا السوء. ٢٠- أي: لعاجلكم بالعقوبة.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ
خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ
ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي
مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢١ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ
وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي
سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ
وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٢٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ
ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٢٣
يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ
٢٤ يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ
ٱلۡمُبِينُ ٢٥ ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ
وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ
مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٢٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ
وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧

٢١ - أي: لا تتبعوا مسالك الشيطان ومذاهبه، ولا تسلكوا طرائقه التي يدعوكم إليها ﴿وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ﴾ أي الشيطان ﴿يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ﴾ والفحشاء: ما أفرط قبحه، والمنكر: ما ينكره الشرع، ومن اتبع الشيطان صار مقتديًا به، يطيعه فيما يأمر به.

﴿مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا﴾ ما طهر أحد منكم نفسه من دنسها ما دام حيًّا ولكن الله يزكي من عباده بالتفضل عليهم والرحمة لهم ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لما يقولونه وعليم بجميع المعلومات، ومنها من يزكي نفسه ومن يوبقها.

٢٢ - ثم ينهى الله المؤمنين، وعلى رأسهم الصديق - رضي الله عنه - عن الحلف على ألا ينفقوا على أحد من أصحاب الإفك مثل مسطح - كي ينالوا مغفرة الله وعفوه. فلما نزلت هذه الآية الشريفة، قال الصديق - رضي الله عنه - بلى أنا أحب أن يغفر الله لي، وأعاد إلى مسطح - وهو من قرابته - نفقته التي كان ينفقها عليه، وكان قد أقسم ألا ينفق عليه بعد خوضه في حادثة الإفك.

٢٣ - أي: اللاتي لا تخطر الفاحشة ببالهن، ولا يفطن لها، ومنهن عائشة رضي الله عنها وسائر أزواج النبي ﷺ فمن قذف إحدى أزواج النبي ﷺ فهو من أهل هذه الآية ﴿لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ المراد باللعنة: الإبعاد عن رحمة الله، وضرب الحد، وهجر سائر المؤمنين لهم، وزوالهم عن رتبة العدالة، والبعد عن الثناء الحسن على ألسنة المؤمنين.

٢٤ - ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ﴾ في ذلك اليوم بما تكلموا به ﴿وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم﴾ بما عملوا بها في الدنيا، الله سبحانه ينطقها بالشهادة عليهم بذنوبهم التي اقترفوها.

٢٥ - أي: يعطيهم الله جزاءهم عليها موفرًا لا شك في ثبوته ﴿وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ٢٥﴾ في ذاته وصفاته وأفعاله.

٢٦ - أي: الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، أي: مختصة بهم لا تتجاوزهم، ﴿وَ﴾ كذا ﴿ٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ﴾ لا يتجاوزونهن، وهكذا قوله: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ﴾ وكان رسول الله ﷺ طيبًا فكان أولى أن تكون له الطيبة، وكانت عائشة الطيبة، وكانت أولى بأن يكون لها الطيب ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الطيبون والطيبات ﴿مُبَرَّءُونَ﴾ مما يقوله الخبيثون والخبيثات، وبهذا برئت عائشة أم المؤمنين بهذه الآية ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٢٦﴾ وهو رزق الجنة.

٢٧ - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ﴾ حتى تعلموا أن صاحب البيت قد علم بكم، وتعلموا أنه قد أذن بدخولكم، فإذا علمتم ذلك دخلتم وتلقوا السلام قبل الكلام كأن تقول: السلام عليكم أأدخل؟ مرة أو مرتين أو ثلاثًا ﴿ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ من الدخول فجأة لعلكم تتعظون.

فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْۖ وَإِن
قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ
فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾
قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْۚ
ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ
يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ
زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَاۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ
وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ
ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ
أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِيٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ
أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ
ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ
وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ
إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

٢٨- ويا أهل الإيمان فإن لم تجدوا أحدًا يأذن لكم بدخولها من جهة من يملك الإذن ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْۖ﴾ أي: إن قال لكم أهل البيت ارجعوا فارجعوا، ولا تعاودوهم بالاستئذان مرة أخرى ﴿هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْۚ﴾ أي: أفضل وأطهر من التدنس بالإلحاح على الدخول، لما في ذلك من سلامة الصدر، والبعد من الريبة، والفرار من الدناءة.

٢٩- وهي الفنادق والحوانيت ونحوها من المباني العامة لأن أصحابها جاءوا ببيوعهم فجعلوها فيها فذلك بدرجة الإذن للناس جميعًا. وقال عطاء: المراد بها الخرب والمتاع: المنفعة والأعيان التي تباع والله يعلم ما تظهرون وما تخفون، وفيه وعيد لمن لم يتأدب بآداب الله في دخول بيوت الغير.

٣٠- ولما ذكر حكم الاستئذان، أتبعه بذكر حكم النظر على العموم، وغض البصر من المستأذن لقطع ذرائع الزنى التي منها النظر، هُم أحق من غيرهم بها وأولى بذلك ممن سواهم. وغض البصر: أن يخفض بعض بصره بحيث تمتنع الرؤية، قيل: وجه التبعيض أنه يعفى للناظر عن أول نظرة تقع من غير قصد ﴿وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْۚ﴾ عما يحرم عليهم ﴿ذَٰلِكَ﴾ الغض والحفظ أطهر من دنس الريبة وأطيب من التلبس بهذه الدنيئة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ وعيد لمن لم يغض بصره أو لم يحفظ فرجه. ٣١- ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ﴾ يستدل به على تحريم نظر النساء إلى ما يحرم عليهن، ويجب عليهن حفظ فروجهن على الوجه الذي تقدم في حفظ الرجال لفروجهم ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ من الحلية وغيرها، وهذا نهي عن إبداء مواضعها من أبدانهن بالأولى ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَاۖ﴾ هو الثياب والوجه والكفان. والخمر: جمع خمار، وهو ما تغطي به المرأة رأسها، والجيوب: جمع جيب، وهو موضع القطع من الدرع والقميص من حيث يدخل الرأس وزينتهن الباطنة كالتي في الشعر أو على الصدر إلا لأزواجهن. ويدخل في قوله ﴿أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ﴾ أولاد أبنائهن وإن سفلوا، وأولاد بناتهن وإن سفلن، وكذا آباء البعولة وآباء الآباء وآباء الأمهات وإن علوا، وكذلك أبناء البعولة وإن سفلوا، وكذلك أبناء الإخوة والأخوات، والعم والخال كسائر المحارم في جواز النظر إلى ما يجوز لهم، والرضاع كالنسب ﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ هن المختصات بهن الملابسات لهن بالخدمة أو الصحبة، ويدخل في ذلك الإماء، قيل ويخرج من ذلك نساء الكفار من أهل الذمة وغيرهم ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ يشمل العبيد والإماء مسلمين أو كافرين ﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ وهم من يتبع أهل البيت ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ﴾ يقال: للإنسان طفل ما لم يراهق، ولم يبلغ حد الشهوة للجماع، ولا يلتفت إلى مفاتن المرأة، ولا تضرب المرأة برجلها إذا مشت ليسمع صوت خلخالها، ثم يدعو الله تعالى عباده المؤمنين إلى التوبة، ولا خلاف في وجوبها، وأنها فرض من =

وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن
يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٣٢
وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغۡنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ
وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَكَاتِبُوهُمۡ إِنۡ
عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗاۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمۡۚ وَلَا
تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ عَلَى ٱلۡبِغَآءِ إِنۡ أَرَدۡنَ تَحَصُّنٗا لِّتَبۡتَغُواْ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ
ٱلدُّنۡيَاۚ وَمَن يُكۡرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعۡدِ إِكۡرَٰهِهِنَّ غَفُورٞ رَّحِيمٞ
٣٣ وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖ وَمَثَلٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ
مِن قَبۡلِكُمۡ وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ٣٤ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ
ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ
لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ
نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ
لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٣٥ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ
وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ٣٦

ربع الحزب ٣٦

= فرائض الدين كي يفوزون بسعادة الدنيا والآخرة.

٣٢- والأيم: الرجل الذي لا زوجة له، والمرأة التي لا زوج لها، بكرًا كانت أو ثيبًا، والنكاح سنة من السنن المؤكدة لقوله ﷺ: «ومن رغب عن سنتي فليس مني» ولكن مع القدرة عليه وعلى مؤونته، والصالحين من عبيدكم ومملوكاتكم، والصلاح: هو الإيمان ولا تمتنعوا من تزويج الأحرار بسبب فقر الرجل أو المرأة. فمن تزوج يغنه الله، يغنيه بغنى النفس، والله ذو سعة لا ينقص من سعة ملكه غنى من يغنيه من عباده، عليم بمصالح خلقه.

٣٣- أي: وليطلب العفة عن الزنى والحرام من لا يجد تكلفة النكاح من المهر والنفقة أو لم يجد زوجًا مناسبًا حتى يرزقهم الله من فضله رزقًا يستغنون به، ويتمكنون بسببه من النكاح، والكتاب أن يكاتب الرجل عبده على مال يؤديه منجمًا، فإذا أداه فهو حر، والخير هو القدرة على الأداء ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمۡۚ﴾ بأن يحطوا عنهم مما كوتبوا عليه، وذلك إذا أدوا ما كوتبوا عليه من المال والمراد بالفتيات هنا: الإماء، والبغاء: الزنى بأجر، وهذا مختص بزنى النساء، كانوا يكرهونهن وهن يردن التعفف ليطلبوا ما تكسبه الأمة بفرجها باعتبار أن عادتهم كانت كذلك، ومن يقهرهن فإن الله تعالى من بعد قهرهن غفور لهن رحيم بهن. ٣٤- ولقد أنزلنا إليكم آيات واضحات ومثلاً كأمثال الذين مضوا من القصص العجيبة المضروبة لهم في الكتب السابقة وموعظة ينتفع بها المتقون خاصة.

٣٥- والله هو نور السماوات والأرض، ومثل نوره الفائض عنه والذي جعله في قلب عبده المؤمن كمصباح في مشكاة وهي الكوة في الحائط غير النافذة فهي أجمع للضوء، والمصباح في زجاجة ، فالمصباح فيه أنور منه في غير الزجاج، وهذه الزجاجة لصفائها مثل الكوكب الشديد الإنارة، ويوقد فتيل المصباح من زيت شجرة مباركة هي الزيتونة، وهذه الشجرة ليست شرقية حتى لا تصيبها الشمس إذا طلعت ولا غربية حتى لا تصيبها الشمس إذا غربت بل شرقية وغربية معًا فيكاد دهنها من صفائه أن يضيء قبل أن تصيبه النار، فنور المصباح على نور الزجاجة إلى ضوء الزيت وكذلك نور القرآن والإيمان حين اجتمعا ويهدي الله لنورهما من يشاء، ويبين الله تعالى تلك الأشياء بأشباهها ونظائرها تقريبًا لها إلى الأفهام والله تعالى بكل شيء عليم.

٣٦- وهي المساجد أذن الله أن تبنى وتعظم، ويرفع شأنها وتنزه عن الأنجاس والأقذار ويذكر فيها اسمه بالأذان والتسبيح وسائر الأذكار. فهي خير بيوت في الأرض يسبح له فيها بأوائل النهار وأواخره، وذلك في صلاة الصبح والعصر.

رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ
ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ٣٧
لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ
مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ٣٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ
بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا
وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ٣٩
أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن
فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ
يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ٤٠ أَلَمْ تَرَ أَنَّ
ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ
عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ٤١ وَلِلَّهِ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ٤٢ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى
سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ
خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ
وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ٤٣

٣٧- عن ابن عباس قال: كانوا رجالاً يبتغون، من فضل الله يشترون ويبيعون، فإذا سمعوا النداء بالصلاة ألقوا ما في أيديهم وقاموا إلى المسجد فصلوا ﴿عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ بأسمائه الحسنى وإقام الصلاة لمواقيتها من غير تأخير ﴿وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ المفروضة. يخافون يوم القيامة والذي من شدائده تتقلب فيه القلوب والأبصار.

٣٨- ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟﴾ حسبها وعدهم من تضعيف ذلك إلى عشرة أمثاله، وإلى سبعمائة ضعف ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ بما فوق الجزاء الموعود به.

٣٩- وهي أعمال الخير إن عملوها، كالصدقة، والصلة، وعمارة البيت، وسقاية الحاج. والسراب: ما يرى في المفاوز عند اشتداد حر النهار على صورة الماء في ظن من يراه، والقيعة: جمع قاع، وهو الموضع المنخفض الذي يستقر فيه الماء، وهكذا الكفار يعولون على أعمالهم التي يظنونها من الخير ويطمعون في ثوابها، فإذا قدموا على الله سبحانه لم يجدوا منها شيئًا، لأن الكفر أحبطها ومحا أثرها وإذا أتاه الموت لم يجد عمله يغني عنه شيئًا، ولا ينفعه إلا كما نفع السراب العطشان.

٤٠- وضرب الله مثلاً آخر لأعمال الكفار، فهي أيضًا تشبه الظلمات ﴿فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ﴾ وهو الذي لا يدرك لعمقه ويعلو هذا البحر موج فيستره ويغطيه بالكلية ومن فوق هذا الموج موج آخر ﴿مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ﴾ فيجتمع عليهم خوف البحر وأمواجه، والسحاب المرتفعة فوقه، لأنها تستر النجوم التي يهتدي بها من في البحر ﴿ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ من الجهل والشك والحيرة، والرين، والختم، والطبع على قلبه ﴿إِذَآ أَخْرَجَ﴾ المبتلى بهذه الظلمات في البحر يده لم يكد يراها إلاَّ من بعد الجهد ومن لم يجعل الله له هداية فما له من هداية.

٤١- ألم تعلم يا محمد بعقلك وتشاهد بعينيك أن الله تعالى يتنزه عن كل ما لا يليق به من في السموات والأرض من العقلاء وغيرهم والطير الباسطات أجنحتها في الهواء وكل مصل ومسبح علم الله صلاته وتسبيحه والله تعالى عليم بعلمه الشامل لما يفعلون.

٤٢- ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: له لا لغيره ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ٤٢﴾ لا إلى غيره، والمصير: الرجوع بعد الموت.

٤٣- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا﴾ يسوق السحاب سوقًا رفيقًا إلى حيث يشاء؛ ثم يؤلف بين أجزائه فيضم بعضه إلى بعض، ويجمعه بعد تفرقه ليقوى ويتصل ويكثف ثم يجعله متراكمًا يركب بعضه بعضًا والودق: المطر ﴿مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ أي: من داخل السحاب وينزل الله من السماء جبالاً من برد فيصيب من يشاء منهم يكاد ضوء البرق الذي في السحاب من شدة بريقه وزيادة لمعانه يخطف أبصارهم.

يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٤
وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن
يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٤٥ لَّقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖۚ
وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٤٦ وَيَقُولُونَ
ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ
ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٧ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ
لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ٤٨ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ
يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ٤٩ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ
أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٥٠
إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ
أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥١ وَمَن
يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ
٥٢ ۞ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِنۡ أَمَرۡتَهُمۡ لَيَخۡرُجُنَّۖ قُل
لَّا تُقۡسِمُواْۖ طَاعَةٞ مَّعۡرُوفَةٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٥٣

نصف الحزب ٣٦

٤٤- يقلب الله الليل والنهار يعاقب بينهما، وقيل: بالحر والبرد ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ﴾ وهي الدلالة الواضحة التي يكون بها الاعتبار لكل من له بصر يبصر به فيعقل آيات الله.

٤٥- الدابة: كل ما دب على الأرض من الحيوان ﴿مِّن مَّآءٖ﴾ من نطفة، وهي المني ﴿فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ﴾ وهي الحيات والحوت والدود ونحو ذلك ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ﴾ الإنسان والطير ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖ﴾ سائر الحيوانات ﴿يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ مما ذكره هاهنا، ومما لم يذكره مما يمشي على أكثر من أربع، كالسرطان والعناكب وكثير من الحشرات وكالجمادات، مركبها وبسيطها،ناميها وغير ناميها.

٤٦- ﴿لَّقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖ﴾ وما فرطنا في الكتاب من شيء ﴿وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ بتوفيقه للنظر الصحيح وإرشاده إلى التأمل الصادق إلى طريق مستو لا عوج فيه، فيتوصل بذلك إلى نعيم الجنة.

٤٧- ويظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، ويقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ويلتزمون الطاعة لله ورسوله بمجرد اللسان، لا عن اعتقاد صحيح من هؤلاء المنافقين، فلا يطيعون رسول الله ﷺ فيما يأمرهم به من الجهاد وغيره، من بعد ما صدر عنهم ما نسبوه إلى أنفسهم من دعوى الإيمان والطاعة وما ذاك بصفات المؤمنين الصادقين في إيمانهم.

٤٨- وإذا طلبوا للخضوع لحكم الله ورسوله إذا فريق منهم يعرضون عن المحاكمة إلى الرسول إذا كان الحق عليهم وذلك من نفاقهم.

٤٩- ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ مظهرين الخضوع لأنهم يعلمون أنه سيحكم لهم.

٥٠- أي: أكان الإعراض منهم عن التحاكم إلى النبي ﷺ بسبب النفاق الكائن في قلوبهم أو شكوا في أمر نبوته ﷺ وعدله في الحكم ﴿أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥ﴾ والحيف: الميل في الحكم وليس ذلك لشيء مما ذكر، بل لظلمهم وعنادهم.

٥١- المعنى: أنه ينبغي للمؤمنين أن يكونوا هكذا، بحيث إذا سمعوا الدعاء المذكور قابلوه بالطاعة والإذعان، فهم يقولون: سمعنا قول النبي ﷺ وأطعنا أمره، وإن كان ذلك فيما يكرهونه ويضرهم وأولئك المؤمنون الذين قالوا هذا القول الفائزون بخير الدنيا والآخرة.

٥٢- أي: بالنعيم الدنيوي والأخروي لا من عداهم.

٥٣- وأقسم المنافقون بالله طاقة ما قدروا أن يحلفوا: لئن خرجت لنخرجن معك ولئن قاتلت لنقاتلن معك فرد الله عليهم لا تحلفوا على ما تزعمونه من الطاعة والخروج إلى الجهاد إن أمرتم به، طاعة معروفة أولى بكم من إيمانكم إن الله خبير بما تعملون من الأعمال، أي: فلماذا تقسمون إن كنتم صادقين.

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ
وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ
إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ
الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ
وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي
شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾
وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ
وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ
ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ
وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ
وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ
بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾

٣٥٧

٥٤- أي: طاعة ظاهرة وباطنة بخلوص اعتقاد وصحة نية فإن تتولوا فاعلموا أنما على النبي ﷺ ما حمل مما أمر به من التبليغ، وقد فعل وعليكم ما أمرتم به من الطاعة وإن تطيعوه فيما أمركم به ونهاكم عنه تهتدوا إلى الحق وترشدوا إلى الخير وتفوزوا بالأجر وما عليك إلا البلاغ والبيان.

٥٥- ويبشر الله المؤمنين بالنصر والتمكين في الأرض فليورثنهم أرض الكفار وليصبحن ملوكها وساستها كما مكن الله من قبل بني إسرائيل وغيرهم وليظهرن دينهم وهو الإسلام على جميع الأديان، يكون الملك لهم ولعقبهم من بعدهم ما داموا على ذلك ويجعل لهم مكان ما كانوا فيه من الخوف من الأعداء أمنًا، بحيث لا يخشون إلا الله سبحانه ولا يرجون غيره. وقد كان المسلمون قبل الهجرة وبعدها بقليل في خوف شديد من المشركين، لا يخرجون إلا في السلاح، ولا يمسون ولا يصبحون إلا على ترقب لنزول المضرة بهم من الكفار. ثم صاروا في غاية الأمن والدعة، وأذل الله لهم شياطين المشركين، وفتح البلاد، ومهد لهم في الأرض ومكنهم منها، فلله الحمد ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ أي: هذا ما يلزمهم فعله لكي أوفي لهم بالوعد المذكور، ومن كفر هذه النعم بعد ذلك الوعد الصحيح فأولئك الكافرون الكاملون في الفسق، وهو الخروج عن الطاعة، والطغيان في الكفر.

٥٦- أي: افعلوا ما ذكر راجين أن يرحمكم الله سبحانه.

٥٧- أي: لا تظن أنهم يفوتونني إذا أردت أن أوقع بهم العذاب.

٥٨- أي: يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم العبيد والإماء والأطفال الذكور والإناث الذين لم يبلغوا في ثلاث أوقات في اليوم والليلة، ﴿مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ﴾ لأنه وقت القيام عن المضاجع، وطرح ثياب النوم، ولبس ثياب اليقظة، وربما يبيت عريانًا، أو على حال لا يحب أن يراه غيره فيها ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ﴾ فإنهم قد يتجردون عن الثياب لأجل القيلولة ﴿وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ﴾ لأنه وقت التجرد عن الثياب والخلوة بالأهل والعورات: الساعات التي تكون فيها العورة، أي: هي ثلاث أوقات يختل فيها الستر. وقد قيل: حكم هذه الآية منسوخ، وكان ذلك حين لم يكن للبيوت أبواب، فلما صار للناس أبواب زالت الحاجة إلى الاستئذان، وقيل: بل حكمها ثابت في حق الرجال والنساء، يجب عليهم أن يأمروا صبيانهم ومماليكهم بالاستئذان في تلك الأوقات إذا دخلوا عليهم، وليس لهم أن يدخلوا بغير إذن، وأما غيرهم فليستأذنوا في كل الأوقات كذلك يبين الله لكم الآيات الدالة على ما شرعه لكم من الأحكام والله كثير العلم بالغ الحكمة.

وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ
عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ
نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ
غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ
حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟
مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ
أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟
جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ
تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ
يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

٥٩- وإذا بلغ الصبيان سن البلوغ فعليهم أن يستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم من الكبار الذين أمروا بالاستئذان في أوقات العورات وغيرها كذلك يبين الله أحكامه، والله عليم بأمور خلقه، حكيم فيما يشرع لهم.

٦٠- ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ والعجائز اللاتي قعدن عن الحيض والولد من الكبر بحيث لا يُطمع فيهن لكبرهنّ فلا حرج في أن تضع خمارها أو عباءتها إذ لا رغبة للرجال فيهن حال كونهن غير مظهرات للزينة التي أُمرنَ بإخفائها في قوله: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ وإن يتركن وضع الثياب فهو خير لهن من وضعها والله كثير السماع والعلم بليغهما.

٦١- ثم يدعو الإسلام إلى الألفة والمودة بين المسلمين ويحض على البر والإحسان، ولذا رفع الحرج عن الأعمى، والأعرج، والمريض في كل ما يضطرهم إليه العذر، وليس عليكم حرج في أن تأكلوا من بيوتكم، أو بيوت أقاربكم كبيوت الآباء والأمهات والإخوان، والأخوات، والأعمام والعمات، والأخوال والخالات، أو البيوت التي تملكون التصرف فيها بإذن أربابها كالوكلاء والعبيد والخزان وحارس البستان، أو بيوت أصدقائكم، وليس عليكم حرج أن تأكلوا كيف شئتم جميعًا أو أشتاتًا، فإذا دخلتم بيوتًا لكم أو لغيركم فليسلم بعضكم على بعضٍ، تحية كثيرة البركة والخير، قد شرعها الله تعالى وكذلك يبين الله تعالى أحكامه واضحة مفسرة، ليتدبرها أهل الإيمان ولكي يعقلوا ما جاء فيها.

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ
عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ
أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ
لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ
ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ
بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ
أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ
مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ
يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾

سُورَةُ الفُرْقَانِ

ترتيبها ٢٥ — آياتها ٧٧

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ثلاثة أرباع الحزب ٣٦

تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا
﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ
يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾

٣٥٩

٦٢- أي: على أمر طاعة يجتمعون عليها، نحو الجمعة والنحر والفطر والجهاد وأشباه ذلك ﴿لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾ قال المفسرون: كان رسول الله ﷺ إذا صعد المنبر يوم الجمعة، وأراد الرجل أن يخرج من المسجد لحاجة أو عذر، لم يخرج حتى يقوم بحيال النبي ﷺ بحيث يراه، فيعرف أنه إنما قام ليستأذن، فيأذن لمن يشاء منهم. وكذلك ينبغي أن يكونوا مع الإمام لا يخالفونه، ولا يرجعون عنه في جمع من جموعهم إلا بإذنه. وللإمام أن يأذن، وله ألا يأذن، على ما يرى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ تأكيد لما في أول الآية، أي إن المستأذنين: هم المؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض الأمور التي تهمهم ﴿فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ وله أن يمنع من شاء، على حسب ما تقتضيه المصلحة التي يراها ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ﴾ فيه إشارة إلى أن الاستئذان وإن كان لعذر مسوغ، فلا يخلو عن شائبة إيثار أمر الدنيا على الآخرة.

٦٣- أي: لا تجعلوا نداءه لكم كالدعاء من بعضكم لبعض في التساهل في بعض الأحوال عن الإجابة، أو الرجوع بغير استئذان، أو رفع الصوت. وقيل المعنى: لا تتعرضوا لدعاء الرسول عليكم بإسخاطه، فإن دعوته موجبة والله تعالى يعلم المنافقين فإنهم كانوا يتسللون عن صلاة الجمعة متلاوذين، ينضم بعضهم إلى بعض استتارًا من رسول الله ﷺ واللواذ: الروغان خفية ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ يخالفون أمر النبي ﷺ بترك العمل بمقتضاه، ويتسللون ليتجنبوا العمل بطاعته أن تصيبهم فتنة القتل في الدنيا أو يصيبهم عذاب موجع في الآخرة.

٦٤- ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ المخلوقات بأسرها ويعلم ما عليه من الإيمان والنفاق وسيجازيهم به يوم القيامة عندما يرجعون إليه، فيجازيهم فيه بما عملوا. والله تعالى بكل شيء من أعمال العباد وأقوالهم عليم.

سُورَةُ الفُرْقَانِ

وهي مكية في قول الجمهور. تبدأ السورة ببيان أن الله تعالى جاء بالبركة الكبرى وهي الكثرة من كل خير، عندما أنزل القرآن الكريم على خاتم المرسلين ووصفه بالعبودية تكريمًا له وتشريفًا، ليكون محمد ﷺ منذرًا للإنس والجن ومحذرًا من الهلاك إذا لم يؤمنوا. ٢- ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ دون غيره فهو المتصرف فيهما، ويفتقر الكل إليه في الوجود والبقاء ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ فيه رد على النصارى واليهود ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ رد على طوائف المشركين من الوثنية والثنوية وأهل الشرك الخفي ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ من الموجودات بحكمته على ما أراد، وهيأه لما يصلح له وقدر له تقديرًا من الأجل والرزق، فجرت =

وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ
وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا
وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ
ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا
﴿٤﴾ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ
عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ
فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُواْ
مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ
لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ
إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ
ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ
كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ
جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ﴿١٠﴾ بَلْ
كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾

المقادير على ما خلق وقدر.

٣- أي: واتخذ المشركون لأنفسهم آلهة غير الله تعالى لا يقدرون على خلق شيء من الأشياء ويخلقهم الله سبحانه ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ فكيف يملكون ذلك لمن يعبدهم؟ ولا يقدرون على إماتة الأحياء ولا إحياء الموتى، ولا بعثهم من القبور.

٤- أي: وقالوا: ليس هذا القرآن إلا نوعًا من الكذب اختلقه محمد من عند نفسه، وأعانه على الاختلاق والافتراء بعض اليهود والنصارى فقد قالوا ظلمًا هائلاً عظيمًا وكذبًا ظاهرًا.

٥- أي: قالوا: إن هذا القرآن أحاديث الأولين وما سطروه من الأخبار والخرافات استكتبها من أناس آخرين أو: كتبها لنفسه تلقى عليه تلك الأساطير بعد ما اكتتبها ليحفظها من أفواه من يمليها عليه، لكونه أميًّا لا يقدر على أن يقرأها من ذلك المكتوب بنفسه، غدوة وعشيًّا، كأنهم قالوا: إن هؤلاء يعلمون محمدًا طرفي النهار، وقيل المعنى: دائمًا في جميع الأوقات.

٦- أي: ليس ذلك مما يفترى أو يُفتعل بإعانة قوم وكتابة آخرين من الأحاديث الملفقة وأخبار الأولين، بل هو أمر سماوي أنزله الذي يعلم كل شيء، لا يغيب عنه شيء من الأشياء، فلهذا عجزتم عن معارضته، ولم تأتوا بسورة من مثله ولا يعجل عليكم بالعقوبة، لأنه كثير المغفرة والرحمة.

٧- سموه رسولاً استهزاء وسخرية أي: ما باله يأكل الطعام كما نأكل، ويتردد في الأسواق لطلب المعاش كما نتردد؟ زعموا أنه إن كان رسولاً حقًّا يجب أن يكون ملكًا مستغنيًا عن الطعام والكسب وطلبوا أن يكون مصحوبًا بملك يعضده ويساعده ويصدقه ويشهد له بالرسالة.

٨- واقترحوا أن يكون معه كنز يلقى إليه من السماء، ليستغني به عن طلب الرزق أو بستان يأكل منه ليكون له بذلك مزية علينا وقال الظالمون: إن تتبعون إلا رجلاً مغلوبًا على عقله بالسحر.

٩- أي: ليتصلوا بها إلى تكذيبك، والأمثال: هي الأقوال النادرة، والاقتراحات الغريبة، وهي ما ذكروه هاهنا فضلوا عن الصواب فلا يستطيعون سبيلاً إلى القدح في نبوة هذا النبي الكريم.

١٠- وتقدس الله تعالى فهو الذي يستطيع أن يجعل لنبيه ﷺ خيرًا من ذلك الذي اقترحوه جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورًا مشيدة عالية.

١١- أي: بل أتوا بأعجب من ذلك كله، وهو تكذيبهم بالساعة، فلهذا لا ينتفعون بالدلائل ولا يتأملون فيها ولقد أعد الله لمن كذب بالقيامة نارًا مشتعلة متسعرة يعذب فيها.

إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ
أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾
لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ
أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ
لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ
كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا
يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى
هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ
يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ
وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ
كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا
نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾
وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ
ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ
لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

١٢- التغيظ: أن لها صوتًا يدل على التغيظ على الكفار، والزفير: هو الصوت الذي يسمع من الجوف عند شدة الحنق. ١٣- وصف المكان بالضيق للدلالة على زيادة الشدة وتناهي البلاء وقد قرنت أيديهم إلى أعناقهم بالجوامع مصفدين بالحديد، وقيل: قرنوا مع الشياطين: أي: قرن كل واحد منهم إلى شيطانه وهم يكون وعلى أنفسهم يدعون، ويقولون: يا هلاكًا لنا، يا ويلنا... فيتمنون هنالك الهلاك، لأنفسهم، وينادونه لما حل بهم من البلاء.

١٤- أي: لا تدعوا على أنفسكم بالثبور دعاء واحدًا، وادعوه أدعية كثيرة، فإن ما أنتم فيه من العذاب أشد من ذلك، لطول مدته، وعدم تناهيه، والمراد: إقناطهم عن حصول ما يتمنونه من الهلاك المنجي لهم مما هم فيه.

١٥- أي: أتلك الحال المذكورة، في السعير الدائم عذابها، خير، أم جنة الخلد الدائم نعيمها لا انقطاع له.

١٦- لهم فيها ما يحبون من النعيم وضروب الملاذ وكان ذلك على الله وعدًا جديرًا بأن يطلب ويسأل فيسألونه الوفاء به وهو مجيبهم إليه.

١٧- أي: من الأصنام والأوثان والملائكة والجن والمسيح وعزير، وقيل: المراد الأصنام خاصة؛ أكان ضلالهم بدعوتكم لهم إلى عبادتكم، أم هم ضلوا عن سبيل الحق بأنفسهم إذ عبدوكم.

١٨- ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ﴾ للتعجب مما قيل لهم لكونهم ملائكة أو أنبياء مكرمين، أو جمادات لا تعقل، وما صح ولا استقام لنا أن نتخذ من دونك أولياء فنعبدهم، فكيف ندعو عبادك إلى أن يعبدونا، ويتركوا عبادتك، مع كوننا لا نعبد غيرك، ولكنك يا رب متعتهم ومتعت آباءهم بالنعم، ووسعت عليهم الرزق، وأطلت لهم العمر، حتى غفلوا عن ذكرك، ونسوا موعظتك، والتدبر لكتابك، والنظر في عجائب صنعك، وغرائب مخلوقاتك وصاروا بنسيانهم لذكرك هالكين.

١٩- ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ﴾ فقال الله عند تبري المعبودين مخاطبًا للمشركين العابدين لغير الله: ها قد كذبكم المعبودون في قولكم إنهم آلهة فما يستطيع هؤلاء الكفار لما كذبهم المعبودون صرفًا للعذاب الذي عذبهم الله به ولا يجدون أحدًا ينصرهم من عذاب الله.

٢٠- أي: لأنهم بشر لا يستغنون عن حاجاتهم البشرية، أي: فكذلك أنت يا محمد، فليس ذلك مانعًا من أن تكون رسولاً من عند الله، فلماذا يقولون: ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق وكان إذا أراد الشريف أن يُسْلِم، ورأى الوضيع قد أسلم قبله أنِف، وقال: لا أسلم بعده، فيكون له عليّ السابقة والفضل، فيقيم على كفره أتصبرون على الحق على ما ترون من هذه الحال الشديدة والابتلاء العظيم وكان ربك بصيرًا بمن يصبر ومن لا يصبر.

۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ
أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا
﴿٢١﴾ يَوۡمَ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشۡرَىٰ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُجۡرِمِينَ وَيَقُولُونَ
حِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ
هَبَآءٗ مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا
وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا ﴿٢٤﴾ وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ
تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى
ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرٗا ﴿٢٦﴾ وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ
يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ
فُلَانًا خَلِيلٗا ﴿٢٨﴾ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ
وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ
يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ
جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا
وَنَصِيرٗا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ
وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴿٣٢﴾

٢١- أي: لا يأملون لقاء ما وعدنا على الطاعة من الثواب، هلا أنزلوا علينا رسلاً يرسلهم الله أو نرى ربنا عيانًا فيخبرنا بأن محمدًا رسول من عنده.

أضمروا الاستكبار عن الحق والعناد في قلوبهم، فإنهم لم يكتفوا بإرسال البشر حتى طلبوا إرسال الملائكة إليهم، بل جاوزوا ذلك إلى التخيير بينه وبين مخاطبة الله سبحانه، ورؤيته في الدنيا، من دون أن يكون بينهم وبينه ترجمان.

٢٢- أي: إنهم سوف يرون الملائكة، لكنها رؤية ليست على الوجه الذي طلبوه، والصورة التي اقترحوها، بل على وجه آخر، وهو يوم ظهور الملائكة لهم عند الموت، أو عند الحشر وقد حرمهم الله فيه البشرى ويقولون حجرًا محجورًا وهذه كلمة كانوا يتكلمون بها عند لقاء عدو أو هجوم نازلة يستعيذون بها منه.

٢٣- أي: كانوا يعملون أعمالاً لها صورة الخير: من صلة الرحم، وإغاثة الملهوف، وإطعام الطعام وأمثالها، إلا أن الله سبحانه أحبط أعمالهم بسبب كفرهم وشركهم حتى صارت بمنزلة الهباء المنثور.

٢٤- أي: أفضل منزلاً في الجنة وهو مكان اضطجاعهم في الجنان.

٢٥- أي: يوم القيامة تتشقق السماء وعليها غمام، وقيل: إنها تشقق لنزول الملائكة جماعة منهم بعد جماعة.

٢٦- ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ﴾ وأما في أيام الدنيا فلغيره مُلكٌ في الصورة وإن لم يكن حقيقيًا ﴿وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرٗا ﴿٢٦﴾﴾ لما يصابون به فيه من العقاب بعد تحقيق الحساب، وأما على المؤمنين فهو يسير غير عسير، لما ينالهم فيه من الكرامة والبشرى العظيمة. ٢٧- وفي يوم القيامة يندم ويتحسر كل ظالم ويعض على أصابعه حسرة وندمًا يقول: يا ليتني اتخذت مع الرسول طريق الحق حتى أخلص من هذه الأمور المضلة. والمراد اتباع النبي ﷺ فيما جاء به.

٢٨- أي: دعاء على نفسه بالويل والثبور على مخاللة الكافر الذي أضله في الدنيا.

٢٩- أي: لقد أضلني هذا الذي اتخذته خليلاً عن القرآن، بعد أن جاءني، وتمكنت من الإيمان به، وقدرت عليه، وكان متبرئًا ممن اتبع هواه وصار في غوايته.

٣٠-أي: اتخذوا هذا القرآن متروكًا لم يؤمنوا به، ولا قبلوه بوجه من الوجوه. وقيل المعنى: أنهم اتخذوه هُجرًا وهذيانًا.

٣١- أي: فلا تجزع يا محمد فإن هذا دأب الأنبياء قبلك، واصبر كما صبروا وكفى بربك هاديًا يهدي عباده إلى مصالح الدين والدنيا، وينصرهم على الأعداء، أي: فكذلك سوف يصنع الله لك.

٣٢- أي: نزلنا القرآن كذلك مفرقًا منجمًا بحسب الحوادث، لنقوّي بهذا التنزيل فؤادك، فإن إنزاله مفرقًا منجمًا على حسب =

وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ٣٣
ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ
مَّكَانٗا وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ٣٤ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ
وَجَعَلۡنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرٗا ٣٥ فَقُلۡنَا ٱذۡهَبَآ إِلَى
ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرۡنَٰهُمۡ تَدۡمِيرٗا ٣٦ وَقَوۡمَ
نُوحٖ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغۡرَقۡنَٰهُمۡ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ لِلنَّاسِ
ءَايَةٗۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمٗا ٣٧ وَعَادٗا وَثَمُودَاْ
وَأَصۡحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونَۢا بَيۡنَ ذَٰلِكَ كَثِيرٗا ٣٨ وَكُلّٗا ضَرَبۡنَا
لَهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَۖ وَكُلّٗا تَبَّرۡنَا تَتۡبِيرٗا ٣٩ وَلَقَدۡ أَتَوۡاْ عَلَى ٱلۡقَرۡيَةِ
ٱلَّتِيٓ أُمۡطِرَتۡ مَطَرَ ٱلسَّوۡءِۚ أَفَلَمۡ يَكُونُواْ يَرَوۡنَهَاۚ بَلۡ
كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ نُشُورٗا ٤٠ وَإِذَا رَأَوۡكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ
إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ٤١ إِن كَادَ
لَيُضِلُّنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا لَوۡلَآ أَن صَبَرۡنَا عَلَيۡهَاۚ وَسَوۡفَ
يَعۡلَمُونَ حِينَ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ مَنۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ٤٢ أَرَءَيۡتَ
مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا ٤٣

= الحوادث أقرب وهو أقرب إلى حفظك له وفهمك لمعانيه، لأنهم لا يسألونك عن شيء إلا أجيبوا عنه آية بعد آية وبعضه في إثر بعض، محققًا مبينًا.

٣٣- ولا يأتيك المشركون يا محمد بمثل من أمثالهم التي من جملتها اقتراحاتهم المعنية، إلا جئناك في مقابلة مثلهم بالجواب الحق الثابت الذي يبطل ما جاءوا به من المثل، ويدمغه ويدفعه وأحسن إيضاحًا لمشكل ما جاءوك به.

٣٤- منزلاً ومصيرًا ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾ وذم لهم لدعواهم على رسول الله الضلال.

٣٥- ولقد آتينا موسى التوراة وجعلنا معه أخاه هارون معينًا وناصرًا ومشيرًا لأخيه، مع كونه نبيًّا أيضًا.

٣٦- وهم فرعون وقومه. والآيات: هي التسع التي تقدم ذكرها، وإن لم يكونوا قد كذبوا بها عند أمر الله لموسى وهارون بالذهاب، بل كان التكذيب بعد ذلك، فالمراد: إلى القوم الذين آل حالهم إلى أن كذبوا فأهلكناهم إثر ذلك التكذيب إهلاكًا عظيمًا.

٣٧- أي: كذبوا نوحًا وكذبوا من قبله من رسل الله. ومن كذب نبيًّا فقد كذب جميع الأنبياء. وكان إغراقهم بالطوفان. وجعلنا إغراقهم، أو قصتهم عبرة لكل الناس ﴿وَأَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ قوم نوح وكل من سلك مسلكهم في التكذيب.

٣٨- الرسّ في كلام العرب: البئر التي تكون غير مطوية. قيل: هي بئر بأنطاكية، قتلوا فيها حبيبًا النجار، فنسبوا إليها وأمّا أخرى بين تلك الأمم أهلكهم الله لما كذبوا رسلهم.

٣٩- وكلاً خوفناهم وقصصنا عليهم أخبار المكذبين وكلاً دمرناهم تدميرًا.

٤٠- المعنى: ولقد أتوا: أي: مشركو مكة، على قرية قوم لوط التي هلكت بالحجارة التي أمطروا بها أفلم يكونوا يرون ما نزل بها عند سفرهم إلى الشام للتجارة، فإنهم يمرون بها ﴿بَلۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ نُشُورٗا ٤٠﴾ أي: الحق أنهم لا يخافون البعث للجزاء، فذلك هو السبب في عدم اتعاظهم. ٤١- أي: بدل الإيمان بك والتفكر فيما جئتهم به ينصرفون إلى السخرية قائلين: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ٤١﴾. ٤٢- أي: إنه قد كاد أن يصرفنا عن آلهتنا فنترك عبادتها لولا أن حبسنا أنفسنا على عبادتها، ولم نطعه في اجتنابها وسوف يعلمون حين يرون العذاب الذي يستحقونه ويستوجبونه بسبب كفرهم من هو أبعد طريقًا عن الحق والهدى، أهم أم المؤمنون؟ ٤٣- أرأيت من أطاع هواه طاعة كطاعة الإله، لا يهوى شيئًا إلا اتبعه أفأنت تكون عليه حفيظًا وكفيلاً حتى ترده إلى الإيمان وتخرجه من الكفر، ولست تقدر على ذلك ولا تطيقه، وإنما عليك البلاغ.

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا
كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ
الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا
﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ
لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾
وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ وَأَنْزَلْنَا
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ
مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ
لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا
لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ
وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ۞ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ
الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا
وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ
نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾

ربع الحزب ٣٧

٤٤- واعلم يا محمد أن أكبر مشركي مكة كالبهائم التي هي مسلوبة الفهم والعقل، فلا تطمع فيهم بل هم أضل من الأنعام طريقًا: فالبهائم تعرف ربها، وتهتدي إلى مراعيها، وتنقاد لأربابها، وهؤلاء لا ينقادون، ولا يعرفون ربهم الذي خلقهم ورزقهم، ولأن البهائم إذا لم تعقل صحة التوحيد والنبوة لم تعتقد بطلان ذلك، بخلاف هؤلاء، فإنهم اعتقدوا البطلان، عنادًا ومكابرة وتعصبًا وغمطًا للحق.

٤٥- أي: ألم تبصر إلى صنع ربك في الظل كيف مده من وقت الإسفار إلى طلوع الشمس، وهو ظل لا شمس معه، ثم تطلع، فتكون ظلال الأشياء الشاخصة طويلة ممتدة إلى جهة الغرب ولو شاء الله لجعله دائمًا ثابتًا بسكون الشمس ثم جعل الشمس علامة يستدل بأحوالها على أحواله، وذلك لأن الظل يزيد بها وينقص، ويمتد ويتقلص.

٤٦- ثم قبض الله الظل بالشمس تأتي عليه فإذا طلعت الشمس صار الظل مقبوضًا وخَلَفُهُ في الجو شعاع الشمس وكان ذلك العمل على الله هينًا يسيرًا.

٤٧- ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ﴾ سترًا يستر الأشياء ويغشاها والنوم راحة لكم، لأنكم تنقطعون عن الاشتغال، وليكمل الإجمام والراحة ﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ﴾ للمعاش والكسب. ٤٨- الطهور الطاهر المطهر. لا يأتي ماء السماء على شيء متنجس أو قذر إلا طهره.

٤٩- لنحيي بالماء المنزل من السماء المكان الذي لا نبات فيه ويشرب الماء الناس وسائر الدواب والأنعام.

٥٠- قيل المعنى: صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة فنزيد منه في بعض البلدان، وننقص في بعض آخر منها، ليذكروا به ويعتبروا فأبى أكثر الناس إلا كفران النعمة وجحدها. ورفضوا الاعتراف بنعمة الله عليهم في إنزال المطر فلم يحمدوا الله عليه، ولكن نسبوه إلى الأنداد أو الأنواء، فقالوا: مطرنا بنوء كذا، ولم يقولوا: مطرنا بفضل الله ورحمته.

٥١- أي: رسولاً ينذرهم، كما قسمنا المطر بينهم، ولكنا لم نفعل ذلك، بل جعلنا نذيرًا واحدًا، وهو أنت يا محمد.

٥٢- فلا تطع الكافرين بل اجتهد في الدعوة واثبت فيها وجاهدهم بالقرآن واتل عليهم ما فيه.

٥٣- ﴿۞ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ أرسلهما وأفاض أحدهما إلى الآخر فهذا شديد العذوبة، وهذا شديد الملاحة، وجعل بينهما بقدرته حاجزًا وسترًا فلا يبغيان فيفسد أحدهما الآخر.

٥٤- وهو الذي خلق من ماء النطفة إنسانًا ذا نسب وذا صهر فقرابة الزوجة وهم الأختان، وقرابة الزوج هم الأحماء، وعلاقة الأصهار تعمهما ومن جملة قدرته الباهرة خلق الإنسان وتقسيمه إلى القسمين المذكورين.

٥٥- ويعبدون الأصنام من دون الله والتي لا تنفعهم إن عبدوها ولا تضرهم إن تركوها وكان الكافر متابعًا للشيطان ومظاهرًا =

وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٥٦﴾ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ
مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلۡ
عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ
عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا
فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ
خَبِيرٗا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْۤ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ
أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورٗا۩ ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ
فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجٗا وَقَمَرٗا مُّنِيرٗا ﴿٦١﴾ وَهُوَ
ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ
شُكُورٗا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ
هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ
يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ
رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا
﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ
لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾

سجدة

= له على معصية الله.

٥٧- أي: قل لهم يا محمد: ما أسألكم على القرآن من أجر، أو على تبليغ الرسالة لكن من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً فليفعل.

٥٨- والحي هو الذي يوثق به في المصالح، ولا حياة على الدوام إلا الله سبحانه ونزهه عن صفات النقصان فهو الخبير المطلع على الأمور، لا يخفى عليه منها شيء.

٥٩- أي ثم علا عليه وارتفع فاسأل الله الخبير عن تفاصيل ما أجملناه لك في هذه الآيات، من خلق السماوات والأرض والاستواء على العرش.

٦٠- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْۤ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ قالوا: ما نعرف الرحمن إلا رحمان اليمامة، يعنون مسيلمة، فلما سمعوه أنكروا، فقالوا: وما الرحمن أنسجد للرحمن الذي تأمرنا بالسجود له وزادهم الأمر بالسجود نفورًا عن الدين وبعدًا عنه.

٦١- المراد بالبروج: بروج النجوم، أي: منازلها الاثنا عشر، وسميت بروجًا، وهي القصور العالية، لأنها للكواكب كالمنازل الرفيعة لمن يسكنها وجعل فيها شمسًا متقدة وقمرًا ينير الأرض إذا طلع.

٦٢- وجعل الليل والنهار يتواليان ويتعاقبان في الإضاءة والظلام، والزيادة والنقصان وفي هذا عبرة لمن أراد العظة والاعتبار وأراد أن يشكر الله على ما أودعه في الليل والنهار من النعم العظيمة.

٦٣- وذكر هنا صفات عباد الرحمن والتي منها: أنهم يمشون على الأرض بسكينة ووقار دون تكبر ويتحملون ما يرد عليهم من أذى أهل الجهل والسفه، فلا يجهلون مع من يجهل، ويقولون لهم سلامًا أي: سلام المشاركة لا سلام التحية.

٦٤- أي: إنهم يقضون ليلهم سجدًا على وجوههم، وقيامًا على أقدامهم، في الصلاة والتهجد.

٦٥- ومن صفاتهم أنهم يدعون الله تعالى ليلاً ونهارًا أن يبعد عنهم عذاب جهنم فإن عذاب جهنم ملازم دائم.

٦٦- وبئس المستقر النار، وبئس مكان الإقامة هي، ونعوذ بالله من الخذلان.

٦٧- ومن صفاتهم الاعتدال في الإنفاق، لا إسراف ولا تضييق بل وسطًا بين ذلك.

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ
الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ
أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ
مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا
فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ
مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ
مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِـَٔايَاتِ رَبِّهِمْ
لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا
هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا
لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا
صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ
فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي
لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾

سورة الشعراء

ترتيبها ٢٦ — آياتها ٢٢٧

٦٨- ومن صفاتهم أنهم لا يصرفون الدعاء لغير الله، فيتخذوه ربًّا من الأرباب. ولا يقتلون النفس التي حرم الله قتلها إلا بما يحق أن تقتل به النفوس وهي: كفر بعد إيمان، أو زنى بعد إحصان، أو قتل نفس بغير نفس ولا يستحلون الفروج المحرمة بغير زواج، ولا ملك يمين ومن يفعل شيئًا مما ذكر فله عند الله في الآخرة عقوبة أليمة.

٦٩- ويخلد في العذاب المضاعف ذليلاً حقيرًا. ٧٠- ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ أي: فهذا لا يكون عليه عذاب بل أولئك يمحو عنهم المعاصي ويثبت لهم مكانها طاعات، عن ابن عباس قال: هم المؤمنون: كانوا من قبل إيمانهم على السيئات، فرغب الله بهم عن ذلك، فحولهم إلى الحسنات، فأبدلهم مكان السيئات الحسنات.

٧١- أي: ومن تاب عما اقترف، وعمل عملاً صالحًا بعد ذلك، فإنه يرجع إلى الله رجوعًا صحيحًا قويًّا. وقيل المعنى: من تاب بلسانه، ولم يحقق التوبة بفعله، فليست تلك التوبة نافعة بل من تاب وعمل صالحًا، فحقق توبته بالأعمال الصالحة، فهو الذي تاب إلى الله حق التوبة، وهي النصوح. ٧٢- أي: لا يشهدون الشهادة الكاذبة، أو لا يحضرون الزور، ولا يشاهدونه، والزور هو الكذب والباطل، ولا كذب فوق الشرك بالله فهو أعظم الزور وإذا مروا باللغو مروا معرضين عنه، واللغو: كل ساقط من قول أو فعل. أي: يتنزه ويكرم نفسه عن الدخول في اللغو، والاختلاط بأهله. ٧٣- ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِـَٔايَاتِ رَبِّهِمْ﴾ أي: بالقرآن، أو بما فيه موعظة وعبرة ﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾﴾ ولكنهم أكبوا عليها، سامعين مبصرين، وانتفعوا بها. ٧٤- ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ أي: اجعلهم لنا موضع سرور بتوفيقنا وإياهم لطاعتك. وقرة العين برد دمعها، لأنه دليل السرور والضحك، كما أن حره دليل الحزن والغم ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ أي: قدوة يقتدى بنا في الخير. وفي هذه الآية دلالة على أن الرئاسة الدينية مما يجب أن تطلب ويرغب فيها.

٧٥- ﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ﴾ الغرفة: الدرجة الرفيعة، وهي أعلى منازل الجنة وأفضلها ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ بسبب صبرهم على مشاق التكليف ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾﴾ يحيي بعضهم بعضًا، ويرسل إليهم الرب سبحانه بالسلام، والملائكة تحييهم وتسلم عليهم، وتدعو لهم بالسلامة من الآفات. ٧٦- أي: مقيمين فيها من غير موت حسنت الغرفة مستقرًا يستقرون فيه، ومقامًا يقيمون به، وهذا في مقابل ما تقدم من قوله: ساءت مستقرًا ومقامًا.

٧٧- ثم بين سبحانه أنه غني عن طاعة الكل. أي: أيَّ مبالاة يبالي بكم، لولا أنكم تدعونه وتعبدونه وقد كذبتم أيها الكفار بالتوحيد فسوف يكون جزاء التكذيب لازمًا لكم. والمراد: ما لزم المشركين يوم بدر، وقيل: هو عذاب الآخرة.

سورة الشعراء

هي مكية عند الجمهور

٢- الإشارة إلى آيات هذه السورة والكتاب: القرآن البين الظاهرة معانيه.

٣- لعلك قاتل نفسك ومهلكها تأسفًا وحزنًا على عدم إيمان قومك بما جئت به، وفي هذا تسلية لرسول الله ﷺ لأنه كان حريصًا على إيمان قومه، شديد الأسف لما يراه من إعراضهم.

٤- إن نشأ ننزل عليهم من السماء معجزة تلجئهم إلى الإيمان فيصيروا منقادين لها بالكره منهم.

٥- وما يأتي كفار مكة موعظة جديدة من آيات القرآن إلا كانوا معرضين عن الإيمان. ٦- أي: وكذبوا رسلهم فسوف يأتيهم عاقبة إعراضهم ونهاية صدهم ويعرفون أن نهاية تكذيبهم العذاب الأليم الموجع المؤلم. ٧- أي أولم ينظر الكفار متأملين في الأرض، وكم خلقنا فيها من النباتات من كل صنف نافع لا يقدر على إنباته إلا رب العالمين.

٨- أي: إن فيما ذكر من الإنبات في الأرض لدلالة بينة على كمال قدرة الله سبحانه، وبديع صنعته ﴿وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ٨﴾ أي: سبق علمي فيهم أنهم سيكونون هكذا. ٩- أي: الغالب القاهر لهؤلاء، بالانتقام منهم، مع كونه كثير الرحمة، ولذلك أمهلهم ولم يعاجلهم بالعقوبة. ١٠- جمعوا بين الكفر الذي ظلموا به أنفسهم، وبين المعاصي التي ظلموا بها غيرهم، كاستعباد بني إسرائيل وذبح أبنائهم. ١١- أي: ألا يخافون عقاب الله سبحانه.

١٢- أي: أخاف أن يكذبوني في الرسالة. ١٣- ﴿وَيَضِيقُ صَدۡرِي﴾ غمًا لتكذيبهم إياي ﴿وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي﴾ بتأدية الرسالة وأرسل إلى هارون جبريل بالوحي ليكون معي رسولاً مؤازرًا معاونًا. ١٤- الذنب هو قتله للقبطي، فخاف موسى أن يقتلوه به، والخوف قد يحصل من الأنبياء فضلاً عن الفضلاء. ١٥- أي: فاذهب أنت ومن استدعيته، ولا تخف من القبط ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ١٥﴾ أراد بذلك تقوية قلوبهما وأنه متول لحفظهما ولكلاءتهما ونصرهما. ١٦- معناه: إن كل واحد منا رسول رب العالمين. ١٧- أي: أطلقهم من خدمتك وحصرك ليخرجوا معي من مصر.

١٨- أي: قال فرعون لموسى بعد أن أتياه وقالا له ما أمرهما الله به: ربيناك لدينا صغيرًا، ولم نقتلك فيمن قتلنا من الأطفال ﴿وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ ١٨﴾ أي: فمتى كان هذا الذي تدعيه من أمر النبوة.

١٩- وعدد عليه النعم، ثم ذكر له ذنوبه، وأراد بالفعلة قتل القبطي وأنت من الكافرين للنعمة، حيث قتلت رجلاً من أصحابي. وقيل: من الكافرين بالله في زعمه، لأنه كان معهم على دينهم.

نصف الحزب ٣٧

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ٢ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ
أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٣ إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ
أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ٤ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ
إِلَّا كَانُواْ عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ ٥ فَقَدۡ كَذَّبُواْ فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ
بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٦ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَمۡ أَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ
كَرِيمٍ ٧ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ٨ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٩ وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ ١١ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ
أَن يُكَذِّبُونِ ١٢ وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرۡسِلۡ
إِلَىٰ هَٰرُونَ ١٣ وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٞ فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ١٤ قَالَ
كَلَّاۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ١٥ فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ
فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦ أَنۡ أَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ
١٧ قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ ١٨
وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩

قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ
فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا
عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ
﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾
قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ
لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ
أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ
ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ
فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ
عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا
تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ
﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ
لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾

٢٠- أي قال موسى: فعلت قتل القبطي وأنا من الجاهلين، فنفى عليه السلام عن نفسه الكفر، وأخبر أنه فعل ذلك على الجهل قبل أن يأتيه العلم الذي علمه الله. ٢١- ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ إلى مدين كما في سورة القصص فوهب لي ربي نبوة، أو علمًا وفهمًا بالتوراة التي فيها حكم الله وأكرمني بأن جعلني أحد أنبيائه المرسلين. ٢٢- أي: وهل تلك نعمة؟ أتمن علي بأن ربيتني وليدًا وأنت قد استعبدت بني إسرائيل وقتلتهم وهم قومي. أي: فلو كنت لا تقتل أبناء بني إسرائيل لكانت أمي مستغنية عن قذفي في اليم، فلا تمن علي ما كان بلاؤك سببًا له. ٢٣- أي وسأل فرعون موسى عن إلهه: أي شيء هو؟ ٢٤- قال موسى: هو رب السماوات والأرض وما بينهما فعين له ما أراد بالعالمين، وترك جواب ما سأله عنه فرعون، لأنه سأله عن جنس رب العالمين، فأجابه بما يدل على عظيم القدرة الإلهية إن كنتم موقنين بشيء من الأشياء، فهذا أولى بالإيقان. ٢٥- قال فرعون لمن حوله من الأشراف: ألا تستمعون ما قاله موسى؟ معجبًا لهم من ضعف المقالة. وهذا من اللعين مغالطة. ٢٦- أي: فأوضح لهم أن فرعون مربوب لا رب كما يدعيه، أي: فكيف تعبدون من هو واحد منكم، مخلوق كخلقكم وله آباء قد فنوا كآبائكم. ٢٧- قاصدًا بذلك المغالطة وإيقاعهم في الحيرة مظهرًا أنه مستخف بما قاله موسى مستهزئ به، كأنه يقول لهم: أنا أسأله عن شيء وهو يجيبني بغيره. ٢٨- ﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ ولم يشتغل موسى بدفع ما نسبه إليه من الجنون، بل بإسناد تغيير أحوالها وأوضاعها تارة بالنور، وتارة بالظلمة، إلى الله سبحانه إن كنت يا فرعون ومن معك من أهل العقول. ٢٩- أي: رجع اللعين إلى استعمال القوة لإكراه موسى على ترك رسالته. ٣٠- أي: أتجعلني من المسجونين ولو جئتك بشيء يتبين به صدقي، ويظهر عنده صحة دعواي. ٣١- قال فرعون على الفور متعجبًا: فأت به فإنا لن نسجنك عند ذلك إن كنت من الصادقين في دعواك. ٣٥- أي: فما رأيكم فيه وما مشورتكم في مثله؟ أظهر لهم الميل إلى ما يقولون تألفًا لهم واستجلابًا لمودتهم، لأنه قد أشرف ما كان فيه من دعوى الربوبية على الزوال. ٣٦- قالوا: أخر أمرهما ﴿وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾﴾ وهم الشُّرَط الذين يحشرون الناس، أي: يجمعونهم. ٣٧- السحار: العليم الفائق في معرفة السحر وصنعته. ٣٨

- وهو يوم الزينة، أي: يوم عيدهم.

٣٩- وفي ذلك حثًا لهم على الاجتماع، ليشاهدوا ما يكون من موسى والسحرة، ولمن تكون الغلبة، وكان ذلك ثقة من فرعون بالظهور، وطلبًا أن يكون بمجمع من الناس حتى لا يؤمن بموسى أحد منهم.

لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ
قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمۡ
وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ
﴿٤٣﴾ فَأَلۡقَوۡاْ حِبَالَهُمۡ وَعِصِيَّهُمۡ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّا لَنَحۡنُ
ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلۡقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ
﴿٤٥﴾ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾
رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ
لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَ فَلَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ
وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُواْ لَا ضَيۡرَۖ إِنَّآ
إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ
أَوَّلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥١﴾ ۞ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم
مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرۡسَلَ فِرۡعَوۡنُ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ
لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمۡ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ
﴿٥٦﴾ فَأَخۡرَجۡنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ﴿٥٨﴾
كَذَٰلِكَ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتۡبَعُوهُم مُّشۡرِقِينَ ﴿٦٠﴾

٣٦٩

ثلاثة أرباع الحزب ٣٧

٤٠- أي: لعلنا نتبعهم في دينهم ﴿إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ﴾ أظهروا كأنهم على الحياد، استخفافًا بعقول قومهم.

٤١- فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا جزاء تجزينا به من مال أو جاه ﴿إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ﴾ فوافقهم فرعون على ذلك. ٤٢- أي: نعم لكم ذلك عندي مع زيادة عليه، وهي كونكم من المقربين لدي. ٤٣- أراد أن يقهرهم بالحجة، ويظهر لهم أن الذي جاء به ليس هو من الجنس الذي أرادوا معارضته به. ٤٤- فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا عند الإلقاء: نغلب بسبب عزته، والمراد بالعزة العظمة.

٤٥- فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما صدر منهم. ٤٦- أي: لما شاهدوا ذلك علموا أنه صنع صانع حكيم، ليس من صنيع البشر، ولا من تمويه السحرة، فآمنوا بالله وسجدوا له، وأجابوا دعوة موسى وقبلوا نبوته.

٤٧، ٤٨- فيه تبكيت لفرعون بأنه ليس برب، وأن الرب في الحقيقة هو هذا، وأنه رب كل العالمين، أي: ومنهم فرعون نفسه. ٤٩- أي: بغير إذن مني، ثم قال مغالطًا للسحرة الذين آمنوا، وموهمًا للناس أن فعل موسى سحر من جنس ذلك السحر ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَ﴾ وإنما اعترف له بكونه كبيرهم مع كونه لا يحب الاعتراف بشيء يرتفع به شأن موسى فأراد أن يشكك على الناس بأن هذا الذي شاهدتم، وإن كان قد فاق على ما فعله هؤلاء السحرة، فهو فعل كبيرهم، ومن هو أستاذهم الذي أخذوا عنه هذه الصناعة، فلا تظنوا أنه فعل لا يقدر عليه البشر، ولا أنه من فعل الرب الذي يدعو إليه موسى، لأقطعن اليد اليمنى مع الرجل اليسرى أو عكسه ولأقتلنكم على هيئة الصلبان بالتعليق في جذوع النخل ليكون أشد لإيلامهم. ٥٠- أي: لا ضرر علينا فيما يلحقنا من عقاب الدنيا، فإن ذلك يزول، وننقلب بعده إلى ربنا، فيعطينا من النعيم الدائم ما لا يحد ولا يوصف، بإيماننا وصبرنا على عقوبتك لنا وثباتنا على توحيده والبراءة من الكفر. ٥٢- وأمر الله سبحانه موسى أن يخرج بني إسرائيل ليلاً، وسماهم عباده لأنهم آمنوا بموسى وبما جاء به ثم قال لهم إنه يتبعكم فرعون وقومه ليردوكم. ٥٣- وذلك حين بلغه مسيرهم من الأمكنة التي فيها أتباع فرعون. ٥٤- قال هذا يريد أن يقلل من شأن بني إسرائيل. ٥٥- أي: غاظونا بخروجهم من غير إذن منا.

٥٦- الحاذر المستعد المتيقظ، كأنه أمر أتباعه جميعًا بالتنبه لحركة بني إسرائيل والعمل على إحباط خروجهم.

٥٧، ٥٨- يعني: فرعون وجنده أخرجهم الله من أرض مصر، وفيها الجنات والعيون والكنوز، والمقام الكريم: المنازل الحسان، وقيل: مجالس الرؤساء والأمراء.

٦٠- أي: فلحقوهم حال كونهم في وقت الشروق، وقيل: داخلين نحو المشرق.

فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ٦١ قَالَ
كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٦٢ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب
بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ٦٣
وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ٦٤ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ٦٥
ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ٦٦ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم
مُّؤۡمِنِينَ ٦٧ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦٨ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ
نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ٧٠ قَالُواْ
نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ٧١ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ
تَدۡعُونَ ٧٢ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ٧٣ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا
كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ٧٤ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ٧٥ أَنتُمۡ
وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ٧٦ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ
٧٧ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ
٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ
يُحۡيِينِ ٨١ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ
٨٢ رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ٨٣

٣٧٠

٦١- تقابلاً بحيث يرى كل فريق صاحبه سيلحقنا جمع فرعون، ولا طاقة لنا بهم.

٦٢- قال موسى: كلا إن معي ربي يدلني على طريق النجاة.

٦٣- أي فضرب فانفلق حتى بدا قاع البحر يابسًا يمكن للماشي المرور فيه، قيل: إنه صار اثنى عشر فلقًا بعدد الأسباط، وقام الماء عن يمين الطريق وعن يساره كالجبل العظيم والفرق القطعة من البحر، والطود: الجبل.

٦٤- أي: قربناهم إلى البحر، والآخرون: فرعون وقومه.

٦٥- بمرورهم في البحر بعد أن جعله الله طرقًا يمشون فيها.

٦٦- يعني فرعون وقومه، أغرقهم الله بإطباق البحر عليهم بعد أن دخلوا فيه متبعين موسى وقومه.

٦٧- فيما تقدم ذكره مما وقع بين موسى وفرعون إلى هذه الغاية، لآية عظيمة على قدرة باهرة، فهي من أدل العلامات على قدة الله سبحانه وعظيم سلطانه وما كان أكثر هؤلاء الذين مع فرعون مؤمنين، فإنه لم يؤمن منهم إلا القليل، كآسية امرأة فرعون. ٦٨- أي: المنتقم من أعدائه الرحيم بأوليائه. ٧٠- كان يعلم أنهم يعبدون الأصنام، ولكنه أراد إلزامهم بالحجة. ٧٧١- أي: فنقيم على عبادتها مستمرًا لا في وقت معين، والعكوف لها: الإقامة على عبادتها. ٧٣- بوجه من وجوه النفع أو يضرونكم إذا تركتم عبادتهم، فإنها إذا كانت لا تسمع ولا تنفع ولا تضر فلا وجه لعبادتها. ٧٤- لم يجدوا لها جوابًا إلا رجوعهم إلى التقليد البحت وأقروا أنها بحال من العجز لا تنفع ولا تضر ولا تسمع ولا تبصر. ٧٧- أي: هم أعدائي، وأنا أيضًا قد اتخذت عداوتي لهم طريقًا ومنهجًا في حياتي، أعاديهم لكي أقتلع عبادتهم من الأرض لكن رب العالمين ليس كذلك، بل هو وليي في الدنيا والآخرة. ٧٨-أي: يرشدني إلى مصالح الدين والدنيا. وقد وصف الخليل ربه بما يستحق العبادة لأجله، فإن الخلق والهداية والرزق الذي يدل عليه قوله: ٧٩- أي ويرزقني بالطعام والشراب، ودفع ضر المرض، وجلب نفع الشفاء، والإماتة والإحياء، الذي يدل على قوله. ٨٠، ٨١- ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ٨١﴾ والمغفرة للذنب، كلها نعم يجب أن يشكر المنعم بها بجميع أنواع الشكر التي أعلاها وأولاها العبادة. وأسند المرض إلى نفسه دون غيره من هذه الأفعال المذكورة رعاية للأدب مع الرب، وإلا فالمرض وغيره من الله سبحانه.

٨٢- قال مجاهد: يعني بخطيئته: قوله: ﴿بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا﴾ وقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٞ ٨٩﴾ وقوله: «إن سارة أخته» قال الزجاج: الأنبياء بشر، ويجوز أن تقع عليهم الخطيئة، إلا أنهم لا تكون منهم الكبيرة لأنهم معصومون.

٨٣- والمراد بالحكم: العلم والفهم، وقيل: النبوة والرسالة. وألحقني بالنبيين من قبلي في الجنة.

وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٨٤ وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ
ٱلنَّعِيمِ ٨٥ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ٨٦ وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ
يُبۡعَثُونَ ٨٧ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ
سَلِيمٖ ٨٩ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ ٩٠ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِلۡغَاوِينَ
٩١ وَقِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ٩٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلۡ يَنصُرُونَكُمۡ
أَوۡ يَنتَصِرُونَ ٩٣ فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ ٩٤ وَجُنُودُ إِبۡلِيسَ
أَجۡمَعُونَ ٩٥ قَالُواْ وَهُمۡ فِيهَا يَخۡتَصِمُونَ ٩٦ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي
ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩٨ وَمَآ أَضَلَّنَآ
إِلَّا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٩٩ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ ١٠١
فَلَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٠٢ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ
أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ١٠٣ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٤ كَذَّبَتۡ
قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٠٥ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٠٦
إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ١٠٧ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٠٨ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ
عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠٩ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ
وَأَطِيعُونِ ١١٠ ۞ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ١١١

الحزب ٣٨

٣٧١

٨٤- أي: واجعل لي ثناء حسنًا في الآخرين الذين يأتون بعدي إلى يوم القيامة. وقد أعطى الله سبحانه إبراهيم ذلك، فإن كل أمة تتمسك به وتعظمه.

٨٦- واستغفر له فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه. ٨٧- أي: ولا تفضحني على رءوس الأشهاد بمعاقبتي، أو لا تعذبني يوم القيامة. ٨٩- أي: لا ينفع الإنسان عند الله ماله ولا قرابته، ولكن ينفعه سلامة قلبه، والقلب السليم: الصحيح، وهو قلب المؤمن، لأن قلب الكافر والمنافق مريضان. ٩٠- أي: قربت وأدنيت لهم ليدخلوها. ٩١- أي: جعلت بارزة لهم. أظهر الله الجنة للمؤمنين قبل أن يدخلوها، وأظهر النار للكفار قبل أن يدخلوها، ليشتد حزن الكافرين، ويكثر سرور المؤمنين.

٩٤- أي: ألقوا في جهنم هم: يعني المعبودين، والغاوون: يعني العابدين لهم، قلبوا جميعًا على رءوسهم.

٩٥- أي: شياطينه الذين يغوون العباد، وقيل: ذريته، وقيل: كل من يدعو إلى عبادة الأصنام. ٩٦- أي: فيقول العابدون للمعبودين.

٩٧- والمعنى: أقسموا أنهم كانوا على الضلالة الواضحة. ٩٨- أي: فنعبدكم كما نعبده. ٩٩- أي: من شياطين الإنس والجن الذين بارزوا الله بالعداوة. ١٠٠- أي: يشفعون لنا من العذاب كما للمؤمنين شفعاء بإذن ربهم. ١٠١- أي: صديق ذي قرابة يعيننا وينقذنا من بأس الله وعذابه، والحميم: القريب الذي توده ويودك أشد الود. ١٠٢- المعنى: فليت لنا كرة أي: رجعة إلى الدنيا، فنكون من المؤمنين، أي: نصير من جملتهم. ١٠٣- أي: أكثر هؤلاء الذين يتلو عليهم رسول الله ﷺ نبأ إبراهيم، وهم قريش، ومن دان بدينهم ليس أكثرهم مؤمنين. ١٠٤- أي: القاهر لأعدائه، الرحيم بأوليائه. ١٠٦- أي: أخوهم الذي هو من قبيلتهم لا أخوهم في الدين ألا تتقون الله بترك عبادة الأصنام، وتجيبون رسوله الذي أرسله إليكم. ١٠٧- إني لكم رسول من الله أمين فيما أبلغكم عنه، فإنهم كانوا قد عرفوا أمانته وصدقه. ١٠٨- أي: اجعلوا طاعة الله وقاية لكم من عذابه، وأطيعوني فيما آمركم به عن الله من الإيمان به، وترك الشرك، والقيام بفرائض الدين وشرائعه. ١٠٩- أي: وما أطلب منكم أجرًا على تبليغ هذه الرسالة ولا أطمع في ذلك منكم ما أجري إلا على الله فمنه أرجو الثواب جزاء على دعوتي لكم.

١١١- أي: كيف نتبعك ونؤمن لك والحال أن قد اتبعك الأرذلون وهم الأقلون جاهًا ومالاً، والرذالة: الخسة والذلة، استرذلوهم لقلة أموالهم وجاههم، أو لاتضاع أنسابهم، وقيل: كانوا من أهل الصناعات الخسيسة.

قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١١٢ إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ
لَوۡ تَشۡعُرُونَ ١١٣ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٤ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ
١١٥ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ ١١٦ قَالَ
رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ ١١٧ فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا وَنَجِّنِي وَمَن
مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٨ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ
١١٩ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا بَعۡدُ ٱلۡبَاقِينَ ١٢٠ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ
أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ١٢١ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٢ كَذَّبَتۡ
عَادٌ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٢٣ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٢٤ إِنِّي لَكُمۡ
رَسُولٌ أَمِينٞ ١٢٥ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٢٦ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ
مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢٧ أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ
ءَايَةٗ تَعۡبَثُونَ ١٢٨ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ ١٢٩
وَإِذَا بَطَشۡتُم بَطَشۡتُمۡ جَبَّارِينَ ١٣٠ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٣١
وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعۡلَمُونَ ١٣٢ أَمَدَّكُم بِأَنۡعَٰمٖ وَبَنِينَ ١٣٣
وَجَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ١٣٤ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ
١٣٥ قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ ١٣٦

١١٢- والمعنى: وما علمي بعملهم؟ أي: لم أكلف العلم بأعمالهم، إنما كلفت أن أدعوهم إلى الإيمان، والاعتبار به، لا بالحرف والصنائع والفقر والغنى.

١١٣- أي: ما حسابهم والتفتيش عن ضمائرهم وأعمالهم إلا على الله، ولو كنتم من أهل الشعور والفهم لفهمتم ذلك وآمنتم به.

١١٤- هذا جواب من نوح على طلب الطرد لهم.

١١٥- أي: ما أنا إلا نذير موضح لما أمرني الله سبحانه بإبلاغه إليكم، أي: وهم من جملة من أمرت بإنذاره، فكيف أطردهم.

١١٦- أي: إن لم تترك عيب ديننا وسب آلهتنا لتكونن من المرجومين بالحجارة، وقيل المعنى: لتكونن من المشتومين. هددوه بمعاملته بالسيئ من القول، من الشتم والإهانة.

١١٧- أي: أصروا على تكذيبي، ولم يسمعوا قولي، ولا أجابوا دعائي.

١١٨- الفتح: حكم القاضي بين الخصمين، أي: احكم بيني وبينهم حكمًا يبين المحق من المبطل ﴿وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٨﴾ فلما دعا ربه بهذا الدعاء استجاب له، فقال: ١١٩- أي السفينة المملوءة، والشحن ملء السفينة بالناس والدواب والمتاع.

١٢٠- أي: ثم أغرقنا بعد إنجائهم الباقين من قومه. ١٢١- إن في ذلك لعلامة وعبرة عظيمة ﴿وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ١٢١﴾.

١٢٢- أي: القاهر لأعدائه، الرحيم بأوليائه.

١٢٣، ١٢٤- الكلام فيه كالكلام في قول نوح المتقدم قريبًا.

١٢٥-١٢٧- الكلام فيه كالذي قبله سواء.

١٢٨- معنى الآية: أنكم تبنون بكل مكان مرتفع علمًا تعبثون ببنيانه إذ ليس فيه نفع حقيقي غير المباهاة والفخر والأذى، فتؤذون المارة وتسخرون منهم.

١٢٩- المصانع: هي الأبنية التي يتخذها الناس منازل. وقيل: هي الحصون المشيدة تشيدونها كأنكم باقون مخلدون لا يدرككم الموت.

١٣٠- البطش: السطوة والأخذ بالعنف. وإنما أنكر عليهم ذلك لأنه ظلم، وأما في الحق فالبطش بالسوط والسيف وغيرهما جائز.

١٣٤- أي: بساتين وأنهار وأبيار.

١٣٥- أي: إن كفرتم وأصررتم على ما أنتم فيه من عبادة غير الله تعالى، ولم تشكروا هذه النعم.

١٣٦- أي: وعظك وعدمه سواء عندنا، لا نبالي بشيء منه، ولا نلتفت إلى ما تقوله، ولا نرجع عن شيء مما نحن عليه. قالوا ذلك تعجيزًا له وتيئيسًا لئلا يستمر على دعوتهم.

إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ
فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ
لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾
فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ
إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾
فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾
وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ
﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ
وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ
إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ
هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا
بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟
نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾

٣٧٣

١٣٧- أي: ما هذا الذي نحن عليه إلا عادة الأولين وفعلهم. أي: فإن آباءنا وأجدادنا والأقدمين منا كانوا على هذا الدين الذي نحن عليه، وقد كانت أحوالهم مستقيمة وأمورهم على حال مرضية، فنحن تبع لهم، وسوف نستمر على ذلك، لا نريد تبديله بشيء آخر.

١٣٨- أي: على ما نفعل من البطش ونحوه مما نحن عليه الآن.

١٣٩- أي: أهلكهم الله جزاء على تكذيبهم. وكان هلاكهم بالريح العقيم، كما بين في غير هذه الآية، كقوله: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝﴾.

١٤١-١٤٥- قد تقدم تفسيره في قصة هود المذكورة قبل هذه القصة.

١٤٦- أي: أتتركون في هذه النعم التي أعطاكم الله آمنين من الموت والعذاب باقين في الدنيا. ١٤٨- الهضيم: النضيج الرخص اللين اللطيف، والطلع: ما يطلع من الأكمام من عذوق التمر.

١٤٩- أي: كانوا ينحتون بيوتهم في الجبال لتبقى على الدهور، لما طالت أعمارهم وتهدم بناؤهم من المدر ﴿فَٰرِهِينَ﴾ حاذقين بنحتها، وقيل: متجبرين، وقيل: معجبين ناعمين آمنين. ١٥٠- فاتقوا الله يا قومي بأداء حق عبوديته عليكم وأطيعوا أمري.

١٥١- ولا تطيعوا أمر المشركين وقيل: هم الذين عقروا الناقة. ثم وصف هؤلاء المسرفين بقوله:

١٥٢- أي: ذلك دأبهم: يفعلون الفساد في الأرض بالكيد لصالح والمؤمنين معه، ولا يصدر منهم الصلاح ألبتة.

١٥٣- قالوا إنما أنت من الذين أصيبوا بالسحر له وقيل المسحر: هو المعلل بالطعام والشراب. فكأنهم قالوا: إنما أنت بشر مثلنا تأكل وتشرب. ١٥٤- أي: وما نراك يا صالح إلا بشرًا مثلنا فأتنا بعلامة نستيقن عند رؤيتها أنك رسول من رب العالمين أي: أخرج الله تعالى لهم بعد طلبهم الآية: ناقة من الجبل، حية يرونها ويلمسونها بأيديهم، لتكون حجة على نبوة نبيه صالح، كما طلبوا، لها نصيب من الماء، ولكم نصيب منه معلوم، ليس لكم أن تشربوا في اليوم الذي هو نصيبها، ولا هي تشرب في اليوم الذي هو نصيبكم. ١٥٦- أي: لا تمسوها بعقر، أو ضرب، أو شيء مما يسوؤها.

١٥٧- أي على عقرها، لما عرفوا أن العذاب نازل بهم، وذلك أنه أنظرهم ثلاثا، فظهرت عليهم العلامة في كل يوم، وندموا حيث لا ينفع الندم، لأن ذلك لا يجدي عند معاينة العذاب وظهور آثاره.

١٥٨- والعذاب الذي أخذ قوم صالح أن الأرض رجفت بهم، أي زلزلت زلزالاً شديدًا، ثم جاءتهم الصيحة فخلعت قلوبهم ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ۝﴾ وقد تقدم تفسير قوله ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝﴾.

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ
﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ
أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾
أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم
مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ
لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾
رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾
إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم
مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ
لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ
مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا
تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾
وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾

ربع الحزب ٣٨

١٦٠ - ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾﴾ وقد تقدم تفسير قوله ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ﴾ إلى قوله ﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾﴾ في هذه السورة وتقدم أيضًا تفسير قصة لوط مستوفى في الأعراف.

١٦٥ - أي: أتنكحون الذكور من الناس؟ وهي الفاحشة التي لم يفعلها أحد من الناس قبلهم، وقد كانوا يفعلون ذلك بالغرباء على ما تقدم في سورة الأعراف.

١٦٦ - أي: وتتركون ما خلقه الله لأجل استمتاعكم به من النساء، وأراد بالأزواج جنس الإناث بل أنتم قوم مجاوزون للحد في جميع المعاصي، ومن جملتها هذه المعصية.

١٦٧ - أي عن الإنكار علينا وتقبيح أمرنا لتكونن من المخرجين من بلدنا المنفيين عنها.

١٦٨ - وهو ما أنتم فيه من إتيان الذكران المبغضين له.

١٦٩ - أي: إن لوطًا توجّه إلى الله تعالى أن يحفظه ويحفظ أهله لينجو من عملهم الخبيث، أو من عقوبته التي ستصيبهم.

١٧٠ - أي: أهل بيته، ومن تابعه على دينه. ١٧١ - ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾ هي امرأة لوط، كانت ﴿فِي ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ الباقين في العذاب.

١٧٢ - ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ﴾ أهلكناهم بالخسف والحصب.

١٧٣ - يعني الحجارة، رمُوا بها من السماء ﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾﴾.

١٧٦ - قيل: إن الأيكة اسم البلد كله. قال ابن عباس: كانوا أصحاب غيضة من ساحل البحر إلى مدين، وقال الخليل: الأيكة غيضة تنبت السدر والأراك ونحوهما من ناعم الشجر.

١٧٧ - ولم يقل «أخوهم» لأنه لم يكن من أصحاب الأيكة في النسب، بخلاف قصة إرساله إلى مدين فإنه قال فيها (أخاهم شعيبا) لأنه كان منهم، وقد مضى تحقيق نسبه في الأعراف. وقد تقدم تفسير قوله:

١٧٨-١٨٠ - ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾ إلى قوله تعالى ﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾﴾ في هذه السورة.

١٨١ - أي: أتموا الكيل لمن أراده وعاملكم به ولا تكونوا من الناقصين للكيل.

١٨٢ - أي أعطوا الحق بالميزان السويّ دون أن تعبثوا به سرًّا لتنقصوا حق المشتري.

١٨٣ - أي: لا تنقصوا الناس حقوقهم التي لهم.

وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ
مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ
الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ
مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ
فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ
الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ
الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ
مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ
عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾
فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ
فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ
الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا
هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَأَيْتَ
إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾

١٨٤- يعني الأمم المتقدمة.

١٨٥، ١٨٦- قد تقدم تفسيره في هذه السورة [الآية: ١٥٣] ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾﴾ أي: حقا إننا ليغلب على ظننا أنك كاذب فيما تدعيه على الله.

١٨٧- أي: قالوا له هذا القول تعنتا واستبعادا وتعجيزا، والكسف: القطع من النار أو غيرها مما يعذب به ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾﴾ في دعواك.

١٨٨- أي: من الشرك والمعاصي، فهو مجازيكم على ذلك إن شاء وليس في وسعي أن آتيكم به من عندي.

١٨٩- فاستمروا على تكذيبه وأصروا على ذلك ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾ الظلة السحاب، أقامها الله فوق رؤوسهم، فأمطرت عليهم نارا فهلكوا، فقد أصابهم الله بما اقترحوا ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾﴾ لما فيه من الشدة عليهم التي لا يقادر قدرها. ١٩٠، ١٩١- تقدمتا في هذه السورة. ١٩٢- أي: وإن القرآن، ومنه هذه الأخبار التي تتلى عليكم، منزل من الله رب العالمين. ١٩٣- الروح الأمين: جبريل، كما في قوله: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾. ١٩٤- تلاه على قلبه لأنه أوّل مدرك من الحواس الباطنة، حتى حفظه وفهمه وأنزله عليك لتنذرهم بما تضمنه من التحذيرات والإنذارات والعقوبات.

١٩٥- جعل الله سبحانه القرآن عربيا بلسان الرسول العربي، لئلا يقول مشركو العرب: لسنا نفهم ما تقوله بغير لساننا، فقطع بذلك حجتهم ودفع معذرتهم. ١٩٦- أي: أن هذا القرآن مذكور ومبشر به في التوراة والإنجيل.

١٩٧- أي: من آمن منهم كعبد الله بن سلام، وصارت شهادة أهل الكتاب حجة على المشركين لأنهم كانوا يرجعون إليهم ويصدّقونهم. ١٩٨- أي: لو نزلنا القرآن على الصفة التي هو عليها على رجل من الأعجمين الذي لا يقدر على التكلم بالعربية.

١٩٩- أي: قراءة عربيّة صحيحة ما كانوا به مؤمنين مع انضمام إعجاز القراءة من الأعجمي للكلام العربي إلى إعجاز القرآن.

٢٠٠- أي: أدخلنا الشرك والتكذيب في قلوب المجرمين. ٢٠٢- فيأتيهم العذاب فجأة و الحال أنهم لا يشعرون بإتيانه.

٢٠٣- أي: مؤخرون وممهلون لنؤمنَ ونعمل الصالحات. قالوا هذا تحسرًا على ما فات من الإيمان، وتمنيًا للرجعة إلى الدنيا لاستدراك ما فرط منهم.

٢٠٤- أي: بقولهم: أمطر علينا حجارة من السماء أوائتنا بعذاب أليم.

٢٠٥- أي: أخبرني إن متعناهم سنين في الدنيا متطاولة، وطوّلنا لهم أعمارهم.

٢٠٦- أي: من العذاب والهلاك.

مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا
لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكۡرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ
ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمۡ
عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ
مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخۡفِضۡ
جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنۡ عَصَوۡكَ فَقُلۡ إِنِّي
بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِي
يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلۡعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ
كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ﴿٢٢٢﴾ يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾
وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ
يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ مَا لَا يَفۡعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ
بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

سُورَةُ النَّمۡلِ — ترتيبها ٢٧ — آياتها ٩٣

٢٠٧- فإذا نزل بهم العذاب فما أغنى عنهم تمتعهم في الدنيا شيئًا فإن متاع الدنيا إذا انقضى فكأنه لم يكن، ولا ينفع أصحابه في الآخرة.

٢٠٨- المعنى: ما أهلكنا قرية من القرى إلا بعد الإنذار إليهم، والإعذار بإرسال الرسل، وإنزال الكتب.

٢٠٩- أي: هذا الخبر عن الآخرة تذكير للناس ما داموا في دار العمل ﴿وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾﴾ في تعذيبهم. فقد قدّمنا الحجة إليهم وأعذرنا إليهم.

٢١٠- أي: بالقرآن، وهذا ردّ لما زعمه الكفرة في القرآن أنه من قبيل ما يلقيه الشياطين على الكهنة.

٢١١- أي ولا يصح منهم ذلك وما نسبه الكفار إليهم أصلا.

٢١٢- ﴿إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ﴾ للقرآن، أو لكلام الملائكة لمحجوبون مرجومون بالشهب. ٢١٣- أي كأنه قال: يا محمد: أنت أكرم الخلق عليّ، وأعزهم عندي، ولو اتخذت معي إلها لعذبتك، فكيف بغيرك من العباد؟ ٢١٤- خص الأقربين، لأن الاهتمام بشأنهم أولى. لما نزلت دعا النبي ﷺ قريشا، فاجتمعوا فعمّ وخص، فحذرهم وأنذرهم. ٢١٥- أي: أظهر لهم المحبة والكرامة، وتجاوز عنهم. ٢١٨- أي: حين تقوم إلى الصلاة وحدك. ٢١٩- أي: ويراك إن صليت في الجماعة راكعًا وساجدًا وقائمًا. ٢٢١- فيه بيان استحالة تنزل الشياطين على رسول الله ﷺ.

٢٢٢- ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ﴾ الأفاك: الكذّاب، والأثيم الكثير الإثم، والمراد بهم كل من كان كاهنا، فإن الشياطين كانت تسترق السمع ثم يأتون إليهم فيلقونه إليهم. ٢٢٣- أي: الشياطين يلقون السمع: أي ينصتون إلى الملأ الأعلى ليسترقوا منهم شيئًا وأكثر هؤلاء الكهنة كاذبون فيما يتلقونه من الشياطين، لأنهم يضمون إلى ما يسمعونه كثيرًا من أكاذيبهم المختلقة. ٢٢٤- أي يجاريهم ويسلك مسلكهم، ويكون من جملتهم الغاوون، وهم ضُلال الجن والإنس. ٢٢٥- أي: في كل فنّ من فنون الكذب يخوضون، وفي كل شِعْبٍ من شعاب الزور يتكلمون، فتارة يمزقون الأعراض بالهجاء، وتارة يأتون المجون، كما تسمعه في أشعارهم من مدح الخمر والزنى واللواط، ونحو هذه الرذائل الملعونة. ٢٢٦- أي: يقولون فعلنا وفعلنا، وهم كذبة في ذلك، فقد يدلون بكلامهم على الكرم والخير ولا يفعلونه، وقد ينسبون إلى أنفسهم الدعاوى الكاذبة والزور الخالص المتضمن لقذف المحصنات، وأنهم فعلوا بهنّ كذا وكذا، وذلك كذب محض وافتراء بحت.

٢٢٧- ويستثنى من هؤلاء الشعراء الذين دخلوا في حزب المؤمنين وعملوا بأعمالهم الصالحة ﴿وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ في أشعارهم وانتصروا بالرد على الكفار والمشركين فكانوا يهجون من هجا الرسول ﷺ ويدافعون عنه وسيعلم الذين أشركوا وهجوا رسول الله ﷺ أي مرجع يرجعون إليه بعد الموت ألا وهو سوء المرجع والمآب.

سورة النمل

هي مكية في قول الجميع.

١- الإشارة بقوله ﴿تِلۡكَ﴾ إلى نفس السورة المراد بالكتاب المبين: القرآن نفسه، فقد وصف الآيات بالوصفين: القرآنية الدالة على كونه مقروءا عربيًّا معجزًا، والكتابية الدالة على كونه مكتوبًا مع الإبانة لمعانيه لمن يقرؤه، أو هو بمعنى بَانَ معناه واتضح إعجازه بما اشتمل عليه من البلاغة.٢- أي: تلك آيات هادية ومبشرة. ٣- المراد بالصلاة: الصلوات الخمس، والمراد بالزكاة: الصدقة المفروضة ولا يوقن بالآخرة حقّ الإيقان إلا هؤلاء الجامعون بين الإيمان والعمل الصالح.

٤- أي: لا يصدّقون بالبعث زين الله لهم أعمالهم السيئة حتى رأوها حسنة، وقيل: المراد أن الله زين لهم الأعمال الحسنة، وذكر لهم ما فيها من خيرى الدنيا والآخرة فلم يقبلوا ذلك فهم يترددون فيها متحيرين، لا يهتدون إلى طريقة، ولا يقفون على حقيقة.

٥- أولئك لهم سوء العذاب في الدنيا كالقتل والأسر وهم في الآخرة أشد

نصف الحزب ٣٨

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ
لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم
بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ
أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ
وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن
لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا سَـَٔاتِيكُم
مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا
جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ
ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ
فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ
إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ
سُوٓءٖ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١﴾ وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ
مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ
﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿١٣﴾

الناس خسرانا وأعظمهم خيبة. ٦- أي: يلقى عليك فتتلقاه، وتأخذه من لدن كثير الحكمة والعلم ٧- إذ قال موسى لامرأته في مسيره من مدين إلى مصر، قيل: ولم يكن معه إذ ذاك إلا زوجته إني أبصرت نارًا ﴿سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ﴾ السين تدل على قرب مسافة النار أو آتيكم بشعلة نار مقبوسة: أي مأخوذة من أصلها رجاء أن توقودوا بها نارًا، فتستدفئوا بها من البرد، وقال ثعلب: أصل الشهاب عود في أحد طرفيه جمرة والآخر لا نار فيه. ٨- أي وصل موسى إلى موضع النار والنار هنا هي مجرد نور، ولكنه ظن أنها نار ﴿وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾ يعني الملائكة. أن بورك: معناه أن الله تقدس وفيه تعجيب لموسى من ذلك. ٩- العزيز الغلب القاهر، والحكيم في أمره وفعله. قيل إن موسى قال: يا رب من الذي ناداني؟ فأجابه الله سبحانه بقوله: إنه أنا الله. ١٠- ﴿وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ﴾ فألقاها من يده فصارت حيه فلما رآها تتحرك كما يتحرك الجان، هو الحية البيضاء، شبهها بالجان في خفة حركتها ولى مدبرًا من الخوف ولم يرجع، فقال الله سبحانه يا موسى لا تخف من الحية وضررها إني لا يخاف عندي من أرسلته برسالتي، فلا تخف أنت. ١١- أي لكن الذي يخاف هو من أذنب في ظلم نفسه بالمعصية ثم تاب وندم بعد عمل سوء فإني أغفر لمن خاف مقام الله بعد ما وقع منه الذنب. ١٢- والجيب فتحة القميص حيث يدخل الرأس أمره بإدخال يده في جيبه، فإنها ستخرج بيضاء من غير برص أو نحوه من الآفات، فأدخلها ثم أخرجها فإذا هي تبرق كالبرق ﴿فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ﴾ المعنى فهما آيتان من تسع، يعني العصا واليد، والبقية: الفلق، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والطمسة، والجدب في بواديهم، والنقصان في مزارعهم فإنك مرسل بهن إلى فرعون وقومه ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾﴾. ١٣- أي بلغت إليهم آياتنا التي تدل على صحة نبوّة موسى =

وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا
وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾
وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ
وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ
لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾
حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا
مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ
﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ
نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا
تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾
وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ
الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ
أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ
أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾

= حال كونها واضحة بينة، كأنها لفرط وضوحها تبصر نفسها، وقيل المعنى: أنها لوضوحها منظورة وادَّعوا أن كونه سحرًا أمرٌ واضح لا شبهة عندهم فيه. ١٤- أي: وكذبوا بها حال كون أنفسهم مستيقنة لها شركا وتكبرًا عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى وهم يعلمون أنها من عند الله فانظر يا محمد وتفكر في ذلك، فإن فيه معتبرًا للمعتبرين، وقد كان عاقبة أمرهم الإغراق لهم في البحر على تلك الصفة الهائلة. ١٥- أي: آتيناهما علما كثيرا فعملا به وقالا الحمد لله الذي فضلنا بالعلم والنبوة، وتسخير الطير والجن والإنس، ولم يفضِّلوا أنفسهم على الكل تواضعا منهم. ١٦- أي: ورثة العلم والنبوّة ولو كان المراد وراثة المال لما خصّ سليمان بالذكر لأن جميع أولاده في ذلك سواء، قال سليمان هذا القول تحدثًا بما أنعم الله به عليه وشكرًا للنعمة التي خصه بها. وقدم منطق الطير لأنها نعمة خاصة به لا يشاركه فيها غيره. ومنطق الطير: كلام الطير، فهّمني الله ما يقول الطير وأوتينا من كل شيء تدعو إليه الحاجة: كالعلم، والنبوة، والحكمة، والمال، وتسخير الجن والإنس، والطير، والرياح، والوحش، والدواب، وكل ما بين السماء والأرض إن ما تقدم ذكره من التعليم والإيتاء لهو الظاهر الواضح الذي لا يخفى على أحد. ١٧- أي: جمع له جنوده من هذه الأجناس، الوازع في الحرب: الموكل بالصفوف يزع من تقدم منهم، أيّ يرده. ١٨- قالت نملة لما رأتهم متوجهين إلى الوادي فرَّت ونبهت سائر النمل منادية لها قائلة ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾ جعل خطاب النمل كخطاب العقلاء لفهمها لذلك الخطاب أي: حاذروا أن يطأكم سليمان وجنوده بأرجلهم وحوافر دوابهم، فيحطموا أعضاءكم وهم لا يشعرون بحطمكم، ولا يعلمون بمكانكم. ١٩- والتبسم أول الضحك، وكان ضحك سليمان تعجبا من قولها وفهمها واهتدائها إلى تحذير النمل وقال رب ألهمني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ﴾ فإن الإنعام عليهما إنعام عليه، وذلك يستوجب الشكر منه لله سبحانه وأن أعمل عملا صالحا ترضاه مني وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين إلى دار الصالحين وهي الجنة. ٢٠- أي: تطلّب سليمان ما فقد من الطير وتعرف حال ما غاب منها، وكانت الطير تصحبه في سفره، وتظله بأجنحتها ﴿فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ﴾ هل ذلك لساتر يستره عني، أو لشيء آخر؟ ثم ظهر له أنه غائب، فقال هو غائب. ٢١- قيل: العذاب الشديد أن ينتف ريشه، وقيل: هو أن يمنعه من خدمته ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾﴾ هو الحجة البينة على أن له عذرًا في غيبته. ٢٢- أي: الهدهد مكث زمانا غير طويل، وقيل: بقي سليمان بعد التفقد والتوعد زمانا غير طويل فجاء فقال: علمت ما لم تعلمه من الأمر وجئتك من سبأ وهي اسم لمدينة باليمن كانت فيها =

إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا
عَرۡشٌ عَظِيمٞ ٢٣ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن
دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ
فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ٢٤ أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ
فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ٢٥ ٱللَّهُ
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۩ ٢٦ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ
أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٢٧ ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا
فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ٢٨ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ٢٩ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ
ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ٣١
قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ
تَشۡهَدُونِ ٣٢ قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ
فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ٣٣ قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً
أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ٣٤
وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ٣٥

ثلاثة أرباع الحزب ٣٨

سجدة

٣٧٩

= بلقيس ملكة. والنبأ: هو الخبر الخطير الشأن. ٢٣- وهي بلقيس بنت شرحبيل أوتيت من كل شيء في زمانها شيئا والعرش كرسي الملك، قيل: كان من ذهب. ٢٤- أي يعبدونها متجاوزين عبادة الله سبحانه، قيل: كانوا مجوسا وزين لهم الشيطان أعمالهم التي يعملونها، وهي عبادة الشمس وسائر أعمال الكفر صدهم الشيطان بسبب ذلك التزيين عن الطريق الواضح، وهو الإيمان بالله وتوحيده إلى الحق من أمر الدين. ٢٥- المعنى: زين لهم الشيطان ألا يسجدوا، وقيل: أي زين لهم ما هم فيه لئلا يسجدوا لله الذي يظهر ما هو مخبوء ومخفيّ في السماوات والأرض وقيل: خبء الأرض كنوزها ونباتها، وقيل: الخبء السر وأن الله سبحانه يخرج ما في ضمائر هذا العالم الإنساني من الخفاء بعلمه له، كما يخرج ما يخرج مما خفي في السماوات والأرض. ٢٦- خص العرش بالذكر لأنه أعظم المخلوقات كما ثبت ذلك في المرفوع إلى رسول الله ﷺ. ٢٧- قال سليمان للهدهد سننظر فيما أخبرتنا به من هذه القصة أصدقت فيما قلت أم كنت من الكاذبين وفيه إرشاد إلى البحث عن الأخبار والكشف عن الحقائق، وعدم قبول خبر المخبرين تقليدا لهم واعتمادا عليهم إذا تمكن من ذلك بوجه من الوجوه. ٢٨- اذهب بكتابي هذا فألقه إلى أهل سبأ ثم تنح عنهم إلى مكان يسمع فيه حديثهم حتى يخبر سليمان بما سمع واستمع إلى ما يتراجعونه بينهم من الكلام، فذهب الهدهد فألقاه إليهم وتنحى، فسمعها عندما: ٢٩- قالت: بلقيس يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم وعظَّمته إجلالا لسليمان، ولا شتماله على كلام حسن. ٣٠- أي: مفتتح بالتسمية، وبعد التسمية: ٣١- ألا تتكبروا على كما يفعله جبابرة الملكوك وأتوني منقادين للدين مؤمنين بما جئت به. ٣٢- المعنى: يا أيها الأشراف أشيروا علي، وبينوا لي الصواب في هذا الأمر، وأجيبوني بما يقتضيه الحزم ما كنت مبرمة أمرًا من الأمور حتى تحضروا عندي وتشيروا علي. ٣٣- فقالوا مجيبين لها نحن أولو قوة في العدد والعدة وأولو بأس شديد عند الحرب واللقاء، لنا من الشجاعة والنجدة ما نمنع به أنفسنا وبلدنا ومملكتنا والتدبير موكول إلى رأيك ونظرك فتأملي ماذا تأمريننا به، فنحن سامعون لأمرك مطيعون له. ٣٤- أي: إذا دخلوا قرية من القرى خربوا مبانيها، وأتلفوا أموالها، وفرقوا شمل أهلها وأهانوا أشرافها وحطوا مراتبهم، فصاروا عند ذلك أذلة، وإنما يفعلون ذلك لأجل أن يتم لهم الملك، وتستحكم لهم الوطأة، وتتقرر لهم في قلوب الناس المهابة. وقد صدقها الله فقال سبحانه ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ٣٤﴾. ٣٥- ﴿وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ﴾ فإن كان ملكا أرضيناه بذلك وكفينا أمره، وإن كان نبيا لم يرضه ذلك، لأن غاية مطلبه ومنتهى أربه هو الدعاء إلى الدين، فلا يرضى منا إلا بإجابته ومتابعته والتدين بدينه وسلوك طريقته، ولهذا قالت سأفكر وأتدبر الأمر تبعا لما يرجع به رسلي المرسلون بالهدية من قبول =

فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ
ءَاتَىٰكُمۚ بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ٣٦ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم
بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٣٧ قَالَ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ٣٨
قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي
عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ٣٩ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ
بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا
مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ
لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ ٤٠ قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرۡشَهَا
نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ ٤١ فَلَمَّا جَآءَتۡ قِيلَ
أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ
٤٢ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ
٤٣ قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن
سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي
ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٤

٣٨٠

=أو رد، فأعمل بما يقتضيه ذلك. ٣٦- فلما جاء رسولها المرسل بالهدية إلى سليمان قال منكرا لإمدادهم له بالمال مع علو سلطانه وكثرة ماله: فما آتاني الله من النبوة والملك العظيم والأموال الكثيرة خيرٌ من المال الذي هذه الهدية من جملته بل أنتم بهديتكم تفرحون وأما أنا فلا أفرح بها، وليست الدنيا من حاجتي. قال سليمان للرسول: ٣٧- ارجع إلى بلقيس وقومها فلنأتينهم بجنود لا طاقة لهم بها، فيدفعوا عن أنفسهم ويحموا ملكهم ولنخرجنهم من أرضهم التي هم فيها أذلة بعد ما كانوا أعزة والصغار هو الذلة، وقيل الصغار هنا الأسر والاستعباد.٣٨- قال سليمان يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرش بلقيس الذي تقدم وصفه بالعظم ثم أخبر بوحي من الله أنهم سيسلمون، قيل: أراد سليمان أخذ عرشها ليريها القدرة التي هي من عند الله، ويجعله دليلا على نبوته.٣٩- أي قبل أن يقوم من مجلسه الذي يجلس فيه للحكومة بين الناس وإني لقوي على حمله أمين على ما فيه. ٤٠- قال أكثر المفسرين: اسم هذا الذي عنده علم من الكتاب آصف بن برخيا، من بني إسرائيل، وكان وزيرًا لسليمان. وقيل هو سليمان نفسه، كأن سليمان استبطأ ما قاله العفريت، فقال له تحقيرًا لمقدرته: أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك، والمراد بالطرف تحريك الأجفان وفتحها للنظر، وارتداده انضمامها، كما تقول لصاحبك: افعل ذلك في لحظة فأذن له سليمان فدعا الله فأتي به، فلما رأى سليمان العرش حاضرًا لديه قال هذا من فضل ربي ليختبرني أأشكره بذلك وأعترف أنه من فضله، أم أكفر بترك الشكر وعدم القيام به.٤١- قال غيروا سريرها إلى حال تنكره إذا رأته، قيل: غير بزيادة ونقصان. وقيل: إنهم قالوا له إن في عقلها شيئًا، فأراد أن يمتحنها، ننظر أتهتدي إلى معرفته، أو إلى الإيمان بالله ﴿أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ ٤١﴾ إلى ذلك.٤٢- فلما جاءت بلقيس إلى سليمان قيل لها، والقائل هو سليمان، أو غيره بأمره ﴿أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ﴾ جعلت تعرف وتنكر، وتعجب من حضوره عند سليمان، فقالت: كأنه هو. قال عكرمة: كانت حكيمة: قالت إن قلت: هو هو، خشيت أن أكذِب، وإن قلت: لا، خشيت أن أُكذَّب، فقالت: كأنه هو ﴿وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ﴾ قيل هو من قول سليمان: أي أوتينا العلم بقدرة الله من قبل بلقيس، وقيل: أوتينا العلم بإسلامها ومجيئها طائعة من قبلها. ٤٣- وصدها عن الإيمان ما كانت تعبد من دون الله. ٤٤- الصرح القصر. وقال ابن قتيبة: الصرح بلاط اتخذ لها من زجاج: وجعل تحته ماء وسمك واللجة: معظم الماء، فلذلك كشفت عن ساقيها لتخوض الماء، فلما فعلت ذلك قال سليمان إنه صرح ممرد من قوارير المرد: المحكوك المملس. والممرد أيضًا: المطول. فلما سمعت بلقيس ذلك أذعنت واستسلمت ﴿قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي﴾ أي: بما كنت عليه من عبادة غيرك ﴿وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ﴾ متابعة له داخلة =

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا
هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ
بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ
عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ
رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟
تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا
مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا
وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ
﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ
أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ
ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾

= في دينه ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وأخرج ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم عن ابن عباس في أثر طويل أن سليمان تزوجها بعد ذلك. والأرجح أن زواجه بها من أخبار أهل الكتاب التي لا تصدق ولا تكذب.

٤٥ - تفسير للرسالة، أي: بأن اعبدوا الله والفريقان: المؤمنون منهم والكافرون، كل فريق يخاصم على ما هو فيه، ويزعم أن الحق معه. وقيل: إن الخصومة بينهم في صالح: هل هو مرسل أم لا؟

٤٦ - أي: بالعذاب قبل الرحمة. لم تؤخرون الإيمان الذي يجلب إليكم الثواب، وتقدمون الكفر الذي يجلب إليكم العقوبة؟ وقد كانوا لفرط كفرهم يقولون: ائتنا يا صالح بالعذاب، هلا تستغفرون الله، وتتوبون إليه من الشرك كي ترحموا فلا تعذبوا.

٤٧ - أصله تطيرنا، أي تشاءمنا بك وبمن معك ممن أجابك ودخل في دينك، قيل: أصابهم قحط فتشاءموا بصالح، قال لهم صالح ليس ذلك بسبب الطير الذي تتشاءمون به، بل سبب ذلك عند الله بل أنتم قوم تمتحنون وتختبرون. وقيل: يفتنكم الشيطان بما تقعون فيه من الطيرة، أو بما لأجله تتطيرون.

٤٨ - وكان في المدينة التي فيها صالح وهي الحجر تسعة رجال من أبناء الأشراف. وهؤلاء التسعة هم أصحاب قُدار عاقر الناقة وكان من شأنهم وعملهم الفساد في الأرض الذي لا يخالطه صلاح.

٤٩ - أي تحالفوا مع بعضهم لنأتينه بغتة في وقت البيات، فنقتله وأهله ثم لنقولن لقريبه المطالب بدمه ما رأينا مقتله أصلاً وإنا لصادقون في إنكارنا لقتله.

٥٠ - أي: بهذه الطريقة جازيناهم بفعلهم فأهلكناهم وهم لا يشعرون بمكر الله.

٥١ - أي دمر الله التسعة الرهط المذكورين، ودمر قومهم الذين لم يكونوا معهم عند مباشرتهم لذلك، ولم يسلم من العقوبة فرد من أفرادهم. ٥٢ - فتلك بيوتهم خالية عن أهلها خرابا ليس بها ساكن بسبب ظلمهم.

٥٣ - وهم صالح ومن آمن به وكانوا يتقون الله ويخافون عذابه.

٥٤ - أي: وأرسلنا لوطا إذ قال لقومه وهم أهل سدوم: أتأتون الفعلة المتناهية في القبح والشناعة، وهم أهل سدوم وأنتم تعلمون أنها فاحشة منكرة ولأنهم كانوا لا يستترون حال فعل الفاحشة عتوا وتمردا، وقد تقدم تفسير هذه القصة في سورة الأعراف.

٥٥ - فيه تكرير للتوبيخ مع التصريح بأن تلك الفاحشة هي اللواطة متجاوزين النساء اللاتي هن محل لذلك بل أنتم قوم تجهلون مقدار عظم العقوبة على هذه المعصية.

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ
لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ٥٦ فَأَنجَيۡنَٰهُ
وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَٰهَا مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٥٧ وَأَمۡطَرۡنَا
عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ ٥٨ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ
عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ٥٩
أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ
أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ٦٠
أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا
رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ
أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٦١ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ
وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ
مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٦٢ أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي
ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ
رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٣

٥٦- إنهم أناس يتنزهون عن أدبار الرجال، قالوا ذلك استهزاء بهم.

٥٧- فأنجيناه وأهله من العذاب إلا امرأته قدرنا أنها من الباقين في العذاب.

٥٨- المراد: بالمنذرين الذين أنذروا فلم يقبلوا، أمطروا بالحجارة حتى ماتوا.

٥٩- أي: قل يا محمد الحمد لله على هلاك كفار الأمم الخالية وسلام الله على عباده الذين اختارهم، وهم صفوة البشرية: أمة محمد ﷺ، والأنبياء وأتباعهم، آلله خير لمن عبده فأنجاه أم الأصنام، وقيل المعنى: أثواب الله خير، أم عقاب ما تشركون به؟!

٦٠- تقديره أآلهتكم خير أم من خلق السماوات والأرض، وقدر على خلقهن وأنزل لكم من السماء نوعًا من الماء، وهو المطر فأنبتنا به حدائق ذات حسن ورونق يبتهج به من رآه، ما كان للبشر ولا يتهيأ لهم ذلك، ولا يدخل تحت مقدرتهم، لعجزهم عن إخراج الشيء من العدم إلى الوجود، فهل هناك معبود مع الله الذي تقدم ذكر بعض أفعاله، حتى يقرن به ويجعل شريكا له في العبادة؟ بل هم قوم يعدلون بالله غيره، أو يعدلون عن الحق إلى الباطل.

٦١- أي: دحاها وسواها بحيث يمكن الاستقرار عليها وجعل لها جبالاً ثوابت تمسكها وتمنعها من أن تضطرب بالبشر الذين عليها، البحران: هما العذب والمالح، فلا يختلط أحدهما بالآخر، فلا هذا يغير ذاك ولا ذلك يدخل في هذا، وقد مر بيانه في سورة الفرقان وإذا ثبت أنه لا يقدر على ذلك إلا الله، فهل في الوجود إله يصنع صنعه، ويخلق مثل خلقه؟ فكيف يشركون به ما لا يضر ولا ينفع؟ بل أكثرهم لا يعرفون قدر الله وعظمته.

٦٢- المضطر: هو المكروب المجهود الذي لا حول له ولا قوة، الذي عراه ضر من فقر أو مرض، فألجأه إلى التضرع إلى الله سبحانه، الذي هو يجيب دعاء المضطر إذا دعاه مخلصا له الدين ويرفع كل ما يسوء العبد، ومنه الضر، والمرض، والفقر، ويهلك قرنا وينشئ آخرين، وقيل يجعل المسلمين خلفا من الكفار، ينزلون أرضهم وديارهم أإله مع الله يوليكم هذه النعم الجسام، أم هو الله وحده قليلا ما تذكرون فترجعون إلى الحق، وهو الاعتراف لله تعالى بنعمه، وتخصيصه بالعبادة دون سائر المعبودات.

٦٣- أي: يرشدكم في الليالي المظلمات إذا سافرتم في مفاوز البر التي لا أعلام لها، ولجج البحار. وشبهها بالظلمات لعدم ما يهتدون به فيها إلا بما وضعه الله تعالى من العلامات، وما هداهم إليه من الآلات ومن يرسل الرياح بين يدى المطر مبشرات بقرب نزوله أإله مع الله يفعل ذلك ويوجده؟ تنزه وتقدس عن أن يكون له شريك مما يجعلونه شريكا له.

أَمَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۗ
أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾
قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشْعُرُونَ
أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِۚ بَلْ هُمْ
فِي شَكٍّ مِّنْهَاۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ
أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا
هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾
قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ
﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ
أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ
لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ
فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ
يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾

٦٤- ﴿أَمَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ كانوا يقرون بأن الله سبحانه هو الخالق فألزمهم الإعادة ﴿وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بالمطر والنبات والأنعام أإله مع الله يصنع شيئًا من ذلك حتى تجعلون شريكا له فائتوني بحجتكم على أن لله سبحانه شريكا، أو هاتوا حجتكم أن ثم صانعًا يصنع كصنعه.

٦٥- أي لا يعلم أحد من المخلوقات الغيب الذي استأثر الله بعلمه ولا يشعرون متى ينشرون من القبور.

٦٦- تكامل علمهم في الآخرة، لأنهم رأوا كل ما وعدوا به وعاينوه، وذلك حين لا ينفعهم العلم، لأنهم رأوا كل ما وعدوا به وعاينوه، وذلك حين لا ينفعهم العلم، لأنهم كانوا في الدنيا مكذبين بل هم اليوم في الدنيا في شك من الآخرة، ثم أضرب عن ذلك إلى ما هو أشد منه فقال ﴿بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ فلا يدركون شيئًا من دلائلها لاختلال بصائرهم التي يكون بها الإدراك. ٦٧- أي استنكروا واستبعدوا أن يخرجوا من قبورهم أحياء بعد أن قد صاروا ترابا. ٦٨- لقد وُعدنا هذا البعث نحن وآباؤنا من قبل وعد محمد لنا أي وقالوا: ليس هذا الوعد بالبعث إلا أحاديث الأولين وليس وحيًا من عند الله.

٦٩- قل سيروا في الأرض وشاهدوا عظيم آثار من قبلكم يا معشر الكفار وتأملوا كيف كانت نهاية الأمر، وخاتمة حال الذين كذبوا بما جاءت به الأنبياء من الإخبار بالبعث، فإن في المشاهدة زيادة اعتبار.

٧٠- ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ لما وقع منهم من الإصرار على الكفر ولا يضيق صدرك بدعوة الله لما ترى من مكر هؤلاء بك.

٧١- أي: بالعذاب الذي تعدنا به إن كنتم صادقين في ذلك.

٧٢- أي: عسى أن يكون قد قرب ودنا وأزف بعض ما تتعجلونه من العذاب وأنتم لا تشعرون بقربه، قيل: هو عذابهم بالقتل يوم بدر، وقيل: هو عذاب القبر.

٧٣- أي: في تأخير العقوبة وغيره من أفضاله سبحانه وإنعامه، ولكن أكثرهم لا يشكرون فضله وإنعامه، ولا يعرفون حق إحسانه.

٧٤- وإن ربك ليعلم ما تخفيه صدورهم وما يظهرون من أقوالهم وأفعالهم.

٧٥- الغائبة جميع ما أخفى الله عن خلقه وغيبه عنهم، فهو مبين في اللوح المحفوظ، فكيف يخفى عليه شيء من ذلك، ومن جملة ذلك ما يستعجلونه من العذاب، فإنه موقت بوقت، ومؤجل بأجل علمه عند الله، فكيف يستعجلونه قبل أجله المضروب له؟.

٧٦- نزل القرآن مبينا لما اختلفوا فيه من الحق، فلو أخذوا به لوجدوا فيه ما يرفع اختلافهم ويدفع تفرقهم.

وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم
بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى
ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ
إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن
تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ۞ وَإِذَا
وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ
ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ
فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو
قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ
يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى
ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ
مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ
دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ
صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾

ربع الحزب ٣٩

٧٧- أي: وإن القرآن لهدى ورحمة لمن آمن بالله وتابع رسوله. ٧٨- أي: يقضي بين المختلفين من بني إسرائيل بما يحكم به من الحق، فيجازي المحق ويعاقب المبطل، وقيل: يقضي بينهم في الدنيا فيظهر ما حرفوه وهو العزيز الذي لا يغالب، والعليم بما يحكم به. ٧٩- أي فوض إليه أمرك، واعتمد عليه فإنه ناصرك، ولا تبال بمن يعاندك من المشركين إنك على الحق الظاهر، كونه حقًا لا ينبغي أن يشك فيه بوجه من الوجوه. ٨٠- أي: شبه الكفار بالموتى الذين لا حس لهم ولا عقل وبالصمّ، لأنهم لا يسمعون المواعظ ولا يجيبون الدعاء إلى الله إذا أعرضوا عن الحق إعراضا تاما، فإن الأصم لا يسمع الدعاء إذا كان مقبلا، فكيف إذا كان معرضا عنه موليا مدبرا. ٨١- أي: وما أنت بمرشد من أعماه الله عن الحق إرشادا يوصله إلى المطلوب منه وهو الإيمان، وليس في وسعك ذلك، ما تسمع إلا من يصدق بالقرآن لا من يكفر به فهم منقادون مخلصون. ٨٢- حق العذاب عليهم، وذلك عند اقتراب الساعة، وما فيها من فنون الأهوال التي كانوا يستعجلونها ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ الله أعلم بوصف تلك الدابة، فهي من علامات الساعة تحدث الناس أي: فتخبر الناس أن فلانا مؤمن وفلانا كافر. ٨٣- أي: اذكر يا محمد: يوم نجمع من كل أمة من الأمم جماعة مكذبين بآياتنا، فهم عند ذلك الحشر يردّ أولهم على آخرهم. ٨٤- حتى إذا جاءوا إلى موقف الحساب قال الله لهم أكذبتم بآياتي التي أنزلتها على رسلي، وأمرتهم بإبلاغها إليكم بل كذبتم بها مُبادرين قبل التصوّر الصحيح لها ومعرفة معانيها ودلالاتها، وكل من فعل ذلك فهو مستحق لأن تنزل به قارعة من قوارع العقوبة التي تزجره عن جهله وضلاله وطعنه على ما لا يعرفه ولا يعلم به، ولا يحيط بكنهه ﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾ حتى شغلكم ذلك عن النظر فيها والتفكير في معانيها. ٨٥- أي: وجب القول عليهم بإنزال العقوبة بسبب الظلم الذي أعظم أنواعه الشرك بالله فهم لا ينطقون عند وقوع القول عليهم: أي ليس لهم عذر ينطقون به. ٨٦- أي: جعلنا الليل للسكون والاستقرار والنوم، بسبب ما فيه من الظلمة فإنهم لا يسعون فيه للمعاش، وجعلنا النهار ليبصروا فيه ما يسعون له من المعاش الذي لابد لهم منه. ٨٧- الصور: قرن ينفخ فيه إسرافيل. والنفخات في الصور ثلاث: الأولى: نفخة الفزع، والثانية نفخة الصعق والثالثة: نفخة البعث. وقيل إنها نفختان، وإن نفخة الفزع هذه إما أن تكون هي نفخة الصعق أو نفخة البعث ففزع من في السماوات ومن في الأرض لشدة ما سمعوا إلا من شاء الله ألا يفزع عند تلك النفخة، وكلٌّ أتوه صاغرين أذلاء. ٨٨- وترى الجبال تحسبها قائمة ساكنة وهي تسير سير حثيثًا كسير السحاب التي تسيرها الرياح، وهذا يوم القيامة، صنع الله الذي أحكم كل شيء وأتقنه، والخبير: المطلع على الظواهر والضمائر فزع جميع ذلك اليوم. وقيل المراد: الفزع الأكبر المذكور في قوله =

مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾
وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ
إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ
ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ
ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى
لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ
لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

سُورَةُ القَصَصِ

ترتيبها ٢٨ — آياتها ٨٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ
مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ
فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ
طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ
مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟
فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾

= ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾.

٩٠- المراد بالسيئة هنا: الشرك، فكبوا فيها على وجوههم، وألقوا في النار وطرحوا عليها وما تجزون ألا جزاء عملكم السيئ. ٩١- أي قل يا محمد: إنما أمرت أن أخص الله بالعبادة وحده لا شريك له، رب مكة التي فيها بيت الله الحرام. ومعنى حرمها: جعلها حرما آمنا لا يسفك فيها دم، ولا يظلم فيها أحد، ولا يصطاد صيدها وله كل شيء خلقا، وملكا، وتصرفا وأمرت أن أكون من المنقادين لأمر الله المستسلمين له بالطاعة، وامتثال أمره، واجتناب نهيه.

٩٢- المراد: تلاوة الدعوة إلى الإيمان، أي: أن أقرأ عليكم القرآن لأنذركم به، وأدعوكم به إلى طاعة الله فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه لأن نفع ذلك راجع إليه ومن ضل بالكفر، وأعرض عن الهداية، فوبال ضلاله عليه وقد فعلت، بإبلاغ ذلك إليكم، وليس علي غير ذلك. ٩٣- وقل الحمد لله على نعمه من النبوة والعلم وغير ذلك سيريكم آياته في أنفسكم وفي غيركم فتعرفون آياته، ودلائل قدرته ووحدانيته، وهذه المعرفة لا تنفع الكفار، لأنهم عرفوها حين لا يقبل منهم الإيمان، وذلك عند حضور الموت وما الله تعالى بغافل أيها الناس عما تعملون من أعمال صغيرة أو كبيرة.

سُورَةُ القَصَصِ

هي مكية كلها. ٣- أي: نوحي إليك من خبرهما في هذه السورة الكريمة، متصفًا بالحق، ليكون ما فيها من الحق وأخبار الأنبياء هداية للمؤمنين وعبرة لهم، أما من يكفر به فلا ينتفع بما فيه.

٤- أي تكبر وتجبر بسلطانه في أرض مصر، وادعى الربوبية، واستعبد أهلها وجعل أهلها فرقا وأصنافا في خدمته، يشايعونه على ما يريد، ويطيعونه، فيقهر بعض شيعهم ببعض، والطائفة: هم بنو إسرائيل وكان فرعون يذبح أبناءهم ويترك البنات، قيل: لأن المنجمين في ذلك العصر أخبروه أنه يذهب مُلكُه على يد مولود من بني إسرائيل. قال الزجاج: والعجب من حمق فرعون، فإن الكاهن الذي أخبره بذلك إن كان صادقا فما ينفع القتل، وإن كان كاذبا فلا معنى للقتل، إنه كان من المفسدين في الأرض بالمعاصي والتجبر والقتل وغيرها من فعل أهل الإفساد. ٥- أي نريد بتدبيرنا الحكيم أن نتفضل عليهم بعد استضعافهم ونجعلهم قادة في الخير، ودعاة إليه، وولاة على الناس وملوكًا فيهم ونجعلهم وارثين للأرض المقدسة، وهي أرض بيت المقدس كما قال الله تعالى ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾.

وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا
مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ
أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي
وَلَا تَحْزَنِيٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾
فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ
فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾
وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ
أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ
فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن
رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ
لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ
﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ
عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾
فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ
أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

نصف الحزب ٣٩

٣٨٦

٦- أي: نجعلهم مقتدرين عليها يتصرفون كيف شاءوا ويري الله فرعون وهامان وجنودهما نهايتهم وهلاكهم على يد المولود من بني إسرائيل المستضعفين.

٧- أي وألهمناها وقذفنا في قلبها، وليس ذلك هو الوحي الذي يوحى إلى الرسل حتى إذا خفت عليه من فرعون بأن يبلغ خبره إليه فألقيه في البحر ولا تخافي عليه الغرق أو الضيعة، ولا تحزني لفراقه إنا رادّوه إليك مرةً أخرى عن قريب على وجه تكون به نجاته وجاعلوه من الذين نرسلهم إلى العباد.

٨- أي: أخذوا التابوت الذي فيه موسى من البحر ليكون لهم ولدًا وقرّة عين، لا ليكون عدوًّا، فكان عاقبة ذلك أنه كان لهم عدوًّا وحزنًا. فاعجبوا لتدبير الله وعظيم حكمته إذ ربّي موسى في حجر فرعون فكان هلاكه على يده إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا عاصين آثمين في كل أفعالهم وأقوالهم.

٩- أي: قالت امرأة فرعون لفرعون، هذا الطفل سيكون مصدر سرور لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا فنصيب منه خيرًا وكانت لا تلد، فاستوهبته من فرعون فوهبه لها وهم لا يشعرون أن هلاكهم على يده.

١٠- أي: فارغًا من كل شيء إلا من أمر موسى، كأنها لم تهتم بشيء سواه لما سمعت بوقوعه في يد فرعون إن كادت أن تقول أنه ابنها من فرط ما دهمها من الدهش والخوف والحزن لولا أن الله عز وجل شد قلبها وقوّاه بالسكينة والطمأنينة والثقة بوعد الله تعالى أنه سيرد إليها ابنها ولولا أن ألهمها الله الصبر والأناة لتكون من المصدقين بوعد الله برده إليها.

١١- أي: تتبعي أثره واعرفي خبره فرأته وهي متجانفة مخاتلة وهم لا يشعرون أنها تقصه وتتبع خبره وأنها أخته.

١٢- أي: منعناه أن يرضع من المرضعات من قبل أن نرده إلى أمه، وقد كانت امرأة فرعون طلبت لموسى المرضعات ليرضعنه، فلم يرضع من واحدة منهنّ فعند ذلك قالت أخته لما رأت امتناعه من الرضاع هل أدلكم على أهل بيت يضمنون لكم القيام به وإرضاعه وهم له مشفقون عليه لا يقصرون في إرضاعه وتربيته.

١٣- أي: فدلتهم على أم موسى فدفعوه إليها، فقبل ثديها، ورضع منه كي تقر عينها بولدها ولا تحزن على فراقه. وفيما يؤثر عن ابن عباس: إنها لما قالت أخته (وهم له ناصحون) شكوا في أمرها وقالوا: وما يدريك بنصحهم له وشفقتهم عليه، فقالت: لرغبتهم في سرور الملك. فأطلقوها. فلما قبل ثديها أحسنت إليها امرأة الملك وأجرت عليها النفقة والكساوي. أي: فكانت ترضع ولدها وتأخذ عليه الأجر من عدوه. وهذا تدبير الحكيم العليم. ولتوقن أن وعد الله حق ولكن أكثر الناس لا يوقنون بذلك.

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي
ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا
فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ
فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ
فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ
﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ
ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ
ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصۡبَحَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا
ٱلَّذِي ٱسۡتَنصَرَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَسۡتَصۡرِخُهُۥۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيّٞ
مُّبِينٞ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنۡ أَرَادَ أَن يَبۡطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوّٞ لَّهُمَا قَالَ
يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقۡتُلَنِي كَمَا قَتَلۡتَ نَفۡسَۢا بِٱلۡأَمۡسِۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ
أَن تَكُونَ جَبَّارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ﴿١٩﴾
وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ
يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾
فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾

١٤- قيل: الأشد ما بين الثمانية عشر إلى الثلاثين، والاستواء إشارة إلى كمال الخلقة، والحكم: الحكمة على العموم، وقيل: النبوة، وقيل: الفقه في الدين، والعلم معرفته بدينه ودين آبائه ومثل ذلك الجزاء الذي جزينا أمّ موسى نجزي المحسنين على إحسانهم.

١٥- أي: ودخل موسى مدينة مصر الكبرى مستخفيًا، قيل: لما عرف موسى ما هو عليه من الحق في دينه عاب ما عليه قوم فرعون، وفشا ذلك منه فأخافوه فخافهم، فكان لا يدخل المدينة إلا مستخفيًا فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا ممن شايعه على دينه، وهم بنو إسرائيل وهذا من قوم فرعون فاستغاثه الذي من شيعته أن ينصره ويعينه عليالذي من عدوه فأغاثه، قيل: أراد القبطي أن يسخّر الإسرائيلي ليحمل حطبًا لمطبخ فرعون، فأبى عليه، واستغاث بموسى، والوكز: الضرب بجمع الكف على القلب، وقيل: ضربه بعصاه فقتله، وكل شيء أتيت عليه وفرغت منه، فقد قضيت عليه، قيل: لم يقصد موسى قتل القبطي، وإنما قصد دفعه فأتى ذلك على نفسه، ولهذا قال هذا من عمل الشيطان لأنه لم يكن مأمورًا بقتله، وقيل: إن تلك الحالة حالة كف عن القتال لكونه مأمونًا عندهم، فلم يكن له أن يغتالهم إنه عدّو للإنسان يسعى في إضلاله، ظاهر العداوة والإضلال.

١٦- قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر الله له ذلك إنه هو الغفور الرحيم ووجه استغفاره أنه لم يكن لنبيّ أن يقتل حتى يؤمر.

١٧- أي: بسبب ما أنعمت به عليّ من العلم والحكمة والمغفرة فلن أعين مجرمًا على إجرامه.

١٨- أي: دخل في وقت الصباح في المدينة التي قتل فيها القبطي يترقب المكروه أو يترقب الفرج فإذا صاحبه الإسرائيلي الذي استغاثه بالأمس يقاتل قبطيًا آخر أراد أن يسخره ويظلمه قال له موسى إنك لغويّ بين الغواية، وذلك لأنه تسبب بالأمس لقتل رجل، ويريد اليوم أن يتسبب لقتل آخر. ١٩- أي: يبطش بالقبطي الذي هو عدو لموسى وللإسرائيلي حيث كان ظالمًا لقومهما قال الإسرائيلي، وقد ظن أنه يريد أن يبطش به فقال لموسى: أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسًا بالأمس، فلما سمع القبطي ذلك أفشاه، ولم يكن قد علم أحد، وقيل: إن القائل هو القبطي، وكان قد بلغه الخبر، الجبار: الذي يفعل ما يريد من الضرب والقتل، ولا ينظر في العواقب، ولا يدفع بالتي هي أحسن، وما تريد أن تكون من المصلحين بين الناس.

٢٠- وجاء رجل من آخر المدينة يسعى قال: يا موسى إن الملأ يتشاورون في قتلك، ويتآمرون بسببك ﴿فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾. ٢١- أي: فخرج موسى من المدينة خائفًا من الظالمين مترقبًا لحوقهم به وإدراكهم ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾﴾.

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلۡقَآءَ مَدۡيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ
ٱلسَّبِيلِ ٢٢ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ
ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ
قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا
شَيۡخٞ كَبِيرٞ ٢٣ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ
رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ٢٤ فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا
تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ
أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ
لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا
يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ
٢٦ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن
تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ
وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ
ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧ قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ
قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ٢٨

٢٢- أي: نحو ديار قبيلة مدين قاصدًا لها، أي: سلك في الطريق الذي يوصل إلى مدين قال: عسى ربي أن يهديني إلى مدين فلا أضل عن الطريق.

٢٣- ولما وصل الماء الذي يستقون منه وجد على الماء جماعة كثيرة من الناس يسقون مواشيهم ووجد من دونهم امرأتين تحبسان أغنامهما عن الماء قال موسى للمرأتين: ما شأنكما لا تسقيان غنمكما مع الناس؟ قالتا: عادتنا التأني حتى يصدر الناس عن الماء، وينصرفوا منه، حذرًا من مخالطتهم، أو عجزًا عن السقي معهم، وأبونا لا يقدر أن يسقي ماشيته من الكبر، فلذلك احتجنا ونحن امرأتان ضعيفتان أن نسقي الغنم.

٢٤- فلما سمع موسى كلامهما سقى أغنامهما لأجلهما ثم لما فرغ من السقي لهما انصرف إلى الظل فجلس فيه فقال: رب إني لما أنزلت إليّ من إيّ خير كان محتاج إلى ذلك.

٢٥- أي: فذهبتا إلى أبيهما سريعتين، فحدثتاه بما كان من الرجل الذي سقى لهما، فأمر إحدى بنتيه أن تدعوه له فجاءته. وذهب أكثر المفسرين إلى أنهما ابنتا شعيب.

﴿قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَا﴾ أي: جزاء سقيك لنا فلما أخبره بجميع ما اتفق له من عند قتله القبطي إلى عند وصوله إلى ماء مدين قال أبوهما لا تخف نجوت من فرعون وأصحابه، لأن فرعون لا سلطان له على مدين.

٢٦- أي: لبرعى لنا الغنم، إنه حقيق باستئجارك له لكونه جامعًا بين خصلتي القوة والأمانة وكل ذلك كان في موسى عليه السلام.

٢٧- فيه مشروعية عرض وليّ المرأة لها على الرجل الكفء الصالح، وهذه سنة ثابتة في الإسلام، كما ثبت من عرض عمر لابنته حفصة على أبي بكر وعثمان رضي الله عنهم جميعًا وأرضاهم، والقصة معروفة، وغير ذلك مما وقع في أيام النبوّة وأيام الصحابة. على أن يكون مهر ابنتي أن تعمل عندي ثماني سنين ترعى غنمي فإن أتممت ما استأجرتك عليه من الرعي عشر سنين بدل ثمان، بأن زدتني سنتين على الثمان، فمن عندك: أي تفضلاً منك لا إلزامًا مني لك، جعل ما زاد موكولاً إلى المروءة ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَ﴾ بإلزامك إتمام العشرة الأعوام، ستجدني إن شاء الله في حسن الصحبة والوفاء.

٢٨- قال: موسى هذا الشرط بيني وبينك الإشارة إلى ما تعاقدا عليه أيُّ الأجلين قضيت ثمانيًا أو عشرًا فلا ظلم علي بطلب الزيادة على ما قضيته من الأجلين، جمعهما ليجعل الأول كالأتم في الوفاء والله على ما نقول من هذه الشروط الجارية بيننا شاهد وحفيظ، فلا سبيل لأحدنا إلى الخروج عن شيء من ذلك.

۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ
ٱلطُّورِ نَارٗاۖ قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم
مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ
٢٩ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ
ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ
ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٠ وَأَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا
جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ وَلَا تَخَفۡۖ إِنَّكَ
مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ ٣١ ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ
غَيۡرِ سُوٓءٖ وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِۖ فَذَٰنِكَ
بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ
قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ٣٢ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلۡتُ مِنۡهُمۡ نَفۡسٗا فَأَخَافُ
أَن يَقۡتُلُونِ ٣٣ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا
فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ٣٤
قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا فَلَا
يَصِلُونَ إِلَيۡكُمَاۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلۡغَٰلِبُونَ ٣٥

٣٨٩

٢٩- فلما أتم موسى عليه السلام الأجل المتفق عليه بينهما وهو أكملهما وأوفاهما، وهو العشرة الأعوام وسار بأهله إلى مصر، وفيه دليل على أن الرجل يذهب بأهله حيث شاء وعند جبل الطور بسيناء أبصر نارًا فقال لأهله: انتظروا، إني أبصرت نارًا لعلي آتيكم ممن عندها بخبر عن الطريق - ذلك لأنه كان قد أخطأ الطريق - أو آتيكم بشعلةٍ من النار تستدفئون بها من البرد.

٣٠- فلما أتى النار التي أبصرها نودي من جانب الواد المبارك من ناحية الشجرة: إني أنا الله رب العالمين.

٣١- أي: قال الله تعالى له هذا في موقفه ذاك، وقد تقدم تفسير هذا وما بعده في سورتي طه والنمل، فأمره أن يلقي عصاه فألقاها فصارت ثعبانًا فاهتزت والجان نوع من الأفاعي أبيض، أي: صارت مثل الجانّ في سرعة حركتها مع عظم جسمها ولى منهزمًا ولم يرجع فنودي: يا موسى ارجع، ولا تخف إنك من الآمنين مما تحاذر.

٣٢- وأدخل يدك يا موسى في صدرك من فتحة قميصك تخرج بيضاء من غير داء يكون بها واضمم إليك يديك المبسوطتين لتتقي بهما الحية من أجل الخوف ﴿فَذَٰنِكَ﴾ إشارة إلى العصا واليد حجتان نيرتان ودليلان واضحان من ربك إلى فرعون وملائه، إنهم كانوا قومًا خارجين عن طاعة الله.

٣٣- أي: القبطي الذي وكزه فقضى عليه، فأخاف أن يقتصوا مني ويقتلوني بها.

٣٤- أي: كان في لسان موسى حبسة فأرسله معي ليعينني على أداء المهمة ﴿يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ٣٤﴾ إذا لم يكن معي هارون لعدم انطلاق لساني بالمحاجة.

٣٥- أي: أجاب الله تعالى طلبه وقواه به ونجعل لكما حجة وبرهانا، أو تسلطا على فرعون وعلى قومه فلا يصلون إليكما بالأذى ولا يقدرون على غلبتكما بالحجة وتمتنعان منهم بآياتنا، أو اذهبا بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون تبشير لهما وتقوية لقلوبهما.

فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ
مُّفۡتَرٗى وَمَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٦ وَقَالَ
مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ
لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٣٧ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي فَأَوۡقِدۡ
لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ
إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣٨ وَٱسۡتَكۡبَرَ
هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا
لَا يُرۡجَعُونَ ٣٩ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي
ٱلۡيَمِّۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠
وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ
لَا يُنصَرُونَ ٤١ وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗۖ
وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ ٤٢ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا
مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ
بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٤٣

٣٦- أي: مُختلق مكذوب اختلقته من قبل نفسك وما سمعنا بالذي جئت به من دعوى النبوة، أو ما سمعنا بهذا السحر في آبائنا الأولين.

٣٧- فرد عليهم نبي الله موسى قائلاً، ربي أعلم بمن جاء بالرشاد من عنده، ومن تكون له الخاتمة الحسنى في الآخرة وهي الجنة إنه لا يفلح الظالمون بمطلب خير.

٣٨- أي: تمسك اللعين بمجرد الدعوى الباطلة مغالطة لقومه، وقد كان يعلم أن ربه الله، ثم رجع إلى تكبره وتجبره وإيهام قومه بكمال اقتداره، فقال: يا هامان اطبخ لي الطين حتى يصير آجرًا فاجعل لي قصرًا عاليًا لعلي أصعد إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين.

٣٩- المراد بالأرض أرض مصر، والاستكبار التعظيم بغير استحقاق، بل بالعدوان، لأنه لم يكن له حجة يدفع بها ما جاء به موسى، ولا شبهة ينصبها في مقابلة ما أظهره من المعجزات والمراد بالرجوع البعث والمعاد.

٤٠- فأخذناه وجنوده بعد أن عتوا في الكفر وجاوزوا الحد فيه فطرحناهم في البحر، وقد تقدم بيان الكلام في هذا فانظر يا محمد كيف كان آخر أمر الكافرين حين صاروا إلى الهلاك.

٤١- أي: صيرناهم رؤساء متبوعين مطاعين في الكافرين يدعون أتباعهم إلى النار، لأنهم اقتدوا وسلكوا طريقتهم تقليدًا لهم ويوم القيامة لا ينصرهم أحد ولا يمنعهم مانع من عذاب الله.

٤٢- وأتبعناهم في هذه الدنيا طردًا وإبعادًا، أو أمرنا العباد بلعنهم، فكل من يذكرهم يلعنهم ويوم القيامة هم من المطرودين.

٤٣- ولقد آتينا موسى التوراة من بعد قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم. وقيل: من بعد ما أهلكنا فرعون وقومه وخسفنا بقارون ﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾ لأجل أن يتبصر به الناس الحق، ويهتدوا إليه، وينقذوا أنفسهم من الضلالة بالاهتداء به ورحمة من الله رحمهم بها لعلهم يتذكرون هذه النعم فيشكرون الله ويؤمنون به ويجيبون داعيه إلى ما فيه خيرهم.

وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ إِذۡ قَضَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلۡأَمۡرَ وَمَا كُنتَ
مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأۡنَا قُرُونٗا فَتَطَاوَلَ عَلَيۡهِمُ
ٱلۡعُمُرُۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيٗا فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ تَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ
ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ
ٱلطُّورِ إِذۡ نَادَيۡنَا وَلَٰكِن رَّحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا
مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾
وَلَوۡلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَيَقُولُواْ
رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ
مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ
لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ
مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ
﴿٤٨﴾ قُلۡ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبٖ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمَآ أَتَّبِعۡهُ
إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ
أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ
هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾

٤٤ – أي: وما كنت يا محمد بالجانب الغربي للوادي في سيناء، حيث ناجى موسى ربه وعهدنا إليه وأحكمنا الأمر معه بالرسالة إلى فرعون وقومه وما كنت من الشاهدين لذلك حتى تقف على حقيقته وتحكيه لقومك وتقص عليهم خبره من جهة نفسك، فبذلك يتبين أنه من عند الله سبحانه بوحي منه إلى رسوله.

٤٥ – ولكنا خلقنا أممًا بين زمان موسى وزمانك يا محمد فطالت عليهم المهلة، وتمادى عليهم الأمد، فتغيرت الشرائع والأحكام، وتنوسيت الأديان، فتركوا أمر الله ونسوا عهده. وقد استُدل بهذا الكلام على أن الله سبحانه قد عهد إلى موسى عهودًا في محمد ﷺ وفي الإيمان به، فلما طال عليهم العمر ومضت القرون بعد القرون نسوا تلك العهود وتركوا الوفاء بها وما كنت مقيم بين أهل مدين كما أقام موسى، حتى تقرأ على أهل مكة خبرهم، وتقص عليهم من جهة نفسك وتقرأ على أهل مدين آياتنا وتتعلم منهم. وقيل: بل هو مبتدأ كلام، أي: كأنه قيل: وها أنت تتلو على أمتك وأرسلناك إلى أهل مكة، وأنزلنا عليك هذه الأخبار، ولولا ذلك لما علمتها.

٤٦ – أي: وما كنت يا محمد بجانب الجبل المسمى بالطور إذ نادينا موسى ولكن أوحينا إليك القرآن، وقصصنا عليك خبر موسى وكلام الله تعالى له، رحمة من ربك لتنذر أهل مكة، فإنه لم يأتهم نذير ينذرهم قبله لعلهم يتعظون بإنذارك.

٤٧ – ومعنى الآية: أنا لو عذبناهم قبل بعثتك لقالوا: طال العهد بالرسل، ولم يرسل الله إلينا رسولاً، ويظنون أن ذلك عذر لهم. ولكنا أكملنا الحجة وأزحنا العلة، وأتممنا البيان بإرسالك يا محمد إليهم.

٤٨ – فلما جاء أهل مكة الحق من عند الله وهو محمد ﷺ وما أنزل عليه من القرآن، قالوا تعنتًا منهم: هلا أوتي هذا الرسول مثل ما أوتي موسى من الآيات التي من جملتها التوراة المنزلة عليه جملة واحدة، فأجاب الله عن سؤالهم بقوله: وقد كفر كفار قريش بآيات موسى، كما كفروا بآيات محمد قالوا سحران تعاونا على الكذب وشهد أحدهما للآخر، يعنون التوراة والقرآن، أو نبوة محمد ونبوة موسى وقالوا إنا بكل من موسى ومحمد، أو التوراة والقرآن كافرون.

٤٩ – قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى من التوراة والقرآن إن كنتم صادقين.

٥٠ – فإن لم يفعلوا ما كلفتهم به من الإتيان بكتاب إلهي هو أهدى من الكتابين. وقيل: المعنى: فإن لم يستجيبوا لك بالإيمان بما جئت به فاعلم أنما يتبعون آراءهم الزائغة، بلا حجة ولا برهان ولا أحد أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله.

وَلَقَدۡ وَصَّلۡنَا لَهُمُ ٱلۡقَوۡلَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٥١ ٱلَّذِينَ
ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ٥٢ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ
قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ ٥٣
أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ
ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٥٤ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ
أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ
لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ٥٥ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ
ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ٥٦ وَقَالُوٓاْ إِن
نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ
حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ
أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٧ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ
بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَاۖ فَتِلۡكَ مَسَٰكِنُهُمۡ لَمۡ تُسۡكَن مِّنۢ بَعۡدِهِمۡ
إِلَّا قَلِيلٗاۖ وَكُنَّا نَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٥٨ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهۡلِكَ
ٱلۡقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبۡعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۚ وَمَا
كُنَّا مُهۡلِكِي ٱلۡقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهۡلُهَا ظَٰلِمُونَ ٥٩

٥١- أي: أتبعنا بعضه بعضًا، وبعثنا رسولا بعد رسول، يصدق كل منهم من قبله من الرسل لعلهم يتذكرون مخافة أن ينزل بهم ما نزل بمن قبلهم.

٥٢- الذين آتيناهم الكتاب من قبل القرآن وهم طائفة من بني إسرائيل فإنهم يؤمنون بالقرآن، كعبد الله بن سلام وسائر من أسلم من أهل الكتاب. ٥٣- إنه الحق الذي نعرفه، المنزل من ربنا إنا كنا من قبله مخلصين لله بالتوحيد، أو مؤمنين بمحمد وبما جاء به لما نعلمه من ذكره في التوراة والإنجيل من التبشير به، وأنه سيبعث آخر الزمان وينزل عليه القرآن.

٥٤- أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بالكتاب الأول والآخِر، ورجل كانت له أمة فأدبها فأحسن تأديبها، ثم أعتقها وتزوجها، وعبد مملوك أحسن عبادة ربه ونصح لسيده» بسبب صبرهم وثباتهم على الإيمان بالكتاب الأول والكتاب الآخر، وبالنبي الأول والنبي الآخر ويدفعون بالاحتمال والكلام الحسن ما يلاقونه من الأذى من مثل ما يتعرض لهم به سائر قومهم ممن لم يؤمن بالقرآن، وقيل يدفعون بالطاعة المعصية ومما رزقناهم ينفقون أموالهم في الطاعات، وفيما أمر به الشرع. ٥٥- واللغو هنا هو ما يسمعونه من المشركين من الشتم لهم ولدينهم، والاستهزاء بهم وقالوا لا يلحقنا من ضرر كفركم شيء، ولا يلحقكم من نفع إيماننا شيء ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ﴾ المراد به سلام المتاركة، ومعناه، أَمَنَة لكم منا وسلامة، لا نجاوبكم بالسوء، ولا نجاريكم فيما أنتم فيه. قال الزجاج: وهذا قبل الأمر بالقتال لا نطلب صحبتهم. ٥٦- إنك لا تهدي من أحببت من الناس، وليس ذلك إليك ولكن الله يهدي من يشاء هدايته وهو أعلم بالقابلين للهداية المستعدين لها. وهذه الآية نزلت في أبي طالب لما امتنع عن الإسلام مع شدة حرص النبي ﷺ على إيمانه، فمات على دين عبد المطلب، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما. ٥٧- أي: قال مشركو قريش ومن تابعهم: إن ندخل في دينك يا محمد يتخطفنا العرب من أرضنا، يعنون مكة، ولا طاقة لنا بهم ألم نجعل لهم حرمًا ذا أمن تجمع إليه الثمرات على اختلاف وتحمل إليه ولكن أكثرهم لفرط جهلهم، ومزيد غفلتهم، وعدم تفكرهم في أمر معادهم ورشادهم لا يعلمون. ٥٨- أي: كانوا في خفض عيش ودعة ورخاء، فبطروا النعمة، فأهلكوا. وقال عطاء: عاشوا في البطر، فأكلوا رزق الله وعبدوا الأصنام فتلك مساكنهم لم يسكنها أحد بعدهم إلا زمنًا قليلاً كالذي يمر بها مسافرًا، فإنه يلبث فيها يومًا أو بعض يوم، وأكثرها خراب وكنا نحن الوارثين لهم، لأنهم لم يبق منهم أحد يرث منازلهم وأموالهم. ٥٩- أي: حتى ينذرهم ويتلوا عليهم آيات الله الناطقة بما أوجبه الله عليهم، وما أعده من الثواب للمطيع والعقاب للعاصي، قيل: المراد بأم القرى هنا مكة وما كنا=

وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ
ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا
فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ
كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ
ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا
يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟
لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ
فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ
يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ
صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ
يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ
ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ
صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ
ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾

= مهلكي القرى بعد أن نبعث إلى أمها رسولا إلا وأهلها بظلمهم وكفرهم بالله ورسله.

٦٠- وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها تتمتعون به مدة حياتكم ثم تزولون عنه أو يزول عنكم وما عند الله من ثوابه وجزائه خير من ذلك الزائل الفاني، لأنه لذة خالصة عن شوب الكدر ﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾ لأنه يدوم أبدًا، أفلا تعقلون أن الباقي أفضل من الفاني.

٦١- أي: وعدناه بالجنة وما فيها من النعم التي لا تحصى. مدركة لا محالة، فإن الله لا يخلف الميعاد، هل هو كمن متعناه متاع الحياة الدنيا فأعطي منها بعض ما أراد، مع سرعة زواله وتنغيصه ثم هو يوم القيامة صائر إلى النار، فهل يستويان؟ ٦٢- وينادي الله سبحانه هؤلاء المشركين فيقول لهم: أين شركائي الذين كنتم تزعمون أنهم ينصرونكم ويشفعون لكم؟ ٦٣- أي: في يوم الحشر يقول الذين حقت عليهم كلمة العذاب، وهم رؤساء الضلال الذين اتخذهم الكافرون أربابًا من دون الله: ربنا هؤلاء الذين دعوناهم إلى الغواية، يعنون الأتباع أضللناهم كما ضللنا ﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ﴾ منهم، والمعنى: أن رؤساء الضلال، أو الشياطين، تبرءوا ممن أطاعهم ﴿مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾﴾ أي: وإنما كانوا يعبدون أهواءهم. ٦٤- قيل: للكفار من بني آدم: استغيثوا بآلهتكم التي كنتم تعبدونهم من دون الله في الدنيا لينصروكم ويدفعوا عنكم فدعوهم عند ذلك فلم يستجيبوا لهم ولا نفعوهم بوجه من وجوه النفع ويرى التابع والمتبوع العذاب إذا أقبل عليهم وقد غشيهم ولو أنهم كانوا يهتدون لأنجاهم ذلك ولم يروا العذاب.

٦٥- أي: خفيت عليهم الحجج، حتى صاروا كالعمي الذين لا يهتدون ولا يسأل بعضهم بعضًا، ولا ينطقون بحجة، ولا يدرون بما يجيبون، لأن الله قد أعذر إليهم في الدنيا، فلا يكون لهم عذر ولا حجة يوم القيامة.

٦٧- فأما من تاب من الشرك والمعاصي وآمن وعمل صالحًا فعسى أن يكون من الفائزين بمطالبهم من سعادة الدارين.

٦٨- وربك يخلق ما يشاء أن يخلقه ويختار ما يشاء أن يختاره ما كان لهم الخيرة بل الاختيار هو إلى الله عز وجل. أي: قد خلقهم الله تعالى على الصورة التي شاءها هو، لا كما شاءوا هم، واختار من الرسل من شاء ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ أي: تنزه أن ينازعه منازع أو يشاركه مشارك وتعالى عن الذين يجعلونهم شركاء له، أو عن إشراكهم وربك يعلم ما تخفيه صدورهم من الشرك، أو من عداوة رسول الله ﷺ وما يظهرونه من ذلك.

٧٠- وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الدنيا والدار الآخرة وهو يقضي بين عباده بما شاء من غير مشارك وإليه ترجعون بالبعث، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ
مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾
قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ
يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ
فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ
وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ
تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا
هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟
يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ ربع الحزب ٤٠
عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ
أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ
﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ
نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ
وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾

٧١- قل أخبروني إن لو كان الدهر الذي يعيشون فيه ليلاً دائمًا إلى يوم القيامة، لم يتمكنوا من الحركة فيه، وطلب ما لابد لهم منه، مما يقوم به العيش من المطاعم والمشارب والملابس هل لكم إله من الآلهة التي تعبدونها يقدر على أن يرفع هذه الظلمة الدائمة عنكم بنور تطلبون فيه المعيشة، وتبصرون فيه ما تحتاجون إليه وتصلح به ثماركم، وتنمو عنده زرائعكم، وتعيش فيه دوابكم أفلا تسمعون سماع فهم وقبول وتدبر وتفكر؟

٧٢- أي: إن جعل جميع الدهر الذي تعيشون فيه نهارًا دائمًا مستمرًا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تستقرون فيه من النصب والتعب وتستريحون مما تزاولون من طلب المعاش والكسب أفلا تبصرون هذه المنفعة العظيمة إبصار متعظٍ متيقظ، حتى تنزجروا عما أنتم فيه من عبادة غير الله.

٧٣- أي: جمع لكم في الخلق بين هذين الخلقين العظيمين وهما النهار والليل، لكي يمكنكم الجمع بين الكسب والسعي وبين الراحة والسكون، ولكي تشكروا نعمة الله عليكم.

٧٥- أي: يشهد عليهم يوم القيامة، وهم الأنبياء وقيل عدو لكل أمة، فقلنا: هاتوا حجتكم بأن معي شركاء، فعند ذلك اعترفوا وخرسوا عن إقامة البرهان فيعلمون أن ما جاءت به الأنبياء هو الصدق وبطل وذهب عنهم ما كانوا يختلقونه على الله من الكذب في الدنيا بأن لله شركاء يستحقون العبادة.

٧٦- قال النخعي وقتادة وغيرهما: كان قارون ابن عم موسى فجاوز الحد في التجبر والتكبر عليهم وخرج عن طاعة موسى وكفر بالله.

والكنز: هو المال المدخر ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ﴾ أي: مفاتيح خزائن ماله وصناديقه المقفلة لتميله بالمجموعة من الرجال إذا أرادوا حملها. فكيف يكون مقدار تلك الكنوز نفسها؟ والمراد بالعصبة الجماعة التي يتعصب بعضها لبعض ويعين بعضهم بعضًا كأنهم يدٌ واحدة، قيل: هي من الثلاثة إلى العشرة إذ قال له قومه: لا تبطر ولا تأشر إن الله لا يحب البطرين الأشرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم.

٧٧- أي: فأنفقه فيما يرضاه الله لا في التجبر والبغي ولا تضيع حظك من دنياك في تمتعك بالحلال وطلبك إياه وأحسن إلى عباد الله كما أحسن الله إليك بما أنعم به عليك من نعم الدنيا ولا تعمل فيها بمعاصي الله إن الله لا يحب المفسدين في الأرض.

قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ
مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ
وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ
فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا
مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ
ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ
وَعَمِلَ صَٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا
بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ
ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟
مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن
يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ
وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا
لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ
﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا
يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾

٣٩٥

٧٨- أي: هو علمه بوجوه المكاسب والتجارات.

وقيل: معرفة الكنوز والدفائن.

وقيل المعنى: على علم من الله باستحقاقي إياها لفضل عَلِمَهُ مني والمراد بالقرون الأمم الخالية وأكثر جمعًا للمال، ولو كان المال، أو القوة يدلان على فضيلة لما أهلكهم الله ولا تسأل الملائكة غدًا عن المجرمين، لأنهم يعرفون بسيماهم، فإنهم يحشرون سود الوجوه زرقًا.

٧٩- أي: خرج قارون في زينة انبهر لها من رآها، ولهذا تمنى الناظرون إليه أن يكون لهم مثلها حتى قال الذين يحبون الدنيا وزينتها يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو نصيب وافر من الدنيا.

واختلف في هؤلاء القائلين، فقيل: هم من مؤمني ذلك الوقت، وقيل: هم قوم من الكفار.

٨٠- وهم أحبار بني إسرائيل، قالوا للذين تمنوا مثل أموال قارون: ويلكم ثواب الله في الآخرة خير مما تتمنونه للمؤمنين الذين يعملون الصالحات ولا يؤتى الجنة إلا الصابرون على طاعة الله، والمصبِّرون أنفسهم عن الشهوات.

٨١- غيبه وغيب داره حتى ساخ وذهب في الأرض وما كان له جماعة يستعين بهم يدفعون عنه ذلك الأمر الذي عذّبه الله به وما كان هو في نفسه من الممتنعين مما نزل به من الخسف، ولم يتمكن من أن ينجي نفسه على كثرة ما كان لديه من الأموال.

٨٢- أي: منذ زمان قريب يقول كل واحد منهم متندمًا على ما فرط منه من التمني لولا أن من الله علينا برحمته وعصمنا من مثل ما كان عليه قارون من البطر والبغي، ولم يؤاخذنا بما وقع منا من ذلك التمني لخسف بنا كما خسف به ويكأنه لا يفلح الكافرون بمطلب من مطالبهم.

٨٣- وتلك المكانة العالية وهو ما يكون في الجنة، والإشارة إليها لقصد التعظيم لها والتفخيم لشأنها في مقابل التحقير لما أوتيه يجعلها الله تعالى للذين لا يريدون قارون وأمثاله من متاع الدنيا رفعة وتكبرًا على المؤمنين ولا عملاً بمعاصي الله سبحانه والنهاية الحميدة والدرجة الرفيعة في الآخرة لأهل التقوى.

٨٤- أي: وهو أن الله يجازيه بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ومن وقع في بيئة فلا يحاسب إلا مثل ما كانوا يعملون دون زيادة أو تضعيف، وقد يعفو الله بواسع رحمته.

إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ قُل رَّبِّىٓ
أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ
تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَۖ
فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ
ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا
هُوَۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

سُورَةُ العَنكَبُوتِ

ترتيبها ٢٩ — آياتها ٦٩

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا
يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ
ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُوا۟
لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن
جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾

٣٩٦

نصف الحزب ٤٠

٨٥- أي: أنزل عليك القرآن، وفرض عليك العمل بأحكام القرآن وفرائضه لرادك إلى مكة فاتحًا ظافرًا منصورًا وقال مجاهد: لرادُّك إلى يوم القيامة، لأن الناس يعودون فيه أحياء وإذا قال لك كفار مكة إنك لفي ضلال مبين فقل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين أنا أم أنتم؟.

٨٦- أي: وما كنت ترجو أنا نرسلك إلى العباد، وننزل عليك القرآن إلا رحمة من خالقك فضلاً دون عمل منك ولا استحقاق. فلا تكن عونًا ومساعدًا للكافرين بموالاتهم أو مداراتهم على حساب تبليغ الدعوة.

٨٧- أي: لا يصدنك يا محمد الكافرون وأقوالهم وكذبهم وأذاهم عن تلاوة آيات الله والعمل بها بعد إذ أنزلها الله إليك وفرضت عليك وادع الناس إلى الله وإلى توحيده، والعمل بفرائضه، واجتناب معاصيه ولا تساعد المشركين.

٨٨- ثم ينهى الله تعالى نبيَّهُ والمراد أمته عن عبودية غير الله فكل شيء في هذا الوجود الفسيح كائنًا ما كان إلى فناء إلا الله سبحانه له القضاء النافذ يقضي بما شاء، ويحكم بما أراد وإليه يرجع الناس عند البعث، ليجزي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، لا إلى غيره سبحانه وتعالى.

سُورَةُ العَنكَبُوتِ

مكية كلها، عن ابن عباس وابن الزبير والحسن البصري. ٢- المعنى أن الناس لا يتركون بغير اختبار ولا ابتلاء يقولون: آمنا وهم لا يبتلون في أموالهم وأنفسهم، وليس الأمر كما حسبوا، بل لابد أن نختبرهم بالجهاد أو الفقر أو الضرر أو غير ذلك، حتى يتبين المخلص من المنافق، والصادق من الكاذب. ٣- أي: هذه سنة الله في عباده، وأنه يختبر مؤمني هذه الأمة، كما اختبر من قبلهم من الأمم، كما جاء به القرآن في قصص الأنبياء، وما اختبر الله به أتباعهم ومن آمن بهم، من الأمور التي نزلت بهم وليظهرن الله الصادق منهم، ولسوف يميز بينه وبين الكاذب. ٤- أي: وهم العصاة الذين لا يبالون بمعصية الله أن يفوتونا ويعجزونا قبل أن نؤاخذهم بما يعملون بئس ما يعتقدون أن يعتقدوا أنهم يفوتون قدرتنا. ٥- أي: من كان يطمع في أن يلقى الله تعالى، فيعمل في حياته ليلقاه بصالح القول أو العمل، فلن يضيع أجره والأجل المضروب للبعث آت لا محالة، وهو السميع لأقوال عباده العليم بما يسرونه وما يعلنونه. ٦- أي: من جاهد الكفار، وجاهد نفسه بالصبر على الطاعات، فإنما يجاهد نفسه، أي: ثواب ذلك له لا لغيره، ولا يرجع إلى الله سبحانه من نفع ذلك شيء إن الله لغني عن العالمين فلا يحتاج إلى طاعاتهم كما لا تضره معاصيهم.

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ
وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٧ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ
بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ
فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٨
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ
٩ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ
فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِۖ وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ
إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ
١٠ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ
١١ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا
وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن
شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٢ وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا
مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ
١٣ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ
إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ١٤

٧- أي: لنغطينها عنهم بالمغفرة، بسبب ما عملوا من الصالحات ولنجزينهم بأحسن جزاء أعمالهم.

٨- معناه: ووصينا الإنسان أن يفعل بوالديه ما هو حسن، مما يرضيانه وتطيب به أنفسهما بالبر بهما والعطف عليهما وإن طلبا منك وألزماك أن تشرك بي إلهًا ليس لك علم بكونه إلهًا فلا تطعهما في ذلك، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ويلحق بطلب الشرك منهما سائر معاصي الله سبحانه، فلا طاعة لهما فيما هو معصية لله، صح ذلك عن رسول الله ﷺ ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٨﴾ أي: أخبركم بصالح أعمالكم وطالحها، فأجازي كلا منكم بما يستحقه.

٩- أي: في زمرة الراسخين في الصلاح.

١٠- أي: في شأن الله ولأجله كما يفعله أهل الكفر مع أهل الإيمان، وكما يفعله أهل المعاصي مع أهل الطاعات، من إيقاع الأذى عليهم لأجل الإيمان بالله والعمل بما أمر به وهذا الصنف من الناس يجعلون أذى الناس وعذابهم في الدنيا كعذاب الله في الآخرة أي: جزع من أذاهم، فلم يصبر عليه، وجعله في الشدة والعظم كعذاب الله، فأطاع الناس كما يطيع الله، وقيل: هو المنافق إذا أوذي في الله رجع عن الدين فكفر. فينبغي للمؤمن أن يصبر على الأذية في الله ولا يرتد عن الحق لأجل ذلك، ولئن جاءت النعم للمؤمنين قال هؤلاء المنافقون للمؤمنين إنا داخلون معكم في دينكم، ومعاونون لكم على عدوكم. فكذبهم الله، فقال: ﴿أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠﴾ من خير وشر، فكيف يدعون هذه الدعوى الكاذبة؟ وهؤلاء هم قوم ممن كان في إيمانهم ضعف، كانوا إذا مسهم الأذى من الكفار وافقوهم، وإذا ظهرت قوة الإسلام ونصر الله المؤمنين في موطن من المواطن قالوا إنا كنا معكم.

١١- أي: ليميزن الله بين الطائفتين، ويظهر إخلاص المخلصين ونفاق المنافقين فالمخلص هو الذي لا يتزلزل بما يصيبه من الأذى، ويصبر في الله حق الصبر. والمنافق هو الذي يميل هكذا وهكذا، فإن أصابه أذى من الكافرين وافقهم وتابعهم وكفر بالله عز وجل، وإن خفقت ريح الإسلام وطلع نصره ولاح فتحه رجع إلى الإسلام، وزعم أنه من المسلمين.

١٢- أي: اسلكوا طريقتنا وادخلوا في ديننا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين شيئًا من الخطيئة التي التزموا بها وضمنوا لهم حملها.

١٣- أي: أوزارهم التي عملوها وأوزارًا مع أوزارهم، وهي أوزار من أضلوهم وأخرجوهم عن الهدى إلى الضلالة ﴿وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ تقريعًا وتوبيخًا عما كانوا يختلقونه من الأكاذيب التي كانوا يأتون بها في الدنيا.

فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ
١٥ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ
خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ١٦ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ
وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ١٧ وَإِن تُكَذِّبُوا۟
فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ
ٱلْمُبِينُ ١٨ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ
يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ١٩ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ
فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ٢٠ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ
مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ٢١ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى
ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ
وَلَا نَصِيرٍ ٢٢ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ
أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٢٣

١٤- فيه تثبيت للنبي ﷺ، كأنه قيل له إن نوحًا لبث ألف سنة إلا خمسين عامًا يدعو قومه ولم يؤمن منهم إلا قليل، فأنت أولى بالصبر لقلة مدة لبثك، وكثرة عدد أمتك فأخذهم الطوفان عقب تمام المدة المذكورة، والطوفان: الماء الغالب نزل عليهم من السماء ونبع من الأرض حتى أغرقهم جميعًا وهم مستمرون على الظلم ولم ينجع فيهم ما وعظهم به نوح، وذكرهم هذه المدة بطولها. ١٥- أي: أنجينا نوحًا، وأنجينا من معه في السفينة من أولاده وأتباعه. واختلف في عددهم على أقوال وجعلنا السفينة عبرة عظيمة لهم، فقد كانت باقية على الجودي مدة مديدة، وقيل جعلناها- أي: الواقعة، أو النجاة، أو العقوبة بالغرق- آية.

١٦- أي: أفردوه بالعبادة وخصوه بها، واتقوا أن تشركوا به شيئًا فعبادة الله وتقواه خير لكم من الشرك، ولا خير في الشرك أبدًا، ولكنه خاطبهم باعتبار اعتقادهم إن كنتم تعلمون علمًا تميزون به بين ما هو خير وما هو شر.

١٧- ثم بين لهم إبراهيم أنهم يعبدون ما لا ينفع ولا يضر، ولا يسمع ولا يبصر.

وإنما تعبدون أوثانًا وأنتم تصنعونها كاذبين في قولكم إنها آلهة تعبد إن الذين تعبدون من دون الله لا يقدرون على أن يرزقوكم شيئًا من الرزق فاصرفوا رغبتكم في أرزاقكم إلى الله، فهو الذي عنده الرزق كله، فاسألوه من فضله، ووحدوه دون غيره.

١٨- أي: وإن تكذبوا محمدًا فذلك عادة الكفار مع من سلف وما على الرسول إلا البلاغ المبين لقومه الذي أرسل إليهم، وليس عليه هدايتهم، وليس لك في وسعه. ١٩- المعنى: ألم يروا كيف يخلق الله الواحد منهم ابتداء من نطفة، ثم يخرجه إلى الدنيا ثم يتوفاه بعد ذلك، وكذلك سائر الحيوانات وسائر النباتات، فإذا رأيتم قدرة الله سبحانه على الابتداء والإيجاد فهو القادر على الإعادة لأنه إذا أراد أمرًا قال له كن فيكون. ٢٠- أي: فقل لهم يا محمد: سيروا في أرض الله فتأملوا كيف بدأ الخلق على كثرتهم واختلاف ألوانهم وطبائعهم وألسنتهم ثم الله يخلقهم مرة أخرى بعد الموت فالله تعالى على الخلق والإعادة قدير.

٢١- يعذب من يشاء تعذيبه وهم الكفار والعصاة ويرحم من يشاء رحمته، وهم المؤمنون به المصدقون لرسله العاملون بأوامره ونواهيه وإليه ترجعون وتردون لا إلى غيره. ٢٢- أي: لا يعجزه سبحانه أهل الأرض، ولا أهل السماء، إن عصوه وليس لكم من دونه من ولي يواليكم ولا نصير ينصركم ويدفع عنكم عذاب الله. ٢٣- أي: التنزيلية أو التكوينية أو جميعها، وكفروا بلقاء الله: أي: أنكروا البعث وما بعده ولم يعملوا بما أخبرتهم به رسل الله سبحانه أولئك في الدنيا آيسون من رحمة الله لم ينجع فيهم ما نزل من كتب الله، ولا ما أخبرتهم به رسله، وييأسون يوم القيامة من رحمة الله وهي الجنة.

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ
فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ
﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ
فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم
بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ
وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ
إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا
لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَـٰبَ
وَءَاتَيْنَـٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ
﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ
مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾
أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ
فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ
أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ
﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

٢٤- وفي هذا رجوع إلى قصة إبراهيم بعد الاعتراض بما تقدم من خطاب محمد ﷺ فأنجاه الله تعالى من هذه النار العظيمة إن في ذلك لعبرة لقوم يصدقون بقدرة الله ودلائل وحدانيته.

٢٥- أي: للتوادد بينكم والتواصل لاجتماعكم على عبادتها، وللخشية من ذهاب المودة فيما بينكم إن تركتم عبادتها، والمعنى: أن المودة هي التي جمعتكم على عبادة الأوثان واتخاذها ثم يوم القيامة يتبرأ العابدون للأوثان من الأوثان، وتتبرأ الأوثان من العابدين لها ويلعن كل فريق الآخر والنار هي منزلكم الذي تأوون إليه وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها بنصرتهم لكم.

٢٦- أي: آمن لإبراهيم لوط فصدقه في جميع ما جاء به، وكان لوط ابن أخي إبراهيم وقال إبراهيم إني مهاجر فهاجر من كوثى، وهي قرية من سواد الكوفة بالعراق إلى حران، ثم إلى الشام، ومعه ابن أخيه لوط وامرأته سارة، إنه الغالب الذي أفعاله جارية على مقتضى الحكمة.

٢٧- أي: من الله عليه بالأولاد، فوهب له إسماعيل بكره، ووهب له إسحاق ولدًا له، ويعقوب ولدًا لولده إسحاق، وجعل في ذريته النبوة والكتاب، فلم يبعث الله نبيًّا بعد إبراهيم إلا من صلبه، والكتاب: التوراة والإنجيل والزبور والقرآن وأعطي في الدنيا الأولاد، وأخبره الله باستمرار النبوة فيهم، وأهل الملل كلها تدعيه وتقول هو منهم، وأعطاه في الدنيا عملاً صالحًا وعاقبة حسنة وإنه في الآخرة لمن الكاملين في الصلاح المستحقين لتوفير الأجر.

٢٨- أي: الخصلة المتناهية في القبح ولم يسبقهم إلى عملها أحد من الناس على اختلاف أجناسهم.

٢٩- أي: تلوطون بالرجال، قيل: وكانوا يفعلون الفاحشة بمن يمر بهم من المسافرين، فقطعوا السبيل بهذا السبب. وقيل: كانوا يقطعون الطريق على المارة بقتلهم ونهبهم قيل: وكانوا يحذفون الناس بالحصباء، ويستخفون بالغريب، فما أجابوا بشيء إلا بهذا القول رجوعًا منهم إلى التكذيب واللجاج والعناد.

٣٠- أي: بإنزال عذابك عليهم: وإفسادهم، هو بما سبق من إتيان الرجال وعمل المنكر في ناديهم، فبعث لعذابهم ملائكته، وأمرهم بتبشير إبراهيم قبل عذابهم.

وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ
أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ٣١
قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطٗاۚ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ
وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٣٢ وَلَمَّآ
أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا
وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ
كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٣٣ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ
هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ
٣٤ وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ
٣٥ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ
ٱللَّهَ وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ
٣٦ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي
دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٣٧ وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ
لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ
أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ٣٨

٣١- أي: بالبشارة بالولد، وهو إسحاق، وبولد الولد وهو يعقوب، قالوا لإبراهيم هذه المقالة، والقرية: هي قرية سدوم التي كان فيها قوم لوط.

٣٢- وهنا قال إبراهيم عليه السلام للملائكة: ولكن القرية التي سينزل بها العذاب فيها لوط، فكيف تهلكونها؟ قالوا: نحن أعلم بمن فيها من الأخيار والأشرار، ونحن أعلم من غيرنا بمكان لوط، لننجينه وأهله من العذاب إلا امرأته كانت من الباقين في العذاب الهالكين لأنها كانت تعين قومها على بغيهم وضلالهم وآثامهم فاستحقت مثل جزائهم.

٣٣- أي: جاءه ما ساءه وخاف منه، لأنه ظنهم من البشر، فخاف عليهم من قومه لكونهم في أحسن صورة من الصور البشرية عجز عن تدبيرهم وحزن وضاق صدره وقالوا: لا تخف علينا من قومك ولا تحزن فإنهم لا يقدرون علينا وإنا منجوك وأهلك من العذاب الذي أمرنا الله بأن ننزله بهم إلا امرأتك فهي من الهالكين معهم جزاء عملها معهم.

٣٤- وهو الرمي بالحجارة وقيل: إحراقهم بنار نازلة من السماء، وقيل: هو الخسف والحصب كما في غير هذا الموضع بسبب فسقهم.

٣٥- أي: أبقينا من القرية بعد إهلاكها علامة ودلالة بينة، وهي الآثار التي بها من الحجارة التي رجموا بها وخراب الديار، وآثار انقلاب الأرض بها سافلها عاليها، يعتبر بها أهل العقول النيرة.

٣٦- أي: وأرسلناه إليهم، فقال: يا قوم أفردوه بالعبادة وخصوه بها وخوفهم يوم القيامة وعدم الفساد في الأرض.

٣٧- أي: الزلزلة بصيحة جبريل، وهي سبب الرجفة فأصبحوا في بلدهم أو منازلهم جاثمين على الركب ميتين.

٣٨- التقدير: وأهلكنا عادًا وثمود وقد ظهر لكم بالحجر والأحقاف آيات بينات تتعظون بها وتتفكرون فيها وزين لهم الشيطان أعمالهم التي يعملونها من الكفر ومعاصي الله. وصدهم عن الطريق الواضح الموصل إلى الحق وكانوا عقلاء ذوي بصائر فلم تنفعهم بصائرهم.

وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ
بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ
﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا
وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ
ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ
وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ
ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ
ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۖ
لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ مِن
دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلۡكَ
ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ
﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ
وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ
وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴿٤٥﴾

٣٩- وأهلك الله قارون وفرعون وهامان بعد أن جاءتهم الرسل فاستكبروا عن عبادة الله وما كانوا فائتين.

٤٠- أي: عاقبنا بكفره وتكذيبه فمنهم من أرسلنا عليه ريحًا تأتي بالحصباء وهم قوم لوط ومنهم من أخذته الصيحة وهم ثمود وأهل مدين ومنهم من خسفنا به الأرض وهو قارون وأصحابه ومنهم من أغرقنا وهم قوم نوح وقوم فرعون وما كان الله تعالى ليظلمهم في شيء لأنه قد أرسل إليهم رسله وأنزل عليهم كتبه ولكنهم ظلموا أنفسهم باستمرارهم على الكفر وتكذيبهم للرسل وعملهم بمعاصي الله.

٤١- أي: يوالونهم ويتكلون عليهم في حاجاتهم من دون الله، سواء كانوا من الجماد أو الحيوان، من الأحياء أو من الأموات كمثل العنكبوت اتخذت بيتًا فإن بيتها لا يغني عنها شيئًا لا في حر ولا قر ولا مطر، ولا يحفظها من عدو، كذلك ما اتخذوه وليًا من دون الله، فإنه لا ينفعهم بوجه من وجوه النفع، ولا يغني عنهم شيئًا وإن أضعف البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ذلك.

٤٢- أي: وإن الله يعلم أن ما يدعونهم من دونه ليس بشيء ينفع ولا يضر والله غالب على أمره وهو الحكيم في كل فعله ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٤٢﴾﴾.

٤٣- أي: وهذا المثل وغيره من الأمثال التي في القرآن نضربها للناس تنبيهًا لهم وتقريبًا لما بعد من أفهامهم وما يفهمها ويتعقل الأمر الذي ضربناها لأجله إلا الراسخون في العلم المتدبرون المتفكرون لما يتلى عليهم وما يشاهدونه.

٤٤- أي: بالعدل والقسط مراعيًا في خلقها مصالح عباده.

٤٥- أي: القرآن مع التدبر لآياته والتفكر في معانيه ودم على إقامة الصلاة واستمر على أدائها كما أمرت بذلك، والفحشاء: ما قبح من العمل، والمنكر: ما لا يعرف في الشريعة. ومعنى نهيها عن ذلك: أن فعلها يكون سببًا للانتهاء عن المعاصي، لما فيها من مراقبة الله وتدبر آياته ولذكر الله أفضل من العبادات كلها بغير ذكر. أي: هو الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر، لأن الانتهاء لا يكون إلا من ذاكر لله، مراقب له، وإن ما في الصلاة من الذكر هو العمدة في تفضيلها على سائر الطاعات والله يعلم كل شيء فهو مجازيكم بالخير خيرًا وبالشر شرًّا.

۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا
ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ
إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦
وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ
يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ
إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٧ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ
وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ٤٨ بَلۡ هُوَ
ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ
بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ٤٩ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ
ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ
مُّبِينٌ ٥٠ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ
يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ
يُؤۡمِنُونَ ٥١ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ
يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٥٢

٤٦- أي: بالخصلة التي هي أحسن، وذلك على سبيل التنبيه لهم على حجج الله وبراهينه رجاء إجابتهم إلى الإسلام، لا على طريق الإغلاظ والمخاشنة ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ بأن أفرطوا في المجادلة ولم يتأدبوا مع المسلمين، فلا بأس بالإغلاظ عليهم والتخشين في مجادلتهم وقولوا آمنا بالقرآن والتوراة والإنجيل، ولا يدخل في دين ما حرَّفوه وبدلوه، وإلهنا وإلهكم واحد لا شريك له ولا ضد ولا ند ونحن معاشر أمة محمد ﷺ مطيعون له خاصة.

٤٧- أي: ومثل ذلك الإنزال البديع أنزلنا إليك القرآن فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به كعبد الله بن سلام ﴿وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الإشارة إلى أهل مكة وهو من قد أسلم ﴿مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦ﴾ أي: بالقرآن وقيل: الإشارة إلى جميع العرب وما يجحد آيات القرآن إلا الكافرون المصممون على كفرهم من المشركين وأهل الكتاب.

٤٨- أي: ما كنت يا محمد تقرأ قبل القرآن كتابًا، ولا تقدر على ذلك، لأنك أمي لا تقرأ ولا تكتبه لأنك لا تقدر على الكتابة ولو كنت ممن يقدر على التلاوة والخط لقالوا: لعله وجد ما يتلوه علينا من كتب الله السابقة، أو من الكتب المدونة في أخبار الأمم، فلما كنت أميًا لا تقرأ ولا تكتب لم يكن هناك موضع للريبة ولا محل للشك أبدًا.

٤٩- يعني: القرآن في صدور المؤمنين الذين حفظوا القرآن على عهده ﷺ وحفظوه بعده وما يجحد بآياتنا إلا المجاوزون للحد في الظلم.

٥٠- أي: كآيات موسى، وناقة صالح، وإحياء المسيح للموتى قل إنما الآيات عند الله ينزلها على من يشاء من عباده، ولا قدرة لأحد على ذلك وإنما أنا أنذركم كما أمرت، وأبين لكم كما ينبغي، ليس في قدرتي غير ذلك.

٥١- أي: أولم يكف المشركين من الآيات التي اقترحوها هذا الكتاب المعجز الذي قد تحديتهم بأن يأتوا بمثله، أو بسورة منه، فعجزوا، ولو أتيتهم بآيات موسى وآيات غيره من الأنبياء لما آمنوا، كما لم يؤمنوا بالقرآن إن في ذلك لرحمة عظيمة في الدنيا والآخرة وذكرى في الدنيا يتذكرون بها وترشدهم إلى الحق لقوم يصدقون بما جئت به من عند الله.

٥٢- وقل لهم يا محمد: كفى بالله تعالى بيني وبينكم شاهدًا أني رسوله وأن القرآن منزل من عنده وهو يعلم غيب السماوات والأرض ولا تخفى عليه من ذلك خافية والذين آمنوا بما يعبدونه من دون الله، وكفروا بالحق وهو الله سبحانه فأولئك هم الخاسرون.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ
وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ
وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ
مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
﴿٥٥﴾ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ
﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي
مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ
صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ
رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن
سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم
مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا
لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾

٤٠٣

٥٣- ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ استهزاء وتكذيبًا منهم ولولا أني قضيت بتأخير عذابهم إلى يوم القيامة لجاءهم العذاب الذي يستحقونه بذنوبهم وليأتينهم فجأة وهم لا يحسون به وهو مقبل عليهم.

٥٤- أي: سيحيط بهم عن قرب، فإن ما هو آت قريب.

٥٥- أي: من جميع جهاتهم، فإذا غشيهم العذاب على هذه الصفة فقد أحاطت بهم جهنم ويقول الله سبحانه، أو بعض ملائكته بأمره، أي: ذوقوا جزاء ما كنتم تعملون من الكفر والمعاصي.

٥٦- أي: إن كنتم في ضيق بمكة من إظهار الإيمان فعليكم بالهجرة إلى أرض أخرى صالحة لتتيسر لكم عبادتي وحدي، وتتسهل عليكم وتظهروا شعائر دينكم.

٥٧- أي: كل نفس من النفوس سوف تجد في يوم من الأيام مرارة الموت لا محالة، فلا يصعب عليكم ترك الأوطان، ومفارقة الإخوان والخلان، ثم إلى الله المرجع، فكل حي في سفر إلى دار القرار، وإن طال لبثه في هذه الدار.

٥٨- أي: لننزلنهم غرف الجنة، وهي علاليها ومن تحت الغرف تجري الأنهار خالدين في نعيمهم لا يموتون أبدًا، نعم أجر العاملين للأعمال الصالحة أجرهم.

٥٩- الذين صبروا على مشاق التكليف، وعلى أذية المشركين لهم وعلى ربهم يفوضون أمورهم إليه في كل إقدام وإحجام.

٦٠- المعنى: وفي الدنيا كثير من الدواب التي لا تطيق حمل رزقها لضعفها ولا تدخره، وإنما يرزقها الله من فضله ويرزقكم، فكيف لا يتوكلون على الله مع قوتهم وقدرتهم على أسباب العيش، كتوكلها على الله مع ضعفها وعجزها. وفيه تقوية لعزم من أراد الهجرة وصده عنها خوف الفقر.

٦١- أي: خلقها، لا يقدرون على إنكار ذلك، ولا يتمكنون من جحوده فكيف يصرفون عن الإقرار بتفرده بالإلهية، وأنه وحده لا شريك له؟

٦٢- أي: التوسيع في الرزق والتقتير له هو من الله الباسط القابض، يبسطه لمن يشاء، ويضيقه على من يشاء، إن الله يعلم ما فيه صلاح عباده وفسادهم.

٦٣- أي: الذي نزله وأحيا به الأرض هو الله، اعترفوا هذا الاعتراف، وهو يقضي ببطلان ما هم عليه من الشرك وعدم إفراد الله سبحانه بالعبادة واحمد الله على أن جعل الحق معك، وأظهر حجتك عليهم بل أكثرهم لا يعملون بمقتضى ما اعترفوا به.

وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ
لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٦٤ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي
ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا
هُمۡ يُشۡرِكُونَ ٦٥ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ وَلِيَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوۡفَ
يَعۡلَمُونَ ٦٦ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ
ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ
٦٧ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِٱلۡحَقِّ
لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ ٦٨ وَٱلَّذِينَ
جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩

سُورَةُ الرُّومِ

ترتيبها ٣٠ — آياتها ٦٠

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ
غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ
مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٤
بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٥

ربع الحزب ٤١

٦٤- أي: من جنس ما يلهو به الصبيان ويلعبون به وإن الدار الآخرة لهي دار الحياة الباقية التي لا تزول، ولا ينغصها موت ولا مرض، ولا هم ولا غم لو كانوا يعلمون شيئًا من العلم لما آثروا عليها الدار الفانية المنغصة.

٦٥- أي: إذا انقطع رجاؤهم عندما يركبون في السفن في البحر، فإنهم إذا اشتدت الريح وعظم الموج وخافوا الغرق، رجعوا إلى الفطرة، فدعوا الله وحده، مع تركهم عند ذلك لدعاء الأصنام، لعلمهم أنه لا يكشف هذه الشدة العظيمة النازلة بهم غير الله سبحانه فلما نجاهم إلى البر إذا هم يدعون من دون الله أصنامهم وعادوا إلى الشرك، ودعوا غير الله سبحانه.

٦٦- ثم يتوعدهم الله على كفران نعمه سبحانه بأنهم سيعلمون عاقبة ذلك وما فيه من الوبال عليهم. ٦٧- ويُعْلِمُ كفار قريش، أنا جعلنا حرمهم هذا حرمًا آمنًا، يأمن فيه ساكنه من الغارة والقتل والسبي والنهب ﴿وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ﴾ أي: فصاروا في سلامة وعافية مما صار فيه غيرهم من العرب، فإنهم في كل حين تطرقهم الغارات، وتجتاح أموالهم الغزاة، وتسفك دماءهم الجنود، وتستبيح حرمهم وأموالهم شطار العرب وشياطينها ﴿أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ﴾ وهو الشرك بعد ظهور حجة الله عليهم ﴿وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ ٦٧﴾ يجعلون كفرها مكان شكرها.

٦٨- أي: ولا أحد أظلم منه، وهو من زعم أن لله شريكًا أو اختلق وكذب وادعى على الله ما لم يقُله أو كذّب بالرسول والكتاب وبالتوحيد وفي جهنم مكان يستقرون فيه هؤلاء الكفار. ٦٩- والذين جاهدوا أنفسهم وأنصبوا أبدانهم في الدعوة إلى الله لطلب مرضاته فهؤلاء يوفقهم الله إلى طريق الجنة ويثبتهم على الهداية وإن الله لمع المحسنين بالنصر والعون، ومن كان معه لم يخذل.

سُورَةُ الرُّومِ

كلها مكية بلا خلاف . ٢- قال أهل التفسير: غَلَبت فارسُ الرومَ، ففرح بذلك كفار مكة، وقالوا: الذين ليس لهم كتاب غلبوا الذين لهم كتاب. وافتخروا على المسلمين. وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس، لأنهم أهل كتاب. ٣- في أقرب أرضهم من أرض العرب، قيل: هي أرض الجزيرة، وقيل: أذرعات، والروم من بعد غلب فارس إياهم سيغلبون أهل فارس.

٤- البضع بين الثلاثة إلى العشرة لله الأمر من قبل الغلب وبعده، أي: هو المتفرد بالقدرة وإنفاذ الأحكام، فكل ذلك بأمر الله سبحانه وقضائه ويوم ينتصر يفرح المسلمون بنصرهم لكونهم أهل كتاب. ٥- وهذه الآية من معجزات النبي ﷺ لأنها إخبار بما سيكون، وقد كانت الغلبة للروم بعد ذلك ببضع سنوات إنباء بما سيكون ينصر من يشاء أن ينصره وهو الغالب القاهر الكثير =

وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
(٦) يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ
(٧) أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ
بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ (٨) أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟
كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً
وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ
رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟
أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٩) ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ
أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ (١٠) ٱللَّهُ
يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١١) وَيَوْمَ تَقُومُ
ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ (١٢) وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ
شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ (١٣) وَيَوْمَ
تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ (١٤) فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ (١٥)

= الرحمة لعباده المؤمنين.

٦- أي: وعد الله بذلك وعدًا لا يخلفه، وهو ظهور الروم على فارس ولكن الكفار لا يعلمون ذلك.

٧- أي: مقدار علمهم ظاهر ما يشاهدونه من زخارف الدنيا وملاذها، وأمر معاشهم، وأسباب تحصيل فوائدهم الدنيوية وهم عن العلم بالآخرة التي هي النعمة الدائمة، واللذة الخالصة لا يلتفتون إليها ولا يُعِدون لها ما يحتاج إليه.

٨- المعنى: أن أسباب التفكر حاصلة لهم، وهي أنفسهم، فلو تفكروا فيها كما ينبغي لعلموا وحدانية الله وصدق أنبيائه، والمعنى: أولم يتفكروا في خلق الله إياهم ولم يكونوا شيئًا وما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالعدل، وقيل: بالحكمة وبأجل مسمى للسماوات والأرض وما بينهما تنتهي إليه، وهو يوم القيامة وإن كثيرًا من الناس بلقاء ربهم لكافرون بالبعث بعد الموت.

٩- والمعنى: أنهم قد ساروا وشاهدوا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من طوائف الكفار الذين أهلكهم الله بسبب كفرهم بالله، وجحودهم للحق، وتكذيبهم للرسل وكانوا أقدر من كفار مكة ومن تابعهم على الأمور الدنيوية وكانوا أكثر عمرانًا في الأرض بالبنيان والزراعة، وجاءتهم رسلهم بالمعجزات ولما يؤمنوا، وما كان الله بتعذيبهم على غير ذنب، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بالكفر والتكذيب.

١٠- أي: كان عاقبتهم العقوبة التي هي أسوأ العقوبات، قيل: هي اسم لجهنم، كما أن الحسنى اسم للجنة، لأنهم كذبوا بآيات الله التي أنزلها على رسله. وقيل: المعنى: ثم كان التكذيب والاستهزاء عاقبة الذين عملوا أسوأ الأعمال وهو الشرك بالله تعالى ﴿وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ⑩﴾.

١١- أي: يخلقهم أولا، ثم يعيدهم بعد الموت أحياء كما كانوا ثم إلى موقف الحساب يرجعون فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.

١٢- أي: ييأس المشركون من كل خير حين يعاينون العذاب.

١٣- ولم يكن لهم من شركائهم، الذين عبدوهم من دون الله شفعاء يجيرونهم من عذاب الله وكانوا في ذلك الوقت بآلهتهم الذين جعلوهم شركاء لله جاحدين لكونهم آلهة، لأنهم علموا إذ ذاك أنهم لا ينفعون ولا يضرون.

١٤- فالمؤمنون يصيرون إلى الجنة، والكافرون إلى النار.

١٥- أي: فهم في رياض الجنة في حبور وسرور ينعمون ويُكرمون، وقيل: هو السماع، أي: الغناء الذي يسمعونه في الجنة.

وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ
فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ١٦ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ
وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ١٧ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ
وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ ١٨ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ
ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ
١٩ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ
تَنتَشِرُونَ ٢٠ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ
أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢١ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ
فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ٢٢ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ
وَٱلنَّهَارِ وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ
لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ٢٣ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ
خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ
بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٢٤

٤٠٦

١٦- أي: مقيمون فيه، وقيل: المعنى: أنهم لا بد أن يُحْضَرُوا ويُجْمَعُوا إليه.

١٧- أي: فإذا علمتم ذلك فنزهوه عما لا يليق به قائلين سبحان الله، في وقت الصباح والمساء، وفي العشي وفي وقت الظهيرة، وقيل: المراد بالتسبيح هنا الصلوات الخمس.

١٩- أي: كالإنسان من النطفة والطير من البيضة وكالنطفة والبيضة من الحيوان ويحيي الأرض بالنبات بعد موتها باليباس وكذلك تخرجون من قبوركم.

٢٠- ومن آياته الباهرة الدالة على البعث أن خلق أباكم آدم من تراب وخلقكم في ضمن خلقه ثم انتشرتم في الأرض.

٢١- أي: ومن علاماته ودلالاته الدالة على البعث أن خلق لكم من أنفسكم أي: من جنسكم في البشرية والإنسانية نساء تتزوجون بهن. لتألفوها وتميلوا إليها، وجعل بينكم ودادًا وتراحمًا وشفقة وحبًّا بين الرجل وزوجته في ظل عصمة النكاح، يعطف به بعضكم على بعض، من غير أن يكون بينكم قبل ذلك معرفة، فضلاً عن مودة ورحمة، إن في المذكور سابقًا لآيات عظيمة الشأن بديعة البيان على قدرته سبحانه وحكمته.

٢٢- أي: فإن من خلق هذه الأجرام العظيمة، وخلق فيها من عجائب الصنع، وغرائب التكوين، ما هو عبرة للمعتبرين، قادر على أن يخلقكم بعد موتكم، وينشركم من قبوركم واختلاف لغاتكم من عرب، وعجم، وترك وروم، وغير ذلك من اللغات وألوانكم من البياض والسواد، والحمرة والصفرة والزرقة، والخضرة مع كونكم أولاد رجل واحد، وأم واحدة، ويجمعكم نوع واحد، وهو الإنسانية، بل في كل فرد من أفرادكم ما يميزه عن غيره من الأفراد إن في ذلك لآيات لأولي العلم والبصائر.

٢٣- أي: تنامون بالليل، وتنامون بالنهار في بعض الأحوال للاستراحة، كوقت القيلولة، وابتغاؤكم من فضله فيهما، فإن كل واحد منهما يقع فيه ذلك، والنوم شبيه بالموت، والتصرف في الحاجات، والسعي في المكاسب شبيه بالحياة بعد الموت إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون الآيات والمواعظ سماع تفكر، فيستدلون بذلك على البعث.

٢٤- أي: خوفًا من الصواعق، وطمعًا في الغيث، وخوفًا من البرد أن يهلك الزرع، وطمعًا، في المطر أن يحيي الزرع وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بالنبات بعد موتها باليباس إن في ذلك لآيات لقوم يستدلون بها على القدرة الباهرة.

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ
دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ
ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ
أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى
مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ
أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾
بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى
مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ
حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ
ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟
دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾

نصف الحزب ٤١

٢٥- أي: قيامها واستمساكها بإرادته سبحانه وقدرته بلا عمد يعمدهما، ولا مستقر يستقران عليه ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ من غير تلبث ولا توقف، كما يجيب المدعو المطيع دعوة الداعي المطاع.

٢٦- أي: من جميع المخلوقات: ملكًا، وتصرفًا، وخلقًا، ليس لغيره في ذلك شيء كل له مطيعون طاعة انقياد، مقرون بالعبودية.

٢٧- أي: بعد الموت، فيحييه الحياة الدائمة ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ قال مجاهد: الإعادة أهون عليه، أي: على الله، من البداية، أي: أيسر، وإن كان جميعه على الله هينًا، وقيل: المراد: أن الإعادة فيما بين الخلق، أهون من البداية، وله الوصف الأعلى ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: قوله: «وهو أهون عليه» قد ضربه لكم مثلاً فيما يصعب ويسهل، وليس كمثله شيء وهو العزيز في ملكه القادر الذي لا يغالب الحكيم، في أقواله وأفعاله.

٢٨- أي: مثلاً منتزعًا ومأخوذًا من أنفسكم، فإنها أقرب شيء منكم، على بطلان الشرك وهل ترضون لأنفسكم أن يساووكم في التصرف فيما رزقناكم من الأموال، ويشاركوكم فيها من غير فرق بينكم وبينهم، بحيث تخافونهم كما تخافون الأحرار المشاركين لكم في الأموال؟ فإنهم لا بد أن يقولوا: لا نرضى بذلك، فإذا بطلت الشركة بين العبيد وساداتهم فيما يملكه السادة بطلت الشركة بين الله وبين أحد من خلقه، لأن الكل عبيده.

٢٩- أي: فلم يعقلوا الآيات جاهلين بأنهم على ضلالة ولا أحد يقدر على هدايتهم إن لم يقدر الله لهم الهداية وما لهم من ناصرين يحولون بينهم وبين عذاب الله سبحانه.

٣٠- أي: مائلاً إليه، مستقيمًا عليه، غير ملتفت إلى غيره من الأديان الباطلة فطرهم الله على الإسلام لولا عوارض تعرض لهم فيبقون بسببها على الكفر، كما في حديث أبي هريرة الثابت في الصحيح قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة ولكن أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه»، لا تبدلوا خلق الله، بعبادة غير الله بل ابقوا على فطرة الإسلام والتوحيد ولزوم الفطرة هو الدين المستقيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك حتى يفعلوه ويعملوا به.

٣١- المعنى: فأقم وجهك ومن معك منيبين إلى الله وخافوه باجتناب معاصيه وأقيموا الصلاة التي أمرتم بها ولا تكونوا من المشركين بالله.

٣٢- أي: تفرقوا فرقًا في الدين يشايع بعضهم بعضًا من أهل البدع والأهواء واليهود والنصارى كل فريق بما لديهم من الدين المبني على غير الصواب مسرورون مبتهجون يظنون أنهم على الحق وليس بأيديهم منه شيء.

وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم
مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ
ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ
سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا
ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ
إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ
وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ
حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ
وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا
لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ
تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى
خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن
شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ
أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾

٣٣- إذا أصاب الناس قحط وشدة ابتهلوا إلى الله أن يرفع ذلك عنهم واستغاثوا به راجعين إليه ملتجئين به لا يعولون على غيره ثم إذا أذاقهم منه رحمة بإجابة دعائهم ورفع تلك الشدائد ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ وهذا الكلام مسوق للتعجيب من أحوالهم وما صاروا عليه من الاعتراف بوحدانية الله سبحانه عند نزول الشدائد والرجوع إلى الشرك عند رفعها. ٣٤- أي: ما يتعقب هذا التمتع الزائل من العذاب الأليم. ٣٥- المعنى: بل هل أنزلنا عليهم برهانًا ظاهرًا فهو ينطق بإشراكهم بالله سبحانه، أي يدل على أن إشراكهم حق. ٣٦- وإذا أذقنا الناس خصبًا ونعمة وسعة وعافية فرحوا فرح بطر وأشر، لا فرح شكر بها وابتهاج بوصولها إليهم وإن تصبهم شدة على أي صفة بسبب ذنوبهم يقنطون، والقنوط: الإياس من الرحمة. ٣٧- أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويوسع له ويضيق على من يشاء ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ فيستدلون على الحق لدلالتها على كمال القدرة. ٣٨- أي: بالإحسان إليهم بالصدقة والصلة والبر. وآت المسكين وابن السبيل حقهما الذي يستحقانه، وحق المسكين أن يتصدق عليه ويعان، وحق ابن السبيل الضيافة، ذلك الإيتاء أفضل من الإمساك لمن يريد التقرب إلى الله سبحانه وأولئك هم الفائزون بمطلوبهم حيث أنفقوا لوجه الله امتثالاً لأمره.

٣٩- أي: من مال طلبًا لزيادة خالية عن العوض ليزيد وينمو في أموالهم فلا يبارك الله فيه، وقيل: ليس تأويل الآية هكذا، بل قال أكثر المفسرين: الربا في هذا الموضع ما يفعله بعض الناس من الهدية يهديها الرجل لأخيه يطلب المكافأة، فإن ذلك لا يربو عند الله، فلا يؤجر عليه صاحبه، ولا إثم عليه، يعني: دفع الإنسان الشيء ليعوض أكثر منه، وما خدم به الإنسان أحدًا لينتفع به في دنياه، فإن ذلك النفع يجزى به من الخدمة، لا يربو عند الله، وكان حرامًا على النبي ﷺ على الخصوص لقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾﴾، وما أعطيتم من صدقة لا تطلبون بها المكافأة، وإنما تقصدون بها ما عند الله فأولئك هم الذين يعطون بالحسنة عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف. ٤٠- أي: ومعلوم أنهم يقولون ليس فيهم من يفعل شيئًا من ذلك، فتقوم عليهم الحجة فنزهوه تنزيهًا عن إشراك المشركين. ٤١- المراد: بالبحر هنا المدن والقرى التي على الأنهار والبحار، والبر: المدن والقرى التي ليست على بحر أو نهر ثم بين سبحانه أن الشرك والمعاصي سبب لظهور الفساد في العالم، وظهور الفساد هو القحط وعدم النبات، ونقصان الرزق، وكثرة الخوف وارتفاع الأسعار، وقلة المعاش، وقطع السبل، والظلم، وغير ذلك ليذيقهم عقاب بعض عملهم لعلهم يرجعون عما هم فيه من المعاصي ويتوبون إلى الله.

قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ
كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن
قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن
كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾
لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم
مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم
بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ
فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ
خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ
﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ
﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

٤٢- ثم أمرهم بأن يسيروا لينظروا آثار من قبلهم ويشاهدوا كيف كانت عاقبتهم، فإن منازلهم خاوية، وأراضيهم مقفرة موحشة، كعاد وثمود ونحوهم من طوائف الكفار والسبب الذي صارت عاقبتهم به إلى ما صارت إليه هو إشراكهم.

٤٣- المعنى: إذا ظهر لك أن الفساد بالسبب المتقدم فأقم وجهك يا محمد، أي اجعل جهتك اتباع الدين القيم، وهو الإسلام المستقيم من قبل أن يأتي ويوم القيامة لا سبيل إلى رده ومنع حصوله عند أجله، ولا يقدر أحد على ذلك يومئذ يفترق الناس فيه، فأهل الجنة يصيرون إلى الجنة، وأهل النار يصيرون إلى النار.

٤٤- أي: جزاء كفره، وهو النار ومن عمل صالحًا فيوطئون لأنفسهم منازل في الجنة بالعمل الصالح.

٤٥- أي: يتفرقون ليجزي الله المؤمنين بما يستحقونه من فضله إنه لا يحب الكافرين كناية عن بغضه لهم الموجب لغضبه سبحانه، وغضبه يستتبع عقوبته.

٤٦- أي: بالمطر لأنها تتقدمه وليذيقكم من الغيث والخصب ولتجري الفلك بأمره في البحر عند هبوبها ولتبتغوا الرزق بالتجارة التي تحملها السفن ولعلكم تشكرون هذه النعم فتفردوا الله بالعبادة، وتستكثروا من الطاعة.

٤٧- أي: كما أرسلنا إلى قومك فجاءوهم بالمعجزات والحجج النيرات، فكفروا فانتقمنا من الذين فعلوا الإجرام، وهي الآثام، وكان حقًا علينا نصر المؤمنين وهو صادق الوعد لا يخلف الميعاد.

٤٨- أي: تارة سائرًا وتارة واقفًا، وتارة مطبقًا، وتارة غير مطبق، وتارة إلى مسافة بعيدة، وتارة إلى مسافة قريبة ويجعله قطعًا متفرقة والودق: المطر، من خلاله: من وسطه فإذا أصاب بالمطر بلادهم وأرضهم ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ الاستبشار: الفرح.

٤٩- أي: كانوا من قبل تنزيل الغيث عليهم، أو من قبل الزرع والمطر، آيسين أو بائسين.

٥٠- أي: الناشئة عن إنزال المطر، من النبات والثمار والزرائع التي بها يكون الخصب ورخاء العيش، لتستدل بذلك على توحيد الله وتفرده بهذا الصنع العجيب ومن ذلك كيفية الإحياء البديع للأرض وإن المخترع لهذه الأشياء المذكورة لقادر على إحيائهم في الآخرة، وبعثهم ومجازاتهم، كما أحيا الأرض الميتة بالمطر فهو عظيم القدرة كثيرها.

ثلاثة أرباع الحزب ٤١

وَلَئِنۡ أَرۡسَلۡنَا رِيحٗا فَرَأَوۡهُ مُصۡفَرّٗا لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ يَكۡفُرُونَ
﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ
مُدۡبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ إِن تُسۡمِعُ إِلَّا
مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم
مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ
قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ ﴿٥٤﴾
وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖۚ
كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤۡفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ
لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ
وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ
ظَلَمُواْ مَعۡذِرَتُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا
لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَلَئِن جِئۡتَهُم بِـَٔايَةٖ
لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُبۡطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ
يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ
وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

٥١- أي: رأوا زرعهم ونباتهم مصفرًا من البرد الناشئ عن الريح التي أرسلها الله بعد اخضراره لظلوا من بعده يكفرون بالله ويجحدون نعمه، وفي هذا دليل على سرعة تقلبهم وعدم صبرهم وضعف قلوبهم، وليس كذا حال أهل الإيمان. ٥٢- واعلم يا محمد أنك بينت لهم الحجج وأوضحت لهم البراهين لكنهم غابت عقولهم وماتت قلوبهم فلا تسمعهم الهدى كما لا تستطيع إسماع الموتى ولا الصم الدعاء إذا ولو معرضين عن الحق. ٥٣- أي: لفقدهم للانتفاع بالأبصار كما ينبغي، أو لفقدهم للبصائر، إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا لكونهم أهل التفكير والتدبر والاستدلال بالآثار على المؤثر فهم منقادون للحق متبعون له. ٥٤- وهذا مثل آخر ضربه الله استدلالاً على كمال قدرته، وهو خلق الإنسان نفسه على أطوار مختلفة. ومعنى من ضعف: من نطفة، وقيل: المراد: حال الطفولية والصغر ثم جعل من بعد ضعف قوة الشباب، فإنه إذ ذاك تستحكم القوة، وتشتد الخلقة، إلى بلوغ النهاية ثم جعل من بعد قوة ضعفًا، عند الكبر والهرم وشيبة وهي تمام الضعف يخلق ما يشاء من جميع الأشياء، ومن جملتها القوة والضعف في بني آدم وهو العليم بتدبيره القدير على خلق ما يريده. ٥٥- أي: القيامة، قيل: سميت ساعة لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا وحينها يقسم المجرمون ما لبثوا في الدنيا، أو في قبورهم، غير ساعة، استقلوا مدة لبثهم، واستقر ذلك في أذهانهم فحلفوا عليه. ﴿كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤۡفَكُونَ ﴿٥٥﴾﴾ مثل: ذلك الصرف كانوا يصرفون عن الحق، وهو دليل على أن حلفهم كان كذبًا. ٥٦- قيل: هم الملائكة، وقيل: الأنبياء، وقيل: علماء الأمم، ومؤمنو هذه الأمة لقد لبثتم في حياتكم وفي قبوركم في علم الله المثبت في اللوح المحفوظ إلى يوم البعث فهذا الوقت الذي صاروا فيه هو يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون أنه حق، بل كنتم تستعجلونه تكذيبًا واستهزاء. ٥٧- أي: لا ينفعهم الاعتذار يومئذ، ولا يفيدهم علمهم بالقيامة ولا يُدعون إلى إزالة عتبهم من التوبة والطاعة، كما دُعُوا إلى ذلك في الدنيا، والاستعتاب الاسترضاء وطلب الموافقة، تقول: استعتبته فأعتبني، أي: استرضيته فأرضاني وذلك إذا كنت جانيًا عليه. ٥٨- أي: من الأمثال التي تدلهم على توحيد الله وصدق رسله، واحتججنا عليهم بكل حجة تدل على بطلان الشرك، ولئن جئتهم بآية من آيات القرآن الناطقة بذلك ليقولن الذين كفروا ما أنت يا محمد وأصحابك إلا أصحاب أباطيل، تتبعون السحر وما هو مشاكل له في البطلان. ٥٩- أي: إن هذه الدعوى منهم ببطلان قولك وبطلان ما جئتهم به من الآيات، هو تكذيب منشؤه أن الله تعالى طبع على قلوبهم حتى عارضوا الحق وعاندوه ولم يخضعوا له وكذلك يطبع الله على قلوب الفاقدين للعلم النافع الذي يهتدون به إلى الحق وينجون به من الباطل. ٦٠- فاصبر على ما تسمعه منهم من الأذى وتنظره من الأفعال الكفرية فإن الله قد وعدك بالنصر عليهم، وإعلاء حجتك، وإظهار دعوتك، ووعده حق لا خلف فيه ولا يحملنك على الخفة، ولا يستفزنك عن دينك وما أنت عليه الذين لا يوقنون بالله ولا يصدقون أنبياءه ولا يؤمنون بكتبه.

سُورَةُ لُقۡمَانَ — مكيتها ٣١ — آياتها ٣٤

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ
لِّلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم
بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ
لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ
عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا
كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾
خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ
بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا
مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا
خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿١١﴾

٤١١

سُورَةُ لُقْمَانَ

هي مكية إلا ثلاث آيات.

﴿الٓمٓ ۝ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ تقدم الكلام على أمثال فاتحة هذه السورة فلا نعيده. والحكيم ذو الحكمة البالغة.

٣- أي: المحسن العامل للحسنات، أو من يعبد الله كأنه يراه.

٤- خصّ هذه العبادات الثلاث لأنها عمدة العبادات، وضم إليها الإيمان بالآخرة عن يقين لأنه هو الذي يحمل صاحبه على تقوى الله واتباع هداه.

٥- قد تقدم تفسير هذا في أول سورة البقرة.

٦- لهو الحديث: كل ما يلهو به الناس من الغناء والملاهي والأحاديث والقصص ومن يتبع هذه الملاهي قاصدًا أن يضل غيره عن طريق الهدى ومنهج الحق، فهو يدعهم إلى اللهو لئلا يستمعوا القرآن ويتدبروه، وإنما يستحق الذم من اشترى لهو الحديث لهذا المقصد حال كونه غير عالم بحال ما يشتريه، أو بحال ما ينفع من التجارة وما يضر فلهذا استبدل بالخير ما هو شر محض ويشتري لهو الحديث للإضلال عن سبيل الله، ولأجل السخرية بكتاب الله والعذاب المهين: هو الشديد الذي يصير به من وقع عليه مهينًا.

٧- أي: وإذا تتلى آيات القرآن على هذا المستهزئ أعرض عنها مبالغًا في التكبر مع أنه قد سمعها والوقر الثقل أو الصمم فأخبره بأن له العذاب البليغ في الألم.

٨- أي: نعيم الجنات.

٩- أي: وعد الله وعدًا، وحق ذلك حقًّا، ولا خلف فيه وهو العزيز الذي لا يغلبه غالب الحكيم في كل أفعاله وأقواله.

١٠- أي: فيمكن أن تكون ثم عمد، ولكن لا ترى.

ويجوز أن يكون المعنى: ولا عمد ألبتة وألقى في الأرض جبالاً ثوابت وجعلها مستقرة ثابتة لا تتحرك بجبال جعلها عليها وأرساها على ظهرها وبث فيها من كل نوع من أنواع الدواب ﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا﴾ من كل صنف، ووصفه بكونه كريمًا لحسن لونه وكثرة منافعه.

١١- أي: من آلهتكم التي تعبدونها، فأروني أي شيء خلقوا مما يحاكي خلق الله أو يقاربه ثم قدر ظلمهم أولا وضلالهم ثانيًا.

وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا
يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ١٢ وَإِذۡ قَالَ
لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ
لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ
وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ
إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ١٤ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ
لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ
وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم
بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٥ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ
خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ
بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ١٦ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ
بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ
مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ
مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ
وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩

١٢ – لقمان ذهب أكثر أهل العلم إلى أنه ليس بنبي، والحكمة التي آتاه الله هي الفقه والعقل والإصابة في القول فكان حكيمًا بشكره لأن نفع ذلك راجع إليه، وفائدته حاصلة له، إذ به تستبقى النعمة، وبسببه يستجلب المزيد منها من الله سبحانه ومن جعل كفر النعم، وإنكار فضل الله وعظيم منته فيها، مكان شكرها فإن الله غني عن شكره غير محتاج إليه مستحق للحمد من خلقه.

١٣ – أي: يخاطبه بالمواعظ التي ترغبه في التوحيد، وتصده عن الشرك ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ بل هو أعظم الظلم.

١٤ – أي: في جعل الشكر لهما مقترنًا بالشكر لله دلالة على أن حقهما من أعظم الحقوق على الولد وأكبرها وأشدها وجوبًا حملته أمه في بطنها وهي تزداد كل يوم ضعفًا على ضعف، وقيل: المعنى: أن المرأة ضعيفة الخلقة، ثم يضعفها الحمل والفصال: الفطام ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ﴾ هذا مضمون وصية الله بهما فالرجوع إليّ لا إلى غيري، فانظر هل قمت بحق وصيتي.

١٥ – وإن جاهداك على أن تشرك بي ما لا علم لك بكونه شريكًا لله فلا تطعهما في ذلك وصاحبهما في الدنيا بالبر بهما، والإحسان إليهما، ولو جاهداك لتشرك بالله واتبع سبيل من رجع إليّ من عبادي الصالحين بالتوبة والإخلاص ثم إلي مرجعكم جميعًا لا إلى غيري فأخبركم عند رجوعكم بما كنتم تعملون من خير وشر فأجازي كل عامل بعمله. ثم شرع سبحانه في بقية كلام لقمان في وعظه لابنه: ١٦ – أي: إن الخطيئة إن تكن بوزن الخردلة أصغر الحبوب، ولا يدرك بالحس ثقلها، ولا ترجح ميزانًا وقد صارت في أخفى مكان وأحرزه أو حيث كانت من بقاع السماوات أو من بقاع الأرض يحضرها الله ويحاسب فاعلها عليها إن الله لطيف لا تخفى عليه خافية، بل يصل علمه إلى كل خفيّ خبير بكل شيء لا يغيب عنه شيء. ١٧ – وجه تخصيص هذه الطاعات أنها أمهات العبادات وعماد الخير وإن الطاعات المذكورة مما جعله الله عزيمة وأوجبه على عباده، ويحتمل أن المراد أن ذلك من مكارم الأخلاق، وعزائم أهل الحزم السالكين طريق النجاة. ١٨ – المعنى: لا تعرض عن الناس تكبرًا عليهم، وقيل: المعنى: ولا تلو شدقك إذا ذكر الرجل عندك كأنك تحتقره ولا تمش في الأرض خيلاء وفرحًا، والمعنى: النهي عن التكبر والتجبر والاختيال: هو المرح والكبرياء، والفخور: هو الذي يفتخر على الناس بما له من المال، أو الشرف، أو القوة وليس منه التحدث بنعم الله، فإن الله يقول ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ١١﴾. ١٩ – أي: ثبت أن رسول الله ﷺ كان إذا مشى أسرع، فمعناه: لا تختل في مشيتك. وقال عطاء: امش بالوقار والسكينة وانقص منه واخفضه ولا تتكلف رفعه، فإن الجهر بأكثر من الحاجة يؤذي السامع ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩﴾ أي: أوحشها وأقبحها، أوله زفير وآخره نهيق.

الحزب ٤٢

أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ
عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ
بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ٢٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ
مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ
ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ٢١ ۞ وَمَن يُسْلِمْ
وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ
وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ٢٢ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ
إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ
٢٣ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ٢٤
وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٢٥ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ٢٦ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ
مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ
مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢٧ مَّا خَلْقُكُمْ
وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ٢٨

٢٠- أي: تسخيرها للآدميين: تمكينهم من الانتفاع بها، فمن مخلوقات السماوات المسخرة لبني آدم: الشمس، والقمر، والنجوم، ونحو ذلك، ومن جملة ذلك: الملائكة، فإنهم حفظة لبني آدم بأمر الله سبحانه، ومن مخلوقات الأرض: الأحجار والتراب، والزرع والشجر، والثمر والحيوانات التي ينتفعون بها، والعشب وغير ذلك، فالمراد بالتسخير جعل المسخر بحيث ينتفع به المسخر له سواء كان منقادًا له وداخلاً تحت تصرفه أم لا وأتم وأكمل عليكم نعمه. والنعم الظاهرة: ما يدرك بالعقل أو الحس، ويعرفه من يتعرَّفه: كالصحة، وكمال الخلق، والمال، والجاه، والجمال، وفعل الطاعات، والنعم الباطنة: المعرفة، والعقل، وما يجده المرء في نفسه من العلم بالله وحسن اليقين، وما يدفعه الله عن العبد من الآفات ومن الناس من يجادل في الله في توحيده وصفاته مكابرة وعنادًا بعد ظهور الحق له، وقيام الحجة عليه بغير علم من عقل ولا نقل ولا هدى يهتدي به إلى طريق الصواب ولا كتاب منير أنزله الله سبحانه، بل مجرد تعنت ومحض عناد. ٢١- أي: ما أنزله على رسوله من الكتاب تمسكوا بمجرد التقليد البحت، وقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا من عبادة الأصنام، ونمشي في الطريق التي كانوا يمشون بها في دينهم أيتبعون آباءهم في الشرك ولو كان الشيطان هو الذي سوّل لآبائهم ما كانوا عليه حتى أوقعهم في الشرك، فأوردهم بذلك عذاب جهنم المستعر، فما معنى اتباع الآباء والحال هذه؟ ٢٢- يفوض إليه أمره، ويخلص له عبادته، ويقبل عليه بكليته وهو محسن أعماله، والإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» فقد اعتصم بالعهد الأوثق وتعلق به، وهو تمثيل لحال من أسلم وجهه إلى الله بحال من أراد أن يترقى إلى شاهق جبل، فتمسك بأوثق عرى حبل متدل منه وإلى الله عاقبة الأمور لا إلى غيره. ٢٣- أي: فإن كفره لا يضرك إلينا مرجعهم فنخبرهم بقبائح أعمالهم ونجازيهم عليها إن الله عليم بذات الصدور لا تخفى عليه من ذلك خافية، فالسر عنده كالعلانية. ٢٤- أي: نبقي الكفار في الدنيا مدة قليلة يتمتعون بها، فإن النعيم الزائل هو أقل قليل بالنسبة إلى النعيم الدائم ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ﴾ نلجئهم إلى عذاب النار. ٢٥- أي: يعترفون بأن الله هو خالقها، لا جواب لهم غير ذلك قل يا محمد: الحمد لله على اعترافكم، فكيف تعبدون غيره وتجعلونه شريكًا له؟ بل أكثرهم لا ينظرون ولا يتدبرون حتى يعلموا أن خالق هذه الأشياء هو الذي تجب له العبادة دون غيره. ٢٦- أي: ملكًا وخلقًا، فلا يستحق العبادة غيره إن الله هو الغني عن غيره المستحق للحمد.

٢٧- الله غالب لا يعجزه شيء، ولا يخرج عن حكمته وعلمه فرد من أفراد مخلوقاته. ٢٨- أي: قدرة الله على بعث الخلق كلهم وعلى خلقهم كقدرته على خلق نفس واحدة وبعث نفس واحدة، لقدرته على كل شيء إن الله سميع لكل ما يسمع بصير بكل ما =

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ
وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ
مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ
ٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ
فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ
كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ
فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ
﴿٣٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ
عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ
حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ
ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ
وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا
وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾

سُورَةُ السَّجْدَةِ

ترتيبها ٣٢ — آياتها ٣٠

= يبصر.

٢٩- أي: يدخل كل واحد منهما في الآخر، وذلل الشمس والقمر وجعلهما منقادين بالطلوع والأفول تقديرًا للآجال، وتتميمًا للمنافع وقيل: الأجل هو يوم القيامة، وقيل: وقت الطلوع ووقت الأفول وأن الله لا تخفى عليه منها خافية لأن من قدر على مثل هذه الأمور العظيمة فقدرته على العلم بما تعملونه بالأولى.

٣٠- أي: فعل ذلك ليعلموا أنه الحق، وأن الشيطان وما أشركوا به من صنم أو غيره هو الباطل وأن الله على عرشه فوق سماواته هو العلي بقدره وجلاله ذو الكبرياء في ربوبيته وسلطانه.

٣١- أي: بلطفه بكم ورحمته لكم، لأنها تمكنكم من السير على الماء برفق عند أسفاركم في البحر لطلب الرزق ﴿لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ ما يشاهدونه من آثار قدرة الله، وما يرزقهم الله في البحر إن في ذلك لآيات لكل من له صبر بليغ، وشكر كثير، يصبر عن معاصي الله، ويشكر نعمه.

٣٢- ثم شبه الموج لكبره بما يظلل الإنسان من جبل أو سحاب أو غيرهما ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ ولا يعولون على غير الله في خلاصهم موج البحر إذا هاج، لأنهم يعلمون أنه لا يضر ولا ينفع سواه فلا يدعون أصنامهم، بل ينسونها في تلك الحال فلما نجاهم إلى البر صاروا على قسمين: فقسم يوفي بما عاهد عليه الله في البحر من إخلاص الدين له، ويبقى على ذلك بعد أن أخرجه إلى البر سالمًا، ومنهم كافر، والختّار: كثير الختْر وهو الغدر وعدم الوفاء بالعهد.

٣٣- أي: لا ينفعه بوجه من وجوه النفع لاشتغاله بنفسه ولا مولود هو جاز عن والده شيئًا فما عداهما من القرابات لا يجزي بالأولى، فكيف بالأجانب، اللهم اجعلنا ممن لا يرجو سواك، ولا يعوّل على غيرك إن وعد الله لا يتخلف، فما وعد به من الخير وأوعد به من الشر فهو كائن لا محالة فلا تغرنكم الحياة الدنيا وزخارفها فإنها زائلة ذاهبة ولا يغرّنكم بالله ﴿ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ الشيطان يغر الخلق ويمنيهم بالأماني الباطلة، ويلهيهم عن الآخرة.

٣٤- أي: علم وقتها، لا يعلمه أحد إلا الله عزّ وجلّ وينزل الغيث في الأوقات التي جعلها معينة لإنزاله ويعلم ما في الأرحام من الذكور والإناث والصلاح والفساد وما تدري نفس من النفوس حتى الملائكة والأنبياء والجنّ والإنس ماذا تكسب غدًا من كسب دين أو كسب دنيا ولا يدري أحدٌ من الأحياء في أي مكان يقضي الله عليه بالموت.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ
﴿٢﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا
مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿٣﴾ ٱللَّهُ
ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ
ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا
تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ
إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ
عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ
كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ
نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ
مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا
مَّا تَشۡكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي
ربع الحزب ٤٢ خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ۞ قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم
مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ﴿١١﴾

سُورَةُ السَّجۡدَةِ

هي مكية.

٢- أي: لا شك أنه منزل من رب العالمين، وأنه ليس بكذب ولا سحر ولا كهانة ولا أساطير الأولين.

٣- أم يقولون: افتعله محمد من عند نفسه واختلقه، ثم كذبهم سبحانه في دعوى الافتراء، لتنذر العرب، وكانوا أمة أمية، لم يأتهم رسول لأجل أن يهتدوا.

٤- الله تعالى هو الذي خلق السموات العظيمة وتلك الأرض الفسيحة بما فيهما في ستة أيام ثم استوى على عرشه وقد تقدم تفسير هذا وليس لكم من دون الله أو من دون عذابه من ولي يواليكم ويرد عنكم عذابه ولا شفيع يشفع لكم عنده ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾﴾ تذكرَ تدبُرٍ وتفكرٍ، وتسمعون هذه المواعظ سماع من يفهم ويعقل حتى تنتفعوا بها.

٥- أي: يُحكِم الأمر بقضائه وقدره من السماء إلى الأرض، وقيل: المعنى: يدبر أمر الدنيا بأسباب سماوية، من الملائكة وغيرها، نازلة أحكامها وآثارها إلى الأرض ثم يرجع ذلك الأمرُ ويصعد ذلك التدبير إليه سبحانه في يوم مقداره ألف سنة.

٧- أتقن وأحكم خلق مخلوقاته، وبعض المخلوقات، وإن لم تكن حسنة المنظر في نفسها، فهي متقنة محكمة وبدأ خلق آدم من طين فصار على صورة بديعة وشكل حسن.

٨- ثم جعل ذريته وسميت الذرية سلالة، لأنها تسل من الأصل، وتنفصل عنه من ماء حقير، وهو المنيّ.

٩- أي: الإنسان الذي بدأ خلقه من طين، وهو آدم، عدل خلقه، وسوّى شكله، وناسب بين أعضائه ونسب الله تعالى الروح إلى نفسه تكريمًا لها وتشريفًا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة تكميلاً لنعمته عليكم، وتتميمًا لتسويته لخلقكم، حتى تجتمع لكم النعم، فتسمعون كل مسموع، وتبصرون كل مبصر، وتتعقلون كل متعقل، وتفهمون كل ما يفهم ﴿قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴿٩﴾﴾ بيان لكفرهم لنعم الله، وتركهم لشكرها إلا فيما ندر من الأحوال.

١٠- أي: إذا ذهبنا وضعنا وصرنا ترابًا، وغبنا عن الأعين أنبعث ونصير أحياء؟! بل هم بلقاء ربهم جاحدون له مكابرة وعنادًا.

١١- أي: أن عزرائيل وكل بقبض أرواحكم عند حضور آجالكم ثم إلى ربكم تصيرون إليه أحياء بالبعث والنشور، لا إلى غيره، فيجازيكم بأعمالكم.

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ
رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ
١٢ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ
مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ١٣
فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ
وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ١٤ إِنَّمَا يُؤْمِنُ
بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ
رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ
عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ
يُنفِقُونَ ١٦ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ
بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ١٧ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا
لَّا يَسْتَوُۥنَ ١٨ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ
جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ١٩ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟
فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ
لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ٢٠

سجدة

١٢ – القائلون أإذا ضللنا مطأطئون رؤوسهم حياء وندمًا على ما فرط منهم في الدنيا من الشرك بالله والعصيان له وعند ربهم عند محاسبته لهم لرأيت العجب: يقولون ربنا أبصرنا الآن ما كنا نكذب به وسمعنا ما كنا ننكره، وقيل: أبصرنا صدق وعيدك، وسمعنا تصديق رسلك. أبصروا حين لم ينفعهم البصر، وسمعوا حين لم ينفعهم السمع فارجعنا إلى الدنيا نعمل عملاً صالحًا كما أمرتنا إنا مصدقون بالذي جاء به محمد ﷺ، وصفوا أنفسهم بالإتقان الآن طمعًا فيما طلبوه من إرجاعهم إلى الدنيا، وأنى لهم ذلك؟ ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون.

١٣ – ولو شئنا لهدينا الناس جميعًا، فلم يكفر منهم أحد ولكن سبقت كلمتي، وقضيت قضائي ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ١٣﴾ هذا هو القول الذي وجب من الله وحق على عباده، ونفذ فيه قضاؤه، لأنه سبحانه قد علم أنهم من أهل الشقاوة.

١٤ – فذوقوا عذاب لقاء يومكم هذا، بسبب ترككم لما أمرتكم به وذوقوا العذاب الدائم الذي لا ينقطع أبدًا بما كنتم تعملونه في الدنيا من الكفر والمعاصي.

١٥ – إنما يؤمن بآياتنا ويصدق بها وينتفع الذين إذا ذكروا بها خافوا من الله فقاموا يصلون له، أي: الصلوات الخمس، وقيل: النوافل، تعظيمًا لآيات الله، وخوفًا من سطوته وعذابه ونزهوه سبحانه عن كل ما لا يليق به، وحمدوه على نعمه التي من أجلها وأكملها الهداية إلى الإيمان وهم خاضعين لله، متذللين له.

١٦ – أي: ترتفع وتنبو، قيل: المعنى: فلا ينامون حتى يصلوا العشاء. وقيل: هم المتهجدون الذين يقومون عن الفراش. وقيل: هم المتهجدون الذين يقومون عن الفراش للصلاة بالليل ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ حال كونهم داعين ربهم خوفًا من عذابه وطمعًا في رحمته ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ١٦﴾ وذلك الصدقة الواجبة، وقيل: صدقة النفل.

١٧ – أي: فلا تعلم نفس من النفوس، أيّ نفس كانت، ما أخفاه الله سبحانه لأولئك الذين تقدم ذكرهم مما تقرّ به أعينهم.

١٨ – أي: ليس المؤمن كالفاسق، فقد ظهر ما بينهما من التفاوت.

١٩ – والمأوى: هو الذي يأوون إليه، فالجنات هي المأوى الحقيقي لهم عند نزولهم.

٢٠ – وأما الذين خرجوا عن طاعة الله وتمردوا عليه وعلى رسله فمنزلهم الذي يصيرون إليه ويستقرّون فيه هو النار ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ٢٠﴾ القائل: هو خزنة جهنم من الملائكة، أو القائل لهم هو الله عز وجل.

وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ
أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا
مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ
هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ
بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ
يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ
﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ
بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾
قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ
﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

ترتيبها ٣٣ — سُورَةُ الأَحْزَابِ — آياتها ٧٣

٢١- وهو عذاب الدنيا من مصائبها وأسقامها، وقيل: القتل بالسيف يوم بدر دون عذاب الآخرة ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾ عما هم فيه من الشرك والمعاصي بسبب ما ينزل بهم من العذاب إلى الإيمان والطاعة، ويتوبون عما كانوا فيه.

٢٢- أي: لا أحد أظلم منه، لكونه سمع من آيات الله ما يوجب الإقبال على الإيمان والطاعة، فجعل الإعراض مكان ذلك ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ يدخل فيه من أعرض عن آيات الله.

٢٣- أي: التوراة هذا وعدٌ من الله لرسوله ﷺ أنه سيلقى موسى قبل أن يموت، ثم لقيه في السماء أو في بيت المقدس حين أسري به، وقيل: فلا تكن في شك من لقاء موسى في القيامة وستلقاه فيها وجعلنا التوراة هدى لبني اسرائيل.

٢٤- أي: قادة يقتدون به في دينهم ويدعونهم إلى الهداية، بما يُلقونه إليهم من أحكام التوراة ومواعظها بأمرنا لهم بذلك وجعلناهم أئمة لصبرهم على مشاق التكليف والهداية للناس، وقيل: صبروا عن الدنيا، وكانوا بآياتنا التنزيلية يصدقونها ويعلمون أنها حق، وأنها من عند الله، لكثرة تدبرهم.

٢٥- إن ربك هو يقضي بينهم ويحكم بين المؤمنين والكفار وقيل: يقضي بين الأنبياء وأممهم.

٢٦- أي: أولم يبين لهم كم أهلكنا من قبلهم كعاد وثمود ونحوهم ﴿يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ﴾ ويشاهدونها، وينظرون ما فيها من العبر، وآثار العذاب، ولا يعتبرون بذلك إن في المذكور لآيات عظيمات أفلا يسمعون لها ولا يتعظون بها.

٢٧- أي: التي لا تنبت إلا بسوق الماء إليها فنخرج بالماء من الزرع، كالتبن والحب والورق، ونحوهما مما يأكله الأنعام، والبشر يأكلون الحبوب الخارجة في الزرع مما يقتاتونه أفلا يبصرون هذه النعم، ويشكرون المنعم ويوحدونه.

٢٨- أي: متى الفتح الذي تعدوننا به، وهو يوم البعث الذي يقضي الله فيه بين عباده؟

٢٩- قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم أي: إن آمنوا ولا هم يمهلون ولا يؤخرون.

٣٠- أي أعرض عن سفههم وتكذيبهم، ولا تجبهم إلا بما أمرت به وانتظر يوم الفتح، وهو يوم القيامة، إنهم منتظرون بك حوادث الزمان من موت أو غلبة.

نصف الحزب ٤٢

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ
كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن
رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ٢ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ
وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ٣ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي
جَوۡفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزۡوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنۡهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمۡۚ
وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ أَبۡنَآءَكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ قَوۡلُكُم بِأَفۡوَٰهِكُمۡۖ وَٱللَّهُ
يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ ٤ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ
هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ
فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡۚ وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم
بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا
٥ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ
وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ
مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم
مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ٦

سورة الأحزاب

نزلت سورة الأحزاب بالمدينة.

١- أي: دم على تقوى الله وازدد منها ولا تطع الكافرين من أهل مكة، ومن هو على مثل كفرهم، والمنافقين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، وذلك أنهم قالوا للنبي ﷺ: اترك سب آلهتنا ولا تذكرها بسوء، وقل إن لها شفاعة لمن عبدها. فأمره الله بألا يلين لكلامهم. ٢- أي: اتبع الوحي في كل أمورك، ولا تتبع شيئًا مما عداه من مشورات الكافرين والمنافقين. ٣- أي: اعتمد عليه، وفوض أمورك إليه، وكفى به حافظًا يحفظ من توكل عليه.

٤- أي: كان الواحد من المنافقين يقول: لي قلب يأمرني بكذا، وقلب بكذا، فبين الله تعالى أنه لا يكون للإنسان إلا قلب واحد، ليس فيه إلا إسلام أو كفر أو نفاق والظهار أن يقول الرجل لامرأته: أنت علي كظهر أمي، وكان هذا في الجاهلية طلاقًا. فبين الله تعالى أن الزوجة ليست أمًّا، وأن هذا القول منكر ممن قاله وزور وإثم. وجعل على من قاله كفارة وما جعل الأدعياء الذين تدعونهم أبناء لكم، والأدعياء هم الأبناء بالتبني وما تقدم من ذكر الظهار والادّعاء ﴿قَوۡلُكُم بِأَفۡوَٰهِكُمۡ﴾ أي: ليس ذلك إلا مجرد قول بالأفواه ولا تأثير له، فلا تصير المرأة به أمًّا، ولا يصير ابن الغير به ابنًا، ولا يترتب على ذلك شيء من أحكام الأمومة والبنوة والله يقول الحق الذي يحق اتباعه لكونه حقًا في نفسه لا باطلاً، فيدخل تحته نسبة الأبناء لآبائهم ويدل على الطريق الموصلة إلى الحق. ٥- أي: للصلب، وانسبوهم إليهم ولا تنسبوهم إلى غيرهم هو أعدل من قولكم هو ابن فلان ولم يكن ابنه فقولوا: أخي ومولاي، ولا تقولوا ابن فلان، حيث لم تعلموا آباءهم على الحقيقة ولا إثم عليكم فيما وقع منكم من ذلك خطأ من غير عمد ولكن الإثم في ﴿مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡ﴾ من نسبة الأبناء إلى غير آبائهم مع علمكم بذلك. قال قتادة: ولو دعوت رجلاً لغير أبيه وأنت ترى أنه أبوه لم يكن عليك بأس. ٦- أي: هو أحق بهم في كل أمور الدين والدنيا، وأولى بهم من أنفسهم، فضلاً عن أن يكون أولى بهم من غيرهم، فيجب عليهم أن يطيعوه فوق طاعتهم لأنفسهم، ويقدموا طاعته على ما تميل إليه أنفسهم وتطلبه خواطرهم، وقيل: المراد بأنفسهم في الآية بعضهم، فيكون المعنى: أن النبي أولى بالمؤمنين من بعضهم ببعض، وأزواجه مثل أمهاتهم في الحكم بالتحريم، ومنزلات منزلتهن في استحقاق التعظيم، فلا يحل لأحد أن يتزوج بواحدة من أمهات المؤمنين زوجات النبي ﷺ بعده، كما لا يحل له أن يتزوج بأمه، وهن أمهات المؤمنين جميعًا رجالاً ونساء والمراد بأولي الأرحام القرابات: أي: بعضكم أحق بميراث بعض. وقد تقدم تفسير هذه الآية في آخر سورة الأنفال، وهي ناسخة لما كان في صدر الإسلام من التوارث بالهجرة والموالاة ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ القرآن، أو آية المواريث وأن ذوي القرابات من المؤمنين والمهاجرين بعضهم أولى ببعض من المؤمنين والمهاجرين الذين هم أجانب ولو كان بينهم حلف أو صداقة. إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم من صدقة أو وصية فإن ذلك جائز، فلما نسخ التوارث بالحلف =

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ
وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾
لِّيَسْـَٔلَ الصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا
﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ
جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ
مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ
وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا
زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَٰفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم
مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ
مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ
مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا
فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ
لَأَتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَٰهَدُوا
اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾

= والهجرة أباح أن يوصي لهم وكان نسخ الميراث بالهجرة والمحالفة والمعاقدة، ورده إلى ذوي الأرحام من القرابات في اللوح المحفوظ، أو في القرآن مكتوبًا.

٧- أي: على أن يعبدوا الله، ويدعوا إلى عبادة الله، وأن يصدق بعضهم بعضًا، وأن ينصحوا لقومهم ﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ خصّهم لكونهم أولي العزم من الرسل، وتقديم ذكر نبينا ﷺ مع تأخر زمانه فيه من التشريف له والتعظيم ما لا يخفى وأخذنا منهم عهدًا شديدًا على الوفاء بما حملوا وما أخذه الله عليهم.

٨- أي: في الوفاء بهذا الميثاق، ومنه تبليغ الرسالة إلى قومهم، وإذا كانوا يسألون عن ذلك فكيف غيرهم؟ ويسأل الكافرين عما أجابوا به رسلهم، وأعد لهم عذابًا أليمًا. ٩- وهم جنود الأحزاب الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ وغزوه إلى المدينة، وهي الغزوة المسماة «غزوة الخندق أو غزوة الأحزاب» وهم: أبو سفيان بن حرب بقريش، وعيينة بن حصن الفزاري وقومه غطفان، وبنو قريظة والنضير من اليهود، في شوال سنة خمس من الهجرة ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾ حتى ألقت قدورهم ونزعت فساطيطهم وبعث الله عليهم الملائكة فقلعت الأوتاد، وقطعت أطناب الفساطيط، وأطفأت النيران، وأكفأت القدور، وجالت الخيل بعضها في بعض، وأرسل الله عليهم الرعب. ١٠- أي: من أعلى الوادي، وهو من جهة المشرق ومن أسفل الوادي من جهة المغرب وإذ زاغت الأبصار شخصت دهشًا من فرط الهول والحيرة وارتفعت القلوب عن مكانها، ووصلت من الفزع والخوف إلى الحناجر، وهو على طريق المبالغة. والمعنى: أنهم جبنوا وجزع أكثرهم وبعضهم ظن النصر ورجا الظفر، وبعضهم ظن خلاف ذلك. ١١- هنالك ابتلي المؤمنون بالخوف والقتال والجوع والحصر والنزال، ليتبين المؤمن من المنافق واضطربوا، فمنهم من اضطرب في نفسه، ومنهم من اضطرب في دينه. ١٢- وإذ يقول المنافقون وأهل الشك والاضطراب ما وعدنا الله ورسوله من النصر والظفر إلا غرورًا واعترضتهم في حفر الخندق صخرة، فضربها النبي ﷺ بالفأس فطارت منها قطعة، فقال: إن الله أعطاني ملك فارس، ثم ضربها أخرى فطارت قطعة فقال: إن الله أعطاني ملك الروم. فقال بعض المنافقين: يَعدُنا ملك كسرى وقيصر وأحدنا يخاف أن يذهب ليقضي حاجته. ١٣- قال بعض المنافقين يا أهل يثرب لا مقام لكم ها هنا في العسكر وأمروهم بالهرب من عسكر النبي ﷺ إلى منازلهم بالمدينة ويستأذن فريق آخر من ضعاف الإيمان النبي ﷺ يقولون إن بيوتنا ضائعة سائبة ليست بحصينة، نخشى عليها العدو، ولا نأمن على أهلنا وما هي بعورة فكذبهم الله سبحانه فيما ذكروه وما يريدون إلا الهرب من القتال. ١٤- أي: لو دخلت عليهم بيوتهم، أو المدينة من جوانبها ثم سئلوا القتال للعصبية لجاءوها أو أعطوها بل هم مسرعون إليها، ولا يتعللون عن الإجابة بأن بيوتهم في هذه الحالة عورة. ١٥- أي: غابوا عن بدر ورأوا ما أعطى الله أهل بدر من الكرامة والنصر، فقالوا: لئن أشهدنا الله قتالاً لنقاتلن، قيل: هم بنو حارثة وبنو سلمة، وكان =

ثلاثة أرباع الحزب ٤٢

قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلۡفِرَارُ إِن فَرَرۡتُم مِّنَ ٱلۡمَوۡتِ أَوِ ٱلۡقَتۡلِ وَإِذࣰا
لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلࣰا ﴿١٦﴾ قُلۡ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعۡصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنۡ
أَرَادَ بِكُمۡ سُوٓءًا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ رَحۡمَةࣰۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ
وَلِيࣰّا وَلَا نَصِيرࣰا ﴿١٧﴾ ۞ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلۡمُعَوِّقِينَ مِنكُمۡ وَٱلۡقَآئِلِينَ
لِإِخۡوَٰنِهِمۡ هَلُمَّ إِلَيۡنَاۖ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلۡبَأۡسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً
عَلَيۡكُمۡۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ
كَٱلَّذِي يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم
بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يُؤۡمِنُواْ فَأَحۡبَطَ
ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرࣰا ﴿١٩﴾ يَحۡسَبُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ
لَمۡ يَذۡهَبُواْۖ وَإِن يَأۡتِ ٱلۡأَحۡزَابُ يَوَدُّواْ لَوۡ أَنَّهُم بَادُونَ
فِي ٱلۡأَعۡرَابِ يَسۡـَٔلُونَ عَنۡ أَنۢبَآئِكُمۡۖ وَلَوۡ كَانُواْ فِيكُم
مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلࣰا ﴿٢٠﴾ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ
حَسَنَةࣱ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرࣰا ﴿٢١﴾
وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ
وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنࣰا وَتَسۡلِيمࣰا ﴿٢٢﴾

٤٢٠

= عهد الله مطلوبًا صاحبه بالوفاء به، مجازى على ترك الوفاء به.

١٦- أي: تمتعًا قليلاً أو زمانًا قليلاً بعد فرارهم إلى أن تنقضي آجالهم «وكل ما هو آت فهو قريب».

١٧- قل من ذا الذي يحميكم من الله إن أراد بكم هلاكًا أو نقصًا في الأموال وجدبًا ومرضًا أو أراد بكم رحمة يرحمكم بها من خصب ونصر وعافية، لا يجدون من دون الله وليًّا يواليهم ويدفع عنهم ولا من ينصرهم من عذاب الله.

١٨- أي: هؤلاء قوم من المنافقين كانوا يثبطون أنصار النبي ﷺ قالوا لهم: ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس، أي: جماعة قليلة سيغلبهم أبو سفيان وحزبه ويقولون لأقاربهم من الأنصار تخلَّوا عن محمد وأصحابه وانضموا إلينا ولا يأتون الحرب إلا قليلًا خوفًا من الموت، يحضرون القتال من غير احتساب.

١٩- أي: بخلاء عليكم لا يعاونوكم بحفر الخندق ولا بالنفقة في سبيل الله. فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم يمينًا وشمالاً، وذلك وضع الجبان إذا شاهد ما يخافه تدور أعينهم كعين الذي نزل به الموت يشخص بصره فلا يطرف فإذا ذهب الخوف آذوكم بالكلام في الأمن بألسنة سليطة ذربة، فهم عند الحرب أشح قوم وأخوفهم أشحة على الخير على الغنيمة يشاحون المسلمين عند القسمة، وقيل: على المال أن ينفقوه في سبيل الله أولئك لم يؤمنوا بل هم منافقون فأبطل الله جهادهم لأنه لم يكن عن إيمان وكان نفاقهم على الله هينًا. ٢٠- أي: يحسب هؤلاء المنافقون لجبنهم أن الأحزاب باقون في معسكرهم لم يذهبوا إلى ديارهم وإن يأت الأحزاب مرة أخرى بعد هذه المرة ويتمنى هؤلاء المنافقون أنهم في غير المدينة، بل في بادية الأعراب لما حل بهم من الرهبة ويسألون عن أخباركم وما جرى لكم من كل قادم عليهم من جهتكم، من غير مشاهدة للقتال لفرط جبنهم وضعف نياتهم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلًا، خوفًا من العار وحمية على الديار.

٢١- ولكم في رسول الله قدوة صالحة، حيث بذل نفسه للقتال وخرج إلى الخندق لنصرة دين الله، وللمؤمنين جميعًا أسوة برسول الله ﷺ في جميع أحواله لمن كان يرجو ثواب الله أو لقاءه، ويرجون رحمة الله يوم القيامة أو يصدقون بحصوله وأنه كائن لا محالة ﴿وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرࣰا ﴿٢١﴾﴾ فإنه بذلك تتحقق الأسوة الحسنة برسول الله ﷺ.

٢٢- ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ قالوه استبشارًا بحصول ما وعدهم الله ورسوله من مجيء هذه الجنود، وأنه يتعقب مجيئهم إليهم نزول النصر والظفر من عند الله وظهر صدق خبر الله ورسوله وما زادهم النظر إلى الأحزاب إلا إيمانًا بالله وتسليمًا لأمره.

مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن
قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ
ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ
أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ
أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ
فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ
وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ
ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ
سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ
ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾
يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ
لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾

٢٣- من المؤمنين رجال وفوا بما عاهدوا عليه رسول الله ﷺ ليلة العقبة من الثبات معه، والمقاتلة لمن قاتله، بخلاف من كذب في عهده، وخان الله ورسوله وهم المنافقون ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ كانوا يوم بدر نذروا أن يقاتلوا حتى يقتلوا أو يفتح الله لهم، ففي غزوة الأحزاب أدركوا أمنيتهم، وقضوا حاجتهم ووفوا بنذرهم، واستشهدوا ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ قضاء نحبه حتى يحضر أجله، فإنهم مستمرون على الثبات والقتال ومنتظرون لقضاء حاجتهم، وحصول أمنيتهم بالقتل وإدراك فضل الشهادة وما غيروا عهدهم الذي عاهدوا الله ورسوله عليه كما غير المنافقون عهدهم.

٢٤- ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ بما صدر عنهم من التغيير والتبديل إن شاء تعذيبهم، إذا أقاموا على النفاق ولم يتركوه ويتوبوا عنه أو يتوب عليهم إن شاء، إن الله كان غفورًا رحيمًا، أي: لمن تاب منهم وأقلع عن النفاق.

٢٥- أي: وهم الأحزاب ردّهم بغيظهم لم يشف صدورهم ولا نالوا خيرًا في اعتقادهم، وهو الظفر بالمسلمين، بل رجعوا خاسرين لم يربحوا إلا عناء السفر وغرم النفقة وكفى الله المؤمنين القتال بما أرسله من الريح والجنود من الملائكة وكان الله قويًّا على كل ما يريده غالبًا قاهرًا، لا يعارضه معارض في سلطانه. ٢٦- أي: عاضدوهم وعاونوهم على رسول الله ﷺ وهم بنو قريظة، فإنهم عاونوا الأحزاب، ونقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ وصاروا يدًا واحدة مع الأحزاب ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ وهي الحصون وقذف في قلوبهم الخوف الشديد حتى سلموا أنفسهم للقتل، وأولادهم ونساءهم للسبي فريقًا تقتلون وتأسرون فريقًا وهم الرجال وفريقًا تأسرون وهم النساء والذرية. ٢٧- أي: العقار والنخيل والمنازل والحصون والحلي والأثاث والمواشي والسلاح والدراهم والدنانير وأرضًا لم تطأوها هي خيبر، ولم يكونوا إذ ذاك قد نالوها، فوعدهم الله بها، وقيل: هي كل أرض تفتح إلى يوم القيامة. ٢٨- قال المفسرون: إن زوجات النبي ﷺ سألنه الزيادة في النفقة، وآذينه بغيرة بعضهن على بعض، فآلى رسول الله ﷺ منهن شهرًا، وأنزل الله آية التخيير هذه إن كنتن تردن الحياة الدنيا وسعتها ونضارتها ورفاهيتها والتنعم فيها فأقبلن إليّ أعطكن المتعة وكذا أطلقكن من غير ضرار، بل على مقتضى السنة ليكون لكن من زينة الدنيا ما شئتن. ٢٩- أي: اللاتي عملن عملاً صالحًا أجرًا عظيمًا وبعد نزول هذه الآية دعا النبي ﷺ نساءه وقرأها عليهن واحدة واحدة فاخترن البقاء. قالت عائشة: «خيَّرنا رسول الله ﷺ فاخترناه، فلم يعدّه طلاقًا». ٣٠- أي: ظاهرة القبح واضحة الفحش، وقد عصمهن الله عن ذلك، وبرأهن وطهرهن فإن فعلن يعذبهن مثلي عذاب غيرهنّ من النساء إذا أتين بمثل تلك الفاحشة، وذلك لمكانة النبي ﷺ وعلو درجاتهنّ وكان ذلك على الله يسيرًا لا يتعاظمه ولا يصعب عليه.

وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ
أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ
لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ
فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ
فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ
ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا
يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ
ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾
إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ
وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ
وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ
وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ
فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا
وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾

٣١- أي: ومن تلزم منكن الطاعة الكاملة لله ورسوله نؤتها ضعف ما يستحقه غيرهن من النساء إذا فعلن تلك الطاعة.

٣٢- فبين سبحانه أن هذه الفضيلة لهن إنما تكون بملازمتهن للتقوى، لا لمجرد اتصالهن بالنبي ﷺ وقد وقعت منهن ولله الحمد التقوى البينة، والإيمان الخالص، والمشي على طريقة رسول الله ﷺ في حياته وبعد مماته، فلا تُلِنَّ القول عند مخاطبة الرجال، كما تفعله المريبات من النساء فيطمع الذي في قلبه فجور، أو نفاق وقلن قولاً معروفًا عند الناس، بعيدًا من الريبة، على سنن الشرع، لا ينكر منه سامعه شيئًا.

٣٣- معناه الأمر لهن بالقرار والسكون في بيوتهن وألا يخرجن والتبرج: أن تبدي المرأة من زينتها ومحاسنها ما يجب عليها ستره مما تستدعي به شهوة الرجل، وأطعن الله ورسوله في كل ما هو شرع وأوصاكن الله بها أوصاكن من التقوى والطاعة، ليذهب عنكم يا أهل بيت النبوة الإثم والذنب المدنسين للأعراض، الحاصلين بسبب ترك ما أمر الله به، وفعل ما نهى عنه ويطهركم تطهيرًا من الأرجاس والأدران. وأهل البيت المذكورون في الآية، قال ابن عباس وعكرمة وعطاء وسعيد بن جبير: هن زوجات النبي ﷺ خاصة، وهو الحق، لأن الآية نازلة فيهن، وما قبلها وما بعدها هو فيهن أيضًا، وليس في شيء من ذلك ذكرٌ لعلي وزوجته وأولاده رضي الله عنهم.

٣٤- أي: تذكرن الآيات القرآنية والسنة النبوية التي تتلى في بيوتكن وتنبع منه، فحافظن على تلاوتها وتعلمها وتعليمها.

٣٥- الإسلام الدخول في الدين والانقياد له مع العمل، ثم عطف على المسلمين المسلمات تشريفًا لهن بالذكر، وهكذا فيما بعد، وإن كن داخلات في لفظ المسلمين والمؤمنين ونحو ذلك، والمؤمنون والمؤمنات هم من يؤمن بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر والقدر خيره وشره؛ والقانت العابد المطيع، وكذا القانتة، وقيل: المداومين على العبادة والطاعة، والصادق والصادقة هما من يتكلم بالصدق، ويتجنب الكذب، ويفي بما عاهد عليه، والصابر والصابرة هما من يصبر عن الشهوات وعلى مشاق التكليف، والخاشع والخاشعة هما المتواضعان لله الخائفان منه الخاضعان في عبادتهم لله، والمتصدق والمتصدقة هما من تصدق من ماله بما أوجبه الله عليه وما ندبه إليه، وكذلك الصائم والصائمة، والحافظ والحافظة لفرجيهما عن الحرام بالتعفف والتنزه والاقتصار على الحلال، والذاكر والذاكرة هما من يذكر الله على كل أحواله أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا على طاعتهم التي فعلوها من الإسلام والإيمان والقنوت وما بعدها.

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ
لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا
مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ
أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ
مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ
مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَـٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ
أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا
﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى
ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ
يُبَلِّغُونَ رِسَـٰلَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ
بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن
رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً
وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم
مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾

٣٦- أي: لا يحل لمن يؤمن بالله إذا أمر الله أو النبي أمرًا أن يختار من أمر نفسه ما شاء، بل يجب عليه أن يفعل ما طلب منه ويوقف نفسه تحت أمر الله عليه الذي اختاره له ومن يعص الله ورسوله في أمر من الأمور فقد ضل عن طريق الحق ضلالاً ظاهرًا واضحًا لا يخفى.

٣٧- وهو زيد بن حارثة، أنعم الله عليه بالإسلام، وأنعم عليه رسول الله ﷺ بأن أعتقه من الرق، وكان من سبي الجاهلية، اشتراه، رسول الله ﷺ في الجاهلية، وأعتقه وتبناه، وزوجه امرأة من قريش، هي بنت عمته زينب بنت جحش (أمسك عليك) زينب (واتق الله) في أمرها ولا تعجل بطلاقها ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ وهو نكاحها إن طلقها زيد وتستحي من الناس أو تخاف من تعييرهم بأن يقولوا: أمر مولاه بطلاق امرأته ثم تزوجها والله أحق أن تخشاه في كل حال وتخاف منه وتستحييه فلما قضى زيدٌ وطره منها بنكاحها والدخول بها، بحيث لم يبق له فيها حاجة ﴿زَوَّجْنَـٰكَهَا﴾ فلما أعلمه الله بذلك دخل عليها بغير إذن ولا تقدير صداق ولا شيء مما هو معتبر في النكاح في حق أمته، وبه،جاءت الأخبار الصحيحة.

لكيلا يكون على المؤمنين ضيق ومشقة في التزوج بأزواج من يجعلونهم أبناء، كما كانت تفعله العرب ويعتقدون أنه يحرم عليهم نساء من تبنوه، كما تحرم عليهم نساء أبنائهم حقيقة، فأخبرهم الله أن نساء الأدعياء حلال لهم إذا قضوا منهن وطرًا بخلاف ابن الصلب، فإن امرأته تحرم على أبيه بنفس العقد عليها.

٣٨- أي: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾ محاسبًا لهم في كل شيء. ولما تزوج ﷺ زينب قال بعض الناس: تزوج امرأة ابنه، فأنزل الله تعالى:

٤٠- ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ أي: ليس هو بأب لزيد بن حارثة على الحقيقة، حتى تحرم عليه زوجته، ولا هو أبٌ لأحد لم يلده، وقد ولد له من الذكور إبراهيم، والقاسم، والطيب، والمطهر، ولكن لم يعش له ابن حتى يصير رجلاً ولكن كان رسول الله وخاتم الشيء آخره، فلا نبي من بعده وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: **«مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل ابتنى دارًا، فأكملها وأحسنها، إلا موضع لبنة. فكان من دخلها فنظر إليها قال: ما أحسنها، إلا موضع اللبنة. فأنا موضع اللبنة، حتى ختم بي الأنبياء»**.

٤٣- الصلاة من الله على العباد رحمته لهم وبركته عليهم، ومن الملائكة الدعاء لهم والاستغفار لهم من ظلمات المعاصي إلى نور الطاعات، ومن ظلمة الضلالة إلى نور الهدى.

تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا
إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم
مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ
وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ
مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ
فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ
أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ
يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ
وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً
مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا
خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا
عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا
يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾

٤٢٤

٤٤- أي: تحية المؤمنين من الله سبحانه يوم لقائهم له عند الموت، أو عند البعث، أو عند دخول الجنة، هي التسليم عليهم منه عز وجل. وقيل المعنى: فيسلمهم الله من الآفات، ويبشرهم بالأمن من المخافات يوم يلقونه.

٤٥- أي: على أمته يشهد لمن صدقه وآمن به، وعلى من كذبه وكفر به.

٤٦- أي: يدعو عباد الله إلى التوحيد والإيمان بما جاء به، والعمل بها شرعه لهم بأمره له بذلك وتقديره، وسراجًا يستضاء بهديه في ظلمات الضلالة.

٤٨- أي: فيما يشيرون به عليك من المداهنة في الدين ولا تبال بما يصدر منهم إليك من الأذى، بسبب دعوتك إلى دين الله، وشدتك على أعدائه.

٤٩- يا أيها الذين آمنوا إذا تعاقدتم مع المؤمنات عقد الزواج ثم طلقتموهن من قبل أن تجامعوهن، فكنى عن ذلك بلفظ المس ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ وهذا مجمع عليه، وإسناد ذلك إلى الرجال للدلالة على أن العدة حق لهم والمطلقة قبل الدخول مع التسمية للصداق تستحق نصف المسمى، ومع عدم التسمية تستحق المتعة عملاً بهذه الآية، وأما المتوفى عنها زوجها، إذا مات بعد العقد عليها، وقبل الدخول بها، كان الموت كالدخول، فتعتد أربعة أشهر وعشرا بالإجماع، أي: وائذنوا لهن بالخروج من منازلكم إن كن دخلنها، إذ ليس لكم عليهن عدة، والسراح الجميل الذي لا إيذاء معه.

٥٠- وذكر سبحانه في هذه الآية أنواع الأنكحة التي أحلها لرسوله، وبدأ بأزواجه اللاتي قد اخترنه على الدنيا وزينتها وما ملكت يمينك مما رده الله عليك من الكفار بالغنيمة، من نسائهم المأخوذات على وجه القهر والغلبة، وتحل له السرية المشتراه والموهوبة ونحوهما ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ ولا تحل له من لم تهاجر من هؤلاء وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها منك بغير صداق. وأما من لم تكن مؤمنة فلا تحل لك بمجرد هبتها نفسها لك إن أراد النبي أن يصيرها منكوحة له، ويتملك بضعها بتلك الهبة بلا مهر وهذا الإحلال الخالص للمرأة الواهبة نفسها بلا مهر، هو خاص بك دون غيرك من المؤمنين، ولا يجوز لغيره قد علمنا ما فرضه الله سبحانه على المؤمنين في حق زوجاتهم من شرائط العقد وحقوقه، لا يحل لهم الإخلال به، ولا الاقتداء برسول الله ﷺ فيما خصه الله به توسعة عليه وتكريمًا له، فلا يتزوجوا إلا بمهر وشهود وولي، ولا يزيد الواحد منهم عن أربع زوجات وعلمنا ما فرضنا عليهم فيما ملكت أيمانهم من كونهن ممن يجوز سبيه وحربه، لا من كان لا يجوز سبيه، أو كان له عهد من المسلمين، ووسعنا عليك في التحليل لك، لئلا يضيق صدرك فتظن أنك قد أثمت في بعض المنكوحات.

ربع الحزب ٤٣

۞ تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ
مِمَّنۡ عَزَلۡتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ
وَلَا يَحۡزَنَّ وَيَرۡضَيۡنَ بِمَآ ءَاتَيۡتَهُنَّ كُلُّهُنَّۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ
مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمٗا ٥١ لَّا يَحِلُّ لَكَ
ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ
حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا
٥٢ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن
يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ
فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ
ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا
يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن
وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ
لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ
مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ٥٣ إِن
تُبۡدُواْ شَيۡـًٔا أَوۡ تُخۡفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٥٤

٥١- كان القسم واجبًا عليه، حتى نزلت هذه الآية، فارتفع الوجوب وصار الخيار إليه، فكان ﷺ يسوي بين من آواها من نسائه في القسم، وكان يقسم لمن أرجأها ما شاء وإن أراد أن يؤوي إليه امرأة ممن قد عزلهن عن القسمة، ويضمها إليه، فلا حرج عليه في ذلك، وذلك التخيير الذي خيرناك في صحبتهن أدنى إلى رضاهن، إذ كان من عندنا، لأنهن إذا علمن أنه من الله قرت أعينهن ولا يحزن بإيثارك بعضهن دون بعض ويرضين بما أعطيتهن، من تقريب وإرجاء، وعزل وإيواء والله يعلم ما في قلوبكم من كل ما تضمرونه ومن ذلك ما تضمرونه من أمور النساء.

٥٢- وحرم الله بهذه الآية على رسوله ﷺ أن يتزوج على نسائه، مكافأة لهن بما فعلن حين اخترن الله ورسوله والدار الآخرة على الحياة الدنيا وزينتها، وليس لك أن تطلق واحدة منهن أو أكثر، وتتزوج بدل من طلقت منهن ولو أعجبك حسن التي أردت أن تجعلها بدلاً من إحداهن ويجوز لك أن تستبدل بمن عندك من الإماء وتستزيد منهن.

٥٣- وهذا نهي عام لكل واحد من الصحابة أن يدخل بيتًا من بيوت رسول الله ﷺ إلا بإذن. إلا أن يؤذن لكم مدعوين إلى طعام غير منتظرين نضجه وإدراكه ولكن إذا دعيتم وأذن لكم فادخلوا، وإلا فنفس الدعوة لا تكون إذنًا كافيًا في الدخول ﴿فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ﴾ المراد الإلزام بالخروج من المنزل الذي وقعت الدعوة إليه، عند انقضاء المقصود من تناول الطعام ثم نهاهم أن يجلسوا بعد الطعام يتحدثون مستأنسين بالحديث، إن الدخول بغير إذن، أو الدخول بإذن مع الانتظار والاستئناس للحديث ﴿كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ﴾ لأنهم كانوا يضيقون المنزل عليه وعلى أهله، ويتحدثون بما لا يريده، وكان النبي ﷺ يحتمل إطالتهم كرمًا منه، فيصبر على الأذى في ذلك، فعلم الله من يحضره الأدب، فصار أدبًا لهم ولمن بعدهم وكان يستحي أن يقول لكم قوموا أو اخرجوا والله لا يترك أن يبين لكم ما هو الحق وإذا سألتم زوجات النبي ﷺ متاعًا من الماعون وغيره يعني: أو كلمتموهن فاسألوهن من وراء ستر بينكم وبينهن ذلكم سؤال المتاع من وراء حجاب وتطهيرًا لقلوبكم وقلوبهن من الريبة، وخواطر السوء التي تعرض للرجال في أمر النساء، وللنساء في أمر الرجال وما صح لكم ولا استقام أن تؤذوه بشيء من الأشياء كائنًا ما كان ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده بعد وفاته أبدًا لأنهن أمهات المؤمنين، ولا يحل للأولاد نكاح الأمهات إن نكاح زوجاته من بعده كان عند الله ذنبًا عظيمًا وخطبًا هائلا شديدًا.

٥٤- قيل: نزلت لما قال بعض الصحابة: إن مات رسول الله ﷺ تزوجت فلانة من زوجاته.

لَّا جُنَاحَ عَلَيۡهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخۡوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآءِ
إِخۡوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتۡ
أَيۡمَٰنُهُنَّۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا
﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ
ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا
مُّهِينٗا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ
بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴿٥٨﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ
عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ
ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٥٩﴾ ۞ لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ
فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لَنُغۡرِيَنَّكَ
بِهِمۡ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٦٠﴾ مَّلۡعُونِينَۖ
أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي
ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴿٦٢﴾

نصف الحزب ٤٣

٥٥- فهؤلاء لا يجب على نساء رسول الله ﷺ الاحتجاب منهم ولا نسائهن من قراباتهن أو جاراتهن أو من له بلقائهن حاجة من النساء ولا ما ملكت أيمانهن من العبيد واتقين الله في كل الأمور التي من جملتها ما هو مذكور هنا. أخرج البخاري ومسلم عن أنس قال: قال عمر بن الخطاب: يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو حجبتهن، فأنزل الله آية الحجاب.

٥٦- ثم أخبر الله عباده بمنزلة نبيه عنده في الملأ الأعلى، بأنه يثني عليه عند ملائكته، وأن الملائكة تصلي عليه، وأمر عباده بأن يقتدوا بذلك ويصلوا عليه.

٥٧- وهم المشركون واليهود والنصارى، وصفوا الله بالولد. وهم الذين كذبوا رسول الله، وشجوا وجهه، وكسروا رباعيته، وقالوا: مجنون أو شاعر أو كذاب أو ساحر، وكذا كل ما يؤذيه من الأقوال والأفعال.

٥٨- أي: بوجه من وجوه الأذى من قول أو فعل بغير حق، وذلك كأن يشتم المؤمن أحدًا، أو يضربه، أو يقتله، فيجوز أن يفعل به ذلك قصاصًا، وإن أتلف مالاً فعليه غرامة مثله، وربما فعل معصية فيُعَزَّر.

٥٩- والجلباب: الملحفة، وهو ثوب يستر جميع بدن المرأة، وإدناؤه أن تقربه وتلمه حتى يغطي زينتها التي أمر الله بسترها وإدناء الجلابيب أقرب أن يعرفن من يراهن فيتميزن عن الإماء، ويظهر للناس أنهن حرائر فلا يؤذين من جهة أهل الريبة بالتعرض لهن وكان الله غفورًا لما سلف منهن من ترك إدناء الجلابيب رحيمًا بهن.

٦٠- لئن لم ينته المنافقون عما هم عليه من النفاق والذين في قلوبهم شك وريبة في أمر الدين والمرجفون في المدينة بذكر الأخبار الكاذبة المتضمنة لتوهين جانب المسلمين، وظهور المشركين عليهم، وذلك بأن هؤلاء المرجفين كانوا يخبرون عن سرايا المسلمين بأنهم هزموا، وتارة بأنهم قتلوا، وتارة بأنهم غلبوا، ونحو ذلك مما تنكسر له قلوب المسلمين من الأخبار، فتوعدهم الله سبحانه بقوله لنسلطنك عليهم فتستأصلهم بالقتل والتشريد بأمرنا لك بذلك ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٦٠﴾﴾ أي: بأمرنا لك بنفيهم وتشريدهم عن المدينة.

٦١- مطرودين أينما وجدوا وأدركوا ﴿أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا ﴿٦١﴾﴾.

٦٢- أي: سن الله ذلك في الأمم الماضية، وهو لعن المنافقين وأخذهم وتقتيلهم، وكذا حكم المرجفين ولن تجد لسنة الله تحويلا وتغييرا، بل هي ثابتة دائمة في أمثال هؤلاء من الخلف والسلف.

يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدْرِيكَ
لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ
لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا
﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ
وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا
فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ
وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ
ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ
لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ
فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا
ٱلْإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ
وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ
عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًۢا ﴿٧٣﴾

٦٣- أي: عن وقت قيامها وحصولها وما يدريك يا محمد لعل الساعة تكون في زمان قريب، والخطاب لرسول ﷺ لبيان أنها إذا كانت محجوبة عنه لا يعلم وقتها، وهو رسول الله، فكيف بغيره من الناس؟

٦٤- أي: إن الله طردهم وأبعدهم من رحمته وأعد لهم في الآخرة مع ذلك اللعن منه لهم في الدنيا نارًا شديدة التسعر.

٦٥- خالدين فيها أبدًا بلا انقطاع لا يجدون وليا يواليهم ويحفظهم من عذابها ولا نصيرا ينصرهم ويخلصهم منها.

٦٦- أي: وهذا التقلب هو تقلبها تارة على جهة منها، وتارة على أخرى، ظهرًا لبطن، أو تغير ألوانهم بلفح النار، فتسود تارة وتخضر أخرى وتمنوا أنهم أطاعوا الله والرسول، وآمنوا بما جاء به، لينجوا مما هم فيه من العذاب كما نجا المؤمنون.

٦٧- أي: هم الرؤساء والقادة الذين كانوا يمتثلون أمرهم في الدنيا ويقتدون بهم فأضلونا السبيل بما زينوا لنا من الكفر بالله ورسوله.

٦٨- أي: مثل عذابنا مرتين، عذاب الكفر وعذاب الإضلال والعنهم لعنًا عظيم القدر شديد الموقع.

٦٩- وعظ الله المؤمنين ألا يؤذوا محمدًا ﷺ كما آذى بنو إسرائيل موسى. وكان موسى عند الله عظيما ذا وجاهة، حتى إنه كلمه تكليمًا.

٧٠- يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله في كل الأمور وقولوا قولا صوابًا وحقًّا في كل أمر من أموركم، ويدخل فيه القول في شأن زيد وزينب، ولا تنسبوا النبي ﷺ إلى ما لا يحل، ويدخل فيه قول لا إله إلا الله، والإصلاح بين الناس.

٧١- أي: يجعل أعمالهم صالحة لا فاسدة، بما يهديهم إليه ويوفقهم فيه ويجعلها مكفرة مغفورة.

٧٢- والأمانة: منها الطاعة والفرائض التي يتعلق بأدائها الثواب وبتضييعها العقاب ومنها: أمانة الأموال كالودائع وغيرها مما لا بينة عليه، وغسل الجنابة أمانة، والفرج أمانة، واللسان أمانة، والبطن أمانة، واليد أمانة، والرجل أمانة وإن السماوات والأرض والجبال، على كبر أجرامها، لو كانت بحيث يجوز تكليفها لثقل عليها تقلد الشرائع لما فيها من الثواب والعقاب، وقد كلف بها الإنسان فتحملها وهو ظلوم جهول لو عقل والتزم بحقها الإنسان وهو في ذلك ظلوم لنفسه، جهول لقدر ما دخل فيه. وقيل: معنى حملها: صار مستعدًّا لها بالفطرة، أو حملها عند عرضها عليه في عالم الذر.

٧٣- أي: حملها الإنسان ليعذبهم بما خانوا من الأمانة، وكذبوا من الرسل، ونقضوا من الميثاق ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات الذين أدوا ما حملوه من الأمانات من العبادة وغيرها.

سُورَةُ سَبَإٍ

آياتها ٥٤ — ترتيبها ٣٤

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ
فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ
وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ
ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ ٢ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ
قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ
ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ
وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٣ لِّيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ
كَرِيمٞ ٤ وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ
لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ ٥ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ
ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ
ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٦ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ
يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ٧

سُورَةُ سَبَإٍ

هي مكية في قول الجميع إلا آية واحدة

١ - تعريف الحمد: ما تقدم تحقيقه في فاتحة الكتاب ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي إن جميع ما هو فيهما في ملكه، وتحت تصرفه، يفعل به ما يشاء، ويحكم فيه بما يريد. فحمده على ما في السماوات والأرض هو حمد له على النعم التي أنعم بها على خلقه مما خلقه لهم وله حمد عبادة الذين يحمدونه في الدار الآخرة إذا دخلوا الجنة كما في قوله: ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ﴾ فهو المحمود في الآخرة، كما أنه المحمود في الدنيا وهو المالك للآخرة، كما أنه المالك للدنيا وهو الحكيم أحكم أمر الدارين الخبير بأمر خلقه فيهما.

٢ - يعلم ما يلج في الأرض من ماء أو كنز أو دفين وما يخرج من زرع ونبات وحيوان وما ينزل من السماء من الأمطار والثلوج والبرد والصواعق والبركات، وما ينزل منها من ملائكته وكتبه إلى أنبيائه وما يعرج فيها من الملائكة وأعمال العباد وهو الرحيم بعباده، الغفور لذنوبهم.

٣ - أي: القيامة والبعث، قالوا ذلك إنكارًا منهم لوجودها فأمر الله تعالى نبيه أن يخبرهم ويقسم بالله على صحة خبره تقوية وتأكيدًا، أن القيامة لا بد آتية وهو سبحانه عالم الغيب لا يغيب عنه ولا يستتر عليه ولا يبعد عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك المثقال ولا أكبر منه وهو مثبت في اللوح المحفوظ.

٤ - أي: إن إتيان الساعة فائدته جزاء المؤمنين بالثواب والكافرين بالعقاب أولئك لهم مغفرة لذنوبهم في الجنة بسبب إيمانهم وعملهم الصالح مع التفضل عليهم من الله سبحانه.

٥ - والذين سعوا في إبطال آياتنا المنزلة على الرسل، يحسبون أنهم يفوتوننا ولا يدركون، وذلك باعتقادهم أنهم لا يبعثون أولئك الذين سعوا لهم عذاب شديد أليم.

٦ - أي: ويعلم أهل العلم الذين هم على الحق أن ما أنزل إليك من الله هو الحق، وهم الصحابة، وقيل: هم مؤمنو أهل الكتاب ويهدي إلى دين الله وهو التوحيد.

٧ - أي: قال بعض الكفار لبعض هل ندلكم على رجل يعنون محمدًا ﷺ يخبركم بأمر عجيب، ونبأ غريب، هو أنكم إذا فرقتم كل تفريق، وقطعتم كل تقطيع، وصرتم بعد موتكم رفاتًا وترابًا متفرق الأجزاء، مبدد الذرات تخلقون خلقًا جديدًا، وتبعثون من قبوركم أحياء، وتعودون إلى الصور التي كنتم عليها؟ قالوا: ذلك بما وعدهم الله على لسان رسوله من البعث.

أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ
فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ٨ أَفَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ
وَمَا خَلۡفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ
ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَةٗ لِّكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ٩ ۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ
يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ١٠ أَنِ ٱعۡمَلۡ
سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ
بَصِيرٞ ١١ وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ
وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ
رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ١٢
يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ
وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ
ٱلشَّكُورُ ١٣ فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ
إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ
أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ ١٤

٨- أي قالوا: أهو كاذب فيما قاله، أم به جنون بحيث لا يعقل ما يقوله؟ وليس الأمر كما زعموا، بل حقيقة الأمر أن الذين ضلوا عن الفهم وإدراك الحقائق، فكفروا بالآخرة، ولم يؤمنوا بما جاءهم به، صاروا بسبب ذلك في العذاب الدائم في الآخرة، وهم اليوم في الضلال البعيد عن الحق غاية البعد. ٩- ثم وبخهم مبينا لهم أن ذلك لم يصدر منهم إلا لعدم التفكر والتدبير في خلق السماء والأرض، وإذا نظروا رأوا السماء خلفهم وقدامهم، وكذلك إذا نظروا في الأرض رأوها خلفهم وقدامهم، فلو نظروا إليها لعلموا أن خالقهما قادر على تعجيل العذاب لهم إن نشأ نخسف بهم الأرض كما خسف بقارون أو نسقط عليهم قطعًا من السماء كما أسقطها على أصحاب الأيكة، فكيف يأمنون؟ إن في المذكور من خلق السماء والأرض لعلامة واضحة ودلالة بينة لكل عبد راجع إلى ربه بالتوبة والإخلاص. ١٠- أي: آتينا داود النبوة والزبور، وقيل: القوة إلانة الحديد، والأولى أن يقال: هو ما ذكره الله بعده من قوله: يا جبال إلى آخر الآية وقلنا يا جبال سبحي معه بتسبيحة والطير تسبح معه وألنا له الحديد ليعمل به ما شاء، قيل: صار الحديد كالشمع يعمله من غير نار. ١١- أي: دروعًا سابغات، والسابغات الكوامل الواسعات التي تغطي البدن كله والسرد: نسج الدروع، ويقال: السرد والزرد، أي لا تعملها صغيرة فتضعف ولا يقوى الدرع على الدفاع، ولا تعملها كبيرة فتثقل على لابسها.

١٢- التقدير وسخرنا لسليمان الريح تسير بالغداة مسيرة شهر، وتسير بالعشي كذلك وأسلنا له عين النحاس كما ألنا الحديد لداود وسخرنا له من الجن من يعمل بين ما يأتي ذكره من المحاريب وغيرها، بأمر الله وتسخيره إياهم لسليمان ومن يزغ منهم عن أمرنا الذي أمرنا به: وهو طاعة سليمان نذقه من عذاب السعير في الآخرة، وقيل في الدنيا. ١٣- وهي الأبنية الرفيعة والقصور العالية، وقيل المراد بالمحاريب هنا المساجد والتماثيل: كل شيء مجسم صورته بصورة الحيوان من نحاس أو زجاج أو رخام أو غير ذلك وقد قيل: إن التصوير كان مباحًا في شرع سليمان ثم نسخ ذلك في شرع نبينا محمد ﷺ ﴿وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ﴾ قصاعًا في العظم كحياض الإبل، يجتمع على القصعة الواحدة جمع كبير يأكلون منها، والجوابي: الحياض التي يجبى فيها الماء للإبل وقدور ثابتات لا تحمل ولا تحرك لعظمها وقلنا لهم اعملوا بطاعة الله يا آل داود، شكرًا له على ما آتاكم. ١٤- أي: حكمنا عليه بالموت، وألزمناه إياه، مات وهو قائم متكئ على عصاه، فلم تعلم الجن بموته، وبقوا يعملون خوفًا منه ما دلهم على موته إلا الأرضة تأكل عصاه التي كان متكئًا عليها فلما سقط بعد ما وقعت عصاه ظهر للجن أن لو صح ما يزعمونه من أنهم يعلمون الغيب لعلموا بموته ولم يلبثوا بعد موته مدة طويلة في العمل الذي سخرهم فيه والطاعة له وهو إذ ذاك ميت، حتى أكلت الأرضة عصاه فخر ميتًا، =

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ
كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ
١٥ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ
جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ
١٦ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ١٧
وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً
وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ١٨
فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ
أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ
شَكُورٍ ١٩ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا
فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ٢٠ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ
إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ٢١ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ
اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي
الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ٢٢

فعلموا بموته، وعلم الناس أن الجن لاتعلم الغيب.

١٥ - سبأ قبيلة كانت باليمن، وكان منها ملوك اليمن ﴿مَسْكَنِهِمْ﴾ هو مأرب، وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث ليال آية جنتان عن يمين واديهم وشماله، وكانت مساكنهم في الوادي، وفي الجنتين من جميع الثمار، والآية هي الجنتان ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾ أي: قيل لهم ذلك، والمراد بالرزق: ثمار الجنتين واشكروا له على ما رزقكم من هذه النعم، واعملوا بطاعته، واجتنبوا معاصيه بلدة طيبة لكثرة أشجارها، وطيب ثمارها والمنعم عليهم رب غفور لذنوبهم.

١٦ - فأعرضوا عن الشكر وكفروا بالله ففتق الله عليهم سد مأرب حتى انتقض، فدخل الماء جنتهم فغرقها، ودفن السيل بيوتهم، فهذا هو سيل العرم، والعرم: السيل الذي لا يطاق لقوته وشدته وأعطيناهم بدلها جنتين لاخير فيهما، ولا فائدة لهم فيما هو نابت فيهما والخمط كل شجرة مرة ذات شوك والأثل: هو الشجر المعروف الشبيه بالطرفاء، ولا ثمر للأثل وأهلك أشجارهم المثمرة، وأنبت بدلها الأراك والطرفاء والسدر. ١٨ - وهي قرى الشام قرى متواصلة، وكان متجرهم من أرضهم التي هي مأرب إلى الشام، وكانوا يبيتون بقرية ويقيلون بأخرى حتى يرجعوا وقال المفسرون: المقيل في قرية، والمبيت في أخرى، إلى أن يصل إلى الشام وقلنا لهم سيروا في تلك القرى المتصلة ليالي وأيامًا آمنين مما يخافونه، قال قتادة: كانوا يسيرون غير خائفين ولا جياع ولا ظماء، فلم يشكروا النعمة: بل طلبوا التعب والكد. ١٩ - أي: سئموا النعمة ولم يصبروا على العافية، فتمنوا طول الأسفار والتباعد بين الديار فجعلهم الله عبرة لمن بعدهم يتحدث الناس بأخبارهم من بعدهم، تعجبًا من فعلهم واعتبارًا بحالهم وعاقبتهم وفرقناهم في كل وجه من البلاد كل التفريق، فصارت العرب تضرب بهم الأمثال، فتقول: «تفرق القوم أيدي سبا» فلحقت الأوس والخزرج بيثرب، وغسان بالشام، والأزد بعمان، وخزاعة بتهامة إن في ذلك لآيات بينات، ودلالات واضحات لكل من هو كثير الصبر عند البلاء، كثير الشكر عند الرخاء. ٢٠ - أي: ظن بهم أنه إذا أغواهم اتبعوه قال الحسن: ما ضربهم بسوط ولا بعصى، وإنما ظن ظنا فكان كما ظن بوسوسته. ٢١ - أي: لم يقهرهم على الكفر، وإنما كان منه الدعاء والوسوسة والتزين ولكن ابتلينا بوسوسته لنعلم ذلك علم ظهور، وإلا فالله بكل شيء عليم. ٢٢ - هذا أمر النبي ﷺ بأن يقول لكفار قريش: هؤلاء الأصنام الذين زعمتموهم آلهة من دون الله ادعوهم ليكشفوا عنكم الضر الذي نزل بكم في سنين الجوع، ثم أجاب سبحانه عنهم فقال: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: ليس لهم قدرة على خير ولا شر في أمر من الأمور وليس للأصنام في السماوات والأرض =

وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن
قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ
﴿٢٣﴾ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ
وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل
لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ
يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ
﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ
ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ
بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾
قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ
﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا
بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ
رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ
ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾

= مشاركة، لا بالخلق، ولا بالملك، ولا بالتصرف وما له منهم من معين على شيء من أمر السماوات والأرض ومن فيهما.

٢٣- أي: لا تنفع الشفاعة في حال من الأحوال إلا لمن أذن الله له أن يشفع، من الملائكة والنبيين ونحوهم من أهل العلم والعمل، وهؤلاء لا يشفعون إلا لمن يستحق الشفاعة، لا للكافرين ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ هذا الفزع يكون للملائكة في كل أمر يأمر به الرب، والمراد أن الملائكة وهذا فزعهم، من أمر الله، كيف يشفعون لديه لمن لا يرضاه؟

٢٤- فإن آلهتكم لا يملكون مثقال ذرة، والرزق من السماء: هو المطر، والرزق من الأرض: هو النبات والمعادن ونحو ذلك قل الله: هو الذي يرزقكم من السماء والأرض وأن أحد الفريقين من الذين يوحدون الله الخالق الرازق ويخصونه بالعبادة، والذين يعبدون الجمادات التي لا تقدر على خلق ولا رزق، ولا نفع ولا ضر، لعلى أحد الأمرين: من الهدى والضلالة، ومعلوم أن من عَبَد الذي لا يقدر على خلق ولا رزق ولا نفع ولا ضر، هو الذي على الضلالة. ٢٥- أي: إن كانت عبادتنا لله وطاعتنا له جريمة فلستم مسئولين عنا ولا ينالني من كفركم وترككم لإجابتي ضرر. ٢٦- أي: يوم القيامة ثم يحكم ويقضي بيننا بالحق، فيثبت المطيع، ويعاقب العاصي وهو الحاكم بالحق، القاضي بالصواب العليم بما يتعلق بحكمه وقضائه من المصالح. ٢٧- أي: أروني الذين ألحقتموهم بالله شركاء له حتى أراهم وأرى ما يقدرون عليه. وارتدعوا عن دعوى المشاركة، بل المنفرد بالإلهية هو الله، القاهر الغالب الحكيم بالحكمة الباهرة. ٢٨- أي: وما أرسلناك إلا للناس جميعًا عربهم وعجمهم مبشرًا لهم بالجنة، ومنذرًا لهم من النار ولكن أكثر الناس لا يعلمون ما عند الله وما لهم من النفع في إرسال الرسل.

٢٩- أي: متى يكون هذا الوعد الذي تعدوننا به وهو قيام الساعة، أخبرونا به إن كنتم صادقين.

٣٠- وهو يوم البعث هذا الميعاد المضروب لكم لا تتأخرون عنه ولا تتقدمون عليه، بل يكون لا محالة في الوقت الذي قدر الله وقوعه فيه.

٣١- وهي الكتب القديمة: كالتوراة والإنجيل، والرسل المتقدمون ولو ترى إذ الظالمون محبوسون في موقف الحساب ويتراجعون الكلام فيما بينهم باللوم والعتاب، بعد أن كانوا في الدنيا متعاضدين متناصرين متحابين يقول الذين استضعفوا وهم الأتباع للذين استكبروا وهم الرؤساء المتبوعون لولا أنتم صددتمونا عن الإيمان بالله والاتباع لرسوله لكنا مؤمنين بالله مصدقين لرسوله وكتابه.

قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ
عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۖ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ٣٢ وَقَالَ ٱلَّذِينَ
ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ
تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ
لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ
هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٣٣ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ
مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٣٤
وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ٣٥
قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يَعۡلَمُونَ ٣٦ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا
زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ
بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ٣٧ وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ
ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ٣٨ قُلۡ
إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ
أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٣٩

٣٢- ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ﴾ مجيبين عليهم، مستنكرين لما قالوه أنحن منعناكم عن الإيمان بعد إذ جاءكم الهدى بل كنتم مصرين على الكفر، كثيري الإجرام، عظيمي الآثام.

٣٣- وفيه رد لما أجابوا به عليهم، ودفعٌ لما نسبوه إليهم من صدهم لأنفسهم، والمكر: الخديعة والحيلة، والمعنى: بل مكركم بنا الليل والنهار ودعوتكم المستمرة المدبرة دومًا لنا إلى الكفر، هو الذي حملنا على هذا إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أشباهًا وأمثالاً ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ﴾ راجع إلى الفريقين: أي أضمر الفريقان الندامة على ما فعلوا من الكفر، وأخفوها عن غيرهم، أو أخفاها كل منهم عن الآخر مخافة الشماتة. وتبينت الندامة في وجوههم وجعلت الأغلال من الحديد في أعناق هؤلاء في النار ﴿هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٣٣﴾ من الشرك بالله.

٣٤- وفي كل مرة يرسل الله تعالى نبيا من أنبيائه أو رسولاً من رسله إلا ويبدأ القادة والأغنياء بالإعراض عن الدعوة والصد عن الإيمان الداعين إليه ويقولون: إنا مكذبون لكم بما أرسلتم به من التوحيد والإيمان.

٣٥- أي: قالوا إن الله فضلنا عليكم بالأموال والأولاد في الدنيا، وذلك يدل على أنه قد رضي ما نحن عليه من الدين، فما نحن بمعذبين في الآخرة بعد إحسانه إلينا في الدنيا ورضاه عنا.

٣٦- أي: فيرد الله عليهم قائلاً لنبيه ﷺ: قل لهم يا محمد إن الله يوسع على من يشاء في الرزق ويضيق على من يشاء أن يضيقه عليه، وليس مجرد بسط الرزق لمن بسطه له يدل على أنه قد رضي عنه ورضي عمله، ولا قبضه عمن قبضه عنه يدل على أنه لم يرضه ولا رضي عمله، فقياس الدار الآخرة على الدار الأولى في مثل هذا من الغلط البين، أو المغالطة الواضحة.

٣٧- أي: وليست كثرة أموالكم وأولادكم هي مما يقربكم إلى رحمتنا وفضلنا، فإنما أموالكم وأولادكم فتنة واختبار لنعلم من يسيرها في طاعة الله ممن يعصي الله فيها، والجزاء المضاعف للحسنات وهم في الغرفات آمنون من جميع ما يكرهون، والمراد غرفات الجنة. ٣٨- والذين يسعون في آياتنا بالرد لها، والطعن فيها، حال كونهم مسابقين لنا، زاعمين أنهم يفوتوننا بأنفسهم فأولئك تحضرهم الزبانية إلى جهنم ولا يجدون عنها محيصًا.

٣٩- أي: في فعل الخيرات التي أمر الله بها في كتابه وبينها رسوله ﷺ فهو يخلفه عليكم، وذلك البدل إما في الدنيا وإما في الآخرة ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٣٩﴾ فإن رزق العباد لبعضهم البعض إنما هو بتيسير الله وتقديره، وليسوا برازقين على الحقيقة.

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟
يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟
يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ
بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ
ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ
قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ
وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا
جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ
يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ
فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن
تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم
مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾
قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ
كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾

ربع الحزب ٤٤

٤٠- أي للحساب: العابد والمعبود، والمستكبر والمستضعف ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾﴾ تقريعًا للمشركين، وتوبيخًا لمن عبد غير الله عز وجل.

٤١- أي: تنزيهًا لك أنت الذي نتولاه ونطيعه ونعبده من دونهم، ما اتخذناهم عابدين، ولا توليناهم، وليس لنا غيرك وليًّا بل كانوا يعبدون إبليس وجنوده، ويزعمون أنهم يرونهم، وأنهم ملائكة، وأنهم بنات الله وأكثر المشركين بالجن مؤمنون، يصدقون ما يلقونه إليهم من الوساوس والأكاذيب، ومنها أمرهم بعبادة الأصنام. ٤٢- يعني: العابدين والمعبودين، لا يملك بعضهم - وهم المعبودون - لبعض - وهم العابدون - نفعًا: أي شفاعة ونجاة، ولا عذابًا وهلاكًا، ونقول للذين ظلموا أنفسهم بعبادة غير الله ذوقوا عذاب النار التي كنتم في الدنيا بها تكذبون. ٤٣- وإذا تتلى عليهم الآيات القرآنية واضحات الدلالات، ظاهرات المعاني قالوا ما هذا التالي لها، وهو النبي ﷺ إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد أسلافكم من الأصنام التي كانوا يعبدونها وقالوا عن القرآن إنه كذب مختلق وإنه سحر مبين. ٤٤- أي: وما أنزلنا على العرب كتبًا سماوية يدرسون فيها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير يدعوهم إلى الحق وينذرهم بالعذاب، فليس لتكذيبهم بالقرآن وبالرسول وجه، ولا شبهة يتشبثون بها، أي: فمن أين كذبوك؟ ولم يأتهم كتاب ولا نذير بهذا الذي فعلوه؟ ٤٥- أي: من القرون الخالية وإن أهل مكة من مشركي قريش وغيرهم من العرب على ما آتيناهم من القوة وكثرة المال، لم يبلغوا عشر ما آتينا من قبلهم من القوة، وكثرة المال، فأهلكهم الله، كعاد وثمود وأمثالهم. وقيل المعشار: عُشر العشر فكيف كان إنكارهم عليهم بالعذاب والعقوبة؟

٤٦- أي: أحذركم وأنذركم سوء عاقبة ما أنتم فيه، وأوصيكم بخصلة واحدة، وهي قيامكم في طلب الحق بالفكرة الصادقة متفرقين اثنين اثنين، أو واحدًا واحدًا، لأن الاجتماع يشوش الفكر ثم تفكروا بإخلاص في حقيقة أمر النبي وما جاء به من الكتاب، فإنكم عند ذلك تعلمون أنه ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ لا ساحر ولا مجنون. إن هو إلا منذر لكم في الله تعالى بين يدي الساعة، وقد علموا أنه أرجح الناس عقلاً، وأنهم ما جربوا عليه كذبًا مدة عمره وعمرهم.

٤٧- أي: ما طلبت منكم من مال تجعلونه لي مقابل الرسالة فهو لكم إن سألتمكموه فثوابي على الله لا على غيره وهو على كل شيء مطلع لا يغيب عنه منه شيء.

٤٨- أي: يتكلم بالحق، وهو القرآن والوحي: أي يلقيه إلى أنبيائه. وقيل: يرمي الباطل بالحق فيدمغه والغيب: هو ما غاب عن أبصار بني آدم وإدراكهم.

قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ
فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ
سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن
مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن
مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ
بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ
كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾

سُورَةُ فَاطِرٍ

ترتيبها ٣٥ — آياتها ٤٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي
أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا
وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَا أَيُّهَا
النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم
مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾

٤٩- أي: جاء الإسلام والتوحيد، والقرآن الذي فيه البراهين والحجج وذهب الباطل ذهابًا لم يبق منه إقبال ولا إدبار، ولا إيداء ولا إعادة. ٥٠- قل إن ضللت عن الطريق الحقة الواضحة فإثم ضلالتي يكون على نفسي وإن اهتديت فبما يوحى إلي ربي من الحكمة والموعظة والبيان بالقرآن إنه سميع قريب مني ومنكم، يعلم الهدى والضلالة. ٥١- ولو ترى إذ فزعوا عند نزول الموت بهم. وقال قتادة: هو فزعهم إذا خرجوا من قبورهم، أي: لرأيت أمرًا هائلاً فلا يفوتني أحد منهم، ولا ينجو منهم ناج وأخذوا من مكان قريب من ظهر الأرض، أو من القبور، أو من موقف الحساب، فهم من الله قريب لا يبعدون عنه، ولا يفوتونه. ٥٢- وقالوا: آمنا بمحمد، وكيف لهم أن يتناولوا الإيمان من بُعد، يعني في الآخرة، وقد تركوه في الدنيا، وهو معنى ﴿مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾﴾ أو هو تمثيل لحالهم في طلب الخلاص بعد ما فات عنهم. ٥٣- أي: والحال أن ما آمنوا به الآن قد كفروا به في دار الدنيا، دار الابتلاء، من قبل هذا الوقت ويرمون بالظن، فيقولون: لا بعث ولا نشور، ولا جنة ولا نار من جهة بعيدة، ليس فيها مستند لظنهم الباطل. وفيه تمثيل لحالهم بحال من يرمي شيئًا لا يراه، من مكان بعيد لا مجال للوهم في لحوقه. ٥٤- وحيل بينهم وبين ما يتمنون في الدنيا، من أموالهم وأهليهم، أو من الرجوع إلى الدنيا كما فعل بأمثالهم ونظرائهم من كفار الأمم الماضية إنهم كانوا في شك موقع في الريبة من أمر الرسل، والبعث والجنة والنار، أو في التوحيد وما جاءتهم به الرسل من شأن الدين.

سُورَةُ فَاطِرٍ

١- والمقصود من هذا أن من قدر على ابتداء هذا الخلق العظيم فهو قادر على الإعادة، والرسل من الملائكة هم: جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ذوي أجنحة عظام قال قتادة: بعضهم له جناحان، وبعضهم له ثلاثة، وبعضهم له أربعة، ينزلون بها من السماء إلى الأرض، ويعرجون بها من الأرض إلى السماء ويزيد في خلق الملائكة أجنحة أخرى ما يشاء، ويزيد في خلق غيرهم ما يشاء، من الملاحة ففي العينين، والحسن في الأنف، والحلاوة في الفم. والله تعالى بقدرته يزيد ما يشاء. ٢- أي ما يأتيهم الله به من مطر ورزق لا يقدر أحد أن يمسكه وما يمسك من ذلك لا يقدر أحد أن يرسله من بعد إمساكه. وقيل المعنى: أن الرسل بُعثوا رحمة للناس، فلا يقدر على إرسالهم غير الله، وقيل: التوبة، وقيل التوفيق والهداية فهو يتصرف في ملكه كما يشاء، يعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، ويكرم ويهين، لا يعقب على حكمه أحد، وكل ما يفعله من ذلك فهو حكمة بالغة. ٣- يا أيها الناس تذكروا=

وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ
﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا
وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ
عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم
مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا
فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ
عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ
ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا
إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ وَٱلَّذِينَ
يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ
﴿١٠﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا
وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ
وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾

= نعم الله عليكم لاستدامتها وطلب المزيد منها فهل هنا إله غير الله يرزقكم من السماء والأرض فتعبدوه، فكيف تصرفون عن الحق، وهو توحيد الله وشكره؟ ثم عزّى نبيه ﷺ فقال:

٤- ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ ليتأسى بمن قبله من الأنبياء، ويتسلى عن تكذيب كفار العرب له ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾﴾ فيجازي كلاً بما يستحقه. ٥- أي: وعده بالبعث والنشور، والحساب والعقاب، والجنة والنار فلا تخدعنكم الدنيا بزخرفها ونعيمها ولذاتها عن عمل الآخرة، ولا يغرنكم الشيطان بالله، فيقول لكم إن الله يتجاوز عنكم، ويغفر لكم لفضلكم، أو لسعة رحمته لكم.

٦- إن الشيطان لكم عدو فعادوه بطاعة الله، ولا تطيعوه في معاصي الله، يدعو أشياعه وأتباعه والمطيعين له إلى معاصي الله سبحانه، لأجل أن يكونوا من أهل النار، وذلك لعداوته لآدم وبنيه. ٧- أي يغفر الله لهم بسبب الإيمان والعمل الصالح، ويعطيهم أجرًا كبيرًا وهو الجنة. ٨- أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنًا بتزيين الشيطان ذلك له حتى أضله، واستمرّ على أعماله الفاجرة وهو يظنها صالحة، كمن هو على الهدى يعلم أنه على الحق؟ فإن الله يضل من يشاء أن يضله ويهدي من يشاء أن يهديه، فلا تقتل نفسك حزنًا على استمرارهم على الضلال، فإن الله هو الذي شاء أن يضلهم لسوء أفعالهم إن الله عليم بما يصنعون فلا يخفى عليه من أفعالهم وأقوالهم خافية. ٩- والله الذي يبعث الرياح فتحمل بخار ماء البحر وتحركه ليسير إلى حيث يريد الله تعالى فيرسله الله إلى بلدٍ قد مات نباته وظمئ أهله فأحيينا بالمطر الأرض بإنبات ما ينبت فيها بعد يبسها وذهاب ما كان عليها من نبات كذلك يحيي الله العباد بعد موتهم، كما أحيا الأرض بعد موتها. ١٠- قال الفرّاء: معناه من كان يريد علم العزة لمن هي، فإنها لله جميعًا. وقال قتادة: من كان يريد الوصول إلى العزّة، فليتعزز بطاعة الله فلله العزّة جميعًا فليطلبها منه لا من غيره، ليس لغيره منها شيء، وهو يهب منها لمن يشاء. إليه يصعد الكتبة من الملائكة بما يكتبونه من الصحف. والكلم الطيب: كل كلام طيب من ذكر لله، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، وتلاوة وغير ذلك وإن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب، كما لا يقبل الكلم الطيب إلا مع العمل الصالح والذين يمكرون السيئات هم الذين يعملون السيئات في الدنيا لهم عذاب بالغ الغاية في الشدة ومكر أولئك هو يبطل ويهلك. والمكر في الأصل: الخديعة والاحتيال. ١١- أي في ضمن خلق أبيكم آدم من تراب ثم من نطفة أخرجها من ظهور آبائكم ثم زوّج بعضكم ببعض، فالذكر والأنثى زوجان وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه وتدبيره، وما يطول عمر أحد، ولا ينقص من عمر معمر آخر في اللوح المحفوظ. قال سعيد بن جبير: فما مضى من أجله فهو النقصان، وما=

وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا
مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ
حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ
ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى
لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ
تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن
تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ
وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ
﴿١٤﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ
ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾
وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن
تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ
إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

نصف الحزب ٤٤

= يستقبل، فهو الذي يعمره. وقيل المعنى: وما يعمر من معمر إلى الهرم، ولا ينقص آخر من عمر الهرم، إلا في كتاب، أي بقضاء الله. وتطويل العمر وتقصيره هما بقضاء الله وقدره، لأسباب تقتضي التقصير، فمن أسباب التقصير الاستكثار من معاصي الله عزّ وجل لا يصعب عليه منه شيء، ولا يعزب عنه كثير ولا قليل، ولا كبير ولا صغير.

١٢- فالمراد بالبحرين: العذب والمالح ومن كل منهما تأكلون لحمًا طريًّا وهو ما يصاد منهما من حيواناتهما التي تؤكل وعن الزجاج أنه قال: إنما تستخرج الحلية منهما إذا اختلطا، لا من كل واحد منهما على انفراده، والحلية كالخاتم في الأصبع، والسوار في الذراع، والقلادة في العنق، والخلخال في الرجل، وترى السفن في البحر شاقة للماء، بعضها مقبلة، وبعضها مدبرة، والفضل: هو التجارة في البحر إلى البلدان البعيدة في مدة قريبة. ولعلكم تشكرون الله على ما أنعم عليكم به ذلك. ١٣- وهو سبحانه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل فيزيد في كلٍّ منهما بالنقص من الآخر وسخر الشمس وللقمر كل يجري لأجل قدّره الله لجريانهما، وهو يوم القيامة. وقيل: هو المدّة التي يقطعان في مثلها الفلك، وهو سنة للشمس، وشهر القمر . الفاعل لهذه الأفعال الله ربكم الخالق المقدّر، والقادر المقتدر المالك للعالم، والمتصرف فيه. والقطمير: القشرة الرّقيقة التي تكون بين التمرة والنواة، وتصير على النواة كاللفافة لها. ١٤- إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم لكونها جمادات لا تدرك شيئًا، ولو سمعوا على طريقة الفرض ما استجابوا لكم لعجزهم عن ذلك. ويوم القيامة يتبرَّؤون من عبادتكم لهم، ويجحدون أن يكون ما فعلتموه حقًا، وينكرون أنهم أمروكم بعبادتهم ولا يخبِّرك أحدٌ مثل من هو خبير بالأشياء عالم بها، وهو الله سبحانه. ١٥- أي: المحتاجون إليهم في جميع أمور الدين والدنيا، فنحن الفقراء إليه على الإطلاق والله هو الغني على الإطلاق المستحق للحمد من عباده بإحسانه إليهم. ١٦- إن يشأ يفنيكم ويأت بدلكم بخلق جديد من جنس البشر، أو من جنس آخر غيرهم، يطيعونه ولا يعصونه، أو يأت بنوع من أنواع الخلق من عالم غير ما تعرفون. ١٧- وما ذلك الإذهاب لكم، والإتيان بآخرين بممتنع ولا متعسر. ١٨- أي: ولا تحمل نفس حمل نفس أخرى: أي إثمها، بل كل نفس تحمل وزرها وإن تدع نفس مثقلة بالذنوب نفسًا أخرى، لتحمل عنها بعض الذنوب التي تحملها، لم تحمل تلك المدعوة من تلك الذنوب شيئا، ولو كانت قريبة لها. في النسب، فكيف بغيرها مما لا قرابة بينها وبين الداعية لها وإن إنذارك لا ينفع إلا الذين يخافون الله، حال كونهم غائبين عن عذابه، أو يخشون عذابه وهو غائب عنهم، أو يخشونه في الخلوات عن الناس ولم يشتغلوا عنها بشيء مما يلهيهم، ومن تطهّر بترك المعاصي، واستكثر من العمل الصالح، فإنما يتطهر لنفسه، لأن نفع =

وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ
﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ
أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ
أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ
مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ
ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾
أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا
أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا
وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ
مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ
إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ
وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ
وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾

٤٣٧

= ذلك مختص به، كما أن وزر من تدنس لا يكون إلا عليه لا على غيره.

١٩- وما يستوي الأعمى المسلوب حاسة البصر الذي له ملكة البصر، فشبَّه الكافر بالأعمى، وشبه المؤمن بالبصير. ٢٠- أي: ولا تستوي الظلمات ولا النور، فشبه الباطل بالظلمات، وشبه الحقّ بالنور.

٢١- ولا يستوي الظل الذي لا حر فيه ولا أذى، والحر الذي يؤذي، قيل: أراد الثواب والعقاب، أو أراد بالظل الجنة، وبالحرور النار. ٢٢- قيل: فشبه المؤمنين بالأحياء، وشبه الكافرين بالأموات، وقيل: أراد تمثيل العلماء والجهلة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ﴾ أن يسمعه من أوليائه الذين خلقهم لجنته ووفقهم لطاعته ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ يعني الكفار الذين أمات الكفر قلوبهم. ٢٣- أي ما أنت إلا رسول منذر، ليس عليك إلا الإنذار والتبليغ، أما الهدى والضلالة فإنها بيد الله عز وجل. ٢٤- أي: بشيرًا بالوعد الحق، ونذيرًا بالوعد الحقّ بشيرًا لأهل الطاعة ونذيرًا لأهل المعصية، وما من أمة من الأمم الماضية إلا مضى فيها نذير من الأنبياء ينذرها. ٢٥- وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم من الأمم الماضية أنبياءهم جاءتهم رسلهم بالمعجزات الواضحة والدلالات الظاهرة وبالكتب المكتوبة، كصحف إبراهيم والتوراة والإنجيل، وقيل: البينات المعجزات، والزبر الكتب التي فيها مواعظ، والكتاب: ما فيه شرائع وأحكام. ٢٦- أي فكيف كان نكيري عليهم، وعقوبتي لهم. ٢٧- أي: بعضها أبيض، وبعضها أحمر، وبعضها أصفر، وبعضها أخضر، وبعضها أسود ومن الجبال طرائق وخطوط تكون في الجبال كالعروق، بيض وسود وحمر، والغربيب: الشديد السواد الذي يشبه لونه لون الغراب. ٢٨- أي: خلق مختلف ألوانه، كاختلاف الثمرات والجبال. إنما ذكر سبحانه اختلاف الألوان في هذه الأشياء، لأن هذا الاختلاف من أعظم الأدلة على قدرة الله وبديع صنعه، فذكر أولاً اختلاف الألوان في ثمار النبات، ثم ذكر اختلاف الألوان في الجمادات، ثم في الناس والحيوان إنما يخشاه سبحانه بالغيب العالمون به، وبما يليق به من صفاته الجليلة وأفعاله الجميلة، فمن كان أعلم بالله كان أخشاهم له، ومن لم يخش الله فليس بعالم. ٢٩- يستمرون على تلاوة القرآن الكريم ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ في أوقاتها، مع كمال أركانها وأذكارها ﴿وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ فيه حث على الإنفاق كيفما تهيأ، فإن تهيأ سرًّا فهو أفضل، وإلا فعلانية، ولا يمنعه ظنه أن يكون رياء وهم يرجون ثواب الطاعة (لن تبور) لن تكسد ولن تهلك.

٣٠- أي: إنها لن تكسد، لأجل أن الله يوفيهم أجور أعمالهم الصالحة ويتفضل عليهم بزيادة على أجورهم التي هي جزاء أعمالهم.

وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ
يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٣١ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ
ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم
مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ
ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٣٢ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ
فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٣٣
وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ
شَكُورٌ ٣٤ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا
فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ٣٥ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ
نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ
عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ٣٦ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ
فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ
أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ
فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ٣٧ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ
غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٣٨

٣١- وإن الحق الذي أوحينا به إليك يا محمد هو الحق وهو موافق لما تقدمه من الكتب. إن الله بعباده لمحيط بجميع أمورهم. ٣٢- أي قضينا وقدرنا بأن نورث العلماء من أمتك يا محمد هذا الكتاب الذي أنزلناه عليك، وورثناهم كل كتاب منزل، فإن هذا الكتاب مصدق لها مهيمن عليها. ولا شك أن علماء هذه الأمة، من الصحابة فمن بعدهم، قد شرفهم الله على سائر العباد، وجعلهم أمة وسطًا ليكونوا شهداء على الناس، وأكرمهم بكونهم أمة خير الأنبياء وسيد ولد آدم. ثم قسم هؤلاء إلى ثلاثة أقسام، قال مقاتل: الظالم لنفسه أصحاب الكبائر من أهل التوحيد، والمقتصد الذي لم يصب كبيرة والسابق الذي سبق إلى الأعمال الصالحة. والإشارة بقوله ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى توريث الكتاب، والاصطفاء، وقيل إلى السبق بالخيرات ﴿هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٣٢﴾.

٣٣- أي هو وعد للسابقين، أو هو للمصطفين جميعًا ﴿يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٣٣﴾ قد تقدم تفسير الآية في سورة الحج [الآية: ٢٣]. ٣٤- ﴿ٱلۡحَزَنَ﴾ أي حزن السيئات والذنوب، وخوف رد الطاعات، وحزن أهوال يوم القيامة. وقيل: همُّ المعيشة. ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ﴾ لمن عصاه ثم تاب إليه ﴿شَكُورٌ ٣٤﴾ لمن أطاعه. ٣٥- أي: دار الإقامة التي يقام فيها أبدًا، ولا يُنتَقل عنها، ولا تفضلاً منه ورحمة لا يمسنا فيها عناء ولا تعب ولا مشقة ولا يمسنا فيها لغوب وهو الإعياء من التعب، والكلال من النصب. ٣٦- لا يقضى عليهم بالموت فيموتوا ويستريحوا من العذاب ولا يخفف عنهم من عذابها بل ﴿كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ﴾ مثل ذلك العذاب الفظيع نجزي كل من هو مبالغ في الكفر. ٣٧- أي: وهم يستغيثون في النار، رافعين أصواتهم، ينادون: ربنا أخرجنا نعمل صالحًا غير الذي كنا نعمل من الشرك والمعاصي، فيجعل الإيمان منا بدل ما كنا عليه من الكفر، والطاعة بدل المعصية، أي: ألم نعمركم عمرًا يتمن فيه من التذكر من أراد أن يتذكر، قيل: هو ثمانية عشر عامًا، وقيل: هو ستون سنة، وقيل: أربعون ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ قال جمهور المفسرين: هو النبي ﷺ وقيل: هو الشيب، فذوقوا عذاب جهنم، لأنكم لم تعتبروا ولم تتعظوا، فما لكم ناصر يمنعكم من عذاب الله، ويحول بينكم وبينه.

٣٨- أي: يعلم كل أمر خفي فيهما، ومن جملة ذلك الأعمال، لا تخفى عليه منها خافية، فلو ردكم إلى الدنيا لم تعملوا صالحًا، كما قال سبحانه ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ﴾ ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٣٨﴾ لأنه إذا كان يعلم مضمرات الصدور علم ما فوقها بالأولى.

هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا
يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ
كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ
ثلاثة أرباع الحزب ٤٤ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ
إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن
جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ
مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ
وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ
ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا
﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن
قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ
فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾

٣٩- أي: جعلكم أمة خالفة لمن قبلها. وقال قتادة: خلفًا بعد خلف، وقرنًا بعد قرن فمن كفر منكم هذه النعمة فعليه ضرر كفره، لا يتعدّاه إلى غيره ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا﴾ أي: غضبًا وبغضًا، ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا نقصًا وهلاكًا. ٤٠- ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ اتخذتموهم آلهة وعبدتموهم من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض حتى عبدتموهم ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي: بل ألهم شركة مع الله في خلقها، أو في ملكها، أو في التصرف فيها، حتى يستحقوا بذلك الشركة في الإلهية؟ أأنزلنا عليهم كتابًا بالشركة فهم على بيان منه بأن مع الله شريكًا ﴿بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾﴾ كما يفعله الرؤساء والقادة، من المواعيد لأتباعهم، يغرونهم به، ويزينونه لهم، وهو الأباطيل التي تغرّ ولا حقيقة لها، وذلك قولهم: إن هذه الآلهة تنفعهم وتقرّبهم إلى الله، وتشفع لهم عنده. ٤١- مستأنفة لبيان قدرة الله سبحانه، وبديع صنعه، بعد بيان ضعف الأصنام، وعدم قدرتها على شيء، ولئن زالتا: لا يقدر أحدٌ غيره تعالى على إمساكها لو قُدِّر إشرافها على الزوال. ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ أي: وذلك سبب إمساكه تعالى للسماوات والأرض. ٤٢- المراد قريش: أقسموا قبل أن يبعث الله محمدًا ﷺ بهذا القسم، حين بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم. وكانت العرب تتمنّى أن يكون منهم رسول، كما كان الرسل في بني إسرائيل، فلما أتاهم ما تمنوه، وهو رسول الله ﷺ الذي هو أشرف نذير وأكرم مرسل، وكان من أنفسهم ما زادهم مجيئه ألا نفورًا منهم عنه، وتباعدا عن إجابته. ٤٣- وإنما فعلوا ذلك لأجل الاستكبار عن أن يكونوا له أتباعًا ولأجل الفساد في الأرض ولأجل مكر العمل السيئ. والمكر هو الحيلة والخداع والعمل القبيح. وتنزل عاقبة السوء بمن أساء، قبل أن تنزل بمن أسيء إليه، فهل ينتظرون إلا سنة الله في الأولين بأن ينزل بهؤلاء العذاب، كما نزل بالأمم السابقة، عندما كذبوا الأنبياء الذين أرسلوا إليهم، ودبّروا لقتلهم أو إخراجهم ولا يقدر أحد أن يبدل سنة الله التي سنها في الأمم المكذبة، من إنزال عذابه بهم، بأن يضع موضعه غيره بدلاً عنه ولن يحوّل ما جرت به سنة الله من العذاب، فيدفعه عنهم، ويضعه على غيرهم. ٤٤- أي: كما أنزلنا بعاد وثمود ومدين وأمثالهم، من العذاب، لما كذبوا الرسل، فإن ذلك هو من سنة الله في المكذبين التي لا تبدل ولا تحول، وآثار عذابهم وما أنزل الله لهم موجودة في مساكنهم ظاهرة في منازلهم والحال أن أولئك كانوا أطول أعمارًا، وأكثر أموالاً، وأقوى أبدانًا، من أهل مكة وما كان ليسبقه ويفوته من شيء من الأشياء كائنًا ما كان فيهما، إنه كان عليمًا قديرًا لا يخفى عليه شيء، ولا يصعب عليه أمر.

وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ
ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى
فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾

سُورَةُ يسٓ

ترتيبها ٣٦ — آياتها ٨٣

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ
صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ
أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ
فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى
ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا
وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ
عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ
مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ
وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ
مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾

٤٤٠

٤٥- ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا من الذنوب، وعملوا من الخطايا ما ترك على الأرض من أحد من الدواب التي تدب، كائنة ما كانت، أما بنو آدم فلذنوبهم، وأما غيرهم فلشؤم معاصي بني آدم. وقيل أراد بالدابة هنا الناس وحدهم دون غيرهم ولكم يؤخرهم إلى يوم القيامة فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرًا بمن يستحق منهم الثواب، ومن يستحق منهم العقاب.

سُورَةُ يسٓ

هي مكية بالإجماع.

١- ﴿يسٓ ①﴾ تقدم في أول سورة البقرة الكلام في الحروف المقطعة.

٢- أي يقسم الله تعالى لمحمد ﷺ وسلم بالقرآن المتمثلة فيه الحكمة، على أن محمدًا رسول من عند الله، لئلا يشك أحدٌ في كونه مرسلاً.

٣- ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ③﴾ قيل هذا ردّ على من أنكر رسالته من الكفار بقولهم: لست مرسلاً. ٤- ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ④﴾ الصراط المستقيم: الطريق الموصل إلى المطلوب. أي: أنت يا محمد على طريقة الأنبياء الذين تقدموك.

٥- ﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ⑤﴾ المعنى: أن القرآن تنزيل العزيز الرحيم. ٦- أي: أرسلناك لتنذر قومًا لم يُنذَر آباؤهم الأقربون لتطاول مدة الفترة فهم غافلون عن الشرائع والأحكام. ٧- أي: أكثر هل مكة، أو أكثر كفار العرب، وهم من مات على الكفر، وأصر عليه طول حياته فهم لا يؤمنون لأن الله سبحانه قد علم منهم الإصرار على ما هم فيه من الكفر، والموت عليه. ٨- وحالهم كحال من قيد بالأغلال من الأيدي إلى الأعناق فارتفعت رءوسهم فصاروا لا يستطيعون أن يبسطوها بخير بل هم مغلولون عن كل خير. ٩- أي: منعناهم عن الإيمان بموانع، فهم لا يستطيعون الخروج من الكفر إلى الإيمان، كالمضروب أمامه وخلفه بالأسداد، بسبب ذلك لا يقدرون على إبصار سبيل الهدى، عموا عن البعث، وعموا عن قبول الشرائع في الدنيا. ١٠- أي: إنذارك إياهم وعدمه سواء، فلا ينفعهم الإنذار. ١١- أي: من اتبع القرآن، وخشي الله في السر والعلانية. ١٢- أي: نبعثهم بعد الموت، وقيل: نحييهم بالإيمان بعد الكفر، والعلم بعد الجهل ونكتب ما أسلفوا من الأعمال الصالحة والطالحة وما أبقوه من الحسنات التي لا ينقطع نفعها بعد الموت، كمن سن سنة حسنة، أو السيئات التي تبقى بعد موت فاعلها، كمن سنَّ سنة سيئة، ومن آثار الخير: تعليم العلم وتصنيفه، والوقف على القرب، وعمارة المساجد، والقناطر. ومن آثار الشر: ابتداع المظالم، وإحداث ما يضر بالناس، ويقتدي به أهل الجور، وكل شيء من أعمال العباد وغيرها أحصيناه في كتاب مقتدى به موضح لكل شيء، قيل: أراد اللوح المحفوظ، وقيل: صحائف الأعمال.

وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾
إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ
إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ
ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ
إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٧﴾
قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم
مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٨﴾ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ
بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ
يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن
لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي
فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن
يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا
يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّيٓ ءَامَنتُ
بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي
يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٧﴾

١٣- أي: قل لهم: لست أنا بِدْعًا من الرسل، فإن قبلي جاء أصحاب القرية مرسلون، وأنذروهم بما أنذرتكم، وذكروا التوحيد، وخوفوا بالقيامة، وبشروا بنعيم دار الإقامة. وهذه القرية، هي أنطاكية في قول جميع المفسرين، وقوله ﴿إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ هم أصحاب عيسى، بعثهم إلى أهل أنطاكية للدعوة إلى الله.

١٤- أي لأن عيسى أرسلهم بأمر الله سبحانه فكذبوهما في الرسالة، وقيل: ضربوهما وسجنوهما فقوّينا وشددنا أمر الاثنين بمرسل ثالث.

١٥- أي: مشاركون لنا في البشرية، فليس لكم مزية علينا تختصون بها، وما أنزل الله من رسل فما أنتم إلا كاذبون في دعوى ما تدّعون من ذلك.

١٦- فأكدوا الجواب بالقسم.

٧١-أي: لا يجب علينا من جهة ربنا إلا تبليغ رسالته على وجه الظهور والوضوح، وليس علينا غير ذلك.

١٨- أي: إنا تشاءمنا بكم لئن لم تتركوا هذه الدعوة، وتعرضوا عن هذه المقالة لنرجمنكم بالحجارة وليمسنكم مناعذاب شديد فظيع، قيل: القتل، وقيل: الشتم، وقيل: هو التعذيب المؤلم.

١٩- أي: شؤمكم معكم من جهة أنفسكم، لازم في أعناقكم بسبب تكذيبكم، فهو سبب الشؤم لا نحن أئن ذكرناكم بالله ادعيتم أن فينا الشؤم عليكم بل أنتم قوم مجاوزون الحد في مخالفة الحق.

٢٠- هو حبيب بن موسى النجار، قال قتادة: كان يعبد الله في غار، فلما سمع بخبر الرسل جاء يسعى.

٢٢- أي: أي مانع من جانبي يمنعني من عبادة الذي خلقني؟ فتحاسبون على ما أجبتمونا إذ دعوناكم.

٢٣- أي: لن أتخذ من دون الله آلهة، فأعبدها وأترك عبادة من يستحق العبادة، وهو الذي فطرني إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئًا من النفع كائنًا ما كان ولا ينقذون من ذلك الضر الذي أرادني الرحمن به.

٢٤- أي: إذا اتخذت من دونه آلهة لفي ضلال واضح. وهذا تعريض بهم. ثم صرّح بإيمانه تصريحًا لا يبقى بعده شك فقال: ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ﴾.

٢٥- قيل: إنه خاطب بهذا الكلام قومه لما أرادوا قتله، تصلُّبًا في الدين، وتشددًا في الحقّ. فلما قال هذا القول، وصرح بالإيمان، وثبوا عليه فقتلوه، وقيل: وطئوه بأرجلهم، وقيل: حرقوه، وقيل: نشروه بالمنشار.

٢٦، ٢٧- أي تكريمًا له بدخولها بعد قتله، كما هي سنة الله في شهداء عباده، فلما دخلها وشاهدها تمنى قومه أن يعلموا بحاله ليعلموا حسن مآله، أو ليؤمنوا مثل إيمانه، فيصيروا إلى مثل حاله.

۞ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا
كُنَّا مُنزِلِينَ ٢٨ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ
٢٩ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ
يَسۡتَهۡزِءُونَ ٣٠ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ
أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ٣١ وَإِن كُلّٞ لَّمَّا جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ
٣٢ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا
فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ ٣٣ وَجَعَلۡنَا فِيهَا جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ
وَأَعۡنَٰبٖ وَفَجَّرۡنَا فِيهَا مِنَ ٱلۡعُيُونِ ٣٤ لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ
وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۚ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ٣٥ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي
خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ
وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ ٣٦ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ
فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ٣٧ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ
ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ
عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ٣٩ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ
ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٤٠

٢٨- أي: على قوم حبيب النجار من بعد قتلهم له، أو من بعد رفع الله له إلى السماوات من جند من السماء لإهلاكهم وللانتقام منهم وما كنا منزلين لسبق قضائنا وقدرنا بأن إهلاكهم بالصيحة لا بإنزال الجند، وهذا من تحقير شأنهم وتصغير أمرهم، أي ليسوا بأحقاء بأن ننزل لإهلاكهم جندًا من السماء، بل أهلكناهم بصيحة واحدة.

٢٩- أي: صاح بها جبريل فأهلكهم فإذا هم ميتون لا يسمع لهم حس، كالنار إذا طفئت.

٣٠- وتلك هي نهاية الكافرين- الدمار والهلاك- هذا في دنياهم وأما في أخراهم ويا ندامتهم إذا عاينوا العذاب الأكبر فما بعث لهم من رسول إلا كذبوه، وكانوا به يستهزئون .

٣١- ولو تفكر أهل الكفر وتأملوا في الأمم المكذبة من قبلهم وكيف أنهم لا عودة لهم إلى الدنيا للتوبة والإيمان، أفلا يتعظون ويعتبرون بذلك؟!

٣٢- أي: ليسوا إلا محضرين لدينا للحساب جميعًا.

٣٣- بالنبات، فأخرج منها الحبوب التي يأكلونها ويتغذون بها، والحبّ معظم ما يؤكل، وأكثر ما يقوم به المعاش.

٣٥- أي ثمر الجنات والنخيل ليأكلوا من ثمره، ويأكلوا مما عملته أيديهم، كالعصير والدبس ونحوهما، وقيل المعنى: لم يعملوه، بل العامل له هو الله.

٣٦- الأزواج: الأنواع والأصناف، لأن كل جنس، كالنخيل مختلق الألوان والطعوم والأشكال، وخلق الأزواج من أنفسهم، وهم الذكور والإناث من بني آدم ومما لا يعلمون من أصناف خلقه في البر والبحر، والسماء والأرض.

٣٧- المعنى أن ذلك علامة دالة على توحيد الله وقدرته ووجوب إلهيته، والسلخ: إذهاب الضوء، ومجيء الظلمة فإذا هم داخلون في الظلام مفاجأة.

٣٨- آية مستقلة، قيل: مستقرها نهاية ارتفاعها في الصيف، ونهاية هبوطها في الشتاء، وقيل: مستقرها تحت العرش.

٣٩- المنازل: هي الثمانية والعشرون التي ينزل القمر في كل ليلة في واحد منها، وهي معروفة، فإذا صار القمر في آخرها عاد إلى أولها في منازله، فإذا كان في آخرها دقّ واستقوس وصغر، حتى صار كالعرجون القديم، والعرجون أصل العذق، وهو الغصن الذي عليه طلع النخلة، وهو أصفر عريض يعوجّ ويقطع منه الشماريخ، فيبقى على النخل يابسًا.

وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا
لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ
وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا
قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾
وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ
﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى
ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ
﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ
﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾
وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ
﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ
وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً
وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ
نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾

٤٠- أي: لأن لكل واحد منهما مسلكًا على انفراده، فلا يتمكن أحدهما من الدخول على الآخر ولا يدخل الليل على النهار قبل انقضائه، ولكن يعاقبه، ويجيء كل واحد منهما في وقته، ولا يسبق صاحبه وكل من الشمس والقمر، والليل والنهار في فلك السماء يجرون ويدورون.

٤١- أي: على السفن في البحار، فامتنّ الله عليهم بذلك ، وقيل المعنى: أن الله حمل آباء هؤلاء وأجدادهم في سفينة نوح.

٤٢- قيل: هو الإبل، خلقها لهم للركوب في البرّ، كمثل السفن المركوبة في البحر.

٤٣- أي: فلا مغيث لهم يغيثهم إن شئنا إغراقهم ولا أحد ينقذهم.

٤٤- أي: ولا أحد ينقذهم، وقد يأذن بإنقاذهم لرحمة منا لهم ونمتعهم بالحياة الدنيا إلى الموت.

٤٥- أي: احذروا ما هو قدّامكم من الآفات والنوازل وما خلفكم منها في الآخرة، إذا قيل لهم ذلك أعرضوا.

٤٦- المعنى: ما يأتيهم من آية من آيات القرآن إلا أعرضوا عنها ولم يلتفتوا إليها.

٤٧- أي تصدَّقوا على الفقراء من أموالكم قال الذين كفروا للذين آمنوا استهزاء بهم، وتهكمًا بقولهم أنطعم من لو يشاء الله أطعمه وقد كانوا سمعوا المسلمين يقولون: إن الرزاق هو الله، وإنه يغني من يشاء، ويفقر من يشاء، فكأنهم حاولوا بهذا القول الإلزام للمسلمين قالوا: نحن نوافق مشيئة الله، فلا نطعم من لم يطعمه الله، وهذا غلط منهم، ومكابرة ومجادلة بالباطل.

٤٨- أي الذي تعدوننا به من العذاب والقيامة، والمصير إلى الجنة أو النار إن كنتم صادقين فيما تقولونه وتعدوننا به.

٤٩- وهي نفخة إسرافيل في الصور تأخذهم وهم يختصمون فيما بينهم في البيع والشراء ونحوهما من أمور الدنيا.

٥٠- أي: لا يستطيع بعضهم أن يوصي إلى بعض بما له وما عليه، أو لا يستطيع بعضهم أن يوصيه بالتوبة والإقلاع عن المعاصي، بل يموتون في أسواقهم ومواضعهم ولا إلى منازلهم التي ماتوا خارجين عنها يرجعون.

٥١- وهي النفخة التي يبعثون بها من قبورهم فإذا هم من القبور إلى ربهم يسرعون.

٥٢- أي ظنوا لاختلاط عقولهم بما شاهدوا من الهول، وما داخلهم من الفزع، أنهم كانوا نيامًا. وأقروا بصدق الرسل يوم لا ينفع التصديق.

٥٣- صاحها إسرافيل بنفخة في الصور فإذا هم مجموعون لدينا بسرعة للحساب والعقاب.

ربع الحزب ٤٥

إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ٥٥ هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ
فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ٥٦ لَهُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَلَهُم
مَّا يَدَّعُونَ ٥٧ سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ٥٨ وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ
أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٥٩ ۞ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا
تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ
هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦١ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ
أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ٦٢ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ
٦٣ ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ٦٤ ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ
عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ
يَكۡسِبُونَ ٦٥ وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ فَٱسۡتَبَقُواْ
ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ ٦٦ وَلَوۡ نَشَآءُ لَمَسَخۡنَٰهُمۡ
عَلَىٰ مَكَانَتِهِمۡ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مُضِيّٗا وَلَا يَرۡجِعُونَ
٦٧ وَمَن نُّعَمِّرۡهُ نُنَكِّسۡهُ فِي ٱلۡخَلۡقِۚ أَفَلَا يَعۡقِلُونَ ٦٨
وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ
٦٩ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا وَيَحِقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧٠

٥٥- بما هم فيه من اللذات، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، اشتغلوا بذلك عن الاهتمام بأمر الكفار، ومصيرهم إلى النار، وإن كانوا من قراباتهم متنعمون.

٥٦- المراد: الستور التي تظللهم، كالخيام والحجال، والأرائك: الأسِرَّة التي في الحجال. ٥٧- أي من كل نوع من أنواع الفواكه وما يدعوه أهل الجنة يأتيهم، وقيل المعنى: من ادّعى منهم شيئًا فهو له. ٥٨- أي: ولهم أن يسلم الله عليهم، وهذا منى أهل الجنة يقول لهم سلام عليكم يا أهل الجنة، وقيل الملائكة تدخل على أهل الجنة من كل باب يقولون: سلام عليكم يا أهل الجنة من ربّ رحيم. ٥٩- أي: ويقال للمجرمين: اعتزلوا اليوم، يعني في الآخرة، من الصالحين، أو المراد: يمتاز المجرمون بعضهم من بعض، فيمتاز اليهود فرقة، والنصارى فرقة، والمجوس فرقة، والصابئون فرقة، وعبدة الأوثان فرقة. ٦٠- المعنى: ألم أتقدّم إليكم على لسان الرسل يا بني آدم؟ وقيل المراد بالعهد هنا: الميثاق المأخوذ عليهم حين أخرجوا من ظهر آدم. ٦١- أي: لم أعهد إليكم بترك عبادة الشيطان وبعبادتي إلى دين الإسلام.

٦٢- أي إن الشيطان قد أغوى خلقًا كثيرًا يقال لهم،أفلم تكونوا تعقلون عداوة الشيطان لكم. ٦٣- أي: بها في الدنيا على ألسنة الرسل. ٦٤- أي: قاسوا حرّها اليوم، وادخلوها، وذوقوا أنواع العذاب فيها بسبب كفركم بالله في الدنيا، وطاعتكم للشيطان، وعبادتكم للأوثان. ٦٥- أي ختمًا لا يقدرون معه على الكلام ، وهذه أعضاؤهم التي كانت أعوانًا لهم في معاصي الله شهودًا عليهم. ٦٦- أي: أذهبنا أعينهم، وجعلناها بحيث لا يبدو لها شقّ ولا جفن فتركناهم عميًا يترددون، لا يبصرون طريق الهدى وتبادروا إلى الطريق ليجوزوه ويمضوا فيه. ٦٧- أي: لو شئنا لبدلنا خلقهم على المكان الذي هم فيه، قال الحسن أي: لأقعدناهم فلا يستطيعون أن يمضوا أمامهم ولا يرجعوا وراءهم، وقيل المعنى: لو نشاء لمسخناهم في المكان الذي فعلوا فيه المعصية.

٦٨- أي: من نطل عمره نغير خلقه، ونجعله على عكس ما كان عليه أولا من القوة والطراوة، فصار بدل القوة الضعف، وبدل الشباب الهرم. ٦٩- أي: نفي كون القرآن شعرًا، ثم نفي أن يكون النبي شاعرًا، فقال ولا يصح له الشعر، ولا يتأتى منه، ولا يسهل عليه لو طلبه، كما جعله الله أميًا لا يقرأ ولا يكتب ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ﴾ أي: ما القرآن إلا ذكر من الأذكار، وموعظة من المواعظ وكتاب من كتب الله السماوية، مشتمل على الأحكام الشرعية.

٧٠- لينذر القرآن من كان قلبه صحيحًا يقبل الحق ويأبى الباطل وتجب كلمة العذاب على المصرين على الكفر، الممتنعين من الإيمان بالله وبرسله.

أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا
مَٰلِكُونَ ٧١ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ٧٢
وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ٧٣ وَٱتَّخَذُوا۟
مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ٧٤ لَا يَسْتَطِيعُونَ
نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ٧٥ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ
إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ٧٦ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا
خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ٧٧ وَضَرَبَ لَنَا
مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ٧٨
قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ
٧٩ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم
مِّنْهُ تُوقِدُونَ ٨٠ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ٨١
إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢
فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ٨٣

سورة الصافات — ترتيبها ٣٧ — آياتها ١٨٢

٧١- أي: أو لم يعلموا بالتفكر والاعتبار أنا خلقنا لأجلهم مما أبدعناه وعملناه من غير واسطة ولا شركة، البقر والغنم والإبل يتصرفون بها كيف شاءوا، ولو خلقناها وحشية لنفرت عنهم، ولم يقدروا على ضبطها.

٧٢- أي جعلناها لهم مسخرة، لا تمتنع مما يريدون منها من منافعهم، حتى الذبح، ويقودها الصبي فتنقاد له، ويزجرها فتنزجر، فمنها مركوبهم الذي يركبونه ومنها يأكلون من لحمها.

٧٣- أي من أصوافها وأوبارها وأشعارها وكذلك الحمل عليها والحراثة بها ويشربون منها لبنًا حليبًا، ولبنًا رائبًا، وغير ذلك مما يحصل من ألبانها.

٧٤- أي: الأصنام ونحوها يعبدونها، ولا قدرة لها على شيء، ولم يحصل لهم منها فائدة، ولا عاد عليهم من عبادتها عائدة.

٧٥- أي: ولكن الثابت بطلان ما رجوه منها وأملوه من نفعها والكفار جند للأصنام يحضرونهم في الدنيا ينتصرون للأصنام، أما هي فلا تستطيع نصرهم.

٧٦- أي: فإنهم لا بد أن يقولوا: هؤلاء آلهتنا، وإنها شركاء لله في العبودية، ونحو ذلك سوف نجزيهم بما يخفون وما يظهرونه.

٧٧- أي: ألم ير الإنسان أنا خلقناه من أضعف الأشياء، ففاجأ خصومتنا في أمر قد قامت فيه عليه حجج الله وبراهينه.

٧٨- أي: أورَدَ في شأننا قصة غريبة كالمثل: وهي إنكاره إحياءنا للعظام، ونسي خلقنا إياه فقاس قدرة الله على قدرة العبد، فأنكر أن الله يحيي العظام البالية، حيث لم يكن ذلك في مقدور البشر.

٧٩- أي الذي ابتدأها وخلقها أول مرة من غير شيء، الذي لا يخفى عليه خافية، ولا يخرج عن علمه خارج كائنًا ما كان.

٨٠- ثم نَبَّه سبحانه على وحدانيته، ودل على قدرته على إحياء الموتى، بما يشاهدونه من إخراج النار المحرقة من العود النديّ الرطب، وذلك أن الشجر المعروف بالمَرْخ، والشجر المعروف بالعَفَار، إذا قطع منهما عودان، وضرب إحدهما على الآخر، انقدحت منهما النار، وهما أخضران، فإذا أنتم منه تقدحون منه النار، وتوقدونها من ذلك الشجر.

٨١- أي: إن من قدر على خلق السماوات والأرض، وهما في غاية العظم وكبر الأجزاء، يقدر على إعادة خلق البشر الذي هو صغير الشكل ضعيف القوة، بلى هو قادر على ذلك، وهو الكثير الخلق، البالغ العلم، على أكمل وجه وأتمه.

٨٢- أي: إنما شأنه سبحانه إذا تعلقت إرادته بشيء من الأشياء أن يقول له كن فإذا هو كائن، من غير توقف على شيء آخر أصلاً.

٨٣- أي: ملكية الأشياء كلها له، وعنده القدرة على التصرف فيها كما يريد وبيده مفاتح كل شيء وإليه ترجعون لا إلى غيره بعد البعث.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾
إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ
ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا
مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ
مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ
ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا
أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ
وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ
﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا
أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ
﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا
يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾
۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ
ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾

٤٤٦

نصف الحزب ٤٥

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

هي مكية في قول الجميع

١- هي الملائكة التي تصف في السماء كصفوف الخلق في الصلاة في الدنيا، وقيل: إنها تصف أجنحتها في الهواء كالطيور، واقفة فيه حتى يأمرها الله بما يريد. ٢- أي: الملائكة، إما لأنها تزجر السحاب، تقول: زجرت الإبل والغنم إذا أفزعتها بصوتك. ٣- أي: الملائكة التي تتلو القرآن. ٤- يُقسم الله بهذه الأقسام على أنه واحد ليس له شريك. ٥- المعنى: في الآية أن وجود هذه المخلوقات على هذا الشكل البديع من أوضح الدلائل على وجود الصانع وقدرته، وأنه ربّ ذلك، ورب مشارق الشمس، فللشمس كل يوم مشرق ومغرب بعدد أيام السنة، تطلع كل يوم من واحد منها، وتغرب من واحد. ٦- أي: جعلنا السماء الدنيا لنظر العباد بزينة جميلة هي الكواكب فإنها في أعين الناظرين لها كالجواهر المتلألئة. ٧- أي: من كل متمرد خارج عن الطاعة يُرمى بالكواكب. ٨، ٩- الملأ الأعلى: أهل السماء الدنيا فما فوقها، لا تقدر الشياطين أن يتسمعوا حديثهم لأنهم يرمون بالشهب من كل جانب من جوانب السماء إذا أرادوا الصعود لاستراق السمع ولهم عذاب دائم لا ينقطع، شديد الألم والوجع وهو في الآخرة غير العذاب الذي لهم في الدنيا من الرمي بالشهب. ١٠- أي: يختطف الواحد منهم خطفة مما يتفاوض فيه الملائكة ويدور بينهم، مما سيكون في العالم قبل أن يعلمه أهل الأرض فأتبعه نجم مضيء فيحرقه، وربما لا يحرقه، فيلقي إلى إخوانه الكهان ما خطفه. ١١- أي: اسأل الكفار المنكرين للبعث: أهم أشد خلقًا وأقوى أجسامًا وأعظم أعضاء أم من خلقنا من السماوات والأرض والملائكة؟ واللازب: اللزج الذي يلصق باليد، أي: كيف يستبعدون المعاد وهم مخلوقون من هذا الخلق الضعيف؟ ولم ينكره من هو مخلوق خلقًا أقوى منهم وأعظم وأكمل وأتم. ١٢- بل عجبت يا محمد من قدرة الله سبحانه ويسخرون منك بسبب تعجبك أو: ويسخرون منك بما تقوله من إثبات المعاد. ١٣- أي: وإذا وعظوا بموعظة من مواعظ الله أو مواعظ رسوله، لا يتعظون بها ولا ينتفعون بها فيها. ١٤- وإذا رأوا معجزة من معجزات رسول الله ﷺ يبالغون في السخرية. وقيل: معنى يستسخرون: يستدعون السخرية من غيرهم. ١٥- أي: ما هذا الذي تأتينا به إلا سحر واضح ظاهر. ١٦- أي: أنبعث إذا متنا؟ ١٧- أي: أوآباؤنا الأولون مبعوثون؟ ١٨- أي: نعم تبعثون وأنتم صاغرون ذليلون. ١٩- أي: إنما البعث صيحة واحدة من إسرافيل بنفخه في الصور فإذا هم يبصرون ما يفعل الله بهم من العذاب. ٢٠- أي: سيقول أولئك المكذبون إذا عاينوا البعث الذي كانوا يكذبون به في الدنيا: يا ويلنا، دعوا بالويل على أنفسهم هذا يوم نجازى فيه بأعمالنا من الكفر والتكذيب للرسل. ٢١- الفصل: الحكم والقضاء، لأنه يفصل فيه بين المحسن والمسيء. ٢٢، ٢٣- هو أمر من الله سبحانه للملائكة بأن يحشروا المشركين، وأزواجهم وهم أشباههم في الشرك، والمتابعون لهم في الكفر، والمشايعون لهم في تكذيب =

مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ (٢٥) بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ (٢٦) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ
عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٧) قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ (٢٨)
قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٢٩) وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ
بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ (٣٠) فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ (٣١)
فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ (٣٢) فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ
(٣٣) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (٣٤) إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ
لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا
لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ (٣٦) بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ (٣٧) إِنَّكُمْ
لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ (٣٨) وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
(٣٩) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ (٤١)
فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ (٤٢) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٤٣) عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ
(٤٤) يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (٤٥) بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ
(٤٦) لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ (٤٧) وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ
الطَّرْفِ عِينٌ (٤٨) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ (٤٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ
بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٥٠) قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (٥١)

= الرسل. وما كانوا يعبدون من الأصنام والشياطين وعرفوا هؤلاء المحشورين طريق النار وسوقوهم إليها. ٢٤- أي: احبسوهم للحساب، ثم سوقوهم إلى النار بعد ذلك. ٢٥- أي: يقال لهم: ما بالكم لا ينصر بعضكم بعضًا كما كنتم في الدنيا؟ ٢٦- مستسلمون أي: لعجزهم عن الحيلة. ٢٧- قيل: هم الأتباع والرؤساء يسأل بعضهم بعضًا سؤال توبيخ وتقريع ومخاصمة. ٢٨- أي: توهموننا أن الدين والحق هو ما تضلوننا به. ٢٩- أي: كنتم من الأصل على الكفر. ٣٠- أي: من تسلط بقهر وغلبة، حتى ندخلكم في الإيمان، ونخرجكم من الكفر بل كنتم متجاوزين الحد في الكفر والضلال. ٣١- أي: وجب علينا وعليكم ولزمنا قول ربنا، يعنون قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، فلنذوقن ما وعدنا به. ٣٢- أي: أضللناكم عن الهدى، ودعوناكم إلى ما كنا فيه من الغي والكفر فأقروا ها هنا بأنهم تسببوا لإغوائهم، ونفوا عن أنفسهم أنهم قهروهم وغلبوهم، وقالوا ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ﴾. ٣٣- أي: التابعون والمتبوعون اشتركوا في العذاب، ولم يغن بعضهم عن بعض شيئًا، كما كانوا مشتركين في الغواية. ٣٤- وهم المشركون. ٣٥- أي: عن القبول والاتباع. ٣٧- بل جاء بالقرآن المشتمل على التوحيد والوعد والوعيد وصدق المرسلين فيما جاءوا به من التوحيد والوعيد، وإثبات الدار الآخرة، ولم يخالفهم، ولا جاء بشيء لم تأت به الرسل قبله. ٣٩- أي: من الكفر والمعاصي. ٤٠- أي: الذين أخلصهم الله لطاعته وتوحيده، لا يذوقون العذاب. ٤١- أي: لهؤلاء المخلصين رزق يرزقهم الله إياه، معلوم في حسنه وطيبه وعدم انقطاعه في الجنة، وهو أن يعطوا منه بكرة وعشية. ٤٢- والفواكه: الثمار كلها لأنها أطيب ما يأكلونه وألذ ما تشتهيه أنفسهم ولهم من الله عز وجل إكرام عظيم برفع دراجتهم عنده، وسماع كلامه ولقائه في الجنة. ٤٤- أي: على أسرة يتكئون عليها ينظر بعضهم إلى وجوه بعض، كل منهم مسرور بلقاء أخيه، لا ينظر بعضهم في قفا بعض. ٤٥- أي: من خمر تجري كما تجري العيون على وجه الأرض، والمعين الماء الجاري. ٤٦- لذة: أي لذيذة. قال الحسن: خمر الجنة أشد بياضًا من اللبن، له لذة لذيذة. ٤٧- أي: لا تغتال عقولهم فتذهب بها، ولا يصيبهم منها مرض ولا صداع. ثم نفى الله عز وجل عن خمر الجنة الآفات التي تلحق في الدنيا من خمرها من الصداع والسكر. ٤٨- أي: نساء قصرن طرفهن على أزواجهن، فلا يردن غيرهم وهن كبار الأعين حِسَانُها. ٤٩- ثم شبههن ببيض النعام، تُكِنُّها النعامة بالريش من الريح والغبار، فلونه أبيض في صفرة، وهو أحسن ألوان النساء. ٥٠- أي: يسأل هذا ذاك، وذاك هذا، حال شربهم، عن أحوالهم التي كانت في الدنيا، وذلك من تمام نعيم الجنة. ٥١- أي: صاحب لي في الدنيا كافر بالبعث منكر له.

يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا
لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ
ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى
لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا
ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾
لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ
ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ
تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ
﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ
عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾
إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾
وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم
مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾
إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ
ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾

٥٣- أي: مجزيون بأعمالنا، ومحاسبون بها بعد أن صرنا ترابًا وعظامًا؟

٥٤- قال المؤمن هل أنتم مطلعون اطلعوا معي إلى أهل النار لأريكم ذلك القرين الذي قال لي تلك المقالة، كيف منزلته في النار؟

٥٥- أي: فاطلع على النار ذلك المؤمن، فرأى قرينه في وسط الجحيم.

٥٦- أي: قد كدت تهلكني بالإغواء، وقيل: لتردين: أي لتوقعني في النار.

٥٧- أي: لولا رحمة ربي وإنعامه علي بالإسلام، وهدايتي إلى الحق، وعصمتي عن الضلال، لكنت من المحضرين معك في النار. ثم عاد إلى مخاطبة جلسائه من أهل الجنة فقال:

٥٨- أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين؟ ٥٩- إلا موتتنا الأولى التي في الدنيا وقوله هذا كان على طريقة الابتهاج والسرور بما أنعم الله عليهم من نعيم الجنة الذي لا ينقطع، وأنهم مخلدون لا يموتون أبدًا، وما نحن بمعذبين كما يعذب الكفار.

٦٠- أي: إن هذا النعيم المقيم، والخلود الدائم الذي نحن فيه، هو الفوز العظيم الذي لا يقادر قدره، ولا يمكن الإحاطة بوصفه. ٦١- أي: فإن هذه هي التجارة الرابحة، لا العمل للدنيا الزائلة.

٦٢- أذلك خير كرامة وضيافة أم شجرة لها ثمر مر كريه يكره أهل النار على تناوله فهم يتزقمونه، هو نُزلهم وضيافتهم.

٦٣- أي: افتتنوا بها وكذبوا بوجودها فقالوا: كيف تكون في النار شجرة؟ ٦٤- أي شجرة تخرج في قعرها، وأغصانها ترفع إلى دركاتها. ٦٥- أي: ثمرها وما تحمله كأنه في تناهي قبحه وشناعة منظره رءوس الشياطين، فشبه المحسوس بالمتخيل، وإن كان غير مرئي، للدلالة على أنه غاية في القبح. ٦٦- أي: من الشجرة، أو من طلعها ويكرهون على أكلها حتى تمتلئ بطونهم، فهذا طعامهم وفاكهتهم بدل رزق أهل الجنة. ٦٧- أي: بعد الأكل منها يُخلط لهم طعامهم من تلك الشجرة بالماء الحار ليكون أفظع لعذابهم وأشنع لحالهم. ٦٨- أي: مرجعهم بعد شرب الحميم وأكل الزقوم إلى الجحيم، وذلك أنهم يوردون الحميم لشربه، ثم يردّون إلى الجحيم. ٦٩- أي: وجدوا آباءهم فاقتدوا بهم تقليدًا وضلالة، لا لحجة أصلاً.

٧٠- أي: يتبعون آباءهم في سرعة كأنهم يزعجون إلى اتباع آبائهم. ٧١- أي: من الأمم الماضية. ٧٢- أي: أرسلنا في هؤلاء الأولين رسلاً أنذروهم العذاب، وبينوا لهم الحق، فلم ينجع ذلك فيهم. ٧٣- أي: الذين أنذرتهم الرسل، فإنهم صاروا إلى النار.

٧٤- أي: إلا من أخلصهم الله بتوفيقهم إلى الإيمان والتوحيد.

٧٥- أي: نحن، المراد أن نوحًا دعا ربه على قومه لما عصوه، فأجاب الله دعاءه، وأهلك قومه بالطوفان.

٧٦- المراد بأهله أهل دينه، وهم من آمن معه، قيل: وكانوا ثمانين، والكرب العظيم: هو الغرق.

ثلاثة أرباع الحزب ٤٥

وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَـٰمٌ
عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ
عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَإِنَّ مِن
شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ
لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ
﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾
فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ
فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا
بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ
﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَـٰنًا فَأَلْقُوهُ
فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾
وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ
﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَـٰهُ بِغُلَـٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ
يَـٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ
يَـٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾

٧٧- أي: وحدهم دون غيرهم، لأن الله أهلك الكفرة بدعائه، ولم يبق منهم باقية، ومن كان معه في السفينة من المؤمنين ماتوا كما قيل، ولم يبق إلا أولاده وذريته.٧٨- يعني: في الذين يأتون بعده إلى يوم القيامة من الأمم، والمتروك هذا هو قوله: ٧٩- ﴿سَلَـٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ﴾ أي: يثنون عليه ثناء حسنًا ويدعون له ويترحمون عليه، وإذا ذكروه قالوا: (نوح عليه السلام).٨٠- أي: إنا كذلك نجزي من كان محسنًا في أقواله وأفعاله، راسخًا في الإحسان معروفًا به. ٨١- أي: كان عبدًا مؤمنًا مخلصًا لله.٨٣- أي: من أهل دينه، وممن شايعه ووافقه على الدعاء إلى الله، وإلى توحيده والإيمان به.

٨٤- القلب السليم: المخلص من الشرك والشك، الناصح لله في خلقه.

٨٦- أي: أتريدون آلهة من دون الله للإفك، والإفك أسوأ الكذب.

٨٧- أي: لقيتموه وقد عبدتم غيره،وما ترونه يصنع بكم؟

٨٨ ، ٨٩- قيل: كانوا يتعاطون علم النجوم، فعاملهم بذلك لئلا ينكروا عليه، وذلك أنه أراد أن يكايدهم في أصنامهم لتلزمهم الحجة في أنها غير معبودة، وكان لهم من الغد يوم عيد يخرجون إليه، وأراد أن يتخلف عنهم، فاعتل بالسقم. ٩٠- أي: تركوه وذهبوا إلى عيدهم.٩١- أي: انحرف إليهم، فقال إبراهيم للأصنام التي راغ إليها، استهزاء وسخرية: ألا تأكلون؟ أي: من الطعام الذي كانوا يصنعونه لها.٩٢- وقد علم أنها جمادات لا تنطق.٩٣- أي: فمال عليهم بيده اليمنى يضربهم بها.٩٤- أي: أقبل إليه عبدة تلك الأصنام يسرعون، لما علموا بما صنعه بها.٩٥- فقال لهم: أتعبدون أصنامًا أنتم تنحتونها؟ ٩٦- أي: وخلق الذي تصنعونه على العموم، ويدخل فيها الأصنام التي ينحتونها، ويكون معنى العمل هنا: التصوير والنحت ونحوهما.٩٧- أي: تشاوروا فيما بينهم أن يبنوا له حائطًا من حجارة، ويملأوه حطبًا، ويضرموه، ثم يلقوه فيه. ٩٨- أي: فإن النار صارت بعد إلقائه عليها بردًا وسلامًا، ولم تؤثر فيه أقل تأثير. ٩٩- أي: مهاجر من بلد قومي الذين فعلوا ما فعلوا تعصبًا للأصنام، وكفرًا بالله، وتكذيبًا لرسله إلى حيث أمرني بالمهاجرة إليه، أو إلى حيث أتمكن من عبادته.١٠٠- أي: ولدًا صالحًا يعينني على طاعتك، ويؤنسني في الغربة.١٠١- أي: يكبر ويصير حليمًا. فهذه البشارة تدل على أنه مبشر بابن ذكر، وأنه يبقى حتى ينتهي في السن ويوصف بالحلم.١٠٢- أي: شبّ وأدرك سعيُه سعي إبراهيم. وقال مقاتل: لما مشى معه. قال الفراء: كان يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة والمأمور بذبحه هو ابنه إسماعيل، فإنه ذكر البشارة بالغلام الحليم، وذكر أنه الذبيح، وقال: بعد ذلك ﴿وَبَشَّرْنَـٰهُ بِإِسْحَـٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾﴾ وإنما شاوره ليعلم صبره لأمر الله، وإلا فرؤيا الأنبياء وحي، وامتثالها لازم قال: يا أبت افعل ما تؤمر مما أوحي إليك من ذبحي.

فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ
صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ
ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ١٠٧ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي
ٱلۡأٓخِرِينَ ١٠٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ١٠٩ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ
١١٠ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١١ وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ
ٱلصَّٰلِحِينَ ١١٢ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا
مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ ١١٣ وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ
وَهَٰرُونَ ١١٤ وَنَجَّيۡنَٰهُمَا وَقَوۡمَهُمَا مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ
١١٥ وَنَصَرۡنَٰهُمۡ فَكَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ١١٦ وَءَاتَيۡنَٰهُمَا ٱلۡكِتَٰبَ
ٱلۡمُسۡتَبِينَ ١١٧ وَهَدَيۡنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١١٨ وَتَرَكۡنَا
عَلَيۡهِمَا فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١١٩ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ
١٢٠ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٢١ إِنَّهُمَا مِنۡ
عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٢٢ وَإِنَّ إِلۡيَاسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٢٣
إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ١٢٤ أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا وَتَذَرُونَ أَحۡسَنَ
ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٢٥ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٢٦

١٠٣ – أي: استسلما لأمر الله وأطاعاه، وانقادا له وفوضا أمرهما إلى الله: أسلم أحدهما نفسه لله، وأسلم الآخر ابنه وكبه على وجهه كيلا يرى منه ما يؤثر الرقة لقلبه. والموضع الذي أراد ذبحه فيه هو المنحر بمنى عند الجمار وقيل بالشام.

١٠٤، ١٠٥ – ولما أضجعه للذبح نودي من الجبل: يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا، وجعله مصدقًا بمجرد العزم وإن لم يذبحه، لأنه قد أتى بما أمكنه إنا كذلك نجزي المحسنين بالخلاص من الشدائد. والسلامة من المحن.

١٠٦ – أي: إن هذا هو الاختبار الظاهر نجاح إبراهيم فيه، حيث اختبره الله في طاعته بذبح ولده.

١٠٧ – وأنزل عليه كبشًا فذبحه إبراهيم فداء عن ابنه.

١٠٨، ١٠٩ – أي: في الأمم الآخرة التي تأتي بعده، والسلام: الثناء الجميل.

١١١ – أي: الذين أعطوا العبودية حقها، ورسخوا في الإيمان بالله وتوحيده.

١١٢ – أي: بشره بولد آخر يكون نبيًّا جزاء على طاعته لله في ذبح وحيده إسماعيل.

١١٣ – أي: بمرادفة نعم الله عليهما، وقيل: كثرنا ولدهما ثم بين أن كون الذرية من هذا العنصر الشريف، والمحتد المبارك، ليس بنافع لهم، بل إنما ينتفعون بأعمالهم، لا بآبائهم، فإن اليهود والنصارى وإن كانوا من ولد إسحاق صاروا إلى ما صاروا إليه من الضلال البين.

١١٥ – أي: هو ما كانوا فيه من استعباد فرعون إياهم، وقيل: هو الغرق الذي أهلك فرعون وقومه.

١١٧ – المراد بالكتاب التوراة، والمستبين البين الظاهر.

١١٨ – وهو دين الإسلام، فإنه الطريق الموصلة إلى المطلوب.

١١٩، ١٢٠ – أي: أبقينا عليهما في الأمم المتأخرة الثناء الجميل.

١٢١، ١٢٢ – وقد سبق تفسيرهما في هذه السورة.

١٢٣ – ﴿وَإِنَّ إِلۡيَاسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٢٣﴾ هو نبي من أنبياء بني إسرائيل.

١٢٤ – أي: هلا اتقيتم الله فعبدتموه وتركتم ما ينهاكم الله عنه من الشرك والمعاصي.

١٢٥ – بعلاً: اسم لصنم كانوا يعبدونه، وقيل: البعل بمعنى الرب، أي: أتدعون صنمًا عملتموه ربًّا؟ وتتركون عبادة الخالق سبحانه وتعالى.

١٢٦ – أي: فهو الذي تحق له العبادة.

فكذبوه فإنهم لمحضرون ﴿١٢٧﴾ إلا عباد الله المخلصين ﴿١٢٨﴾
وتركنا عليه في الآخرين ﴿١٢٩﴾ سلام على إل ياسين ﴿١٣٠﴾ إنا كذلك
نجزي المحسنين ﴿١٣١﴾ إنه من عبادنا المؤمنين ﴿١٣٢﴾ وإن لوطا
لمن المرسلين ﴿١٣٣﴾ إذ نجيناه وأهله أجمعين ﴿١٣٤﴾ إلا عجوزا
في الغابرين ﴿١٣٥﴾ ثم دمرنا الآخرين ﴿١٣٦﴾ وإنكم لتمرون عليهم
مصبحين ﴿١٣٧﴾ وبالليل أفلا تعقلون ﴿١٣٨﴾ وإن يونس لمن
المرسلين ﴿١٣٩﴾ إذ أبق إلى الفلك المشحون ﴿١٤٠﴾ فساهم فكان
من المدحضين ﴿١٤١﴾ فالتقمه الحوت وهو مليم ﴿١٤٢﴾ فلولا أنه
كان من المسبحين ﴿١٤٣﴾ للبث في بطنه إلى يوم يبعثون ﴿١٤٤﴾
۞ فنبذناه بالعراء وهو سقيم ﴿١٤٥﴾ وأنبتنا عليه شجرة
من يقطين ﴿١٤٦﴾ وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون ﴿١٤٧﴾
فآمنوا فمتعناهم إلى حين ﴿١٤٨﴾ فاستفتهم ألربك البنات
ولهم البنون ﴿١٤٩﴾ أم خلقنا الملائكة إناثا وهم
شاهدون ﴿١٥٠﴾ ألا إنهم من إفكهم ليقولون ﴿١٥١﴾ ولد
الله وإنهم لكاذبون ﴿١٥٢﴾ أصطفى البنات على البنين ﴿١٥٣﴾

الحزب ٤٦

١٢٧- أي: فإنهم بسبب تكذيبه لمحضرون في العذاب.
١٢٨- أي: من كان مؤمنًا به من قومه. ١٢٩، ١٣٠- المراد: إلياس، فأضيفت إليه ياء ونون لأنه أعجمي، نظيره طور سيناء وطور سينين.
١٣١، ١٣٢- وقد سبق تفسيرهما.
١٣٥- أي: إلا عجوزًا بقيت في الباقين في العذاب، وهي زوجة لوط.
١٣٦- أي: أهكلنا بالعقوبة الباقين من قومه الذين لم يؤمنوا به.
١٣٧- خاطب بهذا أهل مكة، أي: تمرون على منازلهم التي فيها آثار العذاب في وقت الصباح.
١٣٨- وبالليل تمرون على منازلهم في ذهابكم إلى الشام ورجوعكم منه ليلًا كما تمرون بها نهارًا، أفلا تعقلون بما تشاهدونه في ديارهم من آثار عقوبة الله النازلة بهم، فتخافوا من مثل مصيرهم.
١٣٩- يونس: هو ذو النون، وهو ابن متَّي. قال المفسرون: كان يونس قد وعد قومه العذاب، فلما تأخر عنهم العذاب خرج عنهم وقصد البحر، وركب السفينة، فكان كالفارّ من مولاه، فوصف بالإباق. ١٤٠- وأصل الإباق: هرب العبد من سيده، لكن لما كان هربه من قومه بغير إذن ربه وصف به. ١٤١- أي: ضربت القرعة بين الراكبين ليلقوا بعضهم في البحر خوفًا من غرق السفينة فغلب في القرعة فألقوه في البحر. ١٤٢- أي: لما ألقى نفسه في الماء أخذه الحوت.
١٤٣- أي: الذاكرين لله، أو المصلين له. ١٤٤- أي: لصار بطن الحوت له قبرًا إلى يوم القيامة. ١٤٥- أي: أمر الله الحوت فقذفه من فمه، فخرج مريضًا قد تلف جلده. ١٤٦- أي: شجرة فوقه تظلل عليه، واليقطين: هي شجرة الدباء، وهي المسماة (القرع) حتى اشتد لحمه ونبت شعره. ١٤٧- هم قومه الذين هرب منهم إلى البحر، وجرى له ما جرى بعد هربه، كما قصه الله علينا في هذه السورة، وهم أهل نينوى من أرض الموصل بل هم أكثر من مائة ألف، فكان رسولاً قبل أن يذهب إلى البحر وبعد ذهابه.
١٤٨- أي: وقع منهم الإيمان بعد ما شاهدوا أعلام نبوته، فمتعهم الله في الدنيا إلى حين انقضاء آجالهم ومنتهى أعمارهم.
١٤٩- أي: استخبرهم كيف يجعلون لله على تقدير صدق ما زعموه من الولد أدنى الجنسين وأوضعهما، وهو الإناث، ولهم أعلاهما وأرفعهما، وهم الذكور؟ ١٥٠- أي: فأضرب عن الكلام الأول إلى ما هو أشد منه، أي: كيف جعلوهم إناثًا وهم لم يحضروا عند خلقنا لهم، فبين سبحانه أن مثل ذلك لا يعلم إلا بالمشاهدة، ولم يشهدوا، فلم يدل دليل على قولهم من السمع، ولا هو مما يدرك بالعقل، حتى ينسبوا إدراكه إلى عقولهم. ١٥١، ١٥٢- فبين سبحانه أن قولهم هذا هو من الإفك والافتراء، من دون دليل ولا شبهة دليل، فإنه لم يلد ولم يولد. ١٥٣، ١٥٤- أي: هل اختار البنات وفضلهن على البنين الذكور، مع أن البنين هم أفضل الجنسين، فكان سيختارهم لو كان له ولد سبحانه عما يقولون.

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ
﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ
نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا
يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾
مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّا إِلَّا
لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ
﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا
عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا بِهِ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ
سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ
جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ
يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ
صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ
يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾
وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾

ترتيبها ٣٨ — **سُورَةُ ص** — آياتها ٨٨

١٥٦- ألا تعتبرون وتتفكرون فتتذكروا بطلان قولكم؟ ١٥٦- أي: حجة واضحة ظاهرة على هذا الذي تقولونه. ١٥٧- أي: فأتوا بالكتاب الذي يثبت لكم الحجة ويشتمل عليها.

١٥٨- بل حقيقة أمرهم أنهم قالوا - زورًا وبهتانًا -: إن الملائكة بنات الله وأشركوا الشياطين في عبادة الله تعالى، ولقد علمت الجن والشياطين إنهم لمحضرون في القيامة للحساب ثم في النار للعذاب. ١٦٠- أي: لكن عباد الله المخلصين بريئون عن أن يصفوا الله بشيء من ذلك. ١٦١، ١٦٣- أي: فإنكم وآلهتكم التي تعبدون من دون الله لستم بمضلين أحدًا إلا من قدر الله له أن يصلى الجحيم، وهم المصرُّون على الكفر. ١٦٤- أي: هذا من الله تعالى يحكي ما تقوله الملائكة، أي: وما منا ملك إلا له مقام معلوم في عبادة الله.

١٦٥- ثبت في الصحيح وغيره أن النبي ﷺ: **«أمر الصحابة أن يصُفُّوا كما تصف الملائكة عند ربهم، فقالوا: وكيف تصف الملائكة عند ربهم؟ قال: يقيمون الصفوف المقدّمة، ويتراصون في الصف»** فصفوف الملائكة في السماء كصفوف أهل الدنيا في الأرض. ١٦٦- المسبحون باللسان وبالصلاة والمقصود أن هذه الصفات هي صفات الملائكة وهي التذلل والعبادة لله، وليسوا كما وصفهم به الكفار من أنهم بنات الله. ١٦٧- أي: إن المشركين قبل المبعث المحمدي إذا عُيِّروا بالجهل قالوا: ١٦٨- لو أن لنا كتابًا من كتب الأولين كالتوراة والإنجيل. ١٦٩- أي: لأخلصنا العبادة له، ولم نكفر به. فجاءهم محمد ﷺ بالذكر. ١٧٠- أي: عاقبة كفرهم ومغبته. ١٧١- المراد: بالكلمة ما وعدهم الله به من النصر والظفر على الكفار. ١٧٢، ١٧٣- أي: فهذه هي الكلمة المذكورة سابقًا، وجند الله حزبه، وهم الرسل وأتباعهم. وهذا الوعد لهم بالنصر والغلبة، فإن الغالب في كل موطن هو انتصارهم على الأعداء وغلبتهم لهم، فخرج الكلام مخرج الغالب، على أن العاقبة المحمودة لهم على كل حال وفي كل موطن، كما قال سبحانه: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾. ١٧٤- أي: أعرض عنهم إلى مدة معلومة عند الله سبحانه، وهي مدة الكف عن القتال حتى نأمرك بالقتال. ١٧٥- وأبصرهم إذا نزل بهم العذاب بالقتل والأسر فسوف يبصرون حين لا ينفعهم الإبصار. ١٧٦- أفبعذابنا يستعجلون كانوا يقولون من فرط تكذيبهم: متى هذا العذاب؟ ١٧٧- قيل: المراد به نزول رسول الله ﷺ بساحتهم يوم فتح مكة فبئس صباح الذين أُنذروا بالعذاب. والصَّباح عند العرب الغارة التي تكون عند الصبح. ١٨٠- المراد: تنزيه تعالى عن كل ما يصفونه به مما لا يليق بجنابه الشريف. ١٨١- أي: أمنٌ لهم وسلامة من المكاره. ١٨٢- أي: الحمد لله على إرسال رسله إليهم مبشرين ومنذرين. وقيل: إنه الحمد على هلاك المشركين، ونصر الرسل عليهم وعلى كل ما أنعم به على خلقه أجمعين.

سُورَةُ ص

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ٢
كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ٣ وَعَجِبُوٓاْ
أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ٤
أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ٥ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ
مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ٦
مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ٧ أَءُنزِلَ
عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ
٨ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ٩ أَمۡ لَهُم
مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ ١٠
جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ١١ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ
نُوحٖ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ ١٢ وَثَمُودُ وَقَوۡمُ لُوطٖ وَأَصۡحَٰبُ
لۡـَٔيۡكَةِۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ ١٣ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ
فَحَقَّ عِقَابِ ١٤ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا
مِن فَوَاقٖ ١٥ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ١٦

٤٥٣

هي مكية في قول الجميع

١- ﴿صٓ﴾ فاتحة السورة، وهو مما استأثر الله بعلمه ثم يقسم الله تعالى بالقرآن، والإقسام بالقرآن فيه تنبيه على شرف قدره وعلو محله، ومعنى ذي الذكر: أنه المشتمل على الذكر الذي فيه بيان كل شيء. وقيل: معناه: ذو الشرف. ٢- كأنه قال: لا ريب فيه قطعًا، ولم يكن عدم قبول المشركين له لما يوجب الريب فيه، بل هم في تكبر وتجبر وشقاق، أي: وامتناع عن قبول الحق.٣- أي: قد أهلكنا قبلهم كثيرًا من الأمم الخالية الذين كانوا أمنع من هؤلاء وأشد قوة وأكثر أموالاً فنادوا نداء الاستغاثة منهم عند نزول العذاب بهم، وليس ذلك الوقت وقت خلاص. ٤- أي: رسول من أنفسهم ينذرهم بالعذاب إن استمروا على الكفر. وقال الكافرون هذا ساحر كذاب لما شاهدوا ما جاء به من المعجزات الخارجة عن قدرة البشر.٥- أي: أصيَّرها إلهًا واحدًا، وقصر الإلوهية على الله سبحانه إن هذا لشيء بالغ في العجب إلى الغاية.٦- أي: الأشراف، فإن النبي ﷺ طلب منهم كلمة يقولونها تدين لهم بها العرب والعجم، قالوا: فما هي؟ قال: لا إله إلا الله، فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم، وهم يقولون: أجعل الآلهة إله واحدًا؟ أن امضوا على ما كنتم عليه، ولا تدخلوا في دينه، وقالوا ذلك للأتباع، واثبتوا على عبادتها إن هذا لشيء يريده محمد بنا وبآلهتنا ويودُّ تمامه، ليعلو علينا، ونكون له أتباعًا، فيتحكم فينا بما يريد. ٧- وهي النصرانية إن هذا إلا كذب اختلقه محمد وافتراه. ٨- أي: نحن الرؤساء والأشراف، أكبر منه سنًّا، وأعظم منه شرفًا، بل هم في شك من القرآن أو الوحي ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ٨﴾ فاغتروا بطول المهلة.٩- أي: مفاتيح نعم ربك حتى يعطوا النبوة لمن يشاءون. ١٠- أي حتى يعطوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا فليرتقوا في الأسباب التي توصلهم إلى السماء، حتى يحكموا بما يريدون من عطاء ومنع، ويدبروا أمر العالم بما يشتهون.١١- أي: فلا تحزن لعزتهم وشقاقهم، فإني أسلب عزهم وأهزم جمعهم، وقد وقع ذلك يوم بدر.١٢- أي: ذو الأبنية المحكمة.١٣- الأيكة: الغيضة، وقد تقدم تفسيرها في سورة الشعراء، والموصوفون بالقوة والكثرة - كقولهم: فلان هو الرجل - هم الأحزاب. ١٤- أي: ما كل أحد من الأحزاب إلا وقع منه تكذيب الرسل، فحق عليهم عقابي بتكذيبهم، وإن تأخر، فكأنه واقع بهم، وكل ما هو آت قريب.١٥- أي: ليس بينهم وبين حلول ما أعد الله لهم من عذاب النار إلا أن ينفخ في الصور النفخة الثانية، والفواق من الزمن: مقدار ما بين حلبتي الناقة، أي: إذا جاءت الصيحة لا تتوقف مقدار فواق الناقة، وقيل: المراد أنها لا يفيقون منها كما قد يفيق المريض والمغشي عليه.١٦- أي نصيبنا =

اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ١٧
إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ١٨ وَالطَّيْرَ
مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ١٩ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ
وَفَصْلَ الْخِطَابِ ٢٠ ۞ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا
الْمِحْرَابَ ٢١ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ
خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ
وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ٢٢ إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً
وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ٢٣ قَالَ
لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي
بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ
مَا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ
۩ ٢٤ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ
٢٥ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ
بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ٢٦

ربع الحزب ٤٦

سجدة

من خير أو شر، ولا تؤخره إلى يوم القيامة.

١٧- الأيد: القوة والأوّاب: الرجاع عن كل ما يكرهه الله سبحانه إلى ما يحبه، ولا يستطيع ذلك إلا من كان قويًا في دينه.

١٨- قال مقاتل: كان داود إذا ذكر الله ذكرت الجبال معه، وكان يفقه تسبيح الجبال.

١٩- أي: تسبح الله معه ﴿كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ١٩﴾ لأجل تسبيح داود تسبح الجبال والطيور معه.

٢٠- وقوّينا ملكه وثبتناه بالنصر في المواطن على أعدائه، وإلقاء الرعب منه في قلوبهم وآتيناه النبوة والمعرفة بكل ما يحكم به والفصل في القضاء، وقيل: هو الإيجاز بجعل المعنى الكثير في اللفظ القليل.

٢١- وهل بلغك يا محمد هذا الخبر العجيب إذ بعث الله إلى دواد مَلَكين لينبهه على التوبة، أتوه من أعلى سوره ونزلوا إليه في محرابه حيث يصلي.

٢٢- أي: دخلوا عليه بغير إذنه، ولم يدخلوا من الباب الذي يدخل منه الناس فبادرا باطمئنانه وقالا له: لا تخف نحن خصمان اعتدى بعضنا على بعض وجئنا لتحكم بيننا فلا تجُر في حكمك، وأرشدنا إلى الحق، واحملنا عليه. ثم قال أحدهما:

٢٣- ﴿إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ النعجة الأنثى من الضأن، وقد يقال لبقر الوحش: نعجة ﴿وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ والعرب تكني عن المرأة بها، وتشبه النساء بالنعاج من البقر، فقال: أعطني نعجتك حتى أضمها إلى نعاجي وتكون كفلي ونصيبي وغلبني في الكلام.

٢٤- أي: حكم ببطلان ما سمعه من طلب صاحب النعاج التسع والتسعين أن يضم إليه النعجة الواحدة التي مع صاحبه ولم يكن معه غيرها. وإن كثيرًا من الشركاء في المال ليظلم بعضهم بعضًا، إلا الذين آمنوا بالله حقًا وعملوا الصالحات فهم لا يظلمون، وهم قليلون في الناس عددًا، وإذ به- عليه السلام- يجد الخصمين قد اختفيا، وعند ذلك أيقن أنه ابتلي بهذا الأمر فاستغفر ربه وخرّ ساجدًا ورجع إلى الله بالتوبة من ذنبه.

٢٥- أي: ذلك الذنب الذي استغفر منه والزلفى: القربة والكرامة بعد المغفرة لذنبه، وحسن المآب: حسن المرجع، وهو الجنة.

٢٦- أي: وقلنا له: استخلفناك على الأرض، أو جعلناك خليفة لمن قبلك من الأنبياء، لتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر فاحكم بين الناس بالعدل الذي هو حكم الله بين عباده ولا تتبع الهوى في الحكم بين العباد فيضلك عن طريق الحق، أو طريق الجنة بسبب تركهم العمل لذلك اليوم، ومنه القضاء بالعدل.

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ
فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ
﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟
ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ
﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ
أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾
رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا
سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ
لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾
فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ
كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا
عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ
مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ
بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾

٢٧- والمعنى: بل خلقهما الله للدلالة على قدرته، وليُعمل فيهما بطاعته وإنما ظن العبث عند الكافرين أنهم يظنون أن هذه الأشياء خلقت لا لغرض، ويقولون: إنه لا قيامة ولا حساب، وذلك يستلزم أن يكون خلق هذه المخلوقات باطلاً فويل في النار لكفرهم وظنهم الباطل.٢٨- أي: بل أنجعل الذين آمنوا بالله وصدّقوا رسله وعملوا بفرائضه كالمفسدين في الأرض بالمعاصي، بل أنجعل أتقياء المؤمنين كأشقياء الكافرين والمنافقين والمنهمكين في معاصي الله سبحانه من المسلمين، فليس ذلك إن فعلناه عدلاً.

٢٩- القرآن كتاب أنزلناه إليك يا محمد كثير الخير والبركة للتدبر والتفكر في معانيه، لا لمجرد التلاوة بدون تدبر وليتعظ أهل العقول الراجحة.

٣٠- أي: وهب له سليمان ولدًا، ثم مدح سليمان، فقال: نعم العبد سليمان والأواب: التواب ثم ذكر الله واقعتين من وقائع توبته فقال: ٣١- إذ عرض على سليمان- والعشي: من الظهر أو العصر إلى آخر النهار- الصافنات: جمع صافن، وهي من صفات الخيل، فالصافن: هو الذي يقف على إحدى اليدين ويرفع الأخرى، ويجعل على الأرض طرف الحافر منها، ويقوم على ثلاث، وهي علامة الفراهة الجياد: جمع جواد، يقال للفرس إذا كان شديد العدو. ٣٢- أي: إني آثرت حب الخيل على ذكر ربي: يعني صلاة العصر حتى غابت الشمس، وقيل المراد: حتى توارت الخيل في المسابقة عن الأعين.٣٣- أي: أخذ يعقرها بالسيف، ويضرب سوقها وأعناقها، غضبًا لله، لأنها كانت سبب فوت صلاته وقيل: المراد: المسح على نواصيها بيده. ٣٤- ثبت في الحديث الصحيح: أنه قال: لأطوفن الليلة على تسعين امرأة، تأتي كل واحدة بفارس يقاتل في سبيل الله، ولم يقل: إن شاء الله، فلم تلد منهن إلا امرأة واحدة، ولدت نصف إنسان. والجسد: هو نصف الإنسان الذي ولدته امرأته، ثم رجع إلى الله بالتوبة من ذنبه. ٣٥- قال رب اغفر لي ما صدر عني من الذنب الذي ابتليتني لأجله وهب لي ملكًا لا يكون لأحد من بعدي أن يملك مثله فإنك كثير الهبات عظيم الموهوبات.٣٦- أي: جعلناها منقادة لأمره ﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً﴾ المعنى: أنها ريح لينة لا تُزعزع ولا تعصِف، مع قوة هبوبها وسرعة جريها، حيث أصاب خيرًا وقصده.٣٧- أي: وسخرنا له الشياطين يبنون له ما يشاء من المباني، ويغوصون في البحر فيستخرجون له الدر منه.٣٨- وهم مردة الشياطين، سُخِّروا له حتى قرنهم في السلاسل.٣٩- أي: الذي أعطيناكه من الملك العظيم الذي طلبته، من السيطرة على الريح والشياطين وتسخيرهم فأعط من شئت، وامنع من شئت لا حساب عليك في ذلك الإعطاء أو الإمساك، أي: فلا يقال لك: كم أعطيت ولِمَ منعت؟ ٤٠- وإن له عندنا قربة في الآخرة وحسن مرجع، وهو الجنة.٤١- أي: بهلاك أهله وماله، وبأوجاع وأمراض، وإنما نسبها إلى الشيطان، لأنه السبب في ذلك البلاء، فقد قيل: إنه أعجب بكثرة ماله، وقيل: استغاثه مظلوم فلم يغثه.٤٢- أي: اضرب بها الأرض فركض فنبعت عين جارية، فاغتسل =

وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٤٣
وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ
نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ٤٤ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ
أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ٤٥ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى
ٱلدَّارِ ٤٦ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ٤٧ وَٱذْكُرْ
إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ٤٨ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ
وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ٤٩ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ
٥٠ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ٥١
۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ٥٢ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ
ٱلْحِسَابِ ٥٣ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ٥٤ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ
لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ٥٥ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ٥٦ هَٰذَا
فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ٥٧ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ٥٨
هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ٥٩
قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ٦٠
قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ٦١

نصف الحزب ٤٦

فيها، فخرج صحيحًا، ثم نبعت عين أخرى فشرب منها ماء عذبًا باردًا.

٤٣ - قيل: أحياهم الله بعد أن أماتهم، وقيل: جمعهم بعد تفرقهم وزادهم فكانوا مثلي ما كانوا من قبل ابتلائه.

٤٤ - الضغث: الحزمة الكبيرة من القضبان فاضرب بذلك الضغث ولا تحنث في يمينك، وكان أيوب قد حلف في مرضه أن يضرب امرأته مائة جلدة، لذنب جنته، فجعل الله له هذا مخرجًا له من يمينه. ثم أثنى الله سبحانه على أيوب، فقال: إنا وجدناه صابرًا على البلاء الذي ابتليناه به، فإنه ابتلي بالداء العظيم في جسده، وذهاب ماله وأهله وولده، فصبر نعم العبد أيوب إنه رجاع إلى الله بالاستغفار والتوبة. ٤٥ - أي: أصحاب النعم على الناس والإحسان إليهم، لأنهم قد أحسنوا وقدموا خيرًا، والأبصار: البصائر في العلم والدين.

٤٦ - أي: خصصناهم من دون أهل زمانهم بتذكر الدار الآخرة والإيمان بها، وذلك من شأن الأنبياء. ٤٧ - أي: المختارين من أبناء جنسهم من الأخيار.

٤٨ - قد تقدم ذكر اليسع، والكلام فيه، في سورة الأنعام، وتقدم ذكر ذي الكفل في سورة الأنبياء. ٤٩ - أي: هذا ذكر جميل في الدنيا، وشرف يذكرون به أبدًا وإن المتقين، يرجعون في الآخرة إلى مغفرة الله ورضوانه ونعيم جنته. ٥٠ - قيل: تفتح لهم الملائكة الأبواب في الجنة ليدخلوها مكرمين. ٥١ - أي: يدعون في الجنات حال كونهم متكئين فيها على الأرائك بألوان متنوعة متكثرة من الفواكه وشراب كثير.

٥٢ - أي: زوجات لهم قاصرات طرفهن على أزواجهن، لا ينظرن إلى غيرهم، والأتراب: المتحدات في السن، أو المتساويات في الحسن. وقال مجاهد: أتراب متواخيات لا يتباغضن ولا يتغايرن. أي: يقال لهم: هذا الجزاء الذي وعدتم به، وأجله يوم الحساب.

٥٤ - أي: الذي أنعمنا به عليكم لا انقطاع له ولا يفنى أبدًا. ٥٥ - أي: الأمر هذا كما ذكر أي للذين طغوا وتمردوا عن طاعة الله، وكذبوا رسله، لشر منقلب ينقلبون إليه. ٥٦ - أي: بئس ما مهدوا لأنفسهم، وهو الفراش، شبه الله سبحانه ما تحتهم من نار جهنم بالمهاد. ٥٧ - الحميم: الماء الحار الذي قد تناهى حره، والغساق ما سال من جلود أهل النار من القيح والصديد، وقيل: الغساق ما قتل ببرده. ٥٨ - المعنى أن لأهل النار حميما وغساقا وأنواعا أخرى من العذاب من مثل الحميم والغساق.

٥٩ - أي: إذا دخلوا النار قالت الخزنة للقادة: هذا فوج، يعنون الأتباع، داخل معكم إلى النار لا كرامة لهم، وهذا إخبار من الله سبحانه بانقطاع المودة بين الكفار، وأن المودّة التي كانت بينهم تصير عداوة. ٦٠ - أي: قال الأتباع للرؤساء لا كرامة لكم أنتم أوقعتمونا فيه، ودعوتمونا إليه بما كنتم تقولون لنا من أن الحق ما أنتم عليه، وأن الأنبياء غير صادقين فيما جاءوا به فبئس المقرّ جهنم لنا ولكم. ٦١ - أي عذابًا بكفره، وعذابا بدعائه إيانا.

وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَاهُمْ
سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ
النَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾
رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَأٌ
عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ
إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ
لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ
مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ
يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ
مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ
﴿٧٦﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ
الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ
الْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ
لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾

٤٥٧

٦٢- يعنون فقراء المؤمنين، كعمّار وخبّاب وصهيب وبلال وسالم وسلمان. ٦٣- ثم يقولون في استغراب أتخذناهم سخريا في الدنيا، وكانوا أهل الكرامة، فأخطأنا أم زاغت عنهم الأبصار فلم نعلم مكانهم في النار؟ وقال الحسن: كل ذلك قد فعلوه: اتخذوهم سخريا، وزاغت عنهم أبصارهم أي وهم في الجنة. ٦٤- المعنى: أن ذلك الذي حكاه الله عنهم لحقّ لابدّ أن يتكلموا به، وهو تخاصم أهل النار فيها، وما قالته الرؤساء للأتباع، وما قالته الأتباع لهم، فهذا أمر لابد أنه سيكون يوم القيامة. ٦٥- أي مخوف لكم من عقاب الله وعذابه وما من إله يستحق العبادة إلا الله الواحد الذي لا شريك له القهار لكل شيء سواه. ٦٦- من المخلوقات العزيز الذي لا يغالبه مغالب الغفار لمن أطاعه. ٦٧- أي ما أنذرتكم به من العقاب، وما بينته لكم من التوحيد: هو خبر عظيم ونبأ جليل، فعظّموه ولا تستخفوا به. ٦٨- وفي هذا توبيخ لهم وتقريع لكونهم أعرضوا عنه، ولم يتفكروا فيه فيعلموا صدقه. ٦٩- أي ما كان لي، قبل أن يوحى إليّ، علم بما اختصم فيه الملائكة. والخصومة الكائنة بينهم: هي في أمر آدم، كما يفيده ما سيأتي قريبا. ٧١- هذه هي خصومة الملائكة إجمالا فيما تقدّم، ذكرها هنا تفصيلا. والبشر هم آدم وذرّيته، وقد كانت خصومة الملائكة في شأن من يستخلف في الأرض. ٧٢- فإذا صوّرته على صورة البشر، وصارت أجزاؤه مستوية ونفخت فيه من الروح الذي أملكه ولا يملكه غيري، فأجعله حيا بعد أن كان جمادا لا حياة فيه ثم أمر بسجود التحية، لا سجود العبادة. ٧٣- أي: فخلقه فسوّاه، ونفخ فيه من روحه فسجد له الملائكة عن آخرهم ما بقي منهم ملك إلا سجد. ٧٤- إلا إبليس كان متصفا بصفات الملائكة داخلا في عدادهم وقد أنِفَ من السجود، جهلا منه بأنه طاعة لله و كان استكباره استكبار كفر بمخالفته لأمر الله واستكباره عن طاعته. ٧٥- أي: ما صرفك وصدّك عن السجود لآدم، وأنا الذي تولّيتُ خلقه من غير واسطة هل استكبرت عن السجود الآن، أم لم تزل من القوم الذين يتكبرون عن ذلك. ٧٦- وادّعى اللعين لنفسه أنه خير من آدم، وفي ضمن كلامه هذا أن سجود الفاضل للمفضول لا يحسن وفي زعمه أن عنصر النار أشرف من عنصر الطين، وفي ذلك ما فيه. وعلى كل حال فقد شرّف الله آدم بشرف وكرّمه بكرامة لا يوازيها شيء من شرف العناصر، وذلك أن الله خلقه بيديه، ونفخ فيه من روحه، وآتاه العلم والحكمة. ٧٧- قال فاخرج من الجنة، أو من زمرة الملائكة فإنك مرجوم بالكواكب مطرود من كل خير. ٧٨- أي: مستمرّة له دائمة عليه ما دامت الدنيا، ثم في الآخرة يلقى من أنواع عذاب الله وعقوبته وسخطه ما هو به حقيق. ٧٩- أي: أمهلني ولا تعاجلني بالإماتة إلى غاية هي يوم يبعثون: يعني آدم وذريته، بعد موتهم. ٨٠- أي من الممهلين. ٨١- أي الذي قدّره الله لفناء الخلائق، هو عند النفخة الأولى، قيل إنما طلب إبليس الإنظار إلى يوم البعث ليتخلص من الموت، لأنه إذا أنظر إلى يوم البعث لم يمت فأنظره الله لكن لا إلى البعث بل إلى الصعق. ٨٢- فأقسم بعزّة الله أن يضلّ بني آدم بتزيين الشهوات =

قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ
مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ
﴿٨٦﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ ﴿٨٨﴾

سُورَةُ الزُّمَرِ

ترتيبها ٣٩ — آياتها ٧٥

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ
ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا
لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ
مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ
فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ
كَفَّارٞ ﴿٣﴾ لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا
يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٤﴾
خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ
وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ
كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴿٥﴾

= لهم، وإدخال الشبه عليهم.
٨٣- أي الذين أخلصتهم لطاعتك، وعصمتهم من الشيطان الرجيم، أي: فهؤلاء لا يقدر على إضلالهم وإغوائهم. ٨٤، ٨٥ أي فالحق مني مَلء جهنم من إبليس وأتباعه، وأنا أقول الحق: يقسم الله تعالى لإبليس أنه سيدخله النار وأتباعه حتى تمتلئ منهم وممن تبعك من ذرّية آدم، فأطاعوك إذ دعوتهم إلى الضلال والغواية. ٨٦- أي ما أطلب منكم من جُعل تعطونيه على الدعاء إلى الله بالقرآن وغيره من الوحي وما تكلفت مالا علم لي به حتى أقول مالا أعلم أو أدعوكم إلى غير ما أمرني الله بالدّعوة إليه. ٨٧- أي: ما هذا القرآن، أو ما أدعوكم إليه، إلا موعظة للخلق أجمعين. ٨٨- ولتعلمنَّ أيها الكفار ما أنبئ عنه، وأخبر به، من الدّعاء إلى الله وتوحيده، والترغيب في الجنة، والتحذير من النار بعد زمان، قيل: بعد الموت، وقيل: من بقي علم ذلك لما ظهر أمر النبي ﷺ وعلا، ومن مات علمه بعد الموت.

سُورَةُ الزُّمَرِ

هي مكية. ١- أي: هذا تنزيل الكتاب، وهو القرآن. ٢- أي: متلبسا بالحق، والمراد كل ما فيه حق، من إثبات التوحيد والنبوة والمعاد وأنواع التكاليف. يقول: لم ننزله باطلا لغير شيء والإخلاص: أن يقصد العبد بعمله وجه الله سبحانه ولا يقصد شيئًا آخر، والدين: العبادة والطاعة، ورأسها توحيد الله واعتقاد أنه لا شريك له. ٣- أي: التعبّد الخالص من شوائب الشرك وغيره هو لله، وما سواه من الأديان فليس بدين الله الخالص الذي أمر به والذين والوا غيره تعالى، وهي الأصنام التي عبدوها من دونه، وكانوا إذا قيل لهم: من ربكم وخالقكم، ومن خلق السماوات والأرض، وأنزل من السماء ماء؟ قالوا: الله، فيقال لهم: ما معنى عبادتكم للأصنام؟ قالوا: ليقربونا إلى الله، ويشفعوا لنا عنده إن الله يحكم بين أهل الأديان يوم القيامة، وقيل: بين المخلصين للدين، وبين الذين لم يخلصوا في الذي اختلفوا فيه من الدين بالتوحيد والشرك، فإن كل طائفة تدّعي أن الحق معها إن الله لا يرشد لدينه، ولا يوفق للاهتداء إلى الحق، من هو كاذب في زعمه أن الآلهة تقربه إلى الله، وكفر باتخاذها آلهة، وجعلها شركاء لله. ٤- أي يختار من جملة خلقه ما يشاء أن يصطفيه لا موجود سواه إلاّ وهو مخلوق له، ولا يصح أن يكون المخلوق ولدا للخالق، فلم يبق إلا أن يصطفيه عبدا. ٥- أي: لم يخلقها باطلا، ومن كان هذا الخلق العظيم خلقه استحال أن يكون لا شريك أو صاحبة أو ولد وتكوير الليل على النهار تغشيته إياه حتى يذهب ضوؤه، وتكوير النهار على الليل تغشيته إياه حتى تذهب ظلمته وذلل الشمس والقمر وجعلهما منقادين لأمره بالطلوع والغروب لمنافع العباد كل يجري في فلكه إلى أن تنصرم الدنيا، وذلك يوم القيامة ألا هو الغالب الساتر لذنوب خلقه بالمغفرة.

خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم
مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ
خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ
الْمُلْكُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ
اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ
لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾
ثلاثة أرباع الحزب ٤٦ ۞ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ
نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا
لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ
النَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ
الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ
لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ
آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ
وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾

٦- وهي نفس آدم ثم خلق حواء من ضلع آدم، ولم يخلق سبحانه أنثى من ضلع رجل غيرها، وقد تقدم تفسير هذه الآية في أواخر سورة الأعراف ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ هي ما في قوله: ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾ ﴿مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾ راجع سورة الأنعام [الآية: ١٤٣] يخلقكم في بطون أمهاتكم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما ثم لحما في ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة. له الملك الحقيقي في الدنيا والآخرة، لا شركة لغيره فيه فكيف تنصرفون عن عبادته وتنقلبون عنها إلى عبادة غيره.

٧- لا يحبه ولا يأمر به، وهو مع ذلك سبحانه يضل من يشاء ويهدي من يشاء، وما تشاءون إلا أن يشاء الله، فمشيئته شيء وحبه شيء آخر وإنما رضي لهم سبحانه الشكر لأنه سبب سعادتهم في الدنيا والآخرة ولا تحمل نفس حاملة للآثام ذنب نفس أخرى ثم إلى ربكم مرجعم يوم القيامة فينبئكم بما كنتم تعملون من خير وشر إنه عليم بما تضمره القلوب وتستره، فكيف بما تظهره وتبديه؟

٨- أيُّ ضر كان، من مرض أو فقر أو خوف دعا ربه راجعا إليه مستغيثا به في دفع ما نزل به، تاركا لما كان يدعوه ويستغيث به من ميت أو حيّ أو صنم أو غير ذلك ثم إذا أعطاه وملّكه نسي الضر الذي كان يدعو الله إلى كشفه عنه من قبل أن يخوله ما خوله، وقيل: نسي ربه الذي كان يدعوه ويتضرع إليه، ثم جاوز ذلك إلى الشرك بالله، وهو معنى قوله وجعل لله شركاء من الأصنام أو غيرها يعبدها ليضل الناس عن طريق الله التي هي الإسلام والتوحيد قل تمتع بكفرك تمتعا قليلا، أو زمانا قليلا، فمتاع الدنيا قليل ومصيرك إلى النار عن قريب.

٩- المعنى: أذلك الكافر أحسن حالا ومآلا، أم المؤمن بالله، الذي هو قائم يصلي لله في ساعات الليل، مستمر على ذلك، غير مقتصر على دعاء الله سبحانه عند نزول الضرر به، بل يذكر الله ويدعوه وحده في كل حال ساجدا وقائما في صلاة الليل، أي: جامعا بين السجود والقيام وبين الرجاء والخوف، وما اجتمعا في قلب رجل إلا فاز. قل: هل يستوي العلماء والجهال.

١٠- المعنى: قل لهم قولي هذا بعينه للذين أحسنوا في هذه الدنيا الجنة، أو حسنة في الدنيا بالصحة والعافية والظفر والغنيمة وأرض الله واسعة فليهاجر إلى حيث يمكنه طاعة الله، والعمل بما أمر به، والترك لما نهى عنه إنما يوفى الصابرون أجرهم بما لا يقدر على حصره حاصر، ولا يستطيع حسبانه حاسب. وغير الصابر قد نزل به القضاء شاء أم أبى، ومع ذلك فاته من الأجر ما لا يقادر قدره ولا يبلغ مداه، فضم إلى مصيبته مصيبة أخرى، ولم يظفر بغير الجزع.

قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ
أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦۗ
قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَا
ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ
وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾
وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰۚ
فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓۚ
أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾
أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾
لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي
مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ وَعْدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ
أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ
يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ
يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾

١١ - أي: أعبده عبادة خالصة من الشرك والرياء وغير ذلك.

١٢ - أي: من هذه الأمة، وكذلك كان ﷺ فإنه أول من خالف دين آبائه ودعا إلى التوحيد. ١٣ - أي: أخاف بترك إخلاص العبادة له وتوحيده، وترك الدعوة المعادية للشرك وتضليل أهله عذاب يوم القيامة. ١٤ - أي: لا أعبد غيره، لا استقلالا، ولا على جهة الشركة تعبُّدي خالص لله، غير مشوب بشرك ولا رياء ولا غيرهما. ١٥ - فاعبدوا ما شئتم أن تعبدوه من دونه هذا الأمر للتهديد والتقريع والتوبيخ قل إن الكاملين في الخسران هم هؤلاء، لأن من دخل النار فقد خسر نفسه وأهله وقد بلغ من العظم إلى غاية ليس فوقها غاية.

١٦ - الظلل: عبارة عن أطباق النار تلتهب عليهم ومن تحتهم أطباق من النار، وسمي ما تحتهم ظللا لأنها تظلّ من تحتها من أهل النار، لأن طبقات النار صار في كلّ طبقة منها طائفة من طوائف الكفار. ١٧ - والذين أعرضوا عن عبادة الأوثان والشيطان، وخصوا عبادتهم بالله عزّ وجلّ ورجعوا إليه وأقبلوا على عبادته معرضين عما سواه لهم الثواب الجزيل، وهو الجنة، وهذه البشرى إما على ألسنة الرسل، أو عند حضور الموت، أو عند البعث. ١٨ - الذين يستمعون القول الحقّ، من كتاب الله وسنة رسوله، فيتبعون أحسن ما يؤمرون به، فيعملون بما فيه؛ وقيل: هو الرجل يسمع الحسن والقبيح، فيتحدّث بالحسن، وينكف عن القبيح فلا يتحدّث به هم الذين أوصلهم الله إلى الحق، وهم أصحاب العقول الصحيحة. ١٩ - وكلمة العذاب هنا هي قوله تعالى لإبليس ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ ومعنى الآية التسلية لرسول الله ﷺ لأنه كان حريصا على إيمان قومه، فأعلمه الله أن من سبق عليه القضاء، وحقت عليه كلمة الله، لا يقدر رسول الله ﷺ أن ينقذه من النار بأن يجعله مؤمنا فلا داعي لأن تذهب نفسك عليهم حسرات. ٢٠ - وذلك لأن الجنة درجات بعضها فوق بعض، مبنية بناء المنازل في إحكام أساسها وقوة بنائها، وإن كانت منازل الدنيا ليست بشيء بالنسبة إليها تجري من تحت تلك الغرف الأنهار، وفي ذلك كمال لبهجتها وزيادة لرونقها. ٢١ - ألم تر أن الله أنزل من السحاب مطرا فأدخله وأسكنه في الأرض والينبوع عين الماء، والأمكنة التي ينبع منها الماء يخرج بذلك الماء من الأرض، زرعا مختلفا ألوانه، من أصفر وأخضر وأبيض وأحمر، أو من برّ وشعير وغيرهما، إذا كان المراد بالألوان الأصناف ثم ييبس ويجف تراه بعد خضرته ونضارته وحسن رونقه مصفرّا قد ذهبت خضرته ونضارته ثم يجعله متفتتا متكسرا، إن فيما تقدّم ذكره موعظة ينتفع بها أهل العقول الصحيحة، يعلمون بأن الحياة الدّنيا حالها كحال هذا الزرع في سرعة التصرم وقرب التقضى، وذهاب بهجتها، وزوال رونقها ونضارتها، ولم يبق معهم شك في أن الله قادر على البعث والحشر.

أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ
لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ٢٢
ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ
جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ
إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن
يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ٢٣ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ
ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ
٢٤ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ
لَا يَشْعُرُونَ ٢٥ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ
ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٢٦ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى
هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ٢٧ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا
غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ٢٨ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ
شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٢٩ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ
٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ٣١

٢٢- أي: وسع الله صدره للإسلام فقبله واهتدى بهديه فهو بسبب ذلك الشرع يفيض عليه نور من ربه أهو كمن قسا قلبه لسوء اختياره، فصار في ظلمات الضلالة، وبليّات الجهالة فويل للقاسية قلوبهم وهم كلّ من غلظ قلبه، وجفا عن قبول ذكر الله، الذي حقه أن تنشرح له الصدور. ٢٣- أي: القرآن، وسماه حديثا لأن النبيّ ﷺ كان يحدّث به قومه، ويخبرهم بما ينزل عليه منه كتابا يشبه بعضه بعضا في الحسن والإحكام وصحة المعاني، وقوة المباني، وبلوغه إلى أعلى درجات البلاغة تثنى فيه القصص، وتتكرر فيه المواعظ والأحكام، ويثنى في التلاوة فلا يملّ سامعه ولا يسأم قارئه تقشعرّ منه جلود الذين يخشون ربهم يقال: اقشعرّ جلده إذا تقبّض وتجمّع من الخوف. قال الزجاج: إذا ذكرت آيات العذاب اقشعرّت جلود الخائفين لله ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى رحمته وثوابه وجنته، قال قتادة: هذا نعت أولياء الله، نعتهم بأنها تقشعرّ جلودهم ثم تطمئن قلوبهم إلى ذكر الله، ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم، إنما ذلك في أهل البدع، وهو من الشيطان. ٢٤- يعني أهو كمن هو آمِنٌ لا يعتريه شيء من ذلك، ولا يحتاج إلى الاتقاء بل هو سالم من كل سوء، مطمئن في جنّة الله ﴿وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ٢٤﴾. ٢٥- أي: من قبل الكفار المعاصرين لمحمد ﷺ كذبوا رسلهم فأتاهم العذاب من جهة لا يحتسبون إتيان العذاب منها، وذلك عند أمنهم وغفلتهم. ٢٦- أي: الذلّ والهوان في الدنيا بالمسخ والخسف والقتل والأسر وغير ذلك ولعذاب الآخرة أكبر لكونه في غاية الشدّة مع دوامه أي: لو كانوا ممن يعلم ويتفكر ويعمل بمقتضى علمه. ٢٧- ﴿مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ أي: من كل مثل يحتاجون إليه في أمر دينهم لعلهم يتعظون فيعتبرون. ٢٨- قرآنا بلسان عربي مبين لا اختلاف فيه بوجه من الوجوه، ولا تضادّ، ولاشك، ولا لبس فيه، وقيل غير ذي لحن، واللحن الخطأ من حيث اللغة. ٢٩- أي: ضرب للمشرك الذي يعبد أكثر من إله: عبدا مملوكا يملكه عدد من الرجال مختلفون فيما بينهم متعاسرون وضرب للموحّد مثلاً: عبدًا لرجل واحد يملكه ملكا خالصا لا شريك له فيه هل هذا الذي يخدم جماعة شركاء، أخلاقهم مختلفة، ونيّاتهم متباينة، يستخدمه كل واحد منهم، فيتعب وينصب مع كون كل واحد منهم غير راضٍ بخدمته، هل يستوي وهذا الذي يخدم واحدا لا ينازعه غيره، إذا أطاعه رضي عنه، وإذا عصاه عفا عنه. فإنّ بين هذين من الاختلاف الظاهر الواضح ما لا يقدر عاقل أن يتفوّه باستوائهما، فهذا مَثَلُ من يعبد الله وحده، ومثل من يعبد آلهة متعددة. ٣٠- أي نُعِيَتْ إلى النبيّ نفسه، ونعيت إليهم أنفسهم، ففي الآية الإعلام للصحابة بأنه يموت، فقد كان بعضهم يعتقد أنه لا يموت. ٣١- أي: إنك تخاصِمُهم يا محمد، وتحتجّ عليهم بأنك قد بلغتهم وأنذرتهم، وهم يخاصمونك، أو يخاصم المؤمن الكافر، والظالم المظلوم.

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ
إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى
جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾
لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾
لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم
بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ
عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ
ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ
أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ
أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ
ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟
عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾
مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾

٤٦٢

٣٢- أي لا أحد أظلم ممن كذب على الله، فزعم أن له ولدا أو شريكا أو صاحبة بما جاء به رسول الله ﷺ من دعاء الناس إلى التوحيد، وأمرهم بالقيام بفرائض الشرع، ونهيهم عن محرّماته، وإخبارهم بالبعث والنشور والمثوى: مكان الإقامة والسكنى.

٣٣- ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ وهو عبارة عن رسول الله ﷺ ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ تابعه أولئك هم المتقون وقيل الذي جاء بالصدق رسول الله ﷺ والذي صدّق به أبو بكر، وقيل: إن ذلك في كل من دعا إلى توحيد الله، وأرشد إلى ما شرعه لعباده.

٣٤- من رفع الدرجات، ودفع المضرّات، وتكفير السيئات ﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾﴾ أي: الذين أحسنوا في أعمالهم. وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ قال **«الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»**.

٣٥- والمعنى إذا غفر لهم ما هو الأسوأ من أعمالهم غفر لهم ما دونه بطريقة الأولى يجزيهم بالمحاسن من أعمالهم، ولا يجزيهم بالمساوئ.

٣٦- المراد: النبي ﷺ فلا تخف مما يخوفونك به من آلهتهم وجنودها، فإن الله يحميك مما يضرك، وليس عند آلهتهم نفع ولا ضرر ومن حقّ عليه القضاء بضلالة فما له من هاد يهديه إلى الرّشد ويخرجه من الضلالة.

٣٧- ومن يهد الله فما له من مضلّ يخرجه من الهداية، ويوقعه في الضلالة أليس الله غالب لكل شيء، قاهر له ينتقم من عصاته بما يصبه عليهم من عذابه، وما ينزله بهم من سوط عقابه.

٣٨- وهنا ذكر سبحانه اعترافهم إذا سئلوا عن الخالق بأنه هو الله سبحانه، مع عبادتهم للأوثان، فكيف استحسنت عقولهم عبادة غير خالق الكل، وتشريك مخلوق مع خالقه في العبادة ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ هل تقدر على كشف ما أراده الله بي من الشدّة ﴿أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾ عني بحيث لا تصل إليّ، والرّحمة: النعمة والرّخاء قل حسبي الله في جميع أموري في جلب النفع ودفع الضرّ وعليه لا على غيره يعتمد المعتمدون.

٣٩- أي: على حالتكم التي أنتم عليها إني على حالتي التي أنا عليها وسوف تعلمون عاقبة ذلك.

٤٠- أي يهينه ويذله في الدنيا بعد افتخاره واستكباره، فيظهر عند ذلك أنه المبطل وخصمه المحق ويحلّ عليه عذاب دائم مستمرّ =

إِنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ
فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم
بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي
لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ
وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ
لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ
قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٣﴾
قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ
إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ
قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن
دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ
فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ
مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ
يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾

= في الدار الآخرة، وهو عذاب النار.

٤١ – أي لأجلهم، ولبيان ما كلّفوا به عرف طريق الحق وسلكها فلنفسه ومن ضلّ عنها فإنما يضل على نفسه، فضرر ذلك عليه لا يتعدّى إلى غيره ولست بمكلف بهدايتهم ولا بمخاطب بها، بل عليك البلاغ، وقد فعلت. وهذه الآيات منسوخة بآية السيف، فقد أمر الله رسوله بعد هذا أن يقاتلهم حتى يقولوا لا إله إلا الله، ويعملوا بأحكام الإسلام.

٤٢ – أي: يقبضها عند حضور أجلها ويخرجها من الأبدان ويتوفى الأنفس التي لم تمت، أي لم يحضر أجلها، يتوفاها في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ولا يردّها إلى الجسد الذي كانت فيه ويرسل الأخرى وهي النائمة، بأن يعيد عليها إحساسها، وقد اختلف العقلاء في النفس والروح هل هما شيء واحد أو شيئان إن التوفي والإمساك والإرسال للنفوس لآيات عجيبة بديعة دالة على القدرة الباهرة لقوم يتفكرون في ذلك ويتدبرونه، ويستدلون به على توحيد الله وكمال قدرته فإن في هذا التوفي والإمساك والإرسال موعظة للمتعظين، وتذكرة للمتذكرين.

٤٣ – أي: بل هل اتخذوا من دون الله آلهة شفعاء تشفع لهم عند الله قل أو لو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون شيئا من الأشياء لأنها جمادات لا عقل لها.

٤٤ – أي فليس لأحد منها شيء إلا أن يكون الشافع ممن يرضاه الله، والمشفوع له ممن يأذن الله بالشفاعة له.

٤٥ – أي: إذا قيل لهم لا إله إلا الله انقبضوا ونفروا، ثم ذكر سبحانه استبشارهم بذكر أصنامهم وهم الآلهة المزعومة كاللات والعزّى وإنهم يفرحون بذلك ويبتهجون به.

٤٦ – أي: تجازي المحسن بإحسانه، وتعاقب المسيء بإساءته، فإنه بذلك يظهر من هو المحقّ ومن هو المبطل، ويرتفع عنده خلاف المختلفين وتخاصم المتخاصمين.

٤٧ – أي جميع ما في الدنيا من الأموال والذخائر ومثله معه منضما إليه لا فتدوا به من سوء عذاب الله تعالى لهم جزاء ظلمهم ذلك اليوم وظهر لهم من عقوبات الله وسخطه وشدّة عذابه ما لم يكن في حسابهم.

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ
يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ
نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ
عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ
وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ
وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ
لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾
۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن
رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ
﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ
ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ
إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ
بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ
عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾

ربع الحزب ٤٧

٤٨- أي مساوي أعمالهم من الشرك وظلم أولياء الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون من الإنذار الذي كان ينذرهم به رسول الله ﷺ. ٤٩- أي شأن الإنسان أنه إذا مسه ضرّ من مرض أو فقر أو غيرهما، دعا الله وتضرّع إليه في رفعه ودفعه ثم إذا أعطيناه نعمة من عندنا قال إنما أوتيته على علم مني بوجوه المكاسب، أو على خير عندي، أو على علم من الله بفضلي وليس ذلك الذي أعطيناك لما ذكرت، بل هو محنة لك، واختبار لحالك أتشكر أم تكفر؟ ولكن أكثرهم لا يعلمون أن ذلك استدراج لهم من الله، وامتحان لما عندهم من الشكر أو الكفر، ولذلك يخوضون في نعم الله بالباطل دون مراقبة للمنعم بها. ٥٠- أي: قال هذه الكلمة، وهي قولهم: إنما أوتيته على علم، الذين من قبلهم، كقارون وغيره ولم يغن عنهم ما كسبوا من متاع الدنيا شيئا. ٥١- أي: جزاء سيئات كسبهم والذين ظلموا من هؤلاء الموجودين من الكفار سيصيبهم سيئات ما كسبوا كما أصاب من قبلهم، من القحط والقتل والأسر والقهر وما هم بفائتين على الله، بل مرجعهم إليه، يصنع بهم ما شاء من العقوبة. ٥٢- أي: يوسع الرزق لمن يشاء أن يوسعه له بقبضه لمن يشاء أن يقبضه ويضيقه عليه إن في ذلك لدلالات عظيمة وعلامات جليلة ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

٥٣- المراد بالإسراف: الإفراط في المعاصي والاستكثار منها لا تيأسوا من مغفرته سبحانه وهذه الآية أرجى آية في كتاب الله، لاشتمالها على أعظم بشارة، فإنه أولا أضاف العباد إلى نفسه لقصد تشريفهم ومزيد تبشيرهم، ثم وصفهم بالإسراف في المعاصي والاستكثار من الذنوب، ثم عقَّب ذلك بالنهي عن القنوط من الرحمة لهؤلاء المستكثرين من الذنوب، فالنهي عن القنوط للمذنبين غير المسرفين من باب الأولى وبفحوى الخطاب، ثم جاء بما لا يبقى بعده شك إن الله يغفر كلّ ذنب كائنا ما كان إن شاء إلا الشرك الذي لم يتب منه صاحبه لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ ثم أكد ذلك بقوله ﴿جَمِيعًا﴾ فيا لها من بشارة ترتاح لها قلوب المؤمنين المحسنين، إنه هو كثير المغفرة والرحمة عظيمهما بليغهما واسعهما، فمن ظنّ أن تقنيط عباد الله وتأييسهم من رحمته أولى بهم مما بشرهم الله به، فقد ركب أعظم الشطط، وغلط أقبح الغلط.

٥٤- أي لما بشرهم سبحانه بأنه يغفر الذنوب جميعا، أمرهم بالرجوع إليه، بفعل الطاعات واجتناب المعاصي، والاستسلام لأمره، والخضوع لحكمه من قبل أن يأتيكم عذاب الدنيا. ٥٥- يعني القرآن، أحلوا حلاله وحرموا حرامه، والتزموا طاعته واجتنبوا معاصيه. والقرآن كله حسن. من قبل أن يفاجئكم العذاب وأنتم غافلون عنه لا تشعرون به، وقيل: أراد أنهم يموتون بغتة فيقعون في العذاب.

أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ٥٧
أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ
مِنَ الْمُحْسِنِينَ ٥٨ بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا
وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ٥٩ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ
تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِي
جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ٦٠ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا
بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٦١ اللَّهُ
خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ٦٢ لَّهُ مَقَالِيدُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ
هُمُ الْخَاسِرُونَ ٦٣ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا
الْجَاهِلُونَ ٦٤ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ
أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ٦٥ بَلِ اللَّهَ
فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ٦٦ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ
وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ
مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٦٧

٥٦- أي: حذرا أن تقول النفس الكافرة يا حسرتي على ما فرطت في طاعة الله، وما فرطت في الإيمان بالله، وبالقرآن والعمل به. وقال الفراء: في قرب الله وجواره وإن كنت لمن المستهزئين بدين الله في الدنيا، لم يكفه أن ضيَّع طاعة الله حتى سخر من أهلها.

٥٧- أي: لو أن الله أرشدني إلى دينه لكنت ممن يتقي الشرك والمعاصي.

٥٨- أي: رجعة إلى الدنيا فأكون من المؤمنين بالله الموحدين له، المحسنين في أعمالهم.

٥٩- المراد الآيات التنزيلية وهي القرآن.

٦٠- أي حين ادّعوا بأن له شركاء وصاحبة وولدا ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ لما أحاط بهم من العذاب، وشاهدوه من غضب الله ونقمته وإن في جهنم مسكنا ومقاما للمتكبرين عن طاعة الله، والكبر: هو بطر الحق وغمط الناس، كما ثبت في الحديث الصحيح.

٦١- أي: اتقوا الشرك ومعاصي الله ينجيهم الله بفوزهم: أي بنجاتهم من النار وفوزهم بالجنة وينفي السوء والحزن عنهم.

٦٢- أي من الأشياء الموجودة في الدنيا والآخرة، كائنا ما كان، من غير فرق بين شيء وشيء ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ فهو القائم بحفظها وتدبيرها من غير مشارك له.

٦٣- أي وهي مفاتيح السماوات والأرض والرزق والرحمة.

٦٤- أي أمره الله سبحانه أن يقول هذا للكفار لما دعوه إلى ما هم عليه من عبادة الأصنام، وقالوا: هو دين آبائك.

٦٥- أي: من الرسل، أي: قيل لكل واحد منهم: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ والشرك إذا كان موجبا لإحباط عمل الأنبياء، على الفرض والتقدير، فهو محبط لعمل غيرهم من أممهم بطريق الأولى.

٦٦- أي اعبده وحده، ولا تعبد معه أحدًا سواه.

٦٧- أي: ما عظموه حق تعظيمه وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة، سمعت رسول الله ﷺ يقول «يقبض الله الأرض يوم القيامة، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض؟».

وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ
إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٞ يَنظُرُونَ
﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ
بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ
﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٖ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾
وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا
فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٞ مِّنكُمْ
يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ
هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ
﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئْسَ مَثْوَى
ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى
ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ
خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾
وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ
نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾

٦٨- أي: هذه هي النفخة الأولى، والصور: هو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ فمات من الفزع وشدة الصوت أهل السماوات والأرض. والصعق الموت في الحال ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ قيل المستثنى هو إسرافيل نفسه، ثم يموت بعد ذلك ثم نفخ فيه نفخة أخرى فإذا الخلق كلهم قيام على أرجلهم ينظرون ما يقال لهم أو ينتظرون ذلك.

٦٩- فإن الله نور السماوات والأرض. وقيل المعنى: أن الأرض أضاءت وأنارت بما أقامه الله من العدل بين أهلها، وما قضى به من الحق بين عباده ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ يعني الكتب والصحف التي فيها أعمال بني آدم فآخذ بيمينه، وآخذ بشماله. وقيل: وضع الكتاب للحساب وجيء بالنبيين إلى الموقف فسئلوا عما أجابتهم به أممهم والشهداء الذين يشهدون على الأمم من أمة محمد ﷺ وبالشهداء الذين استشهدوا في سبيل الله، فيشهدون يوم القيامة بالبلاغ على من بلّغوه فكذّب بالحق وقضي بين العباد بالعدل والصدق وهم لا ينقصون من ثوابهم، ولا يزاد على ما يستحقونه من عقابهم، وجزاؤهم على قدر أعمالهم.

٧٠- أي من خير وشر وهو أعلم بما يفعلون في الدنيا، لا يحتاج إلى كاتب ولا حاسب ولا شاهد، وإنما وضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء لتكميل الحجة، وقطع المعذرة.

٧١- أي: سيق الكافرون إلى النار، جماعات متفرّقة، بعضها يتلو بعضا لكل جماعة قائد، هو رأسهم في الكفر، وداعيتهم إليه حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها ليدخلوها، وهي سبعة أبواب وقال لهم خزنتها من الملائكة حفظة النار والقائمين عليها ألم يأتكم رسل من أنفسكم يتلون عليكم آيات ربكم التي أنزلها عليها ويخوّفونكم لقاء هذا اليوم الذي صرتم فيه قالوا بلى قد أتتنا الرسل بآيات الله، وأنذرونا بما سنلقاه ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين فلما اعترفوا هذا الاعتراف:

٧٢- أي التي قد فتحت لكم لتدخلوها مقدّرًا لكم فيها من قبل الله الخلود فبئس المسكن الدائم، جهنم للمتكبرين.

٧٣- أي ساقتهم الملائكة سوق إعزاز وتشريف وتكريم حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها لاستقبالهم وقال لهم خزنتها سلامة لكم من كلّ آفة طبتم في الدنيا فلم تتدنسوا بالشرك والمعاصي فادخلوا الجنة خالدين لا يلحقكم موت فيها ولا فناء.

٧٤- بالبعث والثواب بالجنة وأورثنا الجنة، كأنها صارت من غيرهم إليهم فملكوها وتصرفوا فيها، نتخذ فيها من المنازل ما نشاء حيث نشاء فنعم أجر العاملين الجنة.

وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ
رَبِّهِمْ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾

سُورَةُ غَافِرٍ

ترتيبها ٤٠ — آياتها ٨٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نصف الحزب ٤٧

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ
ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ
نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ
لِيَأْخُذُوهُ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ
فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى
ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ
وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا
فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾

٤٦٧

٧٥- أي: محيطين محدقين به حال كونهم مسبحين لله، ملتبسين بحمده وقضي بين العباد بإدخال بعضهم الجنة، وبعضهم النار، وقيل المعنى: قضي بين النبيين الذين جيء بهم مع الشهداء وبين أممهم بالحق ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ هم المؤمنون، حمدوا الله على قضائه بينهم وبين أهل النار بالحق، وقيل: القائلون هم الملائكة حمدوا الله تعالى على عدله في الحكم، وقضائه بين عباده بالحقّ، وعلى إتمامه الأمر بإدخال أهل الجنة في منازلهم وأهل النار في منازلهم.

سُورَةُ غَافِرٍ

هي مكية إلا آيتين نزلتا بالمدينة وتسمى أيضا سورة المؤمن.

١- هذا من الحروف المقطعة في فواتح السور وتقدم الكلام فيها في أول سورة البقرة.

٢- المعنى: أن القرآن منزل من عند الله ليس بكذب عليه، والعزيز: الغالب القاهر، والعليم: البالغ العلم بخلقه وما يقولونه يفعلونه.

٣- المعنى: أنه تعالى غافر الذنب لأوليائه وقابل توبتهم وشديد العقاب لأعدائه ذي الإنعام على عباده والتفضل عليهم بما لم يكن حقا لهم، بل بمحض إحسانه تعالى، لا إله إلا هو إليه الرجوع، لا إلى غيره، وذلك في اليوم الآخر.

٤- أي ما يخاصم في دفع آيات الله وتكذيبها إلا الذين كفروا، ثم نهى رسوله ﷺ عن أن يغترّ بشيء من حظوظهم الدنيوية، كالتجارة في البلاد، وما يحصّلونه من الأرباح، ويجمعونه من الأموال، فإنهم معاقبون عما قليل، وإن أمهلوا فإنهم لا يهملون.

٥- أي وكذبت الأحزاب الذين تحزبوا على الرسل من بعد قوم نوح كعاد وثمود وهمت كلّ أمّة من تلك الأمم المكذبة برسولهم الذي أرسل إليهم ليتمكنوا منه فيحبسوه ويعذبوه ويصيبوا منه ما أرادوا وخاصموا رسولهم بالباطل من القول ليدحضوا به الحقّ ليزيلوه وليبطلوا الإيمان. فأخذت هؤلاء المجادلين بالباطل فيكف كان عقابي الذي عاقبتهم به.

٦- المعنى: وكما حقت كلمة العذاب على الأمم المكذبة لرسلهم حقت على الذين كفروا بك يا محمد، وجادلوك بالباطل، وتحزبوا عليك وتلك الكلمة هي أنهم مستحقون للنار.

٧- أي إن الملائكة الذين هم حملة العرش وهم أعلى طبقات الملائكة، وكذلك الملائكة الذين هم حول العرش يتزهون الله ملتبسين بحمده على نعمة، ويؤمنون بالله ويستغفرون الله لعباده المؤمنين به، يقولون ربنا وسعت رحمتك وعلمك كل شيء فاغفر للذين تابوا عن الذنوب واتبعوا سبيل الله، وهو دين الإسلام واحفظهم من عذاب الجحيم.

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ
مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ
يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ
أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾
قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا
فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ
ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ
ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ
لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾
فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾
رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن
يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ
عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾

٨- أي وأدخل معهم من صلح من هؤلاء بأن كان مؤمنًا موحدًا قد عمل الصالحات، تكميلا لنعمتك عليهم، وتماما لسرورهم. ٩- أي احفظهم من العذاب على ما عملوا من الأعمال السيئة، بأن تغفرها لهم ولا تؤاخذهم بشيء منها، وقهم ما يسوؤهم من العذاب ومن تق السيئات يوم القيامة فقد رحمته من عذابك وأدخلته جنتك. ١٠- أي يقول كل إنسان من أهل النار لنفسه: مقتُّك يا نفس، فتقول الملائكة لهم وهم في النار: لمقت الله إياكم في الدنيا ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾﴾ أكبر من مقتكم لأنفسكم إذ عاينتم النار. ١١- المراد بالإماتتين: أنهم كانوا نطفا لا حياة لهم، في أصلاب آبائهم، ثم أماتهم بعد أن صاروا أحياء في الدنيا. والمراد بالإحياءتين: أنه أحياهم الحياة الأولى في الدنيا ثم أحياهم عند البعث فاعترفنا بذنوبنا التي أسلفناها في الدنيا من تكذيب الرسل، والإشراك بالله وترك توحيده. فاعترفوا حيث لا ينفعهم الاعتراف، وندموا حيث لا ينفعهم الندم فهل تُيسِّرُ لنا طريقًا كيفما كانت لنتمكن من الخروج من النار والرجوع إلى الدنيا؟ ١٢- أي ذلك الذي أنتم فيه من العذاب بسبب أنكم كنتم إذا دعي الله في الدنيا وحده دون غيره كفرتم به وتركتم توحيده وإن يشرك به غيره من الأصنام أو غيرها تؤمنوا بالإشراك به وتجيبوا الداعي إليه فالحكم لله وحده دون غيره، وهو الذي حكم عليكم بالخلود في النار وعدم الخروج منها وهو العلي: المتعالي عن أن يكون له مماثل في ذاته ولا صفاته والكبير: الذي كبر عن أن يكون له مثل أو صاحبة أو ولد أو شريك. ١٣- أي: دلائل توحيده وعلامات قدرته وينزل لكم من السماء المطر فإنه سبب الأرزاق. جمع سبحانه بين إظهار الآيات، وإنزال الأرزاق لأن بإظهار الآيات قوام الأديان، وبالأرزاق قوام الأبدان وما يتذكر ويتعظ بتلك الآيات الباهرة إلا من يرجع إلى طاعة الله، بما يستفيده من النظر في آيات الله. ١٤- أي: مخلصين له العبادة التي أمركم بها ولو كره الكافرون ذلك، فلا تلتفتوا إلى كراهتهم، ودعوهم يموتوا بغيظهم، ويهلكوا بحسرتهم. ١٥- أي: هو الذي يريكم آياته، وهو رفيع الدرجات، رفيع الصفات، صاحب العرش مالكه وخالقه والمتصرف فيه، وذلك يقتضي علو شأنه وعظم سلطانه، وسمي الوحي روحًا، لأن الناس يحيون به من موت الكفر، كما تحيا الأبدان بالأرواح ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ وهم الأنبياء: يختارهم ممن يصطفي من عباده. لينذر العذاب يوم يلتقي أهل السماوات والأرض في المحشر، ويلتقي الأولون والآخرون. ١٦- أي: خارجون من قبورهم في العراء لا =

ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ
لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ
يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾
وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ
بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى
ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ
كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ
بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ
كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ
قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا
وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ
فَقَالُوا۟ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ
عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟
نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴿٢٥﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٤٧

= يسترهم شيء لا يخفى على الله من أعمالهم التي عملوها في الدنيا، ولا يخفى عليه ما تكن صدورهم وما يعلنون وإذا حضر كل من في السموات والأرض، يقول الرب تبارك وتعالى ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ يعني يوم القيامة، فلا يجيبه أحد، فيجيب تعالى نفسه، فيقول: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ وقال الحسن: هو السائل تعالى، وهو المجيب حين لا أحد يجيبه، فيجيب نفسه.

١٧- أي: من خير وشر لا ظلم اليوم على أحد منهم ينقص من ثوابه أو بزيادة في عقابه إن الله سريع حسابه، لأنه سبحانه لا يحتاج إلى تفكر في ذلك كما يحتاجه غيره، لإحاطة علمه بكل شيء، فلا يعزب عنه مثقال ذرة.

١٨- أي: يوم القيامة سميت بذلك لقربها. ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾ كأنها تزول عن مواضعها من الخوف حتى تصير إلى الحنجرة، مغمومين مكروبين ممتلئين غمًا، ما للظالمين من قريب ينفعهم ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾ في شفاعته لهم.

١٩- أي: يعلم الله مسارقة النظر إلى ما لا يحل النظر إليه. وقال قتادة: خائنة الأعين الهمز بالعين فيما لا يحب الله وما تسره الضمائر من معاصي الله.

٢٠- أي: فيجازي كل أحد بما يستحقه من خير وشر، والذين يدعون من دون الله لا يقضون بشيء لأنهم لا يعلمون شيئًا، ولا يقدرون على شيء.

٢١- ثم أرشدهم سبحانه إلى الاعتبار بغيرهم، فإن الذين مضوا من الكفار كانوا هم أشد من هؤلاء الحاضرين من الكفار وأقوى وآثارًا في الأرض بما عمروا فيها من الحصون والقصور فأخذهم الله بسبب ذنوبهم وما كان لهم من الله من دافع يدفع عنهم العذاب.

٢٢- أي: الحجج الواضحة فكفروا بما جاءهم به فأخذهم الله إنه قوي يفعل كل ما يريده لا يعجزه شيء شديد العقاب لمن عصاه ولم يرجع إليه.

٢٣- ﴿بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ وهي التسع الآيات التي قد تقدم ذكرها في غير موضع، و﴿وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾﴾: حجة بينة واضحة.

٢٤- ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُوا۟﴾ إنه فيما جاء به ساحر وكذاب وخصهم الله بالذكر لأنهم رؤساء المكذبين بموسى.

٢٥- وهي معجزاته الظاهرة الواضحة ولما بعث الله موسى أعاد فرعون القتل على بني إسرائيل، فكان يأمر بقتل الذكور وترك النساء.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ
أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾
وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ
لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ
فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ
ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا
فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِي
يَعِدُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ
لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ
بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ
أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّيٓ
أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ
وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾
وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ
مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾

٢٦- أي: اتركوني أقتله ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ أي: الذي يزعم أنه أرسله إلينا، فليمنعه من القتل إن قدر على ذلك، فإنه لا رب له حقيقة، بل أنا ربكم الأعلى إني أخاف أن يبدل دينكم الذي أنتم عليه من عبادة غير الله، ويدخلكم في دينه الذي هو عبادة الله وحده أو أن يوقع بين الناس الخلاف والفتنة.

٢٧- أي: استعاذ بالله عز وجل من كل متعظم عن الإيمان بالله، غير مؤمن بالبعث والنشور. ويدخل فرعون في هذا العموم دخولاً أوليًّا.

٢٨- قال الحسن: كان قبطيًّا وهو ابن عم فرعون: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله والحال أنه قد جاءكم بالمعجزات الواضحات، والدلالات الظاهرات على نبوته وصحة رسالته، ثم تلطف لهم في الدفع عنه، فقال: ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ ولم يكن قوله هذا لشك منه، فإنه كان مؤمنًا كما وصفه الله. ومعنى ﴿يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمْ﴾: أنه إذا لم يصبكم كله فلا أقل من أن يصيبكم بعضه، وفي بعض ذلك هلاككم، ثم كان من تمام كلام الرجل المؤمن، أنه لو كان موسى مسرفًا كذابًا لما هداه الله إلى البينات، ولا أيده بالمعجزات، ولو كان كاذبًا على الله خذله الله وأهلكه، فلا حاجة لكم إلى قتله.

٢٩- واعلموا يا قوم أن لكم الملك اليوم والغلبة والظهور في أرض مصر، فمن يمنعنا من عذابه سبحانه ويحول بيننا وبينه عند مجيئه. فلما سمع فرعون ما قاله هذا الرجل من النصح الصحيح جاء بمراوغة يوهم بها قومه أنه لهم من النصيحة والرعاية بمكان مكين، وأنه لا يسلك بهم إلا مسلكًا يكون فيه جلب النفع لهم ودفع الضرر عنهم، ولهذا قال: ما أشير عليكم إلا بما أرى لنفسي وما أهديكم بهذا الرأي إلا طريق الصواب الذي إذا اتبعتموه لم تضلوا.

٣٠- فردّ مؤمن آل فرعون: يا قوم إني أخشى عليكم العذاب بسبب تكذيبكم مثل العذاب الذي نزل بكل مَنْ تحزّب على أنبياء الله.

٣١- أي: مثل حالهم في العذاب، أو مثل عادتهم في الإقامة على التكذيب ولا يعذبهم الله بغير ذنب.

٣٢- المعنى: يوم ينادي بعضهم بعضًا، ويستغيث بعضهم ببعض، أو ينادي أهل النار أهل الجنة، وأهل الجنة أهل النار.

٣٣- أي: منصرفين عن الموقف إلى النار، أو فارين منها وما يعصمكم من عذاب الله ويمنعكم منه عاصم ولا مانع.

وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ
مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ
مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ
مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ
أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ
يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ
يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ
وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ
وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ
ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾
يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ
دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ
وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾

٣٤- أي: يوسف بن يعقوب عليه السلام جاءهم بالمعجزات والآيات الواضحات المبينة لدين الله وشرائعه، من قبل مجيء موسى إليهم، أي: جاء إلى آبائكم فما زلتم في شك مما جاءكم به من البينات ولم تؤمنوا به حتى إذا هلك يوسف فكفروا به في حياته، وكفروا بمن بعده من الرسل بعد موته كذلك يضل الله من هو مسرف في معاصي الله مستكثر منها، شاك في دين الله ووحدانيته ووعده ووعيده.

٣٥- أي: يجادلون في آيات الله ليبطلوها، بغير حجة واضحة ولا دليل بيّن وما أكبر ما يمقت الله والمؤمنون جدالهم هذا، لأنه جدال بالباطل لا يستندون فيه إلى أصل، وكما طبع على قلوب هؤلاء المجادلين فكذلك يختم على قلوب جميع المتكبرين الجبارين.

٣٦- وقال فرعون يا هامان ابن لي قصرًا مشيدًا لعلي أبلغ الطرق.
وقال قتادة: هي الأبواب.

٣٧- أي: أصعد في الصرح فأنظر إلى إله موسى وكان موسى أخبره أن الله في السماء وإني لأظنه كاذبًا في ادعائه بأن له إلهًا، أو فيما يدعيه من الرسالة وكذلك زين لفرعون سوء عمله من الشرك والتكذيب، فتمادى في الغي واستمر على الطغيان وزين له الشيطان عمله فصده عن سبيل الرشاد، وما كيده - أي هو تدبيره الذي دبّره ليصرف الناس عن الإيمان بموسى عليه السلام - إلا في الخسار والهلاك.

٣٨- أي: اقتدوا بي في الدين فإن فعلتم عرفتم الطريق الذي يوصل إلى الجنة.

٣٩- متاع: أي: يتمتع بها أيامًا ثم تنقطع وتزول وإن الآخرة هي دار القرار لكونها دائمة لا تنقطع، ومستمرة لا تزول.

٤٠- أي: من عمل في دار الدنيا معصية من المعاصي - كائنة ما كانت - فلا يجزي إلا مثلها، ولا يعذب إلا بقدرها، ومن عمل عملاً صالحًا مع كونه مؤمنًا بالله وبما جاءت به رسله فأولئك الذين جمعوا بين العمل الصالح والإيمان يدخلون الجنة يرزقون فيها رزقًا حسنًا وافرًا بغير تقدير أو محاسبة.
وقال مقاتل: يقول: لا تبعة عليهم فيما يعطون في الجنة من الخير.

وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى
ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ
لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ
أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْأٓخِرَةِ
وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ
﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى
ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ
مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ
يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟
ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي
ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا
لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ
﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ
قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ
جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾

٤١- وكرر ذلك الرجل المؤمن دعاهم إلى الله، وصرح بإيمانه، ولم يسلك المسالك المتقدمة من إيهامه لهم أنه منهم. أي: أخبروني عنكم كيف أدعوكم إلى النجاة من النار ودخول الجنة بالإيمان بالله وإجابة رسله وتدعونني إلى النار بما تريدونه مني من الشرك. ثم فسر الدعوتين فقال:

٤٢- تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما لا علم لي بكونه شريكًا لله والحال أني أدعوكم إلى الله تعالى خالق كل شيء لتؤمنوا به فيغفر لكم العزيز في انتقامه ممن كفر، الغفار لذنب من آمن به.

٤٣- أي: إن الذي تدعونني إليه ليس له استجابة دعوة تنفع، وليس له ما يستحق أو يوجب الإلوهية في الدنيا ولا في الآخرة، وأن مرجعنا إلى الله تعالى في الدار الآخرة وأن المشركين هم أهل النار.

٤٤- أي: إذا نزل بكم العذاب، وتعلمون أني قد بالغت في نصحكم وتذكيركم. وأتوكل عليه، وأسلم أمري إليه، قيل: أنه قال هذا لما أرادوا الإيقاع به. قال مقاتل: هرب هذا المؤمن إلى الجبل فلم يقدروا عليه.

٤٥- أي: وقاه الله ما أرادوا به من المكر السيئ وما أرادوه به من الشر وأحاط بآل فرعون ونزل عليهم سوء العذاب، وقد عذبوا في الدنيا جميعًا بالغرق، وسيعذبون في الآخرة بالنار.

٤٦- ذهب الجمهور أن هذا العرض هو في البرزخ، أي: بعد موتهم وقبل مجيء القيامة.
ويقال للملائكة: أدخلوا آل فرعون في جهنم إلى المكان الذي فيه العذاب أشد من غيره.

٤٧- وإذ يتخاصم أهل النار فيها ﴿فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟﴾ عن الانقياد للأنبياء والاتباع لهم، ومكروا لصد الناس عن الإيمان بهم، وهم رؤساء الكفر إنا كنا تابعين لكم، وكنتم قادتنا ورؤساءنا، وقد صدقنا ما كنتم تقولونه لنا، فباتباعنا لكم دخلنا النار فهل تدفعون عنا نصيبًا من النار أو تحملونه معنا.

٤٨- والمعنى: إنا نحن وأنتم جميعًا في جهنم، فكيف نغني عنكم إن الله قد قضى بين العباد بأن فريقًا في الجنة، وفريقًا في السعير.

٤٩- وقال الذين في النار من الأمم الكافرة، مستكبرهم وضعيفهم لخزنة جهنم الملائكة القائمون عليها بتعذيب أهل النار اشتد علينا العذاب أي: طلبوا من الملائكة أن يشفعوا لهم لدى الله تعالى لتخفيف يسير.

قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟
بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ
﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ
وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى
ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى
وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ
حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ
وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ
ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ
مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ
خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾
وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾

٥٠- أي: أتونا بها فكذبناهم، ولم نؤمن بهم ولا بما جاءوا به من الحجج. فلما اعترفوا قال لهم: الملائكة الذين هم خزنة جهنم إذا كان الأمر كذلك فادعوا أنتم، فإنا لا ندعو لمن كفر بالله وكذب رسله بعد مجيئهم بالحجج الواضحة. ثم أخبروهم بأن دعاءهم لا يفيد شيئًا، فقالوا: وما دعاء الكافرين إلا في ضياع وبطلان، فلن يستجاب.

٥١- أي: نجعلهم الغالبين لأعدائهم القاهرين لهم في الحياة الدنيا بما عودهم الله من الانتقام منهم بالقتل والسلب والأسر والقهر ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ وهو يوم القيامة. والأشهاد الملائكة، تشهد للأنبياء بالإبلاغ، ومعنى نصرهم أن الله يجازيهم بأعمالهم فيدخلهم الجنة ويكرمهم بكراماته، ويجازي الكفار بأعمالهم فيلعنهم ويدخلهم النار.

٥٢- أي: لأنها معذرة باطلة، وتعلة داحضة، وشبهة زائغة، البعد عن الرحمة ولهم سوء الدار: نار جهنم.

٥٣- آتيناه التوراة والنبوة، قال مقاتل: الهدى من الضلالة: يعني كالتوراة وأورثنا بني إسرائيل التوراة، بقيت بعد موسى فيهم، وتوارثوها خلفًا عن سلف.

٥٤- ﴿هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾﴾ أي: هاديًا ومذكرًا لأهل العقول السليمة.

٥٥- فاصبروا على أذى المشركين كما صبر من قبلك من الرسل إن وعد الله الذي وعد به رسله لا خلف فيه ولا شك في وقوعه واستغفر لذنبك لزيادة الثواب - وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه - وما تأخر ودم على تنزيه الله ملتبسًا بحمده، وقيل: المراد صل في الوقتين صلاة العصر وصلاة الفجر.

٥٦- أي: بغير حجة ظاهرة واضحة جاءتهم من جهة الله سبحانه إن في صدورهم إلا تكبر عن الحق يحملهم على تكذيبك ﴿مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾ أي تكبر على محمد ﷺ وطمع أن يغلبونه، وما هم ببالغي ذلك، أو يطلبون أمرًا كبيرًا يصلون به إليك من القتل ونحوه، ولا يبلغون ذلك فالتجئ إليه من شرهم وكيدهم وبغيهم عليك، إنه السميع لأقوالهم البصير بأفعالهم، لا تخفى عليه من ذلك خافية.

٥٧- أي: أعظم في النفوس، وأجل في الصدور، لعظم أجرامها، واستقرارهما من غير عمد، وجريان الأفلاك بالكواكب، أي: فكيف ينكرون البعث وإحياء ما هو دونهما من كل وجه، كما في قوله ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ ولكن أهل الكفر لا يعلمون بعظيم قدرة الله.

٥٨- أي الذي يجادل بالباطل والذي يجادل بالحق ولا يستوي المحسن بالإيمان والعمل الصالح والمسيء بالكفر والمعاصي، وفي ذلك تذكرة للمتذكرين ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ
دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟
فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ
ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ
﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ
﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ
بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ
ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ
مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلْ
إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ
ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾

٤٧٤

ربع الحزب ٤٨

٥٩- أي: لا شك في مجيئها وحصولها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون بذلك ولا يصدقونه، لقصور أفهامهم وضعف عقولهم عن إدراك الحجة.

٦٠- المراد: المراد بالدعاء السؤال بجلب النفع ودفع الضر، والدعاء في نفسه عبادة، بل هو العبادة، كما ورد بذلك الحديث الصحيح، ثم إن دعاء غير الله لا يفيد الداعي شيئًا والقادر على إجابة الدعاء هو الله، فالله سبحانه قد أمر عباده بدعائه ووعدهم بالإجابة ووعده الحق إن الذين يستكبرون عن دعائي ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ هذا وعيد شديد لمن استكبر عن دعاء الله، فيا عباد الله وجهوا رغباتكم وعوّلوا في كل طلباتكم على من أمركم بتوجيهها إليه، وكفل لكم الإجابة به، فهو الكريم يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، ويغضب على من لم يطلب من فضله العظيم وملكه الواسع ما يحتاجه من أمور الدنيا والدين.

٦١- الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه من الحركات في طلب الكسب لكونه جعله مظلمًا باردًا تناسبه الراحة بالسكون والنوم والنهار مضيئًا لتبصروا فيه حوائجكم، وتتصرفوا في طلب معايشكم إن الله لذو فضل على الناس يتفضل عليهم بنعمه التي لا تحصى ولكن أكثر الناس لا يشكرون النعم ولا يعترفون بها، إما لجحودهم لها، أو لإغفالهم للنظر وإهمالهم لما يجب من شكر المنعم.

٦٢- أي: فكيف تنقلبون عن عبادته وتنصرفون عن توحيده.

٦٣- أي: مثل هذا الإفك يؤفك الجاحدون لآيات الله المنكرون لتوحيده، أي: يُصرفون عن اتباع الصراط القويم.

٦٤- أي: جعل لكم الأرض موضع قرار، وفيها تحيون وفيها تموتون، والسماء سقفًا قائمًا ثابتًا وخلقكم في أحسن صورة: ورزقكم من المستلذات ذلك المنعوت بهذه النعوت الجليلة ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ أي: كثر خيره وبركته.

٦٥- أي: الباقي الذي لا يفنى المنفرد بالألوهية فأخلصوا له الطاعة والعبادة فالحمد لله رب العالمين، عن ابن عباس قال: من قال لا إله إلا الله، فليقل على أثرها: الحمد لله رب العالمين، وذلك قوله ﴿فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾.

٦٦- قل إني نهاني خالقي الذي لا إله بحق إلا هو أن أعبد الذين تعبدون من دونه من آلهتكم الباطلة لما جاءتني الأدلة العقلية والنقلية من خالقي فإنها توجب التوحيد وأمرت أن أستسلم له بالانقياد والخضوع.

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ
يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟
شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى
وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا
قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ
يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟
بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ
﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾
فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ
مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ
نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾
ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ
تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ
مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا
نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾

٦٧- أي: خلق أباكم الأول، وهو آدم وخلقه من تراب يستلزم خلق ذريته منه ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ قد تقدم تفسير هذا في أول سورتي الحج والمؤمنون، ثم يخرجكم أطفالًا، على معنى يخرج كل واحد منكم طفلاً ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ﴾ وهي الحالة التي تجتمع فيها القوة والعقل. ﴿ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا﴾ الشيخ من جاوز أربعين سنة ومنكم من يتوفى من قبل الشيخوخة ولتبلغوا وقت الموت أو يوم القيامة ولكي تعقلوا توحيد ربكم، وتعلموا عظم قدرته البالغة في خلقكم على هذه الأطوار المختلفة.

٦٨- أي يقدر على الإحياء والإماتة فإذا قضى أمرًا من الأمور التي يريدها فإنما يقول له كن فيكون من غير توقف.

٦٩- أي: كيف يصرفون عن الإيمان بها مع قيام الأدلة الدالة على صحتها، وأنها في أنفسها موجبة للتوحيد: وهم المشركون.

٧٠- الذين كذبوا بالقرآن أو جنس الكتب المنزلة من عند الله وبما يوحي إلى الرسل من غير كتاب فسوف يعلمون عاقبة أمرهم ووبال كفرهم.

٧١، ٧٢- أي: أعناقهم في الأغلال والسلاسل يسحبون بها في الحميم، والحميم: هو الماء المتناهي في الحرارة ثم توقد بهم النار، فصاروا وقودها.

٧٣، ٧٤- ثم تقول لهم الملائكة تقريعًا لهم وتوبيخًا أين الشركاء الذين كنتم تعبدونهم من دون الله ما لهم لا ينقذونكم مما أنتم فيه؟ قالوا: ذهبوا وفقدناهم فلا نراهم بل لم نكن نعبد شيئًا، قالوا هذا لما تبين لهم ما كانوا فيه من الضلالة والجهالة، وأنهم كانوا يعبدون ما لا يبصر ولا يسمع، ولا يضر ولا ينفع، وذاك الذي صدر عنهم اعتراف منهم بأن عبادتهم إياها كانت باطلة، ومثل ذلك الضلال يضل الله الكافرين حيث عبدوا هذه الأصنام التي أوصلتهم إلى النار.

٧٥- أي: ذلك العذاب سببه ما كنتم تظهرون في الدنيا من الفرح بمعاصي الله والسرور بمخالفة رسله وكتبه وبما كنتم تبطرون وتأشرون. والمرح: البطر والخيلاء.

٧٦- فادخلوا أبواب جهنم السبعة فبئس منزل المتكبرين عن قبول الحق جهنم.

٧٧- أي: وعده بالانتقام منهم وهو كائن لا محالة، إما في الدنيا، أو في الآخرة فإما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب في الدنيا بالقتل والأسر والقهر أو نتوفينك قبل إنزال العذاب بهم والعاقبة لدعوى الإسلام ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾﴾ يوم القيامة فنعذبهم.

وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ
وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ
بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلۡحَقِّ وَخَسِرَ
هُنَالِكَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ٧٨ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمَ
لِتَرۡكَبُواْ مِنۡهَا وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٧٩ وَلَكُمۡ فِيهَا
مَنَٰفِعُ وَلِتَبۡلُغُواْ عَلَيۡهَا حَاجَةٗ فِي صُدُورِكُمۡ وَعَلَيۡهَا وَعَلَى
ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ ٨٠ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَأَيَّ ءَايَٰتِ
ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ٨١ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِنۡهُمۡ وَأَشَدَّ
قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ
٨٢ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم
مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٨٣ فَلَمَّا
رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ
مُشۡرِكِينَ ٨٤ فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ
ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٥

٧٨- ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من أنبأناك بأخبارهم، وما لقوه من قومهم ومنهم من لم نقصص عليك خبره ولا أوصلنا إليك علم ما كان بينه وبين قومه ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ لا من قبل نفسه، والمراد بالآية المعجزة الدالة على نبوته فإذا جاء الوقت المعين لعذابهم في الدنيا أو في الآخرة ﴿قُضِيَ بِٱلۡحَقِّ﴾ فيما بينهم فينجي الله بقضائه الحق عباده المحقين وخسر في ذلك الوقت الذين يتبعون الباطل ويعملون به.

٧٩- أي: خلقها لأجلكم، وهي الأزواج الثمانية المذكورة في سورة الأنعام [الآية: ١٤٣] لتركبوا بعضها وتأكلوا بعضها.

٨٠- ولكم فيها منافع أخر غير الركوب والأكل، من الوبر والصوف والشعر والزبد والسمن والجبن وغير ذلك وتحمل أثقالكم من بلد إلى بلد فتقضون حاجاتكم في البلاد البعيدة بيسر وسهولة وعلى الإبل في البر، وعلى السفن في البحر تحملون.

٨١- أي: دلالاته الدالة على كمال قدرته ووحدانيته كلها من الظهور وعدم الخفاء بحيث لا ينكرها ذو بصيرة نيرة إن كان منصفًا.

٨٢- أي: من الأمم التي عصت الله، وكذبت رسلها، فإن الآثار الموجودة في ديارهم تدل على ما نزل بهم من عقوبة وما صاروا إليه من سوء العاقبة، كانوا أكثر عددًا، وأقوى منهم أجسادًا، وأوسع منهم أموالاً وأظهر منهم آثارًا في الأرض بالعمائر والمصانع والحرث فلم يغن عنهم كل ما عملوه في دنياهم من الشرك والكيد والمكر، ولا نفعهم ذلك في رد أمر الله عنهم ومؤاخذتهم على ما تجنيه أيديهم من الظلم ومخالفة أمر الله.

٨٣- أي: بالحجج الواضحات والمعجزات، أظهروا الفرح بما عندهم مما يدعون أنه من العلم، من الشبه الداحضة والدعاوي الزائغة. وقيل: المراد: ما عندهم من علم أحوال الدنيا لا أحوال الدين كما في قوله ﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ وأحاط بهم جزاء استهزائهم.

٨٤- فلما عاينوا عذابنا النازل بهم ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ ٨٤﴾ وهي الأصنام التي كانوا يعبدونها.

٨٥- أي: عند معاينة عذابنا، لأن ذلك الإيمان ليس بالإيمان النافع لصاحبه، فإنه إنما ينفع الإيمان الاختياري لا الإيمان الاضطراري، وأن الله سبحانه سن هذه السنة في الأمم كلها: أنه لا ينفعهم الإيمان إذا رأوا العذاب ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٥﴾ أي: وقت رؤيتهم بأس الله ومعاينتهم لعذابه، والكافر خاسر في كل وقت، ولكنه يتبين لهم خسرانهم إذا رأوا العذاب.

سُورَةُ فُصِّلَتْ

هي مكية في قول الجميع.
٢- أي: هذا القرآن تنزيل منه تبارك وتعالى. ٣- المراد: بينت أحكام حلاله من حرامه، وطاعته من معصيته وجعلت معانيه مبينة محكمة تفهم بيسر وسهولة وفصلت آياته حال كونه قرآنًا عربيًّا، أي بلغة العرب، ليكون لهم ذكرًا، ويكون عليهم حجة، وليكون لهم نعمة لقوم يعلمون أن القرآن منزل من عند الله. ٤- بشيرًا لأولياء الله ونذيرًا لأعدائه فأعرض أكثر الكفار عما اشتمل عليه من النذارة فهم لا يسمعون سماعًا ينتفعون به، لإعراضهم عنه. ٥- وقالوا قلوبنا في أغطية، فهي لا تفقه ما تقول، ولا يصل إليها قولك وفي آذاننا صمم ومن بيننا وبينك ساتر يستر عنا رؤيتك، أو يستر صوتك حتى لا نعلم ما تقول. هذه تمثيلات منهم لنبوّ قلوبهم عن إدراك الحق، ومجّ أسماعهم له، وامتناع المواصلة بينهم وبين رسول الله ﷺ فاعمل على دينك، إننا عاملون على ديننا. وقيل: المراد: اعمل لآخرتك فإنا عاملون لدنيانا. ٦- أي: إنما أنا كواحد

سُورَةُ فُصِّلَتْ

ترتيبها ٤١ — آياتها ٥٤

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ
ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ
أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ٤ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ
مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ
فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ٥ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ
أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ
لِّلْمُشْرِكِينَ ٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ
هُمْ كَٰفِرُونَ ٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ
أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ٨ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ
نصف الحزب ٤٨
ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٩
وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ
أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ١٠ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ
فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ١١

٤٧٧

منكم لولا الوحي، ولم أكن من جنس مغاير لكم حتى تكون قلوبكم في أكنة، ولم أدعكم إلى ما يخالف العقل، وإنما أدعوكم إلى التوحيد. وقد أوحي إلي دونكم، فصرت بالوحي نبيًّا ووجب عليكم اتباعي فاستقيموا إليه بالطاعة ولا تميلوا عن سبيله واستغفروه لما فرط منكم من الذنوب وويل للمشركين. ٧- أي: هم يمنعونها ولا يخرجونها إلى الفقراء، ولا ينفقون في الطاعة وهم بالآخرة هم جاحدون لها. ٨- أي: غير مقطوع عنهم. وقيل: معنى الآية: لا يُمَنُّ عليهم به، لأنه إنما يمن بالتفضل، فأما الأجر فحق أداؤه. ٩- أي: قيل: اليومان هما يوم الأحد ويوم الاثنين. وقيل: المراد: مقدار يومين، لأن اليوم الحقيقي إنما يتحقق بعد وجود الأرض والسماء وتجعلون له أضدادًا مساوين له في القدر عندكم ذلك المتصف بما ذكر هو رب العالمين ومن جملة العالمين ما تجعلونها أندادًا لله، فكيف تجعلون بعض مخلوقاته شركاء له في عبادته؟ ١٠- وجعل فيها جبالاً ثوابت مرتفعة عليها لأنها من أجزاء الأرض وجعل الأرض مباركة كثيرة الخير، بما خلق فيها من المنافع للعباد وقدر فيها أرزاق أهلها وما يصلح لمعايشهم من الأشجار والمنافع، وجعل في كل بلد ما لم يجعله في الأخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة والأسفار من بلد إلى بلد في تتمة أربعة أيام باليومين المتقدمين سواء للسائلين كأنه قيل: هذا الحصر جواب للذين يسألون قائلين: في كم خلقت الأرض وما فيها؟ ١١- أي: عَمَد وقصد نحوها سويًّا، من قولهم: استوى إلى مكان كذا إذا توجه إليه توجهًا لا يلتفت معه إلى عمل آخر ﴿وَهِيَ دُخَانٌ﴾ والدخان ما ارتفع من لهب النار قال المفسرون: فقيل لها: أما أنت يا سماء فأطلعي شمسك وقمرك ونجومك، وأما أنت يا أرض فشقي أنهارك وأخرجي ثمارك ونباتك، قالتا أتينا أمرك منقادين، خلق فيهما الكلام فتكلمتا كما =

فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ
وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ
ٱلۡعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ
عَادٖ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذۡ جَآءَتۡهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ
خَلۡفِهِمۡ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ قَالُواْ لَوۡ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ
فَإِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٞ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي
ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ
ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ
﴿١٥﴾ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ لِّنُذِيقَهُمۡ
عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ
لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى
ٱلۡهُدَىٰ فَأَخَذَتۡهُمۡ صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ
﴿١٧﴾ وَنَجَّيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ
أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ
عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٠﴾

= أراد سبحانه، وقيل هو تمثيل لظهور الطاعة منهما وتأثير القدرة الربانية فيهما.

١٢- أي: خلقهن وأحكمهن وفرغ منهن في يومين فالجملة ستة أيام. قال مجاهد: ويوم من الستة الأيام كألف سنة مما تعدون وقال قتادة: أي خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وأفلاكها وما فيها من الملائكة والبحار والبرد والثلوج، والأرض بعد ذلك دحاها فالأرض متقدمة خلقًا متأخرة دحوًا، وزينا السماء الدنيا بكواكب مضيئة متلألئة عليها كتلألؤ المصابيح وخلقنا المصابيح زينة وحفظًا من الشياطين الذين يسترقون السمع ذلك النظام البديع هو ترتيب الله القادر على صنع كل شيء، الذي يعلم كل شيء.

١٣- فإن أعرضوا عن التدبر والتفكر في هذه المخلوقات، أو عن طاعة هذه الآيات التنزيلية والإيمان بها فقل لهم يا محمد: خوفتكم ﴿صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾ والمراد بالصاعقة: التي تقتل في الحال. ١٤- أي: جاءتهم الرسل المتقدمون والمتأخرون، أما المتقدمون فقد بلغ كلامهم، فكأن الرسل قد جاءوهم وخاطبوهم بقولهم: ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ قَالُواْ لَوۡ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ﴾ لأرسلهم إلينا ولم يرسل إلينا بشرًا من جنسنا فإنا كافرون بما تزعمونه من أن الله أرسلكم إلينا. ١٥- أي: تكبروا عن الإيمان بالله وتصديق رسله واستعلوا على من في الأرض بغير استحقاق ﴿وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ﴾ وكانوا ذوي أجسام طوال وقوة شديدة، فاغتروا بأجسامهم حين تهددهم هود بالعذاب، ومرادهم بهذا القول أنهم قادرون على دفع ما ينزل بهم من العذاب: أولم يروا أن الله الذي خلقهم قادر على أن ينزل بهم من أنواع عقابه ما شاء بقوله كن فيكون وكانوا بمعجزات الرسل يجحدون. ١٦- الصرصر: الريح الشديدة الصوت، وقيل: هي الريح الشديدة البرد، التي تحرق الزروع والأشجار كما تحرقها النار في أيام مشؤومات ذوات نحوس، وكانت سبع ليال وثمانية أيام حسومًا، كما ذكر الله تعالى في سورة الحاقة والخزي: هو الذل والهوان بسبب ذلك الاستكبار، ولعذاب الآخرة أشد إهانة وإذلالاً ﴿وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ لا يدفعه عنهم دافع. ١٧- أي: بيَّنا لهم سبيل النجاة، ودللناهم على طريق الحق، بإرسال الرسل إليهم، ونصب الدلالات لهم من مخلوقات الله فاختاروا الكفر على الإيمان، واختاروا المعصية على الطاعة، فأخذتهم النار التي تقتل من أصابته فورًا والعذاب المهين بسبب كسبهم ولم يظلمهم الله تعالى. ١٨- وهم صالح ومن معه من المؤمنين. ١٩- أي: يساقون جميعًا إليها بعنف فيحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا ويجتمعوا. ٢٠- أي: في الدنيا من المعاصي، تنطق جوارحهم بما كتمت الألسن من عملهم بالشرك، والجلود هي جلودهم المعروفة، وقيل: هي كناية عن الفروج.

وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ
أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾
وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ
وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ
﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم
مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن
يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ
قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ
ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ
كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ
وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا
شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ
أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ
﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ
وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٤٨

٢١- أي: أنطق كل شيء مما ينطق من مخلوقاته، فإنه كما أنطق الألسن في الدنيا، فكذلك أنطقنا في الآخرة، فشهدنا عليكم بما عملتم من القبائح ومن قدر على خلقكم وإنشائكم ابتداء قدر على إعادتكم ورجعكم إليه.

٢٢- قيل: هذا من كلام الله سبحانه، أو من كلام الجلود: أي ما كنتم تستخفون عند الأعمال القبيحة حذرًا من شهادة الجوارح عليكم. ولما كان الإنسان لا يقدر على أن يستخفي من جوارحه عند مباشرة المعصية كان معنى الاستخفاء هنا ترك المعصية خوفًا من هذه الشهادة ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرًا مما تعملون من المعاصي فاجترأتم على فعلها.

٢٣- المعنى: أن ظنكم بأن الله لا يعلم كثيرًا مما تعملون جرّأكم على المعصية، فتسارعتم فيها، وذلك أهلككم وطرحكم في النار.

٢٤- فإن يصبروا فالنار محل استقرارهم وإقامتهم لا خروج لهم منها وإن يسألوا أن يُرْجَع بهم إلى ما يحبون لم يرجع، لأنهم لا يستحقون ذلك، وإن يطلبوا الرضى لم يقع الرضى عنهم، بل لا بد لهم من النار.

٢٥- وسلطنا عليهم قرناء من الشياطين بمنزلة الأخلاء لهم حتى أضلوهم فزينوا لهم ما بين أيديهم من أمور الدنيا وشهواتها، وحملوها على الواقع في معاصي الله بانهماكهم فيها، وزينوا لهم ما خلفهم من أمور الآخرة، فقالوا: لا بعث ولا حساب، ولا جنة ولا نار، وثبت عليهم العذاب من الأمم الكافرة التي قد مضت من قبلهم من الجن والإنس على الكفر إنهم كانوا خاسرين بتكذيبهم وسوء أفعالهم.

٢٦- أي: قال بعضهم لبعض لا تنصتوا له، وقيل: لا تطيعوا وعارضوه باللغو والباطل، أو ارفعوا أصواتكم ليتشوش القارئ له، أو الغوا فيه بالمكاء والتصدية والتصفيق والتخليط في الكلام حتى يصير لغوًا غير مفهوم لكي تغلبوهم فيسكتوا.

٢٧- وهذا وعيد لجميع الكفار ولنجزينهم في الآخرة جزاء أقبح أعمالهم لا بمحاسنها كما يقع منهم صلة الأرحام وإكرام الضيف، لأن ذلك باطل لا أجر له فيه مع كفرهم.

٢٨- لهم فيها دار الإقامة المستمرة التي لا انقطاع لها يجزون جزاء بسبب جحدهم القرآن أنه من عند الله.

٢٩- طلبوا من الله سبحانه أن يريهم من أضلهم من فريقي الجن والإنس من الشياطين الذين كانوا يسولون لهم الكفر ويزينون لهم المعاصي، ومن الرؤساء الذين كانوا يزينون لهم الكفر وذلك لكي ندوسهما بأقدامنا لنشتفي منهم ليكونا من الأذلين المهانين.

إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ
ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ
ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ
ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ
وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢
وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ
إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ
ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ
وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ
إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ
فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٦ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ
ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ
وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ
إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ٣٧ فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ
رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ ۩ ٣٨ سجدة

٣٠- أي: وحده لا شريك له ثم استقاموا على التوحيد، ولم يلتفتوا إلى إله غير الله، واستقاموا على أمر الله، فعملوا بطاعته، واجتنبوا معصيته، حتى ماتوا تتنزل عليهم الملائكة من عند الله سبحانه بالبشرى التي يريدونها. ألا تخافوا مما تقدمون عليه من أمور الآخرة ولا تحزنوا على ما فاتكم من أمور الدنيا، من أهل وولد ومال وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون بها في الدنيا، فإنكم واصلون إليها مستقرون بها، خالدون في نعيمها. ٣١- أي: نحن المتولون لحفظكم ومعونتكم في أمور الدنيا وأمور الآخرة، ومن كان الله وليه فاز بكل مطلب، ونجا من كل مخافة. ولكم فيها من صنوف اللذات والنعم ولكم فيها ما تطلبون مما تشتهيه أنفسكم. ٣٢- النزل ما يعد لهم حال نزولهم من الرزق والضيافة.

٣٣- ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى توحيد الله وطاعته، فذلك خير ما يقوله إنسان لإنسان وعمل صالحًا وقال إنني من المسلمين لربي، فكلّ من جمع بين دعاء العباد إلى ما شرعه الله، وعمل عملاً صالحًا، وهو تأدية ما فرض الله عليه، مع اجتناب ما حرمه عليه، فلا شيء أحسن منه قولاً، ولا أوضح منه طريقة، ولا أكثر من عمله ثوابًا. ٣٤- أي: لا تستوي الحسنة التي يرضى الله بها ويثيب عليها، ولا السيئة التي يكرهها الله ويعاقب عليها. وقيل: الحسنة هنا المداراة، والسيئة الغلظة وادفع السيئة إذا جاءتك من المسيء بأحسن ما يمكن دفعها به من الكلام الطيب، ومنه مقابلة الإساءة بالإحسان، والذنب بالعفو، والغضب بالصبر، والإغضاء عن الهفوات، والاحتمال للمكروهات فإنك إذا فعلت ذلك الدفع صار العدو كالصديق. ٣٥- أي: لا يؤتى القدرة على هذه الخصلة، وهي دفع السيئة بالحسنة إلا الذين صبروا على كظم الغيظ، واحتمال المكروه ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥﴾ في الثواب والخير فإنها هبة من الله. ٣٦- والمعنى: وإن صرفك الشيطان عن الدفع بالتي هي أحسن فاستعذ بالله من شره. ٣٧- أي: هي من العلامات الدالة على قدرة الله وعظمته وحكمته لا تسجدوا للشمس ولا للقمر لأنها مخلوقان من مخلوقاته، فلا يصح أن يكونا شريكين له في ربوبيته واسجدوا لله الذي خلق هذه الأربعة المذكورة ﴿إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ٣٧﴾ قيل: كان ناس يسجدون للشمس والقمر كالصابئين في عبادتهم الكواكب، ويزعمون أنهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله، فنهوا عن ذلك. ٣٨- أي: إن استكبر هؤلاء عن الامتثال، فالملائكة لا يستكبرون عن عبادته تعالى: بل يديمون التسبيح لله سبحانه بالليل والنهار وهم لا يملون ولا يفترون.

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ
ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن
يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ
إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ
وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ
خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ
لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾
وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ
وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ
فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ
بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا
فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾

علامة الهمزة المسهلة

٤٨١

٣٩- أي: إذا يبست الأرض ولم تمطر قيل قد خشعت فإذا أنزلنا عليها الماء تحركت بالنبات، عليها وانتفخت وعلت قبل أن تنبت إن الذي أحياها لمحيي الموتى بالبعث والنشور إنه على كل شيء قدير لا يعجزه شيء كائنًا ما كان.

٤٠- أي: يميلون عن الحق، فيحرفون كلام الله، ويضعونه على غير مواضعه ونحن نعلمهم فنجازيهم بما يعملون والملحدين في الآيات يلقون في النار وأن المؤمنين بها يأتون آمنين يوم القيامة فاحكموا أيُّ الحالين أفضل اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير فهو مجازيكم على كل ما تعملون. قال الزجاج: لفظ اعملوا لفظ الأمر، ومعناه الوعيد.

٤١- أي: إن الذين كفروا بالقرآن لما جاءهم يجازون بكفرهم وإن القرآن الذي كانوا يلحدون فيه عزيز عن أن يعارض، أو يطعن فيه الطاعنون، منيع عن كل عيب.

٤٢- أي: محفوظ من أن ينقص منه أو يزاد فيه، ولا يأتيه التكذيب من الكتب التي قبله، ولا يجيء من بعده كتاب فيبطله، فكيف يأتيه الباطل والذي أنزله له كمال الحكمة، وأعلى الصفات؟!

٤٣- أي: ما يقال لك من هؤلاء الكفار من وصفك بالسحر والكذب والجنون إلا مثل ما قيل للرسل من قبلك، فإن قومهم كانوا يقولون لهم مثل ما يقول لك هؤلاء.

٤٤- أي: لو جعلنا هذا القرآن بغير لغة العرب لقالوا: هلا بينت بلغتنا فإننا عرب لا نفهم لغة العجم، ولقالوا: أكلام أعجمي ورسول عربي؟ قل هو للذين آمنوا يهتدون به إلى الحق ويشتفون به من كل شك وشبهة والذين لا يؤمنون في آذانهم صمم عن سماعه وفهم معانيه، ولهذا تواصوا باللغو فيه وهو يبهر عيونهم فلا يستطيعون رؤية الحق فقد عموا عن القرآن وصموا عنه ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾ كحال من ينادي من مسافة بعيدة يسمع صوت من يناديه منها ولا يفقه ما يقال له.

٤٥- أي: فهذه عادة قديمة في أمم الرسل، فإنهم يختلفون في الكتب المنزلة إليهم ولولا كلمة سبقت من ربك في تأخير العذاب عن المكذبين من أمتك لقضي بينهم بتعجيل العذاب لمن كذب منهم.

٤٦-أي: لا يعذب أحدًا إلا بذنبه.

۞ إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِۚ وَمَا تَخۡرُجُ مِن ثَمَرَٰتٖ مِّنۡ أَكۡمَامِهَا
وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ أَيۡنَ
شُرَكَآءِي قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٖ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ
عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَدۡعُونَ مِن قَبۡلُۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ﴿٤٨﴾
لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٞ
قَنُوطٞ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنَّا مِنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ
لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ
رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ
وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ
أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ
﴿٥١﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرۡتُم
بِهِۦ مَنۡ أَضَلُّ مِمَّنۡ هُوَ فِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمۡ
ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ
أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمۡ
فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ﴿٥٤﴾

٤٨٢

٤٧- أي: علمها إليه لا إلى غيره وما تخرج من ثمرات من أوعيتها وما يحدث شيء من خروج ثمرة، ولا حمل حامل، ولا وضع واضع إلا بعلم الله. فإليه يرد علم الساعة كما إليه يرد علم هذه الأمور ويوم ينادي الله سبحانه المشركين وذلك يوم القيامة أين شركائي والذين كنتم تزعمون من الأصنام وغيرها، فادعوهم الآن فليشفعوا لكم أو يدفعوا عنكم العذاب قالوا: أعلمناك ما منا أحد يشهد بأن لك شريكًا. ٤٨- أي: أزال وبطل في الآخرة ما كانوا يعبدون في الدنيا من الأصنام ونحوها وأيقنوا وعلموا أنه لا محيص لهم ولا مهرب. ٤٩- أي: لا يمل من دعاء الخير لنفسه وجلبه إليها، والخير هنا: المال والصحة والسلطان والرفعة وإن مسه البلاء والشدة والفقر والمرض، كان بالغ اليأس من روح الله، قنوطًا من رحمته، حتى يظن عدم زوال ما به من المكروه. ٥٠- أي: ولئن آتيناه خيرًا وعافية وغنى من بعد شدة ومرض وفقر. ليقولن هذا شيء أستحقه على الله لرضاه بعملي، فظنّ أن تلك النعمة التي صار فيها وصلت إليه باستحقاقه لها، ولم يعلم أن الله يبتلي عباده بالخير والشر ليتبين له الشاكر من الجاحد، والصابر من الجزع وما أظن الساعة قائمة كما يخبرنا به الأنبياء، والشك في البعث لا يكون إلا من الكافرين، أو المتزلزلين في الدين، المتظهرين بالإسلام المبطنين للكفر ﴿وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ على تقدير صدق ما يخبرنا به الأنبياء من قيام الساعة وحصول البعث والنشور ﴿إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰ﴾ الكرامة، فظنّ أنه استحق خير الدنيا بما فيه من الخير، واستحق خير الآخرة بذلك فلتخبرن الذين كفروا يوم القيامة بما عملوا. ٥١- أي هذا طبعه من حيث هو إنسان باعتبار غالب أفراده أعرض عن الشكر وترفع عن الانقياد للحق وتكبر وتجبر وإذا مسه الشر والبلاء والجهد والفقر والمرض تضرع إلى الله واستغاث به، أن يكشف عنه ما نزل به واستكثر من ذلك، فذكره في الشدة ونسيه في الرخاء، واستغاث به عند نزول النقمة وتركه عند حصول النعمة، وهذا صنيع الكافرين ومن كان غير ثابت القدم من المسلمين. ٥٢- أي أخبرني إن كان القرآن من عند الله ثم كذبتم به ولم تقبلوه ولا عملتم بما فيه ﴿مَنۡ أَضَلُّ مِمَّنۡ هُوَ فِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٢﴾﴾ أي لا أحد أضلّ منكم لشدة عداوتكم. ٥٣- أي سنريهم دلالات صدق القرآن، وعلامات كونه من عند الله في أقطار السموات والأرض من الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والرياح والأمطار والرعد والبرق والصواعق والنبات والأشجار والجبال والبحار وغير ذلك وفي أنفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة. وقيل: في الآفاق: القرى التي يسر الله فتحها لرسوله وللأئمة بعده. وفي أنفسهم: فتح مكة نفسها لهم بجلاء أن القرآن ومن أنزله ومن جاء به حق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شاهد على أعمال الكفار، وشاهد على أن القرآن منزل من عنده. ٥٤- أي: بالبعث والحساب والثواب والعقاب =

سُورَةُ الشُّورَىٰ — ترتيبها ٤٢ — آياتها ٥٣

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
حمٓ ١ عٓسٓقٓ ٢ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ
ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٣ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ
ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ٤ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ
وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى
ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟
مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ
٦ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ
حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى
ٱلسَّعِيرِ ٧ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ
مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ٨
أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ
عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ٩ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ
إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ١٠

= ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ٥٤﴾ أحاط علمه بجميع المعلومات، وأحاطت قدرته بجميع المقدورات، فما لهم يتماروْن في البعث والنشور، وقد علموا أن الله خلقهم أول مرة.

سُورَةُ الشُّورَىٰ

عن ابن عباس وقتادة: مكية إلا أربع آيات منها أنزلت بالمدينة. ١، ٢- قد تقدم الكلام في أمثال هذه الحروف المقطعة التي في أوائل السور. ٣- أي مثل ذلك الإيحاء الذي أوحي إلى سائر الأنبياء من كتب الله المنزلة عليهم المشتملة على الدعوة إلى التوحيد والبعث، يُوحى إليك يا محمد في هذه السورة. ٤- ثم ذكر سبحانه لنفسه هذا لدلالته على كمال قدرته، ونفوذ تصرفه في جميع مخلوقاته. ٥- يتفطرن: يتشققن من عظمة الله وجلاله من فوقهن. وقيل المراد: كدن يتفطرن من قول المشركين اتخذ الله ولدًا، والملائكة يُنزهونه عما لا يليق به ولا يجوز عليه، متلبسين بحمده ويستغفرون لمن في الأرض من عباد الله المؤمنين، وطمعًا في إيمان الكافر وتوبة الفاسق ألا إن الله كثير المغفرة والرحمة.

٦- أي أصنامًا يعبدونها الله حفيظ عليهم يحفظ أعمالهم ليجازيهم بها ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ٦﴾ أي لم يوكلك بهم حتى تؤاخذ بذنوبهم، ولا وكل إليك هدايتهم، وإنما عليك البلاغ. ٧- وكذلك أوحينا إليك قرآنا بلسان قومك - كما أرسلنا كل رسول بلسان قومه - لتنذر أهل مكة ومن حولها من الناس: أي لتنذرهم العذاب، وتنذر يوم القيامة، لأنه مجمع الخلائق، ويجمع الأرواح بالأجساد لاشك فيه ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ٧﴾ أي يجتمعون في المحشر، ثم يتفرقون إلى مصائرهم. ٨- أي أهل دين واحد: إما على هدى، وإما على ضلالة، ولكنهم افترقوا على أديان مختلفة بالمشيئة الأزلية ولكن يدخل من يشاء في الدين الحق: وهو الإسلام والمشركون ما لهم من ولي يدفع عنهم العذاب، ولا نصير ينصرهم في ذلك المقام.

٩- أي بل اتخذ الكافرون من دون الله أولياء من الأصنام يعبدونها لتنصرهم فالله هو الحقيق بأن يتخذوه وليًا، فإنه الخالق الرازق الضار النافع الناصر لمن أراد ومن شأنه أنه يقدر على كل مقدور، فهو الحقيق بتخصيصه بالألوهية وإفراده بالعبادة وبإفراده باتخاذه وليًا.

١٠- أي: كل ما اختلف فيه العباد من أمر الدين، فإن حكمه ومرجعه إلى الله، وسوف يحكم فيه يوم القيامة بحكمه، ويفصل خصومة المختصمين فيه، وعند ذلك يظهر المحق من المبطل، ويتميز فريق أهل الجنة وفريق أهل النار ذلكم الحاكم بهذا الحكم الله ربي اعتمدت عليه في جميع أموري، لا على غيره، وفوضته في كل شئوني وإليه أرجع إليه تائبًا لا إلى غيره.

فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا
وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ
وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ
يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾
۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ
إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ
وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ
يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا
تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ
أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾
فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ
وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ
بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ
لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

ربع الحزب ٤٩

١١- خالق السماوات والأرض ومبدعها على غير مثال سابق وخلق لكم من جنسكم نساء، نسلا بعد نسل وخلق للأنعام من جنسها إناثًا، أو خلق لكم من الأنعام أصنافًا من الذكور والإناث، وهي الثمانية التي ذكرها في الأنعام ويكثركم ويجعلكم أزواجًا لأن ذلك سبب النسل، ليس كمثله شيء وهو السميع لكل الأصوات، ﴿ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ بالأمور. ١٢- أي خزائنها أو مفاتيحها ويوسع الرزق لمن يشاء من خلقه، ويضيقه على من يشاء.١٣- أي بيّن وأوضح لكم من الدين ما وصى به نوحًا من التوحيد وأصول الشرائع التي لم يختلف فيه الرسل وتوافقت عليها الكتب، والذي أوحينا إليك من القرآن وشرائع الإسلام والبراءة من الشرك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى مما تطابقت عليه الشرائع أن أقيموا توحيد الله والإيمان به وطاعة رسله وقبول شرائعه، قال مجاهد: لم يبعث الله نبيًّا قط إلا وصاه بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والإقرار لله بالطاعة، فذلك دينه الذي شرع لهم ولا تختلفوا في التوحيد والإيمان بالله وطاعة رسله وقبول شرائعه، فلا ينبغي الخلاف في مثلها. وعظم وشق عليهم ما تدعوهم إليه من التوحيد ورفض الأوثان، واشتد عليهم شهادة أن لا إله إلا الله وحده، وضاق بها إبليس وجنوده، فأبى الله إلا أن ينصرها ويعليها ويظهرها ويظفرها والله يختار لتوحيده والدخول في دينه من يشاء من عباده ويوفق لدينه، ويستخلص لعبادته، من يرجع إلى طاعته ويقبل إلى عبادته. ١٤- أي ما تفرقوا إلا عن علم بأن الفرقة ضلالة، لكن كان منهم التفرق للبغي بينهم بطلب الرياسة وشدة الحمية، يعني أمم الأنبياء المتقدمين، وأنهم اختلفوا لما طال بهم المدى، فآمن قوم وكفر قوم، ولم يكفر الكافرون إلا تكبرًا وحسدًا. وهذا تحذير لهذه الأمة من أن تفترق فيما بينها بغيًا وحسدًا ولولا قول سبق يا محمد بتأخير العقوبة إلى القيامة لوقع القضاء بينهم بإنزال العقوبة بهم معجلة بالكافرين ونجاة المؤمنين وإن الذين أورثوا الكتاب من اليهود والنصارى من بعد الأمم قبلهم لفي شك من القرآن، أو من محمد ولذلك لم يؤمنوا، وقيل المراد كفار المشركين من العرب أورثوا القرآن من بعد ما أورث أهل الكتاب كتابهم، في شك من القرآن مريب.١٥- أي فلأجل ما ذكر من التفرق والشك، أو فلأجل ما ذكر شرع من الدين ما شرع، فادع إلى الله وإلى توحيده واستقم على ما دعوت إليه، واستمر على تبليغ الرسالة كما أمرت بذلك من جهة الله ولا تتبع أهواءهم الباطلة، وتعصباتهم الزائغة، ولا تنظر إلى خلاف من خالفك في ذكر الله وقل آمنت بجميع الكتب التي أنزلها الله على رسله، لا كالذين آمنوا ببعض منها وكفروا ببعض وأمرت لأعدل بينكم في أحكام الله إذا ترافعتم إليَّ، ولا أحيف عليكم الله إلهنا وإلهكم، وخالقنا وخالقكم ﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا﴾ أي ثوابها وعقابها خاص بنا ﴿وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ أي ثوابها وعقابها خاص بكم لا خصومة بيننا =

وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ
دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ
﴿١٦﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ وَمَا يُدۡرِيكَ
لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ﴿١٧﴾ يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ
بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ
أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾
ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ
﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن
كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن
نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ
مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۗ
وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ
مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ
لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٢﴾

= وبينكم، لأن الحق قد ظهر ووضح، الله يجمع بيننا في المحشر وإليه المرجع يوم القيامة، فيجازي كلا بعمله.

١٦- أي يخاصمون في دين الله من بعد ما استجاب الناس له ودخلوا فيه.

حجتهم داحضة عند ربهم لا ثبات لها، وعليهم غضب عظيم من الله لمجادلتهم بالباطل ولهم عذاب شديد في الآخرة.

١٧- أي فيشمل جميع الكتب المنزلة على الرسل، وسمي العدل ميزانًا لأن الميزان آلة الإنصاف، والتسوية بين الخلق فيما يبيعون ويشترون. وقيل: الميزان ما في الكتب المنزلة. وقيل المراد: علَّم الله الناس الوزن بالموازين لئلا تضيع الحقوق فيما بينهم ويقع بينهم التظالم ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ﴿١٧﴾﴾.

١٨- أي استعجال استهزاء منهم بها وتكذيب بمجيئها والذين آمنوا خائفون وجلون من مجيئها، لأنهم يعلمون أنهم محاسبون ومجزيون ويعلمون أنها آتية لا ريب فيها ألا إن الذين يخاصمون في الساعة مخاصمة شك وريبة لفي ضلال بعيد عن الحق، ولو تفكروا لعلموا أن الذي خلقهم ابتداء قادر على الإعادة.

١٩- أي كثير اللطف بهم، بالغ الرأفة لهم، يجري لطفه على عباده في كل أمورهم، ومن جملة ذلك الرزق الذي يعيشون به في الدنيا يرزق من يشاء منهم كيف يشاء، فيوسع على هذا ويضيق على هذا وهو العظيم القوة، الباهر القدرة العزيز الذي يغلب كل شيء، ولا يغلبه شيء. ٢٠- أي من كان يريد بأعماله وكسبه ثواب الآخرة، يضاعف الله له ذلك: الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف. وقيل: معناه يزيد في توفيقه وإعانته وتسهيل سبل الخير له، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها مما قضت به مشيئتنا، وقسم له في قضائنا ﴿وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾ لأنه لم يعمل للآخرة، فلا نصيب له فيها.

٢١- ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ من الشرك والمعاصي ولولا تأخير الفصل في شأن اختلاف المختلفين إلى يوم القيامة لقضي بين المؤمنين والمشركين، أو المشركين وشركائهم، فعاجل أئمة الشرك بالعقوبة في الدنيا.

٢٢- وترى الظالمين خائفين وجلين مما عملوا من السيئات، وذلك الخوف والوجل يوم القيامة وجزاء ما كسبوا واقع بهم نازل عليهم لا محالة، أشفقوا أو لم يشفقوا.

﴿رَوۡضَاتِ﴾ الروضة: الموضع التنزه الكثير الخضرة، قيل: روضة الجنة: أطيب مساكنها كما أنها في الدنيا لأحسن أمكنتها لهم ما يشاءون عند ربهم من صنوف النعم وأنواع المستلذات ذلك هو الفضل الكبير الذي لا يوصف ولا تهتدي العقول إلى معرفة حقيقته.

ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ
أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ
لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ
كَذِبٗاۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ
بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ
عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢٥﴾
وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۚ
وَٱلۡكَٰفِرُونَ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ ﴿٢٦﴾ ۞ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ
لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ
خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ
وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٖۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمۡعِهِمۡ
إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٞ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا
كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ
فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٣١﴾

٤٨٦

نصف الحزب ٤٩

٢٣- أي: فهؤلاء الجامعون بين الإيمان، والعمل بما أمر الله به، وترك ما نهى عنه، هم المبشرون بتلك البشارة، ثم يقول الله تعالى لنبيّه: قل لهم يا محمد: لا أطلب منكم على تبليغ الرسالة جُعْلاً ولا نفعًا، ولكن أسألكم المودة في القرابة التي بيني وبينكم، فارقبوني فيها، ولا تعجلوا عليَّ، ودعوني والناس. قال ابن عباس: إن النبي ﷺ لم يكن بطن من قرش إلا كان له فيهم قرابة، فقال: إلا أن يصلوا ما بيني وبينكم من القرابة. ومن يكتسب حسنة نزد له هذه الحسنة حسنًا بمضاعفة ثوابها. ٢٤- أي: بل أيقولون افترى محمد على الله كذبًا بدعوى النبوة فلو حدثتك نفسك أن تفتري على الله كذبًا لطبع على قلبك إن شاء، فلم تقدر عليه ، ولو كان ما أتى به النبي ﷺ باطلاً لمحاه، كما جرت به عادته في المفترين ويحق الإسلام فيبينه بما أنزله من القرآن إنه عليم بما في قلوب العباد.

٢٥- أي يقبل من المذنبين من عباده توبتهم إليه مما عملوا من المعاصي.

٢٦- أي يستجيب الله للذين آمنوا ويعطيهم ما طلبوه منه ويزيدهم على ما يعطيهم ما طلبوه منه، تفضلاً منه. ٢٧- ولو وسع الله لهم رزقهم لعصوا فيها وبطروا النعمة، وتكبروا، وطلبوا ما ليس لهم طلبه، ولكن ينزل من الرزق لعباده بتقدير محسوب، على حسب مشيئته، وما تقتضيه حكمته البالغة، إنه بعباده خبير بأحوالهم بصير بما يصلحهم من توسيع الرزق وتضييقه. ٢٨- وهو الذي ينزل المطر الذي هو أنفع أنواع الرزق، وأعمها فائدة، وأكثرها مصلحة من بعد ما أيسوا من ذلك، فيعرفون بهذا الإنزال للمطر بعد القنوط مقدار رحمته لهم، ويشكرون له ما يجب الشكر عليه وهو الولي للصالحين من عباده بالإحسان إليهم، وجلب المنافع لهم، ودفع الشرور عنهم المستحق للحمد منهم على إنعامه.

٢٩- أي على هذه الكيفية العجيبة، والصنعة الغريبة، وما خلق فيهما من الملائكة والناس والجن وسائر المخلوقات على اختلاف أنواعهم وأشكالهم ولغاتهم. قيل: وأراد ما بث في الأرض دون السماء، وهو على حشرهم يوم القيامة عندما يشاء ذو قدرة تامة.

٣٠- أي ما أصابكم من المصائب، كائنة ما كانت، فإنكم تصابون بها عقوبة لكم، بسبب ما كسبت أيديكم من المعاصي ويعفو عن كثير من المعاصي التي يفعلها العباد، فلا يعاقب عليها. ويكفِّر عن العبد بما يصيبه من المصائب، ويعفو عن كثير من الذنوب. وقيل الآية مختصة بالكافرين: يصابون بسبب ذنوبهم، من غير أن يكون ذلك مكفرًا عنهم لذنب، ولا محصِّلا لثواب، ويترك عقوبتهم عن كثير من ذنوبهم، فلا يعاجلهم في الدنيا، بل يمهلهم إلى الدار الآخرة.

٣١- أي بفائتين عليه هربًا في الأرض، بل ما قضاه عليهم من المصائب، واقع عليهم نازل بهم وما لكم من دون الله من ولي يواليكم فيمنع عنكم ما قضاه الله ولا نصير ينصركم من عذاب الله.

وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ
فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ
﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ
يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ
ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا
غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ
ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا
وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ
بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ
يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ
﴿٤٣﴾ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ
لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾

٣٣- إن يشأ يسكن الريح التي تجري بها السفن فيظللن سواكن ثوابت على ظهر البحر إن في الذي ذكر من أمر السفن لدلالات عظيمة لكثير الصبر على البلوى، كثير الشكر على النعماء.

٣٤- أي يهلكهن بالغرق، بما كسبوا من الذنوب ويعفو عن كثير من أهلها بالتجاوز عن ذنوبهم، فينجيهم من الغرق.

٣٥- ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من فرار ولا مهرب.

٣٦- أي ما أعطيتم من الغني والسعة في الرزق فإنما هو متاع قليل في أيام قليلة ينقضي ويذهب وما عند الله من ثواب الطاعات والجزاء عليها بالجنات خير من متاع الدنيا الذي ينقطع، فهو دائم لا ينقطع، للذين آمنوا وعلى ربهم يفوّضون إليه أمورهم، ويعتمدون عليه في كل شئونهم.

٣٧- وهي الكبائر من الذنوب والفواحش وإذا ما غضبوا هم يتجاوزون عن الذنب الذي أغضبهم، ويكظمون الغيظ، ويحلمون عمن ظلمهم.

٣٨- أي أجابوه إلى ما دعاهم إليه وأطاعوا الرسل وأقاموا الصلاة لمواقيتها بشروطها وهيئاتها ويتشاورون فيما بينهم ولا يعدلون، ولا ينفردون بالرأي في كل أمر يعرض لهم، فلا يستأثر بعضهم على بعض برأي، ومما رزقناهم ينفقونه في سبيل الخير ويتصدقون به على المحاويج، وفي سبيل الله.

٣٩- أي أصابهم بغي من بغي عليهم بغير الحق، لأن التذلل لمن بغي ليس من صفات من جعل الله له العزة حيث قال ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فالانتصار عند البغي فضيلة.

٤٠- فبين سبحانه أن العدل في الانتصار هو الاقتصار على المساواة، وقال مجاهد والسدي. هو جواب القبيح إذا قال أخزاك الله يقول أخزاك الله من غير أن يعتدي فمن عفا عمن ظلمه وأصلح بالعفو بينه وبين ظالمه، فإن الله سبحانه يأجره على ذلك، إنه لا يحب الظالمين المبتدئين بالظلم ولا يحب من يتعدى في الاقتصاص ويجاوز الحد فيه لأن المجاوزة ظلم.

٤١- ولمن انتصر بعد أن ظلمه الظالم له فأولئك ما عليهم من سبيل بمؤاخذة أو عقوبة.

٤٢- إنما السبيل على الذين يتعدّون على النفوس والأموال بغير الحقّ ويتكبرون ويتجبرون بظلم الناس واقتطاع حقوقهم.

٤٣- ولمن صبر على الأذى ﴿وَغَفَرَ﴾ لمن ظلمه، إن ذلك الصبر والمغفرة لمن الأمور الجميلة التي يجب العزم والثبات عليها.

٤٤- ومن يضلل الله فما له من أحد يلي هدايته وينصره وترى المشركين المكذبين بالبعث حين نظروا إلى النار يقولون هل إلى الرجعة إلى الدنيا من طريق؟

وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ
مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ
خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ
فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم
مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُوا۟
لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم
مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟
فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ
أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ
بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا
وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ
وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ۞ وَمَا كَانَ
لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ
رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٤٩

٤٥- وتراهم يعرضون عليها ساكنين متواضعين لما لحقهم من الذل والهوان ينظرون إلى النار من طرف ذليل يسارقون النظر من شدة الخوف وقال الذين آمنوا إن الكاملين في الخسران: هم هؤلاء، أما خسرانهم لأنفسهم فلكونهم صاروا في النار معذبين بها قد أسلموا لعذاب دون أدنى أمل في النجاة، وأما خسرانهم لأهليهم فلأنهم إن كانوا معهم في النار فلا ينتفعون بهم، وإن كانوا في الجنة فقد حيل بينهم وبينهم، ألا إن الظالمين في عذاب دائم لا ينتهي ولا يخرجون منه.

٤٦- أي لم يكن لهم أعوان يدفعون عنهم العذاب في ذلك الموطن من دون الله ومن يضلل الله فما له من طريق يسلكها إلى النجاة.

٤٧- أي استجيبوا لدعوته لكم إلى الإيمان به وبكتبه ورسله من قبل أن يأتي من الله يوم عذاب لا يرده أحد، أو لا يرده الله بعد أن حكم به. والمراد به يوم القيامة، أو يوم الموت ما لكم من ملجأ يومئذ تلجأون إليه ولا تجدون منكرًا لما ينزل بكم من العذاب.

٤٨- فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حافظًا تحفظ أعمالهم حتى تحاسبهم عليها، ولا موكلاً بهم رقيبًا عليهم إن عليك إلا البلاغ لما أمرت بإبلاغه، وليس عليك غير ذلك. فإن نزل بهم عذاب فبما قدمت أيديهم من الذنوب فإن الإنسان كفور لما أنعم به عليه من نعمه، ينسى كل النعم السابقة بسبب الضر الواقع عليه.

٤٩- أي له التصرف فيهما بما يريد، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع يخلق ما يشاء من الخلق يهب لمن يشاء إناثًا لا ذكور معهن، ويهب لمن يشاء ذكورًا لا إناث معهم.

٥٠- أو يقرن بين الإناث والذكور فيهبهما جميعًا لبعض خلقه، فالتزويج هنا هو الجمع بين البنين والبنات ويجعل من يشاء عقيمًا لا يولد له ذكر ولا أنثى إنه بليغ العلم عظيم القدرة.

٥١- وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيًا يوحي إليه فيلهمه، ويقذف ذلك في قلبه، كما أوحى إلى أم موسى، وإلى إبراهيم في ذبح ولده أو من وراء حجاب كما كلم موسى عليه السلام، يريد أن كلامه يُسْمَع من حيث لا يُرى أو يرسل ملكًا، فيوحي ذلك الملك إلى الرسول من البشر بأمر الله وتيسيره ما يشاء أن يوحي إليه إنه متعال عن صفات النقص، حكيم في كل أحكامه.

وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ
وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ
وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ
مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

سُورَةُ الزُّخْرُفِ

ترتيبها ٤٣ — آياتها ٨٩

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا
لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا
لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا
أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ
﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ
﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ
خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ
مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾

٥٢- أي أوحينا إليك القرآن، وهو من أمر الله، وهو روح. أي لأنه يهتدي به، ففيه حياة من موت الكفر ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ﴾ أي أيّ شيء هو، لأنه ﷺ كان أميًّا لا يقرأ ولا يكتب ﴿وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ كان ﷺ لا يعرف معنى الإيمان، ولا تفصيل الشرائع، ولا يهتدي إلى معالمها، وخص الإيمان لأنه رأسها وأساسها ولكن جعلنا الروح الذي أوحيناه إليك ضياء ودليلاً على التوحيد والإيمان وطرائق الحياة نهدي به من نشاء هدايته من عبادنا ونرشده إلى الدين الحق.

٥٣- وفي هذه الإضافة للصراط إلى الاسم الشريف من التعظيم له والتفخيم لشأنه ما لا يخفى ألا إلى الله تصير الأمور يوم القيامة لا إلى غيره ترجع جميع أمور الخلائق.

سُورَةُ الزُّخْرُفِ

هي مكية بالإجماع

١، ٢- يقسم الله تعالى بالقرآن نفسه على أن القرآن هداية.

٣- أي أنزل بلسان العرب، لأن كل نبي أنزل كتابه بلسان قومه لكي تفهموه يا معشر العرب وتتعقلوا معانيه وتحيطوا بها فيه.

٤- وإنه في اللوح المحفوظ عندنا لرفيع القدر محكم النظم لا يوجد فيه اختلاف ولا تناقض.

٥- من قولهم: صفحت عنه إذا أعرضت عنه، وذلك أنك توليه صفحة وجهك وعنقك. قال الكسائي: المعنى أفنضرب عنكم الذكر طيًّا فلا توعظون ولا تؤمرون لأنكم كنتم قومًا منهمكين في الإسراف مصرين عليه؟

قال قتادة رحمه الله: والله لو أن هذا القرآن رُفع حين ردّته أوائل هذه الأمة لهلكوا ولكن الله عاد بعائدته ورحمته، فكرره عليهم، ودعاهم إليه عشرين سنة، أو ما شاء الله من ذلك.

٦- أي ما أكثر ما أرسلنا من الأنبياء في الأمم السابقة.

٧- ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾﴾ كاستهزاء قومك بك يا محمد.

٨- أي فأهلكنا قومًا أشد قوة وأقوى بطشًا من هؤلاء القوم ومضى في القرآن ذكرهم غير مرة.

٩- أي: لئن سألت هؤلاء الكفار من قومك: من خلق هذه الأجرام العلوية والسفلية؟ أقروا بأن الله خالقهن ولم ينكروا ذلك.

١٠- المهاد الفراش والبساط وجعل لكم فيها طرقًا تسلكونها إلى حيث تريدون لعلكم تهتدون بسلوكها إلى مقاصدكم ومنافعكم.

وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ
كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ
لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ
ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ
ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا
لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ
لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم
بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا
ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى
ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ
ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ
شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ
مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ
كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا۟
إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾

١١ - أي بقدر الحاجة وحسبها تقتضيه المصلحة، ولم ينزل عليكم منه فوق حاجتكم حتى يهلك زرائعكم ويهدم منازلكم ويهلككم بالغرق، ولا دونها حتى تحتاجوا إلى الزيادة فأحيينا بذلك الماء بلدة مقفرة من النبات كذلك تبعثون من قبوركم أحياء. ١٢ - أي الأصناف كلها. وقيل أزواج الحيوان من ذكر وأنثى والأزواج من النبات الذكر والأنثى من كل صنف كذلك. ١٣ - أي لتستعلوا على ظهور ما تركبون من الفلك والأنعام ثم تذكروا هذه النعمة التي أنعم بها عليكم من تسخير ذلك المركب في البحر والبر وتقولوا سبحان الذي ذلل لنا هذا المركب وما كنا مطيقين لتسخيره لولا أن سخره الله لنا. ١٤ - وإنا إلى ربنا لراجعون إليه. عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان إذا سافر ركب راحلته، ثم كبَّر ثلاثًا، ثم قال ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾. ١٥ - المراد بالجزء هنا الملائكة، فإنهم جعلوهم بنات لله سبحانه فإن الولد جزء أبيه ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ فإنه يجحد نعم الله عليه جحودًا بيّنًا إذ لما كانت النِّعم من الله شديدة الوضوح، كان جحودها من أبين الكذب، كما فعل هؤلاء الجهلة إذ نسبوا إليه الولد وخصوه بأضعف الأولاد. ١٦ - ﴿وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾﴾ فجعل لنفسه المفضول من الصنفين ولكم الفاضل منهما، فكيف يستقيم هذا مع أنه هو الخالق، والقول قوله، والأمر أمره؟ ١٧ - المعنى أنه إذا بشر أحدهم بأنها ولدت له بنت اغتم لذلك، وظهر عليه أثره، وصار وجهه أسود حزنًا وألمًا بسبب حدوث الأنثى له حيث لم يكن الحادث له ذكرًا مكانها، وهو شديد الحزن كثير الكرب مملوء منه. ١٨ - أي لما جعلوا له البنات فقد جعلوا له سبحانه من شأنه أن يربى في الزينة، وهو عاجز عن أن يقوم بأمور نفسه، وإذا خوصم لا يقدر على إقامة حجته، ودفع ما يجادله به خصمه، لنقصان عقله وضعف رأيه. وهكذا البنات غالبًا. ١٩ - أي إن قولهم السابق الملائكة بنات الله يتضمن فسادًا آخر، وهو أن الملائكة إناث. فهل حضروا خلق الله إياهم حتى يشهدوا بأنهم إناث. ستكتب شهادتهم في ديوان أعمالهم لنجازيهم على ذلك ويسألون عنها يوم القيامة. ٢٠ - معناه أن الكفار قالوا: لو شاء الرحمن، في زعمكم أيها المؤمنون، ما عبدنا هذه الملائكة. وهذا كلام حقّ يراد به باطل، لأنهم يريدون بذلك أن الله راض عن عبادتهم للأصنام وزعموا أنه إذا شاء فقد رضي وما هم إلا يكذبون فيما قالوا، ويتمحلون تمحلا باطلا، فإن الله خلق المؤمن والكافر، وهو يحب المؤمن ويبغض الكافر. ٢١ - أي بل أأعطيناهم كتابا من قبل القرآن مكتوبًا إليهم فيه: اعبدوا غير الله؟ يأخذون بما فيه، ويحتجون به، ويجعلونه لهم دليلا. ٢٢ - بل ما كان قولهم إلا أن قالوا: إنا وجدنا آباءنا الأوائل على دين - وهو عبادة غير الله - وإنا على طريقهم سائرون وخصص المترفين تنبيها على أن التنعم هو سبب =

الحزب ٥٠

وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ
إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ٢٣
۞ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ
إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٢٤ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٢٥ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ
إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ
٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٢٨ بَلۡ
مَتَّعۡتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ وَرَسُولٞ مُّبِينٞ ٢٩
وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٣٠ وَقَالُواْ
لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ٣١ أَهُمۡ
يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ
ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم
بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٣٢ وَلَوۡلَآ
أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ
لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفٗا مِّن فِضَّةٖ وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ ٣٣

= إهمال النظر وترك التفكر فيما حوته رسالة الإسلام وآيات القرآن الكريم.

٢٤- أي قال لهم رسولهم: أتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين أهدى من دين آبائكم قالوا: لا نعمل بهذا، ولا سمع لك ولا طاعة.

٢٥- فانتقمنا منهم بما أوقعه الله بهم، كما أوقعه بقوم نوح وعاد وثمود فانظر كيف كان عاقبة المكذبين من تلك الأمم، فإن آثارهم موجودة، عرضة للناظر المعتبر.

٢٦- وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه الذين قلدوا آباءهم وعبدوا الأصنام، إنني بريء من هذه الأصنام، لا أعبدها، ولا أدعوها، ولا أتخذها آلهة، بل أكفر بها وأعاديها.

٢٧- إلا الذي خلقني فإنه سيرشدني لدينه، ويثبتني على الحق.

٢٨- وجعل كلمة التوحيد باقية في عقب إبراهيم، وهم ذريته، فلا يزال فيهم من يوحد الله سبحانه. قال مجاهد وقتادة: الكلمة لا إله إلا الله، لا يزال من عقبه من يعبد الله إلى يوم القيامة وجعلها باقية رجاء أن يرجع إليها من يشرك منهم بدعوة من يوحد.

٢٩- أي فاغترّوا بالمهلة وأكبوا على الشهوات حتى جاءهم القرآن ومحمد ﷺ.

٣١- أي عظيم في الجاه والمال، سيد في قومه. والمراد بالقريتين مكة والطائف، وبالرجلين الوليد بن المغيرة من مكة، وعروة بن مسعود الثقفي من الطائف، كذا قال قتادة وغيره، والمعنى أنه لو كان قرآنا لنزل على رجل عظيم من عظماء القريتين.

٣٢- أهم يقسمون النبوة نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا فكيف لا يقنعون بقسمته في أمر النبوّة، وتفويضها إلى من يشاء من خلقه ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات بالرزق والرياسة والقوّة والحرية والعقل والعلم ليستخدم بعضهم بعضا فيكون بعضهم سببا لمعاش بعض وما أعدّه الله لعباده الصالحين في الدار الآخرة، خير مما يجمعونه من الأموال وسائر متاع الدنيا.

٣٣- أي لولا أن يجتمعوا على الكفر ميلا إلى الدنيا وزخرفها لأعطيناهم في الدنيا ما وصفناه، لهوان الدنيا عند الله، لكي نستدرج الكافرين من حيث لا يعلمون (ومعارج) وسلالم ومصاعد من فضة وعلى المعارج يرتقون ويصعدون إلى الغرف والمباني العالية.

وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن
كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ
لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا
فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ
أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ
بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ
إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ
ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾
فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى
وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ
إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ
وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ
أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ
رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾

٣٤- وجعلنا لبيوتهم أبوابا من فضة وسررا من فضة عليها يعتمدون.

٣٥- وجعلنا لهم مع ذلك زخرفا في السُّقُف والأبواب والسرر وغيرها. والزخرف: الذهب، وقيل الزينة والنقوش، يقال زخرفت الدار: أي زينتها وليس كل ذلك إلا شيئًا يتمتع به في الدنيا والآخرة عند ربك لمن اتقى الشرك والمعاصي، وآمن بالله وحده، وعمل بطاعته، فإنه الباقية التي لا تفنى، ونعيمها الدائم الذي لا يزول.

٣٦- أي ومن تظلم عينه، والأعشى: هو الذي لا يبصر بالليل، ويبصر بالنهار ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾ أي نهيّئه له. وقيل المعنى غير ذلك. فهو ملازم للشيطان لا يفارقه، بل يتبعه في جميع أموره، ويطيعه في كلّ ما يوسوس به إليه. ٣٧- أي وإن الشياطين الذين يقيضهم الله لكل أحد ممن يعشو عن ذكر الرحمن يحولون بينهم وبين سبل الحق، ويمنعونهم منه، ويوسوسون لهم أنهم على الهدى ويحسب الكفار بسبب تلك الوسوسة أنهم في أنفسهم مهتدون. ٣٨- ويتمنى الكافر أن بينه وبين الشيطان المقارن له من البعد ما بين المشرق والمغرب فبئس الصاحب الملازم للإنسان شيطانه.

٣٩- ولن ينفعكم يوم القيامة لأجل ظلمكم أنفسكم في الدنيا لن ينفعكم اليوم اشتراككم في العذاب.

٤٠- أي ليس لك ذلك، فلا يضيق صدرك أن كفروا وإنك لا تهدي من كان كذلك وهؤلاء الكفار بمنزلة الصمّ الذين لا يسمعون ما جئت به، وبمنزلة العمي الذين لا يبصرونه، لإفراطهم في الضلالة وتمكنهم من الجهالة. ٤١- فإما نذهبنّ بك بالموت قبل أن ينزل العذاب بهم فإنا منهم منتقمون إما في الدنيا أو في الآخرة. ٤٢- أي: من العذاب قبل موتك فإنا عليهم مقتدرون متى شئنا عذبناهم. وقد أراه الله ذلك يوم بدر. ٤٣- أي من القرآن، وإن كذّب به من كذّب. ٤٤- أي وإن القرآن لشرف لك ولقومك من قريش، إذ نزل عليك وأنت منهم، بلغتك ولغتهم. وقيل: تذكرة تذكّرون بها أمر الدين وتعملون به وسوف تسألون عما جعله الله لكم من الشرف، يسألون عما يلزمهم من القيام بما فيه والعمل به. ٤٥- المراد سؤال الأنبياء ليلة الإسراء عند ملاقاته لهم. وقيل: واسأل أمم من قد أرسلنا: هل أذن الله بعبادة الأوثان في ملة من الملل؟ وهل سوّغ ذلك لأحد منهم؟

٤٦- وهي التسع التي تقدم بيانها في سورة الإسراء [الآية: ١٠١] الملأ: الأشراف ﴿فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾﴾ أرسلني إليكم.

٤٧- ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾﴾ استهزاء وسخرية.

وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم
بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا
رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ
ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ
قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن
تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ
وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ
مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ
فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا
ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ
سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ
مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا
خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾
إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾

ربع الحزب ٥٠

٤٨- أي كل واحدة من آيات موسى أكبر مما قبلها وأعظم قدرا، مع كون التي قبلها عظيمة في نفسها. وقيل المعنى إنه إذا ضمت الثانية إلى الأولى ازداد الوضوح وأخذناهم بالعذاب بسبب تكذيبهم بتلك الآيات، لعلهم عن كفرهم يرجعون. ٤٩- ﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾ وكانوا يسمون العلماء سحرة، ويوقرون السحرة ويعظمونهم ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ أي بما أخبرتنا من عهده إليك أنا إذا آمنا كشف عنا العذاب إننا لمهتدون فيما يستقبل من الزمان، ومؤمنون بما جئت به. ٥٠- التقدير: فدعا موسى ربه فكشف عنهم العذاب، فلما كشف عنهم العذاب نقضوا عهدهم.

٥١- وخاف فرعون ميل القوم إلى موسى، فجمعهم ونادى بصوته فيما بينهم، أو أمر مناديا ينادي بقوله يا قوم أليس لي ملك مصر لا ينازعني فيه أحد، ولا يخالفني مخالف وهذه الأنهار تجري من تحت قصري، والمراد أنها النيل أفلا تبصرون ذلك وتستدلون به على قوة ملكي، وعظيم قدري، وضعف موسى عن مقاومتي. ٥٢- أي: بل أنا خير من موسى الذي هو ضعيف حقير ممتهن في نفسه لا عزّ له ولا يكاد يبين الكلام لما في لسانه من العقدة. وقد تقدّم بيانه في سورة طه. ٥٣- أي فهلا حلي بأساور الذهب إن كان عظيما أو جاء معه الملائكة متتابعين متقارنين إن كان صادقا، يعينونه على أمره، ويشهدون له بالنبوّة، فأوهم اللعين قومه أن الرسل لا بدّ أن يكونوا على هيئة الجبابرة، ومحفوفين بالملائكة. ٥٤- أي حملهم على خفة الجهل والسفه بقوله وكيده وغروره، فأطاعوه فيما أمرهم به، وقبلوا قوله، وكذّبوا موسى إنهم كانوا خارجين عن طاعة الله. ٥٥- أي انتقمنا منهم ببطشنا الشديد فلما أغضبونا أغرقناهم أجمعين في البحر.

٥٦- أي قدوة لمن عمل بعملهم من الكفار في استحقاق العذاب عبرة وموعظة لمن يأتي بعدهم، أو قصة عجيبة تجري مجرى الأمثال. ٥٧- نزلت في مجادلة ابن الزبعري مع النبي ﷺ لما نزل قوله تعالى ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ فقال ابن الزبعري: خصمتك وربّ الكعبة، أليست النصارى يعبدون المسيح، واليهود عزيرا، وبنو مليح الملائكة؟ ففرح بذلك من قوله، فأنزل الله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾ ونزلت هذه الآية المذكورة هنا إذا قومك منه يضجون ويصيحون فرحا بذلك المثل المضروب. ٥٨- أي آلهتنا خير أم المسيح؟ خاصموه وقالوا: إن كان كل من عُبدَ غير الله في النار، فنحن نرضى أن تكون آلهتنا مع عيسى وعزيز والملائكة ما ضربوا لك هذا المثل في عيسى إلا ليجادلوك وهم شديدو الخصومة، كثيرو اللدد، عظيمو الجدل. ٥٩- إن هو إلا عبد أكرمناه بإنعامنا عليه وجعلناه آية وعبرة لبني إسرائيل يعرفون به قدرة الله سبحانه، فإنه كان من غير أب، وكان يحيى الموتى، ويبرئ الأكمه والأبرص وكل مريض. ٦٠- أي لو نشاء أهلكناكم وجعلنا =

وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ
مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ
﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ
وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ
﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ
﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن
تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ
عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا
وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ
تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍۖ
وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُۖ وَأَنتُمْ فِيهَا
خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾

بدلا منكم ملائكة في الأرض يعمرونها يخلفونكم فيها.٦١- المراد المسيح، وإن خروجه مما يعلم به قيام الساعة، لكونه من أشراطها، لأن الله سبحانه ينزّله من السماء قبيل قيام الساعة، كما أن خروج الدّجال من علامات الساعة فلا تشكوا في وقوعها ولا تكذّبُنَّ بها، فإنها كائنة لا محالة واتبعوني فيما آمركم به من التوحيد، وبطلان الشرك، وهذا الذي آمركم به وأدعوكم إليه طريق قيم موصل إلى الحق.٦٢- أي لا تغتروا بوساوسه وشبهه التي يوقعها في قلوبكم، فيمنعكم ذلك من اتباعي إنه مظهر لعداوته لكم غير متحاش عن ذلك ولا متكتم به.٦٣- ولما جاء عيسى بالمعجزات الواضحة، والشرائع وهي الإنجيل قال قد جئتكم بالنبوّة، وقيل: ما يرغب في الجميل ويكف عن القبيح ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه من أحكام التوراة فاتقوا معاصيه سبحانه وأطيعوه فيما آمركم به من التوحيد والشرائع.٦٤- هذا بيان لما أمرهم بأن يطيعوه فيه هذا (صراط مستقيم) أي عبادة الله وحده والعمل بشرائعه.٦٥- اختلفوا من بين من بعث إليهم من اليهود والنصارى، والأحزاب هي الفرق المتحزبة فويل للذين ظلموا من هؤلاء المختلفين، وهم الذين أشركوا بالله ولم يعملوا بشرائعه من عذاب يوم أليم عذابه، وهو يوم القيامة.٦٦- أي هل يرتقب هؤلاء الأحزاب وينتظرون إلا الساعة أن تأتيهم فجأة وهم لا يفطنون بذلك.٦٧- أي الأخلاء في الدنيا المتحابون فيها يوم تأتيهم الساعة يعادي بعضهم بعضا، ووجدوا تلك الأمور التي كانوا فيها أخلاء أسبابا للعذاب، فصاروا أعداء إلا المتقين فإنهم أخلاء في الدنيا والآخرة.٦٨- أي يقال لهؤلاء المتقين المتحابين في الله هذه المقالة، فيذهب عند ذلك خوفهم ويرتفع حزنهم. ٦٩- أي ليس قول «يا عبادي....» لجميع العباد بل للمؤمنين المسلمين.

٧٠- المراد بالأزواج نساءهم المؤمنات، وقيل قرناؤهم من المؤمنين، وقيل زوجاتهم من الحور العين (تحبرون) تكرمون، وتنعمون وقيل تلذذون بالسماع.

٧١- أي لهم في الجنة أطعمة يطاف عليهم بها في صحاف الذهب ولهم فيها أشربة يطاف عليهم بها في أكواب من ذهب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين من فنون الأطعمة والأشربة ونحوهما مما تطلبه النفس وتهواه كائنا ما كان، وتلذ الأعين من كل المستلذات التي تستلذ بها وتطلب مشاهدتها وأنتم فيها خالدون لا تموتون ولا تخرجون منها.

٧٢- أي صارت إليكم كما يصير الميراث إلى الوارث، بما كنتم تعملون في الدنيا من الأعمال الصالحة.

٧٣- أي لهم في الجنة سوى الطعام والشراب فاكهة كثيرة الأنواع والأصناف ﴿مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾.

إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ
فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾
وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ
جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا
فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ
وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ
ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ
عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ
ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ
إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ
﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن
شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ
لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ
لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

٤٩٥

٧٤- أي أهل الجرائم الكفرية في عذاب جهنم خالدون لا ينقطع عنهم العذاب أبدا. ٧٥- أي لا يخفف عنهم ذلك العذاب فترة ليستريحوا منه وهم فيه آيسون من النجاة.٧٦- أي ما عذبناهم بغير ذنب ولا بزيادة على ما يستحقونه ولكن كانوا هم الظالمين لأنفسهم بما فعلوا من الذنوب. ٧٧- أي نادى المجرمون هذا النداء ومالك هو خازن النار ليقض علينا ربك بالموت توسلوا بمالك إلى الله سبحانه ليسأله لهم أن يقضي عليهم بالموت ليستريحوا من العذاب قال إنكم مقيمون في العذاب.٧٨- أي أرسلنا إليكم الرسل، وأنزلنا عليهم الكتب، فدعوكم فلم تقبلوا ولم تصدّقوا ولكنّ أكثركم للحق لا يقبلونه.

٧٩- أي أأحكموا كيدًا للنبي ﷺ فإنا محكمون لهم كيدا. ٨٠- أي ما يتحادثون به سرًّا في أماكنهم الخالية إلا منهم، وما يتناجون به فيما بينهم بلى نسمع ذلك ونعلم به والحفظة عندهم يكتبون جميع ما يصدر عنهم من قول أو فعل. ٨١- المعنى قل يا محمد: إن ثبت لله ولد فأنا أول من يعبد هذا الولد الذي تزعمون ثبوته، ولكنه يستحيل أن يكون له ولد. ٨٢- أي تنزيها له وتقديسا عما يقولون من الكذب بأن له ولدا ويفترون عليه سبحانه ما لا يليق بجنابه. ٨٣- فذرهم يخوضوا في أباطيلهم، ويلهوا في دنياهم حتى يأتي يوم القيامة الذي يوعدون.

٨٤- أي هو الله الذي هو معبود في السماء، ومعبود في الأرض، أو: مستحق للعبادة في السماء والعبادة في الأرض. قال قتادة: يُعبدُ في السماء والأرض وهو البليغ الحكمة الكثير العلم. ٨٥- البركة: كثرة الخيرات، والمراد بما بينهما الفضاء والهواء وما فيه من الحيوانات وعنده علم الوقت الذي يكون قيامها فيه وإليه ترجعون فيجازي كلّ أحد بما يستحقه من خير وشر. ٨٦- أي ولا تملك الأصنام وكل من يدعى من دون الله الشفاعة عند الله كما يزعمون أنهم يشفعون لهم إلا من شهد بالتوحيد وهم على علم وبصيرة بما شهدوا به، لكن من شهد بالحق وشهد بالوحدانية فإن الشافعين يشفعون له إن أذن الله تبارك وتعالى. ٨٧- أي أقرّوا واعترفوا بأن خالقهم الله ولا يقدرون على الإنكار فكيف ينقلبون عن عبادة الله إلى عبادة غيره وينصرفون عنها مع هذا الاعتراف. ٨٨- أي: عند الله علم الساعة، وعلم قيله، أي قول النبي: يا رب إن هؤلاء الذين أرسلتني إليهم قوم لا يؤمنون وعنادهم وإصرارهم على الكفر، ولا يخفى ذلك على الله تعالى. ٨٩- أي أعرض عما يقولون وما يرمونك به من السحر والكهانة واصبر على دعوتهم إلى أن يأتي أمر الله وأمري تسليم منكم ومتاركة لكم فسوف يعلمون ما تلقون من البلاء والعذاب وفيه تهديد ووعيد عظيم من الله عزّ وجلّ.

سُورَةُ الدُّخَانِ ترتيبها ٤٤ آياتها ٥٩

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ (١) وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ (٢) إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ
مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ (٤)
أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ (٥) رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ
ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ (٦) رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ
إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ (٧) لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ رَبُّكُمۡ
وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ (٨) بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ يَلۡعَبُونَ
(٩) فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ (١٠) يَغۡشَى
ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ (١١) رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ
إِنَّا مُؤۡمِنُونَ (١٢) أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ (١٣)
ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ (١٤) إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ
إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ (١٥) يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ
(١٦) ۞ وَلَقَدۡ فَتَنَّا قَبۡلَهُمۡ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَ وَجَآءَهُمۡ رَسُولٞ
كَرِيمٌ (١٧) أَنۡ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ (١٨)

نصف الحزب ٥٠

٤٩٦

سُورَةُ الدُّخَانِ

هي مكية بالاتفاق إلا قوله ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ﴾ ١،٢ – قد تقدم الكلام على معنى هذا. ٣– أي إنا أنزلنا القرآن في ليلة القدر ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (٣)﴾ قال قتادة: أنزل القرآن كله في ليلة القدر من أمّ الكتاب، وهو اللوح المحفوظ، إلى بيت العزّة في سماء الدنيا، ثم أنزله الله سبحانه على نبيه ﷺ في الليالي والأيام في ثلاث وعشرين سنة أهـ. ٤– يفرق: أي يفصّل ويبيّن، والأمر الحكيم: المحكم، وذلك أن الله سبحانه يكتب فيها ما يكون في السنة من حياة وموت، وبسط وقبض، وخير وشر، وغير ذلك، كذا قال مجاهد وقتادة والحسن. ٥– ولقد أنزل الله القرآن متضمنا وحيه وشرعه وكل ذلك الإنذار من الله تعالى لأجل اختصاصه بإرساله من يشاء. ٦– أي إنا كنا مرسلين الرحمة إلى البشر، وهي رسالة الرسل. ٧– أي بأنه رب السماوات والأرض وما بينهما، وقد أقرّوا بذلك. ٨– أي هو ربكم وربهم. ٩– بل هو في شك من التوحيد والبعث يلعبون في إقرارهم بأن الله خالقهم وخالق سائر المخلوقات، وأن ذلك منهم على طريقة اللعب والهزؤ. ١٠– المعنى: فانتظر لهم يا محمد ﴿يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ (١٠)﴾ وهذا الدخان المذكور في الآية قيل إنه من أشراط الساعة، يمكث في الأرض أربعين يوما، وقيل إنه أمر قد مضى، وهو ما أصاب قريشا بدعاء النبيّ ﷺ حتى كان الرجل يرى بين السماء والأرض دخانا. أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود: أن قريشا لما استعصت على رسول الله ﷺ وأبطأوا عن الإسلام، قال: «اللهم أعنّي عليهم بسبع كسبع يوسف» فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجوع، فأنزل الله ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ (١٠)﴾ الآية، فأتي النبيّ ﷺ فقيل يا رسول الله: استسق الله لمضر، فاستسقى لهم فسقوا . ١١– أي يشملهم ويحيط بهم يقولون: هذا عذاب أليم، أو يقول الله لهم ذلك. ١٢– أي يقولون ذلك، وقد روي أنهم أتوا النبيّ ﷺ وقالوا: إن كشف الله عنا هذا العذاب أسلمنا، والمراد بالعذاب الجوع الذي كان بسببه ما يرونه من الدخان. ١٣– أي كيف يتذكرون ويتعظمون بما نزل بهم والحال أن قد جاءهم رسول يبين لهم كل شيء يحتاجون إليه من أمر الدين. ١٤– أي أعرضوا عن ذلك الرسول وقالوا: إنما يعلمه القرآن بشر، وقالوا: إنه مجنون، فكيف يتذكر هؤلاء وأنى لهم الذكرى؟ ١٥– أي إنا سنرفعه عنهم زمانًا إنكم عائدون إلى ما كنتم عليه من الشرك. وقد كان: رجعوا إلى ما كانوا عليه من الكفر والعناد. ١٦– قيل هي يوم بدر، لما عادوا إلى التكذيب والكفر بعد رفع العذاب عنهم، انتقم الله منهم بوقعة بدر. وقيل المراد: عذاب النار. ١٧– أي ابتليناهم، أرسل الله إليهم رسله، وأمروهم بما شرعه لهم فكذبوهم، أو وسع عليهم الأرزاق فطغوا وبغوا وجاءهم رسول كريم على الله، كريم في قومه، وهو موسى عليه السلام. ١٨– أي أرسلوا معي عباد الله وهم بنو إسرائيل وأطلقوهم من العذاب =

وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ
بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا
رَبَّهُ أَنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم
مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ
تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ
كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾
فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ
نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ
كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى
الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ
﴿٣٣﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا
نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ
خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ
﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿٣٨﴾
مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

= إني لكم رسول أمين على الرسالة غير متهم. ١٩- أي لا تتجبروا وتتكبروا عليه بترفعكم عن طاعته ومتابعة رسله إني آتيكم بحجة واضحة لا سبيل إلى إنكارها، وهي معجزات العصا واليد وسائر الآيات التسع. ٢٠- أي استعاذ بالله سبحانه لما توعدوه بالقتل بالحجارة. ٢١- أي إن لم تصدّقوني وتقرّوا بنبوتي فاتركوني، ولا تتعرضوا لي بأذى إلى أن يحكم الله بيننا.

٢٣- أجاب الله سبحانه دعاءه، فأمره أن يسري ببني إسرائيل ليلا واعلم أنه يتبعكم فرعون وجنوده. ٢٤- أي ساكنًا لا يتحرّك ثم أخبر سبحانه موسى بغرقهم ليسكن قلبه ويطمئن جأشه. ٢٧- وهي المال والخير الواسع كانوا فيها ناعمين. والفاكه هو المستمتع بأنواع اللذة، كما يتمتع الرجل بأنواع الفاكهة. ٢٨- أي سلبناهم إياها وأهلكناهم وأورثناهم بني إسرائيل.

٢٩- لم يكونوا يعملون على الأرض عملا صالحا تبكي عليهم بسببه، ولم يصعد لهم إلى السماء عمل طيب تبكي عليهم به، فما بكى عليهم أهل السماء والأرض من الملائكة والناس بل عوجلوا بالعقوبة لفرط كفرهم وشدّة عنادهم. ٣٠- أي خلصناهم بإهلاك عدوّهم مما كانوا فيه من الاستعباد وقتل الأبناء واستحياء النساء وتكليفهم للأعمال الشاقة. ٣١- أي من عذاب فرعون إنه كان عاليا في التكبر والتجبر، من المسرفين في الكفر بالله وارتكاب معاصيه.

٣٢- أي اختارهم الله على الناس على علم منه باستحقاقهم لذلك لكثرة الأنبياء فيهم.

٣٣- وآتيناهم من معجزات موسى ما فيه اختبار ظاهر وامتحان واضح لننظر كيف يعملون، ومن الآيات إنجاؤهم من الغرق وفلق البحر لهم وتظليل الغمام عليهم وإنزال المنّ والسلوى لهم.

٣٤، ٣٥- إن كفار قريش ﴿لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ﴾ ولا حياة بعدها ولا بعث ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾﴾ أي بمبعوثين.

٣٦- أي أرجعوهم بعد موتهم إلى الدنيا إن كنتم صادقين فيما تقولونه وتخبروننا به من البعث.

٣٧- أي أهم خير في القوّة والمنعة أم قوم تبع الحميري الذي دار في الدنيا بجيوشه وغلب أهلها وقهرهم والذين من قبلهم عاد وثمود ونحوهم ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾ فإهلاكه لمن هو دونهم بسبب كونه مجرما مع ضعفه وقصور قدرته بالأولى.

٣٩- ما خلقناها وما بينها إلا لإقامة الحق وإظهاره ولكن أكثر الناس لا يعلمون بذلك. وهم المشركون.

إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى
عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ
إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾
طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ
ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ
صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ
أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَـٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ
﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ
﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾
كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ
فَـٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ
إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا
مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

سورة الجاثية

مكية ٤٥ — آياتها ٣٧

٤٠ - أي الوقت المجعول لتمييز حسن من المسيء، والمحقّ من المبطل.

٤١ - أي لا ينفع في ذلك اليوم قريب قريبًا، ولا يدفع عنه شيئًا ولا هم يمنعون من عذاب الله.

٤٢ - أي لكن من رحمه الله الغالب الذي لا ينصر أحد من أراد عذابه، الرحيم لعباده المؤمنين.

٤٣، ٤٤ - الشجرة التي خلقها الله في جهنم، وسماها الشجرة الملعونة، فإذا جاع أهل النار التجأوا إليها فأكلوا منها والأثيم: الكثير الإثم.

٤٥ - ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ وهو درديّ الزيت وعكر القطران، وقيل هو النحاس المذاب.

٤٦ - أي هو الماء الشديد الحرارة.

٤٧ - أي يقال للملائكة الذين هم خزنة النار: خذوه، أي الأثيم، فاعتلوه، أي: فجرُّوه إلى وسط النار.

٤٨ - وهو الماء الشديد الحرارة كما تقدّم.

٤٩ - أي وقولوا له تهكما وتقريعا وتوبيخا: ذق العذاب أيها المتعزز المتكرم في زعمك، وفيما كنت تقوله.

٥٠ - إن هذا العذاب ما كنتم تشكون فيه حين كنتم في الدنيا.

٥١ - أي يأمن صاحبه من جميع المخاوف.

٥٣ - السندس مارقّ من الديباج والإستبرق ما غلظ منه متقابلين في مجالسهم ينظر بعضهم إلى بعض.

٥٤ - أي أكرمناهم بأن قرنّاهم بنساء حور عين أحللناهن لهم، لكل منهم ما شاء منهنّ والحور جمع حوراء وهي البيضاء. وقيل هو من حَوَرِ العين، وهو شدّة بياض العين في شدّة سوادها. والعين: الواسعات الأعين، الواحدة عيناء.

٥٥ - أي آمنين من التخم والأسقام والآلام وآمنين من الموت والوصب والشيطان ومن انقطاع ما هم فيه من النعيم.

٥٦ - ومن أعظم نعم الله تعالى على أهل الجنة أنهم لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة التي ذاقوها في الدنيا وقد نجو من عذاب الجحيم وحماهم الله من ذلك.

٥٧ - أي لأجل الفضل منه، أو أعطاهم ذلك العطاء فضلا منه ذلك الذي تقدم ذكره هو الفوز الذي لا فوز بعده، المتناهي في العظم.

٥٨ - أي إنما أنزلنا القرآن بلغتك التي هي لغتهم، وجعلناهُ ميسَّرًا للفهم، كي يفهمه قومك، فيتذكروا ويعتبروا ويعملوا بما فيه.

٥٩ - أي فانتظر ما وعدناك من النصر عليهم وإهلاكهم على يدك إن استمروا على الكفر بدعوة الله، والمشاقة لله ورسوله، فإنهم منتظرون ما ينزل بك من موت أو غيره.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ٢ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٣ وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ
لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٤ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ
مِن رِّزۡقٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ
يَعۡقِلُونَ ٥ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ
ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ٦ وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ٧ يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ
ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ
٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا شَيۡـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ
مُّهِينٞ ٩ مِّن وَرَآئِهِمۡ جَهَنَّمُۖ وَلَا يُغۡنِي عَنۡهُم مَّا كَسَبُواْ شَيۡـٔٗا
وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٠ هَٰذَا
ثلاثة أرباع الحزب ٥٠
هُدٗىۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٌ ١١
۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن
فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٢ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي
ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١٣

سُورَةُ الجَاثِيَةِ

هي مكية كلها.

١- قد تقدّم الكلام في الحروف المقطعة التي في أوائل السور في أول تفسير سورة البقرة. ٣- أي فيها نفسها، فإنها من فنون الآيات، أو في خلقها. ٤- أي في خلق الله لكم على أطوار مختلفة، من تراب ثم من نطفة، إلى أن يصير إنسانا وفي خلق ما يبث في دابة لأدلة وبراهين واضحه ظاهرة يعتبر بها أهل اليقين. ٥- أي في تعاقبهما، أو تفاوتهما في الطول والقصر، والحرارة والبرودة، والضياء والظلمة، آيات وعبر كذلك والرزق: المطر، لأنه سبب لكل ما يرزق الله العباد به وإحياء الأرض: إخراج نباتها خلوّها عن النبات ﴿وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ تهبّ تارة من جهة، وتارة من أخرى، وتارة تكون حارة، وتارة تكون باردة، وتارة نافعة، وتارة ضارة آيات لأقل العقول الراجحة. ٦- أي هذه الآيات المذكورة هي حجج الله وبراهينه نتلوها عليك بالحق. ٧- أي لكل كذاب، كثير الإثم، مرتكب لما يوجبه. ٨- أي يبقى مصرًّا على كفره ويقيم على ما كان عليه، لا يتعظ بما يسمع من كلام الله يتمادى على كفره متعظما في نفسه عن الانقياد للحقّ مشبهًا حاله حال من لم يسمع في عدم الالتفات إليها فأخبره بأن له عند الله عذابا شديد الإيلام جزاء إصراره واستكباره وعدم استماعه إلى الآيات. ٩- أي إذا وصل إليه علم شيء من آيات الله اتخذها موضوعا للسخرية والتندّر مما أشارت إليه من المعاني أولئك الأفاكون الذين تلك صفاتهم لهم عذاب مهين بسبب ما فعلوا من الإصرار والاستكبار عن سماع آيات الله واتخاذها هزوا. ١٠- أي من وراء ما هم فيه من التعزّز بالدنيا، والتكبر عن الحقّ، جهنم، فإنها خلفهم وستدركهم. وقيل: من ورائهم: يعني من قدّامهم، لأنهم متوجهون إليها ولا يدفع عنهم ما كسبوا من أموالهم وأولادهم شيئا من عذاب الله، ولا ينفعهم بوجه من وجوه النفع ولا تنفعهم بوجه من وجوه النفع ولا تنفعهم الأصنام والآلهة التي اتخذوها آلهه من دون الله يرجون منها النفع ودفع الضرر ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٠﴾ في جهنم التي هي من ورائهم. ١١- يعني أن هذه الآيات التي تقدم ذكرها في هذه السورة، هي هدى للمهتدين بالقرآن العظيم، الذين يقبلون ما فيه والذين كفروا بآيات ربهم القرآنية لهم عذاب شديد موجع مؤلم. ١٢- أي جعله على صفة تتمكنون بها من الرّكوب عليه في السفن التي علمكم صنعها لتجري الفلك فيه بإذنه وإقداره لكم ولتبتغوا من فضله بالتجارة تارة، والغوص المدرّ، والمعالجة للصيد، وغير ذلك ولكي تشكرون الله على النعم التي تحصل لكم بسبب هذا التسخير للبحر.

قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِيَ
قَوْمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفْسِهِۦۖ
وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَاۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا
بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ
وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلْأَمْرِۖ
فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيَۢا بَيْنَهُمْۚ إِنَّ
رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ
أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ
شَيْـٔٗاۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ
﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحْمَةٞ لِّقَوْمٖ يُوقِنُونَ
﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْۚ سَآءَ
مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ
وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسِۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

١٣ – أي سخر لعباده جميع ما خلقه في السماوات: الشمس، والقمر، والنجوم النيرات، والمطر، والسحاب، والرياح، وما في الأرض، وكل ذلك رحمة منه لعباده نعمةً وتفضُّلًا إن في ذلك التسخير لآيات لقوم يتفكرون فيصلون بالفكر إلى الاستدلال بها على التوحيد، أما الذين لا يتفكرون فإنهم لا يهتدون بها. ١٤ – المعنى: قل لهم أن يتجاوزوا عن الذين لا يرجون وقائع الله بأعدائه، أي لا يتوقعونها، ولا يخشون على أنفسهم مثل عذاب الله للأمم الخالية، وذلك أنهم لا يؤمنون به، ولا يأملون نصر الله لأوليائه والمراد بالقوم المؤمنون، أمروا بالمغفرة ليجزيهم الله يوم القيامة بما كسبوا في الدنيا من الأعمال الحسنة، التي من جملتها الصبر على أذية الكفار، والإغضاء عنهم بكظم الغيظ واحتمال المكروه.

١٥ – ولقد آتينا بني إسرائيل التوراة والفهم والفقه اللّذين يكون بهما الحكم بين الناس، وفصل خصوماتهم والنبوة، أي من بعثه الله من الأنبياء فيهم ورزقناهم من المستلذات التي أحلها الله لهم، ومن ذلك المنّ والسلوى وفضلناهم على العالمين حيث آتيناهم ما لم نؤت من عداهم، من فلق البحر، والتوراة، والإيمان.

١٧ – أي شرائع واضحات في الحلال والحرام، أو معجزات ظاهرات، وقيل العلم بمبعث النبي ﷺ وشواهد نبوّته فما وقع الاختلاف بينهم في ذلك الأمر إلا بعد مجيء العلم إليهم ببيانه وإيضاح معناه، فجعلوا ما يوجب زوال الخلاف موجبا لثبوته بغيا من بعضهم على بعض بطلب الرئاسة إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون من أمر الدين، فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، ويبيّن أهل الحق من أهل الباطل. ١٨ – أي جعلناك يا محمد على منهاج واضح من أمر الدين يوصلك إلى الحق فاعمل بأحكامها في أمتك ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون توحيد الله وشرائعه لعباده، وهم كفار قريش ومن وافقهم.

١٩ – أي لا يدفعون عنك شيئا مما أراده الله بك إن اتبعت أهواءهم وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض ينصر بعضهم بعضا فالمنافقون أولياء اليهود والله ناصر المتقين والمراد بالمتقين الذين اتقوا الشرك والمعاصي. ٢٠ – أي هذا الإعلان على لسانك للناس باتباع شرائع الله وأن الله ولي متبعيها، والشريعة نفسها براهين ودلائل لهم فيما يحتاجون إليه من أحكام الدين وهدى يؤدّي إلى الجنة لمن عمل به ورحمه من الله في الآخرة لقوم من شأنهم الإيقان وعدم الشك والتزلزل بالشبه. ٢١ – أم حسب الذين فعلوا السيئات عمدًا واكتسبوا إثمها أن نسوّي بينهم مع اجتراحهم السيئات، وبين أهل الحسنات سواء محياهم ومماتهم في دار الدنيا وفي الآخرة؟ كلا لا يستوون، فإن حال أهل السعادة في الآخرة غير حال أهل الشقاوة ساء حكمهم هذا الذي حكموا به.

٢٢ – وخلق الله السماوات والأرض بالحقّ المقتضي للعدل بين العباد خلق الله السماوات والأرض ليدلّ بهما على قدرته ولكي تجزي =

أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ
وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ
إِلَّا ٱلدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ
عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن
كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ
ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ
﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ
مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا
ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا
مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم
مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾

= كل نفس ما قدمت وهم لا يظلمون بنقص ثواب أو زيادة عقاب.

٢٣- لا يظلمون أي الكافر اتخذ دينه ما يهواه، فلا يهوى شيئا إلا تبعه، دون مراعاة لمحبة الله ورضاه، أو لكراهته وغضبه، أو المراد: يعبد ما يهواه أو يستحسنه أي وإنه على علم بالحق، ويعلم الهدى من الضلال، ولكن يترك الحق اتباعا لشهوة نفسه وطُبع على سمعه حتى لا يسمع الوعظ، وطُبع على قلبه حتى لا يفقه الهدى وجعل على بصره غطاء حتى لا يبصر الرشد فمن يهديه من بعد إضلال الله له أفلا تذكرون تذكر اعتبار حتى تعلموا حقيقة الحال.

٢٤- أي ما الحياة إلا الحياة التي نحن فيها يصيبنا الموت والحياة فيها، وليس وراء ذلك حياة، وقيل: نموت نحن ويحيا أولادنا، ثم يموتون ويحيا أولادهم، وهكذا وما يهلكنا إلا مرور الأيام والليالي وما قالوا هذه المقالة إلا شاكين غير عالمين بالحقيقة وغاية ما عندهم الظنّ، ولا يستندون إلا إليه.

٢٥- وإذا تتلى عليهم آياتنا ظاهرة المعنى والدلالة على البعث ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين فيما تقولون، وليست هذه بحجة. ٢٦- قل الله يحييكم في الدنيا ثم يميتكم عند انقضاء آجالكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة بالبعث والنشور والحشر إلى موقف الحساب لا شك في جمعكم ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون بذلك، فلهذا حصل معهم الشكّ في البعث. ٢٧- أي: هو المتصرّف فيها وحده لا يشاركه أحد من عباده ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المكذبون الكافرون المتعلقون بالأباطيل، يظهر في ذلك اليوم خسرانهم، لأنهم يصيرون إلى النار. ٢٨- الأمة أصحاب الملة الواحدة ﴿جَاثِيَةً﴾ مستوفزة، والجثوّ جلسة معينة هي جلسة الذي لا يصيب الأرض منه إلا ركبتاه وأطراف أنامله. والناس لشدة الأمر يجثون بين يدي الله كذلك عند الحساب. وقال الحسن باركة على الركب كل أمة تدعى إلى الكتاب المنزل عليها، وقيل إلى صحيفة أعمالها يجزيكم الله في الدار الآخرة بما عملتم في الدنيا من خير وشر. ٢٩- أي: يشهد عليكم، يقرأونه فيذكرون ما عملوا إنا كنا نأمر الملائكة بنسخ أعمالكم، أي بكتبها وتثبيتها، وقيل: إن الملائكة إذا رفعت أعمال العباد إلى الله سبحانه، أمر عزّ وجلّ أن يثبت عنده منها ما فيه ثواب وعقاب، ويسقط منها ما لا ثواب فيه ولا عقاب. ٣٠- فأما أهل الإيمان الذين عملوا الصالحات لهم ويدخلهم الجنة وهذ هو الفوز والفلاح والنجاح الظاهر الواضح. ٣١- وأما الكفار فيقال لهم توبيخا وتقريعًا أفلم تكن آيات الله تقرأ عليكم فتعاليتم على الإيمان بها وقبولها وكنتم من أهل الإجرام وفعل الآثام. ٣٢- أي: لهؤلاء الكفار، إذا أخبرهم الرسول ﷺ عن الله بوعده بالبعث والحساب، أو بجميع ما وعد به من الأمور المستقبلة، وأن ذلك واقع لا محالة والقيامة لا ريب في وقوعها ﴿قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ﴾ أي: أي شيء هي؟ نحدس حدسا ونتوهم توهما لا علمًا =

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾
وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا
لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ
ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾
فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ
ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

سُورَةُ الأَحْقَافِ

ترتيبها ٤٦ — آياتها ٣٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ
ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن
لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾

= ولم يكن لنا يقين، ولم يكن معنا إلا مجرد الظنّ أن الساعة آتية.

٣٣- أي: ظهر لهم سيئات أعمالهم على الصورة التي هي عليها وأحاط بهم ونزل عليهم جزاء أعمالهم بدخولهم النار. ٣٤- أي نترككم في النار كما تركتم العمل لهذا اليوم وتجاهلتم ما جاء عنه في كتب الله ومسكنكم ومستقرّكم الذي تأوون إليه النار ومالكم من ناصرين ينصرونكم فيمنعون عنكم العذاب. ٣٥- أي: ذلكم العذاب إنما يقع بكم بسبب أنكم اتخذتم القرآن هزوًا ولعبًا وخدعتكم الحياة الدنيا بزخارفها وأباطيلها، فظننتم أنه لا دار غيرها، ولا بعث ولا نشور، وعشتم حياتكم على أساس ذلك فاليوم لا يخرجون من النار ولا يُسْتَرْضَوْنَ، ولا يطلب منهم الرجوع إلى طاعة الله، لأنه يوم لا تقبل فيه توبة، ولا تنفع فيه معذرة. ٦- فلله الحمد رب السماوات وربّ الأرض ربّ العالمين لا يستحق الحمد سواه على خلقهما وإصلاح حال من فيهما.

٣٧- والأرض أي له الجلال والعظمة والسلطان في السماوات والأرض وهو العزيز في سلطانه فلا يغالبه مغالب الحكيم في كل أفعاله وأقواله وجميع أقضيته.

سُورَةُ الأَحْقَافِ

هي مكية. ١، ٢- قد تقدم الكلام على مثل هذه الفاتحة في أول سورة غافر. ٣- أي: ما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما من المخلوقات بأسرها إلا بالحق الذي تقتضيه المشيئة الإلهية، وليس عبثا ولا باطلا وأجل مسمى تنتهي فيه هو يوم القيامة، والذين كفروا عما خوّفوا به في القرآن من البعث والحساب والجزاء مولون عنه غير مستعدين له.

٤- قل أرأيتم ما تدعون من دون الله من الأصنام وأصحاب القبور والطواغيت أروني أي شيء خلقوا من الأرض هل يملكون جزءا منها أتتوني بكتاب من قبل هذا القرآن، فإنه قد صرح ببطلان الشرك، وبأن الله واحد لا شريك له، وأن الساعة حق لا ريب فيها، فهل للمشركين من كتاب يخالف هذا الكتاب، أو حجة تنافي هذه الحجة؟ أو بقية من علم، أو شيء تأثرونه عن نبيّ كان قبل محمد ﷺ وقال ابن عباس: الأثارة الخط، أي الشيء المكتوب المأثور.

٥- أي لا أحد أضل منه ولا أجهل، فإنه دعا من لا يسمع، فكيف يطمع في الإجابة، فضلا عن جلب نفع أو دفع ضر، ولو دعاه والأصنام التي يدعونها عن دعائهم إياها غافلون لا يسمعون ولا يعقلون، لكونهم جمادات.

وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ٦ وَإِذَا
تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ هَٰذَا
سِحۡرٞ مُّبِينٌ ٧ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَلَا تَمۡلِكُونَ
لِي مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدَۢا بَيۡنِي
وَبَيۡنَكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٨ قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ
وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠
إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٩ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرۡتُم بِهِۦ
وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡۚ
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ وَإِذۡ لَمۡ يَهۡتَدُواْ بِهِۦ
فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفۡكٞ قَدِيمٞ ١١ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ
إِمَامٗا وَرَحۡمَةٗۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٞ مُّصَدِّقٞ لِّسَانًا عَرَبِيّٗا لِّيُنذِرَ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُحۡسِنِينَ ١٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا
ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٣
أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٤

٦ - أي إذا حشر الناس العابدون للأصنام كانت الأصنام لهم أعداء، تتبرأ منهم وتلعنهم. وقد قيل: إن الله يخلق الحياة في الأصنام فتكذبهم، وأما الملائكة والمسيح وعزير والشياطين فإنهم يتبرءون ممن عبدهم يوم القيامة وكان المعبودون بعبادة المشركين إياهم جاحدين مكذبين. ٨ - أم يقولون اخترعه من عند نفسه كذبًا على الله قل: إن افتريته على سبيل الفرض والتقدير كما تدعون فلا تقدرون على أن تردوا عني عقاب الله، فكيف أفتري على الله لأجلكم وأنتم لا تقدرون على دفع عقابه عني؟ الله أعلم بما تقولون في القرآن، وتخوضون فيه، من التكذيب له، والقول بأنه سحر وكهانة كفى به شهيدا بيني وبينكم فإنه يشهد لي بأن القرآن من عنده وأني قد بلغتكم، ويشهد عليكم بالتكذيب والجحود وهو الغفور الرحيم لمن تاب وآمن، وصدق بالقرآن، وعمل بما فيه.

٩ - أي ما أنا بأول رسول، قد بعث الله قبلي كثيرا من الرسل وما أدري فيما يستقبل من الزمان، هل أبقى في مكة أو أخرج منها؟ وهل أموت أو أقتل؟ وهل تعجل لكم العقوبة أم تمهلون؟ إن أتبع إلا القرآن ولا أبتدع من عندي شيئًا وما أنا إلا أنذركم عقاب الله وأخوفكم عذابه على وجه الإيضاح.

١٠ - قل أخبروني إن كان ذلك في الحقيقة من عند الله والحال أنكم قد كفرتم به ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ العالمين بما أنزل الله في التوراة على القرآن من المعاني الموجودة في التوراة المطابقة له من إثبات التوحيد والبعث والنشور وغير ذلك فآمن الشاهد بالقرآن لما تبين له أنه من كلام الله ومن جنس ما ينزله على رسله، وهذا الشاهد من بني إسرائيل هو عبد الله بن سلام، كان إسلامه بعد الهجرة واستكبرتم عن الإيمان.

١١ - أي: قالوا عنهم لو كان خيرًا ما جاء به محمد من القرآن والنبوة ما سبقونا إلى الإيمان به. ظنوا أنهم عند أنفسهم المستحقون للسبق إلى كل مكرمة، ولم يعلموا أن الله سبحانه يختص برحمته من يشاء، ويصطفي لدينه من يشاء. وإذ لم يهتدوا بالقرآن فسيقولون هذا كذب قديم كما قالوا: أساطير الأولين. ١٢ - ﴿وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ قد تقدم القرآن كتاب موسى، وهو التوراة، وتوافقًا في أصول الشرائع، وهذا يدل على أنه حق وأنه من عند الله يقتدي به في الدين، وهو رحمة من الله لمن آمن به، والقرآن مصدق لكتاب موسى الذي هو إمام ورحمة، ولغيره من كتب الله حال كونه بلغة عربية يفهمونها لينذر الذين ظلموا عذاب الله، فلا يكون لهم عذر ومآلهم النصر والجنة جزاء إحسانهم. ١٣ - أي: جمعوا بين التوحيد والاستقامة على الشريعة فلا يخافون من وقوع مكروه بهم، ولا يحزنون من فوات محبوب، وذلك مستمر دائم.

وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ
كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ
أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ
عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى
ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ
ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِى قَالَ
لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن
قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ
مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ
ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟
خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ
فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ
بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾

٥٠٤

١٥ - أي: وصيناه أن يحسن إليهما إحسانًا وحملته في بطنها بمشقة، وعندما ولدته ولدته بمشقة كذلك وحمله وفصاله ثلاثون شهرًا مدتها هذه المدة، من عند ابتداء حمله إلى أن يفصل من الرضاع، أي: يفطم عنه. وفي هذه الآية إشارة إلى أن حق الأم آكد من حق الأب، لأنها حملته بمشقة ووضعته بمشقة، وأرضعته وحضنته، وقامت بشأنه هذه المدة، بتعب ونصب، ولم يشاركها الأب في شيء من ذلك حتى إذا بلغ استحكام قوته وعقله وبلغ أربعين سنة ألهمني شكر ما أنعمت به عليّ من الهداية، وعلى والديّ من التحنن عليّ منهما، حين ربياني صغيرًا وألهمني أن أعمل عملاً صالحًا ترضاه مني واجعل ذريتي صالحين راسخين في الصلاح متمكنين منه. روي أنها نزلت في أبي بكر رضي الله عنه وأرضاه إني تبت إليك من ذنوبي وإني من المستسلمين لك المنقادين لطاعتك المخلصين لتوحيدك. ١٦ - أولئك الذين هذه طريقتهم، هم الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا من أعمال الخير في الدنيا ونتجاوز عن سيئاتهم فلا نعاقبهم عليها. والتجاوز: الغفران في أصحاب الجنة منتظمون في سلكهم وعد الصدق الذي كانوا يوعدون به على ألسن الرسل في الدنيا. ١٧ - أف: كلمة تصدر عن قائلها عند تضجره من شيء يرد عليه، أتتما تخبرانني أنني سأبعث من قبري بعد الموت لموعد الله، وهذا أمر مستبعد مستنكر: أبعث بعد الموت؟! ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى﴾ فماتوا ولم يبعث منهم أحد وهما يستغيثان الله له، ويطلبان منه أن يوفق ولدهما إلى الإيمان ويقولان لولدهما: ويلك آمن بالبعث إن وعد الله حق لا خلف فيه فيقول عند ذلك مكذبًا لما قالاه: ما هذا الذي تقولانه من البعث إلا أحاديث الأولين وأباطيلهم التي سطروها في الكتب، يعني بقوله هذا أن البعث في الحقيقة أمر باطل لا يقبله العقل. ١٨ - أولئك القائلون هذه المقالات هم الذين وجب عليهم العذاب. ولعل المراد بالقول هنا: قوله سبحانه لإبليس: «لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين» ﴿فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ وجب عليهم العذاب فهم منضمون في ذلك إلى الأمم الكافرة المتقدمة إنهم كانوا خاسرين.

١٩ - أي لكل فريق من الفريقين المؤمنين والكافرين من الجن والإنس مراتب عند الله يوم القيامة ليوفيهم جزاء أعمالهم وهم لا يظلمون.

٢٠ - أي: يوم ينكشف الغطاء فينظرون إلى النار ويقربون منها، وقيل المعنى: تعرض النار عليهم ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾ اتبعوا الشهوات واللذات في معاصي الله سبحانه، ولم يبالوا بالذنب، تكذيبًا منهم لما جاءت به الرسل من الوعد بالحساب والعقاب والثواب فاليوم تجزون العذاب الذي فيه ذل لكم وخزي عليكم بسبب تكبركم عن عبادة الله والإيمان به وتوحيده وبما كنتم تخرجون عن طاعة الله، وتعملون بمعاصيه.

ربع الحزب ٥١

۞ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ
مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ
عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا
بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ
وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾
فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ
بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ
شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى
ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ
وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ
وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ
بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ
أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ
﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ ۖ
بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾

٢١- واذكر يا محمد لقومك ليتعظوا ويخافوا. أو المراد: تذكر في نفسك قصة هود وصبره مع قومه، لتقتدي به، ويهون عليك ما تلقى من تكذيب قومك لك أخا عاد وهو هود، كان أخاهم في النسب، لا في الدين إذ أنذر قومه بالأحقاف وهي ديار عاد، والحقف: هو كثيب الرمل العظيم المستطيل المعوج، والأحقاف: رمال بلاد الشجر باليمن في حضر موت وقد أعلمهم أن الرسل الذين بعثوا قبله، والذين بعثوا بعده، كلهم أنذروا نحو إنذاره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم.

٢٢- أي: لتصرفنا عن عبادتها فأتنا بما تعدنا من العذاب العظيم إن كنت من الصادقين في وعدك لنا به.

٢٣- أي: إنما العلم بوقت مجيئه عند الله لا عندي، لأنه هو الذي قدره لا أنا، ولم يخبرني متى سيأتي به وأبلغكم ما أرسلت به إليكم من ربكم من الإنذار والإعذار، فأما العلم بوقت مجيء العذاب فما أوحاه إليّ ولكني أراكم قومًا تجهلون حيث بقيتم مصرين على كفركم ولم تهتدوا بما جئتكم به، بل اقترحتم عليّ ما ليس من وظائف الرسل.

٢٤- أي: فلما رأوا السحاب عارضًا يعترض في الأفق متوجهًا نحو أوديتهم. قال المفسرون: كانت عاد قد حبس عنهم المطر، ثم ساق الله إليهم سحابة سوداء فلما رأوه مستقبل أوديتهم استبشروا وقالوا: هذا غيم فيه مطر. فلما قالوا ذلك أجابهم هود، فقال: بل هو ما استعجلتم به من العذاب، حيث قالوا: «فائتنا بما تعدنا» ويحتمل أن هذا من قول الله لهم.ريح فيها عذاب أليم نشأت من ذلك السحاب الذي رأوه.

٢٥- أي: تهلك كل شيء مرّت به من نفوس عاد وأموالها بقضاء ربها وقدره فجاءتهم الريح فدمرتهم، فأصبحوا لا يرى من أموالهم وأجسامهم شيء، لكن ترى مساكنهم.

٢٦- أي: مكنّاهم في المال وطول العمر وقوة الأبدان، بمقدار لم نجعل لكم مثله، فقد كانوا أشد منكم يا أهل مكة، وأقوى تمكينًا في الأرض وأبنية وتسلطًا وإنهم أعرضوا عن قبول الحجة والتذكر مع ما أعطاهم الله من الحواس التي بها تدرك الأدلة فما نفعهم ما أعطاهم الله من ذلك حيث لم يتوصلوا به إلى التوحيد وصحة الوعد والوعيد لأنهم كانوا يجحدون بآيات الله وأحاط بهم العذاب الذي كانوا يستعجلونه بطريق الاستهزاء حيث قالوا: «فائتنا بما تعدنا».

٢٧- ولقد أهلكنا ما حولكم من قرى ثمود، وقرى قوم لوط، ونحوهما مما كان مجاورًا لبلاد الحجاز، وكانت أخبارهم متواترة عندهم وبيّنا الحجج ونوّعناها لكي يرجعوا عن كفرهم فلم يرجعوا.

وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا
حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ
﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ
مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ
﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن
ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ
فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ
إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ
أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا
كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ
وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا
سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾

سُورَةُ مُحَمَّدٍ — ترتيبها ٤٧ — آياتها ٣٨

٢٨- أي: فهلا نصرتهم آلهتهم التي تقربوا إليها بزعمهم لتشفع لهم، ومنعتهم من الهلاك الواقع بهم، بل غابوا عن نصرهم، ولم يحضروا عند الحاجة إليهم وذلك الضلال والضياع سببه إفكهم الذي هو اتخاذهم إياها آلهة، وزعمهم الكاذب أنها تقربهم إلى الله، وتشفع وما كانوا يكذبون بقولهم إنها آلهة.

٢٩- أي: وجهنا إليك يا محمد نفرًا من الجن وبعثناهم إليك لما أردناه بقومهم من الهداية فلما حضروا القرآن عند تلاوته أمروا بعضهم بعضًا بذلك لأجل أن يسمعوا فلما فرغ من تلاوته انصرفوا قاصدين إلى من وراءهم من قومهم منذرين لهم عن مخالفة القرآن، ومحذرين لهم، وهذه الآية تبين أنه ﷺ كان مرسلاً إلى الجن والإنس.

٣٠- أي: فوصلوا إلى قومهم، فقالوا يا قومنا. قال عطاء: كانوا يهودًا فأسلموا مصدقًا لما قبله من الكتب المنزلة يهدي إلى الدين الحق وإلى طريق الله القويم.

٣١- أي: يا قومنا أجيبوا يعني. محمدًا ﷺ أو القرآن يغفر لكم بعض ذنوبكم ويجركم من عذاب النار، ويدخل مؤمنهم الجنة، لقول الله تعالى:
﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾﴾.

٣٢- أي: لا يفوت الله ولا يسبقه، ولا يقدر على الهرب منه، لأنه وإن هرب كل مهرب فهو في الأرض، لا سبيل إلى الخروج منها وليس له من دونه أنصار يمنعونه من عذاب الله وكل من لا يجيب داعي الله في ضلال مبين أي: ظاهر واضح.

٣٣- أي: ألم يتفكروا ولم يعلموا أن الذي خلق هذه الأجرام من السماوات والأرض ابتداء ولم يعجز عن ذلك ولا ضعف عنه بل وهو قادر على ذلك كله إنه على كل شيء قدير لا يعجزه شيء.

٣٤- أي: يقال ذلك اليوم للذين كفروا أليس هذا بالحق وقد أخبرناكم به سابقًا فأنكرتم؟ قالوا بلى وربنا، أي: أنهم اعترفوا حين لا ينفعهم الاعتراف قال: فذوقوا العذاب بسبب كفركم بهذا في الدنيا وإنكاركم له.

٣٥- وأولوا العزم هم أرباب الثبات والحزم، فإنك منهم. وأولوا العزم من الرسل خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ، وهم أصحاب الشرائع. وقيل: نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وموسى. وليس منهم يونس وآدم ولا تستعجل العذاب يا محمد للكفار ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾ من العذاب، في الآخرة كأنهم لم يلبثوا في الدنيا إلا قدر ساعة من ساعات الأيام، لما يشاهدونه من الهول العظيم والبلاء المقيم وهذا الذي وعظتهم به بلاغ يقطع حجة الكافرين لا يهلك بعذاب الله إلا القوم الخارجون عن الطاعة والواقعون في معاصي الله.

سُورَةُ مُحَمَّدٍ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ١ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن
رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
ٱتَّبَعُواْ ٱلۡبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡحَقَّ مِن رَّبِّهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ
ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمۡثَٰلَهُمۡ ٣ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ
إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ
أَوۡزَارَهَاۚ ذَٰلِكَۖ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم
بِبَعۡضٖۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٤ سَيَهۡدِيهِمۡ
وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ٥ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٨ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ
نصف الحزب ٥١ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٩ ۞ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا ١٠
ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ١١

هي مدنية. وتسمى سورة القتال.

١- وهم كفار قريش، كفروا بالله وصدوا أنفسهم وغيرهم عن دين الإسلام بنهيهم عن الدخول فيه أبطل أعمالهم وجعلها ضائعة، وجعل الدائرة عليهم في كفرهم. وقيل: أبطل ما عملوه في الكفر مما كانوا يسمونه مكارم أخلاق، من صلة الأرحام،وفك الأسارى، وقرى الأضياف، فإنها مع الكفر والصدّ لا تقبل. ٢- قيل نزلت في الأنصار، وقيل في مؤمني أهل الكتاب. وخص سبحانه الإيمان بما أنزل على محمد ﷺ بالذكر، مع اندراجه تحت مطلق الإيمان المذكور قبله، تنبيهًا على شرفه وعلو مكانه وآمنوا أنه حق وآمنوا بأنه كلام الله كفر عنهم سيئاتهم التي عملوها فيما مضى، فإنه غفرها لهم بالإيمان والعمل الصالح وأصلح شأنهم وحالهم، وعصمهم من المعاصي في حياتهم، وأرشدهم إلى أعمال الخير، وأصلح نياتهم فيها. ٣- المعنى: أن ذلك الإضلال لأعمال الكافرين بسبب اتباعهم الباطل، من الشرك بالله، والعمل بمعاصيه، وذلك التكفير لسيئات المؤمنين وإصلاح بالهم بسبب اتباعهم للحق الذي أمر الله باتباعه من التوحيد والإيمان وعمل الطاعات وأحوال الفريقين الجارية مجرى الأمثال في الغرابة. ٤- أمر بجهاد الكفار، وهم من لم يكن له عهد من المشركين وأهل الكتاب. أي: فاضربوا الرقاب ضربًا، لأن القتل أكثر ما يكون بحز العنق، وإطارة العضو الذي هو رأس البدن وعلوه وأحسن أعضائه، فإما أن تمنوا عليهم بعد الأسر منًّا، أو تفدوا فداءً، والمن الإطلاق بغير عوض، والفداء المال يفدي به الأسير نفسه من الأسر، ولم يذكر القتل هنا اكتفاء بما تقدم حتى يضع الأعداء المحاربون سلاحهم بالهزيمة أو الموادعة. والآية محكمة. والإمام ملزم قبل الإثخان بالقتل فقط، وبعد الإثخان هو مخير بين القتل والأسر، وبعد الأسر مخير بين المن والفداء ولكن لا يكون فداء ولا أسر إلا بعد الإثخان، لقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ ذلك هو الحكم في الكفار، والله قادر على الانتصار منهم بالانتقام منهم وإهلاكهم وتعذيبهم بما شاء من أنواع العذاب، أمركم بحربهم فيعلم المجاهدين في سبيله، والصابرين على ابتلائه، ويجزل ثوابهم، ويعذب الكفار بأيديهم، وإن المقتولين في سبيل الله لا يضيع الله سبحانه أجرهم. ٥- سيهديهم إلى طريق الجنة ويصلح حالهم وشأنهم وأمرهم. ٦- أي: بينا لهم حتى عرفوها من غير استدلال، وذلك أنهم إذا دخلوا الجنة تفرقوا إلى منازلهم، وقيل معنى عرفها لهم: طيبها بأطيب الرائحة. ٧- أي: إن تنصروا دين الله ينصركم على الكفار ويفتح لكم ويثبت أقدامكم عند القتال في مواطن الحرب، وقيل على الصراط. ٨- والذين كفروا فخيبة لهم، وقيل: قبحًا لهم، أو: شقوة لهم أبطل أعمالهم. ٩- ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله على رسوله من القرآن فأحبط الله أعمالهم بذلك السبب، والمراد بالأعمال ما كانوا عملوا من أعمال الخير لأن عمل الكافر لا يقبل قبل إسلامه. ١٠- أفلم يسيروا في أرض عاد وثمود وقوم لوط =

إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن
تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ
وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ
ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ
مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ
ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ
يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ
وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ
وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ﴿١٥﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ
حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ
أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ
ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴿١٧﴾ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا
ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗۖ فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ فَأَنَّىٰ لَهُمۡ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ
ذِكۡرَىٰهُمۡ ﴿١٨﴾ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ
وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾

وغيرهم ليعتبروا فينظروا ما آل إليه أمر كافرين قبلهم، فإن آثار العذاب في ديارهم باقية، أهلكهم الله واستأصلهم ولهؤلاء الكافرين مثل عاقبة من قبلهم من الأمم الكافرة. ولجميع الأمم الكافرة كذلك.

١١- أي: بسبب أن الله ناصرهم وأن الكافرين لا ناصر يدفع عنهم، فلذلك تقع بهم عقوبة الله. ١٢- قد تقدم تفسير الآية في غير موضع، والذين كفروا يتمتعون بمتاع الدنيا، وينتفعون به كأنهم أنعام، ليس لهم همة إلا بطونهم وفروجهم، ساهون عن العاقبة، لاهون بما هم فيه والنار مقام لهم يقيمون به، ومنزل ينزلونه ويستقرون فيه.

١٣- وكأين من قرية كانوا أشد قوة من أهل مكة الذين أخرجوك منها، فأهلكناهم فلا ناصر لهم فبالأولى من هو أضعف منهم وهم قريش.

١٤- المعنى أنه من كان على يقين من ربه لا يستوي ولا يكون كمن زين له سوء عمله، وهو عبادة الأوثان والإشراك بالله، والعمل بمعاصي الله، واتبعوا أهواءهم في عبادتها، وانهمكوا في أنواع الضلالات، بلا شبهة توجب الشك، فضلاً عن حجة نيرة. ١٥- مثل الجنة: وصفها العجيب الشأن والآسن: المتغير، ومثله الآجن وأنهار من لبن لم يحمض كما تتغير ألبان الدنيا وأنهار من خمر لذيذة لهم طيبة الشرب لا يتكرهها الشاربون وأنهار من عسل مصفى مما يخالطه سيء من الشمع والقذى والعكر والكدر ولهم فيها من كل صنف من أصنافها ومغفرة من ربهم لذنوبهم ﴿كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ﴾ التقدير: أمن هو في نعيم الجنة على هذه الصفة خالدًا فيها كمن هو خالد في النار؟ فليس أهل الجنة التي فيها الثمار والأنهار، كأهل النار التي فيها الحميم في العذاب الأليم، الحميم: الماء الحار الشديد الغليان فقطع أمعاءهم لفرط حرارته. ١٦- أي من هؤلاء الكفار الذين يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام من يستمع إليهم وهم المنافقون وكان هؤلاء المنافقون يحضرون مواقف وعظ رسول الله ﷺ ومواطن خطبه التي يلقيها علي المسلمين حتى إذا خرجوا من عنده قالوا للذين أوتوا العلم وهم علماء الصحابة: أي سألوا أهل العلم، فقالوا لهم ماذا قال النبي الساعة؟ على طريق الاستهزاء، والمعنى: أنا لم نلتفت إلى قوله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾، المنافقون: هم الذين طبع الله على قلوبهم فلم يؤمنوا، ولا توجهت قلوبهم إلى شيء من الخير واتبعوا أهواءهم في الكفر والعناد. ١٧- والذين اهتدوا إلى طريق الخير، فآمنوا بالله وعملوا بما أمرهم به زادهم الله هدى بالتوفيق. أو: وزادهم إعراض المنافقين واستهزاؤهم هدى وثباتًا، وإيمانًا وعلمًا وبصيرةً في الدين وءاتاهم تقواهم وأعانهم عليها، بالتوفيق للعمل الذي يرضاه. ١٨- فهل ينظرون إلا القيامة أن تأتيهم فجأة فقد جاءت أماراتها وعلاماتها. وكانوا قد قرأوا في كتبهم أن النبي ﷺ آخر الأنبياء، فبعثه من أشراط الساعة في الصحيحين وغيرهما من حديث أنس،قال: قال رسول الله ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين» وأشار بالوسطى والسبابة فمن أين لهم التذكر إذا جاءتهم الساعة؟ ١٩- أي: فاعلم أنه لا إله غيره ولا رب سواه، واثبت على ذلك واستمر عليه واستغفره مما قد =

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ
مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ
يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ (٢٠)
طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ
لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ (٢١) فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ
فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ (٢٢) أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ
فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ (٢٣) أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ
أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ (٢٤) إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم
مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ
لَهُمۡ (٢٥) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ
ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمۡ فِي بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِۖ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِسۡرَارَهُمۡ
(٢٦) فَكَيۡفَ إِذَا تَوَفَّتۡهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ
وَأَدۡبَٰرَهُمۡ (٢٧) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ
وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ (٢٨) أَمۡ حَسِبَ
ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ (٢٩)

٥٠٩

= يصدر منك وللمؤمنين والمؤمنات بالدعاء لهم بالمغفرة عما فرط من ذنوبهم والله يعلم متقلبكم في أعمالكم نهارًا، ومثواكم: في ليلكم نياما. ٢٠- سأل المؤمنون ربهم عز وجل أن ينزل على رسوله ﷺ سورة يأمرهم فيها بقتال الكفار، حرصًا منهم على الجهاد ونيل ما أعد الله للمجاهدين من جزيل الثواب فإذا أنزلت سورة غير منسوخة وفرض الجهاد. قال قتادة: كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة، وهي أشد القرآن على المنافقين رأيت الذين في قلوبهم شك، وهم المنافقون أي ينظرون إليك نظر من شخص بصره، عند الموت، لجبنهم عن القتال وميلهم إلى الكفار فَوَلِيَهُم وقاربهم ما يكرهون. وقيل المعنى: ويل لهم.

٢١- المعنى: طاعة وقول معروف أحسن وأمثل لهم من غيرها فإذا جد القتال فلو صدقوا الله في إظهار الإيمان والطاعة ﴿لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ (٢١)﴾ من المعصية والمخالفة. ٢٢- أي: فهل عسيتم إن توليتم أمر الأمة أن تفسدوا في الأرض بالظلم بقتل بعضكم بعضًا، وبسفك الدماء، وتقطعوا أرحامكم؟ وقيل إن توليتم عن الطاعة أعرضتم عن القتال وفارقتم أحكامه.

٢٣- أولئك الظالمون وسافكو الدماء بغير حق، هم الذين أبعدهم الله من رحمته وطردهم عنها فأصمهم عن استماع الحق وأعمى أبصارهم عن مشاهدة ما يستدلون به على رعاية حق الله في عباده، وعدم الخوض في دمائهم وأموالهم بغير حق.

٢٤- أفلا يتدبرون القرآن فيعملون بما اشتمل عليه من المواعظ الزاجرة والحجج الظاهرة والبراهين القاطعة بل أعلى قلوبهم أقفال، فهم لا يفهمون ولا يعقلون ولا تنفتح قلوبهم للحق. ٢٥- أي رجعوا كفارًا كما كانوا من بعد ما تبين لهم الهدى بما جاءهم به رسول الله ﷺ من المعجزات الظاهرة والدلائل الواضحة، الشيطان زين لهم خطاياهم، وسهل لهم الوقوع فيها ومد لهم في الأمل، ووعدهم طول العمر. ٢٦- أي: بسبب أن هؤلاء المنافقين الذين ارتدوا على أدبارهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله، وهم المشركون أو اليهود: (بعض الأمر) وهذا البعض هو عداوة رسول الله ﷺ ومخالفة ما جاء به والله يعلم ما تآمروا به سرًّا مع أعداء الله. ٢٧- أي: فكيف علمه بأسرارهم إذا توفتهم الملائكة، وقيل المعنى: فكيف يصنعون ﴿يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ (٢٧)﴾ المعنى أنه إذا تأخر عنهم العذاب فسيكون حالهم هذا، وقيل: ذلك عند القتال، نصرةً من الملائكة لرسول الله ﷺ.

٢٨- ذلك التوفي المذكور على الصفة المذكورة ﴿بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ﴾ أي: بسبب اتباعهم ما يسخط الله من الكفر والمعاصي وكرهوا ما يرضاه الله من الإيمان والتوحيد والطاعة فأحبط الله أعمالهم بهذا السبب، ومنها ما قد علموا من الخير قبل الردة. ٢٩- أم حسب الذين في قلوبهم مرض يعني: المنافقين أن لن يخرج الله أسرارهم ويفضحهم؟!

وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡۚ وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي
لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٠ وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ
ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ ٣١ إِنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ
لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٣٢
۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ
أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ
وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ ٣٤ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ
وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٥ إِنَّمَا
ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤۡتِكُمۡ أُجُورَكُمۡ
وَلَا يَسۡـَٔلۡكُمۡ أَمۡوَٰلَكُمۡ ٣٦ إِن يَسۡـَٔلۡكُمُوهَا فَيُحۡفِكُمۡ
تَبۡخَلُواْ وَيُخۡرِجۡ أَضۡغَٰنَكُمۡ ٣٧ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ
لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ
فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن
تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ٣٨

ثلاثة أرباع الحزب ٥١

٣٠- ولو نشاء لأعلمناكهم وعرفناكهم بأعيانهم معرفة تقوم مقام الرؤية فلعرفتهم بعلاماتهم الخاصة بهم التي يتميزون بها ولتعرفنهم في فحوى القول: ومقصده ومغزاه،وهو هنا: ما يعرِّضون به من تهجين أمرك وأمر المسلمين، قيل: كان بعد هذا لا يتكلم منافق عند النبي ﷺ إلا عرفه والله يعلم أعمالكم لا تخفى عليه منها خافية، فيجازيكم بها.

٣١- والله تعالى سيختبر عباده بالأوامر والنواهي وهو أعلم بهم حتى نرى المجاهدين منكم والصابرين على دينهم وتظهر أحوالكم ونعتبرها.

٣٢- المراد بهؤلاء هم المنافقون، وقيل: أهل الكتاب، وصدهم عن سبيل الله منعهم للناس عن الإسلام واتباع الرسول ﷺ وعادوا الرسول وخالفوه من بعد ما علموا أنه نبي من عند الله بما شاهدوا من المعجزات الواضحة والحجج القاطعة، لن يضروا الله شيئًا بتركهم الإيمان وإصرارهم على الكفر، وما ضروا إلا أنفسهم وسيبطل أعمالهم لكفرهم، وقيل: المراد بالأعمال: المكائد التي نصبوها لإبطال دين الله، والغوائل التي كانوا يبغونها برسول الله ﷺ.

٣٣- يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فيما أمرتم به من الشرائع المذكورة في كتاب الله وسنة رسوله ولا تبطلوا حسناتكم بالمعاصي: الكبائر، وبالرياء والسمعة والمن. ٣٤- إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلا مغفرة لمن ختم له بالموت على الكفر. ٣٥- أي: لا تضعفوا عن القتال، والوهن الضعف ولا تدعوا الكفار إلى الصلح ابتداء منكم، فإن ذلك لا يكون إلا عند الضعف. وأمرهم بحربهم حتى يسلموا، ولم ينه عن قبول السلم إذا جنح إليه المشركون وأنتم الغالبون بالسيف والحجة، أي إن آخر الأمر النصر لكم، وإن غلبوكم في بعض الأوقات والله معكم بالنصر والمعونة عليهم ولن ينقصكم شيئًا من ثواب أعمالكم. ٣٦- إنما الحياة الدنيا لعب ولهو فهي باطل وغرور، ولا ثبات لها ولا اعتداء بها وإن تؤمنوا بالله وتتقوا يؤتكم أجوركم في الآخرة، والأجر الثواب على الطاعة لنفسه فهو غنيٌّ عنكم ولا يسألكم أموالكم وإنما فرض عليكم الزكاة مواساة لإخوانكم، ويعود الثواب في الآخرة عليكم. ٣٧- وإن يسألكم أموالكم كلها فيجهدكم ويلح عليكم تبخلوا بها وتمتنعوا من الامتثال ويخرج بغضكم وعداوتكم والمعنى أنها تظهر عند ذلك. ٣٨- ويا أهل الإيمان أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في الجهاد وفي طريق الخير فمنكم من يبخل باليسير من المال، فكيف لا تبخلون بالكثير وهو جميع الأموال؟ ومن يبخل بماله فإنما يبخل على نفسه فيمنعها الأجر والثواب ببخله واعلموا أن الله تعالى غني عن صدقاتكم، فهو ليس في حاجة إلى أموالكم بل أنتم الفقراء إلى الله، وإلى ما عنده من الخير والرحمة وإن تعرضوا عن الإيمان والتقوى يستبدل قومًا آخرين يكونون مكانكم هم أطوع لله منكم ثم لا يكونوا أمثالكم في التولي عن الإيمان والتقوى، وفي البخل بالإنفاق قي سبيل الله.

سُورَةُ الفَتْح

مدنية ٤٨ — آياتها ٢٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ
وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾
وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ
الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ
سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ
الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ
بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ
شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾

سُورَةُ الفَتْح

وهي مدنية بالإجماع

١،٢ - تبدأ السورة الكريمة بالبشارة بالغفران، والوعد بالفتح المبين، فيقول الله تعالى لنبيه ﷺ: إنا فتحنا لك - يا محمد - فتحًا ظاهرًا بيِّنًا، لكي يجتمع لك مع مغفرة كل ما تقدم من ذنبك قبل الرسالة، وما تأخر بعدها. ويتم نعمته عليك بإظهار دينك على الدين كله، ويثبتك على الهدى إلى أن يقبضك إليه.

٣- أي: غالبًا منيعًا لا يتبعه ذلّ.

٤- أي: السكون والطمأنينة بما يسره لهم من الفتح، لئلا تنزعج نفوسهم لما يرد عليهم ليزيدهم الله بسبب تلك السكينة إيمانًا منضمًا إلى إيمانهم الحاصل لهم من قبل ولله جنود السماوات والأرض من الملائكة والإنس والجن والشياطين يدبر أمرهم كيف يشاء ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بأحوال خلقه، حكيمًا في كل قضاءٍ له.

٥- تقديره: يبتلي بتلك الجنود من شاء، فيقبل الخير من أهله، والشر ممن قضي له به، ليدخل ويعذب ويستر عنهم سيئاتهم ولا يظهرها ولا يعذبهم بها وكان ذلك الوعد بإدخالهم الجنة وتكفير سيئاتهم عند الله وفي حكمه فوزًا عظيمًا.

عن جابر قال: قال النبي ﷺ: «لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة». حديث صحيح.

٦- والله تعالى كما ينعم على المؤمنين في جنان النعيم فهو يعذب المنافقين، والمشركين في الدنيا بالقتل والأسر وعلو راية الإسلام عليهم، وفي الآخرة أعد الله لهم عذاب جهنم وغضب الله عليهم، وطردهم من رحمته، لأنهم ظنوا بالنبي ﷺ ظن السوء، وهو أن يُغلب، وأن كلمة الكفر تعلو على كلمة الإسلام.

٧- ولله جنود السماوات والأرض من الملائكة والإنس والجن والشياطين وكان الله عزيزًا في انتقامه منهم حكيمًا في نصرة المؤمنين.

٨- أي: تشهد على أمتك بتبليغ الرسالة إليهم ومبشرًا بالجنة للمطيعين ونذيرًا لأهل المعصية.

٩- أي: تعظموا النبي ﷺ وتفخموه. وقال قتادة: لتنصروه وتمنعوه من كل من يريد به أذى وتسبحوا الله عز وجل غدوًّا وعشية.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْۚ
فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ
ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ
مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَاۚ يَقُولُونَ
بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ
شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢاۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ
أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ
وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ
أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ
يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا
رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ
مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ
كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُۖ
فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَاۚ بَلْ كَانُواْ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾

١٠- إن الذين يبايعونك يا محمد بالحديبية تحت الشجرة على قتال قريش إنما هم في الحقيقة يبايعون الله وذلك لأنهم باعوا أنفسهم من الله بالجنة ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ المعنى: أن عقد الميثاق مع رسول الله ﷺ كعقده مع الله سبحانه من غير تفاوت. وقال الكلبي: المعنى: أن نعمة الله عليهم في الهداية فوق ما صنعوا من البيعة فمن نقض ما عقد من البيعة فإنما ينقض على نفسه، لأن ضرر ذلك راجع إليه لا يجاوزه إلى غيره ومن ثبت على الوفاء بما عاهد الله عليه في البيعة لرسوله فسيؤتيه أجرًا عظيمًا وهو الجنة.

١١- هم الذين خلفهم الله عن صحبة رسوله حين خرج عام الحديبية، وهم الأعراب الذين كانوا حول المدينة، وقيل: تخلفوا حين سافر إلى مكة عام الفتح بعد أن كان قد استنفرهم ليخرجوا معه فقالوا: منعنا عن الخروج معك ما لنا من الأموال والنساء والذراري، وليس لنا من يقوم بهم ويخلفنا عليهم. فاستغفر لنا ليغفر الله لنا ما وقع منا من التخلف عنك بهذا السبب ويقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم صنيع المنافقين قل فمن يمنعكم مما أراده الله بكم من خير وشر إن أراد بكم إنزال ما يضركم من ضياع الأموال وهلاك الأهل أو أراد بكم نصرًا وغنيمة بل كان الله خبيرًا بجميع ما تعملونه من الأعمال التي من جملتها تخلفكم، وقد علم أن تخلفكم لم يكن لذلك، بل للشك والنفاق وما خطر لكم من الظنون الفاسدة الناشئة عن عدم الثقة بالله. ١٢- أي: بل ظننتم أن العدو يستأصل المؤمنين بالمرة فلا يرجع منهم أحد إلى أهله، فلأجل ذلك تخلفتم، لا لما ذكرتم من المعاذير الباطلة وزين الشيطان ذلك الظن في قلوبكم فقبلتموه وظننوا أن الله سبحانه لا ينصر رسوله وكنتم قومًا هالكين عند الله. ١٣- أي: ومن لم يؤمن بهما كما صنع هؤلاء المخلفون، فجزاؤهم ما أعده الله لهم من عذاب السعير. ١٤- ولله ملك السماوات والأرض يتصرف فيهما كيف يشاء، لا يحتاج إلى أحد من خلقه يغفر لمن يشاء أن يغفر له ويعذب من يشاء أن يعذبه وكان الله غفورًا رحيمًا يخص بمغفرته ورحمته من يشاء من عباده. ١٥- أي: سيقولون عند انطلاقكم أيها المسلمون إلى مغانم خيبر لتأخذوها ولتحوزوها ذرونا نتبعكم ونشهد معكم غزوة خيبر. وأصل القصة أنه لما انصرف النبي ﷺ ومن معه من المسلمين من الحديبية وعدهم الله فتح خيبر، وخص بغنائمها من شهد الحديبية، فلما انطلقوا إليها قال هؤلاء المخلفون: ذرونا نتبعكم والمراد بهذا الكلام الذي أرادوا أن يبدلوه هو مواعيد الله لأهل الحديبية خاصة بغنيمة خيبر. يعني: أمر الله لرسوله ألا يسير معه إلى خيبر أحد من غير أهل الحديبية وإن الله تعالى قد أخبرنا من قبل رجوعنا من الحديبية أن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية خاصة ليس لغيرهم فيها نصيب، سيقول المنافقون عند سماع هذا القول بل ما يمنعكم من الإذن لنا في الخروج معكم إلا الحسد، لئلا =

الحزب ٥٢

قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ
تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ
وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَيْسَ
عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ
وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ
وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ۞ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ
الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ
فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ
كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ اللَّهُ
مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ
النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا
مُسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ۚ
وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا
لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ
اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ ۖ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾

= نشارككم في الغنيمة بل كانوا لا يعلمون إلا علمًا قليلاً، وهو علمهم بأمر الدنيا. ١٦- قل للمخلفين من الأعراب هم المذكورون سابقًا ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد هم: هوازن وغطفان يوم حنين. ويكون أحد الأمرين: إما المقاتلة، أو الإسلام لا ثالث لهما، وهذا حكم الكفار الذين لا تؤخذ منهم الجزية، فقد شرع أخذ الجزية من غير العرب فإن تطيعوا يؤتكم الله الغنيمة في الدنيا والجنة في الآخرة وإن تعرضوا كما توليتم من قبل وذلك عام الحديبية يعذبكم عذابًا أليمًا بالقتل والأسر والقهر في الدنيا، وبعذاب النار في الآخرة، لتضاعف جرمكم. ١٧- أي: ليس على هؤلاء المعذورين بهذه الأعذار حرج في التخلف عن الغزو لعدم استطاعتهم ومن يطع الله ورسوله فيما أمره به ونهاه عنه يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ومن يعرض عن الطاعة يعذبه الله عذابًا شديد الألم. ١٨- أي: رضي الله عنهم وقت تلك البيعة، وهي بيعة الرضوان، وكانت بالحديبية، وكانت البيعة على أن يقاتلوا قريشًا ولا يفروا، وروي أنه بايعهم على الموت، والقصة مبسوطة في كتب الحديث والسير فعلم ما في قلوبهم من الصدق والوفاء، والسكينة: الطمأنينة وسكون النفس كما تقدم وأثابهم فتح خيبر عند انصرافهم من الحديبية. وقيل فتح مكة. ١٩- أي: وأثابكم مغانم كثيرة، وهي غنائم خيبر وكان الله غالبًا مُصْدِرًا أفعاله وأقواله على أسلوب الحكمة. ٢٠- وعدكم الله مغانم كثيرة، تأخذونها بما سيفتحه عليهم من الغنائم إلى يوم القيامة يأخذونها في أوقاتها التي قدر وقوعها فيها فعجل لكم غنائم خيبر وكف أيدي قريش عنكم يوم الحديبية بالصلح، وقيل كف أيدي أهل خيبر وأنصارهم عن قتالكم وقذف في قلوبهم الرعب، وكف أيدي عيينة بن حصن الفزاري، وعوف بن مالك النضري ومن كان معهما، إذ جاءوا لينصروا أهل خيبر عند حصار النبي ﷺ لهم ولتكون آية للمؤمنين يعلمون بها صدق رسول الله ﷺ في جميع ما يعدهم به ويزيدكم بتلك الآية هدى، أو يثبتكم على الهداية إلى طريق الحق.

٢١- ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾ قال ابن عباس ومجاهد: هي الفتوح التي فتحها الله على المسلمين من بعد. وقيل: بل هي مكة نفسها قد أحاط الله بها لكم حتى تفتحوها وتأخذوها، فهم وإن لم يقدروا عليها في الحال فهي محبوسة لهم لا تفوتهم، وعلم أنها ستكون لهم وكان الله على كل شيء قديرا لا يعجزه شيء.

٢٢- يعني: كفار قريش بالحديبية ثم لا يجدون وليا يواليهم على قتالكم ولا نصيرا ينصرهم عليكم.

٢٣- ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ من نصر أوليائه على أعدائه ولن تجد لسنة الله تبديلا بل هي مستمرة ثابتة.

وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ عَنۡهُم بِبَطۡنِ مَكَّةَ مِنۢ
بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٢٤ هُمُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡهَدۡيَ
مَعۡكُوفًا أَن يَبۡلُغَ مَحِلَّهُۥۚ وَلَوۡلَا رِجَالٞ مُّؤۡمِنُونَ وَنِسَآءٞ مُّؤۡمِنَٰتٞ
لَّمۡ تَعۡلَمُوهُمۡ أَن تَطَـُٔوهُمۡ فَتُصِيبَكُم مِّنۡهُم مَّعَرَّةُۢ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ
لِّيُدۡخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ لَوۡ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبۡنَا ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ٢٥ إِذۡ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ
عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ
وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٢٦
لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ
ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ
لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ
فَتۡحٗا قَرِيبًا ٢٧ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ
ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٢٨

١- أي كف أيدي المشركين عن المسلمين، وأيدي المسلمين عن المشركين، لما جاءوا يصدون رسول الله ﷺ ومن معه عن البيت عام الحديبية، وهي المراد ببطن مكة، فإن ثمانين رجلاً من أهل مكة هبطوا على النبي ﷺ من قبل جبل التنعيم، متسلحين، يريدون غِرّة النبي ﷺ فأخذهم المسلمون ثم تركوهم وكان الله بما تعملون بصيرا لا يخفى عليه من ذلك شيء. ٢٥- يعني: كفار مكة منعوا المسلمين أن يطوفوا به ويحلوا عن عمرتهم وصدوا الهدي عن أن يبلغ محله، ومحله منحره، وهو حيث يحل نحره من الحرم، وكان الهدي سبعين بدنة، فرخص الله سبحانه لهم بجعل ذلك الموضع الذي وصلوا إليه وهو الحديبية محلاً للنحر، وكانوا خارج الحرم ولولا المستضعفين من المؤمنين بمكة لم تعرفوهم، وقيل لم تعلموا أنهم مؤمنون أن تطأوهم بالقتل والإيقاع بهم، وذلك أنهم لو كبسوا مكة وأخذوها عنوة بالسيف لم يتميز المؤمنون، الذين هم فيهامن الكفار وعند ذلك لا يأمنون أن يقتلوا المؤمنين فتلزمهم الكفّارة، وتلحقهم سبة، وهو معنى قوله ﴿فَتُصِيبَكُم﴾ من جهتهم مشقة من كفارة وعيب، وذلك أن المشركين سيقولون: إن المسلمين قد قتلوا أهل دينهم ولولا ذلك لأذن لكم في قتالهم لينزل بهم بأسه ولكن كف أيديكم ليدخل الله في رحمته بذلك من يشاء من عباده، وهم المؤمنون والمؤمنات الذين كانوا في مكة، فيتمم لهم أجورهم ويفك أسرهم ولو تميز الذين آمنوا من الذين كفروا، وانفصل بعضهم من بعض، لعذبنا الذين كفروا بالقتل.
٢٦- قال أهل مكة: قد قتلوا أبناءنا وإخواننا ويدخلون علينا في منازلنا، فتتحدّث العرب أنهم قد دخلوا علينا على رغم أنفنا؟ واللات والعزى لا يدخلونها علينا. فهذه الحمية هي حمية الجاهلية التي دخلت قلوبهم فأنزل الطمأنينة والوقار على رسوله وعلى المؤمنين حيث لم يدخلهم ما دخل أهل الكفر من الحمية، وثبّتهم على الرضى والتسليم ﴿وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾ وهي «لا إله إلا الله محمد رسول الله» وكان المؤمنون أحق بهذه الكلمة من الكفار، وكانوا المستأهلين لها دونهم. ٢٧- قال المفسرون: إن الله سبحانه أرى نبيه ﷺ في المدينة قبل أن يخرج إلى الحديبية كأنه هو وأصحابه حلقوا وقصّروا، ففرحوا وحسبوا أنهم سيدخلون مكة عامهم ذلك، فلما رجعوا من الحديبية ولم يدخلوا مكة، قال المنافقون: والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا دخلنا المسجد الحرام، فأنزل هذه الآية ﴿لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ﴾ أي في العام القابل ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ تعليق للعدة بالمشيئة، لتعليم العباد لما يجب أن يقولوه. ﴿ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ﴾ أي آمنين من العدّو، ومحلقا بعضكم ومقصرّا بعضكم لا يداخلكم من المشركين خوف في الصلح فجعل من دون ذلك فتح خيبر. ٢٨- ثم بين سبحانه أنه أرسل النبي ﷺ بالقرآن هداية للناس، وأرسله بدين الإسلام ليعليه على كل الأديان، وقيل: ليظهر رسوله. وقد كان ذلك بحمد الله، فإن دين الإسلام قد ظهر على جميع الأديان وغلب عليها وكفى بالله شهيدا على هذا الإظهار الذي وعد المسلمين به، وعلى صحة نبوّة =

مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ
تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ
فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ
فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ
عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾

سُورَةُ الحُجُرَاتِ

ترتيبها ٤٩ — آياتها ١٨

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ربع الحزب ٥٢

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ
إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ
فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ
لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ
قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤﴾

= نبيه ﷺ.

٢٩- قيل: هم أصحاب الحديبية غلاظ على الكفار كما يغلظ الأسد على فريسته متوادون متعاطفون، فيظهرون لمن خالف دينهم الشدّة والصلابة، ولمن وافقه الرأفة والرحمة تشاهدهم حال كونهم راكعين ساجدين يطلبون ثواب الله لهم ورضاه عنهم ﴿سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ قيل هو البهاء والوقار في الوجه، وظهور الأنوار عليه.

ذلك وصفهم الذي وصفوا به في التوراة والشَّطْء فرخ النبت والشجر، ينبت من عرقة أو من جزعه، فقوّاه وأعانه وشدَّه، أي: إن الزرع قوّى الشَّطْء لأنه تغذّى منه واحتمى به فصار ذلك الشطء غليظا بعد أن كان دقيقا فاستقام على أعواده يعجب هذا الزرع زرّاعه لقوته وحسن منظره. وهذا مثل ضربه الله سبحانه لأصحاب النبي ﷺ وأنهم يكونون في الابتداء قليلا، ثم يزدادون ويكثرون ويقْوَوْن، كالزرع، فإن فراخه تكون في الابتداء ضعيفة، ثم تقوى حالا بعد حال حتى يغلظ ساقه وكثرهم وقوّاهم ليكونوا غيظا للكافرين ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾﴾ أن يغفر ذنوبهم ويجزل أجرهم بإدخالهم الجنة التي هي أكبر نعمة وأعظم منة.

سُورَةُ الحُجُرَاتِ

هي مدنية بالإجماع. ١- المعنى لا تقطعوا أمرا دون الله ورسوله، ولا تعجّلوا به بحضرته واتقوا الله في كل أموركم إن الله سميع لكل مسموع عليم بكل معلوم.

٢- أمرهم الله أن يغضوا أصواتهم ويخاطبوه بالسكينة والوقار. وقيل المراد: لا تقولوا: يا محمد ويا أحمد، ولكن: يا نبي الله، ويا رسول الله، توقيرا له ونهاكم الله عن الجهر خشية أن يذهب ثواب أعمالكم وأنتم لا تشعرون.

٣- أولئك الذي أخلص الله قلوبهم للتقوى، كما يمتحن الذهب بالنار يخرج جيده من رديئه ويسقط خبيثه، فكذلك هؤلاء الذين يلزمون أنفسهم احترام رسول الله ﷺ ويغضون أصواتهم عنده طاعة لأمر الله تعالى، طهر الله قلوبهم من كل قبيح.

٤- وهم جفاة بني تميم، نادوا النبي ﷺ ليفاخروه وأكثرهم لا يعقلون لغلبة الجهل عليهم، وكثرة الجفاء في طباعهم.

وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟
أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾
وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ
ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾
فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِن طَآئِفَتَانِ
مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا
عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ
فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ
﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ
عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا
مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ
ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾

٥- ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان أصلح لهم في دينهم ودنياهم، لما في ذلك من رعاية حسن الأدب مع الرسول ﷺ ورعاية جانبه الشريف، والعمل بما يستحقه من التعظيم والتبجيل والله غفور رحيم لا يؤاخذ مثل هؤلاء فيما فرط منهم من إساءة الأدب. ٦- ويا أهل الإيمان إن جاءكم خبر من أحد الفاسقين فتثبتوا، ومن التثبيت الأناة وعدم العجلة، والتبصر في الأمر الواقع والخبر الوارد حتى تتضح حقيقته وتظهر لئلا تصيبوا قوما خطأ أو بضرر لا يستحقونه فتصبحوا على ما فعلتم بهم من إصابتهم بالخطأ نادمين على ذلك مغتمين له مهتمين به.

٧- أي فلا تقولوا قولا باطلا، ولا تتسرعوا عند وصول الخبر إليكم من غير تبين لو يطيعكم في كثير مما تخبرونه به من الأخبار، وتشيرون به عليه من الآراء التي ليست بصواب، لوقعتم في العنت، وهو التعب والجهد والإثم والهلاك، ولكنه لا يطيعكم في غالب ما تريدون قبل وضوح وجهه له، ولا يسارع إلى العمل بما يبلغه قبل النظر فيه ولكن الله حبب إليكم الإيمان فلا يقع منكم إلا ما يوافقه ويقتضيه من الأمور الصالحة، وترك التسرع في الأخبار، وعدم التثبت فيها، حسّنه بتوفيقه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾﴾ الرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب عليه. ٨- أي إنه حبب إليكم ما حبب، وكرّه ما كره، لأجل فضله وإنعامه والله عليم بما ينفعكم حكيم في تدبير أموركم. ٩- المعنى: أنه إذا تقاتل فريقان من المسلمين فعلى المسلمين أن يسعوا بالصلح بينهم ويدعوهم إلى حكم الله. فإن حصل بعد ذلك التعدي من إحدى الطائفتين على الأخرى، ولم تقبل الصلح ولا دخلت فيه، بل طلبت ما ليس لها، كان على المسلمين أن يقاتلوا هذه الطائفة الباغية حتى ترجع إلى أمر الله وحكمه، فإن رجعت عن بغيها، وأجابت الدعوة إلى كتاب الله وحكمه، فعلى المسلمين أن يعدلوا بين الطائفتين في الحكم ويتحروا الصواب المطابق لحكم الله، ويأخذوا على يد الطائفة الظالمة حتى تخرج من الظلم، وتؤدي ما يجب عليها للأخرى واعدلوا في الحكم بينهما إن الله يحب العادلين. ١٠- أي إنهم راجعون إلى أصل واحد وهو الإيمان، فهم إخوة إذ كانوا متفقين في دينهم فأصلحوا بين كل المسلمين تخاصما وتقاتلا، وكذا لو خرج جماعة على الإمام فإنهم يكونون طائفة باغية إن كان خروجهم بغير حق ولكنهم إخوة مع المؤمنين واتقوا الله في كل أموركم لعلكم ترحمون بسبب التقوى. ١١- أي ربما يكون المسخور بهم عند الله خيرا من الساخرين بهم ولا يسخر نساء من نساء عسى أن يكن المسخور منهن خيرا من الساخرات ولا يطعن بعضكم على بعض ولا يلقّب بعضهم بعضا كأن يقول لأخيه المسلم يا فاسق، يا منافق، أو يقول لمن أسلم يا يهودي، يا نصراني. أو يا: كلب، يا حمار، يا خنزير، ويستثنى من ذلك أن يشتهر بلقب لا يسوؤه =

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ
وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن
يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ
رَّحِيمٞ ١٢ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ
شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ
عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ۞ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن
قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤
إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ
وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥ قُلۡ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ وَٱللَّهُ
يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ
١٦ يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ
يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٧ إِنَّ ٱللَّهَ
يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨

نصف الحزب ٥٢

= فيجوز إطلاقه عليه كالأعمش والأعرج من رواة الحديث، ساء أن يسمي الرجل كافرا أو زانيا بعد إسلامه وتوبته ومن لم يتب عما نهي الله عنه فأولئك هم الظالمون. ١٢- أي هو أن يظن بأهل الخير سوءا، فأما أهل السوء والفسوق فلنا أن نظن بهم مثل الذي ظهر منهم ولا يضر الظن السيئ لمن بدت منه مخايلة فلا إثم على من ظن به السوء ما لم يتكلم به، فإن تكلم بذلك الظن وأبداه أثم. والظن القبيح بمن ظاهره الخير لا يجوز، ولا حرج في الظن القبيح بمن ظاهره القبيح ﴿إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ﴾ هذا البعض هو ظن السوء بأهل الخير والتجسس: البحث عما ينكتم عنك من عيوب المسلمين وعوراتهم ولا يتناول بعضكم بعضا بظهر الغيب بما يسوؤه، والغيبة: أن تذكر الرجل في غَيْبَته بما يكرهه ثم مثل سبحانه الغيبة بأكل الميتة وهذا من التنفير، فإن لحم الإنسان مما تنفر عن أكله الطباع الإنسانية، وتستكرهه الجبلة البشرية، فضلا عن كونه محرما شرعا فكما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء غائبا. ١٣- هما آدم وحواء، والمقصود أنهم متساوون، لا تصالهم بنسب واحد، يجمعهم أب واحد وأم واحدة، وأنه لا موضع للتفاخر بينهم بالأنساب، فالكل سواء والشَّعب: الأمة الكبيرة تجمع قبائل، مثل مضر وربيعة، والقبائل: دونها، كبني بكر من ربيعة، وبني تميم من مضر. وقيل الشعوب بطون العجم، والقبائل بطون العرب لتتعارفوا، والمقصود أنه سبحانه خلقهم كذلك لأجل التعارف لا للتفاخر بأنسابهم إن التفاضل بينكم إنما هو بالتقوى، فمن تلبس بها فهو المستحق لأن يكون أكرم وأشرف وأفضل، فدعوا التفاخر بالأنساب. إن الله عليم بأعمالكم وأفعالكم له بما يصلحكم. ١٤- قل لم تصدقوا تصديقا صحيحا عن اعتقاد قلب وخلوص نيه وطمأنينة ولكن قولوا استسلمنا خوف القتل والسبي، أو للطمع في الصدقة ﴿وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ بل مجرد القول باللسان من دون اعتقاد صحيح ولا نية خالصة لا ينقصكم من أجور أعمالكم شيئا. ١٥- إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله إيمانا صحيحا خالصا، عن مواطأة القلب واللسان ثم لم يدخل قلوبهم شيء من الريب، ولا خالطهم شك من شكوك وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في طاعته وابتغاء مرضاته أولئك الجامعون بين الأمور المذكورة هم الصادقون في الاتصاف بصفة الإيمان والدخول في عداد أهله، لا من عداهم ممن أظهر الإسلام، ولم يطمئن بالإيمان قلبه. ١٦- أي أتخبرونه ليعلم بذلك حيث قلتم آمنا والله يعلم ما في السماوات وما في الأرض فكيف يجهل حقيقة ما تدعونه من الإيمان؟ والله بكل شيء عليم لا تخفى عليه من ذلك خافية. ١٧- أي يعدون إسلامهم منة عليك، حيث قالوا: جئناك بالأثقال والعيال، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ أي لا تعدوه منة علي بل الله يمن عليكم أن أرشدكم إليه وأراكم طريقه فإن كنتم صادقين فيما تدعونه، فلله المنة عليكم. ١٨- إن الله يعلم غيب السماوات والأرض ما غاب فيهما، ومن جملة ذلك ما يسرّه كل إنسان في نفسه والله بصير بما تعملون =

سُورَةُ قٓ — ترتيبها ٥٠ — آياتها ٤٥

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ
فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ
رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ٣ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ
حَفِيظُۢ ٤ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ
٥ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا
وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ
وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ
مُّنِيبٖ ٨ وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ
وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ٩ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ١٠
رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ١١ كَذَّبَتۡ
قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ١٢ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ وَإِخۡوَٰنُ
لُوطٖ ١٣ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ
١٤ أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ ١٥

= لا يخفى عليه من ذلك شيء فهو مجازيكم بالخير خيرا وبالشر شرا.

سُورَةُ قٓ

هي مكية كلها. ١- ﴿قٓ﴾ تقدم في أول سورة البقرة الكلام في هذه الحروف المقطعة في أوائل السور ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ١﴾ الكريم، وقيل الرفيع القدر. ٢- أي عجب الكفار أن جاءهم منذر هو واحد منهم، وهو محمد ﷺ، ولم يكتفوا بمجرد الشك والرد، بل جعلوا ذلك من الأمور العجيبة ﴿فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ٢﴾ وهو تعجبهم من كون الرسول بشرًا مثلهم، وتعجبهم من البعث. ٣- أي أيبعثنا الله كما تقول، ويعيدنا إليه بعد أن تتفرق أجزاؤنا في الأرض وتكون ترابا ذلك البعث يبعد عن العقول، فهو أمر لا يصدقه العقل لأنه غير ممكن، بزعمهم.

٤- قد علمنا ما تأكل من أجسادهم، فلا يضل عنا شيء من ذلك وعندنا كتاب حافظ لعدتهم وأسمائهم ولكل شيء من الأشياء، وهو اللوح المحفوظ. ٥- أي كذبوا بالقرآن بمجرد تبليغهم به، من غير تدبر ولا إمعان نظر فهم في أمر مختلط مضطرب، يقولون مرة: ساحر، ومرة: شاعر، ومرة: كاهن.

٦- أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها على هذه الصفة العجيبة، فهي مرفوعة بغير عماد تعتمد عليه وزيناها بما جعلنا فيها من اللون الحسن والكواكب التي تنير فيها كالمصابيح وما لها من فتوق وشقوق وصدوع. ٧- والأرض بسطناها وألقينا فيها جبالا ثوابت وأنبتنا فيها من كل صنف حسن من النبات يبهج الناظرين. ٨- أي فإن القادر على مثل هذه الأمور يقدر على البعث. ٩- أي نزلنا من السحاب ماء كثير البركة لانتفاع الناس به في غالب أمورهم فأنبتنا به جنات بساتين كثيرة وما يحصد ويقتات من الحبوب كالبر والشعير، كل حب يدّخر للقوت. ١٠- والنخل باسقات الطول والطلع هو أول ما يخرج من ثمر النخل، والنضيد المتراكب الذي نُضِّد بعضه على بعض. ١١- أي أنبتنا هذه الأشياء للرزق وأحيينا بذلك الماء بلدة مجدبة لا ثمار فيها ولا زرع كذلك الخروج من القبور عند البعث، كمثل هذا الإحياء الذي أحيا الله به الأرض الميتة، فكما أن هذا مقدور لله، فذلك أيضا مقدور له. ١٢، ١٣- ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ﴾ هم قوم شعيب وقيل هم أصحاب الأخدود وثمود وعاد وفرعون وقومه وإخوان لوط الذين بعث فيهم، وهم أهل سدوم وعمورة، من أرض فلسطين. ١٤- تقدم الكلام على الأيكة في سورة الشعراء [الآية: ١٧٦] ونبيهم شعيب وقوم تبع الحميري وكان باليمن كل واحد من هؤلاء كذب رسوله الذي أرسله الله إليه ووجب عليهم وعيدي، وحقت عليهم كلمة العذاب. ١٥- أفعجزنا بالخلق حين خلقناهم أولا ولم يكونوا شيئا، فكيف نعجز عن بعثهم بل هم في شك وحيرة واختلاط من خلق مستأنف، وهو بعث الأموات.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ
مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ
﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ
ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ
يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ
كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ
﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ
عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا
ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ
وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ
إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾
يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ
ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ
﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا
بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٥٢

١٦- أي ونعلم ما يختلج في سره وقلبه وضميره والوريد هو عرق الدم الداخل إلى القلب: أي: نحن أقرب إليه من حبل وريده فكيف يختفي علينا شيء مما في قلبه. ١٧- ويذكر سبحانه أنه مع علمه بما في قلب ابن ادم وكل به ملكين يكتبان ويحفظان عليه عمله إلزاما للحجة، والمتلقيان وهما الملكان الموكلان به، يتلقيان ما يلفظ به وما يعمل به، أي يأخذان ذلك ويثبتانه عن اليمين قعيد، وعن الشمال قعيد، والقعيد: من يقعد معك. ١٩- سكرة الموت شدته وغمرته التي تغشي الإنسان وتغلب على عقله عند الموت يتضح له الحق، ويظهر له ما جاءت به الرسل من الأخبار بالبعث والوعد والوعيد ذلك الموت ما كنت تميل عنه وتفر منه. ٢٠- أي النفخة الآخرة للبعث وذلك الوقت الذي يكون فيه النفخ في الصور هو يوم الوعيد الذي أوعد الله به الكفار بالعذاب في الآخرة. ٢١- أي جاءت كل نفس من نفوس البشر، أي البدن فيه الروح، معها من يسوقها ومن يشهد لها أو عليها. قال مجاهد: السائق والشهيد ملكان، قيل السائق كاتب السيئات، والشهيد كاتب الحسنات. ٢٢- أي يقال له: لقد كنت في غفلة من هذا المصير فرفعنا الحجاب الذي كان بينك وبين أمور الآخرة فبصرك اليوم نافذ تبصر به ما كان يخفى عليك في الدنيا. ٢٣- أي قال الملك الموكل به: هذا ما عندي من كتاب عملك عتيد حاضر قد هيأته. وقال مجاهد: إن الملك يقول للرب سبحانه: هذا الذي وكلتني به من بني آدم قد أحضرته وأحضرت ديوان عمله. ٢٤- هذا خطاب من الله - عز وجل - للسائق والشهيد. ٢٥- أي لا يبذل خيرا ظالم لا يقر بتوحيد الله شاك في الحق. ٢٦- وهذا تأكيد للأمر الأول. ٢٧- القرين هنا الشيطان الذي قيض لهذا الكافر، أنكر أن يكون أطغاه، ثم قال: ولقد كان في ضلال بعيد عن الحق، فدعوته فاستجاب لي، ولو كان من عبادك المخلصين لم أقدر عليه. ٢٨- يعني الكافرين وقرناءهم، نهاهم سبحانه عن الاختصام في موقف الحساب وقد قدمت إليكم بالوعيد بإرسال الرسل وإنزال الكتب. ٢٩- أي لا خلف لوعدي، بل هو كائن لا محالة، وقد قضيت عليكم بالعذاب فلا تبديل له، وقيل: معني الآية أنه ما يكذب عندي بزيادة في القول ولا بنقص منه لعلمي بالغيب ولا أعذبهم ظلما بغير جرم اجترموه، ولا ذنب أذنبوه. ٣٠- أي يقول الله تعالى ذلك، وتنطق جهنم فتجيبه تطلب الزيادة على من قد صار فيها. ٣١- أي قُرِّبت للمتقين تقريبا غير بعيد، يشاهدونها في الموقف، وينظرون ما فيها مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. ٣٢- هذا الذي ترونه من فنون نعيم الجنة هو ما توعدون والأواب الرجاع إلى الله تعالى بالتوبة عن المعصية، وقيل هو المسبّح، وقيل الذي يذكر ذنوبه في الخلوة فيستغفر الله منها، والحفيظ هو الحافظ لذنوبه حتى يتوب منها، لا يمهل ذلك. ٣٣- الخشية بالغيب أن يخاف الله ولم يكن رآه، وقيل: يعني في الخلوة حيث لا يراه أحد. قال الحسن: إذا أرخى الستر وأغلق الباب (وجاء بقلب منيب) راجع إلى الله مخلص في طاعة الله. ٣٤- أي ادخلوا الجنة بسلامة من العذاب، أو بسلامة من زوال النعم.

وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَشَدُّ مِنۡهُم بَطۡشٗا فَنَقَّبُواْ فِي
ٱلۡبِلَٰدِ هَلۡ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ
لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا
مِن لُّغُوبٖ ﴿٣٨﴾ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ
قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ
وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ
﴿٤١﴾ يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا
نَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيۡنَا ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ
عَنۡهُمۡ سِرَاعٗاۚ ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ ﴿٤٤﴾ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ
وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

ترتيبها ٥١ — آياتها ٦٠

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ﴿١﴾ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ﴿٢﴾ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ﴿٣﴾
فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ ﴿٦﴾

٥٢٠

=وقيل: بسلام: يسلم الله عليهم وملائكته ذلك اليوم يوم الخلود لأنه دائم أبدا. ٣٥- أي في الجنة ما تشتهي أنفسهم وتلذ أعينهم من فنون النعم وأنواع الخير بحسب رغبتهم ولدينا مزيد من النعم التي لم تخطر على بال، ولا مرت لهم في خيال. ٣٦- وكم أهلكنا قبل قريش ومن وافقهم من أمة هم أشد منهم قوة كعاد وثمود وغيرهما فساروا وتقلبوا في البلاد وطافوا في بقاعها، هل لهم من مهرب يهربون إليه يتخلصون به من العذاب. ٣٧- أي فيما ذكر من قصتهم تذكرة وموعظة لمن كان له عقل. وقيل: لمن كان له حياة ونفس مميزة، استمع إلى ما يتلى عليه من الوحي وهو حاضر الفهم أو حاضر القلب. ٣٨- اللغوب التعب والإعياء. قيل: إن اليهود قالوا: خلق الله السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام أولها الأحد وآخرها الجمعة، واستراح يوم السبت، فأكذبهم الله تعالى. ٣٩- أي نزه الله عما لا يليق بجنابه، قائلا: سبحان الله وبحمده، وقت الفجر ووقت العصر، وقيل المراد: صلاة الفجر وصلاة العصر. ٤٠- أي سبحه بعض الليل وقيل هي صلاة الليل وسبحه في أعقاب الصلوات.

٤١- وهي صيحة القيامة: أعني النفخة الثانية في الصور من إسرافيل، وقيل إسرافيل ينفخ، وجبريل ينادى أهل المحشر، ويقول: هلموا للحساب من مكان قريب بحيث يصل النداء إلى كل فرد من أفراد أهل المحشر. ٤٢- يعني أن صيحة البعث كائنة حقا ذلك يوم الخروج من القبور. ٤٣- أي نحيي في الدنيا والآخرة ونميت في الدنيا، لا يشاركنا في ذلك مشارك وإلينا المصير فنجازى كل عامل بعمله.

٤٤- أي تتصدع الأرض عنهم، فيخرجون ويساقون إلى المحشر مسرعين إلى المنادي الذي ناداهم ذلك بعث وجمع علينا هين.

٤٥- نحن أعلم بما يقولون من تكذيبك فيما جئت به، ومن إنكار البعث والتوحيد وما أنت بمسلّط يجبرهم ويقهرهم على الإيمان فذكر بالقرآن من يخاف وعيدي للعصاة بالعذاب، وأما من عداهم فلا تشتغل بهم. ثم أمره الله سبحانه بعد ذلك بالقتال.

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

هي مكية في قول الجميع. ١- أقسم سبحانه بالرياح التي تذرو التراب وما كان مثله حتى يتطاير.

٢- هي السحاب، تحمل الماء، كما تحمل ذوات الأربع الوقر. والوقر الحمل الثقيل. ٣- أي السحب تسير بأثقالها من المياه على ضخامته سيرا هينا إلى حيث يريد الله لها أن تمطر. ٤- أي السحب التي يقسم الله بها أرزاق العباد، وقيل إن المراد بالذاريات والحاملات والجاريات والمقسمات الرياح، فإنها توصف بجميع ذلك لأنها تذرو التراب، وتحمل السحاب، وتجرى في الهواء، وتقسم الأمطار. ٥- من الموت والبعث والحشر إلى الله تعالى لصادق. ٦- أي الثواب والعقاب لكائن لا محالة.

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ
أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾
يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا۟
فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ
وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ
﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ
﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ
لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ
وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ
تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾
إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ
أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ
﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ
﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ
﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾

٧- الخلق المستوي الحسن، والجمال البديع. وكل شيء أحكمته وأحسنت عمله فقد حبكته واحتبكته. ٨- أي إنكم لفي قول متضارب ومضطرب يضل به من ضل. ٩- أي يصرف عن هذا القرآن من كذب به. ١٠- المرتابون في وعد الله ووعيده. ١١- في الكفر والشك لاهون عمّا هم عليه قادمون. ١٢- أي يقولون متى يأتي يوم الدين؟ تكذيبا منهم واستهزاء. ١٣- يوم هم على النار يحرقون ويعذبون، يقال: فتنت الذهب، إذا أحرقته لتختبره. ١٤- أي: يقال لهم ذوقوا عذابكم هذا ما كنتم تطلبون تعجيله استهزاء منكم. ١٥- إن المتقين في بساتين فيها عيون جارية لا يبلغ وصفها الواصفون. ١٦- آخذين ما آتاهم ربهم من الخير والكرامة لأنهم كانوا في الدنيا محسنين في أعمالهم الصالحة يراقبون الله فيها. ١٧- أي كانوا يصلّون أكثره وينامون أقلّه. وعن ابن عباس: قلما تأتي عليهم ليلة ينامون فيها حتى يصبحوا إلا يصلون فيها. ١٨- قال الحسن: مدّوا الصلاة إلى الأسحار، ثم أخذوا في الأسحار بالاستغفار. ١٩- السائل: هو الفقير الذي لا يجد شيئا، يتعرض لك فيطلب منك العون، والمحروم: الذي لا يقدر على الكسب، ويتعفف عن السؤال حتى يحسبه الناس غنيا، فلا يتصدّقون عليه. وقيل الذي أصابته الجائحة. ٢٠- أي دلائل واضحة وعلامات ظاهرة للموقنين بالله، لأنهم الذين يعترفون بذلك ويتدبرون فيه فينتفعون به. ٢١- أي: وفي أنفسكم آيات تدل على توحيد الله، وصدق ما جاءت به الرسل، خلقهم على هذه الصفة العجيبة الشأن من لحم ودم وعظم وأعضاء وحواسّ ومجار ومنافس أفلا تبصرون بعين البصيرة، فتستدلون بذلك على الخالق الرازق المتفرد بالألوهيه، وقيل المراد بالأنفس الأرواح، أي: وفي نفوسكم التي بها حياتكم آيات. ٢٢- من الجنة والنار، والثواب والعقاب، مكتوب في السماء. ٢٣- أي ما أخبركم به في هذه الآيات حق كمثل نطقكم، وهذا كما تقول إنه الحق كما أنك تتكلم. ٢٤- أي: إنهم مكرمون عند الله سبحانه، لأنهم ملائكة جاءوا إليه في صورة بني آدم، وقال مجاهد: أكرمهم إبراهيم وأحسن إليهم، وقام على رؤوسهم. ٢٥- إذ دخلوا عليه فقالوا نسلم عليك سلاما قال إبراهيم: سلام لم أعرفكم من قبل، فمن أنتم؟ وقيل: إنه قال هذا في نفسه ولم يخاطبهم به. ٢٦- أي: عدل إلى أهله، وقيل ذهب إليهم في خفية من ضيوفه فجاء ضيفه بعجل قد شواه لهم كما في سورة هود ﴿بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ۝﴾. ٢٧- أي وضعه بين أيديهم فقال ألا تأكلون. ٢٨- أي أحسّ في نفسه خوفا منهم لما يأكلوا مما قرّبه إليهم. ومن أخلاق الناس أن من أكل من طعام إنسان صار آمنا منه، فظن إبراهيم أنهم جاءوا للشر، ولم يأتوا للخير فأعلموه أنهم ملائكة مرسلون إليه من جهة الله سبحانه وبشروه بغلام يولد له كثير العلم عندما يبلغ مبالغ الرجال، وهو إسحاق. ٢٩- والصرّة الصيحة والضجة فضربت بيدها على وجهها كما جرت بذلك عادة النساء عند التعجب وقالت كيف ألد وأنا عجوز عقيم؟ استبعدت ذلك لكبر سنها، ولكونها عقيما لا تلد، حتى عندما كانت في شبابها لم تلد لإبراهيم. ٣٠- أي: كما قلنا =

۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ
مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ
لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا
فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ
ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ
مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ
فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ
ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾
وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ
فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ
وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا
فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ
فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾
وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾

= لك وأخبرناك قال ربك، فلا تشكي في ذلك الأمر، ولا تعجبي منه.

٣١- المعنى: فما شأنكم وما قصتكم أيها المرسلون من جهة الله، وما ذاك الأمر الذي لأجله أرسلكم سوى هذه البشارة؟ ٣٢- يريدون قوم لوط.

٣٣- أي: لنرجمهم بحجارة من طين متحجر. ٣٤- معلمة بعلامات تعرف بها، قيل كانت مخططة بسواد وحمرة عند ربك للمتمادين في الضلالة، المجاوزين الحدّ في الفجور. ٣٥- أي: لما أردنا إهلاك قوم لوط أخرجنا من كان في قرى قوم لوط من قومه المؤمنين به.

٣٦- فما وجدنا فيها غير أهل بيت واحد، قيل وهم أهل بيت لوط.

٣٧- أي: وتركنا في تلك القرى علامة ودلالة، تدل على ما أصابهم من العذاب كل من يخاف عذاب الله ويخشاه، من أهل ذلك الزمان ومن بعدهم، وهذه الآية هي آثار العذاب في تلك القرى، فإنها ظاهرة بينة. ٣٨- أي: وجعلنا في موسى آية إذ أرسلناه إلى فرعون والسلطان المبين الحجة الظاهرة الواضحة، وهي العصا وما معها من الآيات.

٣٩- أي: فأعرض عن آياتنا بجانبه. وقال مجاهد: الركن جمعه وجنوده الذين كان يتقوّى بهم وقال فرعون في حق موسى: هو إما ساحر أو مجنون، للمغالطة والإيهام، فإنه يعلم أن ما رآه من الخوارق لا يتيسر على يد ساحر، ولا يفعله من به جنون. ٤٠- أي: طرحناهم في البحر وهو آت بما يلام عليه، حين ادّعى الربوبية، وكفر بالله، وطغى في عصيانه. ٤١- أي وتركنا في قصة عاد آية إذ أرسلنا عليهم الريح وهي التي لا خير فيها ولا بركة، لا تلقح شجرًا ولا تحمل مطرا، إنما هي ريح الإهلاك والعذاب. ٤٢- أي لا تترك شيئا مرّت عليه من أنفسهم وأنعامهم وأموالهم إلا جعلته كالشيء الهالك البالي. ٤٣- أي: وتركنا في قصة ثمود آية، وقت أن قلنا لهم: عيشوا متمتعين بالدنيا إلى حين وقت الهلاك. ٤٤- أي: تكبروا عن امتثال أمر الله فأخذتهم الصاعقة وهي كل عذاب مهلك وهم يرونها عيانا، وقيل المعنى: ينتظرون ما وُعِدُوه من العذاب. ٤٥- أي: لم يقدروا على القيام من تلك الصرعة، فضلا عن الهرب، بل أصبحوا في دارهم جاثمين وما كانوا ممتنعين من عذاب الله بغيرهم. ٤٦- أي أهلكناهم من قبل هؤلاء، فإن زمانهم متقدم على زمن فرعون وعاد وثمود إنهم كانوا قوما خارجين عن طاعة الله. ٤٧- والسماء بنيناها بقوة وقدرة وإنا لذوو سعة بخلقها وخلق غيرها، أي قادرون لا نعجز عن ذلك. ٤٨- والأرض بسطناها كالفراش فنعم الماهدون نحن، يقال مهدت الفراش إذا بسطته ووطّأته. ٤٩- ومن كل شيء خلقنا زوجين من ذكر وأنثى، وحلو ومر، وسماء وأرض وليل ونهار، ونور وظلمة، وخير وشر لتتذكروا فتعرفوا أنه خالق كل شيء وتستدلوا بذلك على توحيده. ٥٠- ففروا إلى الله بالتوبة من ذنوبكم إني لكم منذريّن الإنذار.

كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ
﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ
بِمَلُومٖ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا
خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ
وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ
﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبٗا مِّثۡلَ ذَنُوبِ أَصۡحَٰبِهِمۡ فَلَا يَسۡتَعۡجِلُونِ
﴿٥٩﴾ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوۡمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

سُورَةُ الطُّورِ

ترتيبها ٥٢ — آياتها ٤٩

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ﴿٢﴾ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ﴿٣﴾ وَٱلۡبَيۡتِ
ٱلۡمَعۡمُورِ ﴿٤﴾ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ﴿٥﴾ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ
عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ﴿٨﴾ يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ
مَوۡرٗا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا ﴿١٠﴾ فَوَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ
﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي خَوۡضٖ يَلۡعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ
جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾

٥٢٣

٥٢- أي: إن هذا شأن الأمم المتقدِّمة، وإن ما وقع من العرب من التكذيب لرسول الله، ووصفه بالسحر والجنون، قد كان ممن قبلهم لرسلهم. ٥٣- أي كأنها أوصى أوّلهم آخرهم بالتكذيب، وتواطأوا عليه بل جمعهم الطغيان، وهو مجاوزة الحدّ في الكفر. ٥٤- أي أعرض عنهم وكف عن جدالهم فقد فعلت ما أمرك الله به وبلغت رسالته فما أنت بملوم عند الله بعد هذا لأنك قد أديت ما عليك. ٥٥- أي: عظ بالقرآن من آمن من قومك فإن الذكرى تنفعهم. وبالموعظة بالتي هي أحسن. ٥٦- عن مجاهد أنه قال: المعنى إلا لآمرهم وأنهاهم. وقيل: إلا ليخضعوا لي ويتذللوا، ومعنى العبادة في اللغة الذل والخضوع والإنقياد. ٥٧- أي: إنه تعالى خلقهم لا يريد منهم منفعة لنفسه كما تريده السادة من عبيدهم، بل هو الغني المطلق الرازق المعطي.٥٨- إن الله هو الذي يرزق مخلوقاته ويقوم بما يصلحهم، فلم يخلقهم لنفع ينفعونه به، ولذلك فعليهم أن يؤدُّوا ما خلقوا له من العبادة ﴿ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ الشديد القوة. ٥٩- أي فإن للذين ظلموا نصيبا من العذاب مثل نصيب الكفار من الأمم السابقة. والذنوب في اللغة: الدلو العظيمة فلا يطلبوا مني أن أعجل لهم العذاب، فإن حظهم من العذاب مقدَّر آت لا ريب فيه. ٦٠- قيل هو يوم القيامة، وقيل يوم بدر.

سُورَةُ الطُّورِ

هي مكية في قول الجميع. ١- الطور بالسريانية الجبل، والمراد به طور سيناء أقسم الله سبحانه بهذا الجبل تشريفا له وتكريها. ٢- المسطور: المكتوب، والمراد بالكتاب القرآن، وقيل هو اللوح المحفوظ. ٣- أي مكتوب في رقّ. والرَّق جلد رقيق. قال المبرد: الرق ما رق من الجلد ليكتب فيه، والمنشور المبسوط. ٤- والبيت المعمور في السماء السابعة تعمره الملائكة، ويُعبَد الله فيه. ٥- يعني السماء، سماها سقفا لكونها كالسقف للأرض. ٦- الموقد، من السجر، وهو إيقاد النار في التنور. وقد روي أن البحار تسجر يوم القيامة فتكون نارا. ٧- هذا جواب القسم: أي كائن لا محالة لمن يستحقه. ٨- ما له من دافع يدفعه ويرده عن أهل النار. ٩- أي: يموج بعضها في بعض، وهو يوم القيامة. ١٠- أي تزول عن أماكنها، وتسير عن مواضعها، كسير السحاب، وتكون هباء منبثا. ١١- وويل كلمة تقال للهالك، أي إذا وقع ما ذكر من مور السماء وسير الجبال فويل لهم. ١٢- أي في تردد في الباطل واندفاع فيه يلهون، لا يذكرون حسابا ولا يخافون عقابا، ويخوضون في أمر محمد ﷺ بالتكذيب والاستهزاء. ١٣- أي: يدفعون إلى النار دفعا عنيفا شديدا. ١٤- أي يقال لهم: هذه النار التي تشاهدونها هي النار التي كنتم تكذبون بها في الدنيا.

أَفَسِحۡرٌ هَٰذَآ أَمۡ أَنتُمۡ لَا تُبۡصِرُونَ ١٥ ٱصۡلَوۡهَا فَٱصۡبِرُوٓاْ
أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٦
إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَعِيمٖ ١٧ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ
وَوَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ١٨ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا
كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٩ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّصۡفُوفَةٖۖ وَزَوَّجۡنَٰهُم
بِحُورٍ عِينٖ ٢٠ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا
بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ
رَهِينٞ ٢١ وَأَمۡدَدۡنَٰهُم بِفَٰكِهَةٖ وَلَحۡمٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ٢٢ يَتَنَٰزَعُونَ
فِيهَا كَأۡسٗا لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ ٢٣ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ غِلۡمَانٞ
لَّهُمۡ كَأَنَّهُمۡ لُؤۡلُؤٞ مَّكۡنُونٞ ٢٤ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ
٢٥ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ٢٦ فَمَنَّ ٱللَّهُ
عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ٢٧ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ
نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ٢٨ فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ
رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ ٢٩ أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ
ٱلۡمَنُونِ ٣٠ قُلۡ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُتَرَبِّصِينَ ٣١

٥٢٤

ربع الحزب ٥٣

١٥- أفسحر هذا الذي ترون وتشاهدون، كما كنتم تقولون لرسل الله المرسلة ولكتبه المنزلة أم أنتم عمي من هذا كما كنتم عميا عن الحق في الدنيا؟

١٦- أي إذا لم يمكنكم إنكارها، وتحققتم أن ذلك ليس بسحر، ولم يكن في أبصاركم خلل، فالآن ادخلوها وقاسوا شدتها، ثم اصبروا على العذاب أو لا تصبروا وافعلوا ما شئتم، فالأمران: سواء عليكم في عدم النفع فإن الجزاء بالعمل، وإذا كان واقعا حتما كان الصبر وعدمه سواء.

١٨- أي هم في الجنة ذو فاكهة من فواكه الجنة ١٩- أي يقال لهم ذلك تهنئة لهم. والهنيء ما لا تنغيص فيه ولا نكد ولا كدر. ٢٠- المصفوفة المتصل بعضها ببعض حتى تصير صفا وقرنا كل واحد منهم بنساء من نساء الجنة حور عين. والحوراء المرأة إذا كانت شديدة بياض العين شديدة سوادها، والعين كل امرأة عيناء، أي واسعة العينين. ٢١- أي إن الله سبحانه يرفع ذرية المؤمن إليه، وإن كانوا دونه في العمل، لتقر عينه وتطيب نفسه، وهذا لا يتم إلا أن يكونوا مؤمنين وما نقصنا الآباء بإلحاق ذريتهم بهم من ثواب أعمالهم شيئا كل امريء بما كسب رهين مرتهن يوم القيامة بعمله، فإن قام به على الوجه الذي أمر الله به فكّه وإلا أهلكه. ٢٢- أي زدناهم على ما كان لهم من النعيم فاكهة متنوعة، ولحما من أنواع اللحمان، مما تشتهيه أنفسهم ويستطيبونه. ٢٣- أي يتعاطون ويتناولون كئوسا من خمر الجنة لا يجري بينهم اللغو ولا ما فيه إثم، كما يجري بين الذين يشربون الخمر في الدنيا. قال ابن قتيبة: لا تذهب بعقولهم فيلغوا كما يكون من خمر الدنيا، ولا يكون منهم من يؤثمهم. ٢٤- أي يطوف عليهم بالكأس والفواكه والطعام وغير ذلك فتيان يخدمونهم كأنهم في الحسن والبهاء لؤلؤ مستور مصون في الصدف لم تمسه الأيدي. ٢٥- أي يسأل بعضهم بعضا في الجنة عن حاله، وما كان فيه من تعب الدنيا وخوف العاقبة.

٢٦- قالوا إنا كنا قبل في أهلنا خائفين وجلين من عذاب الله، أو كنا خائفين من عصيان الله. ٢٧- فمن الله علينا بالمغفرة والرحمة، أو بالتوفيق لطاعته ووقانا عذاب النار، وسموم جهنم ما يوجد من حرها. وقيل سميت الريح الحارة سموما لأنها تدخل المسام. ٢٨- أي نوحد الله ونعبده، أو نسأله أن يمن علينا بالمغفرة والرحمة فإنه الكثير الإحسان، الكثير لرحمة لعبادة.

٢٩- أي اثبت على ما أنت عليه من الوعظ والتذكير، فما أنت بنعمة ربك التي هي النبوة بكاهن ولا مجنون. والكاهن: هو الذي يوهم أنه يعلم الغيب من دون وحي. أيّ ليس ما تقوله كهانة، فإنك إنما تنطق بالوحي الذي أمرك الله بإبلاغة.

٣٠- أم يقولون شاعر ننتظر به حوادث الأيام فيموت كما مات غيره، أو يهلك كما هلك من قبله

٣١- أي انتظروا موتي أو هلاكي، فإني معكم من المنتظرين لعاقبة الأمر، وأنا واثق من نصر الله تعالى.

أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ
بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ
﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ
رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَۜيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ
مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾
أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ
يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾
أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟
يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا
وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ
بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾

سُورَةُ النَّجْمِ

ترتيبها ٥٣ — آياتها ٦٢

٣٢- أي بل أتأمرهم عقولهم بهذا الكلام المتناقض، وهي دعوى أن القرآن سحر أو كهانة أو شعر. كانت عظماء قريش توصف بالأحلام والعقول فأذرى الله بحلومهم حين لم تثمر لهم معرفة الحق من الباطل بل طغوا وجاوزوا الحد في العناد، فقالوا ما قالوا. ٣٣- أي اختلق القرآن من جهة نفسه وافتعله ﴿بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾ أي سبب صدور هذه الأقوال المتناقضة عنهم كونهم كفارًا لا يؤمنون بالله، ولا يصدقون ما جاء به رسوله. ٣٤- أي: فليأتوا بحديث مثل القرآن في نظمه وحسن بيانه وبديع أسلوبه إن كانوا صادقين فيما زعموا من قولهم: إن محمدًا ﷺ تقوله وجاء به من جهة نفسه، مع أنه كلام عربي، وهم رؤوس العرب وفصحاؤهم والممارسون لجميع الأوضاع العربية من نظم ونثر. ٣٥- أي: بل أخلقوا على هذه الكيفية البديعة والصنعة العجيبة من غير خالق لهم أم هم الخالقون لأنفسهم؟ ٣٦- أي: ليسوا على يقين من الأمر، بل يخبطون في ظلمات الشك في وعد الله ووعيده. ٣٧- أي: أبأيديهم مفاتيح ربك بالرسالة فيضعوها حيث شاءوا. وقيل: خزائن المطر والرزق أم هم المسلطون. ٣٨- أي: بل أيقولون إن لهم سلمًا منصوبًا إلى السماء يصعدون به، ويستمعون فيه كلام الملائكة، وما يوحى إليهم، ويصلون به إلى علم الغيب كما يصل إليه محمد ﷺ بطريق الوحي فليأت مستمعهم إن ادعى ذلك بحجة واضحة ظاهرة. ٣٩- أي: بل أتجعلون لله البنات، ولكم البنون، ومن كان هذا رأيه فهو بمحل سافل في الفهم والعقل، فلا يستبعد منه إنكار البعث وجحد التوحيد. ٤٠- أم تسألهم أجرًا يدفعونه إليك على تبليغ الرسالة فهم من مغرم مثقلون من التزام غرامة تطلبها منهم، فهم مجهودون بحملهم ذلك المغرم الثقيل فلا يستطيعون الإسلام. ٤١- أي: بل أيدعون أن عندهم علم الغيب، وهو ما في اللوح المحفوظ فهم يكتبون للناس ما أرادوا من علم الغيب. ٤٢- أي: مكرًا برسول الله ﷺ فيهلكونه بذلك المكر، فالذين كفروا هم المكور بهم المجزيون بكيدهم. ٤٤- المعنى: أنهم إن يروا قطعًا من النار من السماء ساقطًا عليهم لعذابهم لم ينتهوا عن كفرهم، بل يقولون هو سحاب متراكم بعضه على بعض. ٤٥- فذرهم حتى يلاقوا يوم موتهم أو يوم القيامة، والصعقة: الهلاك السريع. ٤٦- أي: لا ينفعهم في ذلك اليوم كيدهم الذي كادوا به رسول الله ﷺ في الدنيا ولا يمنع عنه العذاب النازل بهم مانع، بل هو واقع بهم لا محالة. ٤٧- أي: قبله، وهو قتلهم يوم بدر، وقال ابن زيد: هو مصائب الدنيا من الأوجاع والأسقام والبلايا، وذهاب الأموال والأولاد. ٤٨- أي: إلى أن يقع لهم العذاب الذي وعدناهم به فإنك بمرأى ومنظر منا، وفي حفظنا وحمايتنا، فلا تبال بهم وسبح بحمد ربك حين تقوم من مجلسك. فيقول: «سبحان الله وبحمده» أو «سبحانك اللهم وبحمدك» عند قيامه من كل مجلس يجلسه. ٤٩- وأمره الله سبحانه أن يسبحه في بعض الليل. وقال مقاتل: أي صل المغرب والعشاء، وقيل: ركعتي الفجر ﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾ أي: وقت إدبارها من آخر الليل، وقيل: صلاة الفجر.

سورة النجم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ٢ وَمَا يَنطِقُ
عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ٥
ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ٦ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ٨
فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ٩ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ١٠
مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ١٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ
نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ١٥
إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ١٦ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ١٧ لَقَدۡ رَأَىٰ
مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ١٨ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ
ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ٢٠ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ٢١ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ
ضِيزَىٰٓ ٢٢ إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ
وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ٢٣ أَمۡ لِلۡإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ٢٤ فَلِلَّهِ
ٱلۡأٓخِرَةُ وَٱلۡأُولَىٰ ٢٥ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي
شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦

٥٢٦

نصف الحزب ٥٣

وهي مكية في قول الجمهور. ١- يقسم الله تعالى بالنجوم عندما تميل للغروب. ٢- أي: ما ضل محمد عن الحق والهدى ولا عدل عنه عندما جاءكم بهذا القرآن وما صار غاويًا، ولا تكلم بالباطل. ٣- أي: ما ينطق بالقرآن عن هواه. ٤- أي: ماينطق به إلا بوحي من الله يوحيه إليه. ٥- أي: علمه إياه جبريل الذي هو شديد قواه. ٦- المرة: القوة والشدة في الخلق. وقيل: ذو حصافة عقل ومتانة رأي ﴿فَٱسۡتَوَىٰ ٦﴾ يعني: جبريل قام في صورته التي خلقه الله عليها. ٨- أي: استوى جبريل بالأفق أولاً ثم قرب من الأرض، فتدلى فنزل على النبي ﷺ بالوحي. ٩- أي: فكان مقدار ما بين جبريل ومحمد ﷺ من المسافة قدر قوسين، والقاب: المقدار أو أقل من قوسين. ١٠- أي: فأوحى جبريل إلى عبد الله ورسوله محمد ﷺ ما أوحاه من القرآن في تلك النزلة. ١١، ١٢- أي: إن فؤاد محمد صادق، فتكون عينه أصدق، هذا هو المعتاد عند البشر، وقد رأى جبريل بعيني رأسه، فكيف تجادلونه فيما يراه. ١٣- أي: رأى محمد ﷺ جبريل نازلاً مرة أخرى. ١٤- وهذه السدرة هي في السماء السادسة كما في الصحيح، قيل: إليها ينتهي علم الخلائق ولا يعلم أحد منهم ما وراءها. ١٥- وسميت جنة المأوى، قيل: لأن أرواح المؤمنين تأوي إليها. ١٦- قيل: يغشاها جراد من ذهب وقيل: طوائف من الملائكة وقيل: غشيها أمر الله. ١٧- أي: ما مال بصر النبي ﷺ عما رآه وما جاوز ما رأى. ١٨- أي: لقد رأى تلك الليلة من آيات ربه العظام ما لا يحيط به الوصف. ١٩- اللات: اسم صنم أنثى، مأخوذ من اسم الله والعزى: قال مجاهد: هي شجرة كانت بغطفان، وكانوا يعبدونها، فبعث إليها النبي ﷺ خالد بن الوليد فقطعها. ٢٠- ومناة: صنم أنثى كانت للأوس والخزرج، بين مكة والمدينة، وقال عنها الثالثة الأخرى للتحقير والذم. ٢١- أي: أخبروني عن هذه الآلهة الإناث اللاتي جعلتموهن بنات الله كيف تجعلون لله ما تكرهون؟ ٢٢- أي: خارجة عن الصواب جائرة عن الحق. ٢٣- لأنها لا تبصر ولا تسمع، ولا تعقل ولا تفهم، ولا تضر ولا تنفع، فليست إلا مجرد أسماء سميتموها آلهة أنتم وآباؤكم، قلد الآخر فيها الأول، وتبع في ذلك الأبناءُ الآباء، ما أنزل الله بها من حجة ولا برهان تحتجون به على أنها آلهة إن يتبعون إلا الظن والظن لا يغني من الحق شيئًا وما تميل إليه الأنفس وتشتهيه من غير التفات إلى ما هو الحق الذي يجب الاتباع له ولقد جاءهم من ربهم البيان الواضح الظاهر بأنها ليست بآلهة، وهو هذا القرآن الذي هو الحجة والبرهان من عند الله على لسان رسوله الذي بعثه الله بين ظهرانيهم وجعله من أنفسهم. ٢٤- أي: ينكر الله تعالى عليهم أن يكون لهم ما يتمنون من كون الأصنام تنفعهم وتشفع لهم. ٢٥- أي: فليس للأصنام معه أمر في الدنيا ولا الآخرة. ٢٦- أي: إذا كانت الملائكة، =

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾
وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ
ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ
ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن
سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا
فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟
بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ
إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ
وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ
بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ
﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ
مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ
﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ
يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ
﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾

٥٢٧

= مع كثرة عبادتها وكرامتها على الله لا تشفع إلا لمن أذن أن يشفع له فكيف بهذه الجمادات الفاقدة للعقل والفهم إلا من بعد أن يأذن الله لهم بالشفاعة لمن يشاء أن يشفعوا له ويرضى بالشفاعة له لكونه من أهل التوحيد، وليس للمشركين في ذلك حظ. ٢٧- زعموا أنها بنات الله، فجعلوهم إناثًا وسموهم بنات.

٢٨- فإنهم لم يعرفوهم ولا شاهدوهم، ولا بلغ إليهم ذلك من طريق من الطرق التي يخبر عنها المخبرون، بل قالوا ذلك جهلاً وضلالة وجرأة إن يتبعون إلا التوهم. ٢٩- أي: أعرض عمن أعرض عن القرآن، أو ذكر الله، فاترك مجادلتهم فقد بلغت إليهم ما أمرت به وليس عليك إلا البلاغ. ٣٠- أي: إن قصر الإرادة على الحياة الدنيا هو مبلغهم من العلم، ولا يلتفتون إلى سواه من أمر الدين.

٣١- أي: وعاقبة أمر الخلق الذين فيهم المحسن والمسيء أن يجزي الله كلاً بعمله، ويحتمل أن المعنى: فأعرض عمن تولى فإن الله سيجزي الذين أساءوا والذين أحسنوا، فقد بلَّغت. ٣٢- أي: إن الذين أحسنوا هم الذين يجتنبون كبائر الإثم. والكبائر: كل ذنب توعد الله عليه بالنار. والفواحش كالزنى والشرك. قيل: كبائر الإثم: كل ذنب ختم بالنار، والفواحش: كل ذنب فيه الحد، إلا اللمم وهو صغائر الذنوب. قيل هو ما كان دون الزنى من القبلة والغمزة والنظرة. إن ذلك اللمم، وإن خرج عن حكم المؤاخذة، فليس يخلو عن كونه ذنبًا يغفره الله ويمحوه بواسع رحمته ومغفرته، هو أعلم بكم إذ خلقكم من الأرض في ضمن خلق أبيكم آدم، فإنه خلقه من طين وهو أعلم بأحوالكم وقت كونكم أجنة، والجنين: هو الولد ما دام في البطن، فلا تزكوا أنفسكم ولا تمدحوها ولا تبرئوها عن الآثام ولا تثنوا عليها. ٣٣- أفرأيت الذي تولى عن الخير وأعرض عن اتباع الحق. ٣٤- يقال: أكدى الرجل إذا قل خيره. ٣٥- المعنى: أعند هذا المكدي علم ما غاب عنه من أمر العذاب، فهو يعلم ذلك. ٣٦- يعني: الأسفار التي أوتيها، وهي التوراة. ٣٧- أي: وما في الصحف التي أعطاها الله إبراهيم الذي تمم وأكمل ما أمر به، وقيل: بالغ في الوفاء بما عاهد الله عليه. ٣٨- أي: لا تؤخذ نفس بذنب غيرها. ٣٩- المعنى: ليس له إلا أجر سعيه وجزاء عمله. ٤٠- أي: سيعرض عليه ويكشف له يوم القيامة. ٤١- أي: يجزي الإنسان سعيه الجزاء كاملاً غير منقوص، على أتم ما يكون. ٤٢- أي: المرجع والمصير إليه سبحانه لا إلى غيره، فيجازيهم بأعمالهم. ٤٣- وأنه هو أضحك أهل الجنة في الجنة وأبكى أهل النار في النار، أو أضحك من شاء في الدنيا بأن سره، وأبكى من شاء بأنه غمه. ٤٤- أي: قضى أسباب الموت والحياة، ولا يقدر على ذلك غيره.

وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ
عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ
ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾
وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ
أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾
هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن
دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ
وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾ سجدة

سُورَةُ الْقَمَرِ
ترتيبها ٥٤ — آياتها ٥٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟
وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ
وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ
مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ
﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾

٤٥- أي: وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى. ٤٦- النطفة: الماء القليل إذ تصب في الرحم، وتدفق فيه. ٤٧- أي: إعادة الأرواح إلى الأجسام عند البعث. ٤٨- أي: أعطى البعض بقدر ما يغنيه عن الناس وزاد آخرين مالاً فوق الغنى. ٤٩- هي كوكب خلف الجوزاء كانت خزاعة تعبدها، وقيل: إنما ذكر سبحانه أنه رب الشعرى مع كونه ربًّا لكل الأشياء للرد على من كان يعبدها. ٥٠- وهي أول أمة أهلكت بعد نوح. قيل: عاد الأولى قوم هود وعاد الأخرى إرم. ٥١- أي: وأهلك ثمودًا كما أهلك عادًا فما أبقى أحدًا من الفريقين. ٥٢- أي: من قبل إهلاك عاد وثمود إنهم كانوا هم أظلم من عاد وثمود وأطغى منهم، كانوا كذلك لأنهم عتوا على الله بالمعاصي مع طول مدة دعوة نوح لهم. ٥٣- المؤتفكة مدائن قوم لوط، وسميت المؤتفكة لأنها انقلبت بهم وصار عاليها سافلها، أهواها جبريل بعد أن رفعها. ٥٤- أي: ألبسها ما ألبسها من الحجارة التي وقعت عليها، ومن العذاب ما غشى على اختلاف أنواعه. ٥٥- أي: فبأيّ نِعَم ربك أيها الإنسان المكذب تتشكك وتمتري. ٥٦- أي: هذا محمد رسول إليكم كالرسل المتقدمين قبله، فإنه أنذركم كما أنذروا قومهم. ٥٧- أي: قربت الساعة ودنت، لقرب قيامها. ٥٨- أي: ليس لها نفس قادرة على كشفها إذا غشيت الخلق بشدائدها وأهوالها غير الله. ٥٩- أي: كيف تعجبون تكذيبًا؟ ٦٠- وتضحكون منه استهزاء، مع كونه غير محل للتكذيب ولا موضع للاستهزاء ولا تبكون خوفًا وانزجارًا لما فيه من الوعيد الشديد. ٦١- أي: شامخون برؤوسكم تكبرًا. وقيل: سامدون، أي: لا هون عنه بأنواع اللهو. ٦٢- أي: أمر بالسجود لله والعبادة له، أي فإنه المستحق لذلك منكم. وقد ورد أن النبي ﷺ سجد عند تلاوة هذه الآية، وسجد معه المسلمون والكفار.

سُورَةُ الْقَمَرِ

هي مكية في قول الجمهور. ١- قربت، أي: قد صارت باعتبار نسبة ما بقي بعد النبوة المحمدية إلى ما مضى من الدنيا قريبة، أو المراد: تحقق وقوعها وقد انشق القمر معجزة لرسول الله ﷺ. ٢- قال المفسرون: لما انشق القمر قال المشركون: سَحَرنا محمد، فقال الله: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً﴾ يعني انشقاق القمر يعرضوا عن التصديق والإيمان بها ويقولوا سحر قويّ شديد يعلو كل سحر، من قولهم استمر الشيء إذا قوي واستحكم، وقيل: مستمر أي: دائم مطرد. ٣- وكل أمر منتهٍ إلى غاية، فالخير يستقر بأهل الخير، والشر يستقر بأهل الشر. أو: لكل أمر حقيقة: ما كان منه في الدنيا فسيظهر، وما كان منه في الآخرة فسيعرف. ٤- أي: ولقد جاء كفار مكة من أخبار الأمم المكذبة المقصوصة عليهم في القرآن ما فيه كفاية لكفهم عن السوء. ٥- المعنى: أن القرآن حكمة قد بلغت الغاية ليس فيها نقص ولا خلل ولن =

ثلاثة أرباع الحزب ٥٣

خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾
مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ ۞ كَذَّبَتْ
قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا
رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ
﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾
وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ
كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ
عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ
﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ
نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ
لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا
مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ
مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ
ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾

٥٢٩

= تغني النذر شيئًا عن المعاندين. ٦- أي: أعرض عنهم يا محمد ولا تتعب نفسك بدعوتهم، حيث لم يؤثر فيهم الإنذار، واذكر يا محمد هذا اليوم. والداعي: هو إسرافيل، والشيء النكر: الأمر الفظيع الذي ينكرونه استعظامًا له لعدم تقدم العهد لهم بمثله. ٧- أي: يخرجون من القبور كأنهم لكثرتهم واختلاطهم جراد منبث مختلط بعضه ببعض. ٨- أي: مسرعين إلى الداعي، وهو إسرافيل، يقول الكافرون هذا يوم صعب شديد على الكفار، ولكنه ليس بشديد على المؤمنين. ٩- ونسبوا نوحًا إلى الجنون وزجر عن دعوى النبوّة وعن تبليغ ما أرسل به بأنواع الزجر، وبالسب وأنواع الأذى. ١٠- أي: انتقم لي منهم. طلب النصرة عليهم لما علم تمردهم وعتوهم وإصرارهم على ضلالتهم. ١١- أي: ففتحنا أبواب السماء بماء منصب انصبابًا شديدًا. ١٢- أي: وجعلنا الأرض كلها عيونًا متفجرة فالتقى ماء السماء وماء الأرض على أمر قضي عليهم. وقال قتادة: قدر لهم إذ كفروا أن يغرقوا. ١٣- أي: وحملنا نوحًا على سفينة ذات ألواح، وهي الأخشاب العريضة، ودسر، وهي المسامير، التي تشد بها الألواح. ١٤- أي: تجري بمنظر ومرأى منا وحفظ لها؛ ثوابًا لنوح عليه السلام، فإنه كان لهم نعمة كفروها. ١٥- أي: السفينة أبقاها الله عبرة للمعتبرين، قيل: المعنى: ولقد تركنا هذه الفعلة التي فعلناها بهم عبرة وموعظة فهل من متعظ ومعتبر يتعظ بهذه الآية ويعتبر بها. ١٦- أي: كان على كيفية هائلة عجيبة لا يحيط بها الوصف.

١٧- أي: سهلناه للحفظ، وأعنا عليه من أراد حفظه، وقيل: هيأناه للتذكر والاتعاظ فهل من متعظ بمواعظه ومعتبر بعبره.

١٨- كذبت قوم هود فاسمعوا كيف كان عذابي لهم وإنذاري إياهم. ١٩- إنا أرسلنا عليهم ريحًا شديدة البرد، وقيل: الصرصر: شديدة الصوت في يوم نحس دائم الشؤم استمر عليهم بنحوسه. ٢٠- أي: تقلعهم من الأرض من تحت أقدامهم اقتلاع النخلة من أصلها. قال مجاهد: كانت تقلعهم من الأرض فترمي بهم على رؤوسهم، فتدقّ أعناقهم وتبين رؤوسهم من أجسادهم، وقيل: تنزع الناس من البيوت ثم شبههم في طول قاماتهم حين صرعتهم الريح وطرحتهم على وجوههم بالنخل الساقط على الأرض التي ليست لها رءوس. ٢٣- أي: كذبت بالرسل المرسلين إليهم، بتكذيبهم لرسولهم وهو صالح، ومن كذب واحدًا من الأنبياء فقد كذب سائرهم، لاتفاقهم في الدعوة إلى كليات الشرائع. ٢٤- أي: كيف نتبع بشرًا كائنًا من جنسنا، منفردًا وحده، لا متابع له على ما يدعو إليه، إنا إذا اتبعناه لفي خطأ وذهاب عن الحق وعذاب وعناء وشدة، وقيل: المراد به هنا الجنون. ٢٥- أي: كيف خص من بيننا بالوحي والنبوة، وفينا من هو أحق بذلك منه والأشر: المرح والنشاط، أو البطر والتكبر. ٢٦- المراد بقوله غدًا وقت نزول العذاب بهم في الدنيا. ٢٧- أي: إنا مخرجوها من الصخرة على حسب ما اقترحوه ابتلاء وامتحانًا فانتظر ما يصنعون =

وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ
فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ
لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ
كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟
بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟
عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾
فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ
﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ
أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ
فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ
وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ
﴿٤٦﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ
عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾

٥٣٠

واصطبر على ما يصيبك من الأذى منهم. ٢٨- أي: بين ثمود وبين الناقة، لها يوم ولهم يوم، كما في قوله: ﴿لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ والشرب: الحظ من الماء، قال مجاهد: إن ثمود يحضرون الماء يوم نوبتهم فيشربون، ويحضرون يوم نوبتها فيحتلبون. ٢٩- أي: نادت ثمود صاحبهم، وهو قدار بن سالف عاقر الناقة، يحضونه على عقرها أي: فتناول الناقة بالعقر فعقرها، أو اجترأ على تعاطي أسباب العقر فعقر. ٣١- إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة يريد صيحة جبريل فكانوا كهشيم المحتظر صاحب الحظيرة، وهو الذي يتخذ لغنمه حظيرة تمنع عنها البرد والريح، والمعنى أنهم صاروا كالعشب اليابس في الحظيرة إذا داسته الغنم بعد سقوطه.

٣٣- تقدم تفسيره. ٣٤- أي ريحًا ترميهم بالحصباء، وهي الحصى إلا لوطًا ومن تبعه، والسحر آخر الليل.

٣٥- أي: إنعامًا منا على لوط ومن تبعه ومثل ذلك الجزاء نجزي من شكر نعمتنا ولم يكفرها.

٣٦- أي: أنذر لوط قومه بطشة الله بهم، وهي عذابه الشديد وعقوبته البالغة فشكوا في الإنذار ولم يصدقوه. ٣٧- أي: أرادوا منه تمكينهم ممن أتاه من الملائكة ليفجروا بهم كما هو دأبهم فصيرنا أعينهم ممسوحة لا يرى لها شق، كما تطمس الريح الأعلام بما تسفي عليها من التراب. وقيل: أذهب الله نور أبصارهم مع بقاء الأعين على صورتها ﴿فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ تقدم تفسيره.
٣٨- أي: أتاهم صبحًا عذاب مستقر بهم نازل عليهم لا يفارقهم ولا ينفك عنهم. ٤١- النذر موسى وهارون. ويجوز أن تكون هي الآيات التي أنذرهم بها موسى. ٤٢- والمراد بها: الآيات التسع التي تقدم ذكرها فأخذهم بالعذاب أخذ غالب في انتقامه، قادر على إهلاكهم، ولا يعجزه شيء. ٤٣- أي: ليس كفاركم يا أهل مكة، أو يا معشر العرب، خيرًا من كفار من تقدمكم من الأمم الذين أهلكوا بسبب كفرهم، فلستم أفضل منهم حتى تكونوا بمأمن مما أصابهم من العذاب عند تكذيبهم لرسلهم ﴿أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ﴾ المعنى: إنكار أن تكون لهم براءة من عذاب الله في شيء من كتب الأنبياء. ٤٤- أي: جماعة لا نُطاق لكثرة عددنا وقوتنا، أو أمرنا مجتمع لا نغلب، بل ننتصر من أعدائنا. ٤٥- أي: جمع كفار مكة، أو كفار العرب على العموم وقد هزمهم الله يوم بدر وولوا الأدبار، وقتل رؤساء الشرك وأساطين الكفر، فلله الحمد. ٤٦- أي: موعد عذابهم الأخروي، وليس هذا العذاب الكائن في الدنيا بالقتل والأسر والقهر هو تمام ما وعدوا به من العذاب، وإنما هو مقدمة من مقدماته، وطليعة من طلائعه وعذاب الساعة أعظم في الضر وأفظع وأشد مرارة من عذاب الدنيا. ٤٧- تقدم في هذه السورة تفسيره.
٤٨- ويقال لهم: قاسوا حرها وشدة عذابها. ٤٩- المعنى أن كل شيء من الأشياء خلقه الله سبحانه ملتبسًا بقدر قدَّره.

وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ
أَشۡيَاعَكُمۡ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ
فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ
فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴿٥٥﴾

سُورَةُ الرَّحۡمَٰنِ

ترتيبها ٥٥ — آياتها ٧٨

الحزب ٥٤

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴿٣﴾
عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجۡمُ
وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ
﴿٧﴾ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ
وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ﴿١٠﴾
فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ
وَٱلرَّيۡحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ
ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ
مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾

٥٣١

٥٠- أي: إلا مرة واحدة، أو كلمة واحدة، كلمح بالبصر في سرعته. ولمح البصر إغماض البصر ثم فتحه. ٥١- أي: أشباهكم ونظراءكم يا معشر قريش في الكفر من الأمم، وقيل: أتباعكم وأعوانكم فهل من متذكر يتذكر ومتعظ بالمواعظ ويعلم أن ذلك حق، فيخاف العقوبة وأن يحل به ما حل بالأمم السالفة. ٥٢- أي: جميع ما فعلته الأمم من خير أو شر مكتوب في اللوح المحفوظ، وقيل: في كتب الحفظة. ٥٣- أي: كل شيء من أعمال الخلق وأقوالهم وأفعالهم مسطور في اللوح المحفوظ صغيره وكبيره، وجليله وحقيره. ٥٤- أي: في بساتين مختلفة وجنان متنوعة وأنهار متدفقة. ٥٥- أي: في مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم، وهو الجنة عند مليك قادر على ما يشاء، لا يعجزه شيء، فهم عنده في الكرامة وشرف المنزلة.

سُورَةُ الرَّحۡمَٰنِ

وهي مكية كلها. ١، ٢- لما كانت هذه السورة لتعداد نعم الله التي أنعم بها على عباده، قدم النعمة التي هي أجلها قدرًا، وأكثرها نفعًا، وأتمها فائدة وأعظمها عائدة، وهي نعمة تعليم القرآن، فإنها مدار سعادة الدارين. ٣- ثم امتن بنعمة الخلق فقال: خلق الإنسان. ٤- ثم امتن ثالثًا بتعليمه البيان الذي يكون به التفاهم، ويدور عليه التخاطب، والمراد بالبيان أسماء كل شيء، وقيل: المراد به: اللغات. ٥- أي: يجريان بحساب ومنازل لا يعدوانها، ويدلان بذلك على عدد الشهور والسنين. ٦- النجم ما لا ساق له من النبات، والشجر ما له ساق. والمراد: بسجودهما انقيادهما لله تعالى انقياد الساجدين من المكلفين. ٧- وجعل السماء مرفوعة فوق الأرض، ووضع في الأرض العدل الذي أمر به. ٨- أي: لا تجاوزوا العدل. وقال الحسن: المراد به آلة الوزن، أمر بها ليتوصل بها إلى الإنصاف والانتصاف، وقيل: الميزان القرآن. ٩- أي: قوّموا وزنكم بالعدل ولا تنقصوه: أمر سبحانه أولاً بالتسوية، ثم نهى عن الطغيان الذي هو المجاوزة للحد بالزيادة، ثم نهى عن الخسران الذي هو النقص والبخس. ١١- الفاكهة كل ما يتفكه به من أنواع الثمار والكِمُّ بالكسر هو وعاء الطلع من النخلة إذا أطلعت، يكون فيه الطلع قبل أن يتفتّق عنه. ١٢- الحب: هو جميع ما يقتات من الحبوب، والعصف: هو بقل الزرع، وهو أول ما ينبت منه، وقال الحسن: العصف: التبن، والريحان: الورق، وقيل: إنه الريحان المعروف الذي يشم. ١٣- الخطاب للجن والإنس، والآلاء: النعم. عدد الله في هذه السورة نِعَمَه، وذكّر خلقه آلاءه. ثم أتبع كل خصلة وضعها بهذه الآية، وجعلها فاصلة بين كل نعمتين لينبههم على النعم، ويقررهم بها، كما تقول لمن تتابع له إحسانك وهو يكفره: ألم تكن فقيرًا فأغنيتك؟ أفتنكر هذا؟ ألم تكن خاملاً فعززتك؟ أفتنكر هذا؟ ألم تكن راجلاً فحملتك؟ أفتنكر هذا؟ والتكرير حسن في مثل هذا. ١٤- الصلصال: الطين إذا يبس، يسمع له صلصلة، والفخار: الخزف الذي طبخ بالنار. ١٥- المارج: =

رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾
مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ
﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ
وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٢٨﴾ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ
أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ
إِلَّا بِسُلْطَـٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا
شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ
﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ
إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾

٥٣٢

= الشعلة الصاعدة ذات اللهب الشديد. ١٧- مشرقا الشمس في الشتاء والصيف ومغرباها. ١٩- أي: يتجاوران لا فصل بينهما في مرأى العين، ومع ذلك فلم يختلطا. ٢٠- أي: حاجز يحجز بينهما لا يبغي أحدهما على الآخر، بأن يدخل ويختلط به. وقال ابن جريج: هما البحر المالح والأنهار العذبة. ٢٢- اللؤلؤ: الدر الذي يخرج من الصدف والمرجان: الخرز الأحمر المعروف. ٢٣- فإن في ذلك من الآيات ما لا يستطيع أحد تكذيبه، ولا يقدر على إنكاره. ٢٤- أي: السفن الجارية المرفوعات التي يرفع بعض خشبها على بعض وركب، حتى ارتفعت وطالت حتى صارت في البحر كالجبال.

٢٦- أي: كل من على الأرض من الناس والحيوانات سيفنى ويهلك وتنتهي حياته يومًا من الأيام.

٢٧- الوجه: عبارة عن ذاته سبحانه ووجوده، والجلال: العظمة والكبرياء، والإكرام: أنه يكرم عن كل شيء لا يليق به. ٢٨- كيف يكون منكم التكذيب يا معشر الجن والإنس بمثل هذه النعمة العظيمة. ٢٩- أي: يسألونه جميعًا لأنهم محتاجون إليه، لا يستغني عنه أحد منهم، فيسأله أهل السماوات المغفرة، ولا يسألونه الرزق، وأهل الأرض يسألونه الأمرين جميعًا. وتسأل لهم الملائكة أيضا الرزق والمغفرة، فلا يستغني عنه أهل السماء ولا أهل الأرض، كل يوم هو في شأن من شأنه أنه يحيي ويميت، ويرزق، ويفقر، ويغني، ويعز ويذل، ويُمرض ويشفي، ويعطي ويمنع، ويغفر ويعاقب، إلى غير ذلك مما لا يحصى. ٣٠- فإن اختلاف شئونه سبحانه في تدبير عباده نعمة لا يمكن جحدها، ولا يتيسر لمكذب تكذيبها. ٣١- وهذا وعيد شديد من الله سبحانه للجن والإنس، أي: سنقصد لحسابكم. قيل: سموا الثَّقلين لأنهم ثقل على الأرض أحياء وأمواتًا. ٣٣- أي: إن قدرتم أن تخرجوا من جوانب السماوات والأرض ونواحيهما هربًا من قضاء الله وقدره فانفذوا منها وخلصوا أنفسكم لا تقدرون على النفوذ إلا بقوة وقهر، ولا قوة لكم على ذلك ولا قدرة. وقيل: المعنى: لا تقدرون على ذلك إلا بسلطان من الله. ٣٥- والشواظ: اللهب الذي لا دخان معه، والنحاس: المعدن المعروف، يذاب بالنار ويصب على رؤوسهم. فلا تقدران على الامتناع من عذاب الله. ٣٧- أي: انصدعت بنزول الملائكة يوم القيامة فكانت كوردة حمراء وتصير مثل الدهن لذوبانها، وقيل: الدهان: الجلد الأحمر. ٣٩- أي: يوم تنشق السماء لا يسأل أحد من الإنس ولا من الجن عن ذنبه، لأنهم يُعرفون بسيماهم عند خروجهم من قبورهم، ولأن الله سبحانه قد أحصى الأعمال وحفظها على العباد.

٤١- أي: سيماهم سواد الوجوه وزرقة الأعين، وقيل: سيماهم ما يعلوهم من الحزن والكآبة والناصية: مقدم شعر الرأس، فتجعل الأقدام مضمومة إلى النواصي، وتلقيهم الملائكة في النار.

يُعۡرَفُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ بِسِيمَٰهُمۡ فَيُؤۡخَذُ بِٱلنَّوَٰصِي وَٱلۡأَقۡدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ
﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَ حَمِيمٍ ءَانٖ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٤٥﴾ وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيۡنَانِ
تَجۡرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٖ
زَوۡجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ
بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ
وَلَا جَآنّٞ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ
وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلۡ جَزَآءُ
ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٦٣﴾ مُدۡهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا
عَيۡنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾

الحزب ٥٤

٤٣- أي: يقال لهم عند ذلك: هذه جهنم التي تشاهدونها وتنظرون إليها مع أنكم كنتم تكذبون بها وتقولون أنها لا تكون.

٤٤- أي: بين جهنم فتحرقهم وبين حميم آن فيصب على وجوههم، والحميم: الماء الحار، والآني: الذي قد انتهى حره وبلغ غايته.

٤٦- أي: مقامه سبحانه هو الموقف الذي يقف فيه العباد بين يديه للحساب. وقيل: مقام ربه هو إشراف الله تعالى على أحواله وإطلاعه على أفعاله وأقواله.

٤٨- الأفنان: الأغصان، وهو الغصن المستقيم طولاً، في كل غصن فنون من الفاكهة.

٥٠- أي: في كل واحدة من الجنتين عين جارية.

٥٢- الزوجان الصنفان والنوعان، ففي الجنتين من كل نوع يتفكه به ضربان يستلذ بكل نوع من أنواعه، قيل: أحد الصنفين رطب والآخر يابس، لا يقصر أحدهما عن الآخر في الفضل والطيب.

٥٤- أي: يتنعمون متكئين على الفرش، والبطائن: هي التي تحت الظهائر، والإستبرق: ما غلظ من الديباج، وإذا كانت البطائن من إستبرق، فكيف تكون الظهائر؟ والجني: ما يجتنى من الثمار، قيل: إن الشجرة من شجر الجنة تدور حتى يجنيها من يريد جناها.

٥٦- أي: في الجنتين المذكورتين، وقيل: فيهن: أي: في الفرش التي بطائنها من إستبرق. وقاصرات الطرف نساء يقصرن أبصارهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم، لم يجامعهن قبلهم أحد. قال مقاتل: لأنهن خلقن في الجنة.

٥٨- وشبههن سبحانه في صفاء اللون مع حمرته بالياقوت والمرجان، والياقوت: هو الحجر المعروف، والمرجان: حجر يؤخذ من البحر وهو الأحمر المعروف.

٦٠- أي: ما جزاء من أحسن العمل في الدنيا إلا الإحسان إليه في الآخرة.

٦٢- أي: ومن دون تينك الجنتين الموصوفتين بالصفات المتقدمة، أي: تحتهما، جنتان أخريان، لمن دون أصحاب الجنتين السابقتين من أهل الجنة.

٦٤- أي: من شدة خضرتهما تراهما في رأي العين قد اسودتا.

٦٦- والمعنى: أن في الجنتين المذكورتين عينين فوارتين.

فِيهِمَا فَٰكِهَةٞ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ ٦٨ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٦٩
فِيهِنَّ خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ ٧٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٧١ حُورٞ
مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ ٧٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٧٣
لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ٧٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
٧٥ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٖ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ ٧٦ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٧٧ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٧٨

سُورَةُ الوَاقِعَةِ

ترتيبها ٥٦ — آياتها ٩٦

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ١ لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا كَاذِبَةٌ ٢ خَافِضَةٞ رَّافِعَةٌ
٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ رَجّٗا ٤ وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا ٥
فَكَانَتۡ هَبَآءٗ مُّنۢبَثّٗا ٦ وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ ٧ فَأَصۡحَٰبُ
ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ٨ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ
ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ١١
فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ١٢ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ
١٤ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّوۡضُونَةٖ ١٥ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيۡهَا مُتَقَٰبِلِينَ ١٦

ربع الحزب ٥٤

٦٨- خصصتا بالذكر لمزيد حسنهما وكثرة نفعهما بالنسبة إلى سائر الفواكه. ٧٠- الخيرات هن ذوات الفضل من النساء، خيرات الأخلاق، حسان الوجوه. ٧٢- أي: محبوسات قُصرت على أزواجهن فلا يردن غيرهم. وقد وصف نساء الجنتين السابقتين بأنهن قاصرات الطرف فهن أعلى منزلة من هؤلاء المذكورات في هذه الآية. قيل: الخيمة من خيام الجنة درة مجوفة.

٧٤- تقدم تفسيره. ٧٦- الرفارف البسط. وقيل: ضرب من الثياب الخضر العبقري الزرابي، والطنافس: الموشية، والعبقري عند العرب: كل جليل فاضل فاخر من الرجال والنساء أو الأشياء. وعبقر موضع تزعم العرب أنه من أرض الجن. ثم نسبوا إليه كل شيء تعجبوا من حذقه وجودة صنعه وقوته. ٧٨- تقدم تفسيره.

سُورَةُ الوَاقِعَةِ

هي مكية إلا آية نزلت في المدينه.

١- الواقعة اسم للقيامة كالآزفة وغيره. ٢- أي لا يكون عند وقوعها تكذيب. والواقعة هنا هي النفخة الآخرة، فإذا وقعت عند البعث لم يكن هناك تكذيب بها أصلا. ٣- خفضت أقواما كانوا في الدنيا مرفوعين، وهم الكفرة من أهل الجاه، والفسقة من أهل المناصب والغني، ورفعت أقواما كانوا في الدنيا مغمورين، من أهل الإيمان. ٤- أي ترتج كما يرتجّ الصبيّ في المهد حتى ينهدم كل ما عليها وينكسر كل شيء من الجبال وغيرها. ٥- البسّ الفتّ، يقال بسّ الشيء إذا فته حتى يصير فتاتا. ٦- أي غبارا متفرّقا منتشرا، كالذي يكون في الكوّة كهيئة الغبار. ٧- أي أصنافا ثلاثة. ٨- أي أصحاب ا ليمين. وهم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة، أي شيء هم في حالهم وصفتهم؟ ٩- أي الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار. ١٠- السابقون إلى الإيمان والجهاد والتوبة وأعمال البر هم السابقون إلى رحمة الله. ١١- أي المقرّبون إلى جزيل ثواب الله وعظيم كرامته. ١٣- الثلة الجماعة التي لا يحصر عددها. والمراد بالأولين هم الأمم السابقة من لدن آدم إلى نبينا ﷺ. ١٤- أي من هذه الأمة، وسموا قليلا بالنسبة إلى من كان قبلهم وهم كثيرون، لكثرة الأنبياء فيهم وكثرة من أجابهم. وقيل المراد: كثرة من أوائل أمة محمد ﷺ وقليل من أواخرها وهذا بخلاف أصحاب اليمين كما يأتي، فإنهم ثلة من الأولين وثلة من الآخرين، فلا يمتنع أن يكون في أصحاب اليمين من هذه الأمة من هو أكثر من أصحاب اليمين من غيرهم، فيجتمع من قليل سابقي هذه الأمة، ومن ثلة أصحاب اليمين منها من يكون نصف أهل الجنة، فقد قال النبي ﷺ لأصحابه: «إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة». ١٥- الموضونة المنسوجة بقضبان الذهب، وقيل مشبكة بالدرّ والياقوت والزبرجد.

١٦- أي مستقرّين على سرر متكئين عليها متقابلين لا ينظر بعضهم قفا بعض.

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ
﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ
﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ
ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا
تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ
ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ
﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا
مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ
أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ
ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ
وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ
عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا
وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ
ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾

١٧- المعنى: يدور حولهم للخدمة غلمان لهم، لا يهرمون ولا يتغيرون. قيل: وهم ولدان المسلمين، وقيل هم أطفال المشركين، ولا يبعد أن يكونوا مخلوقين في الجنة للقيام بهذه الخدمة. ١٨- الأكواب هي الأقداح المستديرة الأفواه التي لا آذان لها ولا عرى، والأباريق هي ذات العرى والخراطيم وكأس من خمر جارية من العيون. ١٩- أي لا تتصدّع رءوسهم من شربها ولا يسكرون فتذهب عقولهم.

٢٠- وفاكهة مما يختارونه وينتقون أطايبه. ٢١- وهو أفضل من غيره من اللحوم وألذ مما يتمنونه وتشتهيه أنفسهم. ٢٢- أي نساؤهم حور عين. والحَوَر في العين شدة سواد سوادها، وشدة بياض بياضها. والعِينُ واسعات الأعين. ٢٣- اللؤلؤ المكنون، هو الذي لم تمسه الأيدي ولا وقع عليه الغبار، فهو أشد ما يكون صفاء، شبه به نساء الجنة في بياضهن وحسن ألوانهن وصفائها. ٢٤- أي يفعل بهم ذلك كله للجزاء على أعمالهم. ٢٥- أي شتما ولا مأثما، لأنها ليس فيها أحد يتكلم بما فيه إثم. ٢٦- أي إلا أن يقولوا سلاما سلاما، يحيى بعضهم بعضا بالسلام. ٢٧- وهم أصحاب الجنة الثانية، أقلُّ درجة في النعيم من السابقين، لأنهم كانوا في الدنيا أضعف إيمانا، وأقل إخلاصا وعملا، فأشجارهم وفواكههم وما يؤتون به من النعيم لا يبلغ درجة ما يناله أصحاب السبق. ٢٨- نوع من الشجر معروف، والخضود الذي خُضد شوكه: أي قطع فلا شوك فيه. ٢٩- هو شجر الموز. وقيل ليس هو شجر الموز، ولكنه الطلح المعروف، وهو أعظم أشجار العرب. إلا أن فضله على ما في الدنيا كفضل سائر ما في الجنة على ما في الدنيا. ٣٠- أي دائم باق لا يزول، ولا تنسخه الشمس. ٣١- أي منصبّ يجري بالليل والنهار أينما شاءوا، فهو مسكوب يسكبه الله في مجاريه، فهي شرابهم، وشراب السابقين الكأس من الخمر المعين. ٣٣- لا مقطوعة في وقت من الأوقات كما تنقطع فواكه الدنيا في بعض الأوقات ولا تمتنع على من أرادها في أي وقت على أي صفة، بل هي معدة لمن أرادها، أما فاكهة السابقين فإنهم يتخيرونها تخيرا. ٣٤- وفرش مرفوعة على الأسرة، وقيل إن الفرش هنا كناية عن نساء أهل الجنّة. ٣٥- أي خلقناهنّ خلقا جديدا من غير توالد، وقيل المراد نساء بني آدم، والمعنى أن الله سبحانه أعادهنّ بعد الكبر والموت إلى حال الشباب. ٣٦- أي لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان. ٣٧- العُرُبُ جمع العَرُوب، وهي المتحببة إلى زوجها. قال المبرد: هي العاشقة لزوجها، الحسنة الكلام. والأتراب هنَّ اللواتي على ميلاد واحد وسنّ واحد. ٣٨- أي أنشأهنّ الله لأجلهم. ٣٩، ٤٠- أي هم كثرة من الأوّلين، وهم من لدن آدم إلى نبينا ﷺ، وكثرة من الآخرين، وهم أمة محمد ﷺ. ٤٢- السموم حرّ النار، والحميم الماء الحارّ الشديد الحرارة. ٤٣- المعنى أنهم يفزعون إلى الظلّ، فيجدونه ظلا من دخان جهنم شديد الحرارة. ٤٤- أي ليس كغيره من الظلال التي تكون باردة وليس فيه حسن منظر، وكلّ ما لا خير فيه فليس بكريم. ٤٥- أي منعمين بما لا يحل لهم. ٤٦- وكانوا يصرّون على الذنب العظيم، يعني به الشرك: أي كانوا لا يتوبون عنه.

ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾
فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ
شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا
تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ
ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾
عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ
عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ
﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ
حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ
﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ
أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ
﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ
نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ
﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ — نصف الحزب ٥٤
بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾

٥٣٦

٤٧- أي: أنكروا واستبعدوا أن يبعثوا بعد الموت، وقد صاروا عظاما وترابا.
٤٨- والمعنى أن بعث آبائهم الأوّلين أبعد عندهم لتقدّم موتهم. ٤٩- أي قل لهم يا محمد إن الأوّلين من الأمم والآخرين منهم الذين أنتم من جملتهم.
٥٠- لمجموعون بعد البعث إلى يوم القيامة. ٥٢- أي لآكلون في الآخرة من شجر كريه المنظر كريه الطعم.
٥٣- أي مالئون من شجر الزقوم بطونكم لما يلحقكم من شدّة الجوع.
٥٤- المعنى أنكم سوف تشربون على الزقوم عقب أكله من الماء الحارّ.
٥٥- الهيم الإبل العطاش التي لا تروي لداء يصيبها. أي لا يكون شربكم من الحميم شربا معتادا، بل يكون مثل شرب الهيم التي تعطش ولا تروي بشرب الماء.
٥٦- المعنى: أن ما ذكر من شجر الزقوم وشراب الحميم هو الذي يعد لهم ويأكلونه يوم القيامة. ٥٧- أي: خلقناكم ولم تكونوا شيئًا، وأنتم تعلمون ذلك، فهلا تصدّقون بالبعث كما تقرّون بالخلق.
٥٨- أي أفرأيتم ما تقذفون وتصبون في أرحام نسائكم من النطف. ٥٩- أي تقدّرونه وتصوّرونه بشرا سويا، أم نحن المقدرون المصوّرون له؟ ٦٠- أي قسمناه عليكم ووقتناه لكل فرد من أفرادكم، فمنكم من يموت كبيرا ومنكم من يموت صغيرا، ولكن أهل الأرض فيه سواء وما نحن بمغلوبين، بل نحن قادرون. ٦١- أي نأتي بدلكم بخلق مثلكم وننشئكم فيما لا تعلمون من الصور والهيئات. قال الحسن: أي نجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا بأقوام قبلكم، وقيل المعنى: ننشئكم في البعث على غير صوركم في الدنيا.
٦٢- وهي ابتداء الخلق من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة، ولم تكونوا قبل ذلك شيئا. فهلا تتذكرون قدرة الله سبحانه على النشأة الأخيرة وتقيسونها على النشأة الأولى. ٦٣- أي أخبروني عما تحرثون من أرضكم فتطرحون فيه البذر. ٦٤- أي تنبتونه وتجعلونه زرعا فيكون في السنبل والحب أم نحن المنبتون له الجاعلون له زرعا لا أنتم. فإذا أقررتم بهذا فكيف تنكرون البعث؟ ٦٥- أي متحطما متكسرا، لا ينتفع به ولا يحصل منه حبّ ولا شيء مما يطلب من الحرث فصرتم تعجبون فيما نزل بكم في زرعكم قائلين: ٦٦- ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ المغرم الذي ذهب ماله بغير عوض. ٦٧- أي حُرِمْنَا رزقنا بهلاك زرعنا. ٦٨- أي تسكنون بالماء ما يلحقكم من العطش.
٦٩- أأنتم أنزلتموه من السحاب أم نحن المنزلون له بقدرتنا دون غيرنا، فكيف لا تقرّون بالتوحيد وتصدّقون بالبعث؟
٧٠- أي فهلا تشكرون نعمة الله الذي خلق لكم ماء عذبا تشربون منه وتنتفعون به. ٧١- أفرأيتم النار التي تستخرجونها بالقدح من الشجر الرطب. ٧٢- وهي التي كانوا يقدحون منها النار، وهي المرخ والعفار، وقيل المراد: كل الشجر أم نحن المنشئون لها بقدرتنا دونكم. ٧٣- أي تذكركم حرّ نار جهنم الكبرى ليتعظ بها المؤمن ومتاعا للمقوين كالمسافرين وأهل البوادي النازلين في الأراضي المقفرة.
٧٥- أي مساقطها، وهي مغاربها.

إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا
ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ
أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوۡلَآ
إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ
إِلَيۡهِ مِنكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ
﴿٨٦﴾ تَرۡجِعُونَهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ
﴿٨٨﴾ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ
ٱلۡيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ
ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ ﴿٩٣﴾ وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ
﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

سُورَةُ الحَدِيدِ

ترتيبها ٥٧ — آياتها ٢٩

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلۡكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٢﴾
هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

٧٧- أي كرَّمه الله وأعزّه ورفع قدره على جميع الكتب، وكرمه عن أن يكون سحرا أو كهانة أو كذبا، وهو كريم لما فيه من كرم الأخلاق ومعالي الأمور، يُكرَم حافظه، ويُعَظَّمُ قارئه. ٧٨- أي مستور مصون، وقيل محفوظ عن الباطل، وهو اللوح المحفوظ. ٧٩- أي لا يمس الكتاب المكنون إلا المطهرون، وهم الملائكة، أما الشياطين فلا يستطيعون أن ينالوه. ومن فحوى هذه الآية يعلم أنه لا يمس القرآن كافر ولا جنب ولا محدث. ٨١- الإشارة إلى القرآن المنعوت بالنعوت السابقة، ومدهنون: ممالئون للكفار على الكفر، وأصل المدهن الذي ظاهره خلاف باطنه، كأنه يشبه الدهن في سهولته.

٨٢- أي تجعلون شكر رزقكم أنكم تكذبون بنعمة الله، فتضعون التكذيب موضوع الشكر؟ ٨٣- أي فهلا إذا بلغت الروح أو النفس الحلقوم عند الموت. ٨٤- وأنتم حينئذ ترون الميت قد صار إلى أن تخرج نفسه، وأنتم في تلك الحال لا يمكنكم الدفع عنه، ولا تستطيعون شيئا ينفعه أو يخفف عنه ما هو فيه. ٨٥- أي بالعلم والقدرة والرؤية، وقيل أراد: ورسلنا الذين يتولون قبضه أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون ملائكة الموت الذين يحضرون الميت ويتولون قبضه. ٨٦- أي فهلا إن كنتم غير مربوبين ومملوكين.

٨٧- أي النفس التي قد بلغت الحلقوم، إلى مقرها الذي كانت فيه إن كنتم صادقين ولن ترجعوها، فبطل زعمكم أنكم غير مربوبين ولا مملوكين. ٨٨- أي السابقين، وهم الصنف الأول من الثلاثة الأصناف المتقدم تفصيل أحوالهم. ٨٩- الروح الراحة من الدنيا والاستراحة من أحوالها، والريحان الرزق في الجنة، وقال الحسن: هو الريحان المعروف الذي يشم. ٩١- المعنى سلام لك يا صاحب اليمين من إخوانك أصحاب اليمين، وذلك لأنك ستكون معهم فيستقبلونك بالسلام. ٩٢- أي المكذبين بالبعث، الضالين عن الهدى، وهم أصحاب الشمال المتقدم ذكرهم. ٩٣- أي فله نزل يعد لنزوله من حميم، وهو الماء الذي قد تناهت حرارته، وذلك بعد أن يأكل من الزقوم، كما تقدم بيانه. ٩٤- يقال: أصلاه النار وصلاه: إذا جعله فيها. ٩٥- أي محض اليقين وخالصه.

٩٦- أي نزهه عما لا يليق بشأنه، لما علمت من أخبار علمه وقدرته.

سُورَةُ الحَدِيدِ

وهي مدنيه في قول الجميع. ١- أي: نزهه ومجده بلسان المقال، كتسبيح الملائكة والإنس والجن، وبلسان الحال كتسبيح غيرهم، فإن كل موجود يدل على الصانع، وقيل: كلّ شيء ناطق بتسبيح خالقه حقيقة ولكن لا تفقهون تسبيحهم وهو القادر الغلب الحكيم الذي يفعل أفعال الحكمة والصواب. ٢- له ملك السماوات والأرض يتصرّف فيهما وحده، ولا ينفذ غير تصرّفه وأمره =

هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ
عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ
بَصِيرٞ ٤ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ
٥ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۚ وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ
ٱلصُّدُورِ ٦ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم
مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ ٧
وَمَا لَكُمۡ لَا تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ لِتُؤۡمِنُواْ بِرَبِّكُمۡ وَقَدۡ
أَخَذَ مِيثَٰقَكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٨ هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ
ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ
لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٩ وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ
وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ
وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١٠ مَّن ذَا
ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ١١

= يحيى في الدنيا ويميت الأحياء، ويحيى الأموات للبعث وهو على كلّ شيء قدير لا يعجزه شيء كائنا ما كان.

٣- هو الأوّل قبل كل شيء والآخر بعد كل شيء، أي الباقي بعد فناء خلقه والعالي الغالب على كل شيء والعالم بما بطن، وقيل: هو المحتجب عن الأبصار. ولا يعزب عن علمه شيء من المعلومات. ٤- يعلم ما يلج في الأرض من مطر وغيره وما يخرج منها من نبات وغيره وما ينزل من السماء من مطر وغيره وما يصعد إليها من الملائكة وأعمال العباد وهو معكم أينما كنتم بقدرته وسلطانه وعلمه، أينما داروا في الأرض من بر وبحر والله لا يخفى عليه من أعمالكم شيء. ٥- وهذا التكرير للتأكيد ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٥﴾ لا إلى غيره. ٦- وهو عليم بضمائر الصدور ومكنوناتها، لا يخفى عليه من ذلك خافية. ٧- أي: صدّقوا بالتوحيد وبصحة الرسالة وأنفقوا مما جعلكم خلفاء في التصرف فيه من غير أن تملكوه حقيقة. فإن المال مال الله والعباد خلفاء الله في أمواله، فعليهم أن يصرفوها فيما يرضيه؛ وقيل: جعلكم خلفاء من كان قبلكم ممن ترثونه، وسينتقل إلى غيركم ممن يرثكم، فلا تبخلوا به والذين جمعوا بين الإيمان بالله ورسوله، وبين الإنفاق في سبيل الله، لهم أجر كبير، وهو الجنة. ٨- أي: أيّ عذر لكم، وأيّ مانع من الإيمان، وقد أزيحت عنكم العلل؟ والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم والحال أن الله قد أخذ ميثاقكم حين أخرجكم من ظهر أبيكم آدم، أو بما نصب لكم من الأدلة الدالة على التوحيد ووجوب الإيمان إن كنتم مؤمنين بما أخذ عليكم من الميثاق.

٩- هو الذي ينزل على عبده آيات واضحات ظاهرات، وهي الآيات القرآنية، وقيل المعجزات، والقرآن أعظمها ليخرجكم الله بتلك الآيات من ظلمات الشرك إلى نور الإيمان، أو ليخرجكم الرسول بتلك الآيات، أو بالدعوة وإن الله بكم لكثير الرأفة والرحمة بليغهما، حيث أنزل كتبه وبعث رسله لهداية عباده، فلا رأفة ولا رحمة أبلغ من هذه. ١٠- المعنى: أيّ عذر لكم وأيّ شيء يمنعكم من ذلك والحال أن كل ما في السماوات والأرض راجع إلى الله سبحانه بانقراض العالم، كرجوع الميراث إلى الوارث، ولا يبقى لهم منه شيء: لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ومن أنفق من بعد الفتح وقاتل. والفتح فتح مكة، لأن حاجة الناس كانت إذ ذاك أكثر، وهم أقلّ وأضعف، ولا يجدون ما يجودون به من الأموال إلا قليلاً، والجود بالنفس أقصى غاية الجود. وكلا وعد الله الجنة، مع تفاوت درجاتهم فيها والله بما تعملون خبير لا يخفى عليه من ذلك شيء.

١١- أي: من ذا الذي ينفق ماله في سبيل الله، فإنه كمن يقرضه محتَسِبًا من قلبه بلا منّ ولا أذى، طيبة به نفسه فيضاعفه له وله الجنة، والمضاعفة هنا هي كون الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائه ضعف، على اختلاف الأحوال والأشخاص والأوقات.

يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم
بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ
هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا
فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ
ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ
أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ
ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا
مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ
﴿١٥﴾ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ
وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ
فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾
ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟
ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٥٤

١٢- النور هو الضياء الذي يرونه وذلك على الصراط يوم القيامة بسبب كتبهم التي أعطوها ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أي: يقال لهم هذا تبشيرًا وتكريمًا ذلك النور والبشرى لا يقادر قدره حتى كأنه لا فوز غيره، ولا اعتداد بما سواه. ١٣- يقولون ذلك لما رأوا المؤمنين يسرع بهم إلى الجنة يقولون لهم: انتظرونا نستضيء من نوركم فيقال لهم: ارجعوا إلى الدنيا فالتمسوا النور بما التمسناه به من الإيمان والأعمال الصالحة فضرب بينهم بحاجز بين الجنة والنار له باب باطن ذلك الحاجز وهو الجانب الذي يلي أهل الجنة، فيه الرّحمة وهي نِعَمُ الجنة وظاهره وهو الجانب الذي يلي أهل النار من جهته عذاب جهنم. ١٤- أي: إن المنافقين ينادون المؤمنين قائلين لهم: ألم نكن موافقين لكم نصلي بصلاتكم في مساجدكم ونعمل بأعمال الإسلام مثلكم قالوا بلى قد كنتم معنا في الظاهر ولكنكم فتنتم أنفسكم بالنفاق وإبطان الكفر، وأهلكتموها بالنفاق، وقيل بالشهوات والملذات وتربصتم بمحمد ﷺ وبمن معه من المؤمنين حوادث الدّهر، وقيل تربصتم بالتوبة وشككتم في أمر الدين، ولم تصدّقوا ما نزل من القرآن، ولا آمنتم بالمعجزات الظاهرة وغرّتكم الأمانيّ الباطلة التي من جملتها ما كنتم فيه من التربص، وقيل: هي طول الأمل حتى جاء الموت. وقال قتادة: هو إلقاؤهم في النار وخدعكم الشيطان فلم تقدروا الله حق قدره.

١٥- فاليوم لا يؤخذ منكم فدية تفدون بها أنفسكم من النار أيها المنافقون ولا من الذين كفروا بالله ظاهرا وباطنا منزلكم الذي تأوون إليه النار هي أولى بكم وبئس المصير الذي تصيرون إليه وهو النار.

١٦- أي: ألم يحِنِ الوقت لخشوع قلوبهم لذكر الله؟ ولا يكونوا كمن لا يلين قلبه للذكر ولا يخشع له وما نزل من القرآن ولا يكونوا كاليهود والنصارى الذين أوتوا التوراة والإنجيل من قبل نزول القرآن فطال عليهم الزمان بينهم وبين أنبيائهم فقست قلوبهم بذلك السبب، حتى صاروا لا ينفعلون لكلام الله الذي يتلونه. فنهى الله سبحانه أمة محمد ﷺ أن يكونوا مثلهم.

١٧- فهو قادر على أن يبعث الأجسام بعد موتها، ويلين القلوب بعد قسوتها قد بينا لكم الآيات التي من جملتها هذه الآيات كي تعقلوا ما تضمنته من المواعظ، وتعملوا بموجب ذلك.

١٨- إن المتصدّقين والمتصدّقات والقرض الحسن عبارة عن التصدّق والإنفاق في سبيل الله، مع خلوص نية وصحة قصد واحتساب أجر يضاعف لهم ثوابهم ولهم الجنة، والمضاعفة هنا أن الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أكثر من ذلك.

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَۖ وَالشُّهَدَآءُ
عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا
بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ اعْلَمُوٓا أَنَّمَا الْحَيَوٰةُ
الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرُۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَٰلِ
وَالْأَوْلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ
مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًاۖ وَفِي الْأَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ
مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَٰنٌۚ وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾
سَابِقُوٓا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَآءِ
وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ
اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَآ أَصَابَ
مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ
مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا
تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَآ ءَاتَىٰكُمْۗ وَاللَّهُ
لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ
النَّاسَ بِالْبُخْلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾

١٩- قال مجاهد: كل من آمن بالله ورسله فهو صدّيق. وقيل: هم الذين لم يشكوا في الرسل حين أخبروهم بل صدقوهم تصديقا كاملاً والذين استشهدوا في سبيل الله. بعلوّ الدرجة عند الله وكل من الصديقين والشهداء لهم الأجر والنور الموعودان لهم والذين جمعوا بين الكفر وتكذيب الآيات أولئك أصحاب الجحيم يعذبون بها ولا أجر لهم ولا نور، بل عذاب مقيم وظلمة دائمة.

٢٠- واللعب هو خلاف الجِدّ، واللهو كلّ شيء يتلهى به ثم يذهب. وقيل اللعب الاقتناء، واللهو النساء. والزينة التزين بمتاع الدنيا من دون عمل للآخرة ويفتخر به بعضكم على بعض، وقيل يتفاخرون بالخلقة والقوة وقيل بالأنساب والأحساب، كما كانت عليه العرب ويتكاثرون بأموالهم وأولادهم كمثل مطر أعجب الزراع النبات الحاصل به، والمراد بالكفّار هنا الزراع، لأنهم يَكْفُرون البذر، أي يغطونه بالتراب ثم يجف بعد خضرته وييبس ثم يكون فتاتا هشيما متكسرا متحطما بعد يبسه. وهكذا حقارة الدنيا وسرعة زوالها بعد نضارتها وفي الآخرة عذاب شديد لأعداء الله ومغفرة من الله ورضوان لأوليائه وأهل طاعته؛ فإما هذا وإما هذا وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور لمن اغترّ بها ولم يعمل لآخرته، أما من استعان على الآخرة بطلبها، فهي له متاع وبلاغ إلى ما هو خير منه.

٢١- أي: سارعوا مسارعة السابقين بالأعمال الصالحة التي توجب المغفرة لكم من ربكم، وسارعوا إلى التوبة مما وقع منكم من المعاصي. ومن المسابقة التكبيرة الأولى مع الإمام، ومنها الصف الأول وجنة عرضها كعرض السماء والأرض وإذا كان هذا قدر عرضها فما ظنك بطولها أعدّت للذين آمنوا بالله ورسله ولا يستحقها إلا من عمل بما فرض الله عليه، واجتنب نَهْيَه.

٢٢- ما أصاب من مصيبة في الأرض من قحط مطر، وضعف نبات، ونقص ثمار ولا في أنفسكم بالأوصاب والأسقام وضيق المعاش إلا في اللوح المحفوظ من قبل أن نخلق الأرض إن ذلك على كثرته، على الله يسير غير عسير.

٢٣- أي: أخبرناكم بذلك لكيلا تحزنوا على مافاتكم من الدنيا ولا تفرحوا بما أعطاكم منها، فإن ذلك يزول عن قريب، وكلّ زائل عن قريب لا يستحق أن يُفرَح بحصوله ولا يحزن على فواته، مع أن الكل بقضاء الله وقدره، فلن يعدو امرأ ما كتب له، وما كان حصوله كائنا لا محالة فليس بمستحق للفرح بحصوله، ولا للحزن على فوته والله لا يحب كل مختالٍ فخور هو ذمّ للفرح الذي يختال فيه صاحبه ويبطر، وقيل إن من فرح بالحظوظ الدنيوية، وعظمت في نفسه، فقد اختال وافتخر بها.

٢٤- أي البخل بأداء حق الله وبالصدقة ومن يعرض عن الإنفاق فإن الله غنيّ عنه، محمود عند خلقه، لا يضره بخلكم

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ
بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ
بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ
وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ
وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم
بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ
وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً
ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا
رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ
وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ
نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ
أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ
ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

٢٥- أي لقد أرسلنا رسلنا بالمعجزات البينة والشرائع الظاهرة وأنزلنا معهم الكتب السماوية والميزان العدل. وقال ابن زيد: هو الميزان الذي يستعمله الناس، يوزن به ويتعامل به ليتبع الناس ما أمروا به من العدل، وتقوم حياتهم عليه، فيتعاملوا فيما بينهم بالنصفة، والقسط: العدل وخلقنا الحديد والمعنى أنه خلقه في المعادن، وعلم الناس صنعته فيه بأس شديد لأنه تتخذ منه آلات الحرب، للدفع وللضرب لقوة تحمّله وشدة صلابته ومنافع للناس ينتفعون به في كثير مما يحتاجون إليه مثل السكين والفأس والإبرة وآلات الزراعة والنجارة والعمارة وغير ذلك وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب باستعمال الحديد، أي في الأسلحة في الجهاد، فمن نصر دين الله ورسله علمه ناصرا، ومن عصى علمه بخلاف ذلك.

٢٦- أي: جعلنا فيهم النبوة، فكل الأنبياء من ذريتهما، والكتب المنزلة لم ينزلها الله على أحد غيرهم.

٢٧- وهو من ذرية إبراهيم من جهة أمة وآتيناه الإنجيل وهو الكتاب الذي أنزله الله عليه وجعلنا في قلوب الحواريون وأتباعهم، جعل الله في قلوبهم رحمة للناس، بخلاف اليهود فإنهم ليسوا كذلك ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم لكونها مبتدعة من جهة أنفسهم لم يشرعها الله لهم، ولم يأمرهم بها، بل ساروا عليها غلوا في العبادة، وحملوا على أنفسهم المشقات في الامتناع من المطعم والمشرب والمنكح، وتعلقوا بالكهوف والصوامع، وكان أصلها أن ملوكهم غيروا وبدلوا وبقي منهم نفر قليل فترهبوا وتبتلوا ولكن ابتدعوها ابتغاء رضوان الله ولم يرعوا هذه الرهبانية التي ابتدعوها من جهة أنفسهم، بل استعملها كثير منهم في الفساد، ولم يبق على دين عيسى إلا قليل منهم فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم الذي يستحقونه بالإيمان وكثير منهم خارجون من طاعة الله.

٢٨- ثم يدعوا الله تعالى الذين آمنوا من أهل الكتابين التوارة والإنجيل إلى تقواه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه والإيمان بمحمد ﷺ ليعطيهم نصيبين من رحمته، بسبب إيمانكم برسوله بعد إيمانكم بمن قبله من الرسل، وهذا -والله أعلم- لمؤمني أهل الكتاب ويجعل لكم نورًا تمشون على الصراط تهتدون به ويغفر لكم ما سلف من ذنوبكم والله بليغ المغفرة والرحمة.

٢٩- أي: اتقوا وآمنوا يؤتكم كذا وكذا ليعلم الذين لم يتقوا ولا آمنوا من أهل الكتاب: أنهم لا يقدرون على أن ينالوا شيئا من فضل الله الذي تفضل به على من آمن بمحمد ﷺ ولا يقدرون على أن يدفعوا ويمنعوا ذلك الفضل الذي تفضل الله به على المستحقين له وأن الفضل بيد الله ومنه النبوة والعلم والتقوى يؤتيه من يشاء كما آتى من ذلك محمدًا ﷺ وأصحابه وأمته من ذلك نصيبا أوفر بدين الإسلام.

سورة المجادلة

ترتيبها ٥٨ | آياتها ٢٢

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ
وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ١ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ
مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي
وَلَدۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورٗاۚ وَإِنَّ
ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ٢ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ
لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ
بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٣ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ
مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ
مِسۡكِينٗاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ
وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٤ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ
كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ وَقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ
عَذَابٞ مُّهِينٞ ٥ يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا
عَمِلُوٓاْۚ أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٦

سورة المجادلة

مدنية في قول الجميع.

١- أي: تُراجعك الكلام في شأنه عن عائشة قالت: تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة، ويخفى عليّ بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وهي تقول: يا رسول الله: أكَلَ شبابي، وَنَثَرْتُ له بطني، حتى إذا كبر سني، وانقطع ولدي، ظاهر مني. اللهمّ إني أشكو إليك. قالت: فما برحت حتى نزل جبريل بهؤلاء الآيات ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا﴾ وهو أوس بن الصامت أحد الأنصار والله يسمع ما تتراجعان به من الكلام إن الله سميع بصير يسمع كل مسموع، ويبصر كل مبصر، ومن جملة ذلك ما جادلتك به هذه المرأة. ٢- معنى الظهار أن يقول الرجل لامرأته: أنتِ عليّ كظهر أمي. ولا خلاف في كون هذا ظهارًا وما نساؤهم بأمهاتهم، فذلك كذب منهم. وفي هذا توبيخ للمظاهرين وتبكيت لهم وليست أمهاتهم إلا النساء اللائي ولدنهم وإن المظاهرين ليقولون بقولهم هذا منكرا من القول، أي فظيعا ينكره الشرع، والزور: الكذب وإن الله بليغ العفو والمغفرة، إذ جعل الكفارة عليهم مخلصة لهم عن هذا المنكر. ٣- أي: يعودون لما كانوا عليه من إرادة الجماع فعليهم تحرير رقبة، أمة أو عبد مملوك، من أجل ما قالوا. وقيل العود أن يمسكها زوجةً بعد الظهار، مع القدرة على الطلاق والمراد بالتماس هنا الجماع، فلا يجوز للمظاهر الوطء حتى يكفِّر ذلكم الحكم المذكور تؤمرون به، أو تزجرون به عن ارتكاب الظهار والله لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، فهو مجازيكم عليها. ٤- أي: فمن لم يجد الرّقبة في ملكه، ولا تمكن من قيمتها، فعليه صيام شهرين متتابعين متواليين لا يفطر فيهما، فإن أفطر استأنف إن كان الإفطار لغير عذر. فلو جامعها ليلا أو نهارا عمدا استأنف. فمن لم يستطع صيام شهرين متتابعين فعليه أن يطعم ستين مسكينا، لكل مسكين نصف صاع من بر أو تمر أو أرز أو نحوها. ويجوز أن يطعمهم حتى يشبعوا مرّة واحدة، أو يدفع إليهم ما يشبعهم وقد حكمنا بذلك لتصدّقوا أن الله أمر به وشرعه، وتقِفوا عند حدود الشرع، ولا تتعدّوها، ولا تعودوا إلى الظهار الذي هو منكر من القول وزور وتلك الأحكام المذكورة حدود الله فلا تجاوزوا حدوده التي حدّها لكم، فإنه قد بيَّن لكم أن الظهار معصية، وأن كفارته المذكورة توجب العفو والمغفرة وللكافرين الذين لا يقفون عند حدود الله عذاب جهنم. ٥- المحادّة: المشاقة والمعاداة والخالفة ﴿كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ أي أذِلّوا وأخزوا. والمردود بالذلّ يقال له مكبوت. وذلك مثل ما وقع للمشركين يوم بدر، فإن الله كبتهم بالقتل والأسر والقهر وقد أنزلنا آيات بينات فيمن حاد الله ورسوله من الأمم المتقدمة، وقيل هي المعجزات والمهين: الذي يهين صاحبه ويذله ويذهب بعزه. ٦- أي مجتمعين في حالة واحدة، لا يبقى منهم أحد لم يبعث =

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ
مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ
وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم
بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ
نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ
وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ
بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ
جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا
تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟
بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ
مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا
إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ
ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾

= فينبئهم بما عملوا في الدنيا من الأعمال القبيحة، ينبئهم بذلك على كثرته واختلاف أنواعه، لتكميل الحجة عليهم أحصاه الله جميعا ولم يفته منه شيء ونسوه هم ولم يحفظوه، بل وجدوه حاضرا مكتوبا في صحائفهم والله على كل شيء مطلع وناظر.

٧- أي: أن علمه محيط بما فيهما، بحيث لا يخفى عليه شيء مما فيهما ما يوجد من تناجي رجال ثلاثة إلا هو رابعهم يشاركهم في الاطلاع على تلك النجوى ولا خمسة إلا هو سادسهم لأنه سبحانه مع كل عدد قلّ أو كثر، يعلم السر والجهر لا تخفى عليه خافية ولا أقل من العدد المذكور: كالواحد، والاثنين، ولا أكثر منه: كالستة والسبعة إلا هو معهم يعلم ما يتناجون به لا يخفى عليه منه شيء أينما كانوا في أي مكان من الأمكنة ثم يخبرهم بما عملوا يوم القيامة توبيخا لهم وتبكيتا وإلزاما للحجة. ٨- كان اليهود إذا مرّ بهم الرجل من المؤمنين تناجوا بينهم حتى يظنّ المؤمن شرّا، فنهاهم الله، فلم ينتهوا، فنزلت ويتناجون بغيبة المؤمنين وأذاهم ونحو ذلك، كالكذب والظلم والعدوان ما فيه عدوان على المؤمنين ومخالفة الرسول ﷺ وكان اليهود يأتون النبي ﷺ فيقولون: السام عليك، يريدون بذلك السلام ظاهرا وهم يعنون الموت باطنا، فيقول النبي ﷺ عليكم ويقولون فيما بينهم لو كان محمد نبيا لعذبنا الله بما يتضمنه قولنا من الاستخفاف به، وقيل المعنى: لو كان نبيا لاستجيب له فينا حيث يقول: عليكم، ولوقع علينا الموت عند ذلك حسبهم جهنم عذابا، عن الموت الحاضر يدخلونها المرجع، وهو جهنم. ٩- أي كما يفعله اليهود والمنافقون وتناجوا بالطاعة وترك المعصية واتقوا الله الذي إليه تحشرون فيجزيكم بأعمالكم. ١٠- إنما النجوى بالإثم والعدوان ومعصية الرسول في تزيين وتسويل الشيطان لا من غيره لأجل أن يوقع أهل الإيمان الحزن بما يحصل لهم من التوهم أنها في مكيدة يكادون بها وليس الشيطان، أو التناجي الذي يزينه الشيطان، بضارّ المؤمنين شيئا من الضرر بمشيئته سبحانه وعلى الله يكلون أمرهم إليه، ويفوّضونه في جميع شؤونهم، ويستعيذون بالله من الشيطان ولا يبالون بما يزينه من النجوى. ١١- أمرهم الله سبحانه بحسن الأدب بعضهم مع بعض بالتوسعة في المجلس وعدم التضايق فيه. قال قتادة ومجاهد: كانوا يتنافسون في مجلس النبي ﷺ فأمروا أن يفسح بعضهم لبعض فوسعوا يوسع الله لكم في الجنة، وهي عامة في كل مجلس اجتمع فيه المسلمون للخير والأجر، سواء كان مجلس حرب، أو ذكر، أو يوم الجمعة، وكل واحد أحقّ بمكانه الذي يسبق إليه، ولكن يوسع لأخيه، عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يقم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه، ولكن تفسحوا وتوسعوا» وإذا طُلب من بعض الجالسين في المجلس أن ينهضوا من أماكنهم ليجلس فيها أهل الفضل في الدين وأهل العلم بالله فليقوموا يرفع الله الذين آمنوا منكم في الدنيا والآخرة بتوفي نصيبهم فيها ويرفع الذين أوتوا العلم منكم =

الحزب ٥٥

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ
صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ
(١٢) ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ
وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ (١٣) ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا
غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ
وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ (١٤) أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ
يَعۡمَلُونَ (١٥) ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ
عَذَابٞ مُّهِينٞ (١٦) لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ
شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ (١٧) يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ
ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍۚ أَلَآ
إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ (١٨) ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ
ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ
(١٩) إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ (٢٠)
كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ (٢١)

= درجات علية في الكرامة في الدنيا والثواب في الآخرة، فمن جمع الإيمان والعلم رفعه بعلمه درجات، ومن جملة ذلك رفعه في المجالس. ١٢- المعنى إذا أردتم مساررة الرسول في أمر من أموركم فقدموا قبل مساررتكم له صدقة، تصدقوا بها. أنزل الله هذه الآية فانتهى أهل الباطل عن النجوى لأنهم لم يقدموا بين يدي نجواهم صدقة، وشق ذلك على أهل الإيمان وامتنعوا عن النجوى لضعف كثير منهم عن الصدقة، ثم خفف الله عنهم بالآية التي بعد هذه وأعلمهم أن تقديم الصدقة بين يدي النجوى خير لكم وأطهر لما فيه من طاعة الله ومن كان منهم لا يجد تلك الصدقة فلا حرج عليه في النجوى بدون صدقة. ١٣- أي أخفتم الفقر والعيلة لأن تقدموا ذلك، قال مقاتل: إنما كان ذلك عشر ليال ثم نسخ فإذ لم تفعلوا ما أمرتم به من الصدقة بين يدي النجوى لثقلها عليكم وتاب الله عليكم بأن رخص لكم في الترك وإذا وقع منكم التثاقل عن تقديم الصدقة بين يدي النجوى فاثبتوا على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله والله خبير بما تعملون فهو مجازيكم. ١٤- ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا﴾ أي والَوْهم وهم المنافقون تولوا اليهود والمغضوب عليهم هم اليهود، ما هم منكم ولا منهم كما قال الله فيهم ﴿مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يحلفون أنهم مسلمون، أو يحلفون أنهم ما نقلوا الأخبار إلى اليهود يعلمون بطلان ما حلفوا عليه، وأنه كذب لا حقيقة له. ١٥- أي بسبب هذا التولي والحلف على الباطل وأعمالهم القبيحة. ١٦- وهي ما كانوا يحلفون عليه من الكذب بأنهم من المسلمين، توقّيًا من القتل بالكفر، فجعلوا هذه الأيمان وقاية وسترة دون دمائهم، فآمنت ألسنتهم من خوف القتل، ولم تؤمن قلوبهم ومنعوا الناس عن الإسلام بسبب ما يصدر عنهم من التشبيط، وتهوين أمر المسلمين، وتضعيف شوكتهم لهم عذاب يهينهم ويخزيهم. ١٧- أي لن تغني عنهم من عذابه شيئا من الإغناء والموصوفون بما ذكر أصحاب النار لا يفارقونا ولا يخرجون منها ولا يموتون فيها. ١٨- أي يحلفون لله يوم القيامة على الكذب، كما يحلفون لكم في الدنيا، فيقولون: والله ربنا ما فعلنا ذلك. وهذا من شدة شقاوتهم، فإن الحقائق يوم القيامة قد انكشفت، وصارت الأمور معلومة بضرورة المشاهدة ويحسبون في الآخرة أنهم بتلك الأيمان الكاذبة على شيء مما يجلب نفعا، أو يدفع ضررا، كما كانوا يحسبون ذلك في الدنيا ألا إنهم هم الكاذبون البالغون فيه إلى حدّ لم يبلغ غيرهم إليه. ١٩- أي غلب عليهم واستعلى واستولى وأحاط بهم فتركوا أوامر الله والعمل بطاعاته وحزب الشيطان جنوده وأتباعه ورهطهوحزب الشيطان هم الخاسرون لأنهم باعوا الجنة بالنار، والهدى بالضلالة، وكذبوا على الله وعلى نبيه، وحلفوا الأيمان الفاجرة، فسوف يخسرون في الدنيا والآخرة. ٢٠- تقدم معنى المحادّة لله ولرسوله في أوّل هذه السورة أولئك جملة من أذله الله من الأمم السابقة واللاحقة، بالذل في الدنيا والخزي في الآخرة. ٢١- أي قضي في سابق علمه: لأغلبنّ أنا ورسلي =

لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ
حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ
أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ
ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى
مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟
عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

سُورَةُ الحَشْرِ

ترتيبها ٥٩ — آياتها ٢٤

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ
﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ
لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ
حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ
فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ
فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ
ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾

= بالحجة والسيف إن الله قويّ على نصر أوليائه، غالب لأعدائه، لا يغلبه أحد.

٢٢- يوادُّون أي يحبون ويوالون من عادى الله ورسوله وشاقهما ولو كان المحادّون لله ورسوله آباء الموادّين إلخ، فإن الإيمان يزجر عن ذلك ويمنع منه، ورعايته أقوى من رعاية الأبوة والبنوة والأخوة والعشيرة والذين لا يوادّون من حادّ الله ورسوله ﴿كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ﴾ أثبته، وقيل جعله، وقيل جمعه وقواهم بنصر منه على عدوّهم في الدنيا. وسمى نصره لهم روحا لأن به يحيا أمرهم ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها على الأبد وقبل أعمالهم وأفاض عليهم آثار رحمته العاجلة والآجلة وفرحوا بما أعطاهم عاجلا وآجلا أولئك جند الله الذين يمتثلون أوامره، ويقاتلون أعداءه، وينصرون أولياءه ألا إن حزب الله هم الفائزون بسعادة الدنيا والآخرة.

سُورَةُ الحَشْرِ

هي مدنيه في قول الجميع.

٢- هم بنو النضير، وهم رهط من اليهود من ذرية هارون، نزلوا المدينة في فتن بني إسرائيل، فغدروا بالنبيّ ﷺ بعد أن عاهدوه، وصاروا عليه مع المشركين، فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى رضوا بالجلاء. وما ظنتم أيها المسلمون أن بني النضير يخرجون من ديارهم، لغزتهم ومنعتهم، وكانوا أهل حصون مانعة، وعقار ونخيل واسعة، وأهل عدد وعدة وظنّ بنو النضير أن حصونهم تمنعهم من بأس الله فأتاهم أمر الله من جهة لم يخطر ببالهم أنه يأتيهم أمره منها، وهو أنه سبحانه أمر نبيه ﷺ بقتالهم وإجلائهم، وكانوا لا يظنون أن الأمر يصل إلى ذلك والرعب الخوف الذي يرعب الصدر: أي يملؤه. قال ﷺ «**نصرت بالرعب مسيرة شهر**» يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين وذلك أنهم لما أيقنوا بالجلاء حسدوا المسلمين أن يسكنوا منازلهم، فجعلوا يخربونها من داخل، والمسلمون من خارج. ٣- أي لولا أن كتب الله عليهم الخروج من أوطانهم على ذلك الوجه، وقضى به عليهم، لعذبهم بالقتل والسبي في الدنيا كما فعل ببني قريظة. ٤- أي بعدم الطاعة والميل مع الكفار ونقض العهد. ٥- أخذ بعض المسلمين في معركة النضير يقطع نخيل الكفار لإغاظتهم، فقال بنو النضير وهم أهل كتاب: يا محمد ألست تزعم أنك نبي تريد الصلاح؟ أفمن الصلاح قطع النخل وحرق الشجر؟ وهل وجدت فيما أنزل عليك إباحة الفساد في الأرض؟ فشق ذلك على رسول الله ﷺ ووجد المسلمون في أنفسهم، فنزلت الآية، وليذلّ الخارجين عن الطاعة، وهم اليهود، ويغيظهم في قطعها وتركها، فإنهم إذا رأوا المؤمنين يتحكمون في أموالهم كيف شاءوا من القطع والترك ازدادوا غيظا. ٦- أي ما ردّه عليه من أموال الكفار والإيجاف إسراع الراكب فرسه، والمعنى: أن ما رد على رسوله من أموال بني النضير لم تركبوا لتحصيله خيلا ولا إبلا، ولا تجشمتم لها شقة، ولا لقيتم بها حربا ولا مشقة، وإنما كانت من المدينة على ميلين، فجعل الله سبحانه أموالها، ولم يقسمها بين الغانمين ولكن الله يسلط =

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ
ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً
عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ
عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ
وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ
دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا
نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾
لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ
يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ
يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً
مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ
وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾

= رسله على من يشاء من أعدائه.

٧- هذا بيان لمصارف الفيء بعد بيان أنه لرسول الله ﷺ خاصة، وهو حكم على كل قرية يفتحها رسول الله ﷺ والمسلمون بعده إلى يوم القيامة بغير قتال، بل صلحا، ولم يوجف عليها المسلمون بخيل ولا ركاب فلله يحكم فيه بما يشاء وللرسول يكون ملكا له، ثم في مصالح المسلمين ولذي القربى وهم بنو هاشم وبنو المطلب لأنهم قد مُنِعوا من الصدقة، فجعل لهم حقا في الفيء واليتامى وهم الصغار الذين مات آباؤهم قبل أن يدخلوا مرحلة البلوغ ﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ الفقراء والغريب الذي نفدت نفقته.

﴿كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾ فيغلب الأغنياء الفقراء، فيقسمونه بينهم وما أعطاكم من مال الفيء فخذوه، وما نهاكم عن أخذه فانتهوا عنه ولا تأخذوه. وقيل معنى الآية: ما آتاكم من طاعتي فافعلوا، وما نهاكم عنه من معصيتي فاجتنبوه.

٨- أي من مكة اضطروهم إلى الخروج منها، فخرجوا يبتغون فضلا من الله ورضوانا بالرزق في الدنيا، وبالرضوان في الآخرة وينصرون الله ورسوله بالجهاد للكفار أولئك هم الكاملون في الصدق الراسخون فيه.

٩- هم الأنصار سكنوا المدينة قبل المهاجرين، وآمنوا بالله ورسوله ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ أحسنوا إلى المهاجرين وأشركوهم في أموالهم ومساكنهم ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾ حسدا أو غيظا أو حزازة ﴿مِّمَّآ أُوتُوا۟﴾ أي: مما أوتي المهاجرون دونهم من الفيء، بل طابت أنفسهم بذلك. وكان المهاجرون في دور الأنصار، فلما غنم النبي ﷺ بني النضير دعا الأنصار، وشكرهم فيما صنعوا مع المهاجرين من إنزالهم إياهم في منازلهم، وإشراكهم في أموالهم، ثم قال: «**إن أحببتم قسمت ما أفاء الله عليّ من بني النضير بينكم وبين المهاجرين، وكان المهاجرون على ماهم عليه من السكنى في مساكنكم والمشاركة لكم في أموالكم، وإن أحببتم أعطيتهم ذلك وخرجوا من دياركم**» فرضوا بقسمة ذلك في المهاجرين وطابت أنفسهم يقدّمون المهاجرين على أنفسهم في حظوظ الدنيا ولو كان بهم حاجة وفقر ومن كفاه الله حرص نفسه وبخلها فأدّى ما أوجبه الشرع عليه في مال من زكاة أو حق فقد فاز ونجح، ولم يفز من بخل بذلك وشحت به نفسه.

نصف الحزب ٥٥

وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا
وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا
غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى
الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ
أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ
﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ
وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١٢﴾
لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى
مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ
جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾
كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ
قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾

١٠- وهم التابعون لهم بإحسان إلى يوم القيامة أمرهم الله أن يستغفروا لأنفسهم ولمن تقدمهم من المهاجرين والأنصار ولا تجعل في قلوبنا غشا وبغضا وحسدا لأهل الإيمان فيدخل في ذلك الصحابة دخولا أوّليا لكونهم أشرف المؤمنين، ولكون السياق فيهم، فمن وَجَدَ في قلبه لهم غلاً فقد أصابه نزغ من الشيطان، وحل به نصيب وافر من عصيان الله بعداوة أوليائه وخير أمة نبيه ﷺ وليس له في الفيء حق. وكذلك من سبَّهم أو آذاهم أو انتقص من قدرهم. ١١- هم عبد الله بن أبي وأصحابه، بعثوا إلى بني النضير: أن اثبتوا وتمنعوا فإننا لا نسلمكم، وإن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن أخرجتم خرجنا معكم، فتربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فسألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم ويكف عن دمائهم ففعل، فكان الرجل منهم يهدم بيته فيضعه على ظهر بعير فينطلق به، فخرجوا إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب والله لئن أخرجتم من دياركم لنخرجن من ديارنا في صحبتكم ولا نطيع في شأنكم، ومن أجلكم أحدا ممن يريد أن يمنعنا من الخروج معكم أبدا وإن طال الزمان وإن قوتلتم لننصرنكم على عدوكم. ثم كذبهم سبحانه، فقال والله يشهد إنهم لكاذبون فيما وعدوهم به من الخروج معهم والنصرة لهم. ١٢- وقد كان الأمر كذلك، فإن المنافقين لم يخرجوا مع من أخرج من اليهود، وهم بنو النضير ومن معهم، ولم ينصروا من قوتل من اليهود، وهم بنو قريظة وأهل خيبر ولئن نصروهم ليولن الأدبار منهزمين ثم لا يصير المنافقون منصورين بعد ذلك، بل يذلهم الله ولا ينفعهم نفاقهم. ١٣- أي: لأنتم يا معاشر المسلمين أشد خوفا وخشية في صدور المنافقين، أو صدور اليهود، من رهبة الله ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾﴾ ولو كان لهم فقه لعلموا أن الله سبحانه هو الذي سلطكم عليهم، فهو أحق بالرهبة منه دونكم. ١٤- لا يقاتلونكم مجتمعين لقتالكم إلا في الدروب والدور أو من خلف الحيطان التي يستترون بها لجبنهم ورهبتهم بعضهم بعضهم غليظ فظ على بعض، وقلوبهم مختلفة، ونياتهم متباينة وإن اجتماعهم إنما هو في الظاهر، مع تخالف قلوبهم في الباطن، مختلفة، ونياتهم متباينة وإن اجتماعهم إنما هو في الظاهر، مع تخالف قلوبهم في الباطن، مختلفة آراؤهم، مختلفة شهاداتهم، مختلفة أهواؤهم ذلك بأنهم قوم لا يعقلون ولو عقلوا لعرفوا الحق واتبعوه فتوحدوا ولم يختلفوا.

١٥- كمثل الذين من قبلهم من كفار المشركين في زمان قريب ﴿ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ أي: سوء عاقبة كفرهم في الدنيا بقتلهم يوم بدر، وكان ذلك قبل غزوة بني النضير بستة أشهر ولهم عذاب أليم في الآخرة.

١٦- أي: مَثَلُهم في تخاذلهم وعدم تناصرهم، كمثل الشيطان للإنسان، أغراه بالكفر، وزينه له، وحمله عليه فلما كفر الإنسان=

فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ
ٱلظَّٰلِمِينَ ١٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ
نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ
١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ
ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا
ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ
ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ
٢١ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ
هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ
ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ
٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ
يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤

ترتيبها ٦٠ — سُورَةُ المُمۡتَحَنَةِ — آياتها ١٣

=مطاوعة للشيطان، وقبولاً لتزيينه، قال الشيطان: إني بريء منك، وهذا يكون منه يوم القيامة إني أخاف الله رب العالمين على وجه التبري من الإنسان.

١٧- فكان عاقبة الشيطان وذلك الإنسان الذي كفر أنهما صائران إلى النار محكوم عليهما بالخلود فيها.

١٨- أي: اتقوا عقابه بفعل ما أمركم به وترك ما نهاكم عنه ولتنظر أيُّ شيء قدمت من الأعمال ليوم القيامة واتقوا الله للتأكيد إن الله خبير بما تعملون لا تخفى عليه من ذلك خافية، فهو مجازيكم بأعمالكم.

١٩- ولا تكونوا كالذين تركوا أمر الله أو لم يخافوه فجعلهم الله ناسين لها بسبب نسيانهم له، فلم يشتغلوا بالأعمال التي تنجيهم من العذاب، وقيل: نسوا الله في الرخاء فأنساهم أنفسهم في الشدائد أولئك هم الكاملون في الخروج عن طاعة الله.

٢٠- أي: في الفضل والرتبة أصحاب الجنة هم الظافرون بكل مطلوب، الناجون من كل مكروه.

٢١- أي: بلغ من شأنه وعظمته وبلاغته واشتماله على المواعظ التي تلين لها القلوب، أنه لو أنزل على جبل من الجبال لرأيته، مع كونه في غاية القسوة وشدة الصلابة وضخامة الجرم، متشققًا من خشية الله، حذرًا من عقابه وخوفًا من أن لا يؤدي ما يجب عليه من تعظيم كلام الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون فيما يجب عليهم التفكر فيه ليتعظوا بالمواعظ، وينزجروا بالزواجر.

٢٢- أي: عالم ما غاب عن الإحساس وما حضر.

٢٣- كرره للتأكيد والتقرير الطاهر من كل عيب المنزه عن كل نقص الذي سلم من كل نقص وعيب، وقيل: الذي سلم الخلق من ظلمه والذي وهب لعباده الأمن من الظلم وقيل: المصدق لرسله بإظهار المعجزات، وللمؤمنين بما وعدهم به من الثواب والشهيد على عباده بأعمالهم الرقيب عليهم القاهر الغالب غير المغلوب ﴿ٱلۡجَبَّارُ﴾ جبروت الله: عظمته، وقيل: الجبار الذي لا تطاق سطوته، والذي تكبر عن كل نقص، وتعظم عما لا يليق به. والكبر في صفات الله مدح، وفي صفات المخلوقين ذم، سبحان الله تنزيهًا له عن إشراكهم به.

٢٤- أي: المقدر للأشياء على مقتضى إرادته ومشيئته المنشئ المخترع للأشياء الموجد لها، الموجد للصور المركب لها على هيئات مختلفة ﴿لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ قد تقدم بيانها في سورة الأعراف [الآية: ١٨٠] ينطق بتنزيهه بلسان الحال أو المقال كل ما في السماوات والأرض وهو العزيز الذي لا يغالبه مغالب الحكيم في كل الأمور التي يقضي بها.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ
إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ
وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى
وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ
وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن
يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم
بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ
كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ
إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا
قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ
رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا
فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾

سورة الممتحنة

هي مدنية في قول الجميع.

١- نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حين كتب إلى مشركي قريش يخبرهم بمسير النبي ﷺ إليهم، وذلك في غزوة فتح مكة سنة ثمان من الهجرة. والآية تدل على النهي عن موالاة الكفار بوجه من الوجوه، ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ أي: توصلون إليهم أخبار النبي بسبب المودة التي بينكم وبينهم وقد كفروا بالله والرسول وما جاءكم به من القرآن والهداية الإلهية فقد: أخرجوه وإياكم من مكة، لكفرهم بما جاءكم من الحق، فكيف توادونهم؟ يخرجونكم لأجل إيمانكم، أو كراهة أن تؤمنوا إن كنتم خرجتم جهادًا في سبيلي وابتغاء مرضاتي فلا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تسرون إليهم الأخبار بسبب المودة، وأنا أعلم من كل أحد بما تخفون وما تعلنون ومن يفعله منكم فقد أخطأ طريق الحق والصواب، وضل عن قصد السبيل. ٢- أي: إن يلقوكم ويصادفوكم يظهروا لكم ما في قلوبهم من العداوة ويمدوا إليكم أيديهم بالضرب ونحوه، وألسنتهم بالشتم ونحوه وتمنوا ارتدادهم وودوا رجوعهم إلى الكفر. ٣- أي: إن أولادكم وأقاربكم لن ينفعوكم يوم القيامة حتى توالوا الكفار لأجلهم، كما وقع في قصة حاطب بن أبي بلتعة، بل الذي ينفعكم هو ما أمركم الله به من معاداة الكفار وترك موالاتهم يوم القيامة يفرق بينكم، فيدخل أهل طاعته الجنة، وأهل معصيته النار والله بما تعملون بصير فهو مجازيكم على ذلك. ٤- أي: قد كانت لكم خصلة حميدة تقتدون بها في إبراهيم والذين معه يقول: أفلا تأسيت يا حاطب بإبراهيم: فتتبرأ من أهلك كما تبرأ إبراهيم من أبيه وقومه إذ قالوا لقومهم إنا بريئون منكم: لسنا منكم ولستم منا، لكفركم بالله ومما تعبدون من الأصنام وغيرها كفرنا بما آمنتم به من الأوثان، أو بدينكم، أو بأفعالكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ما دمتم على كفركم حتى تؤمنوا بالله وحده وتتركوا ما أنتم عليه من الشرك، فإذا فعلتم ذلك صارت تلك العداوة موالاة، والبغضاء محبة وقد كانت لكم أسوة حسنة في كل مقالات إبراهيم إلا قوله لأبيه ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ فلا تأسوا به فتستغفروا للمشركين، فإنه كان عن موعدة وعدها إياه ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ وما أدفع عنك من عذاب الله شيئًا ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ هذا من دعاء إبراهيم وأصحابه، ومما فيه أسوة حسنة يقتدى به فيها. ٥- قال مجاهد: لا تعذبنا بأيديهم، ولا بعذاب من عندك فيقولوا: لو كان هؤلاء على حق ما أصابهم هذا واغفر لنا ربنا إنك أنت الغالب الذي لا يغالب ذو الحكمة البالغة.

ثلاثة أرباع الحزب ٥٥

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ ۚ
وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿٧﴾ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم
مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ
﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم
مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ
مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ
فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم
مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ
وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ
ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ
شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ
أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

٥٥٠

٦- أي: لقد كان لكم في إبراهيم والذين معه قدوة حسنة وهذه الأسوة إنما تكون لمن يطمع في الخير من الله في الدنيا وفي الآخرة ومن يعرض عن ذلك فإن الله هو الغني عن خلقه الحميد إلى أوليائه. ٧- وذلك بأن يسلموا فيصيروا من أهل دينكم. وقد أسلم قوم منهم بعد فتح مكة، وحسن إسلامهم، ووقعت بينهم وبين من تقدمهم في الإسلام مودة، وجاهدوا وفعلوا الأفعال المقربة إلى الله. وتزوج النبي ﷺ بأم حبيبة بنت أبي سفيان، ولكنها لم تحصل المودة إلا بإسلامه يوم الفتح وما بعده. وترك أبو سفيان بعد ذلك ما كان عليه من العداوة لرسول الله ﷺ. والله بليغ القدرة قادرٌ على أن يقبل بقلوب المعاندين ليدخلهم في مغفرته ورحمته. ٨- أي لا ينهاكم الله عن هؤلاء أن تفعلوا معهم ما هو من البر، كصلة الرحم، ونفع الجار، والضيافة وتعدلوا فيما بينكم وبينهم بأداء ما لهم من الحق، كالوفاء لهم بالوعد، وإيتاء الأمانة، وأداء أثمان ما تشترونه منهم كاملة غير منقوصة. إن الله يحب العادلين، ومعنى الآية: أن الله سبحانه لا ينهى عن بر أهل العهد من الكفار الذين عاهدوا المؤمنين على ترك القتال، وعلى أن لا يظاهروا الكفار عليهم، ولا يظاهروا الكفار عليهم، ولا ينهى عن معاملتهم بالعدل. ٩- وهم صناديد الكفر من قريش وأشباههم ممن هم حرب على المسلمين وعاونوا الذين قاتلوكم وأخرجوكم على ذلك، وهم سائر أهل مكة ومن دخل معهم في عهدهم أن تتخذوهم أولياء وتناصروهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون لأنهم تولوا من يستحق العدواة، لكونه عدوًا لله ولرسوله ولكتابه. ١٠- يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات من بين الكفار، وذلك أن النبي ﷺ لما صالح قريشًا يوم الحديبية على أن يرد عليهم من جاءهم من المسلمين، فلما هاجر إليه النساء أبى الله أن يرددن إلى المشركين، وأمر بامتحانهنّ فاختبروهنّ، لتعلموا مدى رغبتهن في الإسلام. وحقيقة حالهن لا يعلمها إلا الله سبحانه، ولم يتعبدكم بامتحانهن حتى يظهر لكم ما يدل على صدق دعواهن في الرغبة في الإسلام فإن علمتموهن مؤمنات بحسب الظاهر بعد الامتحان الذي أمرتم به فلا ترجعوهن إلى أزواجهن الكافرين فالمؤمنة لا تحل لكافر، وإسلام المرأة يوجب فرقتها من زوجها، لا مجرد هجرتها، وأعطوا أزواج هؤلاء اللاتي هاجرن وأسلمن مثل ما أنفقوا عليهن من المهور، قال الشافعي: وإذا طلبها غير الزوج من قراباتها منع منها، بلا عوض ولا جناح عليكم أن تنكحوهن لأنهن قد صرن من أهل دينكم إذا آتيتموهن مهورهن، وذلك بعد انقضاء عدتهن وأن من كانت له امرأة كافرة فليست له بامرأة لانقطاع عصمتها باختلاف الدين. وكان الكفار يزوجون المسلمين، والمسلمون يتزوجون المشركات، ثم نسخ ذلك بهذه الآية. وهذا خاص بالكوافر المشركات دون الكوافر من أهل الكتاب واطلبوا مهور نسائكم إذا ارتددن قال المفسرون: كان من ذهب من المسلمات مرتدة إلى الكفار من أهل العهد، يقال للكفار: هاتوا مهرها، ويقال للمسلمين إذا جاءت امرأة من الكفار إلى المسلمين وأسلمت: ردوا مهرها على زوجها الكافر ذلكم المذكور من الجهتين حكم الله أي: مع =

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ
بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأۡتِينَ
بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ وَلَا يَعۡصِينَكَ
فِي مَعۡرُوفٖ فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ
١٢ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ
قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ ١٣

سُورَةُ الصَّفِّ

ترتيبها ٦١ — آياتها ١٤

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ
١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٢
كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٣ إِنَّ
ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم
بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ٤ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ لِمَ
تُؤۡذُونَنِي وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡۖ فَلَمَّا
زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٥

= المشركين بعد صلح الحديبية بخلاف المشركين الذين لا عهد لهم. قيل: وقد نُسِخَ هذا، يحكم بينكم والله بليغ العلم لا تخفى عليه خافية، بليغ الحكمة في أقواله وأفعاله. قال القرطبي: وكان هذا مخصوصًا بذلك الزمان في تلك النازلة خاصة. ١١- وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار بأن ارتدت المسلمة فرجعت إلى دار الكفر ولو أهل كتاب وكانت الغنيمة لكم حتى غنمتم فأمروا أن يعطوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا من الفيء والغنيمة إذا لم يرد عليه المشركون مهرها واحذروا أن تتعرضوا لشيء مما يوجب العقوبة عليكم. ١٢- يا أيها النبي إذا جاءكم المؤمنات قاصدات لمبايعتك على الإسلام على أن لا يشركن بالله شيئًا كائنًا ما كان. وهذا كان يوم فتح مكة، فإن نساء أهل مكة أتين رسول الله ﷺ يبايعنه، فأمره الله أن يأخذ عليهن أن لا يشركن ولا يقتلن أولادهن وهو ما كانت تفعله الجاهلية من وأد البنات ولا يلحقن بأزواجهنّ أولادًا ليسوا منهم. قال الفراء: كانت المرأة تلتقط المولود، فتقول لزوجها: هذا ولدي منك. ولا يعصينك في كل أمر هو طاعة لله، كالنهي عن النوح، وتمزيق الثياب، وجز الشعر، وشق الجيب، وخمش الوجوه، والدعاء بالويل فاطلب من الله المغفرة لهنّ بعد هذه المبايعة لهنّ منك. ١٣- هم جميع طوائف الكفر، وقيل اليهود خاصة فإنهم لا يوقنون بالآخرة ألبتة بسبب كفرهم كيأسهم من بعث موتاهم لاعتقادهم عدم البعث.

سُورَةُ الصَّفِّ

هي مدنية في قول الجميع. ١- فيه الإرشاد إلى مشروعية التسبيح في كل الأوقات، ماضيها ومستقبلها وحالها وهو العزيز الذي لا يغالب الحكيم في أفعاله وأقواله. ٢-عن ابن عباس قال: كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون: وددنا لو أن الله أخبرنا بأحب الأعمال فنعمل به، فأخبر الله نبيه ﷺ أن أحب الأعمال إليه إيمان بالله لا شك فيه، وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان ولم يقروا به، فلما أخبرهم أن أحب الأعمال إليه الجهاد كره ذلك أناس من المؤمنين وشق عليهم أمره، فقال الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٢﴾ ثم ذمهم سبحانه على ذلك فقال: ٣- أي: إن الله تعالى يمقت ذلك مقتًا عظيمًا، وقيل: هي في قوم كانوا يأتون إلى النبي ﷺ فيقول أحدهم: قاتلت بسيفي، وضربت كذا وكذا، وهم لم يفعلوا ذلك. ٤- ثم سأل المؤمنون عن أحب الأعمال، فأعلمهم الله تعالى أن أحب الأعمال إليه هو الجهاد في سبيل الله والثبات في القتال كالبنيان الملتزق بعضه ببعض حتى يصير كقطعة واحدة، وقد ابتلى الله تعالى المؤمنين بذلك في غزوة أحد فلم يثبتوا. ٥- ولما ذكر سبحانه أنه يحب المقاتلين في سبيله بيَّن أن موسى وعيسى أمرا بالتوحيد وجاهدا في سبيل الله وحل العقاب بمن خالفهما، لتحذر أمة محمد ﷺ أن يفعلوا مع نبيهم ما فعله قوم =

وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا
لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا
جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٦ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ
عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُوَ يُدۡعَىٰٓ إِلَى ٱلۡإِسۡلَٰمِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ
٧ يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ
ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ
عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٩ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ
عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ
فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١
يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ
طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ
مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ
أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ
قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ
وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ١٤

= موسى وعيسى معهما ثم قال: يا قوم لم تؤذونني بمخالفة ما آمركم به من الشرائع التي افترضها الله عليكم، أو تؤذونني بالشتم والانتقاص، وقد تقدم بيان هذا في سورة الأحزاب [الآية: ٦٩] وكيف تؤذونني مع علمكم بأني رسول الله، والرسول يحترم ويعظم، ولم يبق معكم شك في الرسالة لما قد شاهدتم من المعجزات التي توجب عليكم الاعتراف برسالتي، وتفيدكم العلم بها علمًا يقينيًا فلما تركوا الحق، بإيذاء نبيهم، أمال الله قلوبهم عن الحق جزاء بما ارتكبوا والله لا يهدي القوم الفاسقين وهؤلاء من جملتهم. ٦- وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم بالإنجيل، لم آتكم بشيء يخالف التوراة، بل هي مشتملة على التبشير بي، فكيف تنفرون عني وتخالفونني ومبشرًا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد وإذا كنت كذلك فلا مقتضي لتكذيبي. وأحمد اسم نبينا ﷺ وتفسيره في الأصل: الذي يحمد بما فيه من خصال الخير أكثر مما يحمد غيره فلما جاءهم عيسى بالمعجزات قالوا هذا جاءنا به سحر واضح ظاهر، وقيل: المراد محمد ﷺ أي: لما جاءهم بذلك قالوا: ساحر. ٧- ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام، الذي هو خير الأديان وأشرفها، لأن من كان كذلك فحقه ألا يفترى على غيره الكذب، فكيف يفتريه على ربه والله لا يهدي القوم الظالمين والمذكورون من جملتهم. ٨- أي: إن حالهم في محاولتهم كبت الإسلام ومنع هدايته بأقوالهم الكاذبة كحال من يريد أن يطفئ النور العظيم بنفخ من فمه والله متم نوره بإظهار دين الإسلام في الآفاق، وإعلائه على غيره. ٩- هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليجعله ظاهرًا منتصرًا على جميع الأديان عاليًا عليها غالبًا لها ولو كره المشركون ذلك فإنه كائن لا محالة. ١٠- جعل العمل المذكور بمنزلة التجارة، لأنهم يربحون فيه كما يربحون فيها، وذلك بدخولهم الجنة ونجاتهم من النار، وهذه التجارة هي التي بينها بالآيتين التاليتين. ١١- أي: ما كان من الإيمان والجهاد خير لكم من أموالكم وأنفسكم إن كنتم تعلمون لا إذا كنتم من أهل الجهل، فإنكم حينئذ لا تعلمون ذلك. ١٢- أي: إن تؤمنوا يغفر لكم ذنوبكم ومساكن طيبة في جنات إقامة دائمة وذلك المذكور من المغفرة وإدخال الجنات هو الفوز الذي لا فوز بعده، والظفر الذي لا ظفر يماثله. ١٣- أي: ولكم خصلة أخرى تعجبكم هي نصر من الله لكم وفتح قريب يفتحه عليكم، يعني: النصر على قريش وفتح مكة. وقال عطاء: يريد فتح فارس والروم، وبشر يا محمد المؤمنين بالنصر والفتح في الدنيا، وبالجنة في الآخرة. ١٤- أي: دوموا على ما أنتم عليه من نصرة الدين مثل نصرة الحواريين لما قال لهم عيسى: ﴿مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ فقالوا: ﴿نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ﴾ والمعنى: من منكم يتولى نصري وإعانتي فيما يقرب إلى الله. وقيل: التقدير: من أنصاري متوجهًا إلى نصرة الله. والحواريون هم أنصار المسيح وخلص أصحابه، وأول من آمن به وكانوا اثنى عشر رجلاً فآمنت طائفة من بني إسرائيل بعيسى وكفرت به طائفة فقوينا المحقين منهم على المبطلين فأصبحوا عالين غالبين.

الحزب ٥٦

سورة الجمعة

سورة الجمعة — ترتيبها ٦٢ — آياتها ١١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ
ٱلْحَكِيمِ ١ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟
عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟
مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ٢ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ
وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٣ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ
ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ٤ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ
يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ
ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥
قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن
دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ٦ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ
أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٧ قُلْ إِنَّ
ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ
إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ٨

٥٥٣

سورة الجمعة

هي مدنية في قول الجميع.

١- قد تقدم تفسير هذا في أول سورة الحديد، الملك القدوس المنزه عن كل نقص ذو الحكمة البالغة. ٢- المراد بالأميين: العرب، من كان يحسن الكتابة منهم ومن لا يحسنها، لأنهم لم يكونوا أهل كتاب، والأمي في الأصل الذي لا يكتب ولا يقرأ المكتوب، وكان غالب العرب كذلك، ومعنى منهم: من أنفسهم ومن جنسهم، وذلك أقرب إلى الموافق، لأن الجنس أميل إلى جنسه وأقرب إليه يتلوا عليهم القرآن، مع كونه أميًا لا يقرأ ولا يكتب، ولا تعلم ذلك من أحد ويطهرهم من دنس الكفر والذنوب وسيء الأخلاق، وقيل يجعلهم أزكياء القلوب بالإيمان ويعلمهم الكتاب القرآن، والحكمة الفقه في الدين، كذا قال مالك بن أنس، وإن كانوا من قبل لفي شرك وذهاب عن الحق. ٣- وآخرين منهم لم يلحقوا بهم في ذلك الوقت، وسيلحقون بهم من بعد، أي: يزكيهم ويزكي آخرين منهم، وهم من جاء من بعد الصحابة من مسلمي العرب خاصة إلى يوم القيامة. وقيل: المراد بهم: من أسلم من غير العرب، لأنهم وإن لم يكونوا من العرب، فقد صاروا بالإسلام منهم، والمسلمون كلهم أمة واحدة وإن اختلفت أجناسهم. أخرج البخاري وغيره عن أبي هريرة قال: كنا جلوسًا عند النبي ﷺ حين نزلت سورة الجمعة، فتلاها، فلما بلغ ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ قال له رجل: يا رسول الله من هؤلاء الذين لم يحلقوا بنا؟ فوضع يده على سلمان الفارسي، وقال: «والذي نفسي بيده لو كان الإيمان بالثريا لناله رجال من هؤلاء» وهو بليغ العزة والحكمة. ٤- ذلك الإسلام والوحي والنبوة فضل الله يعطيه من يشاء من عباده والله ذو الفضل الذي لا يساويه فضل، ولا يدانيه. ٥- هذا المثل ضربه سبحانه لليهود الذين تركوا العمل بالتوراة، أي: كلفوا القيام بها والعمل بما فيها ثم لم يعملوا بموجبها، ولا أطاعوا ما أمروا به فيها كمثل الحمار يحمل الأسفار جمع سفر، وهو الكتاب الكبير، فالحمار لا يدري أسفر على ظهره أم زبل بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝﴾ يعني: على العموم، فيدخل فيهم اليهود دخولاً أوليًّا. ٦- المراد: بالذين هادوا الذين تهودوا، وذلك أن اليهود ادعوا الفضيلة على الناس، وأنهم أولياء الله من دون الناس، وأنهم أبناء الله وأحباؤه، فأمر الله سبحانه رسوله أن يقول لهم لما ادعوا هذه الدعوى الباطلة فتمنوا الموت لتصيروا إلى الكرامة في زعمكم إن كنتم صادقين في هذا الزعم، فإن من علم أنه من أهل الجنة أحب الخلوص من هذه الدار.

٧- ولا يتمنونه أبدًا بسبب ما عملوا من الكفر والمعاصي والتحريف والتبديل والله عليم بالظالمين.

٨- أي: قل لهم إن الموت الذي تهربون منه فإنه آت إليكم لا محالة، ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة وذلك يوم القيامة فينبئكم بما كنتم تعملون من الأعمال القبيحة، ويجازيكم عليها.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ
فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ
وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ
﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ
مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾

سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ

ترتيبها ٦٣ — آياتها ١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾
اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ
فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ
وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ
صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾

ربع الحزب ٥٦

٩- المراد به: الأذان إذا جلس الإمام على المنبر يوم الجمعة، لأنه لم يكن على عهده رسول الله ﷺ نداء سواه فاعملوا على المضي إلى ذكر الله واشتغلوا بأسبابه من الغسل والوضوء والتوجه إليه واتركوا المعاملة به، ويلحق به سائر المعاملات. فإذا أذن المؤذن يوم الجمعة لم يحل الشراء والبيع ذلكم السعي إلى ذكر الله وترك البيع خير لكم من فعل البيع، وترك السعي، لما في الامتثال من الأجر والجزاء. إن كنتم من أهل العلم، فإنه لا يخفى عليكم أن ذلكم خير لكم. ١٠- أي: إذا فعلتم الصلاة وأديتموها وفرغتم منها فانتشروا في الأرض للتجارة والتصرف فيما تحتاجون إليه من أمر معاشكم وابتغوا من رزقه الذي يتفضل به على عباده، من الأرباح في المعاملات والمكاسب واذكروا الله ذكرًا كثيرًا بالشكر له على ما هداكم إليه من الخير الأخروي والدنيوي، وكذا اذكروه بما يقربكم إليه من الأذكار: كالحمد والتسبيح والتكبير والاستغفار ونحو ذلك كي تفوزوا بخير الدارين وتظفروا به. ١١- سبب نزول هذه الآية أنه كان بأهل المدينة فاقة وحاجة، فأقبلت عير من الشام والنبي ﷺ يخطب يوم الجمعة، فانفتل الناس إليها حتى لم يبق إلا اثنا عشر رجلاً في المسجد، وفي رواية: وسبع نسوة. ومعنى انفضوا إليها تفرقوا خارجين إليها وتركوك قائمًا على المنبر قل ما عند الله من الجزاء العظيم وهو الجنة خير من اللهو ومن التجارة اللذين ذهبتم إليها وتركتم البقاء في المسجد وسماع خطبة النبي ﷺ لأجلها والله خير الرازقين فمنه اطلبوا الرزق، وإليه توسلوا بعمل الطاعة، فإن ذلك من أسباب تحصيل الرزق وأعظم ما يجلبه.

سُورَةُ المُنَافِقُونَ

هي مدنية في قول الجميع. ١- أي: إذا وصلوا إليك وحضروا مجلسك أكدوا شهادتهم، للإشعار بأنها صادرة من صميم قلوبهم مع خلوص اعتقادهم. ومعنى نشهد نعلم ونحلف والله يعلم إنك لرسوله تصديق من الله عز وجل لما تضمنه كلامهم من الشهادة لمحمد ﷺ والله يشهد إن المنافقين لكاذبون في دعواهم أن شهادتهم للنبي ﷺ بالرسالة هي من صميم القلب وخلوص الاعتقاد، لا إلى منطوق كلامهم، وهو الشهادة بالرسالة، فإنه حق. ٢- أي: جعلوا الذي حلفوا لكم به وقاية تقيهم منكم، وسترة يستترون بها من القتل والأسر ومنعوا الناس عن الإيمان والجهاد وأعمال الطاعة بسبب ما يصدر منهم من التشكيك والقدح في النبوة إنهم ساء ما كانوا يعملون من النفاق والصد. ٣- ذلك الكذب والصد وقبح الأعمال بأنهم آمنوا نفاقًا ثم كفروا في الباطن، وقيل: نزلت الآية في قوم آمنوا ثم ارتدوا فختم على قلوبهم بسبب كفرهم فهم لا يفقهون ما فيه صلاحهم ورشادهم. ٤- وإذا رأيتهم تعجبك هيئاتهم ومناظرهم، تعجب من يراها لما فيها من النضارة والرونق وإن يقولوا تسمع لقولهم فتحسب أن قولهم =

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ
وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ٥ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ
أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ
ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ٦ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ
لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ وَلِلَّهِ
خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ
٧ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ
مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ
ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ
أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ
ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ٩ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم
مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ
إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠ وَلَن
يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ١١

ترتيبها ٦٤ — سُورَةُ التَّغَابُن — آياتها ١٨

= حق وصدق لفصاحتهم وذلاقة ألسنتهم، وقد كان عبد الله بن أبي رأس المنافقين فصيحًا جسيمًا جميلاً وشبهوا في جلوسهم في مجالس رسول الله ﷺ مستندين بها بالخشب المنصوبة إلى الحائط، التي لا تفهم ولا تعلم، لخلوهم عن الفهم النافع والعلم الذي ينتفع به صاحبه يظنون كل صيحة يسمعونها واقعة عليهم نازلة بهم لفرط جبنهم ورعب قلوبهم. هم العدو فاحذرهم أن يتمكنوا من فرصة منك، أو يطلعوا على شيء من أسرارك، لأنهم عيون لأعدائك من الكفار لَعَنَهم اللهُ أو هو تعليم للمؤمنين أن يقولوا قاتلهم الله كيف يصرفون عن الحق ويميلون عنه إلى الكفر.

٥- أي: وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله حركوا رءوسهم استهزاء بذلك ورغبة عن الاستغفار ورأيتهم يعرضون عن رسول الله ﷺ وهم مستكبرون عن الإيمان.

٦- أي: لا ينفعهم ذلك لإصرارهم على النفاق واستمرارهم على الكفر ولن يغفر الله لهم ما داموا على النفاق والله لا يهدي الكاملين في الخروج عن الطاعة، والانهاك في معاصي الله، ويدخل فيهم المنافقون دخولاً أوليًا. ٧- أي: حتى يتفرقوا عنه، يعنون بذلك فقراء المهاجرين وإنه هو الرزاق لهؤلاء المهاجرين ولكن المنافقين لا يفقهون أن خزائن الأرزاق بيد الله فظنوا أن الله لا يوسع على المؤمنين.

٨- القائل: هو عبد الله بن أبي رأس المنافقين، وعنى بالأعز نفسه ومن معه، وبالأذل رسول الله ﷺ ومن معه، ومراده بالرجوع رجوعهم من تلك الغزوة. والقوة والغلبة لله وحده ولمن أفاضها عليه من رسله وصالحي عباده لا لغيرهم ولكن المنافقين لا يعلمون لفرط جهلهم ومزيد حيرتهم والطبع على قلوبهم.

٩- يحذر الله المؤمنين عن أخلاق المنافقين الذين ألهتهم أموالهم وأولادهم عن ذكر الله، وهو فرائض الإسلام، وقيل: قراءة القرآن ومن يلتهي بالدنيا عن الدين فأولئك هم الكاملون في الخسران.

١٠- أي: أنفقوا بعض ما رزقناكم في سبيل الخير، وقيل: المراد الزكاة المفروضة من قبل أن يأتي أحدكم الموت بأن تنزل به أسبابه، يشاهد حضور علاماته فيقول رب هلا أمهلتني وأخرت موتي إلى مدة أخرى قصيرة فأتصدق بمالي وأكن لك من المطيعين.

١١- أي: إذا حضر أجلها وانقضى عمرها والله خبير بما تعملون لا يخفى عليه شيء منه، فهو مجازيكم بأعمالكم.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ
وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ
وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٢ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣
يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ وَٱللَّهُ
عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٤ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ
فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ
رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۚ وَّٱسۡتَغۡنَى
ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ٦ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي
لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ
وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٨ يَوۡمَ
يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ
صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا
ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٩

سُورَةُ التَّغَابُنِ

هي مدنية في قول الأكثر. ١- أي: ينزهه سبحانه جميع مخلوقاته التي في سماواته وأرضه عن كل نقص وعيب. وقد تقدمت الإشارة إلى أن هذا التسبيح هو بنطق لا نفقهه كما دل عليه قوله تعالى في سورة الإسراء ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ﴾ له الملك وله الحمد يختصان به، ليس لغيره منهما شيء وما كان لعباده منهما فهو من فيضه وراجع إليه وهو على كل شيء قدير لا يعجزه شيء. ٢- أي: خلق الكافر، وكفره فعل له وكسب. وخلق المؤمن، وإيمانه فعل له وكسب، والكافر يكفر ويختار الكفر والله بما تعملون بصير لا تخفى عليه من ذلك خافية، فهو مجازيكم بأعمالكم. ٣- خلق السماوات والأرض بالحكمة البالغة. وقيل: المعنى: خلق ذلك لإظهار الحق، وهو أن يجزي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته وإنه سبحانه خلقهم في أكمل صورة وأحسن تقويم وأجمل شكل. والتصوير: التخطيط والتشكيل وإليه المصير في الدار الآخرة. ٤- أي: لا تخفى عليه من ذلك خافية ويعلم ما تخفونه وما تظهرونه والله عليم بما يضمره كل إنسان في نفسه. ٥- وهم كفار الأمم الماضية، كقوم نوح وعاد وثمود فذاقوا وبال كفرهم بالعقوبة الشديدة في الدنيا ولهم يوم القيامة عذاب أليم وهو عذاب النار. ٦- ذلك العذاب في الدارين بسبب أنها كانت تأتيهم الرسل المرسلة إليهم بالمعجزات الظاهرة فقال كل قوم منهم لرسولهم منكرين أن يكون الرسول من جنس البشر، متعجبين من ذلك فكفروا بالرسل وبما جاءوا به، واستغنى الله عن إيمانهم وعبادتهم والله غني غير محتاج إلى العالم ولا إلى عبادتهم له، محمود من كل مخلوقاته بلسان المقال والحال. ٧- أي: أمر الله تعالى نبيه أن يخبرهم بأن الله سيحييهم بعد الموت، وأن يحلف لهم على ذلك. أي: والله لتخرجن من قبوركم ثم لتُخبَرُنّ بما عملتُم، إقامة للحجة عليكم، ثم تجزون به وذلك البعث والجزاء على الله يسير. ٨- أي: إذا كان الأمر هكذا فصدقوا بالله ورسوله محمد ﷺ والقرآن، لأنه نور يهتدى به من ظلمة الضلال والله بما تعملون خبير لا يخفى عليه شيء من أقوالكم وأفعالكم، فهو مجازيكم على ذلك. ٩- أي: يوم يجمعكم ليوم القيامة، فإنه يجمع فيه أهل المحشر للجزاء، ويجمع فيه بين كل عامل وعمله، وبين كل نبي وأمته، وبين كل مظلوم وظالمه، وبين الأولين والآخرين ذلك يوم يغبن فيه بعض أهل المحشر بعضًا، فيغبن فيه أهل الحق أهل الباطل، ولا غبن أعظم من غبن أهل الجنة أهل النار، فكأن أهل النار استبدلوا الخير بالشر، والجيد بالرديء، والنعيم بالعذاب، وأهل الجنة على العكس من ذلك، يقال: غبنتُ فلانًا إذا بايعته أو شاريتَهُ فكان النقص عليه، فالمغبون من غبن أهله ومنازله في الجنة ومن وقع منه التصديق مع العمل الصالح استحق تكفير سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين =

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ
ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٠ مَآ أَصَابَ مِن
مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ
شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١١ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن
تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٢ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٣ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا
لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ
فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ
فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٥ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ
وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن
يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٦ إِن تُقۡرِضُواْ
ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ
حَلِيمٌ ١٧ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨

سُورَةُ الطَّلَاق

ترتيبها ٦٥ — آياتها ١٢

= فيها أبدا ذلك التكفير والإدخال الظفر الذي لا يساويه ظفر.

١٠- ثم ذكر سبحانه حال السعداء وحال الأشقياء هاهنا لبيان ما تقدم من التغابن.

١١- أي: ما أصاب من مصيبة إلا بقضائه وقدره. قيل: وسبب نزولها أن الكفار قالوا: لو كان ما عليه المسلمون حقًا لصانهم الله عن المصائب في الدنيا ومن يصدق ويعلم أنه لا يصيبه إلا ما قدره الله عليه، يهد قلبه عند المصيبة، فيعلم أنها من الله، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، فيسلم لقضائه، ويسترجع. وإذا ابتلي صبر، وإذا أنعم عليه شكر والله بكل شيء بليغ العلم لا تخفى عليه من ذلك خافية.

١٢- أي: اشتغلوا بطاعة الله وطاعة رسوله فإن أعرضتم عن الطاعة فإثمكم على أنفسكم، وليس على الرسول من بأس فإنما على رسولنا البلاغ المبين ليس عليه غير ذلك وقد فعل. ١٣- أي: هو المستحق للعبودية دون غيره، فوحّدوه ولا تشركوا به وعلى الله يفوض المؤمنون أمورهم ويعتمدوا عليه، لا على غيره. ١٤- يعني: أنهم يشغلونكم عن الخير. سبب النزول أن رجالاً من مكة أسلموا وأرادوا أن يهاجروا، فلم يدعهم أزواجهم ولا أولادهم، فأمر الله سبحانه بأن يحذروهم فلا يطيعوهم. واحذروا الأزواج والأولاد أن تؤثروا حبكم لهم وشفقتكم عليهم على طاعة الله، ولا يحملكم ما ترغبونه لهم من الخير على أن تكسبوا لهم شيئًا بمعصية الله وإن تعفوا عن ذنوبهم التي ارتكبوها، وتتركوا التثريب عليهم، وتستروها فإن الله غفور رحيم لكم ولهم. قيل: كان الرجل الذي ثبطه أزواجه وأولاده عن الهجرة إذا رأى الناس قد سبقوه إليها وفقهوا في الدين همّ أن يعاقب أزواجه وأولاده.

١٥- أي: بلاء واختبار ومحنة، يحملونكم على كسب الحرام، ومنع حق الله والله عنده أجر عظيم لمن آثر طاعة الله وترك معصيته في محبة ماله وولده. ١٦- فاتقوا الله ما أطقتم وبلغ إليه جهدكم واسمعوا ما تؤمرون به وأطيعوا الأوامر وأنفقوا من أموالكم التي رزقكم الله إياها في وجوه الخير، ولا تبخلوا بها، وقدموا خيرًا لأنفسكم، أي: ومن وقاه الله من داء البخل فأنفق في سبيل الله وأبواب الخير فأولئك هم الظافرون بكل خير الفائزون بكل مطلب. ١٧- أي: فتصرفون أموالكم في وجوه الخير بإخلاص نية وطيب نفس فيجعل الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ويضم لكم إلى تلك المضاعفة غفران ذنوبكم والله يثيب من أطاعه بأضعاف مضاعفة، ولا يعاجل من عصاه بالعقوبة. ١٨- يعلم سبحانه ما غاب وما حضر الغالب القاهر ذو الحكمة الباهرة.

نصف الحزب ٥٦

سُورَةُ الطَّلَاقِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ
ٱلۡعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ
وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ
ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ
ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ
بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ
وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ
بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾ وَيَرۡزُقۡهُ
مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ
بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴿٣﴾ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ
مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ
وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ
وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ
إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ﴿٥﴾

هي مدنية في قول الجميع. ١- نادى النبي ﷺ أولاً تشريفًا له، ثم خاطبه مع أمته، والمعنى: إذا أردتم تطليقهن وعزمتم عليه فطلقوهن مستقبلات لعدتهن، أو في قبل عدتهن، والمراد: أن يطلقوهن في طهر لم يقع فيه جماع، ثم يتركن حتى تنقضي عدتهن، فإذا طلقوهن هكذا فقد طلقوهن لعدتهن. واحفظوا العدة والوقت الذي وقع فيها الطلاق حتى تتم العدة، وهي ثلاثة قروء. والخطاب للأزواج واتقوا الله ربكم فلا تعصوه فيما أمركم، ولا تضاروهن، لا تخرجوهن من بيوتهن التي كن فيها عند الطلاق ما دمن في العدة. ونهى الزوجات عن الخروج أيضًا فقال ولا يخرجن من تلك البيوت ما دمن في العدة، أي: إلا لأمر ضروري ولا تخرجوهن من بيوتهن إلا إذا فعلن فاحشة الزنى، وقيل: هي البذاء في اللسان، والاستطالة بها على من هو ساكن معها في ذلك البيت، وأن هذه الأحكام التي بينها لعباده هي حدوده التي حدها لهم، لا يحل لهم أن يتجاوزوها إلى غيرها ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه بإيرادها مورد الهلاك لا تدري لعلها إذا بقت في بيتها أن يؤلف الله بين قلوبهما فيتراجعا وقيل: المعنى: التحريض على طلاق الواحدة والنهي عن الثلاث، فإنه إذا طلق ثلاثًا أضر بنفسه عند الندم على الفراق، والرغبة في الارتجاع فلا يجد إلى المراجعة سبيلاً. ٢- أي: قاربن انقضاء أجل العدة وشارفن آخرها فراجعوهن بحسن معاشرة ورغبة فيهن من غير قصد إلى مضارة لهن أو اتركوهن حتى تنقضي عدتهن، فيملكن نفوسهن، مع إيفائهن ما هو لهن عليكم من الحقوق، وترك المضارة لهن، وأشهدوا ذوي عدل منكم على الرجعة إن راجعتم، أو المفارقة إن فارقتم، قطعًا للتنازع، وحسمًا لمادة الخصومة ثم أمر الله تعالى بأن يأتوا بما شهدوا به تقربًا إلى الله على الوجه الحق وخص المؤمن لأنه المنتفع بذلك دون غيره، ومن يتق الله بالوقوف عند حدوده التي حدها لعباده ﴿يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾﴾ مما وقع فيه. ٣- ويرزقه من وجه لا يخطر بباله، ولا يكون في حسابه. فمن طلق ثم أشهد عند المفارقة على انقضاء العدة، أو عند المراجعة، يجعل الله له مخرجًا ومخلصًا ومن وثق بالله فيما نابه كفاه ما أهمه إن الله لا يفوته شيء ولا يعجزه مطلوب قد جعل سبحانه للشدة أجلاً تنتهي إليه، وللرخاء أجلاً ينتهي إليه. وقال السدي: هو قدر الحيض والعدة. ٤- وهن الكبار اللاتي قد انقطع حيضهن وأيسن منه إن شككتم وجهلتم كيف عدتهن فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن لصغرهن وعدم بلوغهن سن المحيض، أي: فعدتهن ثلاثة أشهر ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ﴾ أي: إن انتهاء عدتهن يتم بوضع الحمل ومن يتق الله يسهل عليه أمره في الدنيا والآخرة. ٥- أي: يعطه من الأجر في الآخرة أجرًا عظيمًا وهو الجنة. ٦- هذا بيان ما يجب للمطلقات من السكنى، أي: بعض مكان سكناكم من سعتكم =

أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟
عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ
فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن
تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ
وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا
إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ
عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا
عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾
أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ
قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ
لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ
وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ
سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ
ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾

= وطاقتكم، وهذا في المطلقة الرجعية، أما التي طُلقت الثالثة فإنها لا نفقة لها ولا سكنى ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن في المسكن أو النفقة ولا خلاف بين العلماء في وجوب النفقة والسكنى للحامل المطلقة فإن أرضعن أولادكم بعد ذلك فآتوهن أجور إرضاعهن ﴿وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾ هو خطاب للأزواج والزوجات الذين وقع بينهم الفراق بالطلاق، أي: تشاوروا بينكم بما هو معروف غير منكر، وليقبل بعضكم من بعض المعروف والجميل في شأن الولد. ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ وإن تعاسرتم في أجر الرضاع فأبى الزوج أن يعطي الأم الأجر الذي تريد، وأبت الأم أن ترضعه إلا بما تريد من الأجر فيستأجر مرضعة أخرى ترضع ولده.

٧- فيه الأمر لأهل السعة بأن يوسعوا على المرضعاتُ من نسائهم على قدر سعتهم ومن كان مضيقًا عليه في الرزق فقيرًا فلينفق مما أعطاه الله من الرزق، ليس عليه غير ذلك، لا يكلف الله نفسًا إلا ما أعطاها من الرزق، فلا يكلف الفقير بأن ينفق ما ليس في وسعه كنفقة الغني سيجعل الله بعد ضيق وشدة سعة وغنى.

٨- أي: وكثير من أهل القرى عصوا أمر الله ورسله وأعرضوا فحاسبها الله بأعمالها التي عملتها في الدنيا وعذبنا أهلها عذابًا عظيمًا منكرًا في الآخرة، وفي الدنيا بالجوع والقحط والسيف والخسف والمسخ.

٩- أي: عاقبة ثقل العذاب الذي هو جزاء كفرها وكان عاقبة أمرها هلاكًا في الدنيا وعذابًا في الآخرة.

١٠، ١١- أي: وهو عذاب النار فاتقوا الله يا أولي العقول الراجحة الذين أسلموا لله واتبعوا محمدًا ﷺ، فكونوا صادقين في أيمانكم، ولا تكونوا مثل من عتا من الأمم قبلكم، فتحاسبوا أشد الحساب، وتعذبوا من جنس ذلك العذاب، قد أنزل الله إليكم الذكر وهو القرآن العظيم وأرسل إليكم رسولاً بهذا القرآن يتلوا عليكم آيات الله مبينات تبين للناس ما يحتاجون إليه من الأحكام ليخرج الله بالآيات الذين آمنوا وعملوا الصالحات من ظلمات الضلالة إلى نور الهداية، ومن ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ومن يجمع بين التصديق والعمل بما فرضه الله عليه يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا قد وسع الله له رزقه في الجنة.

١٢- أي: وخلق من الأرض مثلهن، يعني: سبعًا من الأرضين. ويتنزل الأمر من السماوات السبع إلى الأرضين السبع. لتعلموا كمال قدرته سبحانه وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا فلا يخرج عن علمه شيء منها كائنًا ما كان.

ترتيبها ٦٦ — سُورَةُ التَّحْرِيمِ — آياتها ١٢

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ
غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْۖ
وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ٢ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا
فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٖۖ
فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ
٣ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ
فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ٤ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا
خَيْرٗا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٖ مُّؤْمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ
ثَيِّبَٰتٖ وَأَبْكَارٗا ٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ
نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ
لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ٦ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعْتَذِرُواْ ٱلْيَوْمَۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ٧

سُورَةُ التَّحْرِيمِ

هي مدنية في قول الجميع. ١- قيل: كان ﷺ يشرب عسلاً عند زينب بنت جحش، فتواطأت عائشة وحفصة أن تقولا له إذا دخل عليهما: إنا نجد منك ريحًا، فحرم العسل على نفسه. وقيل: إنه أتى جاريته في بيت حفصة، وفي رواية أن الجارية هي جاريته مارية أم ولده إبراهيم، فغضبت حفصة، فحرم الجارية على نفسه، أي: بقوله: هي علي حرام. فقالت حفصة: يا رسول الله كيف يحرم عليك الحلال؟ فحلف لها بالله لا يصيبها. وقال لحفصة: لا تخبري أحدًا. فأخبرت عائشة تبتغي مرضاة أزواجك بأن حرمت على نفسك ما أحله الله لك والله غفور رحيم لما فرط منك من تحريم ما أحل الله لك، قيل: وكان ذلك ذنبًا من الصغائر، فلذا عاتبه الله عليه. ٢- أي: شرع لكم تحليل أيمانكم بأداء الكفارة وبين لكم ذلك. وليس لأحد أن يحرم ما أحل الله، فإن فعل لا ينعقد ولا يلزم صاحبه، فالتحليل والتحريم هو إلى الله سبحانه والله وليكم وناصركم وهو العليم بما فيه صلاحكم وفلاحكم الحكيم في أفعاله وأقواله. ٣- وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثًا هي حفصة كما سبق، والحديث هو تحريم مارية، أو العسل. وقال الكلبي: أسر إليها أن أباك وأبا عائشة يكونان خليفتي على أمتي من بعدي فلما أخبرت به غيرها وأطلع الله نبيه على ذلك الواقع منها من الإخبار لغيرها عرَّف حفصة بعض ما أخبرت به وأعرض عن تعريف بعض ذلك فلما أخبرها بما أفشت من الحديث قالت من أخبرك به قال أخبرني به الله الذي لا تخفى عليه خافية. ٤- الخطاب لعائشة وحفصة أي: إن تتوبا إلى الله فقد مالت قلوبكما إلى التوبة من التظاهر على النبي ﷺ وإن تتعاضدا وتتعاونا في الغيرة عليه منكما وإفشاء سره فإن الله يتولى نصره، وكذلك جبريل ومن صلح من عباده المؤمنين، كأبي بكر وعمر، فلن يعدم ناصرًا ينصره والملائكة بعد نصر الله له ونصر جبريل وصالح المؤمنين أعوان يظاهرونه. وقيل: كان التظاهر بين عائشة وحفصة في التحكم على النبي ﷺ في النفقة. ٥- أي: أخبر الله تعالى نساء نبيه ﷺ عن قدرته على أنه إن وقع منه الطلاق لهن أبدله خيرًا منهن، تخويفًا لهن، مسلمات قائمات بفرائض الإسلام مصدقات بالله وملائكته وكتبه ورسله مطيعات لله ورسوله تائبات من الذنوب متذللات لله صائمات ، والثيب هي: المرأة التي قد تزوجت ثم طلقها زوجها أو مات عنها، والبكر هي: العذراء. ٦- أي: حافظوا عليها بفعل ما أمركم وترك ما نهاكم عنه فإن هناك نارًا عظيمة تتوقد بالناس والحجارة كما يتوقد غيرها بالحطب. قال ابن جرير: فعلينا أن نعلم أولادنا الدين والخير وما لا يستغنى عنه من الأدب وعلى النار خزنة من الملائكة يلون أمرها وتعذيب أهلها، غلاظ على أهل النار شداد عليهم، لا يرحمونهم إذا استرحموهم، إنما خلقوا للعذاب ولا يخالفون الله في أمره ويفعلون ما يؤمرون في وقته من غير تراخ، فلا يؤخرونه عنه ولا يقدمونه. ٧- أي: يقال لهم هذا القول عند إدخالهم النار، تأييسًا لهم وقطعًا لأطماعهم إنما تجزون ما كنتم تعملون من الأعمال في الدنيا.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ
أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي
مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ
أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٨
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ
وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٩ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا
لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ
عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا
مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ١٠
وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ
قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ
وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١١ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ
عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا
وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ١٢

٨- التوبة النصوح الصادقة، وقيل: الخالصة، وهي الندم بالقلب على ما مضى من الذنب، والاستغفار باللسان، والإقلاع بالبدن، والعزم على ألا يعود.

وقد تقدم في سورة الحديد أن النور يكون معهم حال مشيهم على الصراط ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٨﴾ وهذا دعاء المؤمنين.

٩- أي: بالسيف والحجة وشدد عليهم في الدعوة، واستعمل الخشونة في أمرهم بالشرائع، وجاهد الكفار بالحرب، والمنافقين بإقامة الحدود عليهم، فإنهم كانوا يرتكبون موجبات الحدود.

١٠- أي: جعل الله مثلا لحال هؤلاء الكفرة، وأنه لا يغني أحد عن أحد ﴿ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ﴾ وهما نوح ولوط، أي: كانتا في عصمة نكاحهما فوقعت منها الخيانة لهما. قيل كانت امرأة نوح تقول للناس إنه مجنون، وكانت امرأة لوط تخبر قومه بأضيافه فلم ينفعهما نوح ولوط بسبب كونهما زوجتين لهما شيئا من النفع، ولا دفعا عنهما من عذاب الله، مع كرامتهما على الله، شيئا من الدفع وقيل لهما في الآخرة، أو عند موتهما: ادخلا النار مع الداخلين لها من أهل الكفر والمعاصي.

١١- أي إن صولة الكفر لا تضرهم كما لم تضر امرأة فرعون، وقد كانت تحت أكفر الكافرين، وصارت بأيمانها بالله في جنات النعيم ابن لي بيتا قريبا من رحمتك في أعلى درجات المقربين منك ﴿وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ﴾ أي: من ذاته ومما يصدر عنه من أعمال الشر ونجني من القوم الكافرين هم من القبط.

١٢- أي: وضرب الله مثلا للذين آمنوا مريم ابنة عمران، جمع لها بين كرامة الدنيا والآخرة، واصطفاها على نساء العالمين، مع كونها بين قوم عصاة ﴿ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا﴾ عن الفواحش وجاء جبريل فنفخ في جيب درعها، فحبلت بعيسى وصدقت شرائع ربها التي شرعها لعباده، وما خاطبها به الملك، وهو قول جبريل لها: إنما أنا رسول ربك، وما أخبرها به من البشارة بعيسى وكونه رسولا من المقربين.

﴿وَكُتُبِهِۦ﴾ الكتب المنزلة على الأنبياء وكانت من القوم المطيعين لربهم، كان أهلها أهل بيت صلاح وطاعة.

سُورَةُ المُلْك

ترتيبها ٦٧ — آياتها ٣٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ
ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾
ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن
تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ
يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ
ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ
ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ
﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ
مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾
قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ
إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ
ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾

٥٦٢

سُورَةُ المُلْك

هي مكية في قول الجميع. ١- تبارك أي: كثر خير الله وعظم، والملك هو ملك السماوات والأرض في الدنيا والآخرة وهو بليغ القدرة لا يعجزه شيء، بل هو يتصرف في ملكه كيف يريد، من إنعام وانتقام، ورفع ووضع وإعطاء ومنع. ٢- أي: الذي خلق الموت، الموت وهو: انقطاع تعلق الروح بالبدن، ومفارقتها له، والحياة وهي: تعلق الروح بالبدن واتصالها به، فالحياة تعني: خلقه إنسانًا، وخلق الروح فيه وجعلكم أناس عقلاء ليكلفكم ثم يختبركم فيجازيكم على ذلك. والمقصد الأصلي من الابتلاء هو ظهور كمال إحسان المحسنين وهو الغالب الذي لا يُغالَب الغفور لمن تاب وأناب. ٣- الذي خلق سبع سماوات بعضها فوق بعض ما ترى في خلق الرحمن من تناقض ولا تبيان، ولا اعوجاج ولا تخالف، بل هي مستوية مستقيمة دالة على خالقها أي: فاردد طرفك في السماء، وتأمل: هل ترى فيها - على عظمتها واتساعها- من تشقق أو تصدع. ٤- أي: مرة بعد مرة وإن كثرت تلك المرات، فيكون ذلك أبلغ في إقامة الحجة، وأقطع للمعذرة ينقلب إليك البصر ذليلًا صاغرًا عن أن يرى شيئًا من العيب وفي خلق السماء وهو كليل منقطع. ٥- ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح فصارت في أحسن خلق، وأكمل صورة، وأبهج شكل، وسميت الكواكب مصابيح لأنها تضيء كإضاءة السراج وجعلنا المصابيح رجومًا يرجم بها الشياطين، وهذه فائدة أخرى غير كونها زينة للسماء الدنيا. قال قتادة: خلق الله النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يهتدى بها في البر والبحر وأعددنا للشياطين في الآخرة، بعد الإحراق في الدنيا بالشهب، عذاب النار. ٦- وللذين كفروا بربهم من كفار بني آدم، أو من كفار الفريقين من بني آدم ومن الجن عذاب جهنم وبئس المصير ما يصيرون إليه، وهو جهنم. ٧- طرحوا فيها كما يطرح الحطب في النار سمعوا لها صوتًا كصوت الحمير عند أول نهيقها وهي تغلي بهم غليان المرجل. ٨- أي: تكاد تتقطع، وينفصل بعضها من بعض، من شدة غضبها على الكفار كلما ألقي فيها فوج، الفوج: الجماعة من الناس، سألهم خزنتها من الملائكة، سؤال توبيخ وتقريع: ألم يأتكم في الدنيا نذير ينذركم هذا اليوم ويحذركم منه؟ ٩- أي: رسول من عند الله ربنا فأنذرنا وخوفنا وأخبرنا بهذا اليوم فكذبنا ذلك النذير وقلنا ما نزل الله من شيء على ألسنتكم وقلنا للرسل: إنكم في ذهاب عن الحق، وبعد عن الصواب. ١٠- أي: وقالوا: لو كنا نسمع سمع من يعي، أو نعقل عقل من يميز وينظر، ما كنا من أهل النار. ١١- وهو الذي استحقوا به عذاب النار، وهو الكفر وتكذيب الأنبياء فبعدًا لهم من الله ومن رحمته. ١٢- أي: يخشون عذابه ولم يروه، فيؤمنون به خوفًا من عذابه لهم مغفرة عظيمة يغفر الله بها ذنوبهم ولهم الجنة.

وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا
يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ
ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ
﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ
تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ
فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ
كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا
يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى
هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ
﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ
وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا
عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ
وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ
فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾

١٣ - المعنى: إن أخفيتم كلامكم أو جهرتم به في أمر رسول الله ﷺ، فكل ذلك يعلمه الله، لا يخفى عليه منه خافية إنه عليم بما في مضمرات القلوب. ١٤ - ألا يعلم السر ومضمرات القلوب من خلق ذلك وأوجده وهو الذي لطف علمه بما في القلوب، الخبير بما تسره وتضمره من الأمور، لا تخفى عليه من ذلك خافية. ١٥ - هو الذي جعل لكم الأرض سهلة لينة تستقرون عليها، ولم يجعلها خشنة بحيث يمتنع عليكم السكون فيها والمشي عليها، فامشوا في طرقها وأطرافها وجوانبها وكلوا مما رزقكم وخلقه لكم في الأرض، وإليه البعث من قبوركم، لا إلى غيره. ١٦ - والله قادر أن يقلع بكم الأرض كما فعل بقارون، بعد ما جعلها لكم ذلولا تمشون في مناكبها. فإذا هي تضطرب وتتحرك على خلاف ما كانت عليه من السكون والتذليل. ١٧ - أي: حجارة من السماء، كما أرسلها على قوم لوط وأصحاب الفيل، وقيل: ريح فيها حجارة فستعلمون إنذاري إذا عاينتم العذاب ولا ينفعكم هذا العلم. ١٨ - أي: فكيف كان إنكاري عليهم بما أصبتهم به من العذاب الفظيع؟

١٩ - ألم يروا الطير صافة لأجنحتها في الهواء وتبسطها عند طيرانها ويضممن أَجْنِحَتَهُنَّ ما يمسكهن في الهواء عند الطيران والقبض والبسط إلا الرحمن القادر على كل شيء إنه بكل شيء بصير لا يخفى عليه شيء. ٢٠ - المعنى: أنه لا جند لكم يمنعكم من عذاب الله، بل من هذا الحقير الذي هو في زعمكم جند لكم يتولى نصركم إن لم ينصركم الله برحمته وعونه إن الكافرون إلا في غرور عظيم من جهة الشيطان، يغرهم به. ٢١ - أي: من الذي يدر عليكم الأرزاق، من المطر وغيره، إن أمسك الله ذلك ومنعه عنكم؟ بل تمادوا في عناد واستكبار عن الحق، ونفور عنه، ولم يعتبروا ولا تفكروا. ٢٢ - وهو الكافر، يكب على معاصي الله في الدنيا، فيحشره الله يوم القيامة على وجهه أمّن يمشي مُعتدِلاً ناظرًا إلى ما بين يديه على طريق مستوٍ لا اعوجاج به ولا انحراف فيه.

٢٣ - ثم أمر سبحانه رسوله ﷺ أن يخبرهم بأن الله هو الذي أنشأهم النشأة الأولى وجعل لهم السمع ليسمعوا به والأبصار ليبصروا بها والقلوب التي يتفكرون بها في مخلوقات الله ولا تشكرون رب هذه النعم بتوحيده إلا شكرًا قليلاً. ٢٤ - أي: خلقهم في الأرض ونشرهم فيها وفرقهم على ظهرها. ٢٥ - أي: الذي تذكرونه لنا من الحشر والقيامة والنار والعذاب إن كنتم صادقين في ذلك فأخبرونا به، أو فبينوه لنا، أو فأتونا به. ٢٦ - قل: إن وقت قيام الساعة علمه عند الله لا يعلمه غيره وإنما أنا نذير مبين أنذركم وأخوفكم عاقبة كفركم، وأبين لكم ما أمرني الله ببيانه، ولم يأمرني أن أخبركم بوقت قيام الساعة.

فَلَمَّا رَأَوۡهُ زُلۡفَةٗ سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِي
كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَهۡلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ
أَوۡ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٢٨﴾ قُلۡ هُوَ
ٱلرَّحۡمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ
﴿٢٩﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۭ ﴿٣٠﴾

سُورَةُ القَلَمِ

ترتيبها ٦٨ — آياتها ٥٢

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ﴿٢﴾
وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴿٤﴾
فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ
ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعۡ كُلَّ
حَلَّافٖ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ
أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٖ وَبَنِينَ
﴿١٤﴾ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾

ربع الحزب ٥٧

٢٧- فلما رأوا العذاب قريبًا اسودت وجوه الذين كفروا وعلتها الكآبة، وغشيتها الذلة وقيل هذا الذي كنتم في الدنيا تطلبونه وتستعجلون به استهزاء.

٢٨- قل أرأيتم إن أهلكني الله بموت أو قتل، ومن معي من المؤمنين أو رحمنا بتأخير ذلك إلى أجل، فلو فُرض أنه وقع بنا ذلك: ﴿فَمَن يُجِيرُ ٱلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ أي: لا ينجيهم من ذلك أحد، سواء أهلك الله رسوله والمؤمنين معه كما كان الكفار يتمنونه، أو أمهلهم. ٢٩- أي: قل هو الرحمن آمنا به وحده، لا نشرك به شيئًا وعليه توكلنا لا على غيره، فستعلمون من هو في ضلال مبين منا ومنكم.

٣٠- أي: قل أخبروني إن صار ماؤكم غائرًا في الأرض، بحيث لا يبقى له وجود فيها أصلاً، أو صار ذاهبًا في الأرض إلى مكان بعيد بحيث لا تناله الدلاء فمن يأتيكم بماء كثير جارٍ لا ينقطع؟

سُورَةُ القَلَمِ

هي مكية من أولها إلى قوله ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ﴾ والباقي مدني.

١- ﴿نٓۚ﴾ حرف من حروف الهجاء، كالفواتح الواقعة في أوائل السور المفتتحة بذلك وأقسم الله بالقلم لما فيه من البيان، وهو واقع على كل قلم يكتب به وما يكتبه الناس بالقلم من العلوم. ٢- أي: إنك يا محمد بنعمة الله التي أنعم بها عليك، وهي النبوة والرياسة العامة، بريء من الجنون. ٣- وإن لك لثوابًا على ما تحملت من أثقال النبوة، وقاسيت من أنواع الشدائد ﴿غَيۡرَ مَمۡنُونٖ﴾: غير مقطوع، أو: لا يمن به عليك من جهة الناس. ٤- المعنى: إنك على الخلق الذي أمرك الله به في القرآن. ثبت في الصحيح عن عائشة أنها سئلت عن خلق النبي ﷺ فقالت: كان خلقه القرآن. ٥- أي: ستبصر يا محمد ويبصر الكفار إذا تبين الحق وانكشف الغطاء، وذلك يوم القيامة. ٦- أي: أيكم المفتون بالجنون، وهذا رد على زعمهم أن محمدًا ﷺ كان مفتونًا ضالاً، ولذا قال: ٧- أي: يعلم من هو في الحقيقة الضال، أنت أم من اتهمك بالضلال. والمعنى: بل هم الضالون، لمخالفتهم لما فيه نفعهم في العاجل والآجل، واختيارهم ما فيه ضرهم فيهما وهو أعلم بالمهتدين إلى سبيله الموصل إلى تلك السعادة الآجلة والعاجلة. ٨- ثم نهاه سبحانه عن ملاينة المشركين، وهم رؤساء كفار مكة، لأنهم كانوا يدعونه إلى دين آبائه، فنهاه الله عن طاعتهم. ٩- المعنى: ودوا لو تلين لهم فيلينون لك. قيل: المعنى: ودوا لو تركن إليهم، وتترك ما أنت عليه من الحق، فهم يدهنون أي: يظهرون لك الملاينة لتميل معهم. ١٠- أي: كثير الحلف بالباطل حقير. ١١- الهماز الذي يذكر الناس بالشر في وجوههم، واللماز الذي يذكرهم في مغيبهم، والمشاء بنميم الذي يمشي بالنميمة بين الناس ليفسد بينهم. ١٣- عتل: وهو الشديد الخلق الفاحش الخلق. وقال الزجاج: هو الغليظ الجافي بعد ذلك زنيم أي: هو بعد ما عُد من معايبه زنيم، والزنيم: الدعي الملصق بالقوم وليس هو منهم. ١٤- والمعنى: لا تطعه لماله وبنيه، وقيل: المراد به التوبيخ والتقريع، حيث جعل مجازاة =

سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ إِذۡ أَقۡسَمُواْ
لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسۡتَثۡنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ مِّن رَّبِّكَ
وَهُمۡ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوۡاْ مُصۡبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ
ٱغۡدُواْ عَلَىٰ حَرۡثِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُواْ وَهُمۡ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾
أَن لَّا يَدۡخُلَنَّهَا ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكُم مِّسۡكِينٞ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوۡاْ عَلَىٰ حَرۡدٖ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا
رَأَوۡهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ أَلَمۡ أَقُل
لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقۡبَلَ
بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ
رَبُّنَآ أَن يُبۡدِلَنَا خَيۡرٗا مِّنۡهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلۡعَذَابُۖ وَلَعَذَابُ
ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ
﴿٣٤﴾ أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمۡ
لَكُمۡ كِتَٰبٞ فِيهِ تَدۡرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمۡ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمۡ لَكُمۡ أَيۡمَٰنٌ
عَلَيۡنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمۡ لَمَا تَحۡكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلۡهُمۡ أَيُّهُم
بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَآءُ فَلۡيَأۡتُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾
يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾

= النعم التي خوله الله من المال والبنين أن كفر به وبرسوله. ١٦- أي: سوف نجعل الوسم بالسواد على أنفه، وذلك أنه يسود وجهه بالنار قبل دخول النار ونلحق به شينًا لا يفارقه يعرف به. ١٧- يعني: كفار مكة، فإن الله ابتلاهم بالجوع والقحط بدعوة رسول الله ﷺ عليهم كما بلونا أصحاب الجنة المعروف خبرهم عند قريش، وذلك أنها كانت بأرض اليمن على فرسخين من صنعاء حديقة لرجل يؤدي حق الله منها، فمات وصارت إلى أولاده، فمنعوا الناس خيرها، ويخلوا بحق الله فيها، وقالوا: المال قليل، والعيال كثير، ولا يسعنا أن نفعل كما كان يفعل أبونا، وعزموا على حرمان المساكين، فصارت عاقبتهم إلى ما قص الله في كتابه إذ حلفوا أنهم سيقطعون ثمرها عند الصباح. ١٨- يعني: ولا يقولون: إن شاء الله، وقيل: المعنى: ولا يستثنون للمساكين من جملة ذلك القدر الذي كان يدفعه أبوهم إليهم. ١٩- أي: طاف على تلك الجنة من جهة الله سبحانه نار أحرقتها حتى صارت سوداء. ٢٠- أي: كالبستان الذي قد صرمت ثماره، أي: قطعت. ٢١- فلما أصبحوا قال بعضهم لبعض: ٢٢- أي: اخرجوا مبكرين في الصباح إلى الثمار والزرع إن كنتم قاصدين للصرم. ٢٤- أي يسر بعضهم إلى بعض هذا القول: وهو قولهم: لا يدخل هذه الجنة اليوم عليكم مسكين، فيطلب منكم أن تعطوه منها ما كان يعطيه أبوكم. ٢٥- أي: انطلقوا منفردين عن قومهم غير مخالطين لهم قادرين على جنتهم عند أنفسهم. ٢٦- أي: قال بعضهم لبعض قد ضللنا طريق جنتنا وليست هذه، ثم لما تأملوا وعلموا أنها جنتهم، وأن الله سبحانه قد عاقبهم بإذهاب ما فيها من الثمر والزرع قالوا ٢٧- أي: حرمنا الله ثمر جنتنا بسبب ما وقع منا من العزم على منع المساكين من خيرها. ٢٨- أي: قال أمثلهم وأعقلهم وخيرهم ألم أقل لكم لولا تسبحون الله وتستغفرونه من فعلكم وتتوبون إليه من هذه النية التي عزمتم عليها. ٢٩- أي: تنزيهًا له عن أن يكون ظالمًا فيما صنع بجنتنا، فإن ذلك بسبب ذنبنا الذي فعلناه في منعنا للمساكين. ٣٢- إنا إلى ربنا طالبون منه الخير راجون لعفوه. ٣٣- أي: مثل ذلك العذاب الذي بلوناهم به نبلوا أهل مكة بعذاب الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأعظم لو كان المشركون يعلمون أنه كذلك، ولكنهم لا يعلمون. ٣٥- أي: فالله حكمٌ عدلٌ. لا يساوي بين المؤمنين والكافرين ولا بين المطيعين والعاصين، فيا عجبًا للمشركين يسوُّون بين المؤمنين والكافرين في كرامة الله تعالى. ٣٦- أي: هذا الحكم الأعوج، كأن أمر الجزاء مفوض إليكم. ٣٧- أي: تقرأون فيه فتجدون المطيع كالعاصي؟ ٣٨- أي: هل في ذلك الكتاب أنَّ لكم في الآخرة ما تختارون وتشتهون؟ ٣٩- المعنى: بل ألكم عهد عند الله حلف لكم عليه أيمانًا استوثقتم بها في أن يدخلكم الجنة، ثابتة لكم إلى يوم القيامة لا يخرج عن عهدتها حتى يجعل لكم حكمكم يومئذ؟ ٤٠- أي: سل يا محمد الكفار موبخًا لهم ومقرعًا: أيهم بذلك كفيل لهم بأن لهم في الآخرة ما للمسلمين فيها؟ ٤١- المعنى: بل ألهم شركاء لله بزعمهم قادرون على أن يجعلوهم مثل المسلمين في الآخرة؟ ٤٢- يكشف الله عز وجل عن =

خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ
﴿٤٣﴾ فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ
لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم
مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصۡبِرۡ
لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴿٤٨﴾ لَّوۡلَآ
أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ﴿٤٩﴾ فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ
فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ
لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾

سُورَةُ الحَاقَّةِ

ترتيبها ٦٩ — آياتها ٥٢

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ
وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا
عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ
سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ
كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ﴿٧﴾ فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ ﴿٨﴾

٥٦٦

نصف الحزب ٥٧

= ساقه، أخرجه البخاري وغيره عن أبي سعيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة، فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقًا واحدًا» ويسجد الخلق كلهم لله سجدة واحدة، ويبقى الكفار والمنافقون يريدون أن يسجدوا فلا يستطيعون، لأن أصلابهم تيبس فلا تلين للسجود لأنهم لم يكونوا آمنوا بالله في الدنيا، ولا سجدوا له. ٤٣ – الخشوع الخضوع والذلة والانكسار تغشاهم ذلة شديدة وحسرة وندامة وقد كانوا يدعون إلى السجود في الدنيا وهم معافون عن العلل، متمكنون من الفعل. قال إبراهيم التيمي: يدعون بالأذان والإقامة فيأبون. ٤٤ – أي: خل بيني وبينه، ووكل أمره إلي، فلا يشتغل به قلبك، فأنا أكفيك أمره. والمراد بهذا الحديث: القرآن، سنأخذهم بالعذاب على غفلة، ونسوقهم إليه درجة درجة، حتى نوقعهم فيه من حيث لا يعلمون أن ذلك استدراج، لأنهم يظنونه إنعامًا، ولا يفكرون في عاقبته، وما سيلقون في نهايته. ٤٥ – أي: وأمهلهم ليزدادوا إثمًا إن كيدي شديد فلا يفوتني شيء.

٤٦ – أي: هل تطلب منهم ثوابًا على ما تدعوهم إليه من الإيمان بالله والمغرم من يحمل غرامة ذلك الأجر، أي: يثقل عليهم حمله لشحهم ببذل المال، فهل طلبت منهم أجرًا فأعرضوا عن إجابتك بهذا السبب؟ ٤٧ – أي: بل أعندهم علم الغيب يكتبون ما يريدون من الحجج التي يزعمون، ويخاصمونك بما يكتبونه من ذلك، ويحكمون لأنفسهم بما يريدون، ويستغنون بذلك عن الإجابة لك والامتثال لما تقوله؟ ٤٨ – وهو يونس عليه السلام، أي: لا تكن مثله في الغضب والضجر إذ نادى وهو مكظوم الله يعزي نبيه ﷺ ويأمره بالصبر، وأن لا يعجل كما عجل صاحب الحوت، وكان النداء منه بقوله: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ولم يصبر على دعوته لقومه. وقوله: ﴿وَهُوَ مَكۡظُومٞ﴾ أي: مغموم مكروب. ٤٩ – وهي: توفيقه للتوبة، فتاب الله عليه لألقي من بطن الحوت على وجه الأرض الخالية من النبات يذم ويلام بالذنب الذي أذنبه ويطرد من الرحمة. ٥٠ – أي: استخلصه واصطفاه واختاره للنبوة فجعله من الصالحين الكاملين في الصلاح. وقيل رد إليه النبوة، وشفعه في نفسه وفي قومه، وأرسله إلى مائة ألف أو يزيدون، فآمنوا جميعًا، كما تقدم.

٥١ – قال ابن قتيبة: ليس يريد الله أنهم يصيبونك بأعينهم كما يصيب العائن بعينه ما يعجبه، وإنما أراد أنهم ينظرون إليك إذا قرأت القرآن نظرًا شديدًا بالعداوة والبغضاء يكاد يسقطك وقت سماعهم للقرآن لكراهتهم لذلك أشد كراهة.

سُورَةُ الحَاقَّةِ

هي مكية في قول الجميع. ١ – هي القيامة، لأن الأمر يحق فيها. والحاقة يوم الحق، لأنها تظهر فيها الحقائق. ٢ – المعنى: أي شيء =

وَجَآءَ فِرۡعَوۡنُ وَمَن قَبۡلَهُۥ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ بِٱلۡخَاطِئَةِ ٩ فَعَصَوۡاْ رَسُولَ
رَبِّهِمۡ فَأَخَذَهُمۡ أَخۡذَةٗ رَّابِيَةً ١٠ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ
١١ لِنَجۡعَلَهَا لَكُمۡ تَذۡكِرَةٗ وَتَعِيَهَآ أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ ١٢ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ
نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ١٣ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ١٤
فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ١٥ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ
١٦ وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ
١٧ يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ١٨ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ
كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ
حِسَابِيَهۡ ٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ٢١ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ٢٢
قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ ٢٣ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ
ٱلۡخَالِيَةِ ٢٤ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ
٢٥ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ٢٦ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ٢٧ مَآ أَغۡنَىٰ
عَنِّي مَالِيَهۡۜ ٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ٢٩ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ٣٠ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ
صَلُّوهُ ٣١ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ٣٢ إِنَّهُۥ
كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ٣٣ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ٣٤

سكتة لطيفة على هاء ماليه

= هي في حالها أو صفاتها؟ ٣- يعني: أي شيء أعلمك ما هي؟ فكأنها خارجة عن دائرة علم المخلوقين. ٤- أي: بالقيامة، وسميت بذلك لأنها تقرع الناس بأهوالها. ٥- وثمود هم قوم صالح، والطاغية الصيحة التي جاوزت الحد. ٦- وعاد هم قوم هود، والريح الصرصر هي الشديدة البرد، والعاتية: القاسية التي جاوزت الحد لشدة هبوبها، وطول زمانها، وشدة بردها. ٧- ثم يبين الله تعالى أنه أرسل الريح على عادٍ أرسلها عليهم لمدة سبع ليالٍ، وثمانية أيام متتابعة لا تنقطع، ولا تقل شدتها حتى قطعتهم وأذهبتهم، ولم يبق منهم أحدًا. ولو رأيتهم - يا محمد - لرأيت القوم في تلك الليالي، وهذه الأيام الثمانية موتى في ديارهم، وطُرقهم، كأنهم أصول نخل بالية، خالية الأجواف. ٨- أي: من فرقة باقية، أو من نفس باقية، أي: فلم يبق منهم أحد. ٩- أي: من الأمم الكافرة والمؤتفكات وهي قرى قوم لوط، والمعنى وجاءت المؤتفكات بالفعلة الخاطئة وهي الشرك والمعاصي. ١٠- أي: فعصت كل أمة رسولها المرسل إليها فأخذهم الله أخذة نامية زائدة على أخذات الأمم. ١١- أي: تجاوز حده في الارتفاع والعلو، وذلك ما حصل من الطوفان في زمن نوح لما أصر قومه على الكفر وكذبوه حملناكم في أصلاب آبائكم، والجارية سفينة نوح، لأنها تجري في الماء. ١٢- لنجعلها لكم يا أمة محمد عبرة وموعظة تستدلون بها على عظيم قدرة الله وبديع صنعه وشدة انتقامه وتحفظها بعد سماعها أذن حافظة لما سمعت. ١٣- أي: النفخة الأولى. ١٤- أي: رفعت من أماكنها، وقلعت عن مقارها بالقدرة الإلهية فكسرتا كسرة واحدة لا زيادة عليها، وقيل: دكتا: بسطتا بسطة واحدة. ١٥- أي: قامت القيامة. ١٦- أي: انشقت بنزول ما فيها من الملائكة، فهي في ذلك اليوم ضعيفة مسترخية. ١٧- أي: تكون الملائكة على حافاتها حتى يأمرهم الرب فينزلون إلى الأرض ويحيطون بالأرض ومن عليها ويحمل عرش ربك فوق رءوسهم يوم القيامة ثمانية أملاك، وقيل: ثمانية صفوف من الملائكة، لا يعلم عددهم إلا الله عز وجل. ١٨- أي: يعرض العباد على الله لحسابهم لا يخفى على الله سبحانه من ذواتكم، أو أقوالكم وأفعالكم، خافية كائنة ما كانت. ١٩- أي: أعطي كتابه الذي كتبته الحفظة عليه من أعماله فيقول خذوا اقرأوا كتابيه يقول ذلك سرورًا وابتهاجًا. ٢٠- أي: علمت وأيقنت في الدنيا أني أحاسب في الآخرة، وقيل: المعنى: إني ظننت أن يأخذني الله بسيئاتي، فقد تفضل عليَّ بعفوه ولم يؤاخذني. ٢١- فهو في عيشه مرضية لا مكروهة. ٢٢- أي: مرتفعة المكان، لأنها في السماء، أو مرتفعة المنازل، رفيعة القدر. ٢٣- المعنى أن ثمارها قريبة ممن يتناولها من قائم أو قاعد أو مضطجع. ٢٤- أي يقال لهم: كلوا واشربوا في الجنة هنيئًا لا تكدير فيه ولا تنغيص بسبب ما قدمتم من الأعمال الصالحة في الدنيا. ٢٥- أي: وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول حزنًا وكربًا لما رأى فيه من سيئاته يا ليتني لم أعط كتابيه. ٢٦- أي: لم أدر أي شيء حسابي، لأن كله عليه. ٢٧- أي: ليت الموتة التي متها كانت القاضية، ولم أحيا بعدها: تمني دوام الموت وعدم البعث لما شاهد من سوء عمله، وما يصير =

فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ٣٥ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ٣٦ لَا يَأْكُلُهُ
إِلَّا الْخَاطِئُونَ ٣٧ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ٣٨ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ٣٩
إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ٤١
وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ٤٢ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٤٣ وَلَوْ
تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا
مِنْهُ الْوَتِينَ ٤٦ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ٤٧ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ
لِلْمُتَّقِينَ ٤٨ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ ٤٩ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى
الْكَافِرِينَ ٥٠ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ٥١ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ٥٢

سُورَةُ الْمَعَارِجِ

ترتيبها ٧٠ — آياتها ٤٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ١ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ٢ مِنَ
اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ٣ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي
يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ٤ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ٥
إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ٦ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ٧ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ
٨ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ٩ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ١٠

إليه من العذاب. ٢٨- أي: لم يدفع عني ما جنيته من المال من عذاب الله شيئًا. ٢٩- أي: هلكت عني حجتي، وضلت عني. وقيل المراد بالسلطان: المنصب والجاه والملك. وحينئذ يقول الله عز وجل: ٣٠- أي: اجمعوا يده إلى عنقه بالأغلال. ٣١- أي: أدخلوه الجحيم ليصلى حرها. ٣٢- السلسلة: حلق منتظمة، وذرعها: طولها. قال سفيان: بلغنا أنها تدخل في دبره حتى تخرج من فيه. ٣٥- أي: ليس له يوم القيامة في الآخرة قريب ينفعه أو يشفع له، لأنه يوم يفر فيه القريب من قريبه، ويهرب عنده الحبيب من حبيبه. ٣٦- ولا طعام إلا من صديد أهل النار، وما ينغسل من أبدانهم من القيح والصديد. ٣٧- لا يأكله إلا الخاطئون أصحاب الخطايا وأرباب الذنوب. ٣٨،٣٩- أي: أقسم بالأشياء كلها ما يبصر منها وما لا يبصر. ٤٠- أي: إن القرآن لتلاوته رسول كريم، والمراد محمد ﷺ أو: إنه لقول يبلغه رسول كريم، يريد به جبريل. ٤١- وما هو بقول شاعر كما تزعمون، لأنه ليس من أصناف الشعر قليلاً ما تؤمنون وقليلاً ما تصدقون. ٤٢- ولا بقول كاهن كما تزعمون، فإن الكهانة أمر آخر لا جامع بينها وبين هذا قليلاً ما تذكرون. ٤٣- والمعنى: إنه لقول رسول كريم، وهو تنزيل من رب العالمين على لسانه. ٤٤- أي: ولو تقول ذلك الرسول، وهو محمد، أو جبريل على ما تقدم، لو تكلف شيئًا من ذلك وجاء به من جهة نفسه. ٤٥- أي: بيده اليمنى. ٤٦- الوتين: عرق يجري في الظهر حتى يتصل بالقلب، وهو تصوير لإهلاكه بأفظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه. ٤٧- أي: ليس منكم أحد يحجزنا عنه أو ينقذه منا، فكيف يتكلف الكذب على الله لأجلكم؟٤٨- أي: إن القرآن لتذكرة لأهل التقوى لأنهم المنتفعون به.

٤٩- أي: أن بعضكم يكذب بالقرآن، فنحن نجازيهم على ذلك. ٥٠- أي: وإن القرآن لحسرة وندامة على الكافرين يوم القيامة.

٥١- أي: لكونه من عند الله، فلا يحوم حوله ريبة ولا يتطرق إليه شك. ٥٢- أي: نزهه عما لا يليق به.

سُورَةُ الْمَعَارِجِ

هي مكية. ١- المعنى: دعا داع على نفسه بعذاب واقع، وهذا السائل قيل هو النضر بن الحارث حين قال: ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٣٢﴾. ٢- أي: كائن للكافرين ولا يدفع ذلك العذاب الواقع أحد. ٣- أي: واقع من جهته سبحانه ذي المصاعد التي تصعد فيها الملائكة، وقيل المعارج العظيمة. ٤- أي: تصعد إلى الله عز وجل في تلك المعارج التي جعلها الله لهم، والروح جبريل، وقيل الروح هنا ملك آخر عظيم غير جبريل ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ٤﴾ المراد يوم القيامة، مدة موقف العباد للحساب هي هذا المقدار من السنين، ثم يستقر بعد ذلك أهل الجنة في =

ثلاثة أرباع الحزب ٥٧

يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾
وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ
جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟
مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا
﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا
ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ
أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ
بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ
رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ
أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ
ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ
﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ
﴿٣٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ
﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ
أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

= الجنة وأهل النار في النار، وقيل إن مقدار يوم القيامة على الكافرين خمسون ألف سنة، وعلى المؤمنين مقدار ما بين الظهر والعصر. ٥- أي: اصبر يا محمد على تكذيبهم لك، وكفرهم بما جئت به، صبرًا جميلاً لا جزع فيه ولا شكوى إلى غير الله، وهذا معنى الصبر الجميل. ٦- أي: يرون يوم القيامة الذي مقداره خمسون ألف سنة، بعيدًا: أي مستبعدًا محالاً. ٧- أي: نعلمه كائنًا قريبًا، لأن ما هو آت قريب. ٨- والمهل: ما أذيب من النحاس، والرصاص، والفضة، وقيل هو دُرْدِيُّ الزيت. ٩- أي: كالصوف المصبوغ، فإذا بُست وطيرت في الهواء أشبهت العهن المنفوش إذا طيرته الريح. ١٠- أي: لا يسأل قريب قريبه عن شأنه في ذلك اليوم لما نزل بهم من شدة الأهوال. ١١- أي: يبصر كل حميم حميمه، لا يخفى منهم أحد عن أحد، ولا يتساءلون ولا يكلم بعضهم بعضًا، يود كل مذنب ذنبًا يستحق به النار لو يفتدي من عذاب يوم القيامة الذي نزل به ببنيه. ١٢- وصاحبته وأخيه فإن هؤلاء أعز الناس عليه وأكرمهم لديه، فلو قبل منه الفداء لفدى بهم نفسه وخلص مما نزل به من العذاب. ١٣- أي: عشيرته الأقربين الذين يضمونه في النسب، أو عند الشدائد، ويأوي إليهم. ١٤- أي: يود المجرم لو افتدى بمن في الأرض جميعًا من الثقلين وغيرهما من الخلائق ﴿ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾﴾، الافتداء من عذاب جهنم. ١٥- ﴿كَلَّآ﴾ ردع للمجرم عن تلك الأمنية، وبيان امتناع ما وده من الافتداء ولظى: اسم لجهنم، واشتقاقها من التلظي في النار، وهو التلهب. ١٦- أي: تبرى اللحم والجلد عن العظم حتى لا تترك فيه شيئًا، والشواة جلدة الرأس. ١٧- أي: إن جهنم تنادي من أدبر عن الحق في الدنيا وأعرض عنه. ١٨- أي: جمع المال فجعله في وعاء، فلم ينفق منه في سبيل الخير. ١٩- الهلع: أشد الحرص وأسوأ الجزع وأفحشه. ٢٠، ٢١- أي: إذا أصابه الفقر والحاجة أو المرض أو نحو ذلك فهو كثير الجزع، وإذا أصابه الخير من الغنى والخصب والسعة ونحو ذلك فهو كثير المنع والإمساك. ٢٢- أي: المقيمين للصلاة، يعني أنهم ليسوا على تلك الصفات من الهلع والجزع والمنع، وأنهم على صفات محمودة وخلال مرضية، لأن إيمانهم ودين الحق يزجرهم عن الاتصاف بتلك الصفات، ويحملهم على الاتصاف بصفات الخير. ٢٣- أي: لا يشغلهم عنها شاغل، يؤدون الصلاة المكتوبة لوقتها. ٢٤- المراد الزكاة المفروضة. وقيل صلة الرحم. ٢٥- قد تقدم تفسير السائل والمحروم في سورة الذاريات. ٢٦- هو يوم القيامة، لا يشكون فيه ولا يجحدونه. ٢٧- أي: خائفون وجلون، مع ما لهم من أعمال الطاعة استحقارًا لأعمالهم، واعترافًا بما يجب لله سبحانه عليهم. ٢٨- أي: لا ينبغي أن يأمنه أحد، وإن حق كل أحد أن يخافه. ٢٩- ٣١- قد تقدم تفسيرهم في أول سورة المؤمنين. ٣٢- أي: يقيمون الشهادة على وجهها على من كانت عليه من قريب، أو بعيد، رفيع أو وضيع، ولا يكتمونها ولا يغيرونها. ٣٤- أي: على أذكارها وأركانها وشرائطها لا يخلون بشيء من ذلك، ولا يشتغلون عنها بشيء من الشواغل، ويحافظون عليها بعد فعلها من أن يفعلوا ما يحبطها =

فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرًا مِّنۡهُمۡ
وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي
يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ
﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

سُورَةُ نُوحٍ

ترتيبها ٧١ — آياتها ٢٨

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ
عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعۡبُدُواْ
ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ
إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ
﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ﴿٥﴾ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا
فِرَارٗا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ
فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا
﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ
لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ﴿٩﴾ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴿١٠﴾

ريبطل ثوابها. ٣٥- أي: مستقرون فيها نرمون بأنواع الكرامات. ٣٦- أي: حواليك مسرعين إلى التكذيب، ويستهزئون بك. وقيل: مهطعين: مادي أعناقهم مديمي النظر إليك. ٣٧- أي: عن يمين النبي ﷺ وعن شماله جماعات متفرقة. ٣٨- وكان المشركون يقولون: لئن دخل هؤلاء الجنة لندخلن قبلهم، فنزلت الآية. ٣٩- أي: من القذر الذي يعلمون به، فلا ينبغي لهم هذا التكبر. أخرج أحمد وابن ماجة وابن سعد أن رسول الله ﷺ قرأ: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ ﴿٣٦﴾...... كَلَّآۖ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ ثم بزق رسول الله ﷺ على كفه، ووضع عليها أصبعه وقال: «يقول الله: ابن آدم، أنى تعجزوني وقد خلقتك من مثل هذه، حتى إذا سويتك وعدلتك، مشيت بين بردين، وللأرض منك وئيد، فجمعت ومنعت، حتى إذا بلغت التراقي أتى أوان الصدقة».

٤٠- أي: فأقسم بمشرق كل يوم من أيام السنة ومغربه. ٤١- أي: على أن نخلق أمثل منهم، وأطوع لله ممن عصوه، ونهلك هؤلاء وما نحن بمغلوبين إن أردنا ذلك، بل نفعل ما أردنا لا يفوتنا شيء ولا يعجزنا أمر.

٤٢- فذرهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم، واشتغل بما أمرت به، ولا يعظمن عليك إلا البلاغ حتى يلاقوا يوم القيامة.
٤٣- أي: يوم يخرجون من الأجداث وهي القبور مسرعين إلى شيء منصوب علم أو راية يسرعون يتسابقون إليه.
٤٤- أي: ذليلة لا يرفعونها لما يتوقعونه من العذاب، تغشاهم ذلة شديدة.

سُورَةُ نُوحٍ

هي مكية. ١- قد تقدم أن نوحًا أول رسول أرسله الله، وتقدم مدة لبثه في قومه، في سورة العنكبوت فقلنا له أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب شديد الألم، وهو عذاب النار، أو هو ما نزل بهم من الطوفان. ٢- قال يا قوم إني لكم منذر من عقاب الله ومخوف لكم أبين لكم ما فيه نجاتكم. ٣- أي: أن اعبدوا الله ولا تشركوا به غيره واجتنبوا ما يوقعكم في عذابه وأطيعون فيما آمركم به، فإني رسول إليكم من عند الله. ٤- يغفر لكم بعض ذنوبكم، وهو ما سلف منها قبل طاعة الرسول وإجابة دعوته ويؤخر موتكم إلى الأمد الأقصى الذي قدره الله لكم وما قدره لكم إذا جاء وأنتم باقون على الكفر، لا يؤخر بل يقع لا محالة، فبادروا إلى الإيمان والطاعة لو كنتم تعلمون لعلمتم أن أجل الله إذا جاء لا يؤخر. ٥- أي: دعوتهم إلى ما أمرتني بأن أدعوهم إليه من الإيمان، دعاء دائمًا في الليل والنهار من غير تقصير. ٦- فلم يزيدهم دعائي إلا فرارًا عما دعوتهم إليه وبعدًا عنه. ٧- أي: وإني كلما دعوتهم إلى سبب المغفرة، وهو الإيمان بك، والطاعة لك جعلوا أصابعهم في آذانهم لئلا يسمعوا صوتي وغلطوا بها وجوههم =

يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل
لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾
وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ
طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾
وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ
إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا
سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ
مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟
لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ
وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾
مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ
ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ
دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا
كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ
مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾

= لئلا يروني ولئلا يسمعوا كلامي واستمروا على الكفر واستكبروا عن قبول الحق استكبارًا شديدًا. ٨- أي: ثم إني دعوتهم مظهرًا لهم الدعوة مجاهرًا لهم بها. ٩- أي: دعوتهم معلنًا لهم بالدعاء وأسررت لهم الدعوة إسرارًا كثيرًا، يدعو الرجل، بعد الرجل، يكلمه سرًّا فيما بينه وبينه، دعاهم على وجوه متخالفة، وأساليب متفاوتة. وقيل: معنى أسررت أتيتهم في منازلهم فدعوتهم فيها. ١٠- أي: سلوه المغفرة من ذنوبكم السابقة بإخلاص النية إنه كان كثير المغفرة للمذنبين. ١١- والمدرار الكثيرة الدرور، وهو التحلب بالمطر، وفي هذه الآية دليل على أن الاستغفار من أعظم أسباب المطر وحصول أنواع الأرزاق. ١٢- أي: ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم بساتين ويجعل لكم أنهارًا جارية، فإيمانهم بالله يجمع لهم مع الحظ الوافر في الآخرة الخصب والغنى في الدنيا. ١٣- ما لكم لا تخافون الله فتوحدوه وتطيعوه؟ والوقار العظمة. ١٤- وقد خلقكم على أطوار مختلفة: نطفة، ثم مضغة، ثم علقة إلى تمام الخلق، كما تقدم بيانه في سورة المؤمنين، ثم تكونون صبيانًا، ثم شبابًا، ثم شيوخا، فكيف تقصرون في توقير من خلقكم على هذه الأطوار البديعة؟ ١٥- أي: ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات متطابقة بعضها فوق بعض. ١٦- أي: وجعل القمر في السماوات، وهو في سماء الدنيا منهن منورا لوجه الأرض وجعل الشمس كالمصباح لأهل الأرض ليتوصلوا بذلك إلى التصرف فيما يحتاجون إليه من المعاش. ١٧- يعني: آدم، خلقه الله من أديم الأرض، ثم أنبت نبته في الأرض بالكبر بعد الصغر، وبالطول بعد القصر. ١٨- ثم يعيدكم في الأرض ويخرجكم منها بالبعث يوم القيامة. ١٩- أي: فرشها وبسطها لكم تتقلبون عليها تقلبكم على بسطكم في بيوتكم.

٢٠- أي: لتسلكوا منها طرقًا واسعة، والفج المسلك بين الجبلين. ٢١- أي: قال نوح رب إنهم استمروا على عصياني ولم يجيبوا دعوتي، شكاهم إلى الله عز وجل، وهو أعلم بذلك واتبع الأصاغر رؤساءهم، وأهل الثروة منهم، الذين لم يزدهم كثرة المال والولد إلا ضلالا في الدنيا وعقوبة في الآخرة. ٢٢- أي: مكرًا كبيرًا عظيمًا، وهو تحريشهم سفلتهم على قتل نوح. ٢٣- أي: قال الرؤساء للأتباع يغرونهم بمعصية نوح لا تتركوا عبادة آلهتكم، وهي الأصنام والصور التي كانت لهم، ثم عبدتها العرب من بعدهم ولا تتركوا عبادة ودًّا ولا سواعًا ولا يغوث ويعوق ونسرًا. ٢٤- أي: أضل كبراؤهم ورؤساؤهم كثيرًا من الناس، وقيل: المراد الأصنام، أضلت كثيرًا من الناس ولا تزد الظالمين إلا خسرانًا، وقيل ضلالا في مكرهم. ٢٥- وبسببها أغرقوا بالطوفان فأدخلوا نار الآخرة، وقيل عذاب القبر، فلم يجدوا أحدًا يمنعهم من عذاب الله ويدفعه عنهم. ٢٦- أي: لما أيس نوح من إيمانهم دعا عليهم بعد أن أوحي إليه ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ فأجاب الله دعوته وأغرقهم، والديَّار: من يسكن الديار. ٢٧- إنك إن تذرهم يضلوا عبادك عن طريق الحق ولا يلدوا إلا فاجرًا بترك طاعتك كفارًا لنعمتك كثير الكفران لها. ٢٨- رب اغفر لي ولوالديّ وكانا مؤمنين.

سُورَةُ الجِنِّ

آياتها ٢٨ — مكية ٧٢

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا
عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾
وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ
يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ
وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ
مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ
ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا
شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن
يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ
بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ
وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ
ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ
ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾

٥٧٢

ولمن دخل منزله الذي هو ساكن فيه، وقيل سفينته ﴿مُؤْمِنًا﴾ فيخرج من دخله غير متصف بهذه الصفة كامرأته وولده الذي قال: ﴿سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ واغفر لكل متصف بالإيمان من الذكور والإناث ولا تزد الظالمين إلا هلاكًا وخسرانا ودمارا. شمل دعاؤه هذا كل ظالم إلى يوم القيامة.

سُورَةُ الجِنِّ

هي مكية في قول الجميع. ١- المعنى: قل يا محمد لأمتك: أوحى إليَّ على لسان جبريل أنه استمع نفر من الجن ولم يرسل الله إليهم رسلاً منهم، بل الرسل جميعًا من الإنس من بني آدم فقالوا القومهم لما رجعوا إليهم: سمعنا كلامًا مقروءًا عجبًا في فصاحته وبلاغته، وقيل عجبًا في مواعظه، وقيل في بركته. ٢- يهدي إلى الحق والصواب، ومعرفة الله فصدقنا به أنه من عند الله ولن نشرك بربنا أحدًا من خلقه، ولا نتخذ معه إلهًا آخر، آمنت الجن بسماع القرآن مرة واحدة، وأدركوا بعقولهم أنه كلام الله، ولم ينتفع كفار قريش، لاسيما رؤساؤهم، بسماعه مرات، مع كون الرسول منهم يتلوه عليهم بلسانهم، لا جرم صرعهم الله أذل مصرع وقتلهم أقبح مقتل. وفي الآية أن أعظم ما في دعوة محمد ﷺ توحيد الله تعالى وخلع الشرك وأهله. ٣- أي: ارتفع عظمة ربنا وجلاله، وقيل جده : قدرته، وتعالى جلال ربنا وعظمته عن أن يتخذ صاحبة، أي: زوجة، أو ولدًا، كما يقول الكفار الذين ينسبون إلى الله الصاحبة والولد. ٤- وينكر الجن قول مشركيهم وسفهائهم الكذب على الله من دعوى الصاحبة والولد وغير ذلك. والشطط: الغلو في الكفر، والبعد عن القصد، ومجاوزة الحد. ٥- أي: إنا حسبنا أن الإنس والجن كانوا لا يكذبون على الله عندما قالوا بأن له شريكًا وصاحبة وولدًا، فصدقناهم في ذلك حتى سمعنا القرآن، فعلمنا بطلان قولهم وبطلان ما كنا نظنه بهم من الصدق. ٦- كان العرب إذا نزل الرجل بواد قال: أعوذ بسيِّد هذا الوادي من شر سفهاء قومه، فيبيت في جواره حتى يصبح فزاد رجال الجن من تعوذ بهم من رجال الإنس سفهًا وطغيانًا. ٧- المعنى: وأن الإنس ظنوا كما ظننتم أيها الجن، أنه لا بعث ولا جزاء. ٨- وأنا طلبنا خبرها كما جرت به عادتنا فوجدناها ملئت حرسًا من الملائكة يحرسونها عن استراق السمع قويًّا ونار الكواكب كما تقدم بيانه في تفسير قوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ من سورة تبارك. ٩- أي: ليسمعوا من الملائكة أخبار السماء فيلقونها إلى الكهنة، فحرسها الله سبحانه عند بعثة رسوله ﷺ بالشهب المحرقة فمن يستمع الآن يجد له شهابًا أرصد له ليرمي به، لمنعه من السماع. ١٠- وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض بسبب هذه الحراسة للسماء أم أراد بهم ربهم خيرًا. قال ابن زيد: قال إبليس: لا ندري أراد الله بهذا المنع أن ينزل على أهل الأرض عذابًا أو يرسل إليهم رسولا. ١١- أي قال بعض الجن لبعض لما دعوا أصحابهم إلى الإيمان بمحمد ﷺ: كنا قبل استماع القرآن، منا الموصوفون بالصلاح ومنا قوم غير ذلك، قيل أراد بالصالحين المؤمنين، وبمن هم دون ذلك الكافرين كنا جماعات متفرقة، وأصنافًا مختلفة، وأهواء متباينة. =

وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ
تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾
وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ
فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ
ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ
يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ
بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى
لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَـٰغًا
مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَـٰلَـٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ
خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ
مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ
مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا
يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ
يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟
رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾

= وقال سعيد: كانوا مسلمين ويهودًا ونصارى ومجوسًا. ١٢- أي: وأنا علمنا أن لن نفوته إن أراد بنا أمرًا ولن نعجزه هاربين منه. ١٣- وأنا لما سمعنا القرآن صدقنا أنه من عند الله، ولم نكذب به كما كذبت به كفرة الإنس فمن يؤمن بربه فلا يخاف نقصانًا ولا عدوانًا وطغيانًا، والرهق: العدوان والطغيان. ١٤- وأنا منا المسلمون ومنا الجائرون الظالمون الذين حادوا عن طريق الحق فمن أسلم فأولئك قصدوا طريق الحق والخير.

١٥- وأما القاسطون فكانوا لجهنم وقودًا للنار توقد بهم كما توقد بكفرة الإنس. ١٦- المعنى: وأوحي إليَّ أن الشأن أن لو استقام الجن أو الإنس أو كلاهما على طريقة الإسلام لأسقيناهم ماءً أي ماء كثيرًا ولآتيناهم خيرًا كثيرًا واسعًا. ١٧- أي لنختبرهم فنعلم كيف شكرهم على تلك النعم ومن يعرض عن القرآن، أو عن الموعظة، يدخله عذابًا شاقًا صعبًا. ١٨- أي: وأوحي إليَّ أن المساجد مختصة بالله. قال سعيد: قالت الجن: كيف لنا أن نأتي المساجد ونشهد معك الصلاة ونحن ناءون عنك؟ فنزلت. وقيل المساجد كل البقاع، لأن الأرض كلها مسجد فلا تطلبوا العون، فيما لا يقدر عليه إلا الله، من أحد من خلقه كائنًا ما كان، فإن الدعاء عبادة. ١٩- وهو النبي ﷺ يدعو الله ويعبده، وذلك ببطن نخلة كما تقدم كاد الجن يكونون على رسول الله لبدًا متراكمين من ازدحامهم عليه لسماع القرآن منه، وقيل المراد: تلبدت الإنس والجن على هذا الأمر ليطفئوه فأبى الله إلا أن ينصره ويتم نوره. ٢٠- قل إنما أدعوا ربي وأعبده ولا أشرك به أحدًا من خلقه. سبب نزولها أن كفار قريش قالوا للنبي ﷺ: إنك جئت بأمر عظيم، وقد عاديت الناس كلهم، فارجع عن هذا فنحن نجيرك. ٢١- أي: لا أقدر أن أدفع عنكم ضرًا، ولا أسوق إليكم خيرًا في الدنيا أو الدين. ٢٢- أي: لا يدفع عني أحد عذابه إن أنزله بي ولن أجد من دونه ملجأ ومعدلاً وحرزًا. ٢٣- أي: إلا أن أبلّغ عن الله وأعمل برسالاته، فآخذ نفسي بما آمر به غيري، فإن فعلت ذلك نجوت، وإلا هلكت. ٢٤- أي: سيدركون من أضعف ناصرًا وأقل عددًا أهم أم المؤمنون. ٢٥- أي: لست أعلم قرب العذاب الذي يعدكم الله به أم يجعل له ربي غاية ومدة، فلا يعرف متى يوم القيامة إلا الله وحده. ٢٦- أي: لا يُطلع على الغيب، وهو ما غاب عن العباد، أحدًا منهم. ٢٧- أي: استثنى من ارتضى من الرسل، فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم، وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم، وليس المنجم، ومن ضاهاه ممن يضرب بالحصى وينظر في الكف ويزجر بالطير، ممن ارتضاه، فهو كافر بالله مفتر عليه بحدسه وتخمينه وكذبه. فإنه يجعل سبحانه بين يدي الرسول ومن خلفه حرسًا من الملائكة، يحرسونه من تعرض الشياطين لما أظهره عليه من الغيب، ويحوطونه من أن تسترقه الشياطين، فتلقيه إلى الكهنة. ٢٨- أي: ليعلم الله أن رسله قد أبلغوا رسالاته: ليعلم ذلك عن مشاهدة كما علمه غيبًا وأحاط بما عند الرصد من الملائكة، أو بما عند الرسل المبلغين لرسالاته، وبما لديهم من الأحوال.

ترتيبها ٧٣ — سورة المزمل — آياتها ٢٠

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٢﴾ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا
﴿٣﴾ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا
ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي
ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ﴿٧﴾ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ﴿٨﴾
رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ﴿٩﴾ وَٱصۡبِرۡ
عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ﴿١٠﴾ وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ
أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا ﴿١٢﴾
وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ وَعَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٣﴾ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ
وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبٗا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا
عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ
فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا ﴿١٦﴾ فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا يَجۡعَلُ
ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا ﴿١٨﴾
إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾

٥٧٤

سورة المزمل

هي مكية . ١- وهذا الخطاب للنبي ﷺ كان يتزمَّل بثيابه أول ما جاءه جبريل بالوحي خوفًا منه، فإنه لما سمع صوت الملك ونظر إليه أخذته الرعدة، فأتى أهله وقال: زملوني. دثروني. ثم بعد ذلك خوطب بالنبوة والرسالة وأنس بجبريل. ٢- أي قم للصلاة في الليل، وصل الليل كله إلا يسيرا منه. ٣،٤- كأنه قال قم ثلثي الليل، أو نصفه أو ثلثه. ﴿وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴿٤﴾﴾ أي: واقرأه على مهل مع تدبر حرفًا حرفًا، والترتيل هو أن يبين جميع الحروف، ويوفي حقها من الإشباع. ٥- أي: سنوحي إليك القرآن، وهو قول ثقيل فرائضه وحدوده، وحلاله وحرامه، لا يحمله إلا قلب مؤيد بالتوفيق ونفس مزينة بالتوحيد. ٦- يقال لقيام الليل ناشئة إذا كان بعد نوم، فإذا نمت من أول الليل ثم قمت فتلك المنشأة والنشأة أثقل على المصلي من صلاة النهار، لأن الليل للنوم ﴿وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾ وأسَدُّ مقالاً وأثبت قراءة، لحضور القلب فيها، وأشد استقامة لأن الأصوات فيها هادئة، والدنيا ساكنة.

٧- أي: تصرفًا في حوائجك، وإقبالاً وإدبارًا، وذهابًا ومجيئًا، فصل بالليل. ٨- واذكر اسم ربك ليلاً ونهارًا واستكثر من ذلك وانقطع إلى الله انقطاعًا بالاشتغال بعبادته، والتماس ما عنده. ٩- أي: إذا عرفت أنه المختص بالربوبية، فاتخذه وكيلا، أي: قائمًا بأمورك، وعول عليه في جميعها. ١٠- واصبر على ما يقولون من الأذى والسب والاستهزاء، ولا تجزع من ذلك ولا تتعرض لهم ولا تشتغل بمكافأتهم، وقيل: الهجر الجميل الذي لا جزع فيه، وهذا كان قبل الأمر بالقتال. ١١- أي: دعني وإياهم ولا تهتم بهم، فإني أكفيك أمرهم، وأنتقم لك منهم أرباب الغنى والسعة والترفه واللذة في الدنيا ومهلهم قليلاً إلى انقضاء آجالهم، وقيل إلى نزول عقوبة الدنيا بهم.

١٢- الأنكال: الأغلال، وقيل: هي أنواع العذاب الشديد ونارا مؤججة. ١٣- أي: لا يسوغ في الحلق بل ينشب فيه، فلا ينزل ولا يخرج ونوعا آخر من العذاب غير ما ذكر. ١٤- أي: تتحرك وتضطرب بمن عليها، والرجفة: الزلزلة الشديدة وتكون الجبال، والكثيب: الرمل المجتمع، والمهيل: الذي يمر تحت الأرجل، أي: رملاً سائلاً لشدة الرجفة. ١٥- إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهدًا عليكم يشهد يوم القيامة بأعمالكم، أي: فعصيتموه كما أرسلنا إلى فرعون موسى. ١٦- فعصى فرعون الرسول وكذبه ولم يؤمن بما جاء به فعاقبنا فرعون عقوبة شديدة غليظة بالغرق. ١٧- أي: كيف تقون أنفسكم إن بقيتم على كفركم عذاب يوم يصير الأطفال الصغار فيه بيض الشعور، وهذا كناية عن شدة الخوف. ١٨- أي: متشققة به لشدته وعظيم هوله. وانفطارها لنزول الملائكة كان وعده كائنًا لا محالة.

١٩- أي: ما تقدم من الآيات موعظة فمن شاء اتخذ بالطاعة التي أهم أنواعها التوحيد طريقًا توصله إلى رضوان الله في الجنة.

ربع الحزب ٥٨

۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ
ٱلَّذِينَ مَعَكَ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ
عَلَيْكُمْ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ
وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ
يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟
ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ
عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾

سُورَةُ المُدَّثِّرِ

ترتيبها ٧٤ — آياتها ٥٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾
وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾
فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ
غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا
مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ
أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَـٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾

٥٧٥

٢٠- المعنى: أن الله يعلم أن رسوله ﷺ يقوم أقل من ثلثي الليل أحيانًا، ويقوم نصفه، ويقوم ثلثه وتقوم ذلك القدر معك طائفة من أصحابك والله يعلم مقادير الليل والنهار على حقائقها، فيعلم القدر الذي تقومونه من الليل، علم أن لن تطيقوا علم مقادير الليل والنهار على الحقيقة. وقيل المعنى: علم الله أنكم لن تطيقوا قيام الليل فعاد عليكم بالعفو، ورخص لكم في ترك القيام إذا عجزتم. فرجع بكم من التثقيل إلى التخفيف، ومن العسر إلى اليسر فاقرأوا في الصلاة بالليل ما خف عليكم وتيسر لكم منه من غير أن ترقبوا وقتًا. وهذه الآية نسخت قيام الليل، والأحاديث الصحيحة المصرحة بقول السائل لرسول الله ﷺ هل عليَّ غيرها؟ يعني: الصلوات الخمس، فقال: «لا إلا أن تطوع» تدل على عدم وجوب غيرها، فارتفع بهذا وجوب قيام الليل وصلاته عن الأمة، لأنه يعلم أن سيكون منها مرضى فلا يطيقون قيام الليل وآخرون يسافرون في الأرض للتجارة والأرباح، يطلبون من رزق الله وما يحتاجون إليه في معاشهم، فلا يطيقون قيام الليل وآخرون يقاتلون في سبيل الله يعني: المجاهدين، لا يطيقون قيام الليل. ذكر سبحانه هاهنا ثلاثة أسباب مقتضية للترخيص، فرفعه عن جميع الأمة لأجل هذه الأعذار التي تنوب بعضهم فاقرأوا ما تيسر منه وأقيموا الصلاة المفروضة وآتوا الزكاة الواجبة في الأموال، وقيل: كل أفعال الخير وأنفقوا في سبيل الخير من أموالكم إنفاقًا حسنًا بالنفقة على الأهل وفي الجهاد والزكاة المفترضة وما تقدموا لأنفسكم من خير مما ذكر ومما لم يذكر تجدوه عند الله هو خيرًا وأعظم أجرًا مما تؤخرونه إلى عند الموت، أو توصون به ليخرج بعد موتكم واستغفروا الله لذنوبكم، فإنكم لا تخلون من ذنوب تقترفونها إن الله كثير المغفرة لمن استغفره، كثير الرحمة لمن استرحمه.

سُورَةُ المُدَّثِّرِ

هي مكية بلا خلاف. قال المفسرون: لما بدئ رسول الله ﷺ بالوحي أتاه جبريل، فرآه رسول الله ﷺ على سرير بين السماء والأرض كالنور المتلألئ، ففزع ووقع مغشيًا عليه، فلما أفاق دخل على خديجة ودعا بماء فصبه عليه، وقال: «دثروني دثروني» فدثروه بقطيفة. ١- يا أيها الذي قد تدثر بثيابه أي: تغشى بها. ٢- أي: انهض فخوف أهل مكة وحذرهم العذاب إن لم يسلموا. ٣- أي: واختص سيدك ومالكك ومصلح أمورك بالتكبير، وهو وصفه سبحانه بالكبرياء والعظمة، وأنه أكبر من أن يكون له شريك. ٤- أمره الله سبحانه بتطهير ثيابه وحفظها عن النجاسات. وقال قتادة: نفسك فطهرها من الذنب. ٥- أي: اترك الأصنام والأوثان، فلا تعبدها، فإنها سبب العذاب. ٦- أي: لا تمنن على ربك بما تتحمله من أعباء النبوة، كالذي يستكثر ما يتحمله بسبب الغير. وقيل المعنى: إذا أعطيت أحدًا عطية فأعطها لوجه الله ولا تمن بعطيتك على الناس. ٧- أي: حملت أمرًا عظيمًا ستحاربك العرب عليه والعجم، فاصبر عليه لله. ٨- المراد هنا النفخ في الصور، كأنه قيل: اصبر على أذاهم، فبين أيديهم يوم هائل يلقون فيه عاقبة أمرهم. ١١- دعني أنا والذي خلقته حال كونه وحيدًا في بطن أمه، لا مال له ولا =

إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ١٨ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ٢٠ ثُمَّ نَظَرَ
٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ٢٢ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ٢٣ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ
يُؤْثَرُ ٢٤ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ٢٥ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ٢٦ وَمَآ أَدْرَىٰكَ
مَا سَقَرُ ٢٧ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ٢٨ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ٢٩ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ
٣٠ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً
لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ
وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ
وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى
مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ٣١ كَلَّا
وَٱلْقَمَرِ ٣٢ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ٣٣ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ٣٤ إِنَّهَا لَإِحْدَى
ٱلْكُبَرِ ٣٥ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ٣٦ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ٣٧ كُلُّ
نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ٣٨ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ٣٩ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ
٤٠ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ٤١ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ٤٢ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ
ٱلْمُصَلِّينَ ٤٣ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ٤٤ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ
ٱلْخَآئِضِينَ ٤٥ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ٤٦ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ٤٧

= ولد، أو دعني وحدي معه، فإني أكفيك في الانتقام منه. قال المفسرون: وهو الوليد بن المغيرة. ١٢- أي: كثيرًا، وقد كان الوليد بن المغيرة مشهورًا بكثرة المال. ١٣- أي: وجعلت له بنين حضورا بمكة معه، لا يسافرون ولا يحتاجون إلى التفرق في طلب الرزق لكثرة مال أبيهم. قيل: كانوا ثلاثة عشر ولدًا كلهم رجال. ١٤- أي: بسطت له في العيش وطول العمر والرياسة في قريش. ١٦- أي: لست أزيده إنه كان لآياتنا معاندًا لها، كافرًا بما أنزلناه منها على رسولنا. ١٧- أي: سأكلفه مشقة من العذاب، والإرهاق: أن يحمل الإنسان الشيء الثقيل الذي لا يطيقه. ١٨- أي: فكر في شأن النبي ﷺ وقدّر في نفسك، أي: هيأ الكلام في نفسه ما يقول، فذمه الله. ١٩- أي: لُعِنَ وعُذِّبَ على أي حال قدر ما قدر من الكلام. ٢١- أي: بأي شيء يدفع القرآن ويقدح فيه. ٢٢- أي: قطب وجهه لما لم يجد مطعنًا يطعن به القرآن وكلح وجهه وتغير. ٢٤- أي: قال: ليس هذا القرآن إلا سحرًا ينقله محمد عن غيره ويرويه عنه. ٢٥- يعني: قال إنه كلام الإنس، وليس بكلام الله. وسيأتي أن الوليد بن المغيرة إنما قال هذا القول إرضاء لقومه، بعد اعترافه أن له حلاوة، وأن عليه طلاوة. ٢٦- أي: سأدخله النار، وسقر من أسماء النار. ٢٩- أي: تلوح للناس جهنم حتى يرونها عيانًا، وقيل: لواحة للبشر، أي: مغيرة لوجوههم حتى تسود. ٣٠- أي: على النار تسعة عشر من الملائكة هم خزنتها، وقيل: تسعة عشر صنفًا من أصناف الملائكة. ٣١- لما نزل قوله سبحانه: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ٣٠﴾ قال أبو جهل: أما لمحمد من الأعوان إلا تسعة عشر؟ أفيعجز كل مائة رجل منكم أن يبطشوا بواحد منهم ثم يخرجون من النار؟ فنزلت ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ فمن يطيق الملائكة، ومن يغلبهم، وهم أقوم خلق الله بحقه، والغضب له، وأشدهم بأسًا، وأقواهم بطشًا؟ وجعلنا عددهم المذكور إضلالاً ومحنة للكافرين، حتى قالوا ما قالوا، ليتضاعف عذابهم ويكثر غضب الله عليهم ليستيقن اليهود والنصارى لموافقة ما نزل من القرآن بأن عدة خزنة جهنم تسعة عشر لما عندهم في كتبهم ويزداد الذين آمنوا إيمانًا لما رأوا من موافقة أهل الكتاب لهم ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون في الدين، أو في أن عدة خزنة جهنم تسعة عشر وليقول الذين في قلوبهم شك هم المنافقون، والكافرون من أهل مكة وغيرهم أي شيء أراد الله بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وما يعلم جنود ربك إلا هو وخزنة النار وإن كانوا تسعة عشر فلهم من الأعوان والجنود من الملائكة ما لا يعلمه إلا الله سبحانه، وما سقر وما خزنتها إلا تذكرة وموعظة للعالم ليعلموا كمال قدرة الله وأنه لا يحتاج إلى أعوان وأنصار. ٣٢- أقسم على ذلك بالقمر وبما بعده. ٣٣- والليل إذا أدبر ذاهباً ٣٤- والصبح إذا أضاء وتبين. ٣٥- أي: إن سقر لإحدى الدواهي أو البلايا الكبر، وقيل إنها، أي تكذيبهم لمحمد لإحدى الكبر. ٣٦- النذير النار. وقيل: القرآن نذير للبشر لما تضمنه من الوعد والوعيد. ٣٧- لمن شاء منكم أن يتقدم بالإيمان أو يتأخر بالكفر. ٣٨- أي: مأخوذة بعملها ومرتهنة به، إما خلصها وإما أوبقها. ٣٩- وهم المؤمنون، فإنهم لا يرتهنون بذنوبهم، بل يفكون بما أحسنوا من أعمالهم. ٤٠- هم في جنات يسأل بعضهم بعضا. ٤١- أي: يسأل بعضهم بعضا عن أحوال المجرمين. ٤٢- يقولون لهم ما أدخلكم في جهنم؟ ٤٥- أي: نخالط =

فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ
﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ
كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ
ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾
وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

سُورَةُ القِيَامَةِ

ترتيبها ٧٥ — آياتها ٤٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نصف الحزب ٥٨

لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ
ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ
يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ
﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ
أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ
يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ
مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ
وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾

= أهل الباطل في باطلهم، كلما غوى غاوٍ غوينا معه، وقال ابن زيد: نخوض مع الخائضين في أمر محمد ﷺ وهو قولهم كاذب، مجنون، ساحر، شاعر. ٤٦- أي: وكنا نكذب بيوم الجزاء والحساب. ٤٧- أي: حتى أتانا الموت. ٤٨- أي: شفاعة الملائكة والنبيين كما تنفع الصالحين. ٤٩- أي: أي شيء حصل لهم حال كونهم معرضين عن القرآن الذي هو مشتمل على التذكرة الكبرى والموعظة العظمى. ٥٠- أي: مثل الحمير الشديدة النفار. ٥١- أي: فرت من رماة يرمونها، وقيل: القسورة بلسان العرب الأسد. ٥٢- قال المفسرون: إن كفار قريش قالوا لمحمد ﷺ ليصبح عند رأس كل رجل منا كتاب منشور من الله أنك رسول الله. ٥٣- لأنهم لو خافوا النار لما اقترحوا الآيات. ٥٤- ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾﴾ يعني القرآن. ٥٥- أي: فمن شاء أن يتعظ به اتعظ. ٥٦- وما يذكرون إلا أن يشاء الله لهم الهدى هو الحقيق بأن يتقيه المتقون بترك معاصيه والعمل بطاعاته وهو الحقيق بأن يغفر للمؤمنين ما فرط منهم من الذنوب، والحقيق بأن يقبل توبة التائبين من العصاة فيغفر ذنوبهم.

سُورَةُ القِيَامَةِ

هي مكية بلا خلاف. ١- لا زائدة، والتقدير أقسم بيوم القيامة. وإقسامه سبحانه بيوم القيامة لتعظيمه وتفخيمه، ولله أن يقسم بما شاء من مخلوقاته. ٢- أقسم بالنفس اللوامة التي تلوم صاحبها على تقصيره، وهي نفس المؤمن، تلوم على ما فات وتندم، فتلوم نفسها على الشر لم تعلمه، وعلى الخير لم تستكثر منه. وقال مقاتل: هي نفس الكافر، يلوم نفسه ويتحسر في الآخرة على ما فرط في جنب الله. ٣- أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه بعد أن صارت رفاتًا، فنعيدها خلقًا جديدًا، وذلك حسبان باطل فإنا نجمعها. ٤- أي: بلى سنجمعها قادرين على أن نجمع أصابعه بعضها إلى بعض فنجعلها قطعة واحدة كخف البعير، لكننا أنعمنا عليه بهذه الأصابع وهي الصغيرة اللطيفة المشتملة على المفاصل والأظافر والعروق اللطاف والعظام الدقاق. ٥- بل يريد الإنسان أن يقدم فجوره فيما يستقبله من الزمان، فيقدم الذنب ويؤخر التوبة، يريد أن يَفْجُرَ ما امتد عمره ولا يذكر الموت. ٦- يسأل: متى يوم القيامة؟ سؤال استبعاد واستهزاء. ٧- أي: فإذا فزع وبهت وتحير من شدة شخوصه للموت، أو للبعث. ٨- أي: ذهب ضوؤه كله ولا يعود كما يعود إذا خسف في الدنيا. ٩- أي: ذهب ضوؤهما جميعًا فتجمع الشمس والقمر، فلا يكون هناك تعاقب ليل ونهار. ١٠- أي: أين المفر من الله سبحانه ومن حسابه وعذابه. ١١- أي: لا جبل ولا حصن ولا ملجأ من الله يعصمكم يومئذ. ١٢- أي: إلى ربك يومئذ المرجع والمنتهى والمصير. ١٤- أي: يعرف حقيقة ما هو عليه من إيمان أو كفر، وطاعة أو معصية، واستقامة أو اعوجاج وقيل: المعنى: بل جوارح الإنسان عليه شاهدة. ١٥- أي: ولو اعتذر وجادل عن نفسه، لم ينفعه ذلك، فعليه من يكذب عذره. ١٦- كان رسول الله ﷺ يحرك شفتيه ولسانه بالقرآن إذا أنزل عليه، قبل فراغ جبريل من قراءة الوحي، حرصًا على أن يحفظه، ﷺ فنزلت هذه الآية، أي: لا تحرك بالقرآن لسانك عند إلقاء الوحي لتأخذه على عجل مخافة أن يتفلت منك. ١٧- إن علينا جمعه في صدرك حتى لا يذهب عليك منه شيء وإثبات قراءته في لسانك على الوجه القويم. ١٨- أي: فإذا أتممنا قراءته عليك بلسان جبريل =

كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾
إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾
كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ
ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ
﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ
فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾
أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ
ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

سُورَةُ الإِنسَانِ

ترتيبها ٧٦ — آياتها ٣١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾
إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا
بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾
إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ
ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾

٥٧٨

= فاستمع له وأنصت إلى قراءته. ١٩- أي: تفسير ما فيه من الحلال والحرام وبيان ما أشكل منه. فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل أنصت، فإذا ذهب عنه قرأ كما وعده الله. ٢٠- كلا للردع عن العجلة، والترغيب في الأناة. ٢١- وتذرون الآخرة فلا تعملون لها. ٢٢- أي: ناعمة غضة حسنة. ٢٣- أي: إلى خالقها ومالك أمرها، تنظر إليه، هكذا تواترت الأحاديث الصحيحة من أن العباد ينظرون إلى ربهم يوم القيامة كما ينظرون إلى القمر ليلة البدر. ٢٤- أي: كالحة عابسة كئيبة. ٢٥- الفاقرة الداهية العظيمة كأنها كسرت فقار الظهر. ٢٦- أي: إذا بلغت النفس أو الروح التراقي، والترقوة: عظم بين ثغرة النحر والعاتق، ويكنى ببلوغ النفس التراقي عن الإشفاء على الموت. ٢٧- أي: قال من حضر صاحبها: من يرقيه ويشفى برقيته؟ التمسوا له الأطباء فلم يغنوا عنه من قضاء الله شيئًا. ٢٨- أي: وأيقن الذي بلغت روحه التراقي أنها ساعة الفراق من الدنيا ومن الأهل والمال والولد. ٢٩- أي: التفت ساقه بساقه عندما نزل الموت به، فماتت رجلاه ويبست ساقاه ولم تحملاه، وقد كان جوّالا عليهما، فالناس يجهزون جسده، والملائكة يجهزون روحه.

٣٠- أي: إلى خالقك تساق الأرواح بعد قبضها من الأجساد. ٣١- أي: لم يصدق بالرسالة ولا بالقرآن، ولا صلى لربه، فلا آمن بقلبه ولا عمل ببدنه. ٣٢- أي: كذب بالرسول وبما جاء به، وتولى عن الطاعة والإيمان. ٣٣- أي: يتبختر ويختال في مشيته افتخارًا بذلك. أو يتثاقل ويتكاسل عن الداعي إلى الحق. ٣٤، ٣٥- أي: وليك الويل، وأصله: أولاك الله ما تكرهه، يتكرر عليك ذلك مرة بعد مرة. ٣٦- أي: هملاً لا يؤمر ولا يُنهى، ولا يحاسب ولا يعاقب. ٣٧- أي: ألم يك ذلك الإنسان قطرة من مني يراق في الرحم. ٣٨- أي: كان بعد النطفة دمًا فقدر بأن جعلها مضغة مخلقة فعدله وكمل نشأته ونفخ فيه الروح. ٣٩- أي: من المني بعد تخليقه الصنفين من نوع الإنسان الرجل والمرأة. ٤٠- أي: أليس ذلك الذي أنشأ هذا الخلق البديع وقدر عليه بقادر على أن يعيد الأجسام بالبعث كما كانت عليه في الدنيا؟ فإن الإعادة أهون من الابتداء. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ منكم ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾﴾ فانتهى إلى قوله: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ فليقل: بلى».

سُورَةُ الإِنسَانِ

قال الجمهور هي مدنية. ١- أي: قد أتى على الناس في شخص أبيهم آدم ﴿حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ قيل: أربعون سنة قبل أن ينفخ فيه الروح، خلق من طين ثم من حمأ مسنون ثم من صلصال. وقيل: المراد بالإنسان: بنو آدم، والحين مدة الحمل وقال الفراء وثعلب: المعنى: أنه كان جسدًا مصورًا، ترابًا وطينًا لا يذكر ولا يعرف، ولا يدري ما اسمه ولا ما يراد به، ثم نفخ فيه الروح فصار مذكورًا. وقيل: المعنى: قد مضت أزمنة وما كان آدم شيئًا ولا مخلوقًا ولا مذكورًا لأحد من الخليقة. ٢- والمراد: نطفة الرجل ونطفة المرأة واختلاطهما، وقيل: الأمشاج =

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ
يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا
وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا
﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ
ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا
﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾
وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ
مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾
وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا
﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا
﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَـٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ
خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا
طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَـٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا
نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ
مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٥٨

= الأخلاط، لأنها ممتزجة من أنواع يخلق الإنسان منها وطباع مختلفة وخلقناه مريدين ابتلاءه، بالخير والشر وبالتكاليف فجعلناه سميعًا بصيرًا. ٣- أي: بينا له وعرّفناه طريق الهدى والضلال والخير والشر، وعرفناه منافعه ومضاره التي يهتدي إليها بطبعه وكمال عقله، سواء كان شاكرًا أو كان كفورًا. ٤- أي: أعددناه لهم لتعذيبهم بها، والغل ما تغل به الأيدي إلى الأعناق، والسعير: الوقود الشديد. ٥- الأبرار: أهل الطاعة والإخلاص الذين يؤدون حق الله، والكأس: الإناء الذي فيه الشراب كان مزاجها كافورًا يخالطها وتمزج به، ليكمل ريح الخمر وطعمها ويطيب. ٦- أي: يشربون منها الخمر، ويحتمل أن المعنى: يشربون خمرهم ممزوجة بماء تلك العين ويجرونها إلى حيث يريدون وينتفعون بها كما يشاءون، فهم يشقونها شقًا كما يشق النهر ويفجر إلى هنا وهنا. ٧- يوفون إذا نذروا لله سبحانه، والنذر في الشرع: ما أوجبه المكلف على نفسه لله تعالى من صلاة أو صوم أو ذبح أو غيرها مما لم يكن عليه واجبًا بالشرع يخافون يوم القيامة، استطار شر ذلك اليوم حتى ملأ السماوات والأرض، فانشقت السماء، وتناثرت الكواكب، والأرض دُكت، ونسفت الجبال. ٨- أي: يطعمون هؤلاء الثلاثة الأصناف الطعام على قلته عندهم، وحبهم إياه، وشهوتهم له، وقيل: المعنى: يطعمون الطعام على حب الله. ٩- أي: لا يتوقعون المكافأة، ولا يريدون ثناء الناس عليهم بذلك، علمه الله من قلوبهم فأثنى عليهم بذلك لا نطلب منكم المجازاة على هذا الإطعام، ولا نريد منكم الشكر لنا، بل هو خالص لوجه الله. ١٠- أي: تعبس فيه الوجوه من هوله وشدته وصعوبته. ١١- أي: دفع عنهم شره بسبب خوفهم منه وإطعامهم لوجهه وأعطاهم بدل العبوس في الكفار نضرة في الوجوه وسرورًا في القلوب. والنضرة: البياض والنقاء في وجوههم من أثر النعمة. ١٣- أي: جزاهم جنة متكئين فيها على الأسرة التي عليها الكلل ولا يرون في الجنة حر الشمس ولا برد الزمهرير. ١٤- المعنى: أن ظلال الأشجار قريبة منهم مظلة عليهم زيادة في نعيمهم وإن كان لا شمس هنالك وسخرت ثمارها لمتناوليها تسخيرًا يتناولها القائم والقاعد والمضطجع، لا يرد أيديهم عنها بعد ولا شوك. ١٥- أي: تدور عليهم الخدم إذا أرادوا الشراب بآنية الفضة وكؤوس الفضة. ١٦- قوارير أهل الجنة من فضة، فاجتمع لها بياض الفضة وصفاء القوارير وهي الزجاج، فالقوارير التي في الدنيا من الرمل، فأعلم الله فضل تلك القوارير أن أصلها من فضة يرى من خارجه ما في داخلها ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾﴾ فجاءت كما يريدون في الشكل لا تزيد ولا تنقص. ١٧- الكأس هو الإناء فيه الخمر، أي: ممزوجة بالزنجبيل. ١٨- السلسبيل في اللغة اسم لماء في غاية السلاسة، حديد الجرية، يسوغ في حلوقهم. ١٩- ويطوف عليهم ولدان مخلدون باقون على ما هم عليه من الشباب والطراوة والنضارة، لا يهرمون ولا يتغيرون، ولا يموتون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤًا منثورًا لمزيد حسنهم وصفاء ألوانهم ونضارة وجوههم، شبههم بالمنثور لأنهم سراع في الخدمة، بخلاف الحور العين فإنه شبههن باللؤلؤ المكنون لأنهن لا يمتهن بالخدمة. ٢٠- أي: وإذا رميت ببصرك هناك في الجنة رأيت نعيمًا لا يوصف وملكًا كبيرًا لا يقادر قدره. ٢١- السندس هو الحرير الرقيق، والاستبرق ما غلظ من الديباج يلبسون ما تميل إليه نفوسهم من =

وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ
هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ
خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا
﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾
وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾
يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾

سُورَةُ المُرْسَلَات

ترتيبها ٧٧ — آياتها ٥٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾
فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا
تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ
﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ
﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْءَاخِرِينَ
﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾

= أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابًا طهورًا قال أبو قلابة وإبراهيم النخعي: يؤتون بالطعام، فإذا كان آخره أتوا بالشراب الطهور، فيشربون، فتضمر بطونهم من ذلك ويفيض عرق أبدانهم مثل ريح المسك. ٢٢- أي: يقال لهم: إن هذا الذي ذكر من أنواع النعم كان لكم جزاء بأعمالكم، أي: ثوابًا لها وشكر الله سبحانه لعمل عبده هو قبوله لطاعته. ٢٣- أي: فرقناه في الإنزال ولم ننزله جملة واحدة، ولم تأت به من عندك كما يدعيه المشركون. ٢٤- ومن حكمه وقضائه تأخير نصرك إلى أجل اقتضته حكمته ولا تطع أحدًا منهم، من مرتكب لإثم أو غال في كفر، وقيل: المراد بقوله ﴿ءَاثِمًا﴾: عتبة بن ربيعة، وبقوله: ﴿أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾﴾ الوليد بن المغيرة، لأنهما قالا للنبي ﷺ: ارجع عن هذا الأمر ونحن نرضيك بالمال والتزويج. ٢٥- وصل لربك أول النهار وآخره، فأول النهار: صلاة الصبح، وآخره: صلاة العصر. ٢٧- يعني: كفار مكة ومن هو موافق لهم، يحبون الدار العاجلة، وهي دار الدنيا ويذرون وراءهم يومًا ثقيلاً وهو يوم القيامة، وسمي ثقيلاً لما فيه من الشدائد والأهوال، فهم لا يستعدون له ولا يعبأون به. ٢٨- أي: شددنا أوصالهم بعضًا إلى بعض بالعروق والعصب ولو شئنا لأهلكناهم وجئنا بأطوع لله منهم. ٢٩- يعني: هذه السورة تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلًا بالإيمان والطاعة. ٣٠- أي: وما تشاءون أن تتخذوا إلى الله سبيلًا إلا أن يشاء الله، فالأمر إليه سبحانه ليس إليهم، والخير والشر بيده، فمشيئة العبد مجردة لا تأتي بخير ولا تدفع شرًّا، إلا أن أذن الله بذلك. ٣١- أي: يدخل في رحمته من يشاء أن يدخله فيها، أو يدخل في جنته من يشاء من عباده.

سُورَةُ المُرْسَلَات

هي مكية قاله ابن عباس وغيره. ١- أقسم سبحانه بالملائكة المرسلة بوحيه وأمره ونهيه. ٢- هي: الملائكة الموكلون بالرياح يعصفون بها، وقيل: يعصفون بروح الكافر، وقيل: المرسلات والعاصفات الريح ترسل عاصفة لما أمرت به من نعمة ونقمة، وهي الناشرات تنشر السحاب وتفرقه. ٣- الملائكة الموكلون بالسحاب ينشرونها أو ينشرون أجنحتهم في الجو عند النزول بالوحي. ٤- يعني: الملائكة تأتي بما يفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام. ٥- هي الملائكة أي: تلقي الوحي إلى الأنبياء وقيل: الثلاثة الأول للرياح، والرابع والخامس للملائكة. ٦- المعنى: أن الملائكة تلقي الوحي إعذارًا من الله إلى خلقه وإنذارًا من عذابه، وقيل: عذرًا للمحقين ونذرًا للمبطلين. ٧- أي: إن الذي توعدونه من مجيء الساعة والبعث كائن لا محالة، ثم بين سبحانه متى يقع ذلك، فقال: ٨- أي: محي نورها وذهب ضوؤها. ٩- أي: فتحت وشقت. ١٠- أي قلعت من مكانها وطارت في الجو هباء فاستوى مكانها بالأرض. ١١- أي: جعل لها وقت للفصل والقضاء بينهم وبين الأمم. ١٢- أي: ليوم عظيم يعجب العباد منه لشدته ومزيد أهواله ضرب الأجل للرسل لجمعهم، يحضرون فيه للشهادة على أممهم. ١٣- أي: يفصل فيه بين الناس بأعمالهم فيفرقون إلى الجنة والنار. ١٤- أي: وما أعلمك بيوم الفصل؟ يعني: أنه أمر =

أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ
مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾
أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ
شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾
ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ
شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ
كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾
هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ
لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى
ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا
بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ
يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

= هائل لا يقادر قدره. ١٥- أي: ويل لهم في ذلك اليوم الهائل، والويل تهديد بالهلاك. ١٦- أي: الكفار من الأمم الماضية من لدن آدم إلى محمد ﷺ يعني بالعذاب في الدنيا حين كذبوا رسلهم. ١٧- يعني: كفار مكة، ومن وافقهم حين كذبوا محمدًا ﷺ. ١٨- أي: مثل ذلك الإهلاك نفعل بكل مشرك غما في الدنيا أو في الآخرة. ١٩- أي: ويل يوم ذلك الإهلاك للمكذبين بكتب الله ورسله. ٢٠- أي: ضعيف حقير، وهو النطفة. ٢١- مكان حريز، وهو الرحم. ٢٢- وهو مدة الحمل. ٢٣- أي: فقدّر الله تعالى ونعم المقدر. ٢٤- أي: فبعدًا وهلاكًا للمكذبين بيوم الدين. ٢٥- المعنى: ألم نجعل الأرض ضامة للأحياء على ظهرها في منازلهم، والأموات في بطنها تضمهم وتجمعهم. ٢٦- وقال الخليل: الكفت تقليب الشيء ظهرًا لبطن أو بطنًا لظهر فهم يكونون من تراب الأرض، ثم يعيشون على ظهرها أحياء، ثم ينقلبون فيها أمواتًا. ٢٧- أي: وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماء عذبًا، وهذا كله أعجب من البعث. ٢٨- أي: بما أنعمنا عليهم من نعمنا التي هذه من جملتها. ٢٩- أي: في الدنيا، تقول لهم ذلك خزنة جهنم، أي: سيروا إلى ما كنتم تكذبون به من العذاب. ٣٠- أي: إلى ظل من دخان جهنم قد سطع، ثم افترق ثلاث فرق، تكونون فيه حتى يفرغ الحساب. ٣١- أي: ليس فيه برد ظلال الدنيا ولا يردُّ حرَّ جهنم عنكم. ٣٢- أي: كل شرارة من شررها التي ترمي بها كالقصر من القصور في عظمها. والشرر ما تطاير من النار متفرقًا، والقصر البناء العظيم. ٣٣- وهي الإبل. قال الفراء: الصفر سود الإبل، لا يرى أسود من الإبل إلا وهو مشرب صفرة، لذلك سمت العرب سود الإبل صفرًا، قيل: والشرر إذا تطاير وسقط وفيه بقية من لون النار أشبه شيء بالإبل السود. ٣٤- أي: لرسل الله وآياته. ٣٥- أي: لا يتكلمون لهول ما يرون مما وقع بالعباد في المحشر. ٣٦- أي: لا يأذن الله لهم، فيكون لهم اعتذار. ٣٨- أي: ويقال لهم: هذا يوم الفصل الذي يفصل فيه بين الخلائق، ويتميز فيه الحق من الباطل، جمعناكم يا معشر كفار قريش فيه مع الكفار الأولين، وهم كفار الأمم الماضية. ٣٩- أي: وإن كان لكم يا معشر الكفار حيلة في النجاة أو لديكم القدرة على المكر فيتحداهم الله قائلاً: فأروني على أي شيء تقدرون؟ ٤١- أي: في ظلال الأشجار وظلال القصور، لا كالظل الذي للكفار من الدخان، أو من النار كما تقدم. ٤٢- وفواكه مما تطلبه أنفسهم وتستدعيه شهواتهم. ٤٣- كلوا واشربوا هنيئًا بسبب ما كنتم تعملونه في الدنيا من الأعمال الصالحة. ٤٤- أي: مثل ذلك الجزاء العظيم نجزي المحسنين في أعمالهم. ٤٥- أي: حيث صاروا في شقاء عظيم، وصار المؤمنون في نعيم مقيم. ٤٦- أي: يقال لهم هذا في الدنيا، والمجرمون المشركون بالله. ٤٧- أي: كرره لزيادة التوبيخ والتقريع. ٤٨- أي: وإذا أمروا بالصلاة لا يصلون. وقيل: إنما يقال لهم ذلك في الآخرة حين يدعون إلى السجود فلا يستطيعون. ٤٩- ويل يومئذ للمكذبين بأوامر الله سبحانه ونواهيه. ٥٠- أي: فبأي حديث غير القرآن يصدقون إذا لم يؤمنوا به؟ .

سورة النبإ

ترتيبها ٧٨ — آياتها ٤٠

بسم الله الرحمن الرحيم

عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾
كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾
وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا
﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا
فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا
مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ
أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ
فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ
ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ
مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا
﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟
لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ
أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

سورة النبإ

هي مكية عند الجميع. ١- لما بعث رسول الله ﷺ وأخبرهم بتوحيد الله والبعث بعد الموت، وتلا عليهم القرآن جعلوا يتساءلون بينهم، يقولون: ماذا حصل لمحمد، وما الذي أتى به؟ فأنزل الله هذه الآية. والمعنى: عن أي شيء يسأل بعضهم بعضًا؟ثم أجاب الله سبحانه عن هذا السؤال بقوله: ٢- ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾﴾ هو الخبر الهائل، وهو القرآن العظيم، لأنه ينبئ عن التوحيد، وتصديق الرسول، ووقوع البعث والنشور. ٣- أي: اختلفوا في القرآن، فجعله بعضهم سحرًا، وبعضهم شعرًا، وبعضهم كهانة، وبعضهم قال: هو أساطير الأولين. ٤- ردع لهم وزجر، ثم كرر الردع والزجر. ٥- للمبالغة في التأكيد والتشديد في الوعيد، أي: لا ينبغي أن يختلفوا في شأن القرآن، فهو حق، ولذا سيعلم الذين يكفرون به عاقبة تكذيبهم. ٦- المهاد الوطاء والفراش، كالمهد للصبي، وهو ما يمهد له فينوَّم عليه. ٧- أي: جعلناها كالأوتاد للأرض لتسكن ولا تتحرك. ٨- أي: الذكور والإناث.٩- أي: راحة لأبدانكم. والسبات: أن ينقطع عن الحركة والروح في بدنه. ١٠- أي: نلبسكم ظلمته ونغشيكم بها كما يغشيكم اللباس. ١١- أي: وجعلنا النهار مضيئًا ليسعوا فيما يقوم به معاشهم وما قسمه الله لهم من الزرق. ١٢- يريد سبع سماوات قوية الخلق محكمة البناء. ١٣- المراد به: الشمس، جعل فيها نورًا وحرارة، والوهج يجمع النور والحرارة. ١٤- المعصرات هي السحاب التي تنعصر بالماء ولم تمطر بعد، والثجاج: المنصب بكثرة. ١٥- أي: لنخرج بذلك الماء حبًا يقتات، كالحنطة والشعير ونحوهما. والنبات ما تأكله الدواب من الحشيش وسائر النبات. ١٦- أي: بساتين ملتف بعضها ببعض لتشعب أغصانها. ١٧- أي: إن يوم الفصل كان وقتًا ومجمعًا وميعادًا للأولين والآخرين، يصلون فيه إلى ما وعدوا به من الثواب والعقاب، وسمي يوم الفصل لأن الله يفصل فيه بين خلقه. ١٨- وهو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل فتأتون إلى موضع العرض زمرًا زمرًا، وجماعات جماعات.١٩- أي: لنزول الملائكة فصارت ذات أبواب كثيرة.٢٠- أي: سيرت عن أماكنها في الهواء. وقلعت عن مقارها، فكانت هباء منبثًا يظن الناظر أنها سراب. ٢١- أي: إن جهنم كانت في حكم الله وقضائه موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار ليعذبوهم فيها، أو هي في نفسها متطلعة لمن يأتي إليها من الكفار كما يتطلع الرصد لمن يمر به ويأتي إليه. ٢٢- أي: مرجعًا يرجعون إليه، والمآب المرجع. ٢٣- أي: ماكثين في النار ما دامت الدهور، والحقب: القطعة الطويلة من الزمان، إذا مضى حقب دخل آخر، ثم آخر ثم كذلك إلى الأبد. ٢٤- أي: لا يذوقون في جهنم أو في الأحقاب بردًا ينفعهم من حرها، ولا شرابًا ينفعهم من عطشها. ٢٥- ولا يشربون إلا الماء الحار وصديد أهل النار. ٢٦- أي: وافق العذاب الذنب فلا ذنب أعظم من الشرك ولا عذاب أعظم من النار، وقد كانت أعمالهم سيئة، فأتاهم الله بما يسوؤهم. ٢٧- أي: قد كانوا لا يطمعون في ثواب ولا يخافون من حساب لأنهم كانوا لا يؤمنون بالبعث. ٢٨- أي: كذبوا بالآيات القرآنية تكذيبًا شديدًا. ٢٩- أي: كتبناه في اللوح المحفوظ لتعرفه الملائكة. وقيل: أراد ما كتبه الحفظة على العباد من أعمالهم. ٣٠- يقال: لهم هذا لكفرهم وتكذيبهم بالآيات =

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا
دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً
حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ
مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ
إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن
شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ
يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

ترتيبها ٧٩ — آياتها ٤٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا
﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ
﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَٰرُهَا
خَٰشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا
عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ
وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾

= وقبائح أفعالهم أي: فهم في مزيد من عذاب الله أبدًا. ٣١- المفاز: الفوز والظفر بالمطلوب والنجاة من النار. ٣٣- أي: لهم نساء كواعب، أي: أثداؤهن قائمة على صدورهن لم تتكسر، فهن عذارى نواهد متساويات في السن. ٣٤- أي: مترعة مملوءة بالخمر. ٣٥- أي: لا يسمعون في الجنة لغوًا، وهو الباطل من الكلام، ولا يكذب بعضهم بعضًا. ٣٦- أي: جازاهم بما تقدم ذكره، على إيمانهم وصالح أعمالهم أن أعطاهم عطاء بقدر ما وجب لهم في وعد الرب سبحانه، فإنه وعد للحسنة عشرًا، ووعد لقوم سبعمائة ضعف، ووعد لقوم جزاء لا نهاية له ولا مقدار. ٣٧- أي: لا يقدرون أن يسألوا إلا فيما أذن لهم فيه، ولا يملكون الشفاعة إلا بإذنه. ٣٨- أي: مصطفين. والروح هنا ملك من الملائكة، وقيل: هو جبريل، وقيل: الروح جند من جنود الله ليسوا ملائكة، وقيل: هم أرواح بني آدم تقوم صفًا، وتقوم الملائكة صفًا، وذلك بين النفختين قبل أن ترد إلى الأجسام إلا من أذن له الرحمن بالشفاعة، أو لا يتكلمون إلا في حق من أذن له الرحمن وكان ذلك الشخص ممن قال في الدنيا بالتوحيد. ٣٩- ذلك يوم قيامهم على تلك الصفة هو الكائن الواقع المتحقق فمن شاء اتخذ إلى ربه مرجعًا يرجع إليه بالعمل الصالح. ٤٠- يوم يشاهد ما قدمه من خير أو شر ويتمنى الكافر أن يكون ترابًا، لما يشاهده مما أعده الله له من أنواع العذاب.

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

هي مكية بلا خلاف وتسمى سورة الساهرة. ١- أقسم سبحانه بالملائكة التي تنزع أرواح العباد عن أجسادهم، كما ينزع النازع في القوس فيبلغ بها غاية المد، وإغراقًا في النزع حيث تنزعها من أقاصي الأجساد. ٢- أي: تنشط النفوس، أي: تخرجها من الأجساد جذبًا بقوة، والنَّشطُ: الجذب بسرعة، وقيل: الناشطات لأرواح المؤمنين، والنازعات لأرواح الكافرين. ٣- أي: الملائكة ينزلون من السماء مسرعين لأمر الله. ٤- هي: الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة. ٥- تدبير الملائكة للأمر نزولها بالحلال والحرام وتفصيلهما، وبتدبير أهل الأرض في الرياح والأمطار وغير ذلك. ٦- وهي النفخة الأولى التي يموت بها جميع الخلائق. ٧- الرادفة: النفخة الثانية التي يكون عندها البعث. ٨- والواجفة: المضطربة القلقة، لما عاينت من أهوال يوم القيامة، فهي قلقة مستوفزة. ٩- أي: تظهر في أعينهم الذلة والخضوع عند معاينة أهوال يوم القيامة، يريد أبصار من مات على غير الإسلام. ١٠- هذا يقوله المنكرون للبعث إذا قيل لهم إنكم تبعثون، أي: أنرد إلى أول حالنا وابتداء أمرنا، فنصير أحياء بعد موتنا، وبعد كوننا في حفر القبور؟ ١١- أي: أئذا كنا عظامًا بالية نرد ونبعث مع كونها أبعد شيء من الحياة؟ ١٢- أي: إن رددنا بعد الموت لنخسرن بما يصيبنا مما يقوله محمد. ١٣- المعنى: لا تستبعدوا ذلك، فإنما هي زجرة واحدة، وهي النفخة الثانية التي يكون البعث بها. ١٤- قيل: الساهرة أرض بيضاء يأتي بها الله سبحانه فيحاسب عليها الخلائق. ١٥- أي: قد =

إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾
فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ
الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ
فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ
﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا
﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾
وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾
وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ
الْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ
لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ
هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ
﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا
﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ
مَن يَخْشَاهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿٤٦﴾

سُورَةُ عَبَسَ

ترتيبها ٨٠ — آياتها ٤٢

= جاءك وبلغك من قصص فرعون وموسى ما يعرف به حديثها. ١٦- أي: إذ ناداه ربه بالواد المبارك المطهر في جبل سيناء. ١٧- أي: جاوز الحد في العصيان والتكبر والكفر بالله. ١٨- أي: قل له بعد وصولك إليه: هل لك رغبة إلى التزكي وهو التطهر من الشرك؟ أُمِرَ موسى بمُلايَنتِه. ١٩- أي: أرشدك إلى عبادته وتوحيده، فتخشى عقابه. والخشية لا تكون إلا من مهتد راشد. ٢٠- فقيل: هي العصا، وقيل: يده. ٢١- فكذب بموسى وبما جاء به وعصى الله عز وجل فلم يطعه. ٢٢- أي: تولى وأعرض عن الإيمان وسعى يعمل بالفساد في الأرض، ويجتهد في معارضة ما جاء به موسى. ٢٣- أي: فجمع جنوده للقتال والمحاربة، أو جمع السحرة للمعارضة، أو جمع الناس للحضور ليشاهدوا ما يقع. ٢٤- أراد اللعين أنه لا رب فوقه. ٢٥- أي: أخذه الله فنكله نكال الآخرة وهو عذاب النار، ونكال الأولى، وهو عذاب الدنيا بالغرق، ليتعظ به من يسمع خبره. ٢٦- أي: فيما ذكر من قصة فرعون وما فعل به عبرة عظيمة لمن شأنه أن يخشى الله ويتقيه. ٢٧- أي: أخلقكم بعد الموت وبعثكم أشد عندكم وفي تقديركم أم خلق السماء؟ لأن من قدر على خلق السماء التي لها هذا الجرم العظيم، وفيها من عجائب الصنع وبدائع القدرة ما هو بيِّن للناظرين، كيف يعجز عن إعادة الأجسام التي أماتها بعد أن خلقها أول مرة؟ ٢٨- أي: جعلها كالبناء المرتفع فوق الأرض فجعلها مستوية الخلق معدلة الشكل لا تفاوت فيها ولا اعوجاج ولا فطور ولا شقوق. ٢٩- أي: جعله مظلمًا وأبرز نهارها المضيء بإضاءة الشمس. ٣٠- أي: بعد خلق السماء بسطها. ٣١- أي: فجر من الأرض الأنهار والبحار والعيون، وأخرج منها مرعاها، أي النبات الذي يرعى. ٣٢- أي: وجعلها كالأوتاد للأرض لئلا تميد بأهلها. ٣٤- أي: الداهية العظمى التي تطم على سائر الطامات، وهي النفخة الثانية التي تسلم أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار. ٣٥- يتذكر ما عمله من خير أو شر، لأنه يشاهده مدونًا في صحائف عمله. ٣٦- أي: أظهرت إظهارًا لا يخفى على أحد. قال مقاتل: «يكشف عنها الغطاء فينظر إليها الخلق» فأما المؤمن فيعرف برؤيتها قدر نعمة الله عليه بالسلامة منها، وأما الكافر فيزداد غمًّا إلى غمه، وحسرة إلى حسرته. ٣٧- أي: جاوز الحد في الكفر والمعاصي. ٣٨- أي: قدمها على الآخرة ولم يستعد لها ولا عمل عملها. ٣٩- أي: فإن الجحيم هي مستقره وبئس المصير. ٤٠- أي: حذر موقفه بين يدي ربه يوم القيامة وزجر نفسه عن الميل إلى المعاصي والمحارم التي تشتهيها. ٤١- أي: الذي ينزله، والمكان الذي يأوى إليه لا غيرها. ٤٢- أي: متى وصولها ووقوعها؟ كرسو السفينة. ٤٣- أي: في أي شيء أنت يا محمد من ذكر القيامة والسؤال عنها؟ والمعنى: لست في شيء من علمها وذكرها إنما يعلمها الله سبحانه. ٤٤- أي: منتهى علمها، فلا يوجد علمها عند غيره، فكيف يسألونك ويطلبون منك بيان وقت قيامها؟ ٤٥- أي: مخوف لمن يخشى قيام الساعة. ٤٦- أي: إلا قدر آخر نهار أو أوله، أو قدر الضحى الذي يلي تلك العشية، والمراد تقليل مدة الدنيا في نفوسهم إذا رأوا أهوال القيامة.

ربع الحزب ٥٩

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ٣ أَوۡ
يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ٦
وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ٩ فَأَنتَ
عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ١٢ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ
١٣ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ١٤ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ١٥ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ١٦ قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ
مَآ أَكۡفَرَهُۥ ١٧ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ١٨ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ١٩ ثُمَّ
ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ٢١ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ٢٢ كَلَّا لَمَّا
يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ ٢٣ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ٢٤ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا
٢٥ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ٢٦ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ٢٧ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ٢٨
وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ٣٠ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ٣١ مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ
وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ٣٢ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ٣٣ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ٣٤
وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ٣٦ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ
يُغۡنِيهِ ٣٧ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ٣٨ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ٣٩ وَوُجُوهٞ
يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ٤٠ تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ ٤١ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ ٤٢

سورة عبس

هي مكية في قول الجميع. ١- أي: كلح النبي ﷺ بوجهه وأعرض. ٢- أي: لأن جاءه الأعمى. سبب نزول السورة أن قومًا من أشراف قريش كانوا عند النبي ﷺ وقد طمع في إسلامهم، فأقبل إليه رجل أعمى هو عبد الله بن أم مكتوم، فكره رسول الله ﷺ أن يقطع عليه ابن أم مكتوم كلامه، فأعرض عنه، فنزلت. ٣- وما يدريك يا محمد لعل الأعمى يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح بسبب ما يتعلمه منك. ٤- أي: يتذكر فيتعظ بما تعلمه من المواعظ فتنفعه الموعظة. ٥- أي: كان ذا ثروة وغنى، أو استغنى عن الإيمان وعما عندك من العلم. ٦- أي: تقبل عليه بوجهك وحديثك وهو يظهر الاستغناء عنك والإعراض عما جئت به. ٧- أي: أي شيء عليك في ألا يسلم ولا يهتدي، فإنه ليس عليك إلا البلاغ، فلا تهتم بأمر من كان هكذا من الكفار. ٨- أي: وصل إليك مسرعًا في المجيء إليك طالبًا منك أن ترشده إلى الخير وتعظه بمواعظ الله. ٩- أي: يخاف الله تعالى. ١٠- أي: تتشاغل عنه وتعرض وتتغافل. ١١- أي: لا تفعل بعد هذا الواقع منك مثله من الإعراض عن الفقير، والتصدي للغني والتشاغل به مع كونه ليس ممن يتزكى، والقبول للموعظة إن هذه الآيات، أو السورة، موعظة حقها أن تتعظ بها وتقبلها وتعمل بموجبها، ويعمل بها كل أمتك. ١٢- أي: فمن رغب فيها اتعظ بها وحفظها وعمل بموجبها. ١٣- أي: إنها تذكرة كائنة في صحف مكرمة عند الله لما فيها من العلم والحكمة، أو لأنها نازلة من اللوح المحفوظ. ١٤- رفيعة القدر عند الله منزهة لا يمسها إلا المطهرون، مصونة عن الشياطين والكفار لا ينالونها. ١٥- السفرة هنا الملائكة الذين يسفرون بالوحي بين الله ورسوله، من السفارة، وهي السعي بين القوم. ١٦- أي: كرام على ربهم، كرام عن المعاصي أتقياء مطيعون لربهم، صادقون في إيمانهم. ١٧- أي: لعن الإنسان الكافر ما أشد كفره. ١٨- أي: من أي شيء خلق الله هذا الكافر؟ ١٩- أي: من ماء مهين، فكيف يتكبر من خرج من مخرج البول مرتين؟ فسواه وهيأه لمصالح نفسه، وخلق له اليدين والرجلين والعينين وسائر الآلات والحواس. ٢٠- أي: يسر له الطريق إلى تحصيل الخير أو الشر. ٢١- أي: جعله ذا قبر يوارى فيه إكرامًا له، ولم يجعله مما يلقى على وجه الأرض تأكله السباع والطير. ٢٢- أي: ثم إذا شاء الله إنشاره أحياه بعد موته، أي: في الوقت الذي يريده الله تعالى. ٢٣- بل أخلّ به بعضهم بالكفر، وبعضهم بالعصيان، وما قضى ما أمره الله إلا القليل. ٢٤- أي: لينظر كيف خلق الله طعامه الذي جعله سببًا لحياته؟ ٢٦- أي: شققناها بالنبات الخارج منها بسبب نزول المطر شقًا بديعًا لائقًا بما يخرج منه في الصغر والكبر والشكل والهيئة. ٢٧- يعني: الحبوب التي يتغذى بها، والمعنى: أن النبات لا يزال ينمو ويتزايد إلى أن يصير حبًا. ٢٨- القضب هو القت الرطب الذي تعلف به الدواب. ٣٠- النخل الغُلْب هي النخل الكرام الغلاظ الجذوع. ٣١- الأبّ: كل ما أنبتت الأرض مما لا يأكله الناس ولا يزرعونه من الكلأ وسائر أنواع المرعى. ٣٣- يعني: صيحة يوم القيامة التي تصخ الآذان، أي: تصمها فلا تسمع. ٣٤-٣٦- وهؤلاء أخص القرابة، وأولاهم بالحنو والرأفة، فالفرار منهم لا يكون إلا لهول عظيم، وخطب فظيع. ٣٧- أي: لكل =

سُورَةُ التَّكْوِيرِ
ترتيبها ٨١ — آياتها ٢٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ
سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ
﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا
ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ
﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ
أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾
ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾
إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ
ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ
﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾
فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن
يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾

سُورَةُ الانفِطَارِ
ترتيبها ٨٢ — آياتها ١٩

٥٨٦

= امرئ منهم يومئذ شأن يشغله عن الأقرباء ويصرفه عنهم، ويفر عنهم حذرًا من مطالبتهم إياه بما بينهم، ولئلا يروا ما هو فيه من الشدة. ٣٨- أي: وجوه يومئذ مشرقة مضيئة، وهي وجوه المؤمنين، لأنهم قد علموا إذ ذاك ما لهم من النعيم والكرامة. ٤٠- أي: غبار وكدورة، لما تراه مما أعدَّه الله لها من العذاب. ٤١- أي: يغشاها سواد وكسوف وذلة وشدَّة. ٤٢- يعني: أصحاب الوجوه المغبرة هم الكفرة الفجرة هم الفاسقون الكاذبون.

سُورَةُ التَّكْوِيرِ

هي مكية بلا خلاف. ١- أي: كورت مثل شكل الكرة، تلف فتجمع فيرمى بها. ٢- أي: تهافتت وانقضت وتناثرت، وقيل: انكدارها طمس نورها. ٣- أي: قلعت عن الأرض، وسُيِّرت في الهواء. ٤- العشار النوق الحوامل التي في بطونها أولادها، وخص العشار لأنها أنفس مال عند العرب، وأعزُّه عندهم. ومعنى عطلت: تركت هملاً بلا راع، وذلك لما شاهدوا من الهول العظيم. ٥- الوحوش غير المستأنس من دواب البرِّ، ومعنى حشرت: بعثت حتى يقتصّ لبعضها من بعض، وقيل: حشرها موتها.٦- أي: أوقدت فصارت نارًا تضطرم. ٧- أي: زوّجت نفوس المؤمنين بالحور العين، وقرنت نفوس الكافرين بالشياطين، وقال الحسن: ألحق كل امرئ بشيعته: اليهود باليهود، والنصارى بالنصارى، والمجوس بالمجوس، وكل من كان يعبد شيئًا من دون الله يلحق بعضهم ببعض، والمنافقون بالمنافقين. ويلحق المؤمنون بالمؤمنين. ٨، ٩- أي: المدفونة حيَّة، وقد كانت العرب إذا ولدت لأحدهم بنت دفنها حية مخافة العار أو الحاجة، يوبِّخ قاتلها، لأنها قتلت بغير ذنب فعلته. ١٠- يعني: صحائف الأعمال نشرت للحساب. ١١- أي: تشققت وأزيلت. ١٢- أوقدت لأعداء الله إيقادًا شديدًا، قال قتادة: سعَّرها غضب الله وخطايا بني آدم. ١٣- أي: قربت إلى المتقين وأدنيَتْ منهم. قيل: هذه الأمور الاثنا عشر: ستّ منها في الدنيا، وهي من أوّل السورة إلى قوله: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾﴾ وست في الآخرة وهي ﴿وإذا النفوس زوجت﴾ إلى هنا، وجواب الجميع قوله. ١٤- المراد: علمت كل نفس ما أحضرته عند نشر الصحف، يعني: ما عملت من خير أو شر. ١٥- وهي الكواكب: تخنس بالنهار فتختفي تحت ضوء الشمس ولا ترى، وهي زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد، كما ذكره أهل التفسير. ١٦- أي: تجري في أفلاكها وتكنس في وقت غروبها خلف الأفق، والكُنّس: مأخوذ من الكِناس الذي يختفي فيه الوحش. ١٧- ثم يقسم الله تعالى بالليل عند إدباره. ١٨- أي: والصبح عند إقباله. ١٩- وهذا جواب القسم يعني: جبريل لكونه نزل بالقرآن من جهة الله سبحانه إلى رسوله ﷺ. ٢٠- أي: هو ذو رفعة عالية ومكانة مكينة عند الله سبحانه. ٢١- مطاع بين الملائكة يرجعون إليه ويطيعونه، مؤتمن على الوحي وغيره. ٢٢- وما محمد يا أهل مكة بمجنون. وذكره بوصف الصحبة للإشعار بأنهم عالمون بأمره وبأنه أعقل الناس وأكملهم. ٢٣- أي قد رأى محمد جبريل بمطلع الشمس من قبل المشرق، في صورته، له ستمائة جناح. ٢٤- أي: وما محمد ﷺ على خبر السماء ببخيل ولا يقصر في التبليغ، بل يعلم الخلق كلام الله وأحكامه. ٢٥- أي: وما القرآن بقول شيطان من الشياطين المسترقة للسمع المرجومة بالشهب، =

نصف الحزب ٥٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ
فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ
وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي
خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾
كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا
كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ
الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ
﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ
﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾

ترتيبها ٨٣ — سُورَةُ المُطَفِّفِينَ — آياتها ٣٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾
وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم
مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾

٥٨٧

= فالقرآن ليس بشعر ولا كهانة كما قالت قريش. ٢٦- أي طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة التي قد بينت لكم. ٢٧- أي: ما القرآن إلا موعظة للخلق أجمعين وتذكير لهم. ٢٨- لمن شاء منكم أن يستقيم على الحق والإيمان والطاعة. ٢٩- أي: وما تشاءون الاستقامة ولا تقدرون على ذلك إلا بمشيئة الله وتوفيقه.

سُورَةُ الانفِطَارِ

هي مكيه بلا خلاف. ١- انفطارها: انشقاقها لنزول الملائكة منها. ٢- أي تساقطت متفرقة. ٣- أي فجر بعضها في بعض فصارت بحرا واحدا، واختلط العذب منها بالمالح. وهذه الأشياء بين يدي الساعة كما تقدم في السورة التي قبل هذه. ٤- أي قُلِبَ ترابها، وأخرج الموتى الذين هم فيها. ٥- أي علمت عند نشر الصحف ما قدّمت من عمل خير أو شر، وما أخرت من سنة حسنة أو سيئة. ٦- أي ما الذي غرك وخدعك حتى كفرت بربك الكريم الذي تفضل عليك في الدنيا بإكمال خلقك وحواسك، وجعلك عاقلا فاهما، ورزقك وأنعم عليك بنعمه التي لا تقدر على جحد شيء منها. قيل غرَّه عفو الله إذ لم يعاجله بالعقوبة أول مرة. ٧- الذي خلقك من نطفة ولم تك شيئا فسواك رجلا تسمع وتبصر وتعقل فجعلك معتدلا قائما حسن الصورة، وجعل أعضاءك متعادلة لا تفاوت فيها. ٨- أي ركبك في أي صورة شاءها من الصور المختلفة، وأنت لم تختر صورة نفسك. ٩- ﴿كَلَّا﴾ للردع والزجر عن الاغترار بكرم الله وَجَعْلِهِ ذريعة إلى الكفر به بل تكذبون بالجزاء، أو بدين الإسلام. ١٠، ١١- هم الملائكة الحفظة. ١٢- يقول: إنكم تكذبون بيوم الدين وملائكة الله موكلون بكم، يكتبون أعمالكم حتى تحاسبوا بها يوم القيامة. ١٥- أي يوم الجزاء الذي كانوا يكذبون به، يلزمونها مقاسين لوهجها وحرها يومئذ. ١٦- أي لا يفارقونها أبدا ولا يغيبون عنها، بل هم فيها أبد الآبدين. ١٨- أي يوم الجزاء والحساب، كرره تعظيما لقدره وتفخيما لشأنه، وتهويلا لأمره. ١٩- أي لا يملك أحد كائنا من كان لنفس أخرى شيئا من المنفعة، فليس ثم أحد يقضي شيئا، أو يصنع شيئا، إلا الله رب العالمين، والله لا يملك أحدا في ذلك اليوم شيئا من الأمور كما ملكهم في الدنيا.

سُورَةُ المُطَفِّفِينَ

في قول ابن عباس هي مكية في قول ابن مسعود، ومدنية في قول الحسن إلا ثمان آيات من قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ عن ابن عباس قال: لما قدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً، فأنزل الله ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝﴾ فأحسنوا الكيل بعد ذلك. ١- التطفيف: الأخذ في الكيل أو الوزن شيئا طفيفا، أي نزرا حقيرا. فالمطفف هو المقلل حق صاحبه بنقصانه عن الحق في كيل أو وزن. وربما كان لأحدهم صاعان يكيل للناس بأحدهما ويكتال لنفسه بالآخر. ٢- يعني: الذين إذا اشتروا لأنفسهم استوفوا في الكيل والوزن. ٣- أي وإذا كالوا لغيرهم من الناس ينقصون الكيل، وإذا وزنوا لغيرهم من الناس ينقصون الوزن. ٤- المعنى أنهم لا يخطرون ببالهم أنهم =

كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ
مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾
وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ
عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ
هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ
﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ
﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى
وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾
خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ
مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ
يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾
وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ
حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾

= مبعوثون فمسؤولون عما يفعلون، فهلا ظنوه حتى يتدبروا فيه ويبحثوا عنه، ويتركوا ما يخشون من عاقبته. ٥- هو يوم القيامة، عظيم لما فيه من الأمور العظام، من البعث والحساب والعقاب، ودخول أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار. ٦- يقومون واقفين منتظرين لأمر رب العالمين، أو لجزائه، أو لحسابه، دلالة على عظم ذنب التطفيف، ومزيد إثمه وفظاعة عقابه. ٧- أي إن الفجار ومنهم المطففون مكتوبون في سجل أهل النار، أو: في حبس وضيق شديد. ٩- أي ذلك الكتاب الذي رصدت فيه أسماؤهم كتاب مسطور. وقيل: هو كتاب جامع لأعمال الشر الصادر من الشياطين والكفرة والفسقة. وقيل: سجين هي في الأصل سجيل، مشتق من السجل، وهو الكتاب. ١٠- أي ويل يوم القيامة لمن وقع منه التكذيب بالبعث وبما جاء به الرسل. ١١- أي لأنهم لا يؤمنون به ويستبعدون حدوثه. ١٢- أي وما يكذب به إلا كل فاجر جائر متجاوز في الإثم منهمك في أسبابه. ١٣- إذا تتلى عليه آياتنا المنزلة على محمد ﷺ قال إنما أحاديثهم وأباطيلهم التي زخرفوها. ١٤- كلا للردع والزجر للمعتدي الأثيم عن ذلك القول الباطل وتكذيب له بل كثرت منهم المعاصي والذنوب فأحاطت بقلوبهم، فذلك الرين عليها. قال الحسن: هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب، ويسودّ من الذنوب، والطبع أن يطبع على القلب، وهو أشد من الرين. وأخرج أحمد والترمذي وصححه والنسائي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: **«إن العبد إذا أذنب ذنبا نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه، وإن عاد زادت حتى تغلف قلبه، فذلك الران الذي ذكره الله سبحانه في القرآن»**. ١٥- يعني الكفار، محجوبون عن ربهم يوم القيامة، لا ينظرون إليه كما ينظر المؤمنون، فكما حجبهم في الدنيا عن توحيده حجبهم في الآخرة عن رؤيته، ١٦- أي داخلو النار وملازموها غير خارجين منها، وصلي الجحيم أشد من الإهانة وحرمان الكرامة. ١٧- أي تقول لهم خزنة جهنم تبكيتا وتوبيخا: هذا الذي كنتم به تكذبون في الدنيا، فانظروه وذوقوه. ١٨- أي إن كتاب أعمال الأبرار في عليين وهي الجنة، أو أعالي الجنة، والأبرار هم المطيعون. ١٩- أي وما أعلمك يا محمد أي شيء عليون، على جهة التفخيم والتعظيم لعليين. ٢٠- أي الكتاب الذي فيه أسماؤهم كتاب مسطور. ٢١- المعنى: أن الملائكة يحضرون ذلك الكتاب المرقوم ويرونه، وقيل: يشهدون بما فيه يوم القيامة. ٢٢- أي إن أهل الطاعة لفي تنعم عظيم لا يقادر قدره. ٢٣- الأرائك: الأسرة التي في الحجال، ولا تطلق الأريكة على السرير إلا إذا كان في حجلة وهي الكلة ينظرون إلى ما أعد الله لهم من الكرامات، وقيل: ينظرون إلى وجهه جل جلاله. ٢٤- أي إذا رأيتهم عرفت أنهم من أهل النعمة، لما تراه في وجوههم من النور والحسن والبياض، والبهجة والرونق، وذلك أن الله زاد في جمالهم وفي ألوانهم ما لا يصفه واصف. ٢٥- الرحيق: من الخمر ما لا غش فيه ولا شيء يفسده، والمختوم الذي له ختام، فهو ممنوع من أن تمسه يد إلى أن يفك ختمه للأبرار. ٢٦- أي آخر طعمه ريح المسك: إذا رفع الشارب فاه من آخر شرابه وجد ريحه كريح المسك، وقيل: مختوم أوانيه من الأكواب والأباريق بمسك وفي ذلك فليرغب الراغبون، والتنافس التشاجر على الشيء والتنازع فيه، فيريده كل واحد لنفسه، وينفس به =

عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾

سُورَةُ الانشِقَاقِ

ترتيبها ٨٤ — آياتها ٢٥

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ثلاثة أرباع الحزب ٥٩

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ﴿١﴾ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ
﴿٣﴾ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ
كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ
إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوۡفَ
يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ﴿١١﴾ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ﴿١٣﴾
إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرٗا ﴿١٥﴾ فَلَآ أُقۡسِمُ
بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾
لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ
عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَۤ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ
﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾
إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ ﴿٢٥﴾

سجدة

= على غيره: أي يضن به. ٢٧- أي ومزاج ذلك الرحيق من تسنيم، وهو شراب ينصبُّ عليهم من علو، وهو أشرف شراب الجنة. ٢٨- أي يسقون الرحيق أو التسنيم من عين يمزجون بها كؤوسهم. ٢٩- وهم كفار قريش ومن وافقهم على الكفر كانوا من الذين آمنوا يستهزئون بالمؤمنين، ويسخرون منهم. ٣٠- وهو الإشارة بالجفون والحواجب، يعيِّرونهم بالإسلام ويعيبونهم به. ٣١- أي رجع الكفار إلى أهلهم من مجالسهم انقلبوا معجبين بما هم فيه متلذذين به، يتفكهون بذكر المؤمنين، والطعن فيهم والاستهزاء بهم. ٣٢- أي في اتباعهم محمدا، وتمسكهم بما جاء به، وتركهم التنعم الحاضر. ٣٣- أي ولم يرسلوا على المسلمين من جهة الله موكلين بهم يحفظون عليهم أحوالهم وأعمالهم. ٣٤- أي إن المؤمنين في ذلك اليوم يضحكون من الكفار حين يرونهم أذلاء مغلوبين قد نزل بهم ما نزل من العذاب، كما ضحك الكفار منهم في الدنيا. ٣٥- أي ينظرون إلى أعداء الله، وهم يعذبون في النار، والمؤمنون متنعمون على الأرائك. ٣٦- أي قد وقع الجزاء للكفار بما كان يقع منهم في الدنيا من الضحك من المؤمنين والاستهزاء بهم.

سُورَةُ الانشِقَاقِ

هي مكيه بلا خلاف. ١- انشقاقها من علامات القيامة. ٢- أي: أطاعت ربها، والأذن هو الاستماع للشيء والإصغاء إليه وحق لها أن تطيع وتنقاد وتسمع. ٣- أي بسطت، ودكت جبالها، حتى صارت قاعا صفصفا. ٤- أي: أخرجت ما فيها من الأموات والكنوز، وطرحتهم إلى ظهرها وتبرأت منهم ومن أعمالهم، وتخلت عنهم إلى الله لينفذ فيهم أمره. ٥- أي استمعت لما يأمرها به، وأطاعت وحق لها أن تتخلى وتستمع لما يريد ربها أن يأمرها به. ٦- ثم ينادي الله كل إنسان على الأرض إلى يوم الدين فيشمل المؤمن والكافر إنك ساع إلى ربك في عملك، أو إلى لقاء ربك ولابد أنك سوف تلاقي ربك بعملك. ٧- وهم المؤمنون، يعطون الصحف التي فيها بيان ما لهم من الحسنات بأيمانهم. ٨- هو أن تعرض عليه سيئاته، ثم يغفرها الله من غير أن يناقشه الحساب، فذلك هو الحساب اليسير. في الصحيحين عن عائشة، قالت: قال النبي ﷺ: «من نوقش الحساب عُذب» قالت: فقلت أليس الله يقول ﴿فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ﴿٨﴾﴾ قال: «ليس ذلك بالحساب، ولكن ذلك العرض، من نوقش الحساب يوم القيامة عُذب». ٩- أي: وينصرف بعد الحساب اليسير إلى أهله الذين هم في الجنة من الزوجات والأولاد، أو إلى من أعده الله له في الجنة من الحور العين مبتهجا بما أوتي من الخير والكرامة. ١٠- أي: لأن يمينه مغلولة إلى عنقه، وتكون يده اليسرى خلفه. ١١- أي إذا قرأ كتابه قال: يا ويلاه! يا ثبوراه! والثبور الهلاك. ١٢- أي: يدخلها ويقاسي حر نارها وشدتها. ١٣- إنه كان في أهله مسرورا باتباع هواه وركوب شهوته بطرًا أشرًا لعدم خطور الآخرة بباله. ١٤- المعنى: أن سبب ذلك السرور ظنه بأنه لا يرجع إلى الله، ولا يبعث للحساب والعقاب. ١٥- أي بلى ليحورن وليبعثن إن ربه كان به وبأعماله عالما لا يخفى عليه منها خافية. ١٦- يقسم الله تعالى بالشفق. والشفق: الحمرة التي تكون بعد غروب الشمس إلى وقت صلاة العشاء الآخرة. ١٧- أي: ما =

سُورَةُ البُرُوجِ

ترتيبها ٨٥ — آياتها ٢٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ
﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا
قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا
مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ
فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ
عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ
جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ
رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾
ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ
﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِن
وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾

سُورَةُ الطَّارِقِ

ترتيبها ٨٦ — آياتها ١٧

= جمع وضم وحوى ولف، فإنه جمع وضم ما كان منتشرا بالنهار في تصرفه، وذلك أن الليل إذا أقبل آوى كل شيء إلى مأواه. ١٨- أي اجتمع وتكامل. واتساقه: امتلاؤه واجتماعه واستواؤه، ويكون ذلك في منتصف الشهر القمري. ١٩- لتركبن أيها الناس حالا بعد حال، من الغنى والفقر، والموت والحياة. ٢٠- أي: فما لهم لا يؤمنون بمحمد ﷺ وبما جاء به من القرآن مع وجود موجبات الإيمان بذلك. ٢١- أي: وأي مانع لهم من سجودهم وخضوعهم عند قراءة القرآن وقيل المراد: نفس السجود المعروف بسجود التلاوة. ٢٢- أي يكذبون بالكتاب المشتمل على إثبات التوحيد والبعث والثواب والعقاب. ٢٣- أي بما يضمرونه في أنفسهم من التكذيب، ويجمعون من الأعمال الصالحة والسيئة. ٢٤- أي فبشرهم يا محمد بما يسوؤهم والكلام خارج مخرج التهكم بهم. ٢٥- إلا الذين آمنوا منهم بالله، وتابوا من الشرك، وصدقوا بالبعث بعد الموت، وأقروا بنبوتك، وقاموا بأداء فرائض ربهم، واجتنبوا محارمه، فهؤلاء لهم ثواب كامل غير منقوص، ولا مقطوع ولا يمنّ عليهم به.

سُورَةُ البُرُوجِ

هي مكية بلا خلاف. ١- البروج هي النجوم، وقيل هي المنازل للكواكب، وهي اثنا عشر برجا لاثني عشر كوكبا. ٢- أي الموعود به، وهو يوم القيامة. ٣- المراد بالشاهد من يشهد في ذلك اليوم من الخلائق، والمراد بالمشهود ما يشهد به الشاهدون على المجرمين كما في قصة أصحاب الأخدود والله شهيد عليهم أيضا كما سيأتي وقيل الشاهد يوم الجمعة، يشهد على كل عامل بما عمل فيه، والمشهود يوم عرفة، يشهد الناس فيه موسم الحج، وتحضره الملائكة. ٤- أي لعن أصحاب الأخدود وهم أحد ملوك الكفار وجنده، لما آمن بعض رعيته شقوا لهم الأخدود، وأضرموا فيه النار، ثم قالوا للمؤمنين: من رجع منكم عن دينه تركناه، ومن لم يرجع ألقيناه في النار، فصبروا فألقوهم في النار فاحترقوا والملك وأصحابه ينظرون. والقصة في صحيح مسلم (ح٧٣/ ٣٠٠٥). ٥- الوقود: الحطب الذي توقد به. ٦- أي لعنوا حين أحدقوا بالنار قاعدين على الكراسي عند الأخدود. ٧- أي الذين خدّوا الأخدود، وهم الملك وأصحابه على ما يفعلون بالمؤمنين من عرضهم على النار ليرجعوا إلى دينهم، يشهدون بما فعلوا يوم القيامة، ثم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم. ٨- أي: إلا أنهم صدّقوا بالله الغالب المحمود في كل حال، ما أنكروا عليهم ذنبا إلا إيمانهم. ٩- ومن كان هذا شأنه، فهو حقيق بأن يؤمن به ويوحد، والله على كل شيء شهيد من فعلهم بالمؤمنين لا يخفى عليه منه خافية، وفي هذا وعيد شديد لأصحاب الأخدود، ووعد خير لمن عذبوه على دينه من أولئك المؤمنين. ١٠- أي أحرقوهم بالنار، ولم يجعلوا لهم خيارًا في ذلك إلا أن يكفروا بالله، فمحنوهم في دينهم ليرجعوا عنه ثم لم يتوبوا من قبيح صنعهم ويرجعوا عن كفرهم وفتنتهم فلهم عذاب جهنم في الآخرة بسبب كفرهم ولهم عذاب آخر زائد على عذاب كفرهم، وهو عذاب الحريق بسبب الحرق الذي وقع منهم للمؤمنين. ١١- أي لهم جنات تجري من تحتها الأنهار بسبب الإيمان والعمل الصالح وذلك المذكور هو الفوز الكبير الذي لا يعدله فوز، ولا يقاربه، ولا يدانيه. ١٢- أي أخذه للجبابرة والظلمة شديد، قد تضاعف وتفاقم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ
نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ
دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾
يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾
وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ
يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾

سورة الأعلى

ترتيبها ٨٧ — آياتها ١٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ
﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ
فَلَا تَنسَىٰ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ
لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾
وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ
فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾

٥٩١

الحزب ٦٠

١٣- أي يخلق الخلق أولا في الدنيا ويعيدهم أحياء بعد الموت. ١٤- أي بالغ المغفرة لذنوب عباده المؤمنين لا يفضحهم بها، بالغ المحبة للمطيعين من أوليائه. ١٥- أي هو تعالى رب العرش العظيم، والمجد هو النهاية في الكرم والفضل. ١٧- أي هل أتاك يا محمد خبر الجموع الكافرة المكذبة لأنبيائهم التي تجمع لهم الأجناد لقتالهم عليها؟ ١٨- المراد بحديثهم ما وقع منهم من الكفر والعناد، وما وقع عليهم من العذاب. ١٩- أي بل هؤلاء المشركون من العرب في تكذيب شديد لك، ولما جئت به، ولم يعتبروا بمن كان قبلهم من الكفار. ٢٠- أي يقدر على أن ينزل بهم مثل ما أنزل بأولئك. ٢١- أي متناه في الشرف والكرم والبركة، وليس هو كما يقولون إنه شعر وكهانة وسحر. ٢٢- أي مكتوب في لوح، وهو أم الكتاب، محفوظ عند الله من وصول الشياطين إليه.

سورة الطارق

هي مكيه بلا خلاف. ١- يقسم الله بالسماء والطارق، والطارق الكوكب، وسمي طارقًا لأنه يطرق بالليل ويخفى بالنهار، وما أتاك ليلا فهو طارق. ٣- الثاقب المضيء شديد الإضاءة. ٤- هذا جواب القسم: أي ما كل نفس إلا عليها حافظ، وهم الحفظة من الملائكة الذين يحفظون عليها عملها وقولها وفعلها، ويحصون ما تكسب من خير وشر، والحافظ على الحقيقة هو الله عز وجل، وحفظ الملائكة من حفظه، لأنه بأمره. ٥- أي على الإنسان أن يتفكر في مبتدأ خلقه ليعلم قدرة الله على ما هو دون ذلك من البعث. ٦- أي مصبوب في الرحم. وهو ماء الرجل وماء المرأة، لأن الإنسان مخلوق منهما، لكن جعلهما ماء واحدًا لامتزاجهما. ٧- أي صلب الرجل، وترائب المرأة، والترائب موضع القلادة من الصدر، والولد لا يكون إلا من الماءين، وقيل المعنى: يخرج من جميع أجزاء البدن. ٨- المعنى إن الله سبحانه على رجع الإنسان، أي إعادته بالبعث بعد الموت، لقادر. وقال مقاتل: أي: إن شئت رددته من الكبر إلى الشباب، ومن الشباب إلى الصبا، ومن الصبا إلى النطفة. ٩- أي: يرجعه يوم تبلى السرائر أي تختبر وتعرف، والسرائر: ما يسر في القلوب من العقائد والنيات وغيرها، فعند ذلك يتميز الحسن منها من القبيح. ١٠- أي فما للإنسان من قوة في نفسه يمتنع بها عن عذاب الله، ولا ناصر ينصره فينقذه مما نزل به. ١١- الرجع المطر لأنه يجيء ويرجع ويتكرر. ١٢- هو ما تتصدع عنه الأرض من النبات والثمار والشجر. ١٣- أي إن القرآن لقول يفصل بين الحق والباطل. ١٤- أي لم ينزل باللعب، فهو جد ليس بالهزل. ١٥- أي يمكرون في إبطال ما جاء به رسول الله ﷺ من الدين الحق. ١٦- أي أستدرجهم من حيث لا يعلمون، وأجازيهم جزاء كيدهم. ١٧- أي أخرهم، ولا تسأل الله سبحانه تعجيل هلاكهم، وارض بما يدبره لك في أمورهم وأمهلهم إمهالا قريبا أو قليلا.

سورة الأعلى

هي مكيه في قول الجمهور. ١- أي نزهه عن كل ما لا يليق به بقولك «سبحان ربي الأعلى» ولما نزلت قال النبي ﷺ «اجعلوها في=

بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ
هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾

سُورَةُ الغَاشِيَةِ

ترتيبها ٨٨ — آياتها ٢٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾
عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾
لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴿٧﴾
وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾
لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾
وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾
أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ
رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ
سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم
بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ
ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

سجودكم» وقيل المعنى: نزه تسمية ربك وذكرك إياه ولا تذكره إلا وأنت خاشع له معظم ولذكره محترم. ٢- أي خلق الإنسان مستويا، فعدّل قامته وهيأه للتكليف. ٣- المعنى: قدر أجناس الأشياء، وأنواعها، وصفاتها، وأفعالها، وأقوالها، وآجالها، فهدى كل واحد منها إلى ما يصدر عنه وينبغي له، ويسره لما خلقه له، وألهمه إلى أمور دينه ودنياه، وقدّر أرزاق الخلق وأقواتهم، وهداهم لمعايشهم إن كانوا إنسا، ولمراعيهم إن كانوا وحشا. وخلق المنافع في الإشياء، وهدى الإنسان لوجه استخراجها منها. ٤- أي أنبت العشب وما ترعاه النعم من النبات الأخضر. ٥- أي فجعله بعد أن كان أخضر غثاء أي هشيما جافًا أسود بعد اخضراره. ٦- أي سنجعلك قارئا بأن نلهمك القراءة فلا تنسى ما تقرؤه. كان النبي ﷺ إذا نزل عليه جبريل بالوحي لم يفرغ جبريل من آخر الآية حتى يتكلم النبي ﷺ بأولها مخافة أن ينساها، فنزلت: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾﴾ فألهمه الله وعصمه من نسيان القرآن. ٧- إلا ما شاء الله أن تنساه. وقيل هي بمعنى النسخ: أي إلا ما شاء الله أن ينسخه مما نسخ تلاوته إنه يعلم ما ظهر وما بطن، ومن الجهر كل ما يفعله الإنسان أو يقوله علانية، ومما يخفى كل ما يسره بينه وبين نفسه مما لا يعلمه إلا الله تعالى. ٨- أي نهون عليك عمل الجنة، ونهون عليك الوحي حتى تحفظه وتعمل به، أو نوفقك للطريقة اليسرى في الدين والدنيا في كل أمر من أمورهما التي تتوجه إليك. ٩- أي عظ يا محمد الناس بما أوحينا إليك، وأرشدهم إلى سبيل الخير، واهدهم إلى شرائع الدين. وهذا في تكرير الدعوة، فأما الدعاء الأول فعام. ١٠- أي سيتعظ بوعظك من يخشى الله فيزداد بالتذكير خشية وصلاحا. ١١- أي ويتجنب الذكرى ويبعد عنها الأشقى من الكفار، لإصراره على الكفر بالله وانهماكه في معاصيه. ١٢- أي العظيمة الفظيعة، والنار الصغرى نار الدنيا. ١٣- أي فيستريح مما هو فيه من العذاب ولا يحيا حياة ينتفع بها. ١٤- أي من تطهر من الشرك، فآمن بالله ووحده وعمل بشرائعه. وقيل المراد بالآية زكاة الأموال. ١٥- قيل المعنى: ذكر اسم ربه بلسانه فأقام الصلوات الخمس، وقيل المراد بالتزكي في الآية الأولى زكاة الفطر، والمراد بالصلاة صلاة العيد. ١٦- أي لا تفعلون ذلك، بل تؤثرون اللذات الفانية في الدنيا. ١٧- أي أفضل وأدوم من الدنيا. قال مالك بن دينار: لو كانت الدنيا من ذهب يفنى، والآخرة من خزف يبقى، لكان الواجب أن يؤثر خزف يبقى على ذهب يفنى، فكيف والآخرة من ذهب يبقى، والدنيا من خزف يفنى. ١٨- أي ما تقدم من فلاح من تزكى وما بعده لفي الصحف الأولى ثابت فيها. ١٩- أي تتابعت كتب الله عز وجل أن الآخرة خير وأبقى من الدنيا.

سُورَةُ الغَاشِيَةِ

هي مكيه بلا خلاف. ١- أي: قد جاءك يا محمد حديث الغاشية، وهي القيامة، وإنما سميت الغاشية لأنها تغشى الخلائق بأهوالها.
٢- أي إن الناس يكونون يوم القيامة فريقين: الأول وجوههم ذليلة خاضعة لما هي فيه من العذاب، وقيل أراد وجوه اليهود والنصارى=

= على الخصوص. ٣- كانوا يتعبون أنفسهم في العبادة وينصبونها، ولا أجر لهم عليها، لما هم عليه من الكفر والضلال. ٥- أي يشربون من مائها، والماء الآني هو المتناهي في الحر. ٦- وهو نوع من الشوك يقال له الشبرق في لسان قريش إذا كان رطبا، فإذا يبس فهو الضريع. ٧- أي: لا يسمن الضريع آكله ولا يدفع عنه ما به من الجوع. ٨- أي: ذات نعمة وبهجة، وهي وجوه أصحاب الفريق الثاني، لما شاهدوا من عاقبة أمرهم. ٩- أي: لعملها الذي عملته في الدنيا راضية، لأنها قد أعطيت من الأجر ما أرضاها. ١١- أي لا تسمع في كلام أهل الجنة كلمة تلغي لأنهم لا يتكلمون إلا بالحكمة وحمد الله تعالى على ما رزقهم من النعيم الدائم. ١٢- أي: تجري مياهها وتتدفق بأنواع الأشربة المستلذة. ١٤- الأكواب الأقداح التي فيها الخمر، موضوعة بين أيديهم يشربون منها. ١٥- أي وسائد مصفوفة بعضها إلى بعض. ١٦- الزرابي الطنافس التي لها خمل رقيق مفرقة في المجالس كثيرة. ١٧- أي التي هي غالب مواشيهم وأكبر ما يشاهدونه من المخلوقات كيف خلقت على ما هي عليه من الخلق البديع، من عظم جثتها ومزيد قوتها، وبديع أوصافها. نبههم على عظيم من خلقه قد ذللهُ للصغير يقوده، وينيخه وينهضه، ويحمل عليه الثقيل من الحمل وهو بارك، فينهض بثقل حمله. ١٨- أي: فوق الأرض بلا عمد على وجه لا يناله الفهم ولا يدركه العقل. ١٩- أي رفعت على الأرض، مرساة راسخة لا تميد ولا تميل ولا تزول. ٢١- أي: فعظهم يا محمد وخوفهم ليس عليك إلا ذلك. ٢٢- أي حتى تكرههم على الإيمان. ٢٣- أي: لكن من تولى عن الوعظ والتذكير. ٢٤- وهو عذاب جهنم الدائم. ٢٥- أي: رجوعهم بعد الموت. ٢٦- يعني محاسبتهم ثم نجازيهم بأعمالهم بعد رجوعهم إلى الله بالبعث.

ترتيبها ٨٩ — سُورَةُ الفَجۡرِ — آياتها ٣٠

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلۡفَجۡرِ ١ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ٢ وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ
٤ هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ ٥ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ
٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ٧ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ٨
وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ٩ وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ١٠
ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١١ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ١٢ فَصَبَّ
عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ١٤ فَأَمَّا
ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ
١٥ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ١٦
كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ١٧ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ
ٱلۡمِسۡكِينِ ١٨ وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا لَّمّٗا ١٩
وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ٢٠ كَلَّآۖ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا
دَكّٗا ٢١ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ٢٢ وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ
بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ٢٣

سورة الفجر

هي مكية بلا خلاف. ١- أقسم سبحانه بالفجر لأنه وقت انفجار الظلمة عن النهار. وقال مجاهد: يريد فجر يوم النحر. ٢- أي: الليالي العشر من ذي الحجة. ٣- فالشفع الزوج، والوتر الفرد، من كل الأشياء. وقيل المراد بالشفع: يوما التشريق الأول والثاني اللذان يجوز التعجل فيهما، والوتر اليوم الثالث. ٤- أي: إذا جاء وأقبل ثم أدبر. ٥- الحجر: العقل، فمن كان ذا عقل ولب علم أن ما أقسم الله به من هذه الأشياء حقيق بأن يقسم به. ٦- وهم عاد الأولى، ويقال لمن بعدهم عاد الأخرى. ٧- إرم اسم آخر لعاد الأولى. وقيل: هو جدهم. وقيل: اسم موضعهم، وهو مدينة دمشق أو مدينة أخرى بالأحقاف. ومعنى ذات العماد: كانت مدينتهم محكمة البنيان ذات أعمدة طوال منحوتة. ٨- أي: لم يخلق مثل تلك القبيلة في الطول والشدة والقوة، وهم الذين قالوا من أشد منا قوة. ٩- كانوا ينحتون الجبال وينقبونها، ويجعلون تلك الأنقاب بيوتا يسكنون فيها، وواديهم هو الحجر، أو وادي القرى، على طريق الشام من المدينة المنورة. ١٠- أي: وفرعون صاحب الجنود الذين لهم خيام كثيرة يشدونها بالأوتاد. ١١- أي طغت كل طائفة منهم في بلادهم وتمردت وعتت. ١٢- أي فأكثروا فيها الفساد بالكفر =

يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي (٢٤) فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ (٢٥)
وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ (٢٦) يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ (٢٧) ٱرۡجِعِيٓ
إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ (٢٨) فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي (٢٩) وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي (٣٠)

سُورَةُ البَلَدِ

ترتيبها ٩٠ — آياتها ٢٠

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ (١) وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ (٢) وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ
(٣) لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ (٤) أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ
أَحَدٞ (٥) يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا (٦) أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ
(٧) أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ (٨) وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ (٩) وَهَدَيۡنَٰهُ
ٱلنَّجۡدَيۡنِ (١٠) فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ (١١) وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ (١٢)
فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ (١٤) يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ
(١٥) أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ (١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ
بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ (١٧) أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ (١٨) وَٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ (١٩) عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ (٢٠)

سُورَةُ الشَّمۡسِ

ترتيبها ٩١ — آياتها ١٥

ربع الحزب ٦٠

= ومعاصي الله والجور على عباده. ١٣- أي: أفرغ عليهم وألقى على تلك الطوائف عذابًا. ١٤- أي: يرصد عمل كل إنسان حتي يجازيه عليه بالخير خيرا وبالشر شرا. وقال الحسن: عليه طريق العباد لا يفوته أحد. ١٥- أي فأما الإنسان إذا ما امتحنه واختبره بالنعم ربه فأكرمه بالمال ووسع عليه رزقا اعتقد أن ذلك هو الكرامة فرحا بما نال، وسرورا بما أعطي، غير شاكر لله على ذلك، ولا خاطر بباله أن ذلك امتحان له من ربه. ١٦- ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ﴾ أي: اختبره وامتحنه ﴿فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ﴾ أي: ضيقه ولم يوسعه له، ولا بسط له فيه ﴿فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ (١٦)﴾ أي: أولاني هوانا. وهذه صفة الكافر الذي لا يؤمن بالبعث، لأنه لا كرامة عنده إلا الدنيا والتوسع في متاعها، ولا إهانة عنده إلا فوتها وعدم وصوله إلى ما يريد من زينتها، فأما المؤمن فالكرامة عنده أن يكرمه الله بطاعته ويوفقه لعمل الآخرة، والإهانة عنده ألا يوفقه الله للطاعة وعمل أهل الجنة. وليست سعة الدنيا كرامة، وليس ضيقها إهانة، وإنما الغنى اختبار للغني هل يشكر، والفقر اختبار له هل يصبر. ١٧- كلا ردع للإنسان القائل في الحالتين ما قال وزجر له وإنما يكرم المرء بطاعته لله ويهان بمعصيته لله، وأما سعة الرزق وضيقه فذلك لحكمة الله وتقديره وهو العليم بأحوال عباده، والخبير بما يصلحهم ثم بين أنه إنما أهان من أهان بسبب أنه لا يكره اليتيم. ١٨- أي: ولا تحضون أنفسكم، أو لا يحض بعضكم بعضا على ذلك، ولا يأمر به ولا يرشد إليه. ١٩- وتأكلون أموال اليتامى والنساء والضعفاء أكلا شديدا. ٢١- أي: ما هكذا ينبغي أن يكون عملكم إذا زلزلت الأرض وحركت تحريكا بعد تحريك، أو دُكّت جبالها حتى استوت. ٢٢- وجاء ربك سبحانه وتعالى لفصل القضاء بين عباده والملك جاؤوا مصطفين صفوفا. ٢٣- وجيء يومئذ بجهنم مزمومة والملائكة يجرّونها يومئذ يندم الأنسان على ما قدّمه في الدنيا من الكفر والمعاصي ولكن هيهات أن تنفعه الذكرى وإنما كانت تنفعه الذكرى لو تذكر الحق قبل حضور الموت. ٢٥- أي: لا يعذب كعذاب الله أحد. ٢٦- أي ولا يوثق الكافر بالسلاسل والأغلال كوثاق الله أحد. ٢٧- أي: الموقنة بالإيمان وتوحيد الله، لا يخالطها شك ولا يعتريها ريب، قد رضيت بقضاء الله وعلمت أن ما أخطأها لم يكن ليصيبها، وأن ما أصابها لم يكن ليخطئها، فتجيء يوم القيامة مطمئنة، لأنها قد بشرت بالجنة عند الموت وعند البعث. ٢٨- ارجعي إلى ربك راضية بالثواب الذي أعطاك مرضية عنده. ٢٩- أي في زمرة عبادي الصالحين وكوني من جملتهم. ٣٠- وادخلي جنتي معهم.

سُورَةُ البَلَدِ

هي مكيه بلا خلاف. بدأت السورة الكريمة بقسم من الله تعالى. ١- فأقسم بالبلد الحرام وهو مكة فدل ذلك على عظم قدرها ورفعة شأنها. ٢- أي استحل منك مشركو مكة أن يؤذوك في البلد الحرام يا محمد. وقيل المعنى: أقسم بهذا البلد الذي أنت مقيم به، تشريفا لك وتعظيما لقدرك، لأنه قد صار بإقامتك فيه عظيما شريفا. ٣- يقسم تعالى بالوالد وأولاده، كآدم وما تناسل من ولده، وبكل والد ومولود من =

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾
وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا
﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ
أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ
بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ
نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ
عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾

سُورَةُ اللَّيْلِ

ترتيبها ٩٢ — آياتها ٢١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ ﴿٣﴾
إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾
فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ
﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا
لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾

= جميع الحيوانات. ٤- أي لا يزال في مكابدة الدنيا ومقاساة شدائدها حتى يموت. ٥- أي: أيظنّ ابن آدم أن لن يقدر عليه ولا ينتقم منه أحد. ٦- أي: كثيرا مجتمعا بعضه على بعض لا يخاف فناؤه من كثرته. ٧- أيظنّ أن الله سبحانه لم يره، ولا يسأله عن ماله من أين كسبه وأين أنفقه؟ ٨- ألم نجعل له عينين يبصر بهما. ٩- ولسانا ينطق به وشفتين يستر بهما ثغره. ١٠- المعنى ألم نعرِّفه طريق الخير وطريق الشر، مبيّنين كتبين الطريقين العاليتين.

١١، ١٢- الاقتحام: الرَّمْيُ بالنفس في شيء من غير روية والمعنى: فهلا أيها المفتخر بما له أنفقت مالك فيما تجتاز به عقبة يوم القيامة، والاستفهام هنا بمعنى الإنكار. قال قتادة: إنها عقبة قحمة شديدة فاقتحموها بطاعة الله. وما أدراك ما تلك العقبه؟! ١٣- أي: هي إعتاق رقبة وتخليصها من إسار الرق. ١٤- أي يوم المجاعة، عزيز فيه الطعام. ١٥- أي: أي يطعم اليتيم، وهو الصغير الذي لا أب له ولا أمّ، ويكون اليتيم من أقارب هذا المقتحم. ١٦- أي: لا شيء له، كأنه لصق بالتراب لفقره. قال مجاهد: هو الذي لا يقيه من التراب لباس ولا غيره. ١٧- فإن هذه القرب إنما تنفع مع الإيمان إذا أتى بها لوجه الله وتواصوا بالصبر على طاعة الله، والصبر عن معاصيه، والصبر على ما أصابهم من البلايا والمصائب وتواصوا بالرحمة على عباد الله، فإنهم إذا فعلوا ذلك رحموا اليتيم والمسكين واستكثروا من فعل الخير بالصدقة. ١٨- وهي الجنة. وقد ذكر الله تعالى أصحاب اليمين، وما أعدّ لهم من النعيم، وفصل ذلك على التمام والكمال في سورة الواقعة [الآيات: ٢٦-٤٠]. ١٩- أي: بالآيات التنزيلية والآيات التكوينية هم أصحاب الشمال، وهي النار المشؤومة. وتفصيل ما أعده الله لأصحاب الشمال مبين أيضًا في سورة الواقعة [الآيات: ٤١-٥٦]. ٢٠- عليهم نار مطبقة مغلقة.

سُورَةُ الشَّمْسِ

هي مكيه بلا خلاف. ١- الضحى وقت ارتفاع الشمس بعد طلوعها إذا تم ضياؤها. ٢- أي: تبعها، وذلك في الليالي البيض. ٣- أي: جلى الشمس، وذلك أن الشمس عند انبساط النهار تنجلي تمام الانجلاء. ٤- أي: يغشى الشمس فيذهب بضوئها، فتغيب وتظلم الآفاق. ٥- أي: والسماء وبناء الله تعالى لها. ٦- أي: بسطها من كل جانب. ٧- أي أنشأها وسوى أعضاءها. ٨- أي: عرفها وأفهمها حالهما، وما فيهما من الحسن والقبح. ٩- أي قد أفلح من زكى نفسه وأنماها وأعلاها بالتقوى فاز بكل مطلوب وظفر بكل محبوب. ١٠- أي: خسر من أضلها وأغواها وأخملها، ولم يشهرها بالطاعة والعمل الصالح. ١١- أي: بسبب الطغيان، حملهم على التكذيب، والطغيان مجاوزة الحدّ في المعاصي. ١٢- أي: حين قام أشقى ثمود وهو قدار بن سالف، فعقر الناقة، ومعنى انبعث: انتدب لذلك وقام به. ١٣- يعني صالحا ذروا ناقة الله، حذرهم إياها وشربها من الماء، فلا تتعرضوا له يوم شربها. ١٤- فكذبوه بتحذيره إياهم وعقرها الأشقى، والجميع رضوا بما فعله فأهلكهم الله وأطبق عليهم العذاب فسوى الدمدمة عليهم، وعمهم بها، فاستوت على صغيرهم وكبيرهم، وقيل: فسوى الأرض عليهم =

لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا
الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ
نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴿٢١﴾

سُورَةُ الضُّحَى

ترتيبها ٩٣ — آياتها ١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَى ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴿٣﴾
وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ
فَتَرْضَى ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا
فَهَدَى ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ
﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

سُورَةُ الشَّرْحِ

ترتيبها ٩٤ — آياتها ٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي
أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ
مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾

٥٩٦

نصف الحزب ٦٠

=فجعلهم تحت التراب. ١٥- أي: فعل ذلك بهم غير خائف من عاقبة ولا تبعة.

سُورَةُ اللَّيْلِ

هي مكية عند الجمهور. ١- يقسم الله تعالى بالليل عندما يغطي بظلمته ما كان مضيئًا. ٢- وهذا منه تعالى قسم بالنهار متى ظهر وانكشف ووضح، لزوال الظلمة التي كانت في الليل. ٣- وهذا منه تعالى إقسام بخلقه لجنسي الذكر والأنثى من بني آدم وغيرهم. ٤- أي إن عملكم لمختلف: فمنه عملٌ للجنّة، ومنه عملٌ للنار؛ فساع في فكاك نفسه، وساع في عطبها. ٥- أي بذل ماله في وجوه الخير، واتقى محارم الله التي نهى عنها. ٦- أي بالخلف من الله، أي صدق بموعود الله الذي وعده أن يثيبه عوضًا عما أنفق. ٧- فسنيسر له الإنفاق في سبيل الخير والعمل بالطاعة لله. نزلت هذه الآيات في أبي بكر الصديق: اشترى ستة نفر من المؤمنين كانوا في أيدي أهل مكة، يعذبونهم في الله، فأعتقهم.٨- أي بخل بماله فلم يبذله في سبيل الخير وزهد في الأجر والثواب، واستغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة.٩- أي بالخلف من الله عز وجل. ١٠- أي فسنهيئه للخصلة العسرى، ونسهلها له، حتى تتعسر عليه أسباب الخير والصلاح، ويضعف عن فعلها، فيؤديه ذلك إلى النار. ١١- أي: لا يغني عنه شيئًا، ماله الذي بخل به إذا هلك، وسقط في جهنم. ١٢- أي: علينا أن نبين طريق الهدى من طريق الضلال. وقال الفراء: من سلك الهدى فعلى الله سبيله، يقول: من أراد الله فالله على الطريق، من أراده اهتدى إليه. وهذا مَثَل. ١٣- أي: لنا كل ما في الآخرة وكل ما في الدنيا، نتصرف به كيف نشاء. ١٤- أي: فأنذرتكم نارًا تتوقد وتتوهج. ١٥- وهو الكافر، يجد صلاها، وهو حرها. ١٦- أي: كذب بالحق الذي جاءت به الرسل، وأعرض عن الطاعة والإيمان. ١٧- سيباعد عنها المتقي للكفر اتقاءً بالغًا. قال الواحدي: الأتقى أبو بكر الصديق في قول جميع المفسرين. ١٨- أي: يعطيه ويصرفه في وجوه الخير ويطلب أن يكون عند الله زكيًا، لا يطلب رياءً ولا سمعة. ١٩- أي: ليس ممن يتصدق بماله ليجازي بصدقته نعمة لأحد من الناس عنده ويكافئه عليها، وإنما يبتغي بصدقته وجه الله تعالى. ٢٠- أي: لا يؤتي إلا لابتغاء وجه ربه لا لمكافأة نعمة. ٢١- أي: وتالله لسوف يرضى بما نعطيه من الكرامة والجزاء العظيم.

سُورَةُ الضُّحَى

هي مكية بلا خلاف. ١- الضحى اسم لوقت ارتفاع الشمس. ٢- قال الأصمعي: سجو الليل تغطيته النهار، مثل ما يُسجى الرجل بالثوب. ٣- هذا جواب القسم. أي: ما قطعك قطع المودِّع، ولم يقطع عنك الوحي وما أبغضك. ٤- أي: الجنة خير لك من الدنيا، هذا مع ما قد أوتي في الدنيا من شرف النبوة ما يصغر عنده كل شرف، ويتضاءل بالنسبة إليه كل مكرمة في الدنيا. ٥- الفتح في الدين، والثواب والحوض والشفاعة لأمته في الآخرة فترضى. ٦- أي: وجدك يتيمًا لا أب لك، فجعل لك مأوى تأوى إليه. ٧- أي: وجدك غافلاً عما يراد =

= بك من أمر النبوة، ولم تكن تدري القرآن ولا الشرائع، فهداك لذلك. ٨- أي: وجدك فقيرًا ذا عيال لا مال لك، فأغناك بما أعطاك من الرزق: أغناه بما فتح من الفتوح، وقيل بتجارته في مال خديجة بنت خويلد. ٩- أي: فأما اليتيم فلا تسلط عليه بالظلم لضعفه بل ادفع إليه حقه واذكر يتمك. وكان رسول الله ﷺ يحسن إلى اليتيم ويبره ويوصي باليتامى. ١٠- أي: وأما السائل فلا تنهره إذا سألك، فقد كنت فقيرًا، فإما أن تطعمه، وإما أن ترده ردًا لينًا. ١١- أمره سبحانه بالتحدث بنعم الله عليه وإظهارها للناس وإشهارها بينهم. والتحدث بنعمة الله شكر. وقيل النعمة هنا القرآن، فأمره أن يقرأه ويحدث به.

سُورَةُ التِّينِ

هي مكية بلا خلاف. ١- المعنى: يا محمد، قد شرحنا لك صدرك لقبول النبوة. ومن هنا قام بما قام به من الدعوة، وقدر على حمل أعباء النبوة وحفظ الوحي. ٢- وحططنا عنك الذي سلف منك في الجاهلية. ٣- معناه أنه لو كان حملاً يحمل لسُمع نقيض ظهره. وقيل: الوزر حمل أعباء النبوة، سهل الله ذلك عليه حتى تيسرت له. ٤- رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، بأمور منها تكليفه للمؤمنين إذا

سُورَةُ التِّينِ

مكية — آياتها ٨ — ترتيبها ٩٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ
﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾
فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

سُورَةُ العَلَقِ

آياتها ١٩ — ترتيبها ٩٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ
الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّا إِنَّ
الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴿٦﴾ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ
الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ
بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن
لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ
﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾

سجدة

٥٩٧

قالوا: أشهد أن لا إله الله، أن يقولوا: أشهد أن محمدًا رسول الله، ومنها ذكره في الأذان، ومنها أمرهم بالصلاة والسلام عليه، وأمر الله بطاعته. ٦- أي: إن مع ذلك العسر، المذكور سابقًا، يسرًا آخر. يقول الله: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾.
٧- أي: إذا فرغت من صلاتك، أو من التبليغ، أو من الغزو، فاجتهد في الدعاء واطلب من الله حاجتك، أو فانصب في العبادة.
٨- أي: اجعل رغبتك إلى الله وحده: تضرع إليه راهبًا من النار، راغبًا في الجنة.

سُورَةُ التِّينِ

هي مكية في قول الجمهور. ١- هو التين الذي يأكله الناس، والزيتون الذي يعصرون منه الزيت، أقسم بالتين، لأنه فاكهة مخلصة من شوائب التنغيص. ٢- هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى، وهو طور سيناء. ٣- يعني مكة، سماه أمينًا لأنه آمن. ٤- خلق الله كل ذي روح مكبًا على وجهه إلا الإنسان، فقد خلقه مديد القامة يتناول مأكوله بيده، وخلقه عالمًا متكلمًا مدبرًا حكيمًا. ٥- أي: رددناه إلى أرذل العمر، وهو الهرم والضعف، بعد الشباب والقوة، حتى يصير كالصبي، فيخرف وينقص عقله. والسافلون: هم الضعفاء والزمنى والأطفال والشيخ الكبير أضعف هؤلاء جميعًا. أو المعنى: من أعرض عن الإيمان بعد ذلك فليس له إلا أسفل الدركات حيث نار الله الموقدة. ٦- وأما من آمن وعمل صالحًا فلا يرد إلى أسفل سافلين، بل إلى جنة الله الواسعة في عليين ثوابًا على طاعاتهم دائم غير منقطع. ٧- أي: إذا عرفت أيها الإنسان أن الله خلقك في أحسن تقويم وأنه يردك أسفل سافلين فما يحملك على أن تكذب بالبعث والجزاء؟ ٨- أي: أليس الله بأحكم الحاكمين قضاءً وعدلاً؟! بلى هو أحكم الحاكمين سبحانه وتعالى.

سُورَةُ القَدْرِ

ترتيبها ٩٧ — آياتها ٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾
لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ
فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾

سُورَةُ البَيِّنَةِ

ترتيبها ٩٨ — آياتها ٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ
حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾
فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ
بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ
لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ
ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ
فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾

٥٩٨

سُورَةُ العَلَقِ

هي مكية بلا خلاف. وهي أول ما نزل من القرآن. ١ - أي: اقرأ مبتدئًا باسم ربك، وقيل مستعينًا باسم ربك ثم وصف الله تعالى لنا نفسه بالخلق لتذكير النعمة، لأن نعمة الخلق هي أول النعم، وهي من أعظم النعم. ٢ - أي: خلق الإنسان من علقة، والعلقة: الدم الجامد، وإذا جرى فهو المسفوح. ٣ - أي: افعل ما أمرت به من القراءة، وربك الذي أمرك بالقراءة، هو الأكرم، ومن كرمه أن يمكنك من القراءة وأنت أمي. ٤ - أي: علم الإنسان الكتابة بالقلم، والقلم نعمة من الله عز وجل عظيمة، لولا ذلك لم يقم دين، ولم يصلح عيش، فأخرج الناس به من ظلمة الجهل إلى نور العلم، وما دونت العلوم ولا قُيدت الحكم ولا ضبطت أخبار الأولين ومقالاتهم، ولا كتب الله المنزلة إلا بالكتابة. ٥ - أي: علمه بالقلم من الأمور ما لم يعلم منها. ٦ - أي: كلا إن الإنسان ليجاوز الحد ويستكبر على ربه. ٧ - أي: ليطغى إن رأى نفسه مستغنيًا بماله وقوته. ٨ - أي: إن إلى ربك الرجوع لا إلى غيره. ٩، ١٠ - الذي ينهى هو أبو جهل، والمراد بالعبد محمد ﷺ. ١١ - يعني العبد المنهي إذا صلى، وهو محمد ﷺ. ١٢ - أي: بالإخلاص والتوحيد والعمل الصالح الذي تتقى به النار. ١٣ - يعني: أبا جهل، كذب بما جاء به رسول الله ﷺ وتولى عن الإيمان. ١٤ - أي: يطلع على أحواله فيجازيه بها، فكيف اجترأ على ما اجترأ عليه؟ ١٥ - أي: والله لئن لم ينته عما هو عليه ولم ينزجر لنأخذن بناصيته، ولنجرّنه إلى النار. والناصية شعر مقدم الرأس. ١٦ - صاحبها كاذب خاطئ مستهتر بفعل الخطايا، وهي الذنوب. ١٧ - أي: أهل ناديه، والنادي المجلس الذي يجلس فيه القوم ويجتمع فيه الأهل والعشيرة، أي: ليطلبهم ليعينوه وينصروه، قيل: إن أبا جهل قال لرسول الله ﷺ: أتهددني وأنا أكثر أهل الوادي ناديًا! فنزلت. ١٨ - أي: الملائكة الغلاظ الشداد، ليأخذوه ويلقوه في نار السعير. ١٩ - أي: فيما دعاك إليه من ترك الصلاة وصل لله غير مكترث به، ولا مبال بنهيه واقترب إليه سبحانه بالطاعة والعبادة.

سُورَةُ القَدْرِ

هي مكية عند أكثر المفسرين. ١ - أي: القرآن، أنزل جملة واحدة في ليلة القدر إلى سماء الدنيا، من اللوح المحفوظ، وكان ينزل على النبي ﷺ نجومًا على حسب الحاجة، في ثلاث وعشرين سنة، وليلة القدر من ليالي شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن. واختلفت الأحاديث في تعيينها. ٢ - سميت ليلة القدر لأن الله سبحانه يقدر فيها ما شاء من أمره إلى السنة القابلة. وقيل سميت بذلك لعظيم قدرها وشرفها. ٣ - أي: العمل فيها، وهي ليلة واحدة، خير من العمل في ألف شهر. ٤ - أي: تهبط من السماوات إلى الأرض. والروح هو جبريل بكل أمر. ٥ - أي: ما هي إلا سلامة وخير كلها لا شر فيها. وقال مجاهد: هي ليلة سالمة، لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءًا ولا أذى وقال الشعبي: هو تسليم الملائكة على أهل المساجد من حين تغيب الشمس إلى أن يطلع الفجر حتى وقت طلوع الفجر لا ينقطع تنزلهم فوجًا بعد فوج إلى طلوع الفجر.

جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ
فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

ترتيبها ٩٩ — آياتها ٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا
﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾
بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا
لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا
يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾

سُورَةُ العَادِيَاتِ

ترتيبها ١٠٠ — آياتها ١١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا
﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ
لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ
ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٦٠

٥٩٩

سورة البينة

مدنية في قول الجمهور. ١، ٢، ٣- تبدأ السورة الكريمة ببيان أن كل أهل الكفر على اختلاف أديانهم، وعقائدهم، ما كان لهم أن يصلوا إلى الحق والتوحيد إلا بعد إرسال النبي الخاتم ﷺ إليهم فيقول الله تعالى: لم يكن اليهود والنصارى ومشركوا العرب منتهين عن كفرهم، حتى أتتهم الحجة الواضحة. نبي مرسل وهو محمد ﷺ يقرأ عليهم كتابًا آياته مطهرة من الكذب والشبهات والكفر. فيها الأحكام المكتوبة، والمواعظ الخيِّرة في الدنيا والآخرة عادلة مستقيمة مستوية محكمة. ٤- أي: إن تفرقهم واختلافهم لم يكن لاشتباه الأمر، بل كان بعد وضوح الحق، وظهور الصواب، ثم بعث الله محمدًا، فلما بعث تفرقوا في أمره واختلفوا، فآمن به بعضهم وكفر آخرون. ٥- أي: إنما جاءهم القرآن من عند الله ليلتزموا بعبادة الله، وتكون عبادتهم خالصة لا يشركون به شيئًا، وليجعلوا أنفسهم خالصة له في الدين مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام ويفعلون الصلوات على الوجه الذي يريده الله، في أوقاتها، ويعطوا الزكاة عند محلها، وذلك دين الملة المستقيمة. ٦- إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين يصيرون في نار جهنم خالدين فيها لا يخرجون منها، ولا يموتون فيها أولئك هم شر الخليقة حالاً، لأنهم تركوا الحق حسدًا وبغيًا. ٧- أي: إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم أفضل الخلق حالاً ومآلاً. ٨- جزاؤهم عند ربهم بمقابلة ما وقع منهم من الإيمان والعمل الصالح جنات عدن تجري من تحت أشجارها وغرفها الأنهار خالدين فيها أبدًا لا يخرجون منها، ولا يرحلون عنها، ولا يموتون، بل هم دائمون في نعيمها، مستمرون في لذاتها أبد الآبدين، لا نهاية لنعيمهم لأنهم أطاعوا أمره، وقبلوا شرائعه، ورضاهم عنه حيث بلغوا من المطالب ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ذلك الجزاء والرضوان لمن وقعت منه الخشية لله سبحانه في الدنيا، وانتهى عن معاصيه بسبب تلك الخشية.

سورة الزلزلة

هي مدنية في قول ابن عباس ١- أي: إذا حركت حركة شديدة فإنها تضطرب حتى يتكسر كل شيء عليها. ٢- أي: وأخرجت الأرض ما في جوفها من الأموات والدفائن وما عُمل عليها أخرج مسلم والترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة، فيجيء القاتل فيقول: في هذا قتلت، ويجيء القاطع فيقول: في هذا قطعت رحمي، ويجيء السارق فيقول: في هذا قُطعت يدي، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئًا»**. أما الأموات فإن الأرض تخرجهم في النفخة الثانية. ٣- أي: قال كل فرد من أفراد الإنسان لما يدهمه من أمرها ويبهره من خطبها: لأي شيء زلزلت وأخرجت أثقالها؟ ٤- يومئذ تخبر بأخبارها، وتحدث بما عمل عليها من خير وشر، ينطقها الله سبحانه لتشهد على العباد. ٥- أي: تحدث أخبارها بوحي الله وإذنه لها بأن تتحدث وتشهد. ٦- أي: =

وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴿١١﴾

سُورَةُ القَارِعَةِ

ترتيبها ١٠١ — آياتها ١١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ
﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾
وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا
مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ
﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ
﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾

سُورَةُ التَّكَاثُرِ

ترتيبها ١٠٢ — آياتها ٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ
تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ
عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا
عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾

يصدر الناس من قبورهم إلى موقف الحساب مختلفي الأحوال: فبعضهم آمن، وبعضهم خائف، وبعضهم بلون أهل الجنة، وهو البياض، وبعضهم بلون أهل النار، وهو السواد،وبعضهم ينصرف إلى جهة اليمين وبعضهم ينصرف إلى جهة الشمال، مع تفرقهم في الأديان، واختلافهم في الأعمال ليريهم الله أعمالهم معروضة عليهم، وقيل: ليروا جزاء أعمالهم. ٧- فمن يعمل في الدنيا مثقال ذرة خيرًا يره يوم القيامة في كتابة فيفرح به. ٨- وكذلك من يعمل في الدنيا مثقال ذرة شرًا يره يوم القيامة فيسوؤه - وقد يغفر الله - والذَّرّ ما يرى في شعاع الشمس من الهباء.

سُورَةُ العَادِيَاتِ

هي مكية عند ابن مسعود، ومدنية عند ابن عباس. ١- المراد بها الخيل التي تجري وتعدو بفرسانها المجاهدين في سبيل الله إلى العدو من الكفار المشاقين لله ورسوله. وقيل: هي الإبل تعدو بالحجيج من عرفة إلى المزدلفة فيجتمعون فيها جميعًا.والقول الأول أصح، والضبح: نوع من السير، ونوع من العَدْو، يقال: ضَبَحَ الفرس إذا عدا بشدة. وقال الفراء: الضبح صوت أنفاس الخيل إذا عدت. ٢- هي الخيل حين توري النار فيخرج الشرر بحوافرها كالقدح بالزناد. ٣- أي: التي تغير على العدو وقت الصباح. ٤- النقع الغبار الذي أثرنه في وجه العدو عند الغزو، أي: فأظهرن به غبارًا. ٥- صرن بعَدْوهن وسط الأعداء. ٦- الكنود: الكفور للنعمة، كثير الجحد لها. ٧- أي: وإن الإنسان على كنوده لشهيد يشهد على نفسه بالجحد والكفران، لظهور أثره عليه. ٨- المعنى أنه لحب المال قوي، مجد في طلبه وتحصيله، متهالك عليه. ٩- أي: نثر ما في القبور من الموتى، وبحث عنهم وأخرجوا. ١٠- أي: مُيِّز وبُيِّن ما فيها من الخير والشر. ١١- أي: إن رب المبعوثين بهم لخبير لا تخفى عليه منهم خافية في ذلك اليوم وفي غيره، ولكن يجازيهم في ذلك اليوم.

سُورَةُ القَارِعَةِ

هي مكية بلا خلاف. ١- من أسماء القيامة، لأنها تقرع القلوب بالفزع، أو تقرع أعداء الله بالعذاب. ٢- للتعظيم والتفخيم لشأنها، أي: أي شيء هي؟ ٣- تأكيد لشدة هولها ومزيد فظاعتها، والمعنى: وأي شيء أعلمك ما شأن القارعة؟ ٤- الفراش: هو الحشرة الطائرة المعروفة، وقيل يدخل فيه جميع الحشرات الطائرة، كالبعوض والجراد، والمراد بالمبثوث المتفرق المنتشر. ٥- أي: كالصوف الملون بالألوان المختلفة الذي نفش بالندف. وهذا لأنها تفتت وتطاير، كما في قوله: ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾﴾ وقوله: ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾﴾. ٦- ثم ذكر سبحانه أحوال الناس وتفرقهم فريقين على جهة الإجمال، فقال فأما من ثقلت موازينه بالأعمال الصالحة. والمراد أنها ثقلت حتى رجحت بسيئاته. ٧- فهو في عيشة مرضية يرضاها صاحبها. والعيشة كلمة تجمع النعم التي في الجنة.٨- أي: رجحت سيئاته على حسناته،أو لم تكن له حسنات يعتد بها. ٩- أي: فمسكنه جهنم، وسماها أمه، لأنه يأوي إليها كما يأوي الطفل إلى أمه، وسميت هاوية،=

سُورَةُ العَصۡرِ

ترتيبها ١٠٣ — آياتها ٣

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلۡعَصۡرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾

سُورَةُ الهُمَزَةِ

ترتيبها ١٠٤ — آياتها ٩

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾
يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ﴿٣﴾ كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ﴿٤﴾
وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ
عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ﴿٩﴾

سُورَةُ الفِيلِ

ترتيبها ١٠٥ — آياتها ٥

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ
فِي تَضۡلِيلٖ ﴿٢﴾ وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرۡمِيهِم
بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ ﴿٥﴾

= لأنه يهوي فيها مع بعد قعرها. ١٠- هذا الاستفهام للتهويل والتفظيع ببيان أنها خارجة عن المعهود بحيث لا يدري كنهها. ١١- أي: قد انتهى حرها وبلغ في الشدة إلى الغاية.

سُورَةُ التَّكَاثُرِ

هي مكية عند الجميع. ١- أي: شغلكم التكاثر بالأموال والأولاد، والتفاخر بكثرتها، والتغالب فيها، والاستكثار من تحصيلها، عن طاعة الله والعمل للآخرة. ٢- أي: حتى أدرككم الموت وأنتم على تلك الحال. ٣- وهو زجر لهم عن التكاثر، وتنبيه على أنهم سيعلمون عاقبة ذلك يوم القيامة. ٤- هذا تكرار على وجه التغليظ والتأكيد. ٥- أي: لو تعلمون الأمر الذي أنتم صائرون إليه علمًا يقينًا، كعلمكم ما هو متيقن عندكم في الدنيا، لشغلكم ذلك عن التكاثر والتفاخر، ولما ألهاكم عن ذلك الأمر العظيم. ٦- لترون الجحيم في الآخرة. ٧- أي: ثم لترون الجحيم الرؤية التي هي نفس اليقين، وهي المشاهدة والرؤية بأعينكم. وقيل هو إخبار عن دوام بقائهم في النار، أي: هي رؤية دائمة متصلة. ٨- أي: عن نعيم الدنيا الذي ألهاكم عن العمل للآخرة: وقيل هو السؤال عن الأمن، والصحة، والفراغ، وملاذِّ المأكول والمشروب، وعن بارد الشراب، وظلال المساكن، وغير ذلك من النعم.

سُورَةُ العَصۡرِ

هي مكية عند الجمهور.

١- أقسم سبحانه بالعصر، وهو الدهر، لما فيه من العبر من جهة مرور الليل والنهار على التقدير وتعاقب الظلام والضياء، وما في ذلك من استقامة الحياة ومصالح الأحياء، فإن في ذلك دلالة بينة على الصانع عز وجل وعلى توحيده. وقال مقاتل: المراد بالعصر صلاة العصر. ٢- الخسر والخسران النقصان وذهاب رأس المال، والمعنى أن كل إنسان في المتاجر والمساعي وصرف الأعمار في أعمال الدنيا لفي نقص وضلال عن الحق حتى يموت، ولا يستثنى من ذلك أحدٌ إلا ما يذكر في قوله تعالى: ٣- أي: جمعوا بين الإيمان بالله والعمل الصالح، فإنهم في ربح، لا في خسر، لأنهم عملوا للآخرة، ولم تشغلهم أعمال الدنيا عنها، وهم كل مؤمن ومؤمنة ووصى بعضهم بعضًا بالحق الذي يحق القيام به، وهو الإيمان بالله والتوحيد، والقيام بما شرعه الله، واجتناب ما نهى عنه وتواصوا بالصبر عن معاصي الله سبحانه، والصبر على فرائضه، والصبر من خصال الحق، نص عليه بعد النص على خصال التواصي بالحق، ولمزيد شرفه عليها، وارتفاع طبقته عنها.

سُورَةُ الهُمَزَةِ

هي مكية بلا خلاف. ١- أي: خزي أو عذاب أو هلكة للهمزة، وهو الذي يغتاب الرجل في وجهه، واللمزة الذي يغتابه من خلفه. وقيل =

سُورَةُ قُرَيْشٍ

ترتيبها ١٠٦ — آياتها ٤

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ
﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم
مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾

سُورَةُ المَاعُونِ

ترتيبها ١٠٧ — آياتها ٧

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى
يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾
فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ
﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾

سُورَةُ الكَوْثَرِ

ترتيبها ١٠٨ — آياتها ٣

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾
إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

الهمزة الذي يؤذي جلساءه بسوء اللفظ، للمزة الذي يكسر عينه على جليسه، ويشير بيده أو برأسه أو بحاجبه. ٢- أي: بيانٌ لسبب همزه ولمزه، وهو إعجابه بما جمع من المال، وظنه أن له به الفضل، فلأجل ذلك يستقصر غيره. ٣- أي: يظنُّ أن ماله يتركه حيًّا مخلدًا لا يموت، لشدة إعجابه بما يجمعه من المال، فلا يعود يفكر بما بعد الموت. وقيل هو تعريض بالعمل الصالح، وأنه الذي يخلد صاحبه في الحياة الأبدية، لا المال. ٤- أي: ليس الأمر على ما يحسبه بل ليطرحن هو وماله في النار التي تهشم كل ما يلقى فيها وتحطمه. ٥- أي: أيُّ شيء هي، كأنها ليست مما تدركه العقول. ٦- أي: هي نار الله الموقدة بأمر الله سبحانه. ٧- أي: يخلص حرها إلى القلوب فيعلوها ويغشاها، وخصَّ الأفئدة مع كونها تغشى جميع أبدانهم، لأنها محل العقائد الزائغة. ٨- أي: إنها عليهم مطبقة مغلقة عليهم أبوابها جميعًا، فلا يستطيعون الخروج منها. ٩- أي: كائنين في عمد ممددة موثقين. وقال مقاتل: أطبقت الأبواب عليهم ثم شدت بأوتاد من حديد، فلا يفتح عليهم باب، ولا يدخل عليهم رَوْح.

سُورَةُ الفِيلِ

هي مكية بلا خلاف. ١- هم الذين قصدوا تخريب الكعبة، وهم من أهل الحبشة. أي قد علمت يا محمد، والناس في عصرك ومن بعدهم، بقصة أصحاب الفيل وما فعل الله بهم، فما لقومك بالله لا يؤمنون؟ ٢- أي: لم يجعل الله تعالى مكرهم وسعيهم في تخريب الكعبة، واستباحة أهلها، في تضليل عما قصدوا إليه، حتى لم يصلوا إلى البيت، ولا إلى ما أرادوه بكيدهم، بل أهلكهم الله تعالى، كما يذكره في السورة. ٣- أي: وأرسل عليهم جماعات متفرقة. وهي طير سود جاءت من قبل البحر فوجًا فوجًا، مع كل طائر ثلاثة أحجار: حجران في رجليه، وحجر في منقاره، لا يصيب شيئًا إلا هشمه. ٤- قالوا: هي حجارة من طين طبخت بنار جهنم مكتوب فيها أسماء القوم. فإذا أصاب أحدهم حجر منها خرج به الجدري، وكان الحجر كالحمصة وفوق العدسة. ٥- أي: فجعلهم كورق الزرع إذا أكلته الدوات فرمت به من أسفل، وقيل: المعنى صاروا كورق زرع قد أكلت منه الدواب وبقي منه التبن.

سُورَةُ قُرَيْشٍ

هي مكية عند الجمهور. وتسمى سورة الإيلاف. ١- الإيلاف: أن قريشًا كانت تخرج في تجارتها في الجاهلية، فلا يُغار عليها لأن العرب يقولون: قريش أهل بيت الله عز وجل، فأمرهم الله أن يعبدوه لأجل إيلافهم الرحلتين. ٢- أي: وكانت إحدى الرحلتين إلى اليمن في الشتاء، لأنها بلاد حارة، والرحلة الأخرى إلى الشام في الصيف، لأنها بلاد باردة، وكانت قريش تعيش بالتجارة، ولولا هاتان الرحلتان لم يمكن بها مقام، ولولا الأمن بجوارهم للبيت لم يقدروا على التصرف. ٣- أي: إن لم يعبدوه لسائر نعمه، فليعبدوه لهذه النعمة الخاصة المذكورة، والبيت الكعبة، وعرفهم سبحانه بأنه رب هذا البيت لأنها كانت لهم أوثان يعبدونها، فميز نفسه عنها. وبالبيت تشرفوا على سائر =

ترتيبها ١٠٩ — سُورَةُ الكَافِرُونَ — آياتها ٦

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢
وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ٤
وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ٦

ترتيبها ١١٠ — سُورَةُ النَّصۡرِ — آياتها ٣

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ
يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ
وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣

ترتيبها ١١١ — سُورَةُ المَسَدِ — آياتها ٥

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ١ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا
كَسَبَ ٢ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ٣ وَٱمۡرَأَتُهُۥ
حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ٤ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ٥

٦٠٣

= العرب. ٤- أي: أطعمهم بسبب هاتين الرحلتين فخلصهم من جوع شديد كانوا فيه قبلها، وكانت العرب يغير بعضها على بعض ويسبي بعضها بعضًا، فأمنت قريش من ذلك لمكان الحرم. وقد آمنهم من خوف الحبشة مع الفيل.

سُورَةُ المَاعُونِ

مكية عند البعض، ومدنية عند آخرين ويقال سورة الدِّين

١- أي: أأبصرت المكذب بالحساب والجزاء؟ ٢- أي: فإن تأملته، أو طلبته، فهو ذلك الذي يدفع اليتيم عن حقه دفعًا شديدًا. وقد كان عرب الجاهلية لا يورِّثون النساء والصبيان. ٣- أي: لا يحض نفسه ولا أهله ولا غيرهم على ذلك، بخلا بالمال. ٤- ثم يذم الله تعالى المنافقين الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها فيقول جل وعلا: ويلٌ لهؤلاء المنافقين. ٥- الذين هم عن صلاتهم غافلون عنها غير مبالين بها، لا يرجون بصلاتهم ثوابًا إن صلوا، ولا يخافون عليها عقابًا إن تركوا، فهم عنها غافلون حتى يذهب وقتها، وإذا كانوا مع المؤمنين صلوا رياءً، وإذا لم يكونوا معهم لم يصلوا. ٦- أي: ويراءون الناس بصلاتهم إن صلوا، أو يراءون الناس بكل ما عملوه من أعمال البر ليثنوا عليهم. ٧- الماعون اسم لما يتعاوره الناس بينهم، من الدلو والفأس القِدر، وما لا يمنع، كالماء والملح. وقيل الماعون هو الزكاة: أي يمنعون زكاة أموالهم.

سُورَةُ الكَوْثَرِ

مكية عند الجمهور.

١- الكوثر نهر في الجنة جعله الله كرامة لرسول الله ﷺ ولأمته.

٢- المأمور به إقامة الصلوات المفروضة وكان ناس يصلون لغير الله، وينحرون لغير الله، فأمر الله نبيه ﷺ أن تكون صلاته ونحره له. وقال قتادة وعطاء وعكرمة: المراد صلاة العيد ونحر الأضحية. ٣- أي: إن مبغضك هو المنقطع عن خيري الدنيا والآخرة، أو الذي لا يبقى ذكره بعد موته، والأبتر من الرجال الذي لا ولد له. لما مات ابنٌ لرسول الله ﷺ قال أحد المشركين: إنه أبتر. فنزلت السورة.

سُورَةُ الكَافِرُونَ

مكية في رأي الجمهور. ١، ٢- سبب نزول هذه السورة أن الكفار سألوا رسول الله ﷺ أن يعبد آلهتهم سنة، ويعبدوا إلهه سنة، فأمره الله سبحانه أن يقول لهم لا أفعل ما تطلبون مني من عبادة ما تعبدون من الأصنام، أي: لست الآن أعبد آلهتكم. ٣- أي: ولستم أنتم ما دمتم على شركم وكفركم عابدين الله الذي أعبده. ٤- أي: في مستقبل أيامي وما يأتي من عمري لن أعبد شيئًا من آلهتكم التي تعبدونها. ٥- أي: لن تعبدوا الله في مستقبل أيامكم ما دمتم على كفركم وعبادتكم للأصنام. وقيل في الآيات تكرار، والغرض التأكيد، لقطع أطماع=

سُورَةُ الإِخْلَاصِ — ترتيبها ١١٢ — آياتها ٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ١ اللَّهُ الصَّمَدُ ٢ لَمْ يَلِدْ
وَلَمْ يُولَدْ ٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ٤

سُورَةُ الفَلَقِ — ترتيبها ١١٣ — آياتها ٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ٢ وَمِن
شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ٣ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي
الْعُقَدِ ٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ٥

سُورَةُ النَّاسِ — ترتيبها ١١٤ — آياتها ٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ١ مَلِكِ النَّاسِ ٢ إِلَٰهِ
النَّاسِ ٣ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ٤ الَّذِي
يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ٥
مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ٦

٦٠٤

الكفار عن أن يجيبهم رسول الله ﷺ إلى سألوه من عبادته آلهتهم. ٦- أي: إن رضيتم بدينكم فقد رضيت بديني، وإن دينكم الذي هو الإشراك، لكم لا يتجاوز إليّ، وديني الذي هو التوحيد مقصور عليّ لا يتجاوزكم إلى الحصول لكم.

سُورَةُ النَّصْرِ

هي مدنية بلا خلاف. وتسمى أيضًا سورة التوديع. أخرج أحمد وابن جرير عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ قال رسول الله ﷺ «نُعِيَتْ إليَّ نفسي». ١- أي: إذا جاءك يا محمد نصر الله على من عاداك، وهم قريش، وفتح عليك مكة. والنصر هو التأييد الذي يكون به قهر الأعداء وغلبهم والاستعلاء عليهم، والفتح هو فتح مساكن الأعداء ودخول منازلهم. ٢- أي: وأبصرت الناس، من العرب وغيرهم، يدخلون في دين الله الذي بعثك به، جماعات فوجا بعد فوج، فإنه لما فتح رسول الله ﷺ مكة قال العرب: أما إذ ظفر محمد بأهل الحرم، وقد أجارهم الله من أصحاب الفيل، فإنه على الحق، وليس لكم عليه قدرة، فكانوا يدخلون في الإسلام جماعات كثيرة، بعد أن كانوا يدخلون واحدا واحدا، واثنين اثنين، فصارت القبيلة تدخل بأسرها في الإسلام. ٣- فيه الجمع بين تسبيح الله، المؤذن بالتعجب مما يسَّره الله له مما لم يكن يخطر بباله ولا بال أحد من الناس، وبين الحمد له على جميل صنعه له وعظيم منته عليه بالنصر والفتح لأم القرى واطلب منه المغفرة لذنبك تواضُعًا لله، واستقصارا لعملك فمن شأنه التوبة على المستغفرين له، يتوب عليهم ويرحمهم بقبول توبتهم.

سُورَةُ المَسَدِ

مكيه بلا خلاف. ١- أي: هلكت يداه وخسرت وخابت وهلك هو، وقد وقع ما دعا به عليه. وأبو لهب عم النبي ﷺ واسمه عبدالعزى. ٢- أي: لم يدفع عنه ما جمع من المال، ولا ما كسب من الأرباح والجاه، ما حلّ به من التباب، وما نزل به من عذاب الله. ٣- أي: سوف يعذب في النار الملتهبة، تحرق جلده، وهي ذات اشتعال وتوقد، وهي نار جهنم. ٤- أي: وتصلى امرأته نارًا ذات لهب، وهي أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان، وكانت تحمل الغضى والشوك فتطرحه بالليل على طريق النبيّ ﷺ. ٥- والمسد: الليف الذي تفتل منه الحبال: كانت لها قلادة فاخرة من جوهر، فقالت: واللات والعزى لأنفقنّها في عداوة محمد، فيكون ذلك عذابا في جسدها يوم القيامة.

سُورَةُ الإِخْلَاصِ

مكيه في رأي الجمهور. ١- قال المشركون: يا محمد انسب لنا ربك، أي اذكر لنا نسبه. فنزلت هذه السورة. فالمعنى: إن سألتم تبيين نسبته فهو الله أحد، أي: واحد لا شريك له. ٢- الصمد هو الذي يُصْمَدُ إليه في الحاجات: أي يُقْصَد لكونه قادرا على قضائها. عن ابن عباس=

= قال: الصمد السيد الذي قد كمل في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والغني الذي قد كمل في غناه، والجبار الذي قد كمل في جبروته، والعالم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الله سبحانه، هذه صفة لا تنبغي إلا له (ليس له كفو) وقال الزجاج: الصمد السيد الذي انتهى إليه السؤدد، فلا سيد فوقه. ٣- أي لم يصدر عنه ولد، ولم يصدرهو عن شيء، لأنه لا يجانسه شيء، ولاستحالة نسبة العدم إليه سابقا ولاحقًا، أي فليس لله تعالى أب حتى ينسب إليه، وليس له أولاد فينسبون إليه. ٤- لا يساويه أحد. ولا يماثله، ولا يشاركه في شيء.

سُورَةُ الفَلَقِ

مدنيه عند ابن عباس وغيره. ١- الفلق الصبح، لأن الليل ينفلق عنه. وقيل هو كل ما انفلق عن جميع ما خلق الله، من الحيوان، والصبح، والحب، والنوى، وكل شيء من نبات وغيره. قيل: والمراد الإيماء إلى أن القادر على إزالة هذه الظلمات الشديدة عن كل هذا العلام يقدر أيضًا أن يدفع عن العائذ به كل ما يخافه ويخشاه. ٢- **أي أعوذ بالله من شر كل ما خلقه الله سبحانه من جميع مخلوقاته.** ٣- أي وأعوذ به من شر الليل إذا أقبل، قالوا: لأن في الليل تخرج السباع من آجامها، والهوامُّ من أماكنها، وينبعث أهل الشر على العبث والفساد، وقيل الغاسق هو القمر ٤- أي وأعوذ به من شر النساء الساحرات، وذلك لأنهنّ كن ينفثن في عقد الخيوط حين يسحرن بها. ٥- الحسد تمني زوال النعمة التي أنعم الله بها على المحسود، وفي هذا تعليم للمؤمنين والمؤمنات اللجؤ إلى الله والاحتماء به في الكربات.

سُورَةُ النَّاسِ

الراجح أنها مدنية. ١- ربّ الناس هو الله خالقهم ومدبر أمرهم ومصلح أحوالهم. ٢- له الملك الكامل، والسلطان القاهر. ٣- أي معبودهم، فإن الملك قد يكون إلها، وقد لا يكون، فبين أن اسم الإله خاص به لا يشاركه فيه أحد. ٤- الوسواس هو الشيطان، أي: ذي الوسوسة كثير الخنس، وهو التأخر، إذا ذكر الله خنس الشيطان وانقبض، وإذا لم يذكر الله انبسط على القلب. ٥- ووسوسته هي الدعاء إلى طاعته بكلام خفيّ يصل إلى القلب من غير سماع صوت. ثم بين سبحانه الذي يوسوس بأنه ضربان: جنّي وإنسي، فقال: ٦- ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ أما شيطان الجنّ فيوسوس في صدور الناس كما تقدّم، وأما شيطان الإنس فوسوسته في صدور الناس أنه يُري نفسه كالناصح المشفق، فيوقع في الصدر من كلامه الذي أخرجه مخرج النصيحة ما يوقع الشيطان الجنّيّ فيه بوسوسته. وقيل: إن إبليس يوسوس في صدرو الجنّ كما يوسوس في صدور الإنس، عن ابن عباس قال **«ما من مولود يولد إلا على قلبه الوسواس، فإذا ذكر الله خنس، وإذا غفل وسوس»** نعوذ بالله تعالى من كيده ووسوسته.

والحمد لله الذي بفضله ومنّه وكَرمِه تتمُ الصاحات.

السُّورَة	رقمها	الصحيفة		السُّورَة	رقمها	الصحيفة	
الحشر	٥٩	٥٤٥	مدنية	الأعلى	٨٧	٥٩١	مكية
الممتحنة	٦٠	٥٤٨	مدنية	الغاشية	٨٨	٥٩٢	مكية
الصف	٦١	٥٥١	مدنية	الفجر	٨٩	٥٩٣	مكية
الجمعة	٦٢	٥٥٣	مدنية	البلد	٩٠	٥٩٤	مكية
المنافقون	٦٣	٥٥٤	مدنية	الشمس	٩١	٥٩٥	مكية
التغابن	٦٤	٥٥٦	مدنية	الليل	٩٢	٥٩٥	مكية
الطلاق	٦٥	٥٥٨	مدنية	الضحى	٩٣	٥٩٦	مكية
التحريم	٦٦	٥٦٠	مدنية	الشرح	٩٤	٥٩٦	مكية
الملك	٦٧	٥٦٢	مكية	التين	٩٥	٥٩٧	مكية
القلم	٦٨	٥٦٤	مكية	العلق	٩٦	٥٩٧	مكية
الحاقة	٦٩	٥٦٦	مكية	القدر	٩٧	٥٩٨	مكية
المعارج	٧٠	٥٦٨	مكية	البينة	٩٨	٥٩٨	مدنية
نوح	٧١	٥٧٠	مكية	الزلزلة	٩٩	٥٩٩	مدنية
الجن	٧٢	٥٧٢	مكية	العاديات	١٠٠	٥٩٩	مكية
المزمل	٧٣	٥٧٤	مكية	القارعة	١٠١	٦٠٠	مكية
المدثر	٧٤	٥٧٥	مكية	التكاثر	١٠٢	٦٠٠	مكية
القيامة	٧٥	٥٧٧	مكية	العصر	١٠٣	٦٠١	مكية
الإنسان	٧٦	٥٧٨	مدنية	الهمزة	١٠٤	٦٠١	مكية
المرسلات	٧٧	٥٨٠	مكية	الفيل	١٠٥	٦٠١	مكية
النبأ	٧٨	٥٨٢	مكية	قريش	١٠٦	٦٠٢	مكية
النازعات	٧٩	٥٨٣	مكية	الماعون	١٠٧	٦٠٢	مكية
عبس	٨٠	٥٨٥	مكية	الكوثر	١٠٨	٦٠٢	مكية
التكوير	٨١	٥٨٦	مكية	الكافرون	١٠٩	٦٠٣	مكية
الانفطار	٨٢	٥٨٧	مكية	النصر	١١٠	٦٠٣	مدنية
المطففين	٨٣	٥٨٧	مكية	المسد	١١١	٦٠٣	مكية
الانشقاق	٨٤	٥٨٩	مكية	الإخلاص	١١٢	٦٠٤	مكية
البروج	٨٥	٥٩٠	مكية	الفلق	١١٣	٦٠٤	مكية
الطارق	٨٦	٥٩١	مكية	الناس	١١٤	٦٠٤	مكية


الدار
العالمية للتجليد
على النادى
٦٩٩٠٥٧٠
٠١٠٦٧١٠٠٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم

قام بإعداد هذه النسخة pdf
وفهرستها ورفعها :
د محمد أحمد محمد عاصم
نسألكم الدعاء